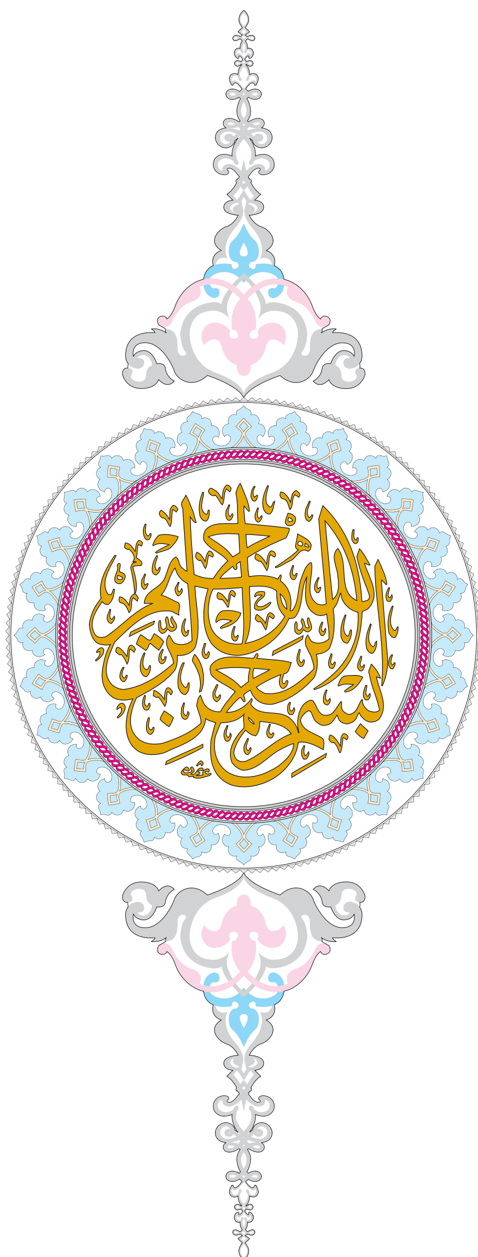
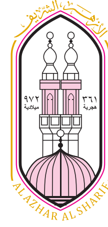
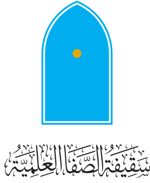




٥٤


بسم الله الرحمن الرحيم





مجلة الأزهر

مجلة شهرية جامعة

تصدر عن مشيخة الأزهر في أول كل شهر عربي

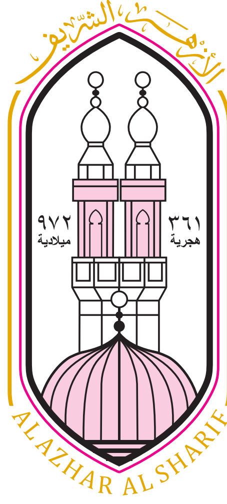
٥٤

المجلد التاسع والأربعون ـ القسم الثاني

السنة ١٣٩٧هـ

الأزهر الشريف

سقيفة الصفا العلمية



مشيخة الأزهر الشريف
تليفون : 25899823 / 25907497
فاكس : 25903974 / المحمول : 01114242123
www. azhar. eg

١٤٤٥هـ ـ ٢٠٢٣م

سقيفة الصفا العلمية
SAQIFAT AL-SAFA TRUST
لبوان ـ ماليزيا
www.saqifat-alsafa.org
E-mail : info@saqifat-alsafa.org

مدير التحرير والإدارة
الدكتور عبد الودود شلبي

مجلة الأزهر

مجلة شهرية جامعة
تصدر عن مجمع البحوث الإسلامية بالأزهر
فى أول كل شهر عربى

العنوان
إدارة الأزهر
بالقاهرة
ت { ٩٠٥٩١٤ ٩٠٥٥٠٦

الجزء الخامس — السنة التاسعة والأربعون — رجب سنة ١٣٩٧هـ — يوليو سنة ١٩٧٧م

بسم الله الرحمن الرحيم

موقف الاسلام من :

الفن والعلم والفلسفة

لفضيلة الإمام الأكبر الدكتور عبد الحليم محمود
شيخ الأزهر

قلنا فى نهاية مقالنا السابق :

قد يتساءل انسان عن نوعية العلم الذى يدعو اليه الاسلام ...

ان العلم الذى يدعو اليه الاسلام هو العلم بالطبيعة . والاحياء ، والكيمياء ، والطب وغير ذلك من العلوم المادية ، وهو بالضرورة أيضا علم الدين ، من تفسير ، وحديث ، وفقه ... وان الآية الكريمة :

(انما يخشى الله من عباده العلماء)

انما وردت فى معرض الحديث عن الكونيات المادية .

والله سبحانه وتعالى يقول :

(سنريهم آياتنا فى الآفاق وفى أنفسهم) .

وما من شك فى أنه بمقدار تعمق الانسان فى الجانب العلمى على أساس من الايمان وفى صدق واخلاص تكون خشيته لله : ذلك

أنه يرى من نواميس الكون ، ومن الاتقـان فى الخلق ، ومن الحكمة فى التدبير ما يجعله يسجد لمبـدع الكون ومنسقه .

وان هؤلاء الذين يتصلون مثلا بعـلم التشريح من قــرب ، أو يتخصصون فيه ، يرون من الاحكام المحـكم ، ومن الدقـة الدقيقة فى مختلف الأجهـزة الجسـمية ، وفى مفردات هـذه الأجهزة ما يضطرهم اضطرارا الى السـجود لرب هـذا التنسيق والترتيب والابداع .

وليس علم التشريح وحده هـو الذى يبهر العالم المتبحر فيه ، وانما يبهر علم الفلك العالم الفلكى : انه يرى هـذه النجـوم التى لا تكاد تعد ، تسير فى هذه السعة الكونية الهائلة فى ترتيب وتناسق واحكام :

(لا الشمس ينبغى لها أن تدرك القمر ، ولا الليل سابق النهار ، وكل فى فلك يسبحون) ...

وعالم الأحياء وهو يتأمل عوالمه ، ويفاجأ كل يوم بجديد وغريب وبديع فيهـا .

ان هؤلاء جميعا وغيرهم يجدون أنفسهم لا محالة أمام صنع الله الذى أتقن كل شىء صنعا فيقولون مـع القرآن الكريم :

(تبارك الذى بيده الملك وهوعلى كل شىء قدير . الذى خلق الموت والحياة ليبلوكم أيكم أحسن عملا ، وهو العزيز الغفـور . الذى خلق سبع سماوات طباقا ما ترى فى خلق الرحمن من تفاوت فارجع البصر هل ترى من فطور ؟ ثم ارجـع البصر كرتين ينقلب اليـك البصر خاسـئا وهو حسير) .

وصدق الله اذ يقول :

(انمـا يخشى الله من عبـاده العلماء) .

لقد أحدث الاسلام فى الدنيا ــ بموقفه هـذا من العلم ــ نهضـة علمية ، كان من ثمـارها الحضارة الاسلامية التى كانت تسمى البحث فى الطبيعة ، وفى الكون : هـذه التسمية الجميلة :

« العلم بسنن الله الكونية » .

فعـلم الطبيعـة فى الصـورة الاسلامية ، هـو العـلم بسنن الله الكونية .

وقد يتساءل انسان عما اذا كان الاسلام أطلق العلم اطلاقا أم قيده بقيود ؟

ان (اقــرأ) التى افتتح الله سبحانه بها وحيه الكريم قيدت منذ المبـدأ ــ مباشرة ــ بأن تكون : ﴿ باسم ربك ﴾ .

والعلم فى الاسلام ــ هذا العلم بالدين وبالمـادة ــ لا يقيـده فى الاسـلام الا أن يكون فى اتجـاه ربانى .

ان الاســلام يوجب أن تكون أسس العلم متسمة بالخير ، ويوجب أن تكون غاياته منغمسة فى الخير ، ويجعل من العـلم قربى الى الله ، ويجعل منه عبـادة لله ، انه سبحانه يجعله باسمه الكريم .

ومن الملاحظات الدقيقة فى هـذه الكلمـات التى كانت فى افتتـاح الوحى أن الله سبحانه لم يقل : اقرأ باسم الله ، وانما قال : (اقرأ باسم ربك) أى اقـرأ باسم المربى ، أى (اقرأ) فى إطار التربية الالهية .

ومنذ اللحظات الأولى فى الاسلام اتسـم العـلم بالخير ، واستهدف الخير ، لم يستهدف العلم الاسلامى فى يوم من الأيام التنكيل بالانسانية ، أو الاستعلاء ، أو التسابق من أجل ايجاد وسـائل التدمير والتخريب ، كلا .. وانما هو قراءة باسم المربى ، وكان العلم الاسلامى من أجل ذلك ضرورة ، وليس ترفا .

وقد يتساءل انسان أيضا عما اذا كانت هـذه النهضـة العلمية التى دوت فى أرجـاء العـالم منطلقة عن القرآن الكريم والأحاديث النبوية الشريفة لها أثر فى النهضة الأوربية ؟

وعن ذلك تترك العالم الانجليزى الكبير الأستاذ (بريفولت) صاحب كتاب (بنـاء الانسانية) يتحدث ، وهو عالم منصف ، أنصف الحضارة الاسلامية بعد أن ظلمهـا الغربيون قرونا متعددة ... انه يقول :

ان « روجر بيكون » درس اللغة العربية ، والعلم العربى ، والعلوم العربية ، ، فى مدرسة « اكسفورد » على خلفاء معلميه العرب فى الأندلس ، وليس « لروجـور بيـكون » ولا لسميه الذى جاء بعده الحق فى أن ينسب اليهما الفضل فى ابتكار المنهج التجريبى فلم يكن روجـر بيكون الا رسولا من رسل العلم والمنهج

الاسلاميين الى أوربا المسيحية وهو لم يمل قط من التصريح بأن تعلم معاصريه للغة العربية وعلوم العرب هو الطريق الوحيد للمعرفة الحقة . والمناقشات التى دارت حول واضعى المنهج التجريبى ، هى طرف من التحريف الهائل لأصول الحضارة الأوربية . وقد كان منهج العرب التجريبى فى عصر بيكون قد انتشر انتشارا واسعا وانكب الناس فى لهف ، على تحصيله فى ربوع أوروبا) .

ويقول : (لقد كان العلم أهم ما جادت به الحضارة العربية على العالم الحديث ولكن ثماره كانت بطيئة النضج . ان العبقرية التى ولدتها ثقافة العرب فى أسبانيا لم تنهض فى عنفوانها بعد مضى وقت طويل على اختفاء تلك الحضارة وراء سحب الظلام . ولم يكن العلم وحده هو الذى أعاد الى أوروبا الحياة بل ان مؤثرات أخرى كثيرة من مؤثرات الحضارة الاسلامية بعثت باكورة أشعتها الى الحياة الأوربية) .

ويقول : (فانه على الرغم من أنه ليس ثمة ناحية واحدة من نواحى الازدهار الأوربى الا ويمكن ارجاع أصلها الى مؤثرات الثقافة الاسلامية بصورة قاطعة فان هذه المؤثرات توجد أوضح ما تكون فى نشأة تلك الطاقة التى تكون ما للعالم الحديث من قوة متمايزة ثابتة وفى المصدر القوى لازدهاره — أى فى العلوم الطبيعية وفى روح البحث العلمى) .

ويقول : (ان ما يدين به علمنا لعلم العرب ليس فيما قدموه الينا من كشوف مدهشة لنظريات مبتكرة بل يدين هذا العلم الى الثقافة العربية بأكثر من هذا ، انه يدين لها بوجوده نفسه ، فالعلم القديم كما رأينا ، لم يكن للعلم فيه وجود . وعلم النجوم عند اليونان ورياضياتهم كانت علوما أجنبية استجلبوها من خارج بلادهم وأخذوها عن سواهم ولم تتأقلم فى يوم من الأيام فتمتزج

امتزاجا كليا بالثقافة اليونانية • وقد نظم اليونان للمذاهب وعمموا الأحكام ووضعوا النظريات ولكن أساليب البحث فى دأب وأناة • وجمع المعلومات الاجابية وتركيزها والمناهج التفصيلية للعلم ، والملاحظة الدقيقة المستمرة ، والبحث التجريبي كل ذلك كان غريبا تماما عن المزاج اليونانى ولم يقارب البحث العلمى نشأته فى العالم القديم الا فى الاسكندرية فى عهدها الهلينى •

أما ما ندعوه العلم فقد ظهر فى أوربا نتيجة لروح من البحث جديدة ، ولطرق من الاستقصاء مستحدثة لطرق التجربة والملاحظة والمقاييس، ولتطور الرياضيات الى صورة لم يعرفها اليونان • وهذه الروح وتلك المناهج العلمية أدخلها العرب الى العالم الأوربى) •

عبد الحليم محمود
شيخ الأزهر

أمواج البحر :

« المدارس ، والمساجد ، والبيع ، والكنائس ، ووزارة الداخلية ، هذه كلها لن تهزم الشاطىء •

فأمواج النفس البشرية كأمواج البحر الصاخب ، تنهزم ابدا لترجع ابدا •

لا يهزم الشاطىء الا ذلك « الجامع الأزهر » ، لو لم يكن قد مسخ مدرسة ! فصرخة واحدة من قلب الأزهر القديم ، تجعل هدير البحر كأنه تسبيح •

وترد الأمواج نقية بيضاء ، كأنها عمائم العلماء • وتأتى الى البحر بأعمدة الأزهر للفصل بين الرجال والنساء • • • •

يا لحوم البحر : سلخك من ثيابك جزار • • • !

« وحى القلم ج ٢ »

نظرات فى سورة يوسف

للعلامة أبو الحسن الندوى

ما أجمل قصة يوسف الجميلة الرائعة التى حكاها الله تعالى كاملة مفردة فى سورة يوسف ، ويوسف كله جمال فى حياته وسيرته ، وفى أخلاقه وتصرفاته وفى ضعفه وخموله ، وفى مجده وأبهته ، وفى صبره واحتماله ، وفى رجائه وايمانه ، وفى وعظه ودعوته ، وفى صفحه وكرمه ، وفى سماحته وسخائه ، وفى بدايته وفى نهايته ، وكل حديث عن يوسف جميل جليل ، حلو عذب .

فياطيب اخبار وياحسن منظر :

نطالع فى القرآن سورتين جليلتين ، نزلتا لتسلية النبى صلى الله عليه وسلم وأصحابه ، الذين كانوا يعيشون فى أقسى الظروف التى جربها فرد أو جماعة فى تاريخ الانسانية الطويل ، والنبوءة بالمستقبل المشرق الباهر الذى لا يبلغ اليه قياس الأذكياء ، لا كهانة الكاهنين ولا طموح الطامحين ، احداهما سورة يوسف والأخرى سورة القصص ، وكلتاهما مكيتان الا أن الأولى تتناول شخص الرسول الكريم ، وتبشر بمستقبله العظيم ، والأخرى تتناول جماعة المؤمنين ، المضطهدين المعذبين وتنبىء بانتصارها وازدهارها ، وسيادتها ، وقيادتها ، وقد كان المجتمع الاسلامى المستضعف الممتحن فى مكة فى حاجة ملحة الى ذلك لتقوية عقيدته وايمانه ، وثقته بمركز التوجيه ، ومصدر الاشعاع ، وثقته بمستقبله المضمون المكفول ، وكان الذين يحاربون هذه الدعوة وزعيمها ، وأتباعه ، ويسومونهم سوء العذاب ، ويتكهنون بزوالهم السريع وفنائهم القريب ، فى حاجة كذلك الى هذه النبوة الجريئة المجلجلة ، الخالعة

للقلوب ، فسورة يوسف تبدأ بقوله تعالى: « لقد كان فى يوسف واخوته آيات للسائلين (١) » ، ويتوسط السورة بقوله : « انه من يتق ويصبر فان الله لا يضيع أجر المحسنين (٢) » وتختم السورة بقوله : « لقد كان فى قصصهم عبرة لأولى الألباب ما كان حديثا يفترى ولكن تصديق الذى بين يديه وتفصيل كل شىء وهدى ورحمة لقوم يؤمنون (٣) » ، وكلها اشارات لطيفة بل تصريحات مكشوفة بالفتح العظيم الذي يبدد الظلام وينفى الأوهام ويشق الطريق الى الأمام ، ويجعل من الشخص الضعيف الطريد المجفو سيد الأمة وملك البلاد وقابض الزمام .

وتبدأ سورة القصص بالاعلان الملكى الصارخ المفزع : « ونريد أن نمن على الذين استضعفوا فى الأرض ونجعلهم أئمة ونجعلهم الوراثين ونمكن لهم فى الأرض ونرى فرعون وهامان وجنودهما منهم ما كانوا يحذرون (٤) » ويتوسط السورة قوله : « وكم أهلكنا من قرية بطرت معيشتها فتلك مساكنهم لم تسكن من بعدهم الا قليلا وكنا نحن الوارثين (٥) » ، وختم السورة بقوله : « تلك الدار الآخرة نجعلها للذين لا يريدون علوا فى الأرض ولا فسادا والعاقبة للمتقين (٦) » فجاءت السورتان على تفاوت بين زمن نزولهما — ولكن كلتيهما نزلتا بمكة — بلسما لجروح المسلمين لايعرف وقعهما فى القلوب، وسحرهما فى النفوس الا من عاش فى ذلك المجتمع المخنوق ، المرهق بالجراح والمتاعب ، وفقه القرآن وعرف أسلوبه ، وتذوق معانيه ، ولا تزالان مادة سكينة وسلوى ، وثقة وبشارة لكل داعية مجفوء

---

(١) سورة يوسف ٧
(٢) سورة يوسف ٩٠
(٣) سورة يوسف ١١١
(٤) سورة القصص ٥
(٥) سورة القصص ٥٨
(٦) سورة القصص ٨٣

محارب ، ولكل دعوة مضطهدة مطاردة ، ولكل جماعة مؤمنة تتألب عليها القوى ، ويتنمر عليها الأعداء ويرمونها عن قوس واحدة :

« وكلا نقص عليك من أنباء الرسل ما نثبّت به فؤادك وجاءك فى هذه الحق وموعظة وذكرى للمؤمنين وقل للذين لا يؤمنون اعملوا على مكانتكم انا عاملون (١) » .

لقد اجتمع ليوسف شخصيا ، ولبنى اسرائيل مجموعة جميع الأسباب والظروف الموجبة لخيبتهم واخفاقهم فى كفاح الحياة ، والخمول والضياع ، والفناء والانطواء والبقاء على وضع ذليل ، فقد بيع يوسف كعبد رقيق ، واشترى بثمن بخس دراهم معدودة تدل على رخص السلعة ، وهوانها فى عين البائع والمشترى ، ودخل فى قصر عزيز مصر عبدا رقيقا لا يعرف أحد نسبه ، وطيب أرومته ولا كرم معدنه ، ثم اتهم بتهمة خلقية شنيعة كثر عنها الحديث ، وتناولتها الألسن ، وشاعت فى المجتمع ، ودخل السجن متهما ، لا مدافع عنه ولا مزكى له ، كل ذلك كان كفيلا بتخلفه فى المجتمع ، وبقاءه فى غياهب السجون تحيط به هالة الأراجيف والاشاعات ، والظنون والشبهات والاحتقار ، والامتهان ، ويزيد فى محنته وبلائه أنه غريب فى مصر لا يتمتع بوطنية وجنسية ولا يتصل بالشعب الحاكم والأسرة الحاكمة بنسب أو دم وهو فرد من أفراد شعب ينظر اليه الشعب المصرى المتمدن الراقى ، المتغطرس ، نظرة هوان واحتقار ، ولا يرى فردا من أفراد هذا الشعب المتخلف كفوا لوظيفة كبيرة ، فضلا عن السيادة والقيادة ، وتقلد وزارة أو صدارة ، كل ذلك كان كافيا ليجعل مستقبل هذا الشاب الغريب ، مظلما بائسا ، ويختم على حظه ومصيره ختما لا تفضه يد بشر ولاحيلة عقل .

ولكن يوسف قد خرج من كل ذلك خروج السيف من الجلاء ، والابريز الخالص من النار ، وسطع نجمه وبزغ نوره كطلوع البدر فى الليلة الظلماء ، وقد ذكر يوسف فى

---

(١) سورة هود ١٢٠ ــ ١٢١

صدقه النبوى ، وفى بلاغته النادرة ، وقد تساءل اخوته الذين فوجئوا برؤيته على عرش مصر ومعرفته بعد جهل طويل ، وقالوا فى دهشة وفزع : « انك لأنت يوسف » ؟ ، قال : «أنا يوسف وهذا أخى قد من الله علينا انه من يتق ويصبر فان الله لا يضيع أجر المحسنين»(١)، انه هو التقوى والصبر اللذان قد تجليا فى يوسف بأروع مظاهرهما وأبدع آياتهما حتى أصبحت قصة يوسف رمزا للتقوى والصبر وعنوانا لهما .

وهذه قصة محمد صلى الله عليه وسلم وأصحابه ، وقصة أمته ، وقصة الدعاة فى أمته ، فى كل زمان ومكان ، وفى كل جيل وعصر .

وقد اشتملت قصة يوسف على فصول كثيرة من المحنة والبلاء :، قلما تجتمع فى قصة رجل واحد ؛ ذلك ليكون درسا وعبرة ، لكل داعية فى كل محنة ، ولكل مؤمن فى كل نكبة ، ثم انتهت هذه القصة الجليلة بفصل رائع ونهاية عظيمة تغمر النفوس ثقة وايمانا ، وسكينة وحنانا ، وتطمع الطامعين فى رحمة الله ، ولطيف صنعه ، ودقيق حكمته .

انسان تبتدىء قصته من التعرض لحسد الاخوة وبنى الأب ، ومكيدتهم ، ومعرتهم التى قلما تعرض لها انسان ، فمن حضانة الوالد الشفيق الرفيق ورعايته الى ظلام الجب ووحشة الصحراء ، الى رق القساة الذين يبيعونه بثمن بخس دراهم معدودة ، الى خدمة عزيز مصر ومكيدة امرأته ومؤامرتها ، الى التهمة الشنيعة التى هو منها برىء كبراءة الذئب من دمه ، الى محنة السجن ، والقالة التى تشيع فى البلد الى الخروج منه مكرما مبجلا ، مطلوبا مدعوا الى تقلد أعظم مركز وأدقه فى حكومة متمدنة وبلد راق ، الى احتياج الاخوة الذين جازفوا بحياته ، الى رفده وبره ، واعترافهم بجنايتهم وخيانتهم ، الى الاجتماع بالأخ الشقيق ، والأب الشفيق ، وقرة عين برؤيتهم ، والاجتماع بهم بعد فرقة طويلة ، والاستئناس بهم بعد وحشة طويلة ، وقرة عينهم كلهم برؤية مجد بيتهم ، وسلطان عشيرتهم ،

---

(١) سورة يوسف ٩٠.

قصة ذات فصول ، كل فصل آية فى الجمال والجلال ، وفى الدقة والكمال ، كل فصل حلقة جميلة محكمة فى سلسلة حوادث ، قدرها العزيز العليم صنع الله الذى أتقن كل شىء .

وتتسم قصة يوسف بأربع خصال سيطرت على حياته كلها ، هى النزاهة والاستقامة ، وكبر النفس وعلو الهمة ، والحكمة والفقه ، والانابة والعبودية ، لقد كان يوسف نزيها مستقيما فى جميع المراحل والتجارب التى مر بها فى حياته ، كان نزيها مستقيما فى قصر العزيز يوم امتحن امتحانا تزول له الجبال الراسيات ، فقد تهيأ له من أسباب الاغراء والاستهواء ــ من الجمال والمال والسلطان والشباب ، والصحة والأمن من كل شبهة وتهمة ــ ما لو تهيأ أقله لأحد لكان كافيا لفتنته ، وقد كان مطلوبا أشد الطلب ، وألحف الطلب، ولكنه تمرد على كل ذلك ،وثبت على كل ذلك ، وقال كلمته الخالدة التى تجلى فيها الكرم ، وصفاء المعدن ، والاعتراف بالاحسان ، وتجلى فيها الايمان بالغيب ، والعلم بسنن الله ونتائج الأعمال : « معاذ الله انه ربى أحسن مثواى انه لا يفلح الظالمون (١) » ، وكان نزيها مستقيما فى السجن فى معاملته برفاقه ، ومن تولى أمرهم حتى حاز ثقتهم ، واستولى على قلوبهم حتى خاطبوه بقولهم : « يوسف أيها الصديق (٢) » ، وقالوا : «انا نراك من المحسنين(٣)»، وكان نزيها مستقيما فى ولايته وفى تصرفاته حتى أحبه أهل البلاد ، وسرى بحديثه الركبان ، فقال له بنو يعقوب الغرباء البعداء : «انا نراك من المحسنين (٤) » .

وكان كبير النفس عالى الهمة حين عصى سلطان النفس ، وسلطان الشباب ، وسلطان الجمال ، وسلطان ربة البيت ، وآثر الباقى على الفانى،

(١) سورة يوسف ٢٣
(٢) سورة يوسف ٤٦
(٣) سورة يوسف ٧٨
(٤) سورة يوسف ٧٨

والغيب على الشهود ، وحفظ السيد الغائب فى حرمته ، وفى أعز متاعه ، وكان كبير النفس عالى الهمة حين آثر شقاء السجن على سعادة القصر، والتعب على أساس الأمانة ، على الترفه على أساس الخيانة ، وقال : « رب السجن أحب الىّ مما يدعوننى اليه (١) » ، وكان كبير النفس عالى الهمة ، حين جاءته الدعوة الكريمة من تلك البلاد ، وصاحب العرش ، فرفضها واعتذر عن قبولها فى كبر نفس وعلو همة ، وقال : « ارجع الى ربك فاسأله ما بال النسوة التى قطعن أيديهن ان ربى بكيدهن عليم (٢) » ، وكان كبير النفس عالى الهمة ، حين لم يقبل أن يعيش مدللا مترفها يأكل من فتات مائدة الملك ، فطلب أن يتولى أدق مركز فى حكومة مصر ، وقال فى ثقة بمواهبه التى أكرمه الله بها : « اجعلنى على خزائن الأرض انى حفيظ عليم (٣) » وكان كبير النفس عالى الهمة ، واسع الأناة ، صبورا حين لم يفش سره لاخوته ، حتى جاءت المرحلة التى أذن الله له فيها ، فقال : « هل علمتم ما فعلتم بيوسف وأخيه اذ أنتم جاهلون(٤) » .

وتجلت حكمته وفقهه فى موعظته البليغة التى واجه بها صاحبيه فى السجن ، وهى من قطع الدعوة الحكيمة ، والموعظة الحسنة الخالدة فكأنها قطعة من نفسه ، وقبس من التى لا يقدر عليها غير الأنبياء ، جماله كلما تأمل فيها عاقل رزق سلامة الذوق ، ورقة الشعور، وصفاء الوجدان ، بهر بجمالها وتناسبها ، جاءه زميلان من أصحاب السجن يحكيان له رؤياهما ، وقد شغلت الرؤيا فكرهما وأفزعتهما ، فليس لهما هم غير هذه الرؤيا ، وقد واجههما يوسف مواجهة مؤسسة على الحكمة البليغة ، والمعرفة العميقة لطبائع الانسان ، ودخائل النفس مواجهة تجلت فيها الحكمة ، والرحمة ، والرقة ، والصرامة ، لقد كانا قبل كل شىء

---

(١) سورة يوسف ٣٣
(٢) سورة يوسف ٥٠
(٣) سورة يوسف ٥٥
(٤) سورة يوسف ٨٩

فى حاجة الى العلم . بأنهما لم يخطئا فى الاختيار ، وانهما انما يخاطبان الخبير العليم الذى هو « صاحب الاختصاص » فى هذا الموضوع ، وذلك أول ما يحتاج اليه المريض حين يقصد الطبيب ، والتلميذ حين يختار المعلم وكانا فى حاجة الى أن يعرفا أن حاجتهما ستقضى فى أقرب مدة ، وفى أول فرصة ، وهى حاجة المريض والمنكوب ، والطالب الصادق ، فجمع بين ذلك يوسف ، وقال مطمئنا مسليا مؤكدا :

« لا يأتيكما طعام ترزقانه الا نبأتكما بتأويله قبل أن يأتيكما ، ذلكما مما علمنى ربى (١) » ، وهكذا اطمأن الرجلان ، وارتاحا الى علم يوسف ، والى أن غرضهما سيتحقق قريبا .

وعرف يوسف أن آذانهما وقلوبهما قد تفتحت له ، وانها لا تتفتح فى كل وقت ، وأنهما قد تهيئا لسماع ما يلقى اليهما من قول ، وما يخاطبهما به من حكمة ، فقد نشطت الآذان ، ورقت القلوب وتفتق الشعور ، فانتهز يوسف هذه الفرصة السانحة الغالية التى ليست الا كوميض البرق ، فصمم على أن يدخل فى هذه الآذان المفتوحة ، وفى القلوب الرقيقة كلمة حكمة ودعوة ، هى أهم لهم وأنفع من ارتباطها بهذه الأحلام ، ولكنه لم يرد ، وهو الحكيم العطوف أن يغير على هذه القلوب وأن يهاجمها مهاجمة عنيفة ، فينغلق الباب المفتوح ويجمح القلب الأليف ، فوصل الدعوة بمعرفته التى كان فى حاجة الى ذكرها صلة رفيقة رقيقة ، وتدرج منها الى الدعوة الى التوحيد تدرجا لم يثقل على قلب المستمعين ، ولم يشعروا بهذا الانتقال اللطيف ، بل جاء كالماء الزلال السلسال ، الذى لا يستثقله العطشان ، بل يتهافت عليه الانسان الظمآن ، فقال واصلا بقوله ذلكما مما علمنى ربى : « انى تركت ملة قوم لا يؤمنون بالله وهم بالآخرة هم كافرون (٢) » ، وذلك سر معرفته وسبب كرامته ، ثم قال

---

(١) سورة يوسف ٣٧

(٢) سورة يوسف ٣٧

وقد تهيأ له الجـو ، واستعدت له القـلوب ، : « واتبعت ملة آبائى ابراهيم واسحاق ويعقوب ماكان لنا أن نشرك بالله من شىء ذلك من فضل الله علينا وعلى الناس ولـكن أكثر الناس لا يشكرون (١) » ، ثم تقدم قائلا وقد نشطت الآذان والقلوب ، وأساغت السابق وتهيأت للاحق ، :

« يا صـاحبى السـجن أأربـاب متفرقون خير أم الله الواحد القهار ما تعبـدون من دونه الا أسـماء سميتموها أنتم وآباؤكم ما أنزل الله بهـا من سلطان ان الحكم الا لله ، أمر أن لا تعبـدوا الا ايـاه ذلك الدين القيم ولـكن أكثر النـاس لا يعلمون (٢) » .

وهنا عرف يوسف أن الوجبـة الأولى قد تمت ، وأنـه ليس من الحكمة أن يزيد فيها ويطيل الكلام ويقف طـويلا بينهم وبين ما جاءوا له ، فهذا هـو التناسب الذى لا يشـعر به الا الأنبيـاء والعلمـاء الربانيون ، وقـد جاء فى حديث عبد الله ابن مسعود رضى الله عنه كان رسول الله ــ صلى عليه وسلم ــ يتخولنا بالموعظة كراهة السآمة علينا، وكان مما أوصى به داعيين من الدعاة أرسلهمـا الى اليمن . يسرا ولا تعسرا وبشرا ولا تنفرا فهنالك وقف يوسـف وبدأ يؤول لهمـا أحلامهما ، فقال: « ياصاحبى السجن اما أحدكما فيسقى ربه خمرا وأما الآخر فيصلب فتأكل الطير من رأسه قضى الأمر الذى فيه تستفتيان(٣)» وبذلك جاءت هذه الموعظة البليغة نموذجا رائعـا لدعوة الأنبيـاء ، ومعجزة باهرة من حكمهم ، ومادة لاتنقطع لأصول الدعوة وحكمتها ، ومناهجها فى كل عصر .

وتجلت انابته وعبوديته فى جميع مراحله فلم يصـلف ولم يتبجح ، ولم يرجع الفضـل الى نفسه وقوة مقاومته ، فقـال وقـد استطاع أن يستعصى على هذا الجو من الاغراء والاستهواء وثبت فيـه كالصخرة الصماء (وإن لا تصرف عنى كيدهن أصب اليهن وأكن من الجاهلين)(٤).

---

(١) سورة يوسف ٣٨
(٢) سورة يوسف ٣٩
(٣) سورة يوسف ٤١
(٤) سورة يوسف ٣٣

وقال حين ثبتت براءته ونزاهته : « وما أبرئ نفسى ان النفس لأمارة بالسوء الا ما رحم ربى ان ربى غفور رحيم » (١) وتجلت هذه الانابة والعبودية ، والافتقار يوم بلغ الى قمة مجده ، وأوج سعادته ، والى القارىء الكريم تفصيل ذلك ــ :

يتربع يوسف على أريكة مصر ذات النيل السعيد ،والخصب المزيد ويتم له الأمر والنهى فيها ويتم له من المجد والعظمة ، ونفوذ الكلمة وبسطة السلطان ، مايتم لأكبر حاكم وأعظم وال فى الدنيا ، فهو الرجل الذى يخشى ويرجى ، وتأتيه الدنيا راغمة صاغرة ، ثم لا يشغله كل ذلك عن التواضع ، لا يشغله عن ربه وعن معرفة نفسه ، وعن تذكر مصيره ، ولا يذهله عن قيمته وحقيقته ، ولا يذهله عن ايثار الآخرة على العاجلة ، والباقية على الفانية وعن ايثار آبائه الفقراء الزاهدين الذين عاشوا فى شظف من العيش ، وفى تقشف من الحياة على الأمراء الباذخين ، والملوك الجبارين الذين جلسوا على عرش مصر وغير مصر .

لقد تقلد يوسف العزيز أعظم منصب وأكرم مركز فى حكومة مصر المتمدنة الواسعة ليخدم عيال الله ، وليرفه البلاد والعباد ، وليؤدى الأمانة الى أهلها ، لقد فعل يوسف كل ذلك بحكم الضروة ومقتضى المصلحة الواقعة فكان فيه برا تقيا ، أمينا قويا ولكن قلبه لم يتعلق بذلك ، ولكن الملك لم يسترقه ولم يتملك قلبه ، انه بقى يحن الى معيشة آبائه الزاهدين ، قائما بدعوتهم ، محافظا على أماناتهم ، ولما علا نجمه ، وكمل مجده ، وتم اقباله ، فاض لسانه وجناته بالحمد والشكر والاعتراف والدعاء ، الأثير الحبيب ، والأمنية اللذيذة العزيزة ، فقال :

« رب قد آتيتنى من الملك وعلمتنى من تأويل الأحاديث فاطر السماوات والأرض ، أنت وليى

---

(١) سورة يوسف ٥٣

فى الـدنيا والآخرة ، توفنى مسلما وألحقنى بالصالحين (١) » •

وهكذا كانت نهاية هـذه القصة الجميلة الرائعة ، فكانت خير نهاية لقصة انسان مؤمن عريق فى الكرم وبيت النبوة ، ولانسان عظيم ونبى كريم •

وهـذه الخصـال الأربع ميراث النبوة ، وطبيعة الأنبياء وأفضل ما يتجمل بها الدعاة الى الله ، وخلفاء الأنبياء ، والربانيون فى كـل عصر وجيل ، وهى سلاح الدعوة الماضى وكنزها الذى لاينفد، ومددها الذى لاينقطع ومفتاح خزائن الله فى كـل عصر ومصر ، وهو المنهاج الـذى يجب أن يكون موضوع الدراسة ومـادة التقليد •

وسيرة محمـد ــ صلى الله عليه وسـلم ــ من أشـبه السير بسيرة يوسف ، فكلاهمـا من معدن كريم وأثيرحبيب ، وكلاهماحسد وعودى وكيد له ، وكلاهما أقصى من وطنه وكلاهما لبث مختفيا متواريا ، ذلك فى غيابة الجب ، وهذا فى ظلام الغار وكلاهمـا بلـغ ما أراد الله به من الكرامة فى موطن الغربة ، وفى دار الهجـرة وكلاهما أمـد أعـداءه الحاسـدين الـكائدين بالميرة والقوت فى عام المجـاعة وكلاهمـا جاءه اخوتـه الحاسدون، وقالوا له: «تالله لقد آثرك الله علينا وان كنا لخاطئين(٢)» وكلاهما كان جوابه : لا تثريب عليكم اليوم يغفر الله لكم وهـو أرحم الراحمين (٣)، وهكذا كانت سورةيوسف مرآة وضيئةيرى فيهارسول الله ــ صلى الله عليه وسلم ــ قسمات وجهه المنـير ، وملامح مستقبله الزاهر ، ويقرأ فيها قصته وما يؤول اليه أمره فى الغد القريب كما كـانت سورة القصص مـرآة صافية يرى فيها الصحابة والمسلمون فى العصر الأول ، والمسلمون الذين يلقون عنتـا ، ويواجهون اضطهادا وتعذيبا ، وسخرة ومحاولة القضاء على مقومات شخصيتهم ، مـلامح وجوههـم ، وصورة مستقبلهـم ، وصدق الله العظيم :

(لقدكان فىقصصهم عبرة لأولى الألباب ، ماكان حديثا يفترى ولكن تصـديق الذى بين يديه وتفصيل كل شىء وهـدى ورحمـة لقوم يؤمنون) (٤) • ابوالحسن الندوى

(١) سورة يوسف ١٠١
(٢) سورة يوسف ٩١
(٣) سورة يوسف ٩٢
(٤) سورة يوسف ١١١ •

دراسات قرآنية :

الأشهر الحرم - لماذا حرمت ؟

هل حرمتها باقية ؟ - رجب مضر

لفضيلة الشيخ مصطفى محمد الحديدى الطير

« ان عدة الشهور عند الله اثنا عشر شهرا فى كتاب الله يوم خلق السموات والأرض منها أربعة حرم ذلك الدين القيم فلا تظلموا فيهن أنفسكم وقاتلوا المشركين كافة كما يقاتلونكم كافة واعلموا أن الله مع المتقين » .

(التوبة : الآية ٣٦)

البيان

أفادت هذه الآية الكريمة أن عدد الأشهر فى السنة القمرية اثنا عشر شهرا ، وأن ذلك النظام فى كتاب الله منذ خلق الله السموات والأرض •

واختلف العلماء فى تفسير المراد من كتاب الله ، فمنهم من قال : هو اللوح المحفوظ، ومنهم من قال: هو ما كتبه الله وأوجبه من الأخذ بهذه العدة لايتجاوزونها ،

والذى يبدو أن المراد به ماكتبه الله وأوجبه تنجيزيا يوم خلق السموات الأرض من النظام الزمنى الذى تدور عليه معرفة عدد السنين والحساب ومصالح الناس فى كوكبنا الأرضى، ويشهد لذلك قوله تعالى: « يوم خلق السموات والأرض » فهو يشير بذلك الى أن ذلك النظام مقدر وثابت ومنفذ منذ بدء الخليقة لمصلحة البشر •

وهكذا شأن الله تعالى فى ملكه ، فقد أعد لكل كوكب ما يليق به من النظم التى يصلح بها منذ بدء الخليقة « فتبارك الله أحسن الخالقين »

ومن هنا تظهر فائدة النص على أن السنة القمرية اثنا عشر شهرا ، فلولا أن الله تعالى يريد بذلك الاشارة الى أن ابداعه وتنجيزه الدورة القمرية الشهرية والسنوية لمصالح عباده منذ خلق السموات

والأرض لما كان هنا داع للنص على عدد شهور السنة ، فانه أمر معروف

وقد فهم من هذا التأويل : أنه لا ينبغي تفسير كتاب الله بعلمه أو قدره الأزلى ، فانه سابق على خلق السموات والأرض ، واذا كان كذلك فلا يصح توقيته بيوم خلق السموات والأرض ، وانما الذى يوقت بذلك هو الكتاب التنجيزى الذى كتب يوم خلق السموات والأرض وفق علمه الأزلى القديم جل وعلا .

وكما أن النص على عدد شهور السنة القمرية يشير الى ما ذكر ففيه فائدة أخرى ، هى ابطال زيادة بعض العرب شهرا أو شهرين فى السنة ، لتكون ثلاثة عشر شهرا ، أو أربعة عشر ، فربما تأزمت الأمور بينهم،فيحللون ذا الحجة،ويؤخرون تحريمه الى شهر يجعلونه بعده وقبل المحرم ، فتزيد السنة بذلك شهرا ، محافظة منهم على أن تكون الأشهر الحرم أربعا ، وربما فعلوا ذلك فى ذى القعدة وذى الحجة ، فتزيد السنة شهرين ، ولهذا نص على أن السنة اثنا عشر شهرا فى الكتاب والسنة تأكيدا للتشريع ، حتى يمتنعوا عن النسىء لتبقى الأشهر الحرم فى مواقيتها وليؤدى الحج فى شهر الحجة الذى نسأوا تحريمه .

وأحيانا يدور بهم اللعب بالأشهر الحرم حتى يجعلوا ذا الحجة مكان شهر ذى القعدة ، ولهذا حج سيدنا أبو بكر بالناس فى ذى القعدة حيث جعلوه مكان ذى الحجة ، وصرفوا الناس للحج فيه ، وقرأ أبو بكر على الناس سورة التوبة ، وفيها أبطل الله هذا النسىء ، وأعاد الشهور المحرمة الى مواضعها ، وذلك بقوله تعالى : « انما النسىء زيادة فى الكفر يضل به الذين كفروا » الآية وفى السنة العاشرة حج النبى صلى الله عليه وسلم حجة الوداع فى ذى الحجة وقال : « ألا ان الزمان قد استدار كهيئته يوم خلق الله السموات والأرض ، وان عدة الشهور عند الله اثنا عشر شهرا »

وقد نص الله فى هذه الآيه على أنه جعل منها أربعة أشهر حرما

يحرم فيها القتال ، ويبين أن ذلك هو الدين القيم ـ أى المستقيم ـ

وكان ذلك فى شريعة ابراهيم واسماعيل عليهما السلام ، وظل العرب يتوارثون احترامها من بعدهما ، ويكفون عن القتال فيها منذ عهدهما وكان الرجل منهم يلقى قاتل أخيه أو أبيه فلا يتعرض له ولا يؤذيه .

رجب مضر

والشهور الأربعة الحرم واحد منها فرد ـ وهو رجب ـ وثلاثة سرد ، هى : ذو القعدة وذو الحجة والمحرم،وقد بينها النبى صلى الله عليه وسلم فى حجة الوداع بقوله: «يأيها الناس ان الزمان قد استدار ، فهو اليوم كهيئته يوم خلق الله السموات والأرض ، وان عدة الشهور عند الله اثنا عشر شهرا منها أربعة حرم ، أولهن رجب مضر بين : جمادى وشعبان ـ وذو القعدة وذو الحجة والمحرم » رواه الامام أحمد ، كما رواه أصحاب السنن بهذا المعنى .

وأخرج الشيخان أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « ألا ان الزمان قد استدار كهيئته يوم خلق الله السموات والأرض ، السنة اثنا عشر شهرا ، منها أربعة حرم ، ثلاث متواليات ورجب مضر » .

واضافة رجب الى مضر ، لأنهم كانوا يحافظون على موضعه بين جمادى وشعبان ، بخلاف ربيعة ، فانهم كانوا يجعلونه فى موضع رمضان ، ويعطونه اسم رجب .

رجب منصل الأسنة

كان العرب يطلقون على رجب (منصل الأسنة) أى مخرجها من أماكنها فى الرماح والسهام(١)، أخرج البخارى عن أبى رجاء العطاردى قال : « كنا نعبد الحجر فاذا وجدنا حجرا هو خير منه ، ألقيناه وأخذنا الآخر ، فاذا لم نجد حجرا جمعنا حثوة من تراب ، ثم جئنا بالشاة فحلبنا عليه ، ثم طفنا به فاذا دخل شهر رجب قلنا: منصل الأسنة، فلم ندع رمحا فيه حديدة،ولا سهما فيه حديدة الا نزعناها ، فألقيناه »

---

(١) يقال : نصله وأنصله أخرجه : قاموس .

الأشهر الحرم وقت هدنة

كانت الأشهر الحرم وقت هدنة فلا يتقاتلون فيها ، لأن حرمتها موروثة منذ عهد ابراهيم عليه السلام ، وقد شرع الله تحريم القتال فيها ليثوب المقاتلون الى رشدهم بعد أن يحصوا قتلاهم ، ويدركوا مقدار خسارتهم فربما اتجهت نفوسهم الى المصالحة وقبول سعى الخيرين من زعماء القبائل وحكمائهم لانهاء الشقاق بينهم .

ولم يجعلها الله مجتمعة بل قسمها قسمين ، قسما قصيرا هو شهر رجب ، وقسما طويلا هو ذو القعدة وذو الحجة والمحرم ،

والحكمة فى طول هذا القسم أنه تعالى جعله ميقاتا لمقدم الحجاج وأدائهم مناسكهم وعودتهم الى بلادهم ، وذلك يحتاج الى مدة طويلة ، لأنهم يفدون اليه من كل فج عميق ، فوفر الله تعالى لهم من الوقت ما يكونون فيه آمنين على أنفسهم وأموالهم ذهابا وعودة .

(فلا تظلموا فيهن أنفسكم) وحرمة القتال فيها

اختلف المفسرون فيما يعود اليه ضمير (فيهن) فمنهم من أعاده الى جميع شهور السنة ، ونسب هذا الى ابن عباس ، والمعنى على هذا الرأى ما يلى : فلا تظلموا أنفسكم فى جميع الشهور الاثنى عشر بفعل المعاصى وترك الطاعات ، أو بجعل حلالها حراما ، وحرامها حلالاً كما فعل المشركون .

ومنهم من أعاده الى الأشهر الحرم ـ وروى هذا عن قتادة ـ واختاره الفراء وأكثرالمفسرين ـ والمعنى على هذا ـ فلا تجوروا على أنفسكم فى الأشهر الحرم بالقتال فيها ، فان ذلك يجعلكم آثمين مستحقين للعقاب ، وفى ذلك مافيه من الضرر العائد عليكم (أنفسكم).

والجمهور على أن حرمة القتال فيهامنسوخة بآيات الترخيص فيه ، كقوله تعالى: «الشهر الحرام بالشهر الحرام والحرمات قصاص » وقوله تعالى : « أذن للذين يقاتلون بأنهم ظلموا » الآية.وقوله:« فمن اعتدى عليكم فاعتدوا عليه بمثل ما اعتدى

عليكم » وقوله : « اقتلوهم حيث ثقفتموهم وأخرجوهم من حيث أخرجوكم والفتنة أشد من القتل » حيث لم يقيد الأمر بقتالهم بزمان ولا بمكان ، بل أطلقه .

وتخصيص الآية للأشهر الحرم بالنهي عن ارتكاب المعاصي فيها — مع أن المعاصي منهي عن ارتكابها دائما — لأن ارتكابها فيها أشد قبحا منه في سواها .

ويرى عطاء بن أبي رباح أن حرمة القتال في الأشهر الحرم باقية لم تنسخ ، فلا يحل الغزو فيها ، كما لا يحل القتال في الحرم ، الا أن يعتدي على المسلمين معتدٍ فيحل قتاله حينئذ ، لأنه دفاع عن النفس ، ولأن هتك الحرمة ليس منهم بل من البادىء — ومع استناده الى تلك الحجة العقلية ، استند الى قوله تعالى : « الشهر الحرام بالشهر الحرام الحرمات قصاص » أي والحرمات يجرى فيها القصاص ، فاذا كان العدو هو البادىء فهو المعتدي بهتك الحرمة ، فيحل قتاله قصاصا ، والجزاء من جنس العمل

ورأى الجمهور أحق بالقبول لما تقدم ، وسواء أكان قتالنا لأعداء الاسلام لرد عدوانهم ، أم لاتقاء عدوان يبيتون له ، فكل ذلك مشروع في الأشهر الحرم على سواء ، قال تعالى : « واما تخافن من قوم خيانة فانبذ اليهم على سواء ان الله لايحب الخائنين » فهذا النص يبيح البدء بقتال من علمنا أنهم يبيتون النية لغزونا أو لأي نوع من أنواع الخيانة التي تضر بمصالح المسلمين ، ولم يقيد الاباحة بشهور الحل ولا برد الاعتداء ، فهذا الاطلاق يعطي المسلمين الحق في البدء بقتالهم ولو في الأشهر الحرم ، ومن هنا لايصح قصر حل قتالهم في الأشهر الحرم على ما اذا اعتدوا علينا فيها — كما قال عطاء —

واستدل بعض العلماء على جواز قتال الأعداء في الأشهر الحرم — وان لم يبدئونا به — بأن النبي صلى الله عليه وسلم غزا هوازن بحنين وثقيفا بالطائف ، وحاصرهم في شوال وبعض ذي القعدة الحرام فعمل الرسول دليل على جواز القتال فيها ابتداء .

والحق أن قتال الرسول لهؤلاء وحصاره اياهم ، كان ردا على اعتدائهم الذى جمعوا له ـ كما سنبينه ـ ولم يكن بدءا؛ فالصواب فى الاستدلال على الجواز هو ما تقدم •

قصة هوازن وثقيف

تتلخص هذه القصة فى أنه صلى الله عليه وسلم لما فتح مكة قالوا : قد فرغ محمد من قتال قومه ، ولا ناهية له عنا ، فلنغزه قبل أن يغزونا ، وارتضوا على القبيلتين أميرا للحرب هو مالك النصرى ، فحشد خلقا كثيرا من مختلف القبائل ، وجعل النساء صفوفا وراء المقاتلة ، ثم الابل فالبقر فالغنم ، ليدافع كل مقاتل عن نفسه وأهله وماله ولايفر ، فقال له مالك ابن الصمة : ـ وكان مشهورا بأصالة الرأى ـ وهل يرد المهزوم شىء ، ان كانت لك لم ينفعك الا رجل بسيفه ورمحه ، وان كانت عليك فضحت فى أهلك ومالك ، فلم يقبل مشورته •

ولما علم رسول الله صلى الله عليه وسلم باستعدادهم لحربه على هذا النحو ، توجه اليهم بجيشه الذى فتح به مكة ، وانضم اليه ألفان ممن أسلم من أهل مكة فى غزوة الفتح ، وكان فيهم ثمانون من المشركين ، فكانوا جميعا اثنى عشر ألفا ، وقد أعجبتهم كثرتهم فلم تغن عنهم شيئا ، فان مقدمة المسلمين لما توجهت نحو العدو خرج لها كمين من شعاب الوادى ، ونضحهم بنبل كالجراد ، فهزمت المقدمة فانهزم بهم من خلفهم وثبت النبى صلى الله عليه وسلم وقليل من المهاجرين والأنصار ، وبلغت الهزيمة بعضهم مكة ، فأمر رسول الله صلى الله عليه وسلم عمه العباس أن ينادى الأنصار ـ وكان جهورى الصوت ـ فقال : يامعشر الأنصار • ياأصحاب بيعة الرضوان ، فأسمع من فى الوادى فأقبلوا سراعا نحوه صلى الله عليه وسلم ، فلما اجتمع حوله عدد عظيم ، كروا على أعدائهم ، فانهزموا أمام المسلمين هزيمة منكرة وتبعهم المسلمون يقتلون ويأسرون ويغنمون فبلغت غنائمهم أربعة وعشرين ألف بعير ، وأكثر من أربعين ألف شاة، وأربعة آلاف أوقية

فضة ، وذهبا كثيرا : ولما تجمع من بقى من ثقيف وهوازن بالطائف وتحصنوا بحصونها ، أراد الرسول صلى الله عليه وسلم أن يقضى عليهم ، حتى لايثيروا المتاعب للمسلمين مستقبلا، فحاصرهم ثمانى عشرة ليلة ، وكانوا يضربون المسلمين بالنبال من حصونهم ويقذفونهم بالحديد المذاب ، وكان مع المسلمين دبابتان أعدوهما لينقبوا الجدار وهم فيهما ، فمنعهم هذا الحديد المذاب، من أداء ما اعتزموه .

فأمر الرسول صلى الله عليه وسلم بقطع نخيلهم وأعنابهم ، فقطعها المسلمون قطعا ذريعا ، فناداه أهل الحصن أن اتركها لله وللرحم ، فأمر المسلمين بالكف عنها .

ولما رأى النبى صلى الله عليه وسلم أن تمنعهم شديد ، وأن الفتح لم يأذن الله فيه ، استشار نوفل بن معاوية الديلمى فى الذهاب أو البقاء فقال يارسول الله : ثعلب فى جحر ان أقمت أخذته ، وان تركته لم يضرك ، فأمر رسول الله عليه وسلم بالرحيل عنهم ، فطلب منه بعض أصحابه أن يدعو عليهم، فأبى وقال: «اللهم اهد ثقيفا وائتنى بهم مسلمين فاستجاب الله دعاءه ، فقد جاء وفد هوازن بعد بضع عشرة ليلة من ترك الحصار،واعتذروا للرسول، وطلبوا منه أن يرد عليهم نساءهم وأموالهم وأولادهم ، وأسلم منهم كثير ، فأجابهم الى ما سألوا ، وأمَّر عليهم مالك بن عوف النصرى الذى كان قائد هذه الحرب ضد المسلمين بعد أن هداه الله الى الاسلام ، ثم جاءه وفد من ثقيف تائبين معتذرين وأسلموا ، وطلبوا أن يعين لهم من يؤمهم ، فأمَّر عليهم عثمان بن أبى العاص .

فمما سبق تعلم أن قتال الرسول وحصاره لهم كان ردا على تجمعهم لقتاله ، ولم يكن بدءاً « وقاتلوا المشركين كافة كما يقاتلونكم كافة»

أوجبت هذه الحملة الشريفة على جميع المسلمين أن يقاتلوا المشركين جميعا كما يقاتلونهم جميعا ، وقتالهم فرض عين على كل مسلم قادر اذا كثر المشركون المقاتلون ، ولم تكتف الجيوش الاسلامية المعدة لقتالهم ، وفيما عدا ذلك فرض كفاية .

وسمتى عين الامام أو نائبه بعض المسلمين للقتال تعين عليهم ، ووجب عليهم امتثال أمره ، وتعتبر أوامر الخدمة العسكرية فى سن معينة أوامر تكليفية ملزمة ، لصدورها عن رئيس الدولة ، فاذا طلبت فئة ذات سن تتفق مع هذه القوانين ، وجب عليها المجىء طواعية من غير معاناة للدولة فى احضارهم قسرا ، فان قبلت من الناحية الصحية ، وجب عليها أن تمارس التدريب الذى يؤهلها لملاقاة العدو ، عملا بقول الله تعالى : « وأعدوا لهم ما استطعتم من قوة » ، ومن يتخلف عن ذلك يجوز أن تطبق عليه قوانين التعزير الرادعة .

« واعلموا أن الله مع المتقين »

ختم الله الآية بهذه الجملة ، ليحمل المسلمين على تقوى الله تعالى حتى يكون معهم بالنصر والمعونة ، والمراد من المتقين من يتقون الله تعالى بترك المعاصى وفعل الطاعات ، ويدخل فيهم جنود الجيش دخولا أوليا ــ نظرا لسياق الآية .

ومن تقوى الجندى لله تعالى ، أن يكون مطيعا لقائده ، منفذا لأمره ، مقبلا على تدريبه بروح راضية وشجاعة متجددة ، وأن يخلص لدينه ووطنه فى لقاء العدو ، فلا يتراخى ولا ينهزم ، ولا يفكر فى شىء سوى النصر العزيز لجيشه وأمته ، وذلك الى جانب الصلاة فى أوقاتها ، والثقة بوعد الله بنصر المؤمنين ، والتزامه آداب الحرب التى سنها رسول الله والسلف الصالح من بعده .

وقد وعد الله تعالى المتقين بأن يكون معهم بالنصر والتأييد ، أما غيرهم فلا مكان لهم فى وعد الله ، فان هزموا لا يلوموا الا أنفسهم ، وصدق الله تعالى اذ يقول : « يأيها الذين آمنوا ان تنصروا الله ينصركم ويثبت أقدامكم » ويقول : « ولينصرن الله من ينصره ان الله لقوى عزيز . الذين ان مكناهم فى الأرض أقاموا الصلاة وآتوا الزكاة وأمروا بالمعروف ونهوا عن المنكر ولله عاقبة الأمور » والله تعالى أعلم ، وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم .

مصطفى محمد الحديدى الطير

الاقتصاد الإسلامي يقوم على العمل والاقتصاد اليهودي يقوم على الربا وعلى المسلمين اليوم أن يختاروا

للأستاذ أحمد حسين

العمل جوهر الاسلام :

كل شيء في الاسلام يدل على أنه تنزيل من لدن عليم حكيم ، عليم بكل شيء ، وما يقوم به وعليه أي شيء ، وهو حكيم مدبر يدبر كل شيء ويعلم الانسان من خلال الهامه دائما ووحيه من خلال رسله أحيانا ، كيف يدبر الانسان أحواله المعيشية بما يصلحها ، وكان آخر ما علمه الله سبحانه وتعالى على لسان رسوله الكريم سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم ، ان الحياة لا تقوم الا بالعمل وعلى العمل ، وأن لا قيمة للانسان الا بالعمل ، فاذا كان الكون ، والانسان بعض هذا الكون يقوم على عنصرين: الروح والمادة ، النظر والعمل ، فان الاسلام قد عنى أول ما عنى بتعميق هذا المفهوم في نفوس معتنقيه ، فما ذكر « الايمان » الذي هو بمثابة الروح الا وشفعه بذكر « العمل » الذي هو بمثابة الجسد ، وكما أننا لا نرى روحا بلا جسد ، كما أنه لا يوجد جسد حي بغير روح فكذلك لا يتصور أن يوجد ايمان بغير عمل ، كما لا يوجد عمل بغير ايمان من نوع ما ، ولا أحسب أن القرآن الكريم اشتمل على صيغة مثل قوله تعالى : « الذين آمنوا وعملوا الصالحات » .

وحرص القرآن الكريم على أن يجعل الأمر بالعمل فرضا في عنق كل مسلم ، لا يتحلل منه الا بالعجز ، فقال وقوله الحق : « وقل اعملوا » حتى في يوم الجمعة خشي القرآن الكريم أن يحذو فيه المسلمون حذو اليهود ، فيجعلوا من يوم الجمعة كالسبت عند اليهود حيث جعلوا ذروة العبادة لله هي التوقف عن

العمل ، فقال تعالى : « فاذا قضيت الصلاة فانتشروا فى الأرض وابتغوا من فضل الله » ويضيق بنا المجـال لو رحنا ننقل من القرآن دعوته الى العمل ، كما يضيق بنا المجال أكثر ، لو رحنا ننقل عن الرسول صلوات الله عليه وسلامه ماذا قال ، أو فعل ليظهر خطورة العمل ووجوبه ليقوم المجتمع فضلا عن أن يزدهر ، وحسبنا أن نشير الى السورة الجامعة المـانعة « والعصر • ان الانسان لفى خسر • الا الذين آمنوا وعملوا الصالحات » •

وقـد حاول أقوام فى عصـور التدهـور أن يقصروا الأعمـــال الصالحة على الصلاة والصـوم ، حيث بنى الاسلام على خمسة أركان لا يتصور قيام ركنين منها الا على أسـاس مزاولة النشـاط العمرانى والاقتصادى وهمـا ركنـا الزكاة والحج ، فالزكاة غير متصورة الا مع من زاد دخله على احتياجاته والدخل لا يجىء فضلا عن أن يزيد الا من العمـل ، فعندما يقـرر القـرآن الكريم فريضـة الزكاة فهذا معناه أنه يوجب العمــل والاســتثمار ولا يعفى الا العاجزين ، واليد العليا خير من اليد السفلى •

ركن الحج :

وما يقـال عن معنى ركن الزكاة يقال عن ركن الحج ، فعندما يقرر القـرآن الكريم « ولله على الناس حج البيت من استطاع اليه سبيلا » والاستطاعة تعنى فى الدرجة الأولى القدرة المـالية ، ولا سبيل للقدرة المـالية الا من خلال العمل •

ومرة أخـرى لا نريد أن نخرج عن سياق بحثنا ، فنلخص الأمر كله فى أن الاسلام جعل « قوة العمل » هى الركيزة الأولى والأسـاسية ، لقيام المجتمع الاسلامى •

اجتهادات فى موضوع الربا :

وفى أواخـر القـرن المـاضى (التاسع عشر) والنصف الأول من القرن الحالى صدرت بعض اجتهادات فى موضـوع « الربا » وكان خير المواقف هو موقف من توقف عن أن يصدر حكما عاما شـاملا حتى يدرس الموضوع دراسة مستفيضة ، وقد كنت أنا نفسى واحد من هؤلاء الذين توقفـوا ، والحـق أنـه

لا الدراسة السريعة والعاجلة ولا الدراسة المستأنية المستفيضة بالتى تغير فى قليل أو كثير من تحريم الاسلام للربا « بالثلث والرقعة والنسخ والفارسى أيضا » فالاسلام يحرم الربا (أى تقاضى فوائد رأس المال) فى كل صورها وأشكالها ، قليلها وكثيرها ، ظاهرها وباطنها حتى لقد قيل: ان قبول الدائن لهدية من المدين قد يكون فيه شبهة الربا فالأمر كما قدمنا ليس فيه الا قول واحد لم يختلف فيه مسلم عن مسلم فى جميع عصور الاسلام السابقة .

ربا الفضل :

وأنا أعذر كل من اجتهد فى موضوع الربا وأقدر كل التقدير نواياهم الطيبة ، فقد كانوا بازاء ظاهرة سادت الدنيا باعتبارها الأصل الذى لا تقوم الحياة الاجتماعية الا به فقالوا ما قالوا ، أو سكتوا عن بعض ما هو قائم ، أو أفتوا بصنوف من المعاملات أخرجوها من الربا ، مع أنها من صميم الربا ، أقول اننى أفهم ذلك وأقدره ولكن الشىء الذى لا أستطيع الا أن أشجبه هو التلويح بأن فى الربا نوعان ، أحدهما ربا الفضل وأن الكثيرين أجازوا هذا النوع الأخير ، وقد وقعت أنا نفسى ضحية لتصور أن هناك اختلاف على بعض صنوف الربا ، مما جعلنى أسمح لنفسى أن لا أتعجل اصدار حكم فى القضية ريثما أدرسها ، فلما جاء أوان الدراسة ودرست ، رأيت أن استعمال تعبير «ربا الفضل» والتلويح به فى موضوع الربا ، كمسألة خلافية ، مسألة ما كان يصح أن ينزلق اليها مسلم عادى فضلا عن عالم نحرير ، حقا عندما تطالع ما كتبه هذا العالم الفاضل ، لم يخرج فيه عن الحقيقة وأثبت حكم الشرع فيما أسماه « ربا القرآن » وأنه حرام حرام قولا واحدا لا ثانى له ، ثم انتقل يتحدث عن « ربا الفضل » فقال فيه ما قال مما لم يخالف فيه قرآنا أو سنة ، ويبقى التلويح كما قدمت بحكاية « ربا الفضل » وأن بعض الآراء تجيزه وقد تصور انسان مثلى : ان الموضوع اذن فى حاجة الى دراسة .

وكان ان شرعت فى تفسير آية الربا من سورة البقرة ، وكان ان لم أجد سوى التحريم العام المطلق بالاجماع حتى لقد وصل الأمر بالبعض الا أن يبالغوا من باب سد الذرائع فيقولون بما لم يقل به أحد فقد خرج عن كل معقول ومنقول ، يقولون: انك اذا ذهبت الى الصائغ واشتريت منه حلية ذهبية بأكثر مما فيها من ذهب خالص فان هذا يكون ربا، وعبثا تقول لهم: انهذه الزيادة هى أجر العامل الذى حول المعدن الى حلية فأنفق وقته وجهده وفنه فى عملية التحويل ، فالزيادة هنا ليست فوائد تزاد على رأس المال لمجرد أنه مال ، وانما الزيادة هنا هى أجر العامل الذى عمل .

يقول المتشددون « نخشى أن يكون فى ذلك ربا » وهذا حقهم يحترزون لدينهم كما يشاءون ، ولكن أن يلوح بقولهم هذا على أنه ربا وأن البعض لا يرونه حراما ، أقول: اناستعمال هذه الصورة على أنها من أنواع الربا المباح « مسألة فيها نظر » .

الربا كما جاء فى القرآن :

وردت كلمة « الربا » بمعناه الفنى المنهى عنه ثمان مرات فى القرآن واليكها :

« الذين يأكلون الربا لا يقومون الا كما يقوم الذى يتخبطه الشيطان من المس » . ٢٧٥ البقرة

ـ « ذلك بأنهم قالوا انما البيع مثل الربا » . ٢٧٥ البقرة

ـ « وأحل الله البيع وحرم الربا » . ٢٧٥ البقرة

ـ « يمحق الله الربا ويربى الصدقات » . ٢٧٦ البقرة

ـ « اتقوا الله وذروا ما بقى من الربا ان كنتم مؤمنين » .
٢٧٨ البقرة

ـ « يا أيها الذين آمنوا لاتأكلوا الربا أضعافا مضاعفة » .
١٣٠ آل عمران

ـ « وأخذهم الربا وقد نهوا عنه وأكلهم أموال الناس بالباطل » .
١٦١ النساء

ـ « وما آتيتم من ربا ليربوا فى أموال الناس فلا يربوا عند الله » .
٣٩ الروم

وهـذه آيات صريحة وقاطعة فى أن كل ما يؤخـذ زيادة على رأس المال ، قل أو كثر فى مقابل اقراضه ، أو تأجيل سداده هـو حرام تحريما مطلقا لا ينازع فى تحريمه الا كافر بالاسلام .

من أى سبيل اجتهد المجتهدون :

وقد كان سبيل الاجتهاد عند من اجتهدوا نهى الله سبحانه وتعالى عن أكل الربا « أضعافا مضاعفة » وهو ما ورد فى سورة آل عمـران ، ثم استعادوا صورة لما كان يفعله بعض العـرب فى الجـاهلية عندما كانوا يطالبون المـدين بالدفع فان شـاء الارجاء يضاعف الدين وهكذا .

واستخلصوا من ذلك: أن المحظور هو الاستغلال الفـاحش للمدين ، ورتبوا على ذلك أن الفوائد عندما تكون زهيدة ويكون المقترض قويا وغنيا ، وأنه انمـا يأخـذ النقـود ليستثمرها فى المشروعات النافعـة فـلا يـكون ذلك من نوع الربا المحظور ؟ ؟

الربا هـو كل زيادة لا يـكون مصدرها العمل :

وكل هـذه الاجتهادات لا غناء فيها وقد جاءت نتيجة أمرين :

١ ــ التصور بأن العلة فى تحريم الربا هـو الحيلولة بين الأغنيـاء واستغلال فقر الفقراء .

٢ ــ التصور بأن التعامل بالربا أصبح أسـاس المعـاملات ومن المستحيل الاستغناء عنه .

ونحن نخالف كلا الرأيين .

فنتصور أن العلة فى التحريم هى اعتبار الاسلام أن العمل وحده هو سبب زيادة المال ، فأصبح لا يجوز لمن لم يعمل شيئا أن يقاسم من يعمل ثمـرات جهـده الا أن يقاسمه فى الخسارة فى حالة حصولها ، اذ بهذا وبهذا فقط يكون شريكا فى العمل أما أن يتقاضى فوائد محددة كسب المشروع أو خسر فهذا هـو الربا « قولا واحدا » .

ومن هنـا أجاز الفقهـاء عقـد المضاربة ، ولم يحرموا على من يملك المـال أن يعطيه لمن لا مال عنـده ليستثمره على سـبيل المشـاركة واستنادا الى قاعدة « الغنم بالغرم » أما أن يشترط المقرض ، أن يكون

له الغنم وللمقترض الغرم فى حالة الخسارة فلا وألف مرة لا ، وليس هذا قولى وانما هو قول « الحق » تبارك وتعالى : « وأحل الله البيع وحرم الربا » •

ونجىء الى السبب الثانى الذى دفع بعض مجتهدى القرن التاسع عشر لاجتهادهم وهو تصورهم أن تقاضى الفوائد أصبح من الأمور التى يستحيل الاستغناء عنها ، وهذا التصور هو ما يجعل أصحابنا معذورين الى حد كبير فقد فقدت مصر استقلالها واحتل الانجليز مصر ليكفلوا للدائنين سداد فوائد ديونهم •

أما نحن والحمد لله وقد شهدنا مصرع الامبراطورية الانجليزية ، وبعد أن أصبح المسلمون هم أغنى الأغنياء والذين يمدون أقوى الدول بالمال ، فالأمر أصبح واضحا فى نفوسنا مثل فلق الصبح ، ولذلك نعلنه فى قوة ووضوح وصرامة ، عن اقتناع عميق: ان فى ذلك صلاح البشر ، وقد كان يكفينا أن يكون مجرد ذكر القرآن الكريم لذلك ، كفيل بهذا الاقتناع ولكن شاءت نعمة الله وفضله علينا أن يرينا التجربة رأى العين ، لتطمئن قلوبنا •

الربا صناعة يهودية :

فأما القول بأن الحياة الاقتصادية لا تسير ولا يمكن أن تسير بغير نظام الفوائد أى « الربا » ففرية وأكذوبة يهودية استطاعوا فى غفلة من الزمان أن يروجوها ويخدعوا بها البشر الى حين ، والا فقد عاشت البشرية ألوف السنين ، وازدهرت الحياة الاقتصادية بدون أن يكون التعامل بالربا هو الأساس لكل ذلك وقد عاشت الحضارة الاسلامية ما عاشت فى الشرق والغرب بدون ربا وليس الا عندما ضعف العالم الاسلامى ونهضت أوروبا نهضتها الحديثة منذ ثلاثة قرون تقريبا أن استطاع اليهود أن يخدعوهم وأن يصوروا لهم حكاية أن الحياة لا تسير الا من خلال الربا وتحول النظام الذى أبغضه البشر مذ كانوا بشرا ، وحرمه الله من فوق سبع سموات ، الى أساس التعامل فى الدنيا كلها ، وتحول اليهود الى أسياد للبشر ، وجلسوا فى مقاعدهم

الوثيرة والعالية ، يجمعون ثروات الدنيا ، بغير عمل أو جهد أو مخاطرة من أى نوع كان ، ان الذين حلموا بانشاء دولة يهودية تصوروا أن اليهودى كغيره من البشر ، يمكن أن يعمل وأن يكدح ليكسب رزقه من العمل زراعة كان أو صناعة ، ولم يزد الأمر عن تجربة تصوروا أنهم سيصبحون من خلالها سادة العرب كخطوة فى الطريق لسيادة البشر ، واليوم وبعد أن ثبت فشل التجربة ، فالعرب هم الصاعدون ، وهم فى كل يوم أكثر غنى وأكثر علما ، أقول : ان تجربة اسرائيل فى طريقها الى النهاية ، فما كان اليهودى ليرضى أن يعمل فيكون فلاحا أو صانعا وانما سبيله هو أن يجمع المال ليسود الناس الذين هم عبيد له ، انظر اليهم فى أمريكا حيث يعمل شعب بأكمله ليل نهار ليحصلوا هم فى نهاية الأمر على ثمرة جهده عن طريق الفوائد فكل شىء فى أمريكا يحصل عليه بطريقة التقسيط والتقسيط يعنى « الكمبيالات » والفوائد .

وتظل العملية تتسلسل وتتصاعد لتنتهى فى النهاية الى تكديس الثروة فى أيدى اليهود ، فعلى العالم الاسلامى اليوم وقد جاءت النقود الى يده أن يستمسك بتعاليم دينه فيعلن الاقتصاد الاسلامى الذى يقوم على العمل المباشر أو مشاركة العاملين على أساس « الغنم بالغرم » أما اقراض المال فى مقابل الفوائد فهذا هو الربا وعلينا أن نتركه لليهود وفقنا الله لما فيه الخير والصواب .

احمد حسين

الله أكبر :

النفس أسمى من المادة الدنيئة ، وأقوى من الزمن المخرب ، ولا دين لمن لا تشمئز نفسه من الدناءة بأنفة طبيعية ، وتحمل هموم الحياة بقوة ثابتة .

لا تضطربوا ، هذا هو النظام . لا تنحرفوا ، هذا هو النهج . لا تتراجعوا ، هذا هو النداء . لن يكبر عليكم شىء ما دامت كلمتكم : الله أكبر ... !

« وحى القلم ج ١ »

حتمية الحل الإسلامي

للدكتور عبد الجليل شلبي

أوضاعنا الراهنة :

تطالعنا صحافتنا كل يوم بأخبار **مزعجة ومخزية** ومحزنة ، مديرون **لمؤسسات** ورؤساء لهيئات يقدمون **للمحاكمة** متهمين بالسرقات **والاختلاس** والنهب والتزوير والكسب **غير المشروع** ، ونرى أشخاصا كانوا **من الخاملين** ، أو الأوساط الفقيرة **أصبحوا يتمتعون** بثراء واسع ، ورخاء **مادى** كبير ، هذا يملك عددا من **السيارات** والناس يحشرون حشرا **فى** عربات الأوتوبيس ، وذلك له **سكنى** فاخرة أو عدة مساكن **بالقاهرة** عدا ما له من المساكن **المحجوزة** فى المصايف بينما يعانى **الآخرون** ندوة المساكن ودفع المبالغ **الباهظة** رشوة للحصول على **مأوى** .

هذا نوع من المفارقات التى تصم **آذاننا** وتقذى أعيننا فى كل يوم !

والى جانب ذلك نسمع أيضا ونقرأ عن مفزعات ومخزيات أخرى ، من هتك الأعراض والاسراف فى المجون والشراب والاخلاد الى ملذات الجسد واشباع الشهوات .

وبينما نجد قوما يطحنهم الفقر وتعوزهم كسرة الخبز ووجبة الطعام الرخيص نجد آخرين يقيمون الحفلات الخليعة والليالى الحمراء ويسيل المال تحت أقدامهم سيلان الماء .

وهكذا ... وهكذا .

لقد جر ذلك على مصر سمعة سيئة ، وهوى بها الى حضيض لابد أن تنتشل منه ، والا قضى عليها بالفناء .

هبط مستوى التعليم فى جامعاتنا وأصبحنا نعيش على كلام مكرور ومع كثرة الأسباب التى أدت لهذا

الهبوط لا ينبغى أن نغفل من بينها انحلال عزائم الشباب وشغل جانب كبير من عقولهم بالمغريات المادية ونزعات الغرائز الدنيا ، فحياتنا الحاضرة وما سميناه فيها بالحياة الفنية كفيل أن يشغل الأذهان ويلفت العقول عن حقول الثقافة وتحصيل العلوم .

كان الناس ينزحون الى مصر من البلاد البعيدة والقريبة للتعليم والاستفادة من مشهورى علمائها ، ولكن الكثيرين الآن يفدون الى مصر لاشباع غرائزهم بالملذات والشهوات ، وأصبحت فى القاهرة أماكن معروفة يقصدها رواد الملاهى ومحبو العربدة ومن لا يتنزهون عن الحرام .

أصيب شبابنا ونشؤنا بانهيار الأخلاق واغفال المثل العليا ، واهمال المعنويات ، وشباب اليوم هم قادة المستقبل ، والمستقبل القريب ، فعلى أى منهج يا ترى سوف يقودون الناس .

أصيب المجتمع كله بالتفكك وانقطعت الروابط بين طبقاته ، وماذا عسى أن تكون الرابطة بين طاعم ومحروم ، ومتمرغ فى النعيم وقابع بين براثن البؤس وأنياب الشقاء... ؟

هذا هو الذى فتح عقول النشء للدعوات المادية الهدامة ، وأفسح المجال لدعاة الماركسية وجواسيس اسرائيل .

وأى شىء يحول دون هذه المهلكات . لا ثقافة ولا أخلاق ولا دين .

لم يكن ذلك شائعا فى مصر من قبل فما أسباب فشوه فينا . ؟

لا ريب أن هذه المساوىء العديدة لم تقم الا على حساب الدين ، ولا ريب أنها تقوى وتمتد بقدر ما تضعف الدعوة الدينية والروح الدينى ، ومشاعر الخوف من رب العالمين .

جاهلية مستحدثة :

اذا نحن وازنا بين ما يجرى فى حياتنا من تيارات الفساد والانحراف ، وبين ماكان سائدا بين العرب ابان البعثة المحمدية وغداة ظهور الاسلام نجد التشابه واضحا

وقويا فى كثير من الأمور . جاء فى حديث عبد الله بن جعفر الى نجاشي الحبشة وهو يصف ما كانوا عليه وما دعاهم اليه الاسلام . أنهم كانوا يشربون الخمور ويستبيحون الزنا ويأكل القوى منهم الضعيف ... والاسلام دعاهم الى صدق الحديث وأداء الأمانة وحسن الجوار ، ونهاهم عن أكل مال الأيتام وقول الزور (١) وجاء مثل هذا الحديث فى كلام المغيرة بن شعبة الى المقوقس فى مصر (٢)

هذه الأخلاق التى حرمها الاسلام من شأنها أن تنيم الضمائر وتهون على الشخص استباحة ما حرم الله وكلها شائعة بيننا الآن

لهذا لا ينبغى أن تعجب لفشو هذه الأخلاق بعينها فى مجتمعنا .

هناك من استمرأوا الكسب الحرام والحصول على المال من غير كد وشقاء . فبينما تنمو العصابات التى تقطع الطرق فتنهب وتغتصب وتسرق فى الشوارع ومن البيوت نجد اللصوص الشرفاء فى المكاتب يجيدون التزوير ، ويقبلون الرشا ويبحثون عن طرق المحسوبية والوصول .

اسباب هذا التدهور :

اننا نجنى الآن ثمرة مرة لغرس غرسناه بأيدينا ، ونميناه بمجهودنا ورجونا ــ وقد غرسناه شوكا ــ أن نجنى منه فاكهة وأبا ، والمرء لا يجنى من الشوك العنب .

ولينا وجهنا نحو دعاة الالحاد وأنصار الماركسية ، ولم يقف أمرنا عند حدود الصداقة الشخصية بل فتحنا مدرسة كبيرة تدرس تاريخ ماركس وأعمال لينين وتمجد رسل الشيوعية والالحاد ، حرصنا كل الحرص على اخفاء تاريخهم الأسود الأثيم وخلعنا عليهم تاريخا مشرقا مزيفا لا يعرفه التاريخ ، وبقدر ما مجدنا هؤلاء عملنا على الحط من كرامة الاسلام ، وجرأنا الشعب

---

(١) انظر الحديث بطوله فى سيرة ابن هشام جـ ١ ص ٢٢٣ ــ ٢٢٥
(٢) هذا الحديث فى حسن المحاضرة .

الساذج والمنتفع الماركسى على النيل من الدعاة المسلمين .

وفى الوقت التى غصت فيه السجون بمن انتموا الى الاسلام ، وأعلنت شتائم رجال الدين على أمواج الأثير أغدقت الخيرات المادية على من يدرسون الالحاد .

وتنيجة ذلك كله أن استهان الناس بالدعوة والدعاة ، فلم يبق لهؤلاء مكانة الداعى التى تستوجب طاعته، ولا للدعوة الأثر العميق الذى يؤثر فى السلوك ويوجه الى الصراط المستقيم .

بجانب هذا قيد أسلوب الدعوة، وحيل بينها وبين أى نقد للمجتمع أو توجيه للحاكم الى طريق الرشاد، فهانت دعوة الدين بقدر ما اشتدت دعوة الالحاد ، وتغلبت العوامل التى تشغل عن الله على العوامل التى تدعو اليه ، فلا غرو أن خدرت المشاعر النبيلة فى الناس ومات ضميرهم ، واستيقظنا فجأة فاذا بيننا أوكار الشيوعية وجواسيس اسرائيل واذا صحافة ثرية تعمل فى تبجح على تمجيد ماركس وتنفق فى سخاء على أنصار لينين ، وتنفق جهدا أوسع للنيل من الاسلام ودعاة الاسلام .

نحن قتلنا الحارس الذى كان يحمينا ويريح حكومتنا من هذا البلاء .

لم يكن هذا الحارس الا الضمير الذى يعرف الله ، ويدرك أن عين الله ترقب ما يعمل الناس من حيث لا يشعرون . مخافة الله التى تدفع الموظف أن يعمل حتى يحصل على رزق حلال ، كانت كفيلة أن ترده عن التزوير حتى لا يحصل على مال حرام . كانت كفيلة أن تجعله حريصا على اتقان عمله واجادته ايمانا منه بأن الله لا يضيع أجر من أحسن عملا . كانت كفيلة أن تحول بينه وبين ظلم الآخرين والاعتداء على ممتلكاتهم لأنه يعلم أن الله لا يحب المعتدين .

حتمية الحل الاسلامى :

الأزمة التى يعانيها مجتمعنا الآن اذن هى أزمة الضمير — وما لم نعمل على احياء هذا الحارس الذى قتلناه فاننا نحن بمدرجة الفناء السريع ، ولا سبيل الى علاج هذا الفساد

الا عن طريق القــانون الاسلامى •
ولا ينبغى أن نفكر فى حل سواه ، ولا نقول هذا الكلام انسياقا وراء العاطفة أو لمجرد التقليد ولكن لدينا من أدلة التاريخ وواقعيات الأحداث ما يؤيد ما نقول ، ولنرجع قليلا الى الوراء لنرى كيف خلق الأسلام من العــرب ــ وكانوا أذل أمــة على الأرض ــ أعز شــعب وأســعده وأرقاه •

عندما بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم رسله ورسائله الى رؤساء القبائل وملوك الشعوب وأباطرة الدول الكبيرة سخر منه الكثيرون حتى هم الحارث الغسانى ــ وهو من أتباع الرومان وأذنابهم ــ أن يقوم بحملة لتأديب هذا العربى الذى جرؤ على دعوته لاتباعه وانضوائه تحت لواء الاســلام • وأرسل كسرى فعــلا بعض أتباعه لقتل محمــد • وحين أرسل سعد بن أبى وقاص رســلا لمقــابلة كسرى يزدجــرد ازدراهم كسرى وقال لهــم : « مــا الذى أقدمكم هــذه البلاد •• ؟ •• انى لا أعلم أمة فى الأرض كانت أشقى ولا أقل عــددا ولا أسوأ ذات بين منكم ، فان كان عددكم كثر فــلا تغرنكم كثرته ، وان كان الجهــد دعاكم فرضنا لكم قوتا حتى تخصبوا وكسوناكم وملكنا عليكم ملكا يرفق بكم •• » •

ولــكن لم يمض على ارســال النبى كتبه الى كسرى وهرقل أربعة أعوام حتى كان الجيش الاســلامى يقتطع منهمــا أخصب أراضيهما ، وحتى كان كل من يزدجرد وهرقل يفر من بلد الى آخــر تاركا على الرغم منه بلاده للمسلمين •

لولا ظهور الاسلام ما كان للعرب هــذا الموقف ، ولا كان لهم بــين الدول الكبرى مكان •

أكانت معجزة هبطت بها الملائكة؟

كلا • ولــكن نهضــــات الأمم ورفعتها وتقدمها على غيرها كل ذلك يتبع قــوانين اجتمــاعية ونواميس خاصة ، وقد دعا الاسلام الى هذه النواميس ، ووضــع قانونا محكما من شــأنه أن يرقى بالأمم ويسعد الأفراد والجماعات •

وقــوانين الاســلام قامت على العقيدة فى الله تعالى والايمان باليوم

الآخر والحساب والجزاء على كل ما يعمل الانسان . ولهذا لا يمكن أن تفصل هذه القوانين عن العقيدة. فاذا نحن ضمناها قوانيننا الوضعية فقدت قداستها واستهان بها الناس

نحن نحافظ على قوانين الله طاعة له سبحانه وتعالى وعبادة فاذا هم الواحد منا بكسرها شعر بوخز الضمير ، وأحس أنه ارتكب معصية وان ملائكة الله أحصتها عليه ، وعين الله ترقبه وهو يخالف تعاليمه . انه دائما يرجو رحمة ربه ويخاف عذابه .

هذا سر ما شاع بين المسلمين من الايثار ، وسر ما درجوا عليه من انكار الذات وعمل الفرد لصالح المجتمع ، فهو لا يستغل مال الأمة لنفسه ، بل يجود بماله لصالح الأمة .

وقد استعرض غير واحد من المستشرقين والمؤرخين غير العرب تاريخ الاسلام ، ولم يخفوا دهشتهم لهذا الانفساح السريع للدولة الاسلامية الناشئة، اذ قبل أن يكتمل قرن واحد على وفاة محمد صلى الله عليه وسلم صاحب هذه الدعوة كانت للمسلمين دولة أوسع من الدولة الرومانية فى عز مجدها وواسع امتدادها ، هذا ولم تظفر الشعوب التى كانت تخضع لروما أم الشرائع بمثل ما ظفرت به الشعوب الاسلامية من رخاء وسعادة وحرية واطمئنان .

ولم تقم الدولة الاسلامية على امتداد حربى وقوة عسكرية ، ولكنها أنشأت مدنية وحضارة ، ونهضة علمية واجتماعية لم تظفر بها دولة أخرى فى هذا الزمن القصير !

كم قرنا قطع اليونان حتى عرفوا الفلسفة والحضارة ؟

كم قرنا قطع الرومان حتى أصبحوا أمة لها كيان حضارى ؟

كم قرنا قطع الانجليز فيما بعد حتى صاروا شعبا له ثقافة وعلوم ؟

ولكن الاسلام وثب بالعرب وثبا ، ومع هذا لم يكونوا أمة ذات تاريخ ولا كانت أرضهم مهد فكر وعلوم ، ولكن ليظهر جلال الاسلام وأثره اقتضت حكمة الله وارادته أن يرسل محمدا صلى الله عليه وسلم الى قوم ما أنذر آباؤهم ولا جاءهم قبله من نذير .

هذا القانون السماوى اذن هو القانون الوحيد الذى يجب أن تتجه اليه لينتشلنا وينقذنا مما تورطنا فيه .

انه قانون جرب ، وأثبتت تجربته صلاحه وأثره الفعال السريع ، وقد جربنا نتيجة اهماله والتخلى عنه .

ارتمينا تارة فى أحضان الماديين وأخرى فى تراب الرأسماليين فلم تعد علينا هذه ولا تلك الا بالذلة والهوان .

والماديون الماركسيون يدخرون للاسلام أقوى ما لديهم من معدات الحرب وأشد ما يستطيعون من وسائل الكيد والعداء ، ولقد كشفت الأحداث الأخيرة عما يبيتون ، فلينظر نوابنا المشرعون فى البرلمان وحكامنا فى كل مرافق الحكم ماذا علينا أن نفعل ازاء هذا العدو اللدود ، ولن يجدوا غير الاسلام وقانون الاسلام .

ولينصرن الله من ينصره ان الله لقوى عزيز .

د . عبد الجليل شلبى

أيتها الشرقية :

« احذرى وانت النجم الذى أضاء منذ النبوة ، أن تقلدى هذه الشمعة التى أضاءت منذ قليل .

ان المراة الشرقية هى استمرار متصل لآداب دينها الانسانى العظيم . هى دائما شديدة الحفاظ حارسة لحوزتها؛ فان قانون حياتها دائما هو قانون الأمومة المقدس .

هى الطهر والعفة ، هى الوفاء والأنفة ، هى الصبر والعزيمة ، هى كل فضائل الأم .

فما هو طريقها الجديد فى الحياة الفاضلة ، الا طريقها القديم بعينه ؟

أيتها الشرقية : احذرى ! احذرى !

« وحى القلم ج ١ »

المسلم الايجابي

للواء الركن : محمود شيت خطاب

— ١ —

مسلم يشهد أن لا اله الا الله ، وأن محمدا عبده ورسوله ، ويقيم الصلاة ، ويؤتى الزكاة ، ويصوم رمضان ، ويحج البيت .

هذا المسلم ، يطبق الأركان الخمسة ، التى بُنى عليها الاسلام ، فهو مسلم لا شك فى اسلامه .

وهو يُكثر من ارتياد المساجد ، فلابد أن تظن به خيرا .

هذه الأركان الخمسة ، تؤثر فى المسلم الذى يلتزم بتطبيقها (عبادة) لا (عادة) ، فتظهر آثارها عليه سلوكا ومعاملة وأخلاقا ، وهى سمات المسلم الحق التى يتميز بها على غيره من المسلمين الملتزمين بتطبيق أركان الاسلام الخمسة (عادة) لا (عبادة) ، وعلى غيره من المسلمين .

ان تطبيق الأركان الخمسة كعبادة ، تؤثر فى المسلم تأثيرا حاسما ، فتجعل منه مسلما(ايجابيا) يفيد نفسه ، ويفيد اخوته فى الدين أفرادا ، ويفيد المجتمع الاسلامى جماعات وأمة .

وتطبيق هذه الأركان الخمسة كعادة ، تؤثر فى المسلم تأثيرا فرديا ، فتجعل منه مسلما (سلبيا) : يفيد نفسه ، ولا يفيد غيره من المسلمين أفرادا وجماعات وأمة .

وأريد بالمسلم الايجابى : المسلم الحق ، المسلم الصحيح ، المسلم الذى يفكر لغيره كما يفكر لنفسه ، ويخدم المصلحة العامة كما يخدم

مصلحته الخاصة ، فاذا تناقضت المصلحتان فرط فى مصلحته الخاصة من أجل المصلحة العامة •

وأريد بالمسلم السلبى : المسلم الجغرافى ، والمسلم بالوراثة ، المسلم الذى يفكر لنفسه ولا يفكر لغيره ، ويخدم مصلحته الخاصة ولا يخدم المصلحة العامة ، فاذا تناقضت المصلحتان فرط فى المصلحة العامةمن أجل مصلحته الخاصة •

ولست أعرف دينا سماويا ولا عقيدة وضعية ، كالاسلام دينا جماعيا لا فرديا ، يأمر بايثار المصلحة العامة ، وينهى عن الاستئثار بالمصلحة الشخصية ، فهو دين ايثار لا دين استئثار ، يقدس مصلحة الأمة ، دون أن ينسى مصلحة الفرد ، والمجتمع الاسلامى مجتمع أخوة فى الله وفى سبيل الله ، وصدق الله العظيم : (انما المؤمنون اخوة) ، وصدق رسول الله عليه أفضل الصلاة والسلام : « لا يؤمن أحدكم حتى يحب لأخيه ما يحبه لنفسه » •

وشتان بين المسلم الايجابى الذى يهمه أمر المسلمين ويسعى لخيرهم ، والمسلم الذى لا يهمه أمر المسلمين ولا يسعى لخيرهم ، وصدق رسول الله : « من لم يهمه أمر المسلمين ، فليس منهم » •

— ٢ —

كيف تؤثر الأركان الخمسة التى بُنى عليها الاسلام فى المسلم اذا اتخذها (عبادة) ، فيصبح مسلما ايجابيا ؟

الركن الأول : الشهادة •

أشهد أنلا اله الا الله: تنقذ الفكر من عقيدة الشرك والوثنية ، وتنير القلب بنور التوحيد والايمان •

الله الواحد ، هو الذى يحيى ويميت ، وهو الذى يصل ويقطع ، ويعطى ويمنع ، بيده الخير كله ، وهو الرزاق العليم •

عقيدة التوحيد ، تجعل المسلم لا يعبد الا الله ، ولا يستعين الا به : (اياك نعبد واياك نستعين) ، فلا يخاف الا الله ولا يخشى سواه •

ومن الواضح أن أثر هذه العقيدة فى المسلم ، هو تحليه

بالقوة والشجاعة والاقدام ، لا يضعف أمام عبد مثله ، ولا يخافه أو يخشاه .

وأشهد أن محمدا عبده ورسوله: هو الأسوة الحسنة والقدوة ، وهو القائد والرائد والامام والزعيم والرئيس والمثل الأعلى ، وهو التطبيق العملى لتعاليم الاسلام بشيرا ونذيرا وسلوكا وخلقا ومعاملة .

انه القدوة الحسنة فى شمائله للمسلم ، يقتدى به ويضع شمائله الكريمة نصب عينه .

الركن الثانى : اقامة الصلاة ، والصلاة تنهى عن الفحشاء والمنكر والبغى ، ومن لم تنهه صلاته عن الفحشاء والمنكر ، لم يزدد من الله الا بعدا .

والصلاة تعلم المسلم : النظام ، ودقة المواعيد ، والنظافة،والخشوع، والتواضع والتآلف ، والطاعة ، والضبط .

الركن الثالث : ايتاء الزكاة ، والزكاة تطبع المسلم بطابع السخاء والكرم ، وتنقذه من البخل والحرص ، وتعمق فى المسلم سجية التعاون ضمن نطاق المجتمع الاسلامى ، وتضع مبادىء الضمان الاجتماعى فى حيز التنفيذ ، وتذيب الفروق بين الطبقات ، وتجعل الصراع الطبقى فى المجتمع الاسلامى مستحيلا .

الركن الرابع : صوم رمضان ، والصوم تدريب عملى على تحمل المشاق ، وممارسة فعلية على الصبر الجميل ، وتذوق الجوع والعطش من الذين لم يتذوقوها من الأغنياء حثا لهم على معونة الفقراء .

الركن الخامس : حج بيت الله الحرام لمن استطاع اليه سبيلا : مالا وصحة وأمنا ، والحج يعلم الايثار ، ويمرن النفوس على الخلق القويم ، فلا رفث ولا فسوق ولا جدال فى الحج ، وينقى النفوس والقلوب معا من أدران المعاصى والذنوب ، ليبدأ الحاج صفحة جديدة من حياته : مستقيما كما أمر الله ، صالحا مع الله ومع نفسه ومع الناس .

ولا يمكن حصر تأثير أركان الاسلام الخمسة فى مثل هذا النطاق الضيق من الكلمات ، وحسبى أن أعدد جزءا قليلا من الخطوط العريضة عن أثر هذه الأركان .

هذه الأركان الخمسة ، تجعل من المسلم شجاعا لا يجبن ، عادلا لا يظلم ، متواضعا لا يتكبر ، مطيعا لا يعصى ، آلفا لا يكره ، منظما لا يرتبك ، معمرا لا يخرب ، صادقا لا يكذب ، كريما لا يبخل ، مخلصا لا يخون ، صابرا لا يجزع ، مؤثرا لا مستأثرا .

طاهر الذيل ، عف اللسان ، نظيف القلب واليد واللباس ، دقيق المواعيد ، متعاونا مع اخوته ، متحملا للمشاق ، باذلا نفسه وماله فى سبيل الله ، يتحلى بخلق القرآن الكريم .

هذه الأركان اذا تمسك بها المسلم (عبادة) ، انعكست على سلوكه مع الناس ومعاملتهم ، فأثرت فيه سلوكا وأخلاقا ومعاملة ، بحيث يصبح عنصرا باهرا فى المجتمع الاسلامى المتميز .

— ٣ —

هذا المجتمع الذى يتكون من أمثال هؤلاء الأفراد ، لا يمكن أن يقهر أبدا فى الحرب ، ويقود الناس فى مجال العلم والفكر والحضارة فى السلم .

وحين تمسك المسلمون بالاسلام عقيدة وتشريعا ، قادوا العالم قرونا طويلة عسكريا وعلميا وفكريا وحضاريا ، وفتحوا البلاد شرقا وغربا فى اثنتين وثمانين سنة (١٢ هـ — ٩٤ هـ) ما لم يفتحه فاتح فى كل عصور التاريخ ، وبقى فتحهم (مستداما) كما لم يبق غيره من الفتوح .

فى القديم غزا الاسكندر الأكبر ممالك واسعة ، وغزا اليونان والفرس والروم قديما ، وكونوا أمبراطوريات شاسعة ، ولكنها ذهبت مع الريح .

وحديثا غزا الاستعمار ممالك واسعة ، فأين أصبحت الامبراطورية البريطانية والفرنسية ؟

ووحد الاسلام شبه الجزيرة العربية ، وفتح بلادا شاسعة امتدت

من سيبيريا شمالا الى المحيط جنوبا ، ومن الصين شرقا الى قلب فرنسا غربا ، فبقى الاسلام فى كل بلد فتحه المسلمون منذ القرن الأول للاسلام حتى اليوم .

والاسلام الذى انحسر عن الأندلس دون سائر الأقطار الأخرى بفعل محاكم التفتيش والتصفية البدنية والعنف ، بقيت آثاره فى تلك البلاد أيضا فكرا وحضارة وتقاليده

ولست أنسى يوم سافرت على متن طائرة صينية ، فوجدت المضيفة ترعى الركاب المسلمين رعاية فائقة ، فأردت أن أقدم لها هدية نقدية جزاء رعايتها ، فاعتذرت بأدب جم ولطف ، ثم قالت : « أنا مسلمة والحمد لله ، وتركت والدتى مريضة ، فان كان لابد من هدية ، فلتكن قصاصة من الورق تكتب عليها بالعربية المقدسة: بسم الله الرحمن الرحيم ، لأقدمها لوالدتى المريضة هدية ، لعلها تشفى بفضل الكلمة المباركة ولغة القرآن الكريم المقدسة.» .

ويومها قلت لنفسى : بالله ! أيبقى الاسلام هكذا متغلغلا فى أعماق أعماق النفوس ، بعد كل ما عاناه المسلمون من ضغط وارهاب !!

وقد اجتاح التتار بلاد المسلمين ، فلما دخل هولاكو بغداد ، وقع ابنه فى حب ابنة جمال فقير ، فأراد أن يتزوجها ، ولكن الجمال الفقير رفض عرض ابن هولاكو قائلا : لا أزوج ابنتى من كافر . أما ابنته فقالت للأمير الذى هام بحبها : أتناول السم اذا أجبرت على الزواج بك ، ولن أكون لك وأنا على قيد الحياة الا اذا أسلمت !!

ومن المذهل حقا ، أن التتار أسلموا بعد سنوات معدودات من غزوهم بلاد المسلمين فابتلعهم هذا الدين وأصبحوا من حماته ، والمفروض أن تسود عقيدة الغالبين على المغلوبين لا أن تسود عقيدة المغلوبين على الغالبين .

وقديما قالوا : «ويل للمغلوب» ، ولكن الاسلام شىء آخر .

— ٤ —

ولم يتغير الاسلام ، وكيف يتغير والكتاب العزيز قد تكفل الله

بحفظه ، والحـديث الشريف قـد تكفل السلف الصالح بتسجيله ؟

ولكن المسلمين غيروا مابأنفسهم، والله لا يغير ما بقـوم حتى يغيروا ما بأنفسهم •

كانوا سـادة الدنيا ، فأصبحوا عبيـدا فى بلادهـم ، وكانوا قادة الفكر ، فأصبحوا مستعمرين فكرياء

سـادوا بالاســلام ، وقادوا بالاسـلام ، لأنهـم تمسـكوا به (عبادة) ، فكانوا بشرا أطهـر من الملائكة ، كأنهم تعـاليم الاسـلام مجسـدة فى بشر يمشـون على الأرض : يعملون للآخرة ولاينسون نصيبهم من الدنيا ، يتمنى أحدهم أن يموت قبل صاحبه •

فلما غير المسلمون ما بأنفسهم ، لأنهم تمسكوا بالاسـلام (عادة) أو هجـروه ، أصبحوا مسـلمين بالاسـم لا بالفعـل ، وبالجغرافيا لا بالواقع ، كأنهم ثياب المرء معلقة على مشجب الثياب بدون صاحبها ، قشورا بلا لبـاب ، وأشباه الرجال ولارجال ، يعملون للدنيا لا للآخرة، ويفكرون فى أنفسهم لا فى غيرهم ، يتمنى أحدهم أن يموت صـاحبه قبله •

بالاسلام ساد المجتمع الاسـلامى الايثار ، وبقشوره ساد هذا المجتمع الاستئثار •

بالاسلام كان المجتمع الاسلامى مفخرة الدنيا ، وبدونه أصـبح هذا المجتمع مستنقع الدنيا •

قرأ فرنسى القـرآن الـكريم ، وعكف على كتب الدين ، فأعـلن اسلامه ، وهاجر من بلاده الى ديار المسلمين ، فوجد كل مخازى فرنسا فى البلد الاسلامى الذى هاجر اليه مع مخاز اضافية ليست موجودة فى فرنسا ، فلما لمس الواقع الذى عاشه تنهد قائلا : أين الاسلام ؟ !

وليس مايعانيه المجتمع الاسلامى اليوم ذنب الاسـلام ، ولكن ذنب الذين هجروه من المسلمين •

وجاءت أجنبية أعلنت اسـلامها وهى تطبق تعـاليم الاسـلام فى الاحتشام الى بلد اسلامى لتعيش فى مجتمع الحشمة والفضيلة ، فصعقت

حين رأت المسلمات فى البلد الاسلامى عاريات كاسيات ، يأمرنها بالتبرج وينهينها عن الاحتشام .

لقد أصبح المسلمون ، بتصرفاتهم غير الاسلامية ، موضع اتهام للاسلام عقيدة وتشريعا ، فقال أعداء الاسلام: لو كان الاسلام يرفع من شأن معتنقيه ، لما تأخر المسلمون !

والسيف الصارم البتار ، اذا كان بيد الجبان الرعديد ، يذل ويشقى ويتهم . وهو حرى بالعز والسعادة والاعجاب .

وقديما تهكم غبى بسيف عمرو بن معد يكرب الزبيدى ، قائلا : أهذا سيفك الذى ذاع صيته فى الآفاق !! فقال عمرو : اذا كان بيد صاحبه لا بيدك .

— ٥ —

ان المجتمع الصالح ، أساسه الفرد الصالح فهو يتكون من أفراد صالحين ، يفعلون ما يقولون ، أو يفعلون أكثر مما يقولون أو يفعلون ولا يقولون ، فقد كان النبى صلى الله عليه وسلم أقل الناس كلاما ، وأكثرهم عملا ، وكان خريجو مدرسته من الصحابة عليهم رضوان الله كذلك ، والمهم فى الأمر كله الاخلاص فى العمل ، والحرص على المصلحة العامة أكثر من الحرص على المصلحة الخاصة ، أو الحرص على المصلحة العامة كالحرص على المصلحة الخاصة على الأقل .

والمجتمع الفاسد ، أساسه الفرد الفاسد ، فهو يتكون من أفراد فاسدين ، يقولون ما لا يفعلون ، أو يقولون أكثر مما يفعلون ، أو يقولون ولا يفعلون ، ومن فقه المرء اختصاره فى خطبة الجمعة مثلا ، كما كان يفعل النبى صلى الله عليه وسلم ، وكما كان يفعل خريجو مدرسته من الصحابة رضوان الله عليهم ويفعل السلف الصالح من العلماء العاملين المخلصين ، فيؤثرون فى المستمعين بأعمالهم لا بأقوالهم ، لأنهم كانوا أسوة حسنة وقدوة صالحة بالأعمال لا بالأقوال ، لأن الأقوال التى تتجسد أفعالا فى النفوس هى التى تؤثر فى النفوس الأخرى ، ولا تبقى أقوالا بغير أفعال ، التى قد تصل الى الآذان ولكنها لا تصل أبدا الى الوجدان .

والاسلام كفيل بجعل المسلم الذى يطبّق أركانه (عبادة)

لا (عادة) ، عنصرا صالحا ليكون مع أمثاله مجتمعا اسلاميا صالحا متميزا لا فى محيطه فحسب ، بل فى العالم كلّه ، كما فعل الاسلام بالفرد والمجتمع فى الصدر الأول للاسلام ، والتاريخ الاسلامى خير شاهد وأعظم دليل على ذلك .

وثمرة تطبيق تعاليم الاسلام (عبادة) هو التحلى بالخلق الحميد والمعاملة الحسنة ، وقد أثنى الله سبحانه وتعالى على حبيبه وصفيه ونبيه ورسوله عليه أفضل الصلاة والسلام فى كتابه العزيز فقال : (وانك لعلى خلق عظيم) ، ووصفه بقوله : (لقد جاءكم رسول من أنفسكم ، عزيز عليه ما عنتم ، حريص عليكم ، بالمؤمنين رءوف رحيم) ، وقال عليه أفضل الصلاة والسلام : « بعثت لأتمم مكارم الأخلاق » .

وزبدة ثمرة التطبيق العملى لأركان الاسلام (عبادة) ، هى ما نص عليه القرآن الكريم : (انما المؤمنون أخوة ، فأصلحوا بين أخويكم) ، وما نص عليه الحديث الشريف : « لا يؤمن أحدكم حتى يحب لأخيه ما يحبه لنفسه » .

وهذا هو الاختبار للايمان : أن يحب المؤمن لأخيه ما يحبه لنفسه ، فاذا اقتصر حبه على نفسه ، فهو ليس بمؤمن .

- ٦ -

كيف أتصور المسلم الايجابى أو المسلم الحق على النطاق الفردى ؟

يفشى السلام ، وتحية المسلم لأخيه المسلم هى : السلام عليكم ورحمة الله وبركاته .

ويطعم الطعام ، وبخاصة الفقراء والمساكين والأرامل واليتامى ، فيشرك اخوانه بما يُعد من طعام ، ولايبخل به على المحتاجين والجياع ، وصدق رسول الله صلى الله عليه وسلم : « لا يؤمن بالله وباليوم الآخر ، مَنْ بات شبعان وجاره جائع » .

واذا كانت لديه ملابس تفيض على حاجته ، فمن الحرام أن يبقيها مكدسة على المشاجب واخوته يشكون البرد والعرى .

واذا كان لديه مسكن ، ووجد أخاه بلا مسكن ، ولا قدرة له على استئجار مسكن له ، فمن الضرورى أن يسكن أخاه ويؤويه .

وعيادة الأخ المريض واجبة ، ومساعدته ماديا ليستعين بالمال على استقدام الطبيب وشراء الدواء واعالة الأهل واجب أيضا . واذا كان يعرف طبيبا حاذقا ، فمن الواجب أن يستقدمه الى أخيه المريض أو يستصحب أخاه المريض الى ذلك الطبيب .

واذا كان أخوه أعزب ، وكان يعرف عائلة ذات دين ، فلا بد أن يدله على البنت التى تناسبه ، واذا كانت لديه بنت فليس من المعيب أن يعرضها على أخيه الأعزب .

واذا كان أخوه يعيش فى أفراح شاركه أفراحه ، واذا كان فى أتراح شاركه أتراحه ، واذا مرض عاده ، واذا مات مشى خلف جنازته وقدم التعازى لأهله .

يفرح لفرح أخيه ، ويحزن لحزنه ، واذا أصابته مصيبة خففها عنه ، واذا وقع فى مشكلة عاونه على حلها .

واذا خاصم أحدا نصره ظالما بارشاده الى الحق ، ومظلوما بأخذ الحق له . واذا جافى أحدا صالحه مع الذى جافاه ، واذا عادى أحدا أصلح ذات البين .

واذا كان بحاجة الى سند عند ذى سلطة أو جاه ، أعانه على قضاء حاجته ، وقد استعان بالنبى صلى الله عليه وسلم أعرابى مشرك كان له دين فى ذمة أبى جهل ، فمشى عليه الصلاة والسلام مع الأعرابى المشرك الى ألد أعداء الاسلام والمسلمين أبى جهل ، حتى استخلص له حقه .

واذا جاءته هدية من أخ له ، أو كان فى سفر ، أو جاءه ريع مزرعته ، فلابد أن يهدى مما أفاء الله به عليه الى ذوى القربى واخوته فى الدين .

يهش لأخيه حين يلقاه ، ويصونه حين يغيب ، ويدافع عنه اذا اغتيب ، ويدفع عنه السوء والأذى .

لا يغش أخاه بائعا أو مشتريا ، وينصحه اذا استنصحه أو اذا لم يستنصحه ، ويؤدى الأمانة ، ويصون الكرامة ، ويفى اذا وعد ، ويعفو اذا توعد ، ويصفح عمن ظلمه ،

ويقيل العثرات ، ولا يتطلع الى العورات •

ذلك غيض من فيض مما يأمر به الدين الحنيف ، لاشاعة المحبة والثقة والتعاون فى المجتمع الاسلامى •

وكل ما أوردته له شواهد من القرآن الكريم والحديث الشريف وأقوال الأئمة والأعلام ، وله أمثلة حية من التاريخ الاسلامى العظيم •

وحسبى أن أذكر مثالا واحدا مما حدث بعد هجرة المصطفى عليه الصلاة والسلام من مكة المكرمة الى المدينة المنورة ، يوم آخى النبى صلى الله عليه وسلم بين المهاجرين والأنصار ، حيث شاطر كل أخ من الأنصار أخاه من المهاجرين ماله ومسكنه وملبسه ، وقد بلغ التعاون بين الاخوة المسلمين حدا لا مثيل له فى سائر الأمم ، اذ عرض الأنصار الذين كانوا متزوجين بأكثر من واحدة زوجاتهم على المهاجرين الذين لازوجات لديهم ، قائلين : « اختاروا من تشاءون من الزوجات ، لنطلقهن ليكن زوجات لكم » •

هـذا هو المسلم الايجابى أو المسلم الحق الذى أثرت فيه أركان الاسلام وتعاليمه ، أما المسلم الذى يؤدى الفرائض ثم لا يفكر الا فى نفسه ومصالحها ، ولا يحب لأخيه ما يحبه لنفسه ، فأمره جد عسير •

- ٧ -

أما تصورى للمسلم الايجابى على النطاق الجماعى الذى هو أهم بكثير من النطاق الفردى ، فالحديث عنه ذو شجون •

ان الجندى يُدَرَّبُ تدريبا فرديا فى الجيش ليصبح عنصرا مفيدا فى حضيرته وفصيلته وسريته وفى كتيبته ولوائه وفرقته وفيلقه وجيشه ، متعاونا مع رفاقه فى السلاح ، متحملا واجبه بكفاية فى أثناء التدريب الاجمالى أيام السلام وفى ميدان القتال أيام الحرب •

والتدريب الفردى هو الأساس للتدريب الاجمالى ، ولكن التدريب الفردى هو (الوسيلة) والتدريب الاجمالى هو (الغاية) •

ولا يستطيع أن يؤدى الجندى واجباته فى التدريب الاجمالى ،

ما لم يتقن التدريب الفردى اتقانا فائقا .

ولكن أى جندى متفوق فى تدريبه الفردى ، لا يؤدى واجبه كاملا فى التدريب الاجمالى وفى ميدان القتال ، لا قيمة له فى العسكرية ولا وزن له فى الجندية .

وما يقال عن التدريب الفردى فى العسكرية ، يقال عن تطبيق أركان الاسلام فرديا ، فاذا ما طبق المسلم تلك الأركان ، ثم انصرف الى نفسه دون أن يؤدى واجبه كاملا فى خدمة المجتمع الاسلامى أيام السلام وفى الجهاد أيام الحرب ، لا قيمة له فى المجتمع ولا وزن له فى الاسلام .

وصدق الله العظيم : (قل ان كان آباؤكم وأبناؤكم واخوانكم وأزواجكم وعشيرتكم وأموال اقترفتموها وتجارة تخشون كسادها ومساكن ترضونها أحب اليكم من الله ورسوله وجهاد فى سبيله ، فتربصوا حتى يأتى الله بأمره ، والله لا يهدى القوم الفاسقين) .

وصدق الله العظيم : (انفروا خفافا وثقالا ، وجاهدوا بأموالكم وأنفسكم فى سبيل الله ، ذلكم خير لكم ان كنتم تعلمون) .

وصدق الله العظيم : (لا يستأذنك الذين يؤمنون بالله واليوم الآخر أن يجاهدوا بأموالهم وأنفسهم ، والله عليم بالمتقين . انما يستأذنك الذين لا يؤمنون بالله واليوم الآخر وارتابت قلوبهم ، فهم فى ريبهم يترددون) .

تلك صفات الذين يتهربون من الجهاد بأنفسهم وأموالهم : لا يؤمنون بالله واليوم الآخر ، وارتابت قلوبهم !!

وصدق الله العظيم : (يا أيها الذين آمنوا ، ما لكم اذا قيل لكم انفروا فى سبيل الله اثاقلتم الى الأرض ، أرضيتم بالحياة الدنيا من الآخرة ، فما متاع الحياة الدنيا فى الآخرة الا قليل . الا تنفروا يعذبكم عذابا أليما ويستبدل قوما غيركم ولا تضروه شيئا ، والله على كل شىء قدير) .

وعن أبى هريرة رضى الله عنه قال : « ان رجلا من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم مر بشعب فيه عين من ماء عذب ، فأعجبته ، فقال : لو اعتزلت الناس فأقمت فى هذا الشِّعْبِ ، ولا أفعل حتى استأذن رسول الله صلى الله عليه

وسلم . فذكر ذلك لرسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقال لا تفعل ! فان مقام أحدكم فى سبيل الله أفضل من صلاته سبعين عاما » .

وعن سهل بن سعد الساعدى رضى الله عنه ، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « رباط يوم فى سبيل الله ، خير من الدنيا وما عليها ، والروحة يروحها العبد فى الجهاد فى سبيل الله خير من الدنيا وما عليها » .

وبعث النبى صلى الله عليه وسلم جيشا فيهم عبد الله بن رواحة رضى الله عنه ، فتأخر ليشهد الصلاة مع النبى صلى الله عليه وسلم ، فقال له النبى صلى الله عليه وسلم : «والذى نفسى بيده ، لو أنفقت ما فى الأرض ، ما أدركت فضل غزوتهم » .

وعن عبد الله بن عمر رضى الله عنهما ، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « ... واذا تركتم الجهاد ، سلط الله عليكم ذلا ، لا ينزعه عنكم حتى ترجعوا الى دينكم » .

وقال عليه أفضل الصلاة والسلام: «لغدوة أو روحة فى سبيل الله ، خير مما طلعت عليه الشمس » .

وقال صلى الله عليه وسلم : مَنْ رابط لله حارسا ، من وراء المسلمين ، كان له أجر مَنْ خلفه ممن صام وصلى » .

وعن أبى أمامة الباهلى رضى الله عنه ، أن النبى صلى الله عليه وسلم قال : «مَنْ لم يغز ، ولم يجهز غازيا ، أو يخلف غازيا فى أهله بخير ، أصابه الله بقارعة قبل يوم القيامة » .

وعن أبى الدرداء رضى الله عنه : أن النبى صلى الله عليه وسلم قال : « مَنْ أغبرت قدماه للجهاد فى سبيل الله ، حرم الله سائر جسده على النار » .

وعن أبى بكر الصديق رضى الله عنه ، أن النبى صلى الله عليه وسلم قال : « الجهاد فى سبيل الله باب من أبواب الجنة ، ومن ترك الجهاد فى سبيل الله ، ألبسه الله الذل ، وشمله البلاء ، وديس بالصغار ، وسيم بالخسف ، ومُنع النصف » .

ولن أحاول تفسير آيات الجهاد وأحاديثه التى أوردتها ، لأنها واضحة وضوح الشمس ، وهى تؤكد أن الأمر خطير للغاية ، والتخلى

عن الجهاد له أثره فى ايمان المؤمن فردا وفى مصير الأمة ، والمسلم الايجابى هو المجاهد بماله ونفسه فى سبيل الله ، وكل اعتذار عنه من وساوس الشيطان .

- ٨ -

هذا المجتمع الاسلامى ، يتحلى أفراده بمناعة ضد الحرب النفسية ، وهم لا يرددون الاشاعات ويقضون عليها فى مهدها ، ولا يتعاونون مع المستعمرين ولا الخونة والعملاء والمريبين ، يخلصون لعقيدتهم ويتفانون فى سبيلها ، يعملون لاعلاء كلمة الله ويدافعون عن الأرض والعرض .

فأى مجتمع سيكون أكثر نورا وأعظم قوة وأشد تماسكا من هذا المجتمع الاسلامى ، لو تمسك أفراده بأهداب الدين الحنيف (عبادة) لا (عادة) .

ان هذا المجتمع سيسود العالم ويقود الدنيا ، كما فعل أسلافه من قبل .

ولكن الاسلام أصبح غريبا فى موطنه ، وأمسى مهجورا من معتنقيه ، والبقية الباقية من الذين يؤدون فرائضه ونوافله يؤدونها (عادة) لا (عبادة) ، فلا تؤثر فيهم ولا تعمل عملها فى نفوسهم .

ان الاسلام عقيدة وتشريعا ، والقرآن الكريم عقيدة وتشريعا ولغة ، والحديث الشريف عقيدة وتشريعا وسلوكا وأخلاقا ، لها أثر هائل فى النفوس والعقول معا ، اذا طبقت نصا وروحا .

فلا تعجب من اجماع الشرق والغرب بما فيهما من عقائد متناقضة وتيارات ، لا تتفق على شىء ، اتفاقا فوريا بحماسة واصرار ، اتفاقها على مصاولة الاسلام عقيدة وتشريعا ، وسلوكا وأخلاقا ، ولغة وتراثا ، مصاولة حاسمة شرسة فى كل زمان ومكان ، وبكل طريقة وأسلوب .

والمجتمع الاسلامى فى الوقت الحاضر ، بما فيه من تخلف وفوضى ، خير حليف لأعداء الاسلام .

وقد حرصت على التطرق الى تمسك المسلم الايجابى ، باتقان عمله فى كل ميدان ، تنفيذا لأمر النبى صلى الله عليه وسلم : « ان الله

يحب اذا عمل أحدكم عملا ، أن يتقنه » أو كما قال ، فى آخر هذا البحث ، نظرا لأهمية اتقان العمل فى بناء المجتمع الاسلامى وقوته وتميزه .

لقد شيد جدى دارا قبل مائةسنة، ولا يزال قائما فى مدينة الموصل ، لا يستطيع أحد أن يغرس مسمارا فى جداره .

وشيد والدى دارا قبل خمس وثلاثين سنة ، فتهدم الدار وعفى عليه الزمن .

وقلت لوالدى عليه رحمة الله : « لماذا سارع البلى الى دارك ، وبقى دار أبيك قائما ؟ » .

وتنهد الوالد قائلا : « دار جدك بنتها أيد متوضئة ، وقد قامت والعمال يذكرون الله ... » .

« ودارى بنتها أيد لم يمسها الوضوء مرة ، وقد قامت والعمال يتغنون مع المذياع » .

وهكذا خسرنا الدنيا والآخرة ، حين تخلينا عن تعاليم الدين الحنيف .

أين الخيرات التى كنا ننعم بها ؟ أين الصناعات المحلية التى كنا نباهى بها ؟ أين دور العلم التى كانت تشع بالنور ؟ أين راحة الضمير الذى كنا نسعد به ؟ أين الخيرات والبركات ؟

كيف يتقدم مجتمع لا يخلص فيه الفلاح فى مزرعته ، والعامل فى عمله ، والتاجر فى معاملته ، والبائع فى بيعه ، والموظف فى مكتبه ، والتلميذ فى مدرسته ، والطالب فى جامعته ، والمعلم فى تدريسه ، والأستاذ فى كليته ؟؟ !!

ان خوف الله وخشيته ، كانت تدفع المسلم الايجابى الى الاخلاص فى عمله ، فيفيد نفسه فردا ، ويفيد الاقتصاد الوطنى ، فتشيع السعادة والرفاهية ، ويتقدم المجتمع حثيثا الى أمام ليس فى الاقتصاد فحسب، بل فى النواحى السياسية والعسكرية والاجتماعية والعلمية والفنية .

ان تطبيق تعاليم الاسلام (عبادة)، تسمو بالفرد والمجتمع على حد سواء ، فلمصلحة من يترك المسلمون دينهم أو يتمسكون به (عادة) ؟ !

ان الاسلام بما فيه من تكاليف البذل والتضحية والفداء ، الاسلام الحركى الذى يخشاه أعداء المسلمين ، هو الذى يؤثر فى الفرد المسلم والمجتمع الاسلامى ، وهو الذى يقود المسلمين الى المجد ، ويغير حالهم من حال الى حال •

وهو الذى يجعل الفرد المسلم يحب لأخيه ما يحب لنفسه ، ويحب للمصلحة العامة أكثر مما يحبه لنفسه ، وحينئذ يصبح الفرد المسلم والمجتمع الاسلامى ، كالبنيان المرصوص يشد بعضه بعضاً ، فتذوب الفروق الفردية بين الأفراد والفروق الطبقية بين الأمة ، وصدق الله العظيم : (ان أكرمكم عند الله أتقاكم) وليس شريفكم نسبا ولا أغناكم مالا ، ويومئذ يصبح الصراع الطبقى خرافة ، اذ ليس فى المجتمع الاسلامى الحق صراع طبقى ، لأن الاسلام يعصمه من الانهيار الى هذا الدرك الأسفل من الصراع •

ان مساجدنا تعانى انفجارا ضخما من المصلين والحمد لله ، ولكن لاعبرة بالكمية ، والاختبار العملى هو طرح هذا السؤال : كم يبقى من هؤلاء المصلين حين نطالبهم بدفع عشرة جنيهات لمصلحة عامة للمسلمين؟ وكم يبقى منهم حين نطالبهم بالجهاد بذلا للأموال والأنفس اعلاء لكلمة الله ؟

ان تعداد المسلمين اليوم ، ألف مليون نسمة ، فكم عدد الذين يجاهدون بأموالهم وأنفسهم فى سبيل الله من هؤلاء ؟ ؟

ان ثمرة تطبيق الاسلام العملية ، هو الجهاد ، هو خدمة المجتمع الاسلامى والحرص على مصلحته العليا ، هو تفوق هذا المجتمع على غيره فى شتى المجالات •

ان العبرة ليست بالكمية ، بل العبرة بالكيفية .

لقد استطاع الاسلام حشد أربعين بالمئة من تعداد المسلمين فى الصدر الأول للاسلام .

وحشد العرب فى حرب ١٩٦٧ ثلاثة بالألف فقط على حين حشد العدو الصهيونى أحد عشر بالمئة !

ولو عاد العرب والمسلمون الى الاسلام ، لقال يهود كما قال أسلافهم من قبل : (ان فيها قوما جبارين) .

وأرجو أن يردد كل عربى وكل مسلم قول الله : (وسكنتم فى مساكن الذين ظلموا أنفسهم ، وتبين لكم كيف فعلنا بهم ، وضربنا لكم الأمثال) ، وقد ظلمنا أنفسنا بما لا مزيد عليه .

أفلا تذكرون ؟ !

محمود شيت خطاب

الشباب المتمدن :

أيتها الشرقية : « احذرى هؤلاء الشبان المتمدنين بأكثر من التمدن ... يبالغ الخبيث فى زينته ، وما يدرى أن زينته معلنة أنه انسان من الظاهر ... ويبالغ فى عرض رجولته على الفتيات ، يحاول ايقاظ المرأة الراقدة فى العذراء المسكينة !

ليس لامرأة فاضلة الا رجلها الواحد ؛ فالرجال جميعا هم مصائبها الا واحد .

واذا هى خالطت الرجال ، فالطبيعى أنها تخالط شهوات، ويجب أن تحذر وتبالغ .

أيتها الشرقية : احذرى ! احذرى !

« وحى القلم ج ١ »

العلماء المنتسبون إلى بلدتى نسف وبزدوه

للأستاذ عبد العزيز عبد الحق حلمى

١ ـ مقدمة :

فى التراث الثقافى العربى نوع فريد من الكتابة التاريخية تميز به المسلمون وهو تواريخ الحواضر الاسلامية ، أو ما أسماه السخاوى فى كتابه الاعلان بالتوبيخ لمن ذم التاريخ بالتواريخ المحلية . وقد أورد عنها ثبتا ضافيا رتب فيه هذه الحواضر ترتيبا هجائيا . وذيله المستشرق فرانز روزنتال بحواش وتعليقات جزيلة الفائدة عن هذه المؤلفات ومظان وجودها وما نشر منها .. وذلك فى كتابه علم التاريخ عند المسلمين (ليدن سنة ١٩٥٢ م والترجمة العربية ، بغداد سنة ١٩٦٣ م ص ٦١٣ : ٦٥٧) .

وليست هذه الكثرة من المؤلفات عن تواريخ الحواضر الاسلامية صادرة عن نزعة اقليمية أو ما يسمى حديثا بالنعرة الوطنية وذلك من جانب مؤلفيها . وانما هى من قبيل التعلق بالحاضرة التى ينتمى اليها المتصدى لكتابة تاريخها بما يدفعه الى تعديد فضائلها والترنم بمآثرها . فهى اشادة مستحبة لا ضير فيها ولا غبار عليها . وقد عبّر عن هذا المعنى لسان الدين بن الخطيب فى مقدمة كتابه : الاحاطة فى أخبار غرناطة بقوله (حـ ١ ص ٧) : « فداخلتنى عصبيه لا تقدح فى دين ولا منصب ، وحمية لا يُذَم فى مثلها متعصب » . ولدينا فيما يتعلق بهذه العناية بالتواريخ المحلية ماينفى وجود أية نزعة اقليمية ، وهو ذلك الشعور الفياض بوحدة العالم الاسلامى على تعدد الدول التى انقسم اليها . ويتجلى لنا ذلك فى كتابات الرحالة والجغرافيين المسلمين

عند ذكر المدن التى يزورونها أو يكتبون عنها فيستهلون الحديث عنها بالدعاء لها بقولهم حرسها الله تعالى ووقاها من كل سوء . فهم يبتهلون الى الله بهذا الدعاء كما لو كانوا من صميم أبنائها المنتسبين اليها الحريصين على عزتها ومنعتها .

وقد خلّف لنا المسلمون تراثا ضخما عن تواريخ هذه الحواضر فى مختلف بقاع العالم الاسلامى سواء كانت تقع فى قلبه أو فى أطرافه النائية . عمدوا فيها الى بيان ازدهارها أو بما أسماه ابن خلدون باستبحار العمران فيها والاشارة الى التقلبات الطارئة عليها ، ثم الافاضة فى تراجم العلماء المنتمين اليها بل والذين رحلوا اليها وأقاموا بها .

والكاتب عن حاضرة ما من بين هؤلاء يبدأ بنبذة تاريخية عن نشأتها ومؤسسيها ثم تخطيط طرقاتها وأحيائها ومبانيها العامة من المساجد والمدارس وغيرها . أى أنه يتناول مايسمى حديثا بتاريخها الطبوغرافى . وقد بلغ هذا النوع من الكتابة التاريخية ذروته فى مصر ، كما يتضح لنا ذلك فى كتابات ابن زولاق والمقريزى والناسجين على منوال هؤلاء فى العصر الحديث كما فى كتاب الخطط التوفيقية لعلى مبارك وخطط الشام لمحمد كرد على .

وبعد أن يفرغ الكاتب من تاريخ تخطيط الحاضرة يترجم للنابهين من رجالاتها وللأعلام من علمائها ، فيذكر شيوخ هؤلاء ممن تلقوا عليهم العلم ، ثم من أخذوا عنهم وبيان مؤلفاتهم وتاريخهم العلمى . وبذلك يتحول جانب كبير من تواريخ هذه الحواضر الى معجمات زاخرة بتراجم الأعلام . كما يتجلى ذلك فى تاريخ بغداد للخطيب وتاريخ دمشق لابن عساكر . ويلاحظ أن لبعض هذه المؤلفات متابعة مطردة عن طريق التذييل عليها بكتابة تراجم الأعلام الذين اشتهروا بعد وفاة مؤلف الحاضرة ، كما صنع الدُبَيثى وابن النجار فى التذييل على تاريخ بغداد وكذلك المعقبون على تاريخ دمشق لابن عساكر .

هذا وقد سبق السخاوى فى سرد المؤلفات الخاصة بتواريخ الحواضر

الاسلامية صلاح الدين الصفدى وذلك فى مقدمة كتابه الوافى بالوفيات ، ولسان الدين بن الخطيب فى مقدمة كتابه الاحاطة بتاريخ غرناطة . وفيما يتعلق بمظان وجود هذه المؤلفات فانه يمكن تقسيمها الى ثلاثة أنواع : نوع يعد للأسف من الكتب المفقودة التى ضاعت فيما ضاع من كتب التراث العربى . ولكن يعزينا عن فقدها أنه توجد أحيانا فقرات منقولة عنها فى مؤلفات أخرى كما فى كتاب الانسان للسمعانى ومعجم البلدان لياقوت .

أما النوع الثانى فلايزال مخطوطا لم ير النور بعد . والنوع الثالث نشر كاملا أو ناقصا على درجات متفاوتة من الضبط والتحقيق . ومن النوع الأخير تاريخ بغداد للخطيب وتاريخ جرجان للسهمى وتاريخ نجارى للنرشخى وتاريخ أصبهان لأبى نعيم صاحب الحلية وتاريخ ثغر عدن بقلم بامخرمة ، وأخبار مكة للأزرقى ووفاء الوفا بتاريخ دار المصطفى للسمهودى ومعالم الايمان بتاريخ القيروان والعقد الثمين فى تاريخ البلد الأمين لتقى الدين الفاسى .

ولكثرة المنتسبين الى حاضرة ما، وخاصة اذا كانت من الحواضر النائية فى أطراف العالم الاسلامى مثل نسف وتزدوه . فانه يتعذر على القارىء الحديث التفرقة بين من أنجبتهم هاتان الحاضرتان من العلماء . فكتاب العقائد النسفية على كثرة الشروح والتعليقات المتراكمة على متنه لم يذكر الشارح ولا المُحَشّى ولا المقرر شيئا عن مؤلفها وتاريخ سنة وفاته للتفرقة بينه وبين علماء نسفيين آخرين كتبوا فى موضوع العقائد مثل نجم الدين عمر النسفى . بل هناك شك فى نسبة كتاب العقائد اليه أثاره أبو الحسنات اللكنوى فى كتابه الفوائد البهية فى تراجم الحنفية (ص ١٩٤ ، ١٩٥) اذ نسبه الى محمد بن محمد بن محمد أبى الفضل المعروف بالبرهان النسفى المتوفى عام ٦٨٧هـ وجاء فيه أن تصنيف البرهان النسفى مشهور بالعقائد النسفية وهو الذى شرحه سعد الدين

التفتازانى وأنه قد نسبه صاحب كشف الظنون الى أبى حفص عمر النسفى المتوفى عام ٥٣٧ هـ .

يضاف الى ذلك أن الدارسين المحدثين لكتب التراث الاسلامى قلما يتطلعون الى معرفة البلدان التى ينتمى اليها مؤلفوها . سعيا منهم لربط الماضى بالحاضر فلا يسألون عن موقع هذه الحواضر فى الخوارط الجغرافية وعما فعل الله بها . أو لاتزال عامرة مزدهرة أم دائرة عفّى عليها الزمن ؟ وأين توجد أماكنها أو أطلالها ، بالنسبة لحدود الدول الحديثة ؟ وتكثر هذه الأسئلة فيما يتعلق بالحواضر الاسلامية فى آسية السوفيتية .

هذا وقد عنى المستشرق البريطانى جى لسترانج Guy Le Strasge (١٨٥٤ — ١٩٣٣ م) بالجغرافية التاريخية للحواضر الاسلامية فى مشرق العالم الاسلامى وذلك فى كتابه : « بلدان الخلافة الشرقية» الذى نشره فى كمبردج سنة ١٩٠٥ م . وقد اعتمد فيه على كتابات الجغرافيين والرحالة العرب والفرس . وزود كتابه بالكثير من الخوارط الجغرافية الدقيقة . ويتناول كتابه صفة العراق والجزيرة وايران وأقاليم آسية الوسطى منذ الفتح الاسلامى حتى أيام تيمور . وقد نقله الى العربية وأضاف اليه تعليقات بلدانية وتاريخية وأثرية الأستاذان بشيرفرنسيس وكوركيس عواد ونشراه ببغداد سنة ١٩٥٤ وهو من مطبوعات المجمع العلمى العراقى .

ويقول لسترانج فى حديثه عن مدن القسم الجنوبى من كوْرة بأذغيس (ص ٤٥٦ من الترجمة العربية) « انها قد زالت اليوم جميعا من الخارطة ، وانه يصعب تعيين مواضع أسمائها التى عرفت بها فى العصر الوسيط ، أو مطابقتها مع أسماء الخرائب الحالية » .

وشاهد ابن بطوطة أثناء تجواله فى بلاد ما وراء النهر فى النصف الأول من القرن الثامن الهجرى آثار التخريب الذى أحدثه المغول ابان

غزوهم لها . فقال فى مهذب رحلته (جـ ١ ص ٣٠٤) : « لما ثار المسلمون على جنكيز خان فى بلخ وفيما وراء النهر كر عليهم ودخل بَلْخ بالسيف وتركها خاوية على عروشها . ثم فعل مثل ذلك فى ترِمْذ ، فخربت ولم تعمر بعد ، لكن بنيت مدينة على ميلين منها وهى التى تسمى اليوم ترِمْذ » .

ويقول عن سمرقند : « انها مدينة مبنية على شاطىء واد يعرف بوادى القصارين وانه كانت على شواطىء هذا الوادى قصور عظيمة وعمارة تنبىء عن علو همم أهلها . فدثر أكثر ذلك . وكذلك المدينة خَرِب أكثرها ولا سور لها ولا أبواب عليها » .

وفى حديث ابن بطوطة عن بخارى يقول : « انها كانت قاعدة ما وراء نهر جيحون من البلاد ، خربها اللعين جنكيز خان ، فمساجدها الآن ومدارسها وأسواقها خربة الا القليل.وليس بها اليوم من الناس من يعلم شيئا من العلم ولا من له عناية به » . وأضاف عبارة تدل على أن أهل بخارى كانوا قبل الغزو المغولى لا يكتفون بكتابة أسماء المتوفين من علمائهم على قبورهم وانما يضيفون اليها أسماء مؤلفاتهم يقول ابن بطوطة (جـ ١ ص ٣٠٥) : «وزرت ببخارى قبر الامام البخارى مصنف الجامع الصحيح شيخ المسلمين وعليه مكتوب : هذا قبر محمد بن اسماعيل البخارى وقد صنف من الكتب كذا وكذا . وكذلك على قبور علماء بخارى أسماؤهم وأسماء تصانيفهم » وأضاف ابن بطوطة : « وكنت قد قيدت من ذلك كثيرا وضاع منى فى جملة ما ضاع لما سلبنى كفار الهند مالى » .

٢ ـ مدينتا نسف وبزدوه :

تقع مدينتا نسف وبزدوه فى الخارطة رقم ٩ من كتاب لسترانج ما بين خطى عرض ٣٨ و ٣٩ شمالى خط الاستواء . وهما بين نهرى الصُغْد ونهر جيجون الذى يعرف فى المصورات الجغرافية الأجنبية باسم Oxus كما يعرف أيضا باسم آموداريا . أما النهر الكبير

الآخر الواقع الى الشمال ويعرفه العرب باسم سيجون ، فيعرف عند الفرنجة باسم بكتارتس Jaxartes أو سرداريا . وبين هذين النهرين نهر الصُغْد . ومكان نسف وبزدوه يقع حاليا فى جمهورية أوزبكستان السوفيتية .

وممن كتب عن نسف المقدسى فى كتابه أحسن التقاسيم الذى ألفه سنة ٣٧٥ هـ فقد كتب يقول (ص ٢٨٢ : ٢٨٣) : « نسف ويسمونها نخشب لها فهندز (أى قلعة) خراب وربض عامر فى مستواه ، والنهر يشقها ودار الامارة على ضفته عند رأس القنطرة . ولها ربض الجامع عند الأسواق ، وهى كثيرة الأعناب الجيدة والمزارع العذبة الطيبة .. الا أن ماءها ضيق ونهرها ينقطع (أى لا يجرى فيه الماء على مدار السنة) . وأهلها غاغة وبها عصبيات وحشة وهم قوم سوء يصلحون للشرط . وكسبة أكبر منها وبزده أصغر » .

ونقل ياقوت المتوفى عام ٦٢٦ هـ ما كتبه كل من الاصطخرى والمقدسى عن نسف وعذلك فى كتابه معجم البلدان (جـ ٨ ص ٢٨٧) وأضاف يقول : « وقد خرج منها جماعة كثيرة من أهل العلم فى كل فن ، منهم : أبو اسحاق ابراهيم بن معقل بن الحجاج بن خداش النسفى ، كان من جلة العلماء وأصحاب الحديث. كتب الكثير ، وجمع السنة والتفسير وروى عنه كثير من العلماء ومات سنة ٣٩٤هـ (والصواب سنة ٢٩٤هـ نقلا عن السمعانى فى الأنساب ظهر الورقة ٥٥٩) .

وقال ياقوت فى مادة تخشب فى معجم البلدان (جـ٨ص٢٧٣) : «انها مدينة نسف نفسها ... بينها وبين سمر قند ثلاث مراحل ينسب اليها الحافظ عبد العزيز بن محمد النسفى النخشبى أحد الأئمة مات سنة ٤٥٦ هـ ».وترجم له ابن العماد فى شذرات الذهب (جـ ٣ ص ٢٩٧).

وقال السمعانى المتوفى عام ٥٦٢هـ فى كتابه الأنساب فى مادة النسفى (ظهر الورقة ٥٥٩) : « هذه النسبة الى نسف وهى من بلاد ماوراء النهر

يقال لها نخشب ، أقمت بها قريبا من شهرين ، وسمعت بها جماعة ، وخرج منها من العلماء فى كل فن جماعة لا يحصون . ولقيت منهم جماعة وسمعت منهم » . ثم ذكر السمعانى من علماء نسف أبا اسحاق ابراهيم بن معقل الذى سبق ذكره ، وابنه أبا عثمان سعيد بن ابراهيم ، وأبا على الحسين بن الخضر الذى ترجم له السمعانى فى الأنساب (وجه الورقة ٤٢٩) اذ كتب يقول: « كان امام عصره بلا مدافعة . وقد أقام ببغداد مدة ، وتفقه وتعلم وناظر الخصوم . وله قصة فى مسألة توريث الأنبياء مع المرتضى مقدم الشيعة . ومات ببخارى لما قارب الثمانين سنة ٤٢٤ هـ . وقد زرت قبره غير مرة بمقبرة كلاباذ » .

وفى مادة النخشبى قال السمعانى فى الأنساب (ظهر الورقة ٥٥٦) : « هذه النسبة الى نخشب ، وهى بلدة من بلاد ما وراء النهر ، عربت فقيل لها نسف . وقد ذكرتها فى النون والسين وأذكرها هاهنا الآن لئلا يظن الناظر فى كتابى أنى لم أذكرها . والمشهور بهذه النسبة شيخ عصره بلا مدافعة أبو تراب النخشبى .واختلف فى اسمه والأشهر أن اسمه عسكر بن حصين وقيل عسكر بن محمد بن حصين . كان من جملة المشايخ المذكورين بالعلم والفتوة والتوكل والزهد والورع ، توفى سنة ٢٤٤هـ» .وترجم أبونعيم الأصبهانى لأبى تراب النخشبى فى حلية الأولياء ترجمة مستفيضة (جـ ١٠ ص ٤٥ : ٥١) أورد فيها ما أثر عنه من أقوال دقيقة فى التصوف . وهذه الترجمة على اسهابها لم يرد فيها تاريخ وفاته . كما ترجم له ابن العماد فى شذرات الذهب (جـ ٢ ص ١٠٨) فى وفيات سنة ٢٤٥ هـ . ومن طريف ما جاء فيها أن أباتراب النخشبى « اجتمع بالامام أحمد بن حنبل ، فجعل الأمام أحمد يقول فلان ضعيف فلان ثقة . فقال له أبو تراب : لاتغتب العلماء . فالتفت اليه الامام أحمد وقال له : ويحك هذه نصيحة ليس هذا غيبة » .

وأضاف السمعانى « ان لبلدة نسف تاريخا كبيرا فى مجلدتين

ضخمتين جمعهما أبو العباس المستغفرى الحافظ النسفى» ، وكرر ذلك فى موضع آخر من كتابه الأنساب (وجه الورقة ٥٦٠) اذ يقول : « وقد جمع لرجالها أبو العباس جعفر بن محمد بن المعتز المستغفرى النسفى الحافظ كتابا مشبعا يشتمل على ثمانين طاقة أو أكثر » .

ويهمنا أن نعرف شيئا عن مؤرخ نسف هذا . وقد ترجم له السمعانى فى الأنساب فى مادة المستغفرى (ظهر الورقة ٥٢٨) فقد كتب يقول : « المستغفرى هذه النسبة الى المستغفر وهو اسم لبعض أجداد المنتسب اليه ، وهو أبو على محمد ابن المعتز بن محمد بن المستغفرى النسفى .. توفى سنة ٣٧٤هـ . وابنه أبو العباس جعفر بن محمد بن المعتز ابن محمد بن المستغفرى النسفى ، خطيب نسف ، كان فقيها فاضلا ، ومحدثا مكثرا صدوقا ، يرجع الى فهم ومعرفة واتقان ، جمع الجموع وصنف التصانيف ورحل الى خراسان وسرخس ونيسابور ومرو ، وسمع جماعة كثيرة ... روى عنه جدى الأعلى القاضى أبو منصور السمعانى وكانت ولادته سنة ٣٥٠ هـ ووفاته سنة ٤٣٢ هـ .

وترجم السمعانى لابن مؤرخ نسف فقال : « وابنه أبو ذر محمد ابن جعفر المستغفرى ، كان خطيب نسف ، ولى القضاء بعد أبيه ، وأسمعه أبوه جماعة من الشيوخ ، وكان من أهل العلم والخير . ذكره أبو محمد عبد العزيز بن محمد النخشبى الحافظ فى معجم شيوخه وقال أبو ذر المستغفرى ابن شيخنا أبى العباس سمع أبا الفضل يعقوب ابن اسحاق السلامى ، وأبا محمد عبد الملك بن ابراهيم بن رافع . وكان صحيح السماع » .

هذا وقد ذكر السخاوى المتوفى عام ٩٠٢ هـ كتاب تاريخ نسف لأبى العباس جعفر بن محمد المستغفرى وذلك فى كتابه الاعلان بالتوبيخ لمن ذم التاريخ (ص ٦٥٢ من كتاب علم التاريخ عند المسلمين بقلم روزنتال) وهذا قد يرجح وجود كتاب تاريخ نسف فى حياة السخاوى . ولكنه

بعد حاليا من الكتب المفقودة بدليل أن روزنتال فى تعليقه على عبارة السخاوي فى الحاشية رقم ٩ يقول : « لقد اقتبس من هذا الكتاب (أى كتاب تاريخ نسف) السمعانى فى صفحات » ذكرها فى كتاب الأنساب وأورد أرقام هذه الصفحات . ولم يذكر روزنتال مظان وجود كتاب تاريخ نسف مما يدل على أنه من الكتب المفقودة .

ومن علماء نسف ممن ذكرهم السمعانى فى الأنساب فى مادة مكحولى (وجه الورقة ٥٤١) : « هذه النسبة الى مكحول وهو اسم الجد . وهم جماعة منهم : أبو البديع أحمد بن محمد بن الفضل النسفى المكحولى ، سمع أباه أبا المعين المكحولى ، وأبا سهل الاسفرايني ، وأحمد المقبرى . وكان بارعا فى الفقه ، مات ببخارى سنة ٣٧٩ هـ وحمل الى نسف . ثم ترجم السمعانى « لأخيه أبى المعالى معتمد بن محمد بن مكحول روى عن جده (الصواب عن أبيه) أبى المعين، وسمع أبا سهل الاسفرايني ، وروى عنه كتاب أخبار مكة وغيره وكانت ولادته سنة ٣٤٦ هـ ووفاته سنة نيف وثلاثين وأربعمائة » .

٣ — المستدرك فى تراجم علماء نسف:

ممن لم يذكرهم السمعانى فى الأنساب ولا ياقوت فى معجم البلدان .

١ — محمد بن أحمد أبو جعفر النسفى . له تعليقة فى الخلاف ، توفى عام ٤١٤ هـ ترجم له ابن قطلوبغا المتوفى عام ٨٧٩ هـ فى كتاب تاريخ التراجم (طبع بغداد سنة ١٩٦٤ م ص ٥٢ رقم ١٥٦) .

٢ — الحسين بن خضر القاضى أبو على النسفى . له الفوائد والفتاوى وكان امام عصره توفى عام ٤٢٤ هـ ترجم له أبو الحسنات محمد بن عبد الحى اللكنوى الهندى فى كتابه الفوائد البهية فى علماء الحنفية (طبعة القاهرة سنة ١٣٢٤ هـ ص ٦٦) .

٣ — هناد بن ابراهيم بن محمد ابن عمر أبو المظفر النسفى . روى عنه الخطيب الذى ترجم له فى تاريخ

بغداد (جـ ١٤ ص ٩٧ : ٩٨ رقم ٧٤٤٠) وقال : « كان يقدم بغداد فى الأحايين وولى القضاء وكان آخر عهدى به سنة ٤٥٠ هـ » . وترجم له ابن قطلوبنا فى تاريخ التراجم (رقم ٢٤٨) وقال : « انه سمع ورحل وخرج الفوائد وروى عنه الخطيب وأشار الى تصنيفه توفى عام ٤٦٥ هـ » . هذا ولم يذكر الخطيب تاريخ وفاته لأنه توفى بعده بعامين .

٤ ــ ميمون بن محمد بن محمد ابن سعيد بن مكحول بن أبى الفضل أبو المعين النسفى المكحولى، توفى سنة ٥٠٨ هـ . وقد نسى السمعانى أن يترجم له فى مادة مكحولى . وقد ترجم له ابن قطلوبغا فى تاج التراجم (رقم ٢٤٠) . وقد وصفه بالامام الزاهد العالم البارع . ونقل عن نجم الدين أبى حفص عمر النسفى ــ وسترد ترجمته فيما يلى ــ أنه قال فى كتابه القند فى ذكر علماء سمرقند (والقند هو عسل قصب السكر اذا جمد) عن أبى المعين ميمون النسفى : « كان عالم الشرق والغرب يغترف من بحاره ويستضاء بأنواره » .

وليس هذا من قبيل المبالغة فقد ترك لنا مؤلفات مهمة فى علم الكلام رجع اليها المستشرق الهولندى فنسك A.J. Wensinck فى تأليف كتابه العقيدة الاسلامية (بالانجليزية بكمبردج سنة ١٩٣٢م) . وقد ذكرها فيما يلى (ص ٢٨٣) : ١ ــ العقائد مخطوطة برلين تحت رقم ١٩٤١ ، ٢ ــ المناجاة مخطوطة ليدن تحت رقم ٦٦١ ، ٣ ــ التمهيد لقواعد التوحيد ، مخطوطنا القاهرة تحت رقمى ٢٢٨٦ ، ٢٤٩٧ ، ٤ ــ تبصرة الأدلة مخطوطتا القاهرة تحت رقمى ٢٢٨٧ ، ٦٦٧٣ ، ٥ ــ بحر الكلام ــ رسالة صغيرة طبعت فى القاهرة سنة ١٣٢٩ هـ .

٥ ــ عبد العزيز بن عثمان بن ابراهيم الفضلى القاضى النسفى : قال ابن قطلوبغا فى ترجمته (تاج التراجم رقم ١٠٥) : « انه تفقه ببخارى وله كتاب المنقذ من الزلل فى مسائل الجدل ، وكتاب الفحول فى علم الأصول ، وتعليق الخلاف .

وأضاف أنه برع فى علم النظر ، وناب فى القضاء بخراسان وانفرد بالفتوى وأن كتابه فى الأصول يعرف بكفاية الفحول ، وتعليق الخلاف يوجد فى أربع مجلدات وله فصول فى الفتاوى . توفى عام ٥٣٣هـ وترجم له أيضا صاحب الفوائد البهية فى ص ٩٨ .

٦ ــ نجم الدين أبو حفص عمر ابن محمد بن أحمد بن اسماعيل بن لقمان النسفى: ترجم له صاحب شذرات الذهب (حـ ٤ ص ١١٥) فى وفيات سنة ٥٣٧ هـ وقال : يقال ان له مائة مصنف . كان فاضلا مفسرا أديبا . وقال ابن قطلوبغا فى ترجمته (تاج التراجم رقم ١٤٠) : انه سمع الحديث وله كتاب طلبة الطلبة فى اللغة على ألفاظ كتب فقه الحنفية . ومن كتبه : كتاب تطويل الأسفار لتحصيل الأخبار روى فيه عن خمسمائة وخمسين شيخا ، وكتاب القند فى ذكر علماء سمرقند[1] الذى سبق ذكره . كما ألف كتابا فى تاريخ بخارى .

ونقل صاحب الفوائد البهية عن السمعانى قوله فى ترجمته له (ص ١٥٠) « انه صنف التصانيف فى الفقه والحديث ونظم الجامع الصغير (لمحمد بن الحسن الشيبانى) وطالعت مجموعاته فى الحديث » . ولم أعثر على هذا النص فى كتاب الانساب للسمعانى فى النسخة الزنكوغرافية الضخمة التى نشرها مرجليوث فى لندن سنة ١٩١٢ م ولعلها فى مخطوطات أخرى من كتاب الأنساب . وأضاف صاحب الفوائد البهية : أن نجم الدين عمر النسفى قيل له : مفتى الثقلين ؛ لأنه كان يعلم الانس والجن .

---

(١) ذكر السخاوى كتاب القند فى الاعلان بالتوبيخ ص ٦٣٣ وعلق على ذلك روزنتال فى الحاشية رقم ١٩ بقوله لقد كثر النقل عن القند كما صنع البغدادى فى تاريخ بغداد مخطوطة باريس رقم ٦١٥٢ والسمعانى فى الانساب فى ترجمة أحمد بن اسماعيل بن نصر (ص ١٩٤ ب) وانظر أيضا كتاب تاريخ التركستان حتى الغزو المغولى (بالانجليزية) بقلم بارتولد (لندن سنة ١٩٢٨ م) . ويفهم من تعليق روزنتال : أن كتاب القند من الكتب المفقودة .

هذا وقد فات المترجمين لنجم الدين عمر النسفى أن يذكروا من بين مؤلفاته كتابه الشهير فى العقائد ، الذى كان يدرس فى الأزهر والمعروف باسم العقائد النفسية . وقد عنى بتحقيق هذا الكتاب المستشرق كيورتن Cureton ونشره فى لندن سنة ١٨٤٣ م . وقد رجعنا فى تصحيح نسبة هذا الكتاب الى نجم الدين عمر النسفى الى الطبعة التى نشرت للعقائد النسفية فى القاهرة سنة ١٩١٣ م وعليها شرح سعد الدين التفتازانى مع حواش وتقارير للخيالى ، وعبد الحكيم والعصام ، وهذا ينفى ما زعمه أبو الحسنات أن العقائد النسفية من تأليف محمد بن محمد البرهان النسفى .

٧ ــ محمد بن محمد بن محمد أبو الفضل المعروف بالبرهان النسفى : ترجم له ابن قطلوبغا فى تاج التراجم (رقم ١٧٠) وقال انه لخص تفسير الفخر الرازى وان له كتبا فى علم الخلاف ونقل عن الذهبى قوله : انه كان أوحد عصره فى الخلاف والفلسفة . وكان زاهدا . توفى ببغداد سنة ٦٨٧ هـ .

٨ ــ حافظ الدين أبو البركات عبد الله بن أحمد بن محمود النسفى : هذا من أعلام نسف المتأخرين ترجم له ابن حجر العسقلانى فى الدرر الكامنة فى أعيان المائة الثامنة (ج ٢ ، ص ٣٥٢ رقم ٢١١٨) وذكر أنه توفى عام ٧٠١ هـ وقال : « انه علامة الدنيا وأحد الزهاد المتأخرين ، له التصانيف المفيدة فى الفقه والأصول . من مؤلفاته :

(١) المستصفى فى شرح المنظومة (٢) كتاب النافع وشرحه المنافع فى شرح النافع . (٣) كتاب الكافى وشرحه : الوافى فى شرح الكافى . (٤) كنز الدقائق وهو متن مشهور فى الفقة . (٥) المنار فى أصول الفقه .

الفقه . (٦) العمدة فى أصول الدين :

وقد حققه المستشرق كيورتن ونشره فى لندن سنة ١٨٤١ م .

كما ترجم لأبى البركات ابن قطلوبغا فى تاج التراجم (رقم ٨٦) وذكر مؤلفاته التى أوردها ابن حجر وأضاف أنه شرح كتاب المنار وسماه الكشف وشرح العمدة وسماه الاعتماد .

ولكن يلاحظ أن كلا من ابن حجر وابن قطلوبغا لم يذكرا أن لأبى البركات النسفى كتابا فى التفسير أسماه : « مدارك التنزيل وحقائق التأويل » . وهو المعروف بتفسير النسفى. وقد وصفه حاجى خليفة فى كشف الظنون بقوله : « انه وسط فى التأويلات ، جامع لوجوه الاعراب والقراءات ،متضمن لدقائق علم البديع والاشارات ، موضح لأقاويل أهل السنةوالجماعة خال من أباطيل أهل البدعوالضلالة ليس بالطويل الممل ولا بالقصير المخل » . هذا وقد طبع تفسير النسفى أكثر من مرة . وأدق طبعاته هى تلك الطبعة المحققة التى أخرجتها وزارة المعارف المصرية فى سنة ١٩٣٦ م .

وفى تاريخ وفاة أبى البركات النسفى خلاف بين من ترجموا له . فقد ذكر ابن حجر كما أسلفنا : أنه توفى عام ٧٠١ هـ وقال ابن قطلوبغا انه كان ببغداد سنة ٧١٠ هـ وذكر أبو الحسنات فى الفوائد البهية (ص ١٠٢) أنه توفى عام ٧١٠ هـ .

هذا ولم نجد لأبى البركات ترجمة فى فوات الوفيات لابن شاكر الكتبى المتوفى عام ٧٦٤ هـ ولا فى شذرات الذهب لابن العماد الحنبلى المتوفى عام ١٠٨٩ هـ .



٤ - العلماء المنتسبون الى بزدوه :

جاء فى كتاب الأنساب للسمعانى فى مادة البزدوى (ظهر الورقة ٧٨)

« البزدوى بفتح الباء المنقوطة بواحدة وسكون الزاى وفتح الدال المهملة وفى آخرها واو. هذه النسبة الى بزده وهى قلعة حصينة على ستة فراسخ من نسف على طريق بخارى. والمشهور بالانتساب اليها :

« الحسن (الصواب أبو الحسن) على (بن محمد) بن الحسين بن

عبد الكريم بن موسى بن عيسى البزدوى ، فقيه ما وراء النهر ، وأستاذ الأئمة ، وصاحب الطريقة على مذهب أبى حنيفة • روى الحديث (بياض بالأصل بنحوثلاث كلمات) ، روى لنا عنه صاحب أبوالمعالى محمد بن نصر بن منصور المدينى الخطيب بسمرقند ، ولم يحدثنا عنه سواه •

« وكتب عن أبيه أبى ثابت (الصواب وكتب عنه ابنه أبوثابت) الحسن بن على كتاب المسند لعلى ابن عبد العزيز البغوى • وكان يرويه عن أبى الحسن على بن حرام البخارى ، وروى لنا عن أبى على الحسن بن عبد الملك النسفى أيضا ، أخوه على (أخطأ السمعانى أو الناسخ هنا باضافة اسم على) أبواليسر محمد بن محمد بن الحسين البزدوى القاضى الصدر • أملى ببخارى الكثير ودرس الفقه وكان من فحول المناظرين ، روى لنا عنه أحمد بن محمد بن الحسين البزدوى القاضى بمرو وقدمها حاجا • (وممن ينتسب اليها) أبو محمد عبد الكريم بن موسى ابن عيسى البزدوى جد أبى الحسن السابق ذكره • »

وفيما أورده ياقوت فى معجم البلدان فى مادة بزده (حـ ٢ ص ١٦٣) ما يدل على أنه نقل عن السمعانى • فقد ذكر من المنتسبين الى بزده أو بزدوه أبا الحسن على ابن محمد وابنه أبا ثابت • ولكنه قال فى ترجمة أبى ثابت انه ولى القضاء بسمرقند كما وليه ببخارى ثم عزل فانصرف الى بزده فسكنها وسمع الحديث ورواه وأضاف أنه مات بسمرقند سنة ٥٥٧ هـ •

ويبدو لنا أن المشهورين من علماء بزدوه ينتمون الى أسرة واحدة نذكرهم فيما يلى على ترتيب سنى وفاتهم :

١ ــ أبو محمد عبد الكريم ابن موسى بن عيسى البزدوى : جد فخر الاسلام الآتى ذكره • أخذ عن علم الهدى أبى منصور الماتريدى وعن أبى بكر الجورجانى • ترجم

له صاحب الفوائد البهية (ص ١٠١) وقال انه توفى عام ٣٩٠ هـ .

ومن أحفاد أبى محمد عبدالكريم وذراريه .

٢ ـ أبوالحسن على بن محمد ابن عبد الكريم بن موسى بن عيسى البزدوى ، فخر الاسلام ، الامام الكبير الجامع بين أشتات العلوم ، امام الدنيا فى الأصول والفروع ، له تصانيف كثيرة معتبرة منها : المبسوط فى احدى عشرة مجلدة ، وشرح الجامع الصغير وشرح الجامع الكبير ، وكنز الوصول الى علم الأصول ، ويعرف بأصول البزدوى وتفسير القرآن .

هذا وقد شرح عبد العزيز البخارى كتاب كنز الوصول وسمى شرحه كشف الأسرار ، طبع فى استنبول فى أربع مجلدات فى سنة ١٣٠٨ هـ . وتاريخ وفاة أبى الحسن المثبت فى هذه الطبعة هو سنة ٤٨٣ هـ ولكن صاحب الفوائد البهية قال فى ص ١٢٤ انه توفى عام ٤٨٢ هـ .

٣ ـ أبو اليسر محمد بن محمد ابن عبد الكريم بن موسى بن عيسى البزدوى : أخو على بن محمد السابق ذكره ، برع فى العلوم أصولا وفروعا ، وانتهت اليه رياسة الحنفية بما وراء النهر . قال فى حقه نجم الدين أبو حفص عمر النسفى فى كتابه القند فى ذكر علماء سمرقند : « كان أبو اليسر شيخ أصحابنا بما وراء النهر ، وكان امام الأئمة على الاطلاق ، والوفود اليه من الآفاق ، ملأ الشرق والغرب بتصانيفه فى الأصول والفروع » توفى عام ٤٩٣ هـ . ترجم له ابن قطلوبغا فى تاج التراجم (رقم ١٩٨) وصاحب الفوائد البهية (ص ١٨٨) هذا ولأبى اليسر كتاب أصول الدين وسنتحدث عنه فيما بعد .

٤ ـ أحمد بن محمد بن محمد ابن عبد الكريم بن موسى بن عيسى صدر الأئمة أبو المعالى البزدوى : أخو أبى اليسر ، تفقه على والده ، وسمع من أبى المعين ميمون بن محمد النسفى ، ولقى الأكابر ، وولى القضاء ببخارى مدة ، وكان اماما

فاضلا فقيها مناظرا . توفى بسرخس سنة ٥٤٢ هـ وترجم له صاحب الفوائد البهية (ص ٣٩ ، ٤٠) .

٥ ـ الحسن بن على بن محمد القاضى أبوثابت البزدوى : ولد بسمرقند سنة ٤٧٦ هـ ، ولما مات أبوه على بن محمد ، حمله عمه أبواليسر محمد بن محمد البزدوى الى بخارى . ولما مات ابن عمه أحمد بن محمد القاضى صدر الأئمة ، ولى القضاء ببخارى وبقى على ذلك مدة . ثم انصرف الى بزدوه حيث توفى عام ٥٥٧ هـ . (الفوائد البهية ص ٦٣) .

* * *

لعل خير ما نختتم به الحديث عن علماء بزدوه هو أن نعرض لكتاب أصول الدين بقلم أبى اليسر البزدوى المتوفى عام ٤٩٣ هـ . وقد عنى بتحقيق هذا الكتاب المستشرق الألمانى هانز بيتر لنس Hans Peter Linss اذ قدمه لنيل درجة الدكتوراه فى بلده ، ونشره فى القاهرة سنة ١٩٦٣ م ، ويقع فى مائتين وستين صفحة من القطع المتوسط عدا ٣٢ صفحة مقدمة وفهارس وثلاث صفحات تصدير باللغة الانجليزية .

وكتاب أبى اليسر مماثل فى عنوانه كتاب أصول الدين لأبى منصور عبد القاهر البغدادى المتوفى عام ٤٢٩ هـ . (طبعة استنبول سنة ١٩٢٨ م ويقع فى ٣٤٣ صفحة من القطع المتوسط) والأخير أوسع مادة من كتاب أبى اليسر فقد ذكر البغدادى خمسة عشر أصلا من أصول الدين وقسم كل أصل الى خمس عشرة مسألة فتكون الجملة ٢٢٥ مسألة . أما أبواليسر فقد قسم كتابه الى ست وتسعين مسألة من المسائل الكلامية ثم ذيلها بما يقرب من ٢٤ صفحة تشتمل على موجز فى مقالات الفرق المختلفة .

وذكر أبواليسر فى المقدمة الباعث له على تأليف كتابه وهو أنه وجد كتب المتقدمين التى تناولت علم التوحيد ممتزجة بمسائل الفلسفة

وأنها لذلك تعد مملوءة بالشرك وان كانت وضعت باسم التوحيد ، وعنده أن هذا ينطبق أيضا على كتب المعتزلة التى تثير الشكوك وتوهن الاعتقاد وكذلك كتب المجسمة . ثم أشار الى أن أباالحسن الأشعرى ألف كتبا كثيرة لتصحيح كتب المعتزلة . ثم استدرك قائلا : « ان أصحابنا من أهل السنة والجماعة خطأوا أباالحسن الأشعرى فى بعض المسائل مثل قوله التكوين والمكون واحد » . ولكن المؤلف أباح مع ذلك النظر فى كتبه .

وذكر أبو اليسر كتاب التوحيد لأبى منصور الماتريدى وقال : « ان به قليل انغلاق وتطويلا ، وفى ترتيبه نوع تعسير وانه لولا ذلك لاكتفينا به » . وأضاف : أن بعض أهل سمرقند صنفوا تصانيف فى هذا الباب ولكنها فى نظره غير كافية . ولهذا رأى أن يؤلف كتابا مختصرا فى هذا العلم ليقف عليه العامة والخاصة . ومما حثه أيضا على تأليفه ما ظهر فى بلاده من أقوال أهل الزيغ والبدع .

هذا وقد توخى أبواليسر فى عرض المسائل الست والتسعين التى يشتمل عليها كتابه أن يناقشها وأن يثبت فيها وجهة نظر أهل السنة والجماعة . وطريقة المؤلف فى معالجة الموضوعات الكلامية تحبب القارىء فى قراءة كتابه .

وفيما يلى بعض الملاحظات على تحقيق المحقق للكتاب وتقديمه له :

١ — قال المحقق فى ص ١٠ من المقدمة تحت عنوان سيرة أبى اليسر البزدوى : « روى السمعانى أن البزدوى ولد سنة ٤٢١ هـ . » وبالرجوع الى كتاب السمعانى لم نعثر على ما يقوله المحقق .

٢ — قال المحقق فى ص ١١ من المقدمة : « ولم يذكر البزدوى من أسماء هذه الكتب سوى كتاب المؤجز » بهمز الواو فى المؤجز وليس فى اللغة كلمة مؤجز بالهمز .

٣ — قال المحقق فى نفس الصفحة ، « وكتب عن تاريخ الطرق » . ولم نفهم المراد من تاريخ الطرق .

٤ ـ ذكر المحقق فى ص ١٢ : اسحق بن ابراهيم بن راهويا ـ والصواب ابن راهويه .

٥ ـ ذكر المحقق فى ص ١٢ أن البزدوى كان عند استناده الى الأحاديث النبوية يرجع الى الجامع الصحيح لأبى مسلم والصواب مسلم ، أى مسلم بن الحجاج القشيرى .

٦ ـ يقول المحقق فى ص ١٣ : على نهر يكارتس . ويلاحظ أنه ذكر الاسم الحديث لنهر سيحون الذى كان يعرفه العرب بهذا الاسم وكان يحسن بالمحقق أن يثبت الاسم العربى القديم ولا بأس بعد ذلك من اضافة الاسم الحديث لهذا النهر .

٧ ـ يقول المحقق فى ص ١٤ : « وقد ألف (البزدوى) بجانب أصول الدين أبحاثا قضائية » . والصواب أبحاثا فقهية . ويبدو أن المحقق يخلط بين الفقه والقضاء .

٨ ـ فى ص ١٤ بعد أن ذكر المحقق نجم الدين محمد النسفى (والصواب نجم الدين عمر بن محمد النسفى) قال : انه كان من أكبر علماء القضاء فى عصره . والمراد علماء الفقه والكلام .

٩ ـ اعتمد المحقق فى كتابة سيرة أبى اليسر البزدوى على الترجمة البالغة الايجاز التى أوردها ابن قطلوبغا فى كتابه تاج التراجم ، ولم يحاول التنقيب عنها فى معجمات التراجم الأخرى مثل كتاب الفوائد البهية فى تراجم الحنفية لأبى الحسنات اللكنوى الذى رجعنا اليه . وهناك مرجع آخر عظيم الأهمية فى تراجم العلماء الأحناف وهو كتاب الجواهر المضية فى طبقات الحنفية ، بقلم عبد القادر بن محمد ابن نصر الله أبو محمد محيى الدين القرشى المتوفى عام ٧٧٥ هـ . وقد طبع هذا الكتاب فى مجلدين فى حيدر أباد الدكن سنة ١٣٣٢ هـ .

١٠ ـ لم يعرّف المحقق فى الحواشى بالأعلام غير المشهورة الذين ورد ذكرهم فى كتاب أبى اليسر مثل محمد بن هيصم ،

وعبد الله بن سعيد بن كلاب القطان (ص ٢) كما لم يضبط أسماءهم مثل الاسفزاوى (ص ١) المنسوب الى بلدة أسفزار . وضبطها ياقوت فى معجم البلدان (حـ ١ ص ٢٢٩) بفتح الهمزة وسكون السين ، وتضم الفاء وتكسر ، وزاى وألف وراء . وقال هى مدينة من نواحى سجستان من جهة هراة .

١١ — ومن أخطاء المتن ص ١١: « وكذلك ما يعلم ببداءة العقول من غير رؤية ولا تفكر » .

والصواب : ما يعلم ببداهة العقول من غير روية ولا تفكر .

١٢ — هذا والكتاب يخلو من الحواشى فى ذيل الصفحات مما يدل على أن المحقق لم يخدم النص .

على أن المحقق يلتمس له العذر لأنه غريب على الثقافة العربية . ومع ذلك فاننا نشكر له عنايته بتيسير هذا الكتاب للمشتغلين بدراسة علم الكلام .

عبد العزيز عبد الحق حلمى

احذرى ... !

« احذرى أيتها الشرقية وبالغى فى الحذر ، واجعلى أخص طباعك الحذر وحده .

احذرى تمدن أوربا أن يجعل فضيلتك ثوبا يوسع ويضيق ؛ فلبس الفضيلة على ذلك هو لبسها وخلعها ...

احذرى فنهم الاجتماعى الخبيث الذى يفرض على النساء فى مجالس الرجال أن تؤدى أجسامهن ضريبة الفن ...

احذرى تلك الأنوثة الاجتماعية الظريفة ، انها انتهاء المرأة بغاية الظرف والرقة الى ... الى الفضيحة .

احذرى تلك النسائية الغزلية ؛ انها فى جملتها ترخيص اجتماعى للحرة أن ... تشارك البغى فى نصف عملها .

أيتها الشرقية : احذرى ! احذرى !

« من وحى القلم جـ ١ »

دروس من الإسراء والمعراج

للدكتور رءوف شلبي

من امتيازات خوارق العـــادات فى ظل الدين الخاتم أن المعجـزات لا تمر لتقرع العقل فى حين واحـد من الزمن فتـدك أعناق الجـاحدين وتأخذ بيد المستعدين للهداية وتقوى ايمان الذين صدقوا ، بل ان المعجزات فى ظل الدعـوة الاسـلامية تمتـد وظائفها امتداد الدعوة فتظل تعطى للمؤمنين وغيرهم على السواء دروسا وعبرا كمـا ينحدر المـاء العـذب السلسبيل من علو مرتفـع ثم يمضى فى طريقه ليروى الاكبـار الظـامئة ويسـقى الحقـول المحترقة ويزين الأرض خضرة وبهجة •

ولقد كان حدث الاسراء والمعراج فعلا خارقا للعادة وسـيظل أمرهما فوق تقـدم العـلم والتكنولوجيا فعلا معجزا فى كل شىء لأنه حدث له دلائل يستشف منها دروس تنفع المسلمين ما دام على الأرض انسان يشهد أن لا اله الا الله •

الدرس الأول :

الالتزام والتسليم

والدرس الأول الذى نسـتخلصه من حادث الاسراء والمعـراج هـو الالتزام بمبادىء التصديق الذى أعلنـه المسلم أنه يصـدق محمدا صلى الله عليه وسلم فى تلقيه الوحى والرسالة من عند الله •••

فاذا كانت العقيدة صادقة والتزم صاحبها بالاستمرار فى هذا الصدق تجاه صاحب الرسالة فانه لا يحوله عن هذا التصديق وهـذا الصـدق شىء مهما كانت الأحوال والملابسات

التى تحاول أن تعوق صدقه وايمانه وقد ظهر ذلك جليا فى موقف سيدنا أبى بكر رضى الله تعالى عنه عندما أخبره القوم وهم فى حالة دهشة ، لقد قال لهم : « لئن كان قاله فقد صدق ؟ فما يعجبكم من ذلك ؟ « فوالله انه ليخبرنى أن الخبر ليأتيه من السماء الى الأرض فى ساعة من ليل أو نهار فأصدقه فهذا أبعد مما تعجبون منه » ا • هـ

لقد كان صدق أبى بكر وتصديقه للنبى صلى الله عليه وسلم على مستوى التزم لكل ما يترتب على ذلك التصديق وذاك الصدق من شتى الأمور ، ذلك لأنه استقر فى طمأنينة على أن محمدا صلى الله عليه وسلم رسول الله حقا وصدقا ، فانه يأتيه الوحى وأن خبره صادق ومعصوم • وعلى هذا فكل ما يقوله فهو حق وهو صدق وما عليه بناء على صدقه وتصديقه الا أن يؤمن بمجرد أن يقول محمد صلى الله عليه وسلم خبرا ما غيبيا أو غير غيبى •

واستقر فى علم الدعوة أن الالتزام هو السمة الخاصة فى تربية القيادة للعمل الاسلامى ، وان أى جماعة اسلامية لا تضع فى حسابها أعداد القيادة على هذا المستوى فقد تجافت مع أول الدروس المستفادة من معجزة الاسراء والمعراج •

الدرس الثانى :

وحدة العقيدة وأفراد الله بالعبادة

تقول الروايات المعنية بسرد وقائع الاسراء والمعراج أن النبى صلى الله عليه وسلم صلى بالأنبياء جميعا أماما •

لقد ائتموا به وكان لهم اماما •• من هذه الامامة نستخلص درسا أساسيا مقصودا فى حادث الاسراء والمعراج ذلكم الدرس هو أن عقيدة الأنبياء واحدة ، انهم جميعا يدعون الى توحيد الله تعالى وتنزيهه عن كل ما يغايره ذاتا وصفاتا وأفعالا •

ان الله جل جلاله هو مالك الملك ، وهو وحده خالق كل شىء ، وهو وحده الآخذ بنواصى المخلوقات كلها ، وهو وحده جل شأنه على كل شى حفيظ •

انه وحده الأحد الفرد الصمد الذى لا شريك له ولا ولد ..

لقد اتحدت عقيدة الأنبياء جميعا وصلوا خلف خاتمهم الذى جاء ليصحح ما أفسده الأتباع الذين لم يلتزموا بما يوجبه مبدأ التصديق بالأنبياء ، لقد جاء ليصحح عقيدة التوحيد تلك العقيدة التى حملها جميع الأنبياء الى البشرية يقول الله تعالى :

« واسأل من أرسلنا من قبلك من رسلنا أجعلنا من دون الرحمن آلهة يعبدون » ٤٥ — الزخرف

«وما أسلنا من قبلك من رسول ألا نوحى اليه أنه لا اله الا أنا فاعبدون » ٢٥ — الأنبياء

« قالت رسلهم أفى الله شك فاطر السموات والأرض يدعوكم ليغفر لكم من ذنوبكم ويؤخركم الى أجل مسمى قالوا ان أنتم الا بشر مثلنا تريدون أن تصدونا عما كان يعبد آباؤنا فأتونا بسلطان مبين .

قالت لهم رسلهم ان نحن الا بشر مثلكم ولكن الله يمن على من يشاء من عباده وما كان لنا أن نأتيكم بسلطان الا باذن الله وعلى الله فليتوكل المؤمنون ١٠ — ١١ ابراهيم

وأهمية هذا الدرس أنه يتواءم تماما مع دعوة القرآن الكريم أهل الكتاب والعرب الى تصحيح العقيدة وابطال مزاعم ان لله ولدا سواء كان الولد فى مفهوم العرب الذين قالوا ، ان الملائكة بنات الله ، أو فى مفهوم اليهود الذين قالوا : عزيز ابن الله ، أو فى مفهوم النصارى الذين قالوا : ان عيسى ابن الله فاذا ما وقف أنبياء هذه الأمم مأمومين خلف سيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم فى المسجد الأقصى فقد أعلن أنبياؤهم وحدة العقيدة التى جاءوا بها وأنها هى عقيدة الاسلام التى جاء بها خاتم النبيين سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم ، ويكون ذلك الدرس أساسا لمناقشات طويلة ستأتى مع أهل الكتاب عند انتقال الدعوة من مكة بعد الاسراء والمعراج الى المدينة المنورة التى نزلت فيها الصور الطوال التى تعالج قضية التوحيد مع أهل الكتاب فى سورة آل عمران والمائدة والنساء والبقرة ... الخ .

ووحـدة العقيدة التى نستخلصها دروسا من حادث الاسراء والمعـراج تجعـل من الأمة الاسـلامية رقيبا وحاميا ومنافحـا ووكيـلا عن امام الأنبياء فى حماية وحدانية اللـه فى قلـوب البشر من تأويل الجـاهلين وتشـكيك الضـالين ، والحـاد الشيوعيين ، وتحريف المنتحلين ..

ويبقى فى عنق الأمة الاسلامية وفى مقدمتها علماء الاسلام فى كل قطـر وفى مقدمتهم الأولى علماء الأزهـر بمصر والعـالم الاسلامى .. ويبقى فى عنق هؤلاء جميعا مسئوليةالدفاع عن التوحيد الخالص فى الاعتقـاد والثقـافة والسلوك والاجتماع .. فان العقيدة ليست لفظـا يتفوه به بل هى ركيزة فى القلب تظهر آثارها على السلوك والفكر وحياة المجتمع .

وما أفضلها من وظيفة وما أثقلها من مسئولية لو رعاها العلماء لمـا باتوا يفكرون فى قيم الأرض والمـادة والمنـاصب . ولأحـالوا تفـكير العـداوات والمشـاحنات الى مودة واجتماع يتـآلفون من أجل صـد تيارات الالحاد والتشويش على صفاء العقيـدة ويا ويل قوم يدخلون فى هذا الحديث .

« آفة الدين ثلاثة .. فقيه فاجر ، وامام جائر ، ومجتهد جاهل » .

ولقد حـذر الله الأمة الاسلامية من الاختلاف والشـقاق والتدابير فقال تعالى :

« ولا تنازعوا فتفشلوا وتذهب ريحكم » ويقول النبى صلى اللـه عليه وسلم :

« لا تباغضـوا ولا تحاسـدوا ولا تدابروا وكونوا عباد الله اخوانا ولا يحل لمسلم أن يهجر أخاه فوق ثلاثة أيام » رواه البخارى فى كتاب الأدب .

وانها لدعوة صريحة أوجهها الى علمائنا الأجـلاء لا سيما الشـباب عليـكم بالالتـزام والاتحاد تأسيا بالسلف الصالح لنبنى منا للاسلام جيشـا فكريا فقد استنشر الالحـاد فى وطن الاسلام الأكبر .

الدرس الثالث :

تنفيذ ميثاق الأنبياء

فى الأزل البعيد أخذ الله على الأنبياء ميثاقا غليظا أن ينصروا محمدا ويبشروا به يقول الله تعالى : «واذا أخذ الله ميثاق النبيين لما آتيتكم من كتاب وحكمة ثم جاءكم رسول مصدق لما معكم لتؤمنن به ولتنصرنه قال : أأقررتم وأخذتم على ذلكم اصرى ؟ قالوا أقررنا .. قال : فاشهدوا وأنا معكم من الشاهدين» . ٨١ — آل عمران

قال ابن كثير فى تفسيرها :

قال ابن عباس ومجاهد والربيع ابن أنس وقتادة والسدى : يعنى عهدى .. وقال محمد بن اسحاق أى ميثاقى الشديد المؤكد .. ثم قال ابن كثير :

قال على ابن أبى طالب وابن عمه ابن عباس رضى الله عنهما : «ما بعث الله نبيا من الأنبياء الا أخذ عليه الميثاق لئن بعث الله محمدا وهو حى ليؤمنن به ولينصرنه ، وأمر أن يأخذ الميثاق على أمته لئن بعث محمد وهم أحياء ليؤمنن به ولينصرنه» ا هـ

وقد وثق ابن كثير هذا التفسير بما رواه من أحاديث تفيد أن النبى صلى الله عليه وسلم أكد هذا المعنى فقد روى الامام أحمد عن عبد الرزاق عن جابر الشعبى عن عبد الله بن ثابت قال جاء عمر الى النبى صلى الله عليه وسلم فقال يا رسول الله انى مررت بأخ لى يهودى من قريظة فكتب لى جوامع من التوراة الا أعرضها عليك ؟ قال: فتغير وجه رسول الله صلى الله عليه وسلم قال عبد الله بن ثابت قلت له : ألا ترى ما بوجه رسول لله صلى الله عليه وسلم فقال عمر : رضيت بالله ربا وبالاسلام دينا وبمحمد رسولا قال : فسرى عن النبى صلى الله عليه وسلم قال : والذى نفسى بيده لو أصبح فيكم موسى عليه السلام ثم اتبعتموه وتركتمونى ضللتم انكم حظى من الامم وأنا حظكم من النبيين .

يقول ابن كثير : فالرسول محمد خاتم الأنبياء صلوات الله وسلامه

عليه دائما الى يوم الدين ، هو الامام الأعظم الذى لو وجد فى أى عصر وجد لكان هو الواجب الطاعة المقدم على الأنبياء كلهم وبهذا كان امامهم ليلة الاسراء لما اجتمعوا فى بيت المقدس .

ومن رحمات الله التى لا تحصى هيأ الله لأنبيائه الذين أخذ عليهم الميثاق فرصة لتنفيذه فجمعهم الله على وفق علمه وارادته وقدرته فى بيت المقدس لأنه طاهر يومذاك من الأوثان والأصنام وليس غيره بعد المسجد الحرام مسجد وهو مسجد بناه نبى من الأنبياء الذين يصطفون فى الصلاة خلف سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم وعلى جميع الأنبياء والمرسلين .. من أجل أن يعلنوا بصورة عملية أنهم صدقوا محمدا وآزروه فقد حملوا أخباره الى حواريهم كما ينص القرآن فيما بعد حادث الاسراء والمعراج على هذا ، اذ يقول الله تعالى :

« يعرفونه كما يعرفون أبناءهم وان فريقا منهم ليكتمون الحق وهم يعلمون » .

وتكون الارهاصات السابقة على الرسالة التى لمح بها بحيرا ونسطورا من الدلائل التى تصدق ميثاق الأنبياء الذى قطعوه مع الله أن ينصروا محمدا وينشروا أخباره بين أممهم ليصدقوه أن أدركوه ..

وآية تنفيذ هذا الميثاق ان الأمة الاسلامية هى الحفيظة على ميراث الأنبياء جميعا ، وانها الأمة التى من حقها أن تجعل من نفسها المدافع عن كرامة الأنبياء ، ولهذا خصها الله بخواتم البقرة :

« آمن الرسول بما أنزل اليه من ربه والمؤمنون كل آمن بالله وملائكته وكتبه ورسله لا نفرق بين أحد من رسله وقالوا سمعنا وأطعنا غفرانك ربنا واليك المصير » ٢٨٥ ـ البقرة .

فنحن أولى الناس جميعا بعيسى ابن مريم وموسى ، وهارون ، نضعهم فى موضع النبوة الصحيح لا افراط ولا تفريط .

الدرس الرابع :

الاعتراف بخاتم الرسالة والنبوة

لقد تمت تجربة هداية البشر بمناهج عدة بعث الله بها الرسل

وكان آخر هـذه المناهج هو منهج الرسالة الاسلامية التى حملها سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم وهـو منهج شـامل يحـاول أن يصحح أخطاء الذين مضوا من الأمم •

« ثم جعلناك على شريعة من الأمر فاتبعهـا ولا تتبـع أهـواء الذين لا يعلمون » ١٨ ـ الجاثية •

وأهواء الذين لايعلمون هى التى جعلت من منهاج الدعوة الاسلامية «قيما» على ماسبق من الرسـالات يقول الله تعالى :

«وما تفرقوا الا من بعد ما جاءهم العلم بغيا بينهم ولولا كلمة سبقت من ربك الى أجـل مسـمى لقضى بينهم وان الذين أورثوا الكتاب من بعدهم لفى شك منه مريب ، فلذلك فادع واستقم كما أمرت ولا تتبـع أهواءهم وقل آمنت بما أنزل اللـه من كتاب وأمرت لأعدل بينكم ، الله ربنا وربكم لنا أعمالنا ولكم أعمالكم لا حجة بيننا وبينكم الله يجمع بيننا واليه المصير» ١٤ ـ ١٥ الشورى•

فهل بعد هذا المنهج تحتاج البشرية الى شىء سواه ؟ كان لا بد من اعلان ذلك صريحـا ، وكان الاعـلان من الاتباع بقول لكنه ليس هو الأصل فى الموضوع اذ أصحاب الرسالات هم الأحق بالشهادة على أن البشرية لا تحتاج من بعد سيدنا محمد صلى الله عليـه وسلم الى نبى ولا الى رسول •• فكانت معجـزة الاسراء والمعراج ليلتقى النبى صلى الله عليه وسلم بهـم أماما فيعلنوا له التبعية ويستقبلوه حيث وضـعهم اللـه فى سماواته العليا ليقـولوا له مقـالة واحدة فيما يرويه البخارى: (مرحبا بالنبى الصالح والأخ الصالح أومرحبا بالنبى الصالح والابن الصالح) •

فأى نبى يستحق الابتعاث للخليقة من بعد محمد صلى الله عليه وسلم الذى أسرى به وعرج به الى السماء وتهيأت له الأكـوان فرحا وحبـا وانسـجاما ، وتغيرت له الأجـواء والسموات وقـوانين الـكون عزة وابتهاجا •

والدرس المستفاد من الاسراء والمعراج أن الأنبياء جميعا فى بيت المقدس ، وفى السموات العلا قد اعترفوا بأن محمدا صلى الله عليه وسلم هو خاتم الأنبياء وهو خاتم المرسلين ٠٠ وليس من بعد منهجه منهج آخر تحتاج اليه البشرية الى يوم الدين ٠

الدرس الخامس :

تمام التصور للتشريع مستقبلا

من الامتيازات الخاصة بالتشريع الاسلامى انه يأتى فى غالب أحكامه بناء على حاجات الأمة :

قال تعالى: «يسألونك عن الخمر والميسر» «يسألونك عن اليتامى٠٠» « يسألونك عن الشهر الحرام ٠٠» والقوانين تستمد احترامها من اقتناع المجتمع بها والمحافظة على احترام القوانين تصدر من ثقة الأمة فى عدالتها وتحقيق آمالها ٠

والتشريع الاسلامى يحافظ على هذه الامتيازات فكان تدرج الأحكام وكان تدرج الحكم الواحد على عدة مراحل توطئة لاستقرار تام للحكم حسبما يرغب المسلمون دون شعور مستقبلا فى التمرد عليه ٠

وقد عافانا الله تعالى من تجارب الأمم السابقة يقول الله تعالى :

« يريد الله ليبين لكم ويهديكم سنن الذين من قبلكم ويتوب عليكم والله عليم حكيم » ٢٦ ــ النساء ٠

والدرس المستفاد من الاسراء والمعراج فى هذا المجال هو للمرائى التى رآها سيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم ٠٠

لقد رأى : ملكا بيده صخرة يضرب بها هامة الآدمى فيقع دماغه جانبا وتقع الصخرة جانبا ان ذلك مثال للذين ينامون عن صلاة العشاء الآخرة ويصلون الصلوات لغير أوقاتها ٠

٠ ورأى ملكا بيده كلوب ــ بتشديد اللام ــ من حديد يضعه فى شدق آدمى حتى ينتهى الى أذنه ٠

وذلك مثال الذين يمشون بين المؤمنين بالنميمة ليفرقوا بينهم ٠٠

• ورأى نهرا من دم يفور كالمرجل وعلى حافتيه ملائكة بأيديهم نار كلما طلع طالع قذفوه بها فيقع فى النهر فيشتعل الى أسفل ذلك النهر انه مثال للذين أكلوا الربا •

• ورأى بيتا أسفله أضيق من أعلاه وفيه قوم عداة تفور من تحتهم النار ، وقد أمسك النبى صلى الله عليه وسلم بأنفه من نتن ما وجده من ريحهم •

وذلك مثال للزناة ، انه مثال نتن فروجهم التى تلذذت بالحرام عن الحلال •

• ومر النبى صلى الله عليه وسلم بتل أسود عليه قوم محنيون تنفخ النار فى أدبارهم فتخرج من أفواههم ومناخرهم وآذانهم وأعينهم • وهو مثال للذين يعملون عمل قوم لوط •

• ومر كذلك بنار مطبقة موكل بها ملك لا يخرج منها شىء الا اتبعه حتى يعيده فيها ••

وهو مثال لنار جهنم •

• وعلى النقيض من ذلك رأى الرسول صلى الله عليه وسلم روضة خضراء فيها رجل جميل حوله الولدان فهى صورة لحياة سيدنا ابراهيم •

• ورأى شجرة ورقها كآذان الفيلة وتلك صورة منازل النبيين والصديقيين والشهداء والصالحين •

• ورأى نهرا عليه جسر من ذهب وفضة وعلى حافة النهر منازل لا منازل أحسن منها وهذا هو حوض (الكوثر) الذى أعطاه الله له وحواليه منازل أمته عليه أفضل الصلاة والسلام •

هذه المرائى لها أهمية فى التشريع هى أن الرسول صلى الله عليه وسلم يوم أن ينتقل الى المدينة المنورة ويصبح عدد المسلمين كبيرا وكثيرا سوف يحتاجه المجتمع الى نوع من التشريع يضبط السلوك فكانت هذه المرائى •

١ ــ ليكون التشريع منطلقا من رؤية بواقع فلا يكون التشريع نابعا من فراغ كما تكون القــوانين الوضعية .

٢ ــ لتكون التشريعات متناسبة مع ظروف المجتمع النفسية والعقدية .

٣ ــ لتكون التوعية الاجتماعية واعية فترتبط بين الشخصية الاسلامية فى الدارين الدنيا والآخرى .

٤ ــ لتبقى آيات صــدق النبوة مســتمرة اذ لم يتحــول السلوك الاجتماعى عن الصورة التى رآهــا سيدنا رسول الله صلى الله عليــه وسلم .

٥ ــ لبيان أن أحــكام القــرآن الكريم جاءت لعلاج أمــور تظهــر تلقائيا فى المجتمع ، وان علاج هذه الأمــراض الاجتماعية لا يكون الا بعلاج قرآنى لأنه هو الذى فيه للناس شفاء .

والدرس المســتفاد أن التشريع الاسلامى هــو الذى يضمن سلامة الحيــاة الاجتماعية ، وأن الطمأنينة التى يبحث عنها الانسان فى الدنيــا وفى الآخرة انما هى فقط فى التشريع الاسلامى الحنيف ..

الدرس السادس :

مستوى العلاقة بين الله ورسوله

فى الحياة العادية يجد الناس عدة أنواع من مستويات العلاقات وكلها تخضع لمستوى الطرفين فى الأحوال الاجتماعية والفكرية .

ومع أن القرآن الكريم استفاض فى توضيح بشرية النبى صلى اللــه عليه وسلم فقال الله تعالى :

• ألم يجدك يتيما فآوى .

• فانك بأعيننا .

• وانك لعلى خلق عظيم .

• قد جاءكم من الله نور وكتاب مبين .

• يا أيها النبى انا أرسلناك شاهدا ومبشرا ونذيرا ، وداعيا الى الله باذنه وسراجا منيرا .

• قل انما أنا بشر مثلكم يوحى الى .

فبشرية الرسول صلى الله عليه وسلم ليست كبشرية الناس لأن الناس العاديين معادن ، فما بالنا بالنبوة ؟ كيف تكون بشريتها ؟

ولقد وصفها الله فى اطار رعايته وتأديبه واحسانه وفضله ووحيه •

ووصفها بأنها بشرية نورانية وان صاحبهما نور ، وانه سراج منير •

ولكن العلماء خاضوا فى أحاديث شتى فيما يتعلق بالاسراء والمعراج •

هل كانا بالروح والجسد معا أو كان الاسراء بهما معا والمعراج بالروح فقط •• الخ •

ولقد نسى العلماء أن الفعل موضوع فى الدائرة الالهية «سبحان الذى أسرى بعبده » •• فكان ينبغى أن يدرك العلماء أن الاسراء موضوع فى جو فاعلية الخالق الذى اذا أراد شيئا قال له : كن فيكون•

وعلى هذا الأساس فالاسراء والمعراج كانا بالنبى صلى الله عليه وسلم لأن الله اصطفاه للرسالة وخلقه مهيئا لكل ظروفها ان فى الأرض أو فى السماء ان فى النوم أو فى اليقظة •

وهذه البشرية النبوية لا ينبغى أن يخرج عنها النبى صلى الله عليه وسلم فى أية مرحلة من مراحل الرسالة •

فهو نبى ببشريته النبوية قبل الاسراء وهو كذلك عند الاسراء وعند المعراج •

وهو كذلك بعد الاسراء وبعد المعراج •

والذين يتصورون أن النبى صلى الله عليه وسلم عرج به الى السماء بقانون خاص غير قانون بشريته النبوية يصطدمون مع نص صريح فى القرآن ويقعون فى خطأ جسيم تردى فيه مانعو الرسالة للبشر المصطفى ذلك أن الله سبحانه وتعالى وهو يرد على الكفار مقالتهم:

وقالوا لولا أنزل عليه ملك ؟

قال الله تعالى لهم :

• ولو أنزلنا ملكا لقضى الأمر ثم لا ينظرون •

• ولو جعلناه ملكا لجعلناه رجلا وللبسنا عليهم ما يلبسون •

٨ – ٩ الأنعام

فالقرآن يقطع بأن الأنبياء لا بد وأن يكونوا من البشر ؟ لأن وظيفة الملائكة مع البشر غير وظيفة الأنبياء مع الناس ولو تنزلت السماء على اقتراح أهل الأرض فجعلت الرسول ملكا لما صح أن يكون محلا لحمل الأحكام اذ الأحكام الشرعية تحتاج الى القيادة والقدوة والأسوة فكان الله يجعل الملك رجلا ليصح التكليف والارسال فلو خرج النبى صلى الله عليه وسلم ليلة المعراج عن بشريته النبوية التى بها يتلقى الوحى عن الله فكيف يتحمل فرضا لتنظيم الصلوات خمس مرات فى اليوم والليلة ..

أيتلقاها بملائكيته المستحدثة فيه؟ أم يتلقاها ببشرية مؤقتة بعد الملائكية التى عرج بها ؟

ولماذا نخرج الرسول صلى الله عليه وسلم من بشريته النبوية ألنسهل على الناس تصور وقوع المعراج ؟ •

ان هذا الأمر لا ينبغى فى تصور أمر خارق للعادة •

فالأمور الخارقة للعادة لا تبسط وانما يجب الايمان بها كما أخبر عنها المعصوم المرسل من قبل الله تعالى..

والذى يؤكد الاعجاز فى معجزة الاسراء والمعراج هو تغيير المسار فى طريق المعراج فالله تعالى يغير قوانين الكون فى المسار الذى يمر فيه موكب النور تكريما للنبى المصطفى الخاتم وابقاء على بشريته النبوية التى بها يتلقى الوحى عن الله ، والتى بها بعث للعالمين رحمة ونورا وسراجا منيرا •

ويكون ذلك أبلغ فى تصوير معجزة الاسراء والمعراج – لقد

غير الله الكون فى مسار موكب المعراج تكريما لنبيه وضيف حضرته العلية .

وهذا أجل من تغيير النبى بحيث يتلاءم مع قوانين الطبيعة والكون لأن آية التكريم والاعجاز تكمن فى تغيير قوانين الكون من أجل مسرى سيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم ومعراجه لا أنه هو الذى يتغير .

اذ لو تغير لحق للذين قالوا : أبعث الله بشرا رسولا أن يعترضوا ولقد أكد القرآن الكريم على لسان جميع الرسل رد هذا الاعتراض باثبات البشرية لهم ، قال الله تعالى :

قالت لهم رسلهم ان نحن الا بشر مثلكم ولكن الله يمن على من يشاء من عباده وما كان لنا أن نأتيكم بسلطان الا باذن الله وعلى الله فليتوكل المؤمنون . (١٧ـ ابراهيم)

والذين يصعدون الى القمر لا يغيرون ذواتهم وانما يغيرون البيئة المحيطة بهم حتى تتلاءم ذواتهم العادية مع البيئة القمرية .

أليس الله ورسوله أولى بالحفاظ على ذات النبى صلى الله عليه وسلم وتغيير قوانين الكون لمعراج رسوله المصطفى .

بل أليس للكون الذى تجلى بهجة ليلة مولده الشريف أن يأنس بسراه ومعراجه فيتبدل له تكريما لموكبه اليتيم .

ان الدرس الذى نستفيده من الاسراء والمعراج فيما يتعلق بادراك العلاقة بين الله جل شأنه وحبيبه محمد صلى الله عليه وسلم هو أن الله اصطفاه وجعله رحمة للعاملين فليس للعقل أن يحدد هذه العلاقة الا فى اطار النصوص التى تجعل من بشرية الرسول صلى الله عليه وسلم بشرية النبى المصطفى الذى اختاره الله للعالمين بشيرا ..

وبالله التوفيق .

د. رءوف شلبى

في مناسبة مرور ثمانين عاما
على وفاة السيد جمال الدين

الوطن عند السيد جمال الدين المشهور بالأفغاني

للدكتور محمد السعيد جمال الدين

لم يختلف الناس حول شخصية من الشخصيات قدر اختلافهم فى نسبة السيد جمال الدين وفى موطنه، فهو جمال الدين الافغانى عند البعض والأسد أبادى الايرانى عند البعض الآخر، بينما ينظر اليه أناس على أنه تركى من استنبول .

ولقد كان هذا الاختلاف سببا فى وجود أشكال عديدة لاسم هذا الرجل العبقرى الفذ، قد تصل الى أربعة عشر شكلا، فهو يسمى :

جمال، وجمال الدين، وجمال الدين الاستنبولى، وجمال الدين الأسد أبادى، وجمال الدين الحسين، وجمال الدين، الحسين الاستنبولى، وجمال الدين الحسين الأفغانى الكابلى، وجمال الدين الحسين الأفغانى، وجمال الدين الحسين الرومى، (نسبة الى بلاد الروم، وهى آسيا الصغرى) وجمال الدين الحسين الطوسى، وجمال الدين الحسين الكابلى، وجمال الدين السعد آبادى (١) . وغير ذلك من الأشكال التى ان دلت على شيء فانما تدل على أن السيد جمال الدين منسوب الى أكثر من بلد، فهو منسوب الى تركيا، والى ايران، والى افغانستان، بل هو ينتسب الى أكثر من مدينة فى البلد الواحد .

---

(١) أنظر : أصغر مهدوى، ايرج افشار : مجموعة اسناد ومدارك جاب نشده دربارة سيد جمال الدين مشهور به أفغانى، شهران ١٣٤٢ هـ.ش. ص ١٥٨ .

حقا ، لقد طاب للسيد جمال الدين أن يشتهر بالافغانى ، لكنه أكد بصورة عملية وبتنقلاته الكثيرة فى بلدان العالم الاسلامى وفى أوربا وآسيا ، انه انسان لا يحده وطن ولا يحتويه مكان ، وأن العالم كله من شرق وغرب وطن له .

وكان حريصا على أن يلقب بالسيد للدلالة على كونه ينتمى الى تلك العترة الطاهرة التى تصل فى نهايتها الى أهل بيت رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ولكى يؤكد أنه فوق الخلافات المذهبية وأنه انما يستمد عقيدته ومذهبه من مصدر الالهام المتجدد على الدوام من القرآن الكريم ، ومن سيرة جده المصطفى عليه الصلاة والسلام .

لم يكن السيد جمال الدين الذى وقف حياته على ايقاظ الأمة الاسلامية وعلى أحكام وسائل الربط بين شعوبها ، معنيا بالتجزئة والتفرقة ، وانما كانت عنايته بالوحدة والشمول .

يقول هو عن نفسه « لقد جمعت ما تفرق من الفكر ، ولمت شعث التصور ، ونظرت الى الشرق وأهله .. وهكذا كل صقع ودولة من دول الاسلام وما آل اليه أمرهم . فالشرق الشرق ، فخصصت جهاز دماغى لتشخيص دائه وتحرى دوائه ، فوجدت أقتل داء انقسام أهله وتشتت آرائهم ، واختلافهم على الاتحاد واتحادهم على الاختلاف فعملت على توحيد كلمتهم .. الخ [1] .

والسيد جمال الدين الى جانب سعيه نحو الوحدة الاسلامية لم تكن تهمه الأوطان قدر ما كان يهمه الانسان ، وقدر ما كانت تهمه صياغة الانسان .

فعندما قدم السيد جمال الدين الى مصر ، أقبل اقبال السحاب على

---

(١) خاطرات جمال الدين لمحمد باشا المخزومى .

الأرض المستعدة ، ما لبثت بعد أن نزل المطر أن أنبتت نباتا حسنا أخذ يتكاثر شيئا فشيئا حتى ملأ جنبات وادى النيل . لقد كان هناك عند قدوم الافغانى الى مصر عدد من الشباب الباحث عن الحقيقة ، التواق الى المعرفة ، يحس فى نفسه بتعطش لا يجد من يرويه ، وحزن لا يعثر على من يسليه . فلما جاء السيد وجدوا فيه طلبتهم ، فأنسوا اليه والتفوا حوله ووثقوا فيه وأسلموا جنانهم له ، فصاغ منهم رجالا يندر أن يأتى بمثلهم الزمان .

يقول الشيخ محمد عبده فى مقدمة رسالة بعث بها الى السيد جمال الدين بعد خروجه من مصر : « ليتنى كنت أعلم ماذا أكتب لك ، وأنت تعلم ما فى نفسى كما تعلم ما فى نفسك ، صنعتنا بيديك ، وأفضت على موادنا صورها الكمالية ، وأنشأتنا فى أحسن تقويم ، فبك عرفنا أنفسنا ، وبك عرفناك ، وبك عرفنا العالم أجمعين (١) » .

كان همه منصرفا اذن الى صياغة الانسان وتربية جيل جديد ، جيل يمضى ــ كما يقول الشيخ محمد عبده ــ يمضى على مقتضى منهج السيد جمال الدين « سعيا فى الخير واعلاء لكلمة الحق وتأييدا لشوكة الحكمة وسلطان الفضيلة (٢) » .

أما مسألة الانتساب الى وطن من الأوطان فلم تشغل بال السيد جمال الدين كثيرا ، فالعالم كله وطن له ، لأنه انسان ، والانسان هو سيد المكان ، وليس المكان سيدا للانسان .

ولقد فهم السيد رسالته « وما تتطلب من جهاد ، وما تقتضيه من أعباء ، فلم يرتبط بأسرة ، ولم يستعبده مال ، وعاش لأفكاره ومبادئه ، تكفيه أكلة واحدة فى اليوم كله (٣) » ويروى محمد باشا

---

(١) مجموعة اسناد ومدارك .. تصوير ١٣٤ .
(٢) أيضا .
(٣) أحمد أمين : زعماء الاصلاح فى العصر الحديث ، طبع مصر ١٩٤٨

المخزومى فى كتابه « خاطرات جمال الدين » أن السلطان العثمانى عبد الحميد ، استدعى السيد الى الاستانة سنة ١٨٩٢ ، فوصل اليها وكان فى انتظاره الياور السلطانى ، فسأله : أين صناديقك أيها السيد ؟ فقال : ليس معى غير صناديق الثياب وصناديق الكتب . فقال الياور : حسنا ! أين هى ؟ فقال السيد : صناديق الكتب هنا (وأشار الى صدره) ، وصناديق الثياب هنا (وأشار الى جبته) .

وقد قال « كنت أول عهدى أستصحب جبة ثانية ، ولكن لما توالى النفى صرت أستثقل الجبة الثانية ، فأترك التى على الى أن تخلق (يعنى الى أن تبلى) فأستبدل بها غيرها » .

وهكذا لم يربط السيد جمال الدين نفسه بشىء من متاع الدنيا حتى يكون حرا طليقا لا تقيده قيود أو تحده حدود .

يقول الشيخ عبد القادر المغربى أحد تلامذة السيد فى كتاب أصدره بعنوان : « جمال الدين الأفغانى — ذكريات وأحاديث » كان السلطان العثمانى يريد أن يجعل «الاستانة» وطنا للسيد ، ولكن كان هذا أمر لا محصل له فى نظر السيد جمال الدين : لأن الاسلام بطبيعته يعلم بأن بلاد الاسلام مهما اتسعت رقعتها . وترامت أطرافها تكون كل قرية أو بقعة منها وطنا للمسلم الذى ينزلها . فأهلها اخوته ، وحكومتها حكومته ، ويعنيه من أمرها ما يعنى سكانها أنفسهم ، فله أن يشتغل بسياستها ، وينقد حكامها ، ويرفع صوته بالأمر بالمعروف والنهى عن المنكر فيها . وهذا ما كان من جمال الدين طول حياته التى عاشها ، فقد كان أفغانيا فى الأفغان ، ايرانيا فى ايران ، هنديا فى الهند ، حجازيا مصريا فى الحجاز ومصر ، تركيا فى بلاد الترك . وكان اذا سئل السيد عن وطنه أجاب : « ليس لى وطن ، على أنه لا وطن اليوم للمسلمين . يشير بهذا الى أنهم غرباء فى أوطانهم ما دام الأجانب مسيطرون عليهم . لا جرم أن شيخنا الأفغانى كان فى حياته

وجولاته فى بلاد الاسلام رمزا قائما بنفسه الى وحدة الممالك الاسلامية وأن سكانها شعب واحد ، يعيشون فى وطن واحـد . ولذا كان أكبر غرض يسعى اليه هو اقامة حكومة اسلامية قوية ينضوى الى رايتها جميع شعوب الاسلام هذا كانهمه الأكبر ، وهدفه الأعظم .. الخ(١).

ولقد أدرك المفكر الاسـلامى الـكبير محمد اقبـال هذا الجانب الانسـانى فى دعوة السـيد جمال الدين الاصلاحية ، فنظم فيه أشعارا جميلة رائعة أحاطت بفكر الأفغانى وجمعت أطرافه . وقد نظم اقبـال هذه الأشعار فى مشهد من مشاهد منظومته الفارسية « جاويد نامة » «أو رسالة لخلودى حيث تخيل نفسه وهو يلتقى بالسـيد جمال الدين فيحدثه السيد عن روح الاسـلام العالمية وعن المخاطر التى تنطـوى عليهـا ظاهرة الوطنيـة ، وعن أنها ظاهـرة دخيلة على المسـلمين أتت اليهم من الغرب ، يقول جمال الدين لاقبـال :

ان سـادة الغرب ــ وكلهم مكر وخداع ــ علموا المسلمين البعد عن الدين ، وعن روحه العالمية .

ان الغربيين يفكرون فى المركزية ، ويسعون نحو الوحـدة ، ولكنكم ــ معشر المسـلمين ــ تفكرون فى الانقسام والتجزؤ . قل لى بربك .. ما معنى الشام وفلسطين والعراق ؟ ليس لهـذه المناطق معـنى الا فى الحظيرة الاسلامية . فليس ثمـة اختلاف بين شعوبها .

لو كان فى مقدورك أن تميز بين الخـير والشر ، لمـا ربطت قلبك بالطوب والحجر والآجر » .

ما الدين ؟ هو السمو عن وجـه التراب ، والتعـالى على الماديات ، لكى يتعرف الانسـان على ما بين جوانحه من روح طاهرة بريئة من أوضار المـادة .

ان من قال « هو الله » لايحتويه هذا النظـام الكونى ذو الأبعـاد فالروح لاتحتويها الجهات ، والرجل الحر بمنأى عن كل قيـد .

---

(١) عبد القادر المغربى : جمـال الدين الأفغانى ذكريات وأحاديث ، طبع مصر سنة ١٩٤٨ ص ٥٢ .

ان الرجل الحر ينهض صائحا من التراب المظلم ، والصقر لا يليق به أن يكون فأرا .

اذ أن المؤمن ينفر بفطرته من العلائق المادية ولا يقضى حياته فى الجحور كالفئران وانما يحلق عاليا فى السماء شأنه شأن الصقر ، لا تحده حدود .

يواصل الأفغانى حديثه الى اقبال عن الوطنية موضحا أنه بذلك لا ينادى بطرح محبة الوطن ، ولا يدعو الى التخلى عن الدفاع عنه والذود عن حياضه ، فهذا شىء أبعد ما يكون عن مقصده ، انما هو يتحدث عن الوطنية فحسب باعتبارها نظريةللحياة قائمة بذاتها . فيقول :

سأحدثك عن تلك القبضة من التراب التى سميتها الوطن ، أو ما يقال عنه مصر وايران واليمن .

فهناك علاقة بين الوطن والشعب ، فمن تربته نما هذا الشعب . لكنك اذا دققت النظر فى هذه العلاقة فستجد أن ثمت حقيقة أدق من الشعرة . ولأضرب لك مثلا يسيرا بالشمس . فرغم أن الشمس تشرق من المشرق ، مجلية نفسها فى جرأة وتألق فانها تظل تحترق وتتوهج بما فيها من نار داخلية حتى تفر من قيد المشرق والمغرب ، وتقف فى كبد السماء عند انتصاف النهار فتصبح لا شرقية ولا غربية » .

« انها بزغت من مشرقها ثملة بالتجلى ، لكنها ظلت تواصل سيرها الحثيث ، الى أن استولت على الآفاق كلها عند انتصاف النهار وسيطرت من عل على الشرق والغرب ، ففطرة الشمس اذن بريئة عن الشرق وعن الغرب برغم كونها «مشرقية» على سبيل النسبة (١)» .

كذلك كان السيد جمال الدين ، منسوبا الى وطن من الأوطان الاسلامية ، لكن فطرته كانت كفطرة الشمس لا هى شرقية ولا هى غربية وانما عالمية ، وقد كان العالم كله وطنا له .

د : محمد السعيد جمال الدين

---

(١) محمد اقبال : رسالة الخلود أوجاويدنامة ، ترجمة الدكتور محمد السعيد جمال الدين طبع مصر سنة ١٩٧٤ ص ١٤٤ — ١٤٥ .

بلاغة الأسلوب النبوى

للأستاذ الشيخ منشاوى عثمان عبود

اختار الله تعالى أفرادا من صفوة البشر ، وأرسلهم الى عبادة ، وحملهم أمانة التبليغ عنه ، والدعوة الى دينه ، واخلاص العبادة له سبحانه ، والاستمساك بهديه القويم ، وسلوك صراطه المستقيم ، وتبشير من استجاب بحسن الثواب وانذار من أعرض بسوء العقاب •

وأداء هذه المهمة السامية لايكون الا بأن يتوفر لكل رسول القدرة على صحيح البيان ، وحسن الأداء، وفصاحة اللسان ، وبلاغة المقال ، ووضوح الحجة ، وقوة البرهان •

من أجل هذا طلب أحد الرسل ـ عليهم الصلاة والسلام ـ من ربه أن يطلق لسانه لينطق بالكلام المستبين ، والقول السديد ، كى تصدقه العقول ، وتذعن لدعوته القلوب ، ـ وطلب أيضا ارسال أخيه معه باعتبار أنه أفصح منه لسانا ، وأقوى بيانا ، ليكون له عضدا أو نصيرا فى مواقف الجدال والحجاج •

قال تعالى على لسان موسى عليه الصلاة والسلام ـ عندما أرسله ربه الى فرعون وقومه ـ : « رب اشرح لى صدرى ويسر لى أمرى • واحلل عقدة من لسانى • يفقهوا قولى • واجعلى وزيرا من أهلى • هرون أخى • اشدد به أزرى • وأشركه فى أمرى »(١) •

وقال تعالى على لسان موسى أيضا ـ فى بيان وجه حاجته الى أخيه : « وأخى هرون هو أفصح منى لسانا فأرسله معى ردءا يصدقنى انى أخاف أن يكذبون »(٢) •

---

(١) سورة طه ٢٠ الآيات من ٢٥ ـ ٣٢ •
(٢) سورة القصص ٢٨ آية ٣٤ •

فليس مراد سيدنا موسى أن يقول له سيدنا هرون ــ فى حال تكذيب القوم له : صدقت ، لأن هذا القول لا يقتضى انسانا فصيحا، اذ يقدر عليه الفصيح وغيره .

وانما المراد أن يعاونه باقامة الحجج ، والرد على شبه المبطلين والمنحرفين ، والانتصار على الطغاة والمفسدين .

جاء فى كتاب مدارك التنزيل وحقائق التأويل ــ عند تفسير قوله تعالى : « وأخى هرون هو أفصح منى لسانا فأرسله » الآية.. ما نصه :

« معنى تصديق موسى اعانته اياه بزيادة البيان فى مظان الجدال ان احتاج اليه ليثبت دعواه ، لا أن يقول له : صدقت ، ألا ترى الى قوله : « هو أفصح منى لسانا فأرسله » وفضل الفصاحة انما يحتاج اليه لتقرير البرهان ، لا لقوله : صدقت ، فسحبان وباقل فيه يستويان » اهـ .

واذا كانت بلاغة القول أمرا لازما بالنسبة لكل رسول من الرسل السابقين ــ فهى بالنسبة لرسولنا الأكرم أشد لزوما ، وأقوى حاجة ، وأعظم أثرا .

ولا يخالج المؤمن ريب فى أن رسولنا صلوات الله وسلامه عليه كان المثل الأعلى فى فصاحة اللسان، وبلاغة القول ، وروعة البيان ، فان هذا تقتضيه حكمة العلى الكبير ، ويتطلبه مقام الرسول الكريم ــ فقد اصطفاه ربه لحمل رسالة عامة خالدة ، فكان لابد أن يمنحه مقوماتها وخصائصها ، ويهبه وسائل تبليغها والاقناع بها ، والنهوض بأعبائها ، بعثه فى أمة عربية تعتز بالفصاحة ، وتتبارى فى البلاغة ، وتمجد البيان ، فتسموا بأهل الاجادة والبراعة فيه الى أعلى مناصب الرفعة والتكريم ، فاقتضت الحكمة الالهية أن يؤيد الرسول بالمعجزة الباهرة ، وأن تكون تلك المعجزة من جنس ما يشغل فراغ القوم ، ويأخذ بألبابهم ، فأنزل عليه القرآن الكريم ، فبهرهم بجزالة

المعنى ، وفخامة اللفظ ، وحسن السياق واحكام النظم ، فخر أئمة البيان صاغرين أمام روعته ، وأذعنوا لاعجازه ، واقتضت الحكمة الالهية أيضا أن يكون هذا الذى أنزل عليه القرآن المعجز فى درجة من البيان ، تلى ذلك الكتاب الكريم ، ليستطيع أن يبلغه فى صورة مشرقة ، يحدد أهدافه ، ويبين مقاصده ، ويقذف بحقه على أباطيل خصومه ، ويفند بالقول البليغ ، والبرهان الساطع ما يثيره الصادون عنه من شكوك وشبهات .

وبهذا المنهج النبوى القويم نفذت هداية القرآن الى العقول الرشيدة فأشرقت بنوره ، واستجابت لتعاليمه ، وصار يغزو القلوب متحكما فيها ، والضمائر مهيمنا عليها — وكما قلنا فى صدر المقال لابد من فصاحة اللسان لكل نبى فى نجاح دعوته ، لأن أعداء الأنبياء انما يعتمدون فى الكيد لهم على القول والخداع والأسلوب البراق ، والبيان الساحر ، قال تعالى :

« وكذلك جعلنا لكل نبى عدوا شياطين الانس والجن يوحى بعضهم الى بعض زخرف القول غرورا »(١) .

واذا كان هذا شعار الأعداء فى كل زمان فهم فى عصر الفصاحة والبيان أشد سحرا ، وأكبر خطرا ، وأقدر على الخديعة ، وأقوى على التلبيس ، فكان لابد أن يمنح رسولنا الكريم طاقة قوية باهرة من فصاحة اللسان ، وبلاغة القول يصير بها متفوقا على الفصحاء والبلغاء ليتمكن من الصمود أمام هؤلاء الأعداء ، فيرد على افكهم ومفترياتهم ، ويكشف عن غيهم وعتوهم ، ويحذر مما زينوه للناس من الباطل الأثيم والضلال البعيد . من أجل هذا أتم الله تعالى على رسوله الأعظم نعمة البيان ومنحه من أسبابها ما لم يمنحه غيره .

فمن هذه الأسباب أنه من قريش وهى بين القبائل العربية فى الذروة من الفصاحة ، ومنها أنه نشأ فى

---

(١) سورة الأنعام ٦ آية ١١٢ .

البادية ، فقد كانت رضاعته فى بنى سعد بن بكر ، وهم من أفصح القبائل ، ولا يجهل عربى ما للبادية من أثر فى تقويم الألسنة ، وطبع الملكات على صحيح البيان — ومنها أن الله تعالى علمه لهجات العرب كلها ، فكان يخاطب كل قبيلة بلهجتها ، فيبزها فيها،ويكون أفصح من فصحائها ، حتى كان فى سمو بيانه موضع الاعجاب من صحابته رضوان الله عليهم .

ولسنا نحاول أن نحصى معالم الطريقة المثلى التى نهجها رسول الله صلى الله عليه وسلم فى بيانه ، ولا ألوان البلاغة التى امتاز بها ، فذلك أمر نحس بالعجز عنه فى كتاب فضلا عن أن نلم به فى مقال ، ولكن حسبنا أن نشير الى بعض أمثلة لهذا :

١ — يعرف البلاغيون البلاغة بأنها : مطابقة الكلام لمقتضى الحال مع فصاحته .

وما من شأن من الشئون تكلم فيه الرسول صلوات الله وسلامه عليه الا واستكملت فيه رعاية المطابقة لمقتضى الحال بأفصح أسلوب وأبلغ عبارة .

ومن مظاهر هذا ما رواه الشيخان عن أنس بن مالك رضى الله عنه قال : (جاء أعرابى فبال فى طائفة من المسجد) أى فى ناحيته ، فزجره الناس ، فنهاهم رسول الله صلى الله عليه وسلم ، بقوله لهم : «دعوه» وفى لفظ : « لاتزرموه » أى لا تقطعوا عليه بوله (فلما قضى بوله ، أمر النبى صلى الله عليه وسلم بذنوب من ماء فأهريق عليه).

الذنوب بفتح الذال : الدلو المملوء ماء .

ومعنى أهريق عليه: صب الذنوب على موضع البول تطهيرا له ، وجاء فى رواية للحديث : أنه صلى الله عليه وسلم قال لأصحابه : (انما بعثتم ميسرين،ولم تبعثوا معسرين).

ولما فرغ الأعرابى من بوله دعاه عليه الصلاة والسلام ، ثم قال له :

« **ان هذه المساجد لاتصلح لشىء من هذا البول ولا القذر ، انما هى لذكر الله عز وجل، وقراءة القرآن**» وأخرج أبو داود هذا الحديث عن أبى هريرة **قال** :

« ان أعرابيا دخل المسجد ورسول الله صلى الله عليه وسلم جالس ، فصلى ركعتين ، ثم قال : اللهم ارحمنى ومحمدا ، ولا ترحم معنا أحدا ، فقال النبى عليه الصلاة والسلام : « لقد تحجرت واسعا — ثم لم يلبث أن بال فى ناحية المسجد فأسرع الناس اليه فنهاهم النبى صلى الله عليه وسلم ، وقال : «انما بعثتم ميسرين ، ولم تبعثوا معسرين صبوا عليه سجلا من ماء ، أو قال ذنوبا من ماء » .

والسجل بفتح السين المهملة وسكون الجيم ، وهو بمعنى الذنوب . ففى هذه الواقعة أكبر شاهد على أن رسول الله صلى الله عليه وسلم سلك أقوم نهج وأهدى سبيل ، وأنه وجه لكل من أصحابه والأعرابى أنسب خطاب وأبلغه ، فبالنسبة لأصحابه علم أنهم بادروا الى الانكار على الاعرابى حرصا على طهارة المسجد واحترامه، وصيانته عن الأنجاس والأقذار . فأقرهم صلوات الله وسلامه عليه على مبدأ الانكار ، لكنه طلب منهم أن يأخذوا أنفسهم بالرفق والتيسير فى انكار النهى عنه ، وبعدم تعنيف الجاهل — وأرشدهم الى كيفية التطهير للمكان الذى أصابه البول — وبهذا وجه الرسول عليه الصلاة والسلام الى أصل عظيم من أصول الشريعة ، وهو دفع أعظم المضرتين بتحمل أخفهما ، **لأنه لو قطع على الاعرابى بوله لأضر به ، وكان** يحصل من اقامة هذا الاعرابى من مكانه تنجيس بدنه وثيابه ، ومواضع أخرى من المسجد غير الذى وقع فيه البول أولا — فدفع هذا الضرر الكبير بتحمل ضرر قليل ، وهو تنجيس جزء ضئيل من المسجد ، يتيسر تطهيره .

وأما بالنسبة للأعرابى فقد عرف الرسول الحكيم أن هـذا الاعرابى ارتـكب ما ارتكب بدافع الجهل بمـا يجب للمسـجد من تطهـير وحرمة ، فطلب الترفق فى معاملته وأدرك الأعـرابى حسـن صـنيع الرسول معه ، فبعد هذا دعاه عليه الصلاة والسـلام وبين له ما يجب للمسـجد من طهـارة واحـترام ، وما ينبغى أن يشـغل به من أنواع العبـادة والطاعة ـ وعندما سمعه قبل ذلك يقول فى دعائه : (ولا ترحم معنا أحدا) بين له أن رحمة اللـه واسـعة ، وأنه بقـوله هـذا قد حجرها وضيقها بجعلها قاصرة عليه وعلى محمـد ، فينبغى أن يعمم فى دعائه بها ، ويطلبها للجميع .

فأى رعاية بعد هذا لمقتضى حال المخاطبين ؟ وأى كلام أبلغ وأنفع ، وأدعى للقبـول والاذعان مما وجه اليهـم ؟

(يتبـع)

منشاوى عثمان عبود

ان حفنة من المسلمين من اتباع نوح عليه السلام ، تذكر بعض الروايات أنهم اثنـا عشر ، هم كانوا حصـيلة دعوة نوح فى ألف سنة الا خمسين عاما كما يقرر المصدر الوحيد المستيقن الصحيح فى هذا الشأن .

ان هذه الحفنة ـ وهى ثمرة ذلك العمر الطويل والجهد الطويل ـ قد استحقت أن يغير الله لها المـألوف من ظواهر هذا الكون . وأن يجعـل هـذه الحفنة وحدها هى وارثة الأرض بعد ذلك ، وبذرة العمران فيهـا والاستخلاف من جديد .

سيد قطب ـ فقه الدعوة .

لماذا حمل ملاحو أبوللو (١٥)
"سورة الفاتحة" معهم إلى القمر؟

فى لقاء مع فضيلة الامام الأكبر الدكتور عبد الحليم محمود شيخ الأزهر قدم عالم الفضاء المصرى الدكتور فاروق الباز الى فضيلته صورة فضائية لسورة الفاتحة التى حملها رواد الفضاء الأمريكيون معهم الى القمر ..

وحين أبدى فضيلة الامام الأكبر دهشته من هذا الأمر تكلم العالم المصرى موضحا قصة هذه الصورة والظروف المحيطة بحملها فى السفينة .

ويقول الدكتور فاروق :

فى اللحظات الأخيرة ، وقبل انطلاق السفينة من قاعدتها الصلبة وقع خلل فى المعدات والأجهزة ، تم على أثره ادخال تعديلات جوهرية فى الآلات والتخطيط للرحلة .

وقد تخوف رجال الفضاء المفاجأة .. وبهدوء لا يفارقنى فى مثل هذه المواقف الحرجة .. طمأنتهم على سلامة الاجراءات فى السفينة .. ثم قلت لهم مبالغا فى الحيطة والطمأنينة :

« ان هناك سورة فى القرآن ـ كتاب المسلمين المقدس ـ اسمها سورة « الفاتحة » .. هذه السورة بمعانيها الكبيرة ، وما احتوته كلماتها من أدعية حارة ضارعة تنشر فى القلوب الواجفة الأمن والسكينة وتشيع فى النفس الخائفة أعلى درجات الشجاعة والثقة .

وبلهفة جياشة طلب منى هؤلاء الأصدقاء هذه « السورة » ووقعت عليها باسمى وأسماء بناتى « ثريا ، كريمة ، فيروز ومنيرة » .

« الفريد وردن ، جيمس أرون ودافيد سكوت » .

May God protect Endeavour and its crew : Alfred warden. James Irwin. David Scott.

وبعد نجاح الرحلة تفاءل الأصدقاء الثـلاثة ، وطلبوا مـنى مزيدا من المعرفة عن الاسلام واللغة العربية .

وانتقل الحـديث بعد ذلك الى الفضاء والكون وما فيهما من ظواهر عجيبـة .

قال فضيلة الامام الأكبر : انـنا نسمع كثيرا عن «الأطباق الطائرة» وما يثار حولها من قصص وحكايات غريبة . فما هو تفسـيركم العلمى لهذه الظاهرة ؟

واجاب الدكتور فاروق قائلا :

ان تفسـير العلماء لهذه الظاهرة يتردد بين اليقـين والشـك بنسب متفاوتة على النحو التالى :

١ ــ ان هذه الظاهرة «خرافة» بنسبة خمسة وسبعين فى المـائة .. لأن أكـثر الذين شـاهدوا هـذه الظـاهرة كانوا من عامة النـاس أو الفلاحين الذين يغلب عليهم تعليل هذه الأشياء تعليلا يتسم بالخرافة والتأثر بأحاديث السمر فى الليـالى المقمرة .

٢ ــ ان هذه الظاهرة ربما كانت بسبب تأثير عوامل الطبيعة فى بعض الأمكنة .. كما يحدث للسائرين فى الصحراء حيث يظنون السراب ماء وبحـيرة .

وهذا التقدير يصل الى عشرين فى المـائة .

٣ ــ ان هذه الظـاهرة مجهولة الأسباب ولا يمكن تعليلهـا بسبب من الأسباب الطبيعية ، أو أثر من آثار التخيل والخرافة .

وهذا التقدير يصل الى خمس فى المـائة .

وعـلى أية حال .. فان علمنـا البشرى لايزال محدودا، وما اكتشف من أسرار الكون الى الآن لا يزيد على قـطرة من محيـطات الأرض الشـاسعة .. أو كما يقـول الله

سبحانه « وما أوتيتم من العلم الا قليلا » .

وقد سأل فضيلة الامام الأكبر عما اذا كان قد تأكد عند علماء الفضاء وجود حياة فوق الكواكب الأخرى .. أو « المريخ » على وجه الدقة ؟

وأجاب الدكتور فاروق ردا على هذا السؤال :

ان الحياة لا يمكن أن توجد بدون خلايا عضوية تتمثل فيها الحياة وتنمو طبقا لسنة الله فى الخليقة .. ولم نصل الى دليل حتى الآن يؤكد وجود حياة فوق الكواكب فى المجموعة الشمسية . والانسان حتى الآن .. هو الكائن العاقل الذى يمكن وصفه بهذه الصفة .

ثم سأل الامام الأكبر الدكتور فاروق عما توصل اليه من بحوث بشأن الصحارى المصرية.. ومايقال من أنها عامرة بكنوز وثروات هائلة ؟

وقد فصل الدكتور فاروق للامام الأكبر ما تم بحثه فى هذه الناحية .

ثم قال : ان مستقبل رخاء مصر مرتبط باستغلال هذه الصحارى . وان الثروات الكامنة فى جوف هذه الصحارى تبشر بالخير العميم اذا أحسن استغلالها بصورة علمية ، وأن حل مشكلاتنا الاقتصادية رهين بالعمل الجاد لتنفيذ هذه الخطة .

وهنا قال فضيلة الامام الأكبر :

اننا نفكر فى انشاء معهد لعلوم الصحارى يلحق بجامعة الأزهر .. فتحمس الدكتور فاروق لهذه الفكرة وأبدى استعداده التام لتبنى هذا المشروع الذى يعتبر تحولا بارزا وخطيرا فى الدراسات العلمية الصحراوية .

وقال العالم الفضائى معقبا :

انه لمن المؤسف .. أن المعهد الوحيد فى العالم المتخصص فى هذه الدراسة يوجد فى اسرائيل فقط . وفى بلادنا نحن المسلمين والعرب صحارى شاسعة غنية بالكنوز والثروات الدفينة . ثم لا تتجه

لاستغلالها على النحو الذى يحقق لنـا الرخاء والـثروة ، ويعـالج مشكلاتنا الاقتصـادية على أجمـل وجه وصورة ..

وانتهت المقابلة بخطاب من فضيلة الامام الأكبر الى فضـيلة الدكتور رئيس جامعة الأزهر يقول فيه :

«ان انشاء معهد لعلوم الصحارى فى جامعة الأزهر سيقابل بالترحيب والتقـدير على مسـتوى الهيئات الرسمية والعلمية . رجاء التفضل بالنظر فى هذا المشروع وعرضه على مجلس الجامعـة ليخرج باذن الله الى الوجود فى أقرب فرصة » .

ع . ش

لا تخفى على الله خافية :

يامن خلا ويظن خـلوته أما تدرى بأن الله جـل يراكا
والكاتبون الحافظون لكل ما احدثت أو اخطرته سوداكا
لايستقيم خلاكا عنك ولوخلا عن كل ما خلق الاله خـلاكا
انى وسمعك مثل عينك ذاكر كالجلد يوم قيـامه مأسـاكا
والله مالك لو ملكت جميعها الا اللباس ومطعم سـكناكا

محمد خليل الخطيب

من الامام الأكبر شيخ الأزهر

الى المسلمين كافة

أيها الأخوة المؤمنون ...

لقد بدأت اذاعة القرآن الكريم تبث ارسالها باسم الله العلى العظيم منذ حوالى ثلاث عشرة سنة .

وقد استقبل المسلمون فى كل مكان من العالم هذه الاذاعة استقبالا يليق بالاسم الكريم الذى تحملته ، والدور العظيم الذى تؤديه . وكان مولد هذه الاذاعة فى جمهورية مصر العربية ايذانا بأن الايمان فى ضمير هذه الأمة أقوى من كل محاولات التشكيك والبهتان التى تعرض لها شعبنا المؤمن فى فترة غابرة من التاريخ .

ان الأمة التى ينطلق منها صوت الحق ، وتخفق فوق ربوعها راية الايمان واليقين ، وتتعطر أجواؤها بنسمات الهداية والرحمة ، هذه الأمة لا يمكن أن تبخل بعطاء يقوى هذه المحطة ، أو يدعم هذه الاذاعة ، أو يعمل على بلوغ هدايتها الى مسامع المسلمين فى الشرق والغرب قاطبة .

وانطلاقا من هذا اليقين الذى يعمر قلب كل مسلم ومسلمة ، ومن ثقتى التى لا حد لها فى أبناء مصر العزيزة المؤمنة ، وفى أبنائنا المسلمين فى كل شعب وأمة . فانى أدعو الجميع الى التبرع الذى يساعد هذه الاذاعة على الاستمرار فى أداء رسالتها ، حتى تبلغ كلمة الله مداها فى الانتشار والتوسع ، وحتى تعم هدايته الناس جميعا فى أى موقع..

انها دعوة الى خير كثير جزاؤه ، والى معروف لا يخفى أثره ، ونداء من الله الى كل المؤمنين بكتبه وأنبيائه ورسله ..

ولا يخالجنى أدنى شك فى أن هذه الدعوة ستلقى صداها الكبير فى أذن كل مسلم ، وستنال حظها من العناية والاهتمام فى قلب كل مؤمن ..

فالقرآن هو نور الله المبين ، وحبله المتين ، وصراطه المستقيم من قال به صدق ، ومن حكم به عدل ، ومن دعا اليه هدى الى صراط مستقيم .

وهذا النداء دعوة الى الله بالصدق فى معاملته ، والعدل فى طاعته والى الهدى والرشاد فى كلامه ووحيه .

ويمكن للمتبرعين تقديم تبرعاتهم بالعملة الأجنبية عن طريق المصرف العربى ، وفى بنك ناصر الاجتماعى بالجنيه المصرى ، أو تقديم هذه التبرعات الى مكتبنا شخصيا لتحويلها الى أى من هذين المصرفين .

« وسارعوا الى مغفرة من ربكم وجنة عرضها السموات والأرض أعدت للمتقين » .

والله ولى التوفيق ...

شيخ الأزهر

(عبد الحليم محمود)

الايمان .. والعمل

لا تستقيم الحياة الا بالإيمان والعدل فاذا اختل ميزان العدل فى أمة ، وطمست معالم الهداية والايمان فى شعب ، تحول الناس الى وحوش ضارية ، وانهار بناء المجتمع من اساسه الى غير رجعة .

« حكيم »

لغتنا العربية

ماذا يراد بها؟

للدكتور على حسن العمارى

منذ عهود بعيدة والنحويون يجهدون جهدهم ، ويبذلون غاية ما فى وسعهم ، ليصلوا الى قواعد محددة مضبوطة ، تكون عصمة من الخطأ والزلل لمن يريد أن يتكلم عربية سليمة صحيحة ، وقد امتد بهم نفس القول فى النحو ــ كشأن العلماء فى كل علم ــ فأخذوا يفلسفون ، ويستخرجون دقائقه ، ويكتنهون حقائقه .

ويبدو أن هذا الصنيع لم يرق لبعض الزاهدين فى العلم ، فأخذوا يعيبون على النحويين اكثارهم من المسائل ، ومحاولتهم تعليل كل ظاهرة لغوية ، ولكن هؤلاء لم يقفوا فى تنقصهم النحو عند هذا الحد ، بل تعدوه الى الأصول ، فعابوا النحو جملة .

وقد روت لنا كتب النحو والأدب بعض ما قيل من شعر ونثر فى ذم النحو والنحاة ، كما رأينا أبا العلاء المعرى فى رسالة الغفران يسخر من النحاة ، ويسمى بعض صناعتهم تارة (أباطيل) وتارة (هذيانا) .

ويحدثنا الامام عبد القاهر الجرجانى (م ــ ٤٧١ هـ) فى مقدمة كتابه (دلائل الاعجاز) عمن كرهوا النحو ، ويبالغ فى وصف صنيعهم ، فبعد أن وقف وقفة العالم المتثبت مع الذين كرهوا الشعر، قال : (وأما زهدهم فى النحو ، واحتقارهم له ، واصغارهم أمره ، وتهاونهم به ، فصنيعهم فى ذلك أشنع من صنيعهم فى الذى تقدم ، وأشبه بأن يكون صدا عن كتاب الله ، وعن معرفة معانيه) .

وهى كلمة رائعة ودقيقة من هذا الامام الجليل ، فمن يصد عن معرفة النحو يصد عن معرفة معانى كتاب الله ، وذلك أن النحو هو الذى يكشف عن هذه المعانى المخبوءة وراء الألفاظ ، وهو المعيار الذى لا يبين رجحان كلام ونقصانه حتى يعرض عليه ، ولا يعرف صحيح من سقيم حتى يرجع اليه . قال : (ولا ينكر ذلك الا من ينكر حسه ، والا من يغالط فى الحقائق نفسه) .

ثم يترفق بهم فيبسط أمامهم القضية واضحة جلية ، ويصنف لهم النحو أصنافا :

١ — مسائل التصريف التى يضعها النحويون للرياضة . وهو لا يحتم عليهم أن ينظروا فى هذا الجنس ، بل لا يعيبهم ان أغفلوا النظر فيه ، قال : (وليس يهمنا أمره فقولوا فيه ما شئتم) .

٢ — أغراض واضعى اللغة ، ووجه الحكمة فى هذه الأوضاع ، وتقرير المقاييس واطرادها ، وذكر العلل .. ورأيه أن يسكت عنهم فى هذا الضرب ، ويعذرهم فيه ، على علم بأنهم قد أساءوا الاختيار ، وقد حرموا أنفسم مما فيه الحظ لهم .

٣ — ما لابد منه فى صحة التفسير وعلم التأويل ، من المسائل المتفرعة على الأصول ، كأنواع الخبر ، ولحوق الضمير بالجملة اذا وقعت خبرا ، والتفرقة بين الصفة اذا كانت للتخصيص ، أو للتوضيح ، أو للمدح ، أو للتأكيد .

قال : وهكذا ينبغى أن تعرض عليهم الأبواب بابا بابا ، ويسألوا عنها واحدا واحدا ثم يقال : ليس الا أحد أمرين :

اما أن تقتحموا التى لا يرضاها العاقل فتذكروا أن يكون بكم حاجة فى كتاب الله تعالى ، وفى خبر رسول الله — صلى الله عليه وسلم — وفى معرفة الكلام جملة الى شىء من ذلك .

واما أن تعلموا أنكم أخطأتم حين أصغرتم أمر هذا العلم ، فترجعوا الى الحق .

والخطب ـ عنده ـ أن هؤلاء الذين أهملوا النحو خاضوا فى التفسير ، وتعاطوا التأويل، وهدموا ولم يبنوا، وكانوا سببا فى الفساد. فتعدد البلاء ، وجاء من الداء ما أعيا الطبيب ، وحير اللبيب .

والآفة العظمى ـ كما يقول ـ أن يبنى الانسان على غير أساس ، وأن يقول الشىء لم يقتله علما .

* * *

ثم يجىء عالم أندلسى هو ابن مضاء القرطبى (٥١٣ ـ ٥٩٢ هـ) فيخرج كتاب (الرد على النحاة) فيعيب عليهم أمورا ، ويشير الى مسائل ، ولكن خير ما قيل فيه ما كتبه محقق الكتاب ، فقد ذكر أنه كانت عند ابن مضاء رغبة شديدة فى الثورة على علوم المشارقة .

* * *

ولعل أبرز كتاب ظهر فى عصرنا ، وكان امتدادا لكتاب ابن مضاء هو كتاب (احياء النحو) للمرحوم الأستاذ ابراهيم مصطفى ، وقد كفانا مئونة الرد عليه أستاذنا المرحوم الشيخ محمد عرفة ، كما تكفل الزمن بالقضاء على ما جاء فى هذا الكتاب مخالفا لآراء النحويين القدامى، كما فعل بكتاب سلفه ابن مضاء .

* * *

ومنذ سنوات اطلعت على كتاب (من أسرار اللغة) للأستاذ ابراهيم أنيس ، فرأيته يسلك نفس المنهج ، وان كان انكاره على النحاة ، وعيبه لهم أشد ، وما انتهيت من قراءة الكتاب حتى خيل الى أن النحاة قد جنوا جناية لا سبيل الى غفرانها الا بطرح أكثر أقوالهم .

وقد داخلنى ريب شديد فى سلامة منطق صاحب الكتاب ، وأقول : بل فى حسن نيته حين وصلت الى صفحة ٢١٨ ، فرأيته يذكر مسألة أعتقد أنه يعلم أنها غير صحيحة ، وخطورة صنيعه تكمن فى أن المسألة تتعلق بآية من كتاب الله تعالى ، فبعد أن ذكر أن النحاة عكسوا حكم المقصور المنصوب غير المنون عند الوقف عليه حيث جعلوا ابقاء الياء

أولى من حذفها، قال مانصه: (ولست أدرى لم استحسنوا هنا الوقف بابقاء الياء ، وفضلوه على حذفها رغم أنا نرى القراءة القرآنية المشـهورة قد التزمت هنا أيضا حذف انيـاء حتى فى حالة النصب ، فاستمع الى قوله تعالى فى سورة القيامة : (كلا اذا بلغت التراق ، وقيل من راق • وظن أنه الفراق ، والتفت الساق بالساق• الى ربك يومئذ المساق) ؟ !

ألست ترى معى أن الفواصـل هنا تبرز موسيقاها ، وتطمئن النفوس اليها ، حين نقف على القاف) فى كل من هذه الآيات بالسكون ؟

وألست ترى معى أن تردد القاف كان لحكمة فنية أدبية لتستمتع الأذن بموسيقى هذه الفواصل، ولاتتحقق تلك الحـكمة الفنية حين نقـول (التراقى) كما فعل معظم القراء ؟)•

وخـطورة هـذا الكلام ـ كما قلت ـ أنه ادعاء على كتاب اللـه بما ليس فيه ، ثم هو من مؤلف عضو فى مجمع اللغة العربية ، ثم ان علماء القراءات لا يعترفون بوجـود هذه القـراءة ، فضـلا عن أن تكون المشهورة !

ذلك أن القراءة المشهورة فى هذه الكلمة باثبـات (الياء) وقد سألت كثيرين من علماء القراءات عنـدنا فأنكروا القراءة بحذف الياء ، وكيف تكون القراءة المشـهورة ، ومعظم القراء لا يقرأون بها ، كما يقـول المؤلف نفسه ؟ !

ولقد هممت آنذاك أن أقف مع المؤلف وقفات لعلنا نصل الى القول الفصل فى مسائل خطأ فيها النحويين، وهم ـ فيما تشـهد به نصـوص اللغـة ـ غير مخطئين ، ثم شغلتنى شواغل فأرجـأت الكتابة فى هـذا الموضوع ، وطال الزمن ، وخيل الى أن الكتابة بعد هذه السـنوات عن كتاب ظهر منذ بعيد غير مقبـولة ، لكنه وقع فى يدى كتابان فى هـذه الأيام أحدهما يسمى (النحو المعقول) والثانى يسمى (لغتنا العربيـة المعاصرة) (١) • فرأيت أن الطريـق

(١) وكلاهما من تأليف الدكتور محمد كامل حسين •

التى بدأها ابن مضاء ، وسار فيها كل من صاحب (احياء النحو) وصاحب (من أسرار اللغــة) لا يزال يسير فيها بعض الباحثين ، وأول علامات هذه الطريق النيــل من النحويين ، ورميهم بالقصور وبالتحكم،وبفرض سلطانهم على الشــعراء والكتــاب وغيرهم •

ولقــد كان ابن مضـــاء أرأف (بالنحويين حين سمى كتابه) الرد على النحــاة) فى حين عنف بعض الباحثين المعاصرين فى أسماء كتبهم: (احياء النحو) • (تحرير النحو)• (النحو المعقول) ،كأن النحو كان قد لفظ أنفاسه الأخيرة فجاء من يبعثــه من مرقده ، وكأنه كان مكبلا بأغلال الأسر ، فجــاء من يضــع عنه هــذه الأغلال ويحرره ، وكأنه كان قــد أصيب باختلال فى قواه العقلية فجاء من يشفيه من داء الجنون ، ويجعله عاقلا ، أو معقولا •

ثم • ماذا جنى النحــويون حتى يرموا بهذه الاتهامات ؟

يرى صاحب (من أسرار اللغة) أن النحاة هم الذين وضعوا أصول النحو من أدمغتهم ، وكان استقراؤهم ناقصا ، وهم الذين أوردوا النصوص مرفوعة أو منصوبة حسب أهوائهم، ولنا وقفة عند هذه القضية الغريبة •

وقدكانوا ــ كما يقول ــ أصحاب سلطان ونفوذ فرضوهما على الشعراء والكتاب والخطباء ، ثم فرضــوهما أخيرا على القراء •

فالنحاة القدماء ــ فى رأيه ــ قد سمعوا شــيئا ، وأخطأوا تفسيره ، واستنبطوا قواعد قبل أن يتم لهــم الاستقراء •

أهملــوا ما أهملــوا ، وقاســوا ما قاسوا ، ثم خرجوا على النــاس بقواعــد فرضوها فرضــا ويتهم البصريين بأنهــم يؤولون الــكلام الفصيح حين يخالف قواعدهم •

ويسخر من النحويين حين يقولون بالضرورات الشــعرية ، ويقــول : (كأنما كانت اللغة ملكا لهم وحدهم يعطون منها ما يشاءون ، ويمنعون منها ما يشاءون) •

الى كثير من مثل هذه الكلمات .

وتسرى هذه الروح فى بعض الكاتبين فنرى (١) من يقول فى سخرية باللغة : (كتب النحو المخطوطة والمطبوعة تسد حاجة مدينة كبيرة للوقود شهورا) .

(وقد أتى علينا حين من الدهر لم نشك فى سداد هذا الرأى ووجاهته ـ اللغة العربية لغة واسعة، متشعبة الأنحاء ـ أما الآن فقد علمتنا ظروف كثيرة أنه سراب بقيعة يحسبه الظمآن ماء) .

(تعالوا نستنبط قواعد النحو من القرآن ، ونعززها بشواهد منه لتكون نحوا وأدبا ، ولنضرب صفحا عما عداه ، فهو ـ وحده ـ النص الموثوق بصحته ، ولتذهب بقية القواعد الى النار فهى أولى بها(٢) .

ثم يأتى صاحب (لغتنا العربية المعاصرة) فيردد هذا الكلام نفسه ويزيد عليه ؛ «فالنحويون قد وقعوا فى خطأ كبير ، حين وثقوا بمصادرهم ـ ما عدا القرآن ـ واستمر هذا الخطأ يؤثر فى النحو قرونا عديدة.

والنحويون ـ عنده ـ لم يفرقوا بين الشعر الجيد ، وغيره فزادوا الطين بلة ، وهو ما نعيبه عليهم عيبا شديدا ، ويبالغ فيزعم أن أكثر الشواهد مصنوع واضح الصنعة ، وأن أكثر المسلمات لا أصل لها ، وأكثر القواعد وليدة تفكير خاص ، وهى مفروضة على الناس فرضا » .

ولم ينفرد النحويون بالوقوع فى الخطأ ، بل شاركهم فى ذلك اللغويون ، فهم يخطئون الصواب ، اظهارا للعلم ، وسعة الاطلاع ، ويصوبون الخطأ اظهارا للبراعة والذكاء .

وربما كان هذا المؤلف أكثر أصحابه عيبا على النحاة ، وسخرية منهم .

ونخلص من كل ذلك الى أن النحاة الأوائل ، وتبعهم الآخرون طبعا لم يخلصوا لعلمهم ، ولم يكن

---

(١) و (٢) الأستاذ محمد محمد على فى كتابه : (محاولات فى النقد) ص ٩٧ ـ ١٠٠ .

همهم الا اظهـار البراعة والذكاء ، وأن قواعدهم لم تكن مقنعة، وانهم استغلوا سلطانهم فى فرضها ، وأن كتب النحو التى بين أيدينـا قليلة الغناء ، بل لا فائدة منها ، فلتذهب الى النار ، فهى أولى بها •

وانما أطلت النقل عن هؤلاء لأبين العـداء الكامن للنحويين فى نفوس بعض من ينظرون فى تراثنا العربى ، ولأدل على أن ما يكتبونه فى النحو مشوب بهذا العـداء فمن الواجب أن ننظر اليه بحـذر شديد ، ولأثير عجب القـارىء ممن يتصـدون للتجديد •

وخطـأ هؤلاء جميعا أن النحـو لم يضعه عالم واحد حتى نحكم عليه بنقص الاستقراء ، وانما شارك فيه علماء كثيرون ، وقد كان اللاحق منهم يكمل ما فات السـابق ، وأن من هؤلاء العلماء من قضى ردحا طويلا من حياته يتنقل فى بوادى الحجاز ليأخذ اللغة عن أربابهـا ، وأن من هؤلاء النحـاة من كان على جانب كبير من الذوق الأدبى مثـل : أبى العباس المبرد ، وأن ما وضعه النحاة من قواعد لا يعارض شيئا مما جاء فى القرآن الكريم ، فلو أننا نظرنا فى القرآن ، واستخرجنـا منه قواعد نحوية لا نبعد عما قاله النحاة ، واذا كانوا رأوا أن فى بعض استعمالات القرآن ما جاء على لغة قبيلة خاصة، فليس ذلك عيبا فى قواعدهم • فهم حين وضـعوا القواعد نظـروا فيما لا يحصى من كلام العرب ، شعره ونثره ، ونظروا فى القرآن أيضا ، وفى الحـديث النبـوى الشريف ، فوضعوا القاعدة للظاهرة المطردة ، أو الأكثر دورانا فى كلام العرب ، فاذا عرض لهم كلام فصيح موثوق به يخالف هـذه الظـاهرة اعتبروه قليلا ، وليست القلة عيبا فيه ، فهو لغـة قبيلة فصـيحة ، وانما القلة فى الناطقين بهذه الظاهرة • ولمـا كان الشاعر يضطر أحيـانا للخروج على هذه الظـاهرة سـموا ذلك ضرورة شعرية •

ولسـنا ندعى لهؤلاء النحـاة العصـمة ، ولكننـا نؤكد مع كامل اليقين أنهم أوثق منا فيما وضعوه من قواعد ، فقد بذلوا غاية جهدهم،

وقد شافهوا الأعراب ، وأكثروا من الرواية ، وكان كثير منهم على جانب عظيم من التقـوى والورع ، وحين نقرأ تراجمهم لا يخالجنا أدنى شك فى أن من يعيبونهم من أبناء عصرنا لا يجرون فى غبارهم ، ولا يلحقون شأوهم ، وهل يتردد منصف فى أن كثـيرا من أفرادهـم كان يروى من مفردات اللغة ، ومن الشـعر والنثر ما لا يروى عشر معشـاره الجمع الغفير منا ؟

ولو ذهبت أضرب الأمثـلة على ما كان يحفظـه بعضـهم ، وما كان يرويه لطال بى القول ، وما أظن أن أحدا من المشتغلين بالعربية يجهـل ما كانوا عليه من كثـرة محفوظ ، وصحة رواية ، ودقة نظر .

ولسنا ــ كذلك ــ نستبعد أن يكون بعض الشواهد مصـنوعا ، ولكنا نرفض رفضـا باتا أن يكون أكثرها مصنوعا .

وكيف عرفنا نحن فى هذا القرن أن هذه الشواهد الكثيرة مصنوعة، ولم يتنبه لذلك العلماء منذ ثلاثـة عشر قرنا مع ما نعرفه فى كثيرين منهم فى العصور المختلفة من بصر باللغة ، ومعرفة بآدابها ؟ !

هذه نظـرة عامة ، أما مناقشتنا للمسائل النحوية ، وللقضايا العلمية التى تناولها مؤلفونا فموعدنا بهـا فى كلمة تالية ، ان شاء الله .

د. على العمارى

الصـلاة :

ان الصلاة بها الصلاة عميقة ... وبها يكون من الصلاة نجاكا
واذا بليت من الزمان بشدة ... فافزع لهـا تفزع بهـا بلواكا
هى قرة للعين ، جالبة الرضا ... هى فى الخطوب الحالكات ضياكا
وعماد دين الله باب فتوحه ... وطـريق جنتـه وسر هناكا

محمد الخطيب : وحى الحديث

من تراثنا الحديث :

يا مصر ! انثرى كنانتك

للشيخ محمد البشير الإبراهيمى

نسميك بما سماك الله به فى كتابه فكفاك فخرا أنه سماك بهذا الاسم الخالد الذى تبدلت أوضاع الكون ولم يتبدل ، وتغيرت ملامح الأرض ولم يتغير ، وحسبك تيها على أقطار الأرض أنه سماك ووصفك ، فقال فى فلسطين : (الأرض المقدسة) و (القرى التى باركنا فيها) وقال فى أرض سبأ (بلدة طيبة) ولم يسم الا الطور وهو جبل ، ومكة وهى مدينة ، ويثرب وهى قرية ، فتيهى وافخرى بهذه الميزة التى خصك الله بها ، وخذى منها الفأل على أنك منه بعين عناية لا تنام ، وبذمة رعاية لا تخفر ، وبجوار أمن لا يخزى جاره ..

نأسى لك ــ يا مصر ــ أن أنزلتك الأقدار بهذه المنزلة التى جلبت لك البلاء ، وجرت عليك الشقاء ، وان حبتك هذا الجمال الذى جذب اليك خطاب السوء من الأقوياء الطاغين ، والقواد الفاتحين ، وان أجرى فيك هذا النيل العذب الذى كان فتنة الخيال البشرى ، وكان وثن القدماء فتقربوا اليه بالنذور والقرابين ، وكان طغوى فرعون ذى الأوتاد فحرك فيه نزعة الألوهية فتوهم أن شاطئيه الأخضرين هما نهاية الكون ، وأنهما كفاء لملك الله الطويل العريض ، وأن وضعك من هذا الكوكب الأرضى فى موضع الواسطة من القلادة ، فتعلقت بك الأبصار حتى (كان عليك من حدق نطاقا) وأن جعلك برزخا فاصلا بين الشرق والغرب فكنت ــ على الدهر ــ بحال احتراب بين الشرق والغرب ، فصبرا يا مصر فهذا الذى تعانيه هو مغارم الجمال والشرف والسلطة ..

سموك (عروس الشرق) فكأنما أغروا بك الخطاب ، وهجهجوا فيك الآساد الغلاب ، وسموك (بمنارة الشرق) فلفتوا اليك الأعين الخزر، وولوا نحوك الأعناق الغلب ، وقديما سموا بغداد (دار السلام) فجنوا عليها ، وكأنما ولوا عليها المغيرين ، ولو سموها (دارالحرب) لأوحى الاسم وحده بما تنخلع منه قلوب الطامعين وتخنس له عزائمهم ، وتنكر لتصوره الجيوش اللجبة فغفرا ــ يا مصر ــ فما هذه الأسماء الا من هيام الشعراء .

وما زلت ــ منذ كنت ــ مهوى أفئدة العظماء الفاتحين ، فأخذوك اقتسارا وصلحا ، وحازوك طوعا وكرها ، وما منهم الا من مهرك المهر الغالى ، وساق اليك الثمين المدخر ، بما خلد فيك من آثاره ، وبما خلف فيك من آثاره ، وبما خلف فيك من سمات قومهومعانيهم حازك الاسكندر فخلد فيك الاسكندرية ، وملكك قمبيز ، فخلف فيك شيات من فخار فارس وخيلائها ، وحل فيك بطليموس ، فخلف فيك آثاره من حكمة يونان وداعبك قياصرة الرومان ، فخلفوا فيك آثارا من عظمة الرومان ، وفتحك عمرو ، فمهرك بيان العرب كله ، وهداية الاسلام كلها ، ففخرا ــ يا مصر ــ فهذه المخايل اللائحة على صفحاتك هى بقايا مهورك الغالية ، وأن أثمنها قيمة ــ وحقك ــ وأثبتها أثرا ، وأبقاها بقاء ، وأشبهها بشمائلك ، لمهر عمرو ، فما زلت منذ تفيأت ظل الاسلام الظليل ، تجدين منه فى كل داجية نجما ، ووراء كل ظلمة فجرا ، وما زلت كلما شكوت ضرا فى دينك ، يخف اليك من يكشفه ، وكلما شكوت شرا فى دنياك يخف اليك من يدفعه .. خف اليك (جوهر) حين لحقتك علامةالتأنيث وتقلب على فراشك العبيد ، وخف اليك (صلاح الدين) حين امتهن فيك الدين وخف اليك ، « سليم » حين لعبت بك أهواء المماليك ، وخف اليك « على » حينما تحكم فيك الصعاليك ، تأخروا بركبكعلى زمانك ، فألحقك بزمنك وأراد لك أن يكون محلك من الغرب أماما ،

وأن تكونى من الشرق أما و أمة وإماما ، فما عابوك ، ولكنهم هابوك فنصبوا لك فى كل حفـرة عاثورا ووضـعوا لك فى كل فج فخـا ، وأجمعوا على أن لا تكون لك جارية فى بحر ، ولا سـارية فى بر ، فمن بعض ذلك كل ما تعانين .

لئن كانت أزماتك فى التـاريخ كثيرة ، فكلها الى انفراج عاجل ، ومن المؤلم أن تطول بك المحنـة فى هذه الدورة من أدوار الفلك ، وأن تبتلى بخصـم لئيم الخصومة والكيد يمده زمنه بالقوة والأيد ، وأن يستحل حرماتك غاصب غريب لا تجمعك به نسبة لشرق ، ولا يلتف منكما — الى آدم — عرق بعرق ، فيجعل منك أداة لكيده ، وجارحة لصيده ، ومطية للصوصيته ، وطريقا لظلمـه وظلامه فلو أن المسـالك تشترك فى الاجرام مع السالك — لـكان لك شرك فى كل ما حمـل الانجليز من أوزار ، ولحملك العدل كفلا من مآثمهم فى الشرقين ، إذ لولا قناتك ما ثبتت له على أديم الشرق قدم فليتك تعاسرت بالأمس فى حفر هذه القناة ، أو ليتك تصنعين بها اليوم ما صنع العرب بمناة فتوسعين هذه ردما ، كما أوسعوا تلك هدما ، حـتى اذا ملـكت أمرك حفـرت ما يرويك ، لا ما يرميك وما فضل ماء اسـتنبطته يداك ، لينتفـع به عداك ؟ وما زاد الأباة عن الحياض الا لتكون لهم وردا .

لا توحشنك غربة .. ان مئات الملايين من القلوب رفافة على جنباتك حائمة على مواردك ، هائمة بحبك ، تقطع الأنات فى التفـكير فيـك ، ولا تقطع الأنات من الامتعاض لك ، وان مئات الملايين من الألسنة رطبة بذكرك ، متحركة بمدحك ، ناطقة بفضلك متغنية بمحاسنك ، وان هذا لرأس مال عظيم ، لم تظفر به قبلك يدان .

أنت اليوم مثـابة العروبة فى ثراك حى بيانها ، وبسقت أفنانها ، وفى رياضـك تفتحت أزهارها وغردت بلابلها ، ففى ذمة كل عربى حر الدم لك دين واجب الوفاء ، وهذا أجل الوفاء .

وأنت اليوم قبلة المسلمين يولون وجوههم اليك كلما حزبهم أمر ، أو حلت بهم معضلة ، وينفرون الى معاهدك يمتارون العلم منها ، والى كتبك يصححون الفكر والرأى عنها ، والى علمائك يتلقون الفتيا الفاصلة فى الدين والدنيا عنهم ، فلك ــ بذلك ــ على كل مسلم حق ، وهذا أوان الحاجة اليه .

وأنت اليوم مأزر الاسلام فكلما سيم الهوان فى قطر ، أو رماه زنديق بنقيصة ، فزع اليك ــ واستجار بك ، يتلمس الغوث ، ويستمد الدفاع ، فلك على المسلمين فى المشارق والمغارب فضل الحماية لدينهم ، وعليهم أن يطيروا خفافا وثقالا لنصرتك ، ثم لا منة لهم عليك ولا جميل .

وكيف بك ــ مع هذا ــ لو كنت مظهرا للاسلام الصحيح ، ولمثله العليا فى العقائد والأعمال والأحكام ، اذن لكنت قدوة فى احياء سنته التى أماتتها البدع وفى اقامة أعلامه التى طمستها الجهالات وفى بعث آدابه التى غطت عليها سخافات الغرب ، وفى نشر هدايته التى طوتها الضلالات ، اذن لحييت وأحييت .

ومن الغريب أنك قادرة على تغيير ما بك من هذه الأدران ، ثم لم تغسلى ، وأنك قادرة على اعادة الاسلام الى رسومه الأولى ، ثم لم تفعلى ، ويمينا برة لو فعلت لما حل بك ما حل ، ولو فعلت لقدت المسلمين بزمام ولكنت ــ بهم ــ للعالم كله اماما أى امام .

.. عهدك التاريخ صخرة من معدن الحق ، تتكسر عليها أمواج الباطل ، فكونى أصلب ما كنت ، تنحسر الأمواج وأنت أنت ..

.. أقدمت فصممى .. وبدأت فتممى .. وحذار من التراجع فان اسمه الصحيح « هزيمة » وحذار من التردد فانه سوس العزيمة ..

انك فائزة فى هذه المرة بأقصى المطلوب ، لأنك أردت فصممت ، وانما يعين الله من مخلوقاته المصممين ، واذا كان المطلوب حقا ، وكان الطلب عدلا ، فأكبر الأعوان

على نيـله التصميم ، فصممى ثم صممى ..

ان قلبى يحدثنى حديثا كأنما استقاه من عين اليقين ، وهو أنك فائزة منتصرة ظافرة فى هذه المعركة، لأنك استعملت فيها سـلاحا كنت تنشدينه فلا تجـدينه وهو الارادة يحدوها التصميم ، يمدها الايمان بالحـق ، يربط ثلاثتهما الاجمـاع على الحق ..

انك فائزة فى هذا اليوم بالأمنية التى عملت لهـا قرونا وأن فوزك فوز للعـرب وللاسـلام وللشرق فيا ويـح دعاة الوطنيات الضـيقة المحدودة . اذا أقدم الأبطال نكصوا واذا زاد الناس نقصوا ، ويحهم ان المستعمر سارق وان السارق الحاذق لا يسرق فى الظلمة أو فى الغفلة ، فاذا انحسر الظـلام ، أو انقشعت الغفلة ولى مدبرا بالخيبة والحسرة ، وان مصر لفى فجر صادق ، وانهـا لفى يقظة صاحية ، فأى موضع يسع السارق فيها ؟

صممى وأقدمى ، ولا يخدعنك وعد ، ولا يزعجنك وعيد .

ان الخصـوم ـ كما علمت ـ لئـام ، وأن اللؤم والجبن توأمان منذ طبع الله الطباع ، فحركى فى وجوههم تلك القوى الـكامنة فى بنيك يرتعدوا ..

صممى وقولى للمتغافلين الذين يعذلونك على الاقدام : « ان أضيع شيء ما تقول العواذل » .

انثرى كنانتك ـ يا كنانة الله ـ فان لم تجدى فيها سلاح الحـديد والنار فلا تراعى ، واحرصى على أن تجدى فيها السـلاح الذى يفـل الحديد ، وهو العزائم ، والمادة التى تطفىء النار ، وهى اتحاد الصفوف، والمسن الذى يشحذ هذين ، وهو العفة ، والصبر ، فلعمرك ـ يامصر ـ انهم لم يقاتلوك بالحديد والنار، الا ساعة من نهار ، ولـكنهم قاتلوك فى الزمن كله ، بالأستاذ الذى يفسد الفكر ، وبالكاتب الذى يزرع الشك وبالعـلم الذى يمـرض اليقـين ، وبالصـحيفة التى تنشر الرذيـلة ،

وبالقلم الذى يزين الفاحشة ، وبالبغى الذى يخرب البيت ، وبالحشيش الذى يهدم الصحة ، وبالممثلة التى تمثل الفجور ، وبالراقصة التى تغرى بالتخنث ، وبالمهازل التى تقتل الجد والشهامة، وبالخمرة التى تذهب بالدين والبدن والعقل والمال ، وبالشهوات التى تفسد الرجولة ، وبالكماليات التى تثقل الحياة ، وبالعادات التى تناقض فطرة الله ، وبالمعانى الكافرة التى تطرد المعانى المؤمنة من القلوب فان شئت أن تذيبى هذه الأسلحة كلها فى أيدى أصحابها فما أمرك الا واحدة ، وهى أن تقولى : انى مسلمة •• ثم تصومى عن هذه المطاعم الخبيثة كلها •• ان القوم تجار سوء ، فقاطعيهم تنتصرى عليهم، وقابلى أسلحتهم كلها بسلاح واحد، وهو التعفف عن هذه الأسلحة كلها فاذا أيقنوا أنك لا حاجة لك بهم ، أيقنوا أنهم لا حاجة لهم فيك ، وانصرفوا•• وماذا يصنع «المرابى» فى بلدة لا يجد فيها من يتعامل معه بالربا ••

نعمة من الله عليك أن امتحنك بهذه المحنة ، وأنت فى مفترق الطرق ولو تأخرت المحنة قليلا لخشينا أن تسلكى أضل السبل •

فرصة من فرص الدهر هيأها لك القدر للرجوع الى هدى محمد صلى الله عليه وسلم ومحامد العرب ، وروحانية الشرق ، فان انتهزتها محوت آية الغرب ، وجعلت آية الشرق مبصرة •

ويا مصر ، نحن وأنت سواء فى طلب الحق ومطاردة غاصبيه، ونحن وأنت مستبقون الى غاية واحدة فى ظلام دامس ، ولكنك أصبحت فيا بشراك ، ويا بشرانا بك ، ولم نزل نحن فى قطع من الليل ، نرقب الفجر أن ينبلج نوره • وما الفرج منا ببعيد ••

محمد البشيرى الابراهيمى

من قضاة الإسلام : ابن خلدون

للدكتور فؤاد عبد المنعم أحمد

أثمر الفكر الاسلامى فى ابن خلدون نتاجا انسانيا ، فكان له فضل السبق فى تأسيس علم الاجتماع وأسهم بدور كبير فى علم التاريخ وفلسفته والسياسة والاقتصاد .

وقد كانت هذه الجوانب من شخصية ابن خلدون محل دراسات بل وأطروحات علمية . ويهمنا أن نسلط الأضواء عليه كقاضى قضاة المالكية فى مصر ومدى اسهامه فى الاصلاح القضائى فى عصره ، وقد ترك لنا ابن خلدون ترجمة ذاتية رسمت الخطوط الكبرى من حياته تعين على دراسته فى ضوء التحليل العلمى الحديث .

معالم حياته :

ـ ولد فى أول رمضان سنة ٧٣٢ هـ (٢٧ مايو سنة ١٣٣٢ م) بتونس عبد الرحمن بن محمد (ابن محمد بن محمد الحسن بن جابر بن محمد بن ابراهيم بن عبد الرحمن) بن خلدون ، ويكنى أبو زيد ، واشتهر بابن خلدون نسبة الى جده التاسع ، ويرجع ابن خلدون أصله الى العرب اليمانية فى حضر موت ، ونسبة الى وائل بن حجر ، ويعتمد فى ذلك على رواية العلامة النسابة الأندلسى الامام ابن حزم (المتوفى ٤٥٦ هـ) عند الكلام فى دخول رأس هذه الأسرة الى الأندلس والمغرب مع الغزاة الفاتحين . ولقد كان لهذه الأسرة أثر كبير فى السياسة والعلم فى الأندلس وقد وصفها المؤرخ ابن حيان (من رجال القرن الخامس الهجرى) فقال . « بيت ابن خلدون الى الآن فى اشبيليه نهاية فى النباهة . ولم تزل أعلامه بين رياسة سلطانية ورياسة علمية » .

ـ عزف والد ابن خلدون (أبو عبد الله محمد) عن السياسة

واضطرابها فقد ارتفع فيها من أفراد أسرته من وصل الى امارة اشبيلية وانتهى الأمر بقتله تعنى به كريب ابن خلدون — وآثر حياة الدرس والعلم ، يقول لنا ابن خلدون عن أبيه « نزع عن طريقة السيف والخدمة الى طريقة العلم والرباط . فقرأ وتفقه ، وكان مقدما فى صناعة العربية وله بصر بالشعر وفنونه » . وكان ذلك الأب هو المعلم الأول فى حياة ابن خلدون فأحفظه القرآن وفقه فى القراءات السبع وأسهم معه علماء الأندلس الذين نزلوا بتونس بعد انهيار الأندلس فى القرن السابع الهجرى فى تعليم ابن خلدون شيئا من التفسير والحديث والفقه المالكى الذى هو المذهب السائد فى المغرب العربى . ويذكر لنا ابن خلدون أسماء معلميه فى كل علم وفن ، ويعنى عناية خاصة بترجمتهم ووصف مناقبهم ولكن تلحظ أن اثنين من أساتذته كان لهما أكبر الأثر فى ثقافته الشرعية واللغوية والحكمية : أحدهما ، محمد بن عبدالمهيمن بن عبدالمهيمن الحضرمى أمام المحدثين والنحاة بالمغرب وقد أخذ عنه الحديث ومصطلح الحديث والسيرة وعلوم اللغة ، والثانى : أبو عبد الله محمد بن ابراهيم الآبلى شيخ العلوم العقلية التى تشمل المنطق وما وراء الطبيعة والعلوم الرياضية والطبيعية والفلكية والموسيقى .

— وعكف ابن خلدون على الدرس والتحصيل وشهد له أساتذته بالنبوغ والتفوق والاجازة فيما اطلع عليه ودرسه حتى بلغ الثامنة عشرة من عمره ، وفيها طوى بساط الموت والديه فى الفناء الكبير (الطاعون الجارف) بالنكبة التى حلت بالشرق والمغرب معا (٧٤٩هـ — ١٣٤٩م) ويشير اليها ابن خلدون بقوله (فيها ذهب الأعيان والصدور وجميع المشيخة وهلك أبواى رحمهما الله) وهاجر معظم العلماء والأدباء الذين أفلتوا من هذا الوباء الجارف من تونس الى المغرب الأقصى سنة ٧٥٠ فولى ابن خلدون وجهه شطر الوظائف العامة والسير فى الطريق الذى سار فيه جداه

الأول والثانى وكثير من قدامى أسرته فقضى ستة أعوام موظفابفاس فعمل مع السلطان أبو عنان .

وكان ابن خلدون عضوا فى مجلسه العلمى وأحد كتابه وموقعيه وذلك فى الفترة من ٧٥٥ هـ الى ٧٥٨ هـ . وقد قضى بعد ذلك سنتين فى سجن فاس (٧٥٨ ـ ٧٦٠ هـ) لصلته بالأمير محمد صاحب بجاية المخلوع والذى كان أسيرا فى فاس .

وفى سنة ٧٦٠ أفرج عن ابن خلدون الوزير الحسن بن عمر وولاه وظائفه السابقة ، كما ولاه السلطان منصور بن سليمان فى نفس السنة وظيفة الكتابة وولاه السلطان أبو سالم فى شئون كتابة السر والانشاء والمراسيم ثم تولى خطة المعالم (٧٦٠ الى آخر ٧٦٢ هـ) . كما أبقاه الوزير عمر بن عبد الله على الوظائف السابقة (٧٦٣ ـ ٧٦٤ هـ) .

ـ رحل ابن خلدون الى الأندلس فى سنة ٧٦٤ بعد أن كتب الى صديقه : سلطانها محمد ووزيره ابن الخطيب بقدومه ، ولما وصل ابن خلدون غرناطة اهتم السلطان والوزير بمقدمه واحتفيا به وأكرما مثواه ، ونظمه السلطان فى أهل مجلسه ، وقربه اليه وأثره بصحبته وأسماره ، واختصه فى العام التالى (سنة ٧٦٥ هـ) بالسفارة بينه وبين ملك قشتالة ، فنجح فى تلك السفارة وتم عقد صلح بين سلطان الأندلس وملك قشتاله وانتظمت العلاقات السياسية بينهما فارتفعت مكانة ابن خلدون لدى سلطان الأندلس وأقطعه الأرض الخصبة يتبوء فيها فزاد رزق ابن خلدون واتسعت أحواله وطلب ابن خلدون من السلطان أن يسمح له باستقدام أسرته من قسطنطينه فسمح له . وشعر ابن الخطيب بأن سلطان الاندلس قد قدم ابن خلدون عليه لديه فدفعته عوامل الغيرة والتنافس بأن يقصى ابن خلدون وقدم السعايات الى السلطان وأيدها عن يد عمه فتقبلتها نفس السلطان ، وشعر ابن خلدون باعراض السلطان عنه ، فأدرك أنه لم يبق للبقاء موضع ، وقد وصلته فى الوقت ذاته رسالة من صديقه الذى حبس من

أجله سنتين وهو الأمير أبى عبدالله محمد أمير بجاية . يحيطه فيها أنه قد استرد ملكه ، وأنه يرغب فى مقدمه ، فاستأذن سلطان الأندلس فأذن له ، وشيعه مكرما .

ـ وصل ابن خلدون الى بجاية عن طريق البحر فى منتصف ٧٦٦ هـ (١٣٦٤) فاستقبله أميرها وأهلها استقبالا عظيما ، وولاه أمير بجاية منصب الحجابة وهو أعلى منصب فى الدولة ويعادل منصب رئيس الوزراء فى عصرنا وقد وصف ابن خلدون سلطات المنصب فقال : « الاستقلال فى الدولة والوساطة بين السلطان وأهل دولته، لايشاركه فى ذلك أحد » . كما أن السلطان صرح له واختصه بالخطابة والتدريس فى أكبر مساجد ولاية بجاية (جامع القصبة) فجمع ابن خلدون بين يديه أكبر مناصب السياسة وأرفع مناصب العلم ، وتمكن من تدبير الأمور بحزم وعزم فعالج الفتن القائمة ، وتجول بين القبائل البدوية ونجح فى تحصيل الضرائب منها بصرامته ودهائه . وفى سنة ٧٦٧ هـ تمكن السلطان أبى العباس أحمد صاحب قسطنطينيه من قتل ابن عمه أبا عبدالله ودخل بجاية ظافرايحدثنا ابن خلدون عن أثر ذلك فيقول :

(وجاءنى الخبر بذلك وأنا مقيم بقصبة السلطان وقصوره ، وطلب منى جماعة من أهل البلد القيام بالأمر ، والبيعة لبعض الصبيان من أبناء السلطان ، فتفاديت من ذلك ، وخرجت الى السلطان أبى العباس، فأكرمنى وحيانى ، وأمكنته من بلده) ، فأكرمه أبو العباس ، وأقره على منصب الحجابة حينا ، ثم مالبث أن شك فيه ، فتنكر له ورغب عن خدمته ، فتوجس ابن خلدون خفية منه ، واستأذنه فى الانصراف الى أحد الأحياء القريبة فأذن له ، ولكن عن له بعد ذلك أن يقبض عليه ، ففر ابن خلدون الى بسكرد لصداقة بينه وبين أميرها حيث قضى سبع سنين (من منتصف ٧٦٧ الى منتصف ٧٧٤ هـ) فى الدسائس والمغامرات لحساب أبى حمو سلطان تلمسان ضد أبى العباس سلطان بجاية أولا ، ثم لحساب أبى فارس

عبد العزيز سلطان فاس ضد أبى حمو ثانيا ، منها نحو سنتين (٧٧٤ ـ ٧٧٦ هـ) قضاها فى فاس بعيدا عن وظائف الدولة فى كنف الوزير ابن غازى ، ما عدا بضعة أشهر فى آخرهما قضاهما فى عهد السلطان أبى العباس أحمد .

ـ وفى ربيع سنة ٧٧٦ رحل ابن خلدون رحلته الثانية الى الأندلس تاركا أسرته بفاس ، وكان موضع ريبة من أمراء المغرب جميعا لدسائسه ، فما كاد ينزل ضيافة سلطان الأندلس ابن الأحمر حتى كانت ملاحقة أمراء المغرب له وخاصة بلاد فارس وطلبوا من ابن الاحمر تسليم ابن خلدون فأبى ، فطلبوا اليه أن يقصيه من أرضه الى المغرب فأجابهم لمطلبهم .

ـ عقد ابن خلدون العزم ـ وقد امتد أثر السياسة الى ايذاء زوجه وأولاده وحجبهم عنه ثم أقصاه عن الأندلس ، وقد نزل فى مرسى « هنين » لا يعلم أين يمضى؟ أن يتفرغ للقراءة والتأليف وأن يترك شئون السياسة ، لأن الأولى لا تقل فى ابراز الانسان فى عين معاصريه عن الثانية بل يمتد أثر الأولى الى الأجيال المقبلة (ليسهم فى تحقيق صالح المجتمع البشرى) وقد ساعد على نزوله فى تلمسان وجود شقيقه يحى فى خدمة أميرها أبو حمو وشفاعة الوسطاء لدى هذا الأمير للعفو عنه وتحقق رجائهم ، فنزل ابن خلدون فى قلعة ابن سلامة ووصل اليه زوجه وأولاده ، وعكف أربع سنوات من ٧٧٦ هـ ـ ٧٨٠ ينعم فيها بالاستقرار والهدوء وتفرغ فيها للدراسة والتأليف وأثمر مؤلفه التاريخى المشهور « العبر » وقدم لهذا المؤلف ببحث عام فى شئون الاجتماع الانسانى وقوانينه وحرف هذا البحث فيما بعد باسم « مقدمة ابن خلدون » .

ـ ولما عزم ابن خلدون على الرجوع الى مسقط رأسه تونس حيث وفرة المراجع التى تعينه على تهذيب كتابه « العبر » فكاتب سلطان تونس أبا العباس ـ الذى انتزع بجاية ـ قتل ابن عمه والذى

تنكر لابن خلدون فتنكر ابن خلدون له وقضى مدة طويلة فى الدسائس والمغامرات ضده يطلب الصفح والعفو ، فعفى عنه وأكرمه، ومكث فى تونس من ٧٨٠ هـ — ٧٨٤ ينقح كتابه « العبر » وأهداه الى السلطان أبى العباس . وقد عكر صفو ابن خلدون أمر السلطان أبى العباس لابن خلدون بالخروج معه لمقاتلة الخوارج عليه فى «توزر» فخرج معه مكرها ، ثم تأهب السلطان للخروج فى جيشه مرة أخرى فخشى ابن خلدون أن يعود السلطان الى استصحابه فى حملته — وقد عافت نفس ابن خلدون السياسية — فتعلل للسلطان بعزمه على قضاء فريضة الحج وتضرع اليه أن يخلى سبيله ، فأذن له وغادر ابن خلدون وطنه ومسقط رأسه مرة أخرى ، فكانت الهجرة الأبدية وخرج الى مرسى السفينة فى حفل مؤثر من الأعيان والأصدقاء والتلاميذ يودعونه بين مظاهر الحزن والأسى ، وركب البحر الى المشرق فى منتصف شعبان ٧٨٤ هـ - (أكتوبر سنة ١٣٨٢ م) .

— وصل ابن خلدون الى الاسكندرية بعد رحلة بحرية شاقة فى يوم عيد الفطر ولبث فيها شهرا، ووصل الى القاهرة فى أول ذى القعدة ٧٨٤ هـ ، وكانت القاهرة قبلة العالم الاسلامى فى المشرق والمغرب ولها الشهرة الواسعة فى حماية العلوم والآداب ، وكان ابن خلدون يأمل أن يقضى أيامه فى مصر فى هدوء ودعة ويتمتع بقسط من الرعاية والحماية الممنوحة للعلماء . وقد سبق ابن خلدون الى مصر مؤلفه الضخم « العبر » ولا سيما مقدمته التى تضمنت من جدتها وروعة مباحثها وطرافتها أن أقبل على ابن خلدون العلماء والطلاب من كل صوب ، يقول ابن خلدون فى كبرياء وتواضع معا : « وانثال على طلبة العلم بها يلتمسون الافادة مع قلة البضاعة ولم يوسعونى عذرا » ويؤكد ذلك ما تشير اليه التراجم المصرية نفسها فيقول ابن تغرى بردى فى ترجمته لابن خلدون : « واستوطن القاهرة وتصدر للاقراء بالجامع الأزهر مدة ،

واشتغل وأفاد» . ويقول السخاوى: « وتلقاه أهلها أى أهل مصر — وأكرموه وأكثروا ملازمته والتردد عليه ، بل تصدر للاقراء بالجامع الأزهر مدة » . جلس ابن خلدون للتدريس بالأزهر ، ويبدو أنه كان يدرس الحديث والفقه المالكى ، ويشرح نظرياته فى العمران والعصبية وأسس الملك ونشأة الدول وغيرها مما عرض اليه فى مقدمته . وكانت هذه الدروس خير اعلان عن غزير علمه ، وشائق بحثه ، وساحر بيانه، وكان ابن خلدون محدثا بارعا رائع المحاضرة ، يخلب ألباب سامعيه بمنطقه وذلاقته ، وهذا ما يحدثنا به معاصريه من أعلام الفكر والأدب المصريين فيقول لنا ابن حجر العسقلانى ، وقد درس عليه وانتفع بعلمه ووصفه بقوله : « وكان لسنا، فصيحا ، حسن الترسل وسط النظم مع معرفة تامة بالأمور خصوصا متعلقات المملكة» . وذكر الركراكى كما نقله عنه السخاوى « ان محاضرته اليها المنتهى » .

— خلا منصب التدريس بالمدرسة القمحية ، بجوار جامع عمرو ، وهى من مدارس المالكية فعينه السلطان فيه ، وشهد المجلس الأول لابن خلدون فى هذه المدرسة جمهرة من الأكابر والعلماء أرسلهم السلطان لشهوده ويقول لنا ابن خلدون عن أثر هذا المجلس « انفض هذا المجلس وقد شيعتنى العيون بالتجلة والوقار » .

— وفى أواخر جمادى الآخرة سنة ٧٨٦ هـ عين السلطان الظاهر برقوق ابن خلدون فى وظيفة قاضى قضاة المالكية بدلا من القاضى المعزول جمال الدين بن خير الاسكندرى . ويصف ذلك ابن خلدون فى سخرية « وأقمت على الاشتغال بالعلم وتدريسه الى أن سخط السلطان قاضى المالكية يومئذ فى نزعة من النزعات الملوكية، فعزله واستدعانى للولاية فى مجلسه وبين أمرائه ، فتفاديت من ذلك ، وأبى الا مضاءه » . ولقد كانت مناصب التدريس والقضاء دائما مطمع جمهرة الفقهاء والعلماء

المحليين ، ولم يكن مما يحسن وقعه لديهم أن يفوز بها ابن خلدون المغربى الوافد دونهم . فاذا حمل الأمانة وأدى الرسالة وأصلح أحوال القضاء مما يسوده حينئذ من فساد واضطراب بعيد فى نظر الحاقدين الساعين الى ازالة المنصب معه الى جهل بالاجراءات وقد كثرت السعاية فى حقه والاغراء به حتى « أظلم الجو بينه وبين أهل الدولة على حد تعبيره ووافق ذلك مصابه بالأهل والولد ، وقد تشفع فى احضارهم له — وقد حجزهم سلطان تونس ليجبر ابن خلدون على العودة الى تونس — سلطان مصر ، ولكن السفينة التى كانت تحملهم أصابها قاصف من الريح فغرقت ، يقول لنا ابن خلدون : « وذهب الموجود والسكن والمولود ، فعظم المصاب والجزع ، ورجح الزهد ، واعتزمت على الخروج من المنصب فلم يوافقنى عليه النصيح ممن استشرته خشية من نكير السلطان وسخطه » ، ولم يمض وقت قليل حتى عزل من منصبه لأول مرة فى السابع من جمادى الأولى ٧٨٧ هـ ، أى أنه لبث فى المنصب نحو عام من ولايته ، فانقطع ابن خلدون الى الدرس والتأليف مع شغف النفس بالعودة الى المنصب .

— عينه السلطان أستاذا للفقه المالكى فى المدرسة « الظاهرية البرقوقية » فى سنة افتتاحها عام ٧٨٨ هـ ، وفى سنة ٧٨٩ هـ مضى لأداء فريضة الحج ، وبعد عودته وفى المحرم ٧٩١ هـ ولاه السلطان منصب كرسى الحديث بمدرسة « عمر غتمش » ، وفى ربيع الآخر من ٧٩١ هـ عينه السلطان شيخا « لخانقاة بيبرس » وهى تكية للصوفية ، وكان يشترط فى شيخها أن يكون عضوا فى هيئة المتصوفين فنزل ابن خلدون يوما واحدا بها ، وقيد من أعضائها قبل تعيينه شيخا لها حتى يتوافر فيه هذا الشرط بيد أنه لم يعرف فى تاريخه — أنه زاول التصوف العملى أو ركن الى الزهد والاعتكاف كما يفعل المتصوفون فى عصره — وكان أثر هذه المشيخة أن زاد رزق ابن

خلدون واتسعت موارده ، ثم عين فى منصب القضاء للمرة الثانية فى النصف الثانى من سنة ٨٠١ هـ وزار بيت المقدس فى رمضان ٨٠٢ هـ وعزل فى منتصف المحرم ٨٠٣ هـ ويعين نائبه نور الدين ابن الخلال الذى بذل ما تيسر من المال لبطانة السلطان للحصول على المنصب وفى نفس السنة خرج ابن خلدون مع الناصر فرج سلطان مصر لصد الغزو المغولى عن دمشق التى كانت تابعة لسلطان مماليك مصر وأثناء المعركة علم السلطان أن مؤامرة تدبر فى مصر لخلعه وتولية آخر فارتد مسرعا الى القاهرة . ويصف ابن خلدون ما حدث فى المعسكر بعد ذلك فيقول : « وجاءنى القضاة والفقهاء واجتمعت بمدرسة العادلية واتفق رأيهم على طلب الأمان من الأمير (تيمور لنك) على بيوتهم وحرمهم ، وشاوروا فى ذلك نائب القلعة ، فأبى عليهم ذلك وأنكره ، فلم يوافقوه وخرج القاضى برهان الدين بن مفلح الحنبكى ومعه شيخ القراء .. فأجابهم الى التأمين وردهم باستدعاء الوجوه والقضاة ، فخرجوا اليه متدلين من السور بما صحبهم من التقدمة ، فأحسن لقاءهم ، وكتب لهم الرقاع بالأمان ، وردهم على أحسن الآمال . واتفقوا على فتح المدينة من الغد ... وأخبرنى القاضى برهان الدين أنه سأل عنى ، وهل سافرت مع عساكر مصر أم أقمت بالمدينة فأخبره بمقامى بالمدرسة حيث كنت ، وبتنا تلك الليلة على أهبة الخروج اليه ، فحدث بين بعض الناس تشاجر فى المسجد الجامع ، وأنكر البعض ما وقع من الاستنامة الى القبول (أى الاطمئنان الى ما وعد به تيمورلنك وما أخذه على نفسه من الأمان) . وبلغنى الخبر فى جوف الليل ، فخشيت البادرة على نفسى ، وبكرت سحرا الى جماعة القضاة عند الباب ، وطلبت الخروج أو التدلى من السور لما حدث عندى من توهمات ذلك الخبر ، فأبوا على ذلك أولا ، ثم أصحوا لى ودلونى من السور ، فوجدت بطانته (تيمورلنك) عند الباب ونائبه

الذى عينه للولاية على دمشق ، وقد التقى ابن خلدون بتيمورلنك وقدم اليه هدية وأحسن الأخير استقباله واستضافه وكلفه بأن يكتب عن بلاد المغرب حتى كأنه يراها وتنفذ نه أمره ، وان أخبر ابن خلدون سلطان المغرب بعد ذلك يوصف لتيمورلنك فقال : « وهذا الملك « تمر » من زعماء الملوك وفراعنتهم ، والناس منسوبة الى العلم وآخرون الى اعتقاد الرفض ، لما يرون من تفضيله لأهل البيت وآخرون الى انتحال السحر . وليس من ذلك كله فى شىء ، انما هو شديد الفطنة والذكاء ، كثير البحث واللجاج، بما يعلم وبما لا يعلم . عمره بين الستين والسبعين ، وركبته اليمنى عاطلة من سهم أصابه فى الغارة أيام صباه ، على ما أخبرنى ، فيجرها فى قريب المشى ، ويتناوله الرجال على الأيدى عند طول المسافة) . فان كانت الأثرة هى التى دفعته الى لقاء لتيمورلنك فانه قد استطاع أن يكون عينا لوطنه فقدم ثمرة اللقاء الشخصى والعلامة التى تؤدى الى القضاء على تيمورلنك عند اللقاء به .

واسترد ابن خلدون منصب قاضى قضاة المالكية بعد عودته من لقائه بتيمورلنك فى شعبان سنة ٨٠٣ هـ . وعزل منه فى رجب ٨٠٤ هـ . ثم أعيد اليه فى ذى الحجة سنة ٨٠٤هـ الى ربيع الأول من ٨٠٦ هـ وعزل وأعيد فى شعبان ٨٠٧ الى أواخر ذى القعدة من تلك السنة أى مكث نحو ثلاثة أشهر ، وامتدت المرة الأخيرة من شعبان ٨٠٨ هـ الى يوم وفاته فى السادس والعشرين من رمضان السنة نفسها أى نحو شهر ونصف ، ودفن قرب باب النصر ، ولم يكشف عن مدفنه بعد ، ولا ندرى ان كان الزمن قد أبقى على شىء من معالمه .

الاصلاح القضائى لابن خلدون فى مصر :

تولى ابن خلدون منصب قاضى قضاة المالكية خمس مرات فى الفترة ما بين ٧٨٦ هـ و ٨٠٨ هـ تاريخ وفاته على نحو ما أشرنا ،

ولقد أعطى المنصب حقه من الأمانة والرعاية فأظهر له حزما وعزما ومجابهة لكل ذى جاه فى وسط اجتماعى ألف غير ذلك وقد اتسم ابن خلدون فى منصبه بأمور أربعة جعلته فى الذروة بين القضاة ، وجعلت الناس لايطيقونه فى عصره .

اولها :

تطبيق مبدأ المساواة بين الخصوم، فسوى بين الصغير والكبير، والأمير والسوقة ، وقد وصف حاله فقال : « وقمت بما رفع الى من ذلك المقام المحمود ، ووفيت جهدى بما آمننى عليه من أحكام الله تعالى: لاتأخذنى فى الحق لائمة ، ولا يزغنى عنه جاه ولا سطوة ، قويا فى ذلك بين الخصمين ، آخذا بحق الضعيف من الحكمين ، معرضا عن الشفاعات والوسائل من الجانبين » وتبدو قيمة ذلك أن عصر ابن خلدون لم يكن عصر المساواة المطلقة فى الخصومة فى مجلس القضاء ، وقد يؤخذ قول ابن خلدون بعين الشك ولكن اذا وضع فى مقابلة أقوال علماء المعاصرين له يتبين لنا أن قولته عين الحق ، فيقول ابن حجر العسقلانى عن ابن خلدون القاضى : « لم يشتهر عنه فى منصبه الا بالصيانة له» ويقول ابن تغرى بردى فى المنهل الصافى : « باشر القضاء بحرمة وافرة وعظمة زائدة وحمدت سيرته ، ودفع رسائل أكابر الدولة وشفاعات الأعيان فأخذوا فى التكلم فى أمره ولا زالوا بالسلطان حتى عزله » .

ثانيها :

ان ابن خلدون التجأ الى وسائل الاثبات فأنارها بما يحيطها من الشبهات والظلمات وأبعد عنها الذين يفسدون الأحكام ممن اتخذوا الاثبات سبيلا للعيش ، وتزكية الشهود طريقا ، وكانت الشهادة أى البينة هى وسيلة الاثبات الأولى لذلك ففسادها مؤدى حتما الى فساد القضاء فطهرها من التزوير والكذب يقول لنا ابن خلدون مبينا جهده « جانحا الى التثبيت فى سماع البينات ، والنظر فى عدالة المنتصبين لتحمل الشهادات ، فقد

كان البر منهم مختلطا بالفاجر ، والطيب متلبسا بالخبيث ، والحكام ممسكون عن انتقادهم متجاوزون مما يظهرون عليه من هيئاتهم ، لما ينوهون من الاعتصام بأهل الشوكة، فان غالبهم مختلطون بالأمراء معلمون للقرآن ، وأئمة فى الصلاة ، يلبسون عليهم بالعدالة فيظنون لهم الخير ، ويقسمون لهم الحظ من الحياة فى تزكيتهم عند القضاة ، والتوسل لهم فأعضل داؤهم ، وفشلت المفاسد بالتزوير والتدليس بين الناس منهم، ووقفت على بعضها فعاقبت بموجب العقاب ومؤلم النكال ، وتأدى الى العلم بالجرح فى طائفة منهم ، فمنعتهم من تحمل الشهادة ، وكان منهم كتاب لدواوين القضاة ، والتوقيع فى مجالسهم ، وقد دربوا على املاء الدعاوى وتسجيل الحكومات ، واستخدموا للأمراء فيما يعرض لهم من العقود بأحكام كتابتها ، وتوثيق شروطها فصار لهم بذلك شفوف (فضل) على أهل طبقتهم ، وتمويه على القضاة بجاههم ، يدعون به مما يتوقعونه من عتبهم ، لتعرضهم لذلك بفعلاتهم وقد يسلط بعض منهم كلمة على العقود المحكمة ، فيوجد السبيل الى حلها بوجه فقهى أو كتابى ، ويبادرون الى ذلك متى دعا اليه داعى جاه أو منحة ، وخصوصا فى الأوقاف التى جاوزت حدود النهاية فى هذا العصر ، وبكثرة عوالمه ، فأصبحت خافية الشهرة ، مجهولة الأعيان ، عرضة للبطلان باختلاف المذاهب المنصوبة للحكام بالبلد ، فمن اختار فيها بيعا أو تمليكا شارطوه وأجابوه ، مفتاتين فيه على الحكام الذين ضربوا دونه سدا للخطر والمنع حماية من التلاعب » . أوردنا هذا الكلام مع طوله لأنه يصور لنا تلك العزمة التى اعتزمها ذلك القاضى العظيم ، ويصور لنا العقبات التى تقف فى سبيله وتصور حال العصر ، وتحكم المتصلين بالحكام فى مصاير الأحكام .

ثالثها :

أعمال وتنفيذ الأحكام ، لأنه كان من بين المفتين من يضعفون شأن الأحكام ولاضطراب الأمر بين قضاة

أربعة هم المالكى والشافعى والحنفى والحنبلى بفتح ثغرة لاضعاف قوة الأحكام ، فجاء الى المفتين وكبح جماح الذين يعبثون بالأحكام منهم، يصف ابن خلدون ذلك فيقول : « ثم التفت الى الفتيا بالمذهب،وكان الحكام منهم على جانب من الخبرة لكثرة معارضتهم وتلقينهم الخصوم، وفتياهم بعد نفوذ الحكم ، واذا فيهم أصاغر ، يتشبثون بأذيال الطلب والعدالة لا يكادون اذا بهم طفروا الى مراتب الفتيا والتدريس ، فاقتعروها ، وتناولوها بالجزاف ، فاحتازوها من غير مثرب، ولا منتقد للأهلية • • وقلم الفتيا فى ذلك العصر طلق ، وعنانها مرسل يتجاذب كل الخصوم منه رسنا • • فيعطيه المفتى من ذلك ملء رضاه •• متتبعا اياه فى شعاب الخلاف ، فتتعارض الفتاوى وتتناقض ويعظم الشغب ان وقعت بعد نفوذ الأحكام،والخلاف فى المذاهب كثير والانصاف متعذر وأهلية المفتى ، أو شهرة الفتيا ليس تمييزها للحامى،فلا يكاد هذا المدد ينحصر ولا الشغب ينقطع،هكذا قد طهر ابن خلدون الافتاء من هذا الصنف من المفتين ، وبذلك ضمن للحكم العادل طريقه الى النفاذ من غير تشغيب عليه •

رابعها :

سن ابن خلدون من أبواب التعزير بابا سلكه لم يكن بيد الجلاد، وهو اشارة السخرية على مرتكب الذنب اذا كان من ذوى السلطان ، فكان يعزر بالصفع على القفا اذا كان المتهم من ذوى الجاه أو المتصلين بذوى الجاه ، فكان يديم الصفع حتى يدمى القفا من كثرة ما ناله من مس عنيف •

آثاره وأثره :

لقد كتب لسان الدين بن الخطيب مؤلفات صديقه بن خلدن فقال : رسالة فى المنطق،وأخرى فى الحساب تلخيص لبعض ما كتبه ابن رشد ، شرح لقصيدة البردى ، تلخيص كتاب الفخر الرازى ، شرح لرجز فى أصول الفقه • ولم يرد كتاب العبر ومقدمته لأن لسان الدين الخطيب قتل قبل تأليف ابن خلدون لكتاب العبر • ومن الغريب أن جميع هذه المؤلفات التى ذكرها لسان الدين

ابن الخطيب والتى لانشك فى صحتها ليست معلـومة الآن ، والأغرب من ذلك أن ابن خلدون نفسه لم يذكرها فى ترجمـة حيـاته ، ويبدو لنا أنها كانت تافهة فى نظره لا تتضمن خلقا وابتكارا ، وانما هى تلخيص وتدريس لكتب لبعض من سبقوه فقد وصلنا منها « اللباب » وهو تلخيص لبعض مؤلفـات ابن عربى ، وقـد نشره الأب لوسـيانو ريبـو ، بـدار الطباعة المغربية ١٩٥٢ ، و « كتب ورسائل » خاطب بها معاصريه أمثال ابن الخطيب وعبد اللـه بن زمرك وقد نشرت فى كتاب « التعريف بابن خلدون ورحلته غربا وشرقا » والتى حققهـا وعلق عليها الأسـتاذ محمد تاويت الطنجى (التونسى) وأظهرته لجنة التأليف والنشر ١٩٥٢ م • ولم تصلنا رسالته عن شمال أفريقية التى وضعها خصيصا لتيمور لنك فلم يعثر عليها فى العربية ولا فى ما يمكن أن تكون قد ترجمت اليه من لغـات أخرى • أما كتاب « شفاء السائل فى تهذيب المسـائل » الذى نشره الطنجى ، استانبول ١٩٥٨ ، والأب أغناطيوس اليسوعى لبنان ١٩٥٩ فهو محل شك فى نسبته الى ابن خلدون صاحب المقدمة ونرجح ما يذهب اليه الدكتور على عبد الواحد وافى من نسبته الى عم والد مؤلف المقدمة ، لاتفـاق اسـمه وكتبـه (وهـى عبد الرحمـن أبو زيد) مع اسـم مؤلف المقدمة وللخـلاف الكبير بين هذا الكتاب ومقدمة ابن خلدون فى الأسلوب والأفكار وطريقة العـلاج للمسائل • ويعد أهم كتب ابن خلدون « كتاب العبر وديوان المبتدأ والخبر فى أيام العرب والعجم والبربر ومن عاصرهم من ذوى السلطان الأكبر » وأهم جزء منـه هو المقـدمة التى تضمنت فضل علم التاريخ وتحقيـق مذاهبه ، والالمـاع بمقاط المؤرخين • وتعرضت أيضا للعمـران ، وذكـر ما يعرض فيه من العوارض الذاتيـة من الملك والسلطان والكسب والمعاش والصنائع والعلوم ما لذلك من العلل والأسباب ، وقد قام بتحقيق المقدمة تحقيقا ممتازا الدكتور على عبد الواحد وافى فى أجزاء ثلاثة •

والجـديد فى دراسة ابن خلدون التاريخية هو المنهج ، ولعله أول من

قال أن التاريخ علم له موضوع ومنهج خاص ينتهى به الى طائفة من القوانين ، وهو علم شبيه بالعلوم العقلية ويخضع لمبدأين هامين : هما مبدأ السببية ومبدأ التطور . وموضوعه الأحداث البشرية ومحاولة تفسيرها تفسيرا علميا يرد كل حدث الى أسبابه وعوامله ، ويقدر ما للتقدم أو التراجع وهما وجها التطور من شأن فى المجتمعات البشرية ، ولان أساس المنهج التاريخى لابن خلدون النقد والملاحظة .

ويطيب لنا أن نختم مقالتنا عن ابن خلدون ببعض الأقوال فيه من معاصرين له ، ومعاصرين لنا . يقول لسان الدين بن الخطيب فيه « هو رجل فاضل ، حسن الخلق ، جم الفضائل ، باهر الخصل ، رفيع القدر ، ظاهر الحياء ، أصيل المجد ، وقور المجلس ، خاصى الزى ، عالى الهمة عزوف عن الضيم ، صعب المقادة ، قوى الجأش ، طامح لقنن الرئاسة خاطب للحظ ، مقدم فى فنون عقلية ونقلية ، متعدد المزايا ، سديد البحث كثير الحفظ ، صحيح التصور ، بارع الخط ، مغرى بالتجلة ، جواد ، حسن العشرة : مبذول المشاركة ، عاكف على خلال الأصالة مفخر من مفاخر التخوم المغربية » .

ويصف لنا تقى الدين المقريزى مقدمة ابن خلدون فيقول : « مقدمته لم يعمل مثلها ، وانه لعزيز أن ينال مجتهد منالها ، اذ هى زبدة المعارف والعلوم ، ونتيجة العقول السليمة والمفهوم ، توقف على كنه الأشياء وتعرف حقيقة الحوادث والأنباء ، وتعبر عن حال الوجود ، وتنبىء عن أصل كل موجود ، بلفظ أبهى من الدر النظيم وألطف من الماء اذا مر به النسيم » .

ويقول لنا أحمد أمين « ابن خلدون ، ومثله قليل من العلماء ، قريحة متوقدة ، وله قدرة فائقة على الحكم على الأشياء ، وله ابتكار نادر ، ان أخذ عن علم الأقدمين ، فليغذى ذهنه ويهضمه ، وليخرجه شيئا جديدا يمتاز عن علم من سبقه ، لأنه فيه شخصيته وابتكاره وآراءه ، واذا وجد حلقة مفقودة فى سلسلة تفكيره ولم يجد لها أصلا فيما كتبه سلفه

استطاع أن يخلقها خلقا وينشئها انشاءا فهو جديد فيما أخذه عمن قبله ، وهو جديد فيما اخترعه » .

ويقول الدكتور على عبد الواحد وافى فى كتابه عن ابن خلدون :

« يظهر أن ابن خلدون فى بحوث مقدمته كان سابقا لتفكير عصره بعدة مراحل ، ولذلك لم يستطع معاصروه ولا من جاءوا من بعده فى مدى القرون الأربعة التالية أن يتابعوه فى تفكيره ، فضلا عن أن يحاولوا تكملة بحوثه وتنقيحها . بل ان المقدمة نفسها قد ظلت طوال هذه الحقبة مجهولة لدى كثير من الباحثين فى الشرق والغرب » .

ويقول لنا محمد بن عبد الله عنان فى كتابه (ابن خلدون : حياته وتراثه الفكرى ١٩٥٣) : ان ابن خلدون على قدمه من حيث الزمن ، يجب أن يكون أستاذا لجميع الشباب الذى ينطق بالعربية ، ويجب أن يقرأ الشباب مقدمة ابن خلدون ، وأن يستعيدها مرارا وتكرارا ، لا ليعجب فقط بما حوت من روائع التفكير والبحث ، ولكن أيضا ليستبقى منها أساليب البيان والتعبير عن كثير من الآراء والخواطر الاجتماعية التى تجول بذهنه وكثيرا ما يتعثر فى التعبير عنها ، ذلك أن مقدمة ابن خلدون اذا كانت ثروة لا تقدر فى تراث التفكير العربى ، فهى ثروة لا تقدر فى تراث البيان العربى .

د : فؤاد عبد المنعم أحمد

حب الله طاعته :

لا تدعى حبى وتترك طاعتى وتعين أعدائى فأين وفاكا
أرأيت ذا حب دعاه حبيبه فيما يعود له فقال : وراكا
أتريد رحمتنا وتعصى أمرنا ؟ قل لى بربك : أين منك حياكا
وسعت جميع الخلق رحمتنا هنا وبها تخص المتقين هناكا

محمد الخطيب : وحى الحديث

هدية السماء لضيف السماء

الصلاة وأثرها فى تربية المسلم

للأستاذ على القاضى

تمهيـــد :

الصـــلاة هى الصلة الوثيقة بين العبد وخالقه يستمد منها القلب قوة هائلة تجعله يحس بالاطمئنان الكامل فى هذه الحياة كما تحس فيها الروح بالصلة الدائمة بينها وبين بارئها وتجد فيها النفس زادا أنفس من كل ما فى هذه الحياة ومن هنا فقد كان النبى صلوات الله عليه اذا حز به أمر هرع الى الصلاة •

ذلك لأن الانسان الفانى المحدود لا يستطيع أن يعيش فى هذه الحياة آمنـــا مطمئنا ولا أن يؤدى رسالته كاملة الا اذا اتصل بالقوة الكبرى التى خلقته ليستمد منها العون حينما تنازعه أهواء النفس الداخلية وحين يتجاوز الجهـــد قواه المحـــدودة فى مواجهة قوى الشر المنتشرة فى هذه الحيـــاة ســـواء أكانت واضـــحة أم مستقرة ــ وحينما يثقل عليه جهد الاستقامة على الطريق الأقوم بدون أن يجد معه المعين أو الناصر ثم ينظر الى مقدار ما وصل اليه فاذا به فى مكانه لم يبلغ شيئا مما يريد وحينما يجد الشر نافشا منتشرا هنا وهناك بينما الخير ضاويا لا يكاد يظهر له شعاع فى الأفق ينير السبيل فيعرف الانسان طريقه ويسير واثقا بخطواته الى حيث يقصد ويريد •

هنا تبرز قيمـــة الصلاة وأهميتها فى حياة المسلم اذ أنها الصلة المباشرة بين العبد وخالقه وهى الموعد المختار لالتقاء الفطرة البشرية بالنبع الدائم الذى يفيض ولا يغيض •

ثم ان اللـــه سبحانه وتعالى يعلم ضخامة الجهد الذى تقتضيه الاستقامة على الطريق بين النوازع والدوافع والذى يقتضيه القيام على دعوة الله فى الأرض بين شتى الصراعات والأهواء والذى يتطلب أن تبقى النفس مشدودة الأعصاب • ولهذا فان المسلم يســـتقبل النهـــار بالصلاة ويتوسطه

بالصلاة ثم يختمه بالصلاة كما يستقبل الليل بين يدى الله بالصلاة يستهديه به فى عمله كما يؤدى اليه الحساب عن هذا العمل من ساعة اليقظة الى الساعة التى يستسلم فيها للرقاد أو ينطوى فيها تحت جنح الظلام (قل ان صلاتى ونسكى ومحياى ومماتى لله رب العالمين لا شريك له وبذلك أمرت وأنا أول المسلمين) .

ولم تكن الأمة الاسلامية هى الأمة الوحيدة التى فرضت عليها الصلاة اذ تقرر آيات القرآن الكريم أن الله سبحانه وتعالى أمر بها بنى اسرائيل وذلك فى قوله (ولا تلبسوا الحق بالباطل وتكتموا الحق وأنتم تعلمون وأقيموا الصلاة وآتوا الزكاة واركعوا مع الراكعين) البقرة ٤٢ ، ٤٣ . كما أن الله سبحانه وتعالى أوصى بها عيسى عليه السلام وذلك فى قوله تعالى على لسان عيسى (قال : انى عبد الله آتانى الكتاب وجعلنى نبيا وجعلنى مباركا أينما كنت وأوصانى بالصلاة والزكاة ما دمت حيا (« مريم » .

الصلاة هدية السماء :

الصلاة هى العبادة الوحيدة التى لم ينزل بها جبريل عليه السلام لقد فرضت مواجهة بين رب العزة ورسوله صلوات الله عليه وهو أقرب ما يكون اليه وهو فى مقام قاب قوسين أو أدنى ففى هذا المقام أوحى الى عبده ما أوحى ومن الوحى الصلاة وكأنها شرعت لتكون معراجا روحيا يعرج به المسلم آلى ربه خمس مرات فى اليوم تمكينا له من الراحة التامة ليحول بينه وبين الانفعالات النفسية والعواطف المثيرة التى تدفعه الى المغالاة فى الفرح فيرتكب المحرمات أو الى المغالاة فى الحزن فيحيط به اليأس .. فالعروج الذى اختص به النبى كان لجسمه وروحه وقد بقى منه للأمة محاولة القرب والعروج بالروح عند كل تحول للشمس والظل والظلام فلم تترك الرحمة من يقبل على الطاعة دون أن تهب له ما يذوق منه طعم القرب من الله وترى فيه بشرى لقائه . والرسول الكريم قد بشر بهذا القرب وهذا اللقاء فى قوله (انكم سترون ربكم فان استطعتم

ألا تغلبوا على صلاة قبل طلوع الشمس وقبل غدوها فافعلوا) .

وهدية السماء لا بد وأن تستكمل شروطها حتى تؤدى الغرض منها وأول شروطها اقامتها ومعنى ذلك أداؤها على الوجه الأكمل بقدر الاستطاعة فلا يقع فيها قصور فى صورتها أو حقيقتها أما صورتها فهى الأعمال والأقوال المعروفة وأما حقيقتها فهى الاخلاص لله عز وجل واستشعار عظمته فحين ينطق المصلى بتكبيرة الاحرام ويكون بذلك قد دخل فى الصلاة فانه يجب عليه أن ينفصل عن كل ما يشغل كيانه عن الله سبحانه وبذلك يحقق معنى قوله الله أكبر فما دام الله أكبر فلا يشغله عنه شيء والصلاة المقامة هى التى استكملت الخشوع (قد أفلح المؤمنون الذين هم فى صلاتهم خاشعون) وفى هذا يقول الله سبحانه وتعالى (انما المؤمنون الذين اذا ذكر الله وجلت قلوبهم واذا تليت عليهم آياته زادتهم ايمانا وعلى ربهم يتوكلون الذين يقيمون الصلاة ومما رزقناهم ينفقون أولئك هم المؤمنون حقا لهم درجات عند ربهم ومغفرة ورزق كريم) الأحزاب . والشرط الثانى المحافظة عليها وفى ذلك يقول الله تعالى (حافظوا على الصلاة والصلاة الوسطى وقوموا لله قانتين) البقرة . والشرط الثالث الدوام عليها بمعنى الاستمرار فى جو الصلاة وبذلك يكون المسلم فى صلاة دائمة حقيقية أو حكما وبذلك يتم معنى الصلاة وحقيقتها فيكون المسلم متزنا فى تصرفاته كلها ذلك لأن الصلاة توجه كل مشاعر الحب والكره الى ما يحبه الله ويكرهه واذا تحققت هذه المعانى عند المؤمن أعانته على الالتزام الجدى الدائم بأمر ربه وأبعدته عن الانحراف (ان الصلاة تنهى عن الفحشاء والمنكر) أما الصلاة الناقصة فما هى الا مظهر من مظاهر الولاء لله المجرد من التكاليف والالتزامات الخلقية والعملية التى تحتمها دعوى الاسلام لرب العالمين .

ولذلك يقول الرسول الكريم (ليس للانسان من صلاته الا ما عقل منها) والقرآن الكريم ينذر الذين يصلون وفى الوقت نفسه يمنعون حق غيرهم فى أموالهم لأنهم فى هذه الحالة يكونون ساهين عن حقيقة صلاتهم بعيدين عن غاياتها اذ أن

الصلاة لم تكن عنوان ايمان والا لأدت الغرض منها ولم يمنع الناس من حقوقهم (فويل للمصلين الذين هم عن صلاتهم ساهون الذين هم يراءون ويمنعون الماعون) الماعون •

الاستعداد للصلاة :

لأهمية الصلاة فى تربية المسلم كان لا بد لاقامتها من شروط حتى تحقق الاستعداد للقاء الله سبحانه وتعالى ومن هذه الشروط الطهارة، والرسول الكريم يقول (الطهور شطر الايمان) والطهارة عبادة يستخدم فيها الماء الطاهر يغسل به المسلم أعضاء محددة من جسمه وهى من الناحية العملية التى يتصل بها الانسان بالعالم من حوله ــ ومما هو جدير بالتأمل أن مصدر الماء هو الكون سواء أكان ماء المطر أو العين أو النهر أو البحر أو البرد فالمسلم يجمع من الكون حوله ماء طاهرا يمر به على أجزاء جسمه فكأنه يصافح الكون من حوله عن طريق هذا الماء فالماء طاهر يستعمله المسلم ليكون جديرا بأن يقف أمام ربه يسبح بحمده ويسجد له ويدعوه أن يجعله من التوابين ويجعله من المتطهرين ومثل ذلك استعمال ما يتيمم به حين لا يجد الماء أو حين لا يستطيع استخدام الماء وما يتيمم به أيضا من الكون فكأنه يصافحه أيضا فى حالة التيمم كما يصافحه فى حالة الوضوء يقول الله تعالى (يأيها الذين آمنوا اذا قمتم الى الصلاة فاغسلوا وجوهكم وأيديكم الى المرافق وامسحوا برؤوسكم وأرجلكم الى الكعبين وان كنتم جنبا فاطهروا وان كنتم مرضى أو على سفر أو جاء أحد منكم من الغائط أو لامستم النساء فلم تجدوا ماء فتيمموا صعيدا طيبا) المائدة ٦•

والى جانب طهارة الجسم لا بد من طهارة الثياب حتى تصح الصلاة (وثيابك فطهر) المدثر •

ثم التوجه للقبلة وذلك يعطى احساسا للمسلم بوحدة الهدف مع وحدة المتجه الى جانب القرب من الله سبحانه وتعالى ــ ومن مقدمات الصلاة الأذان الذى هو اعلام بالصلاة حتى يجتمع المسلمون لأداء الفريضة فى مسجدهم •

أهداف الصلاة :

المسلم خلقه الله فى الأرض ورسالته تحقيق هذه الخلافة وذلك

بالايمان بالله والأمر بالمعروف والنهى عن المنكر وتحقيق العدالة (كنتم خير أمة أخرجت للناس تأمرون بالمعروف وتنهون عن المنكر وتؤمنون بالله) آل عمران • والمسلم لذلك كان دائما فى حاجة الى الصلة بالله يستمد منه القوة والأمن والطمأنينة لأداء هذه الرسالة • ولعل أهم ما تحققه الصلاة أنها محطات تعبئة روحية الى جانب تكوين الشخصية الايجابية المتزنة الى جانب تحقيق المساواة والحب بين المسلمين ثم رضاء الله عز وجل •

الصلاة محطات تعبئة روحية :

المسلم فى هذه الحياة لا يستطيع أن يسير فى قوة الا اذا كان على صلة دائمة بالقوة الكبرى التى خلقته والتى يجد فيها غذاء لروحه وشفاء لنفسه وأنسا لقلبه وشحذا لعزيمته واثارة لكوامن قابلياته ولذلك فقد كانت الصلاة راحة لنفس النبى صلوات الله عليه وقرة لعينه يقول عليه السلام (وجعلت قرة عينى فى الصلاة) •

اذ فيها يتفرغ المسلم بقلبه ويتفكر فى معانى الآيات التى يتلوها ويطلب من ربه العون والمدد والقوة اذ أن فساد المجتمع ومتطلبات الدعوة تستلزم دوام الصلة بالله حتى يكون الرسول أقدر على مواجهة الأذى ومقابلة قوى الشر وثباته فى المواقف الصعبة والله سبحانه وتعالى يقول له (انا سنلقى عليك قولا ثقيلا) المزمل • ثم يرسم له طريق الصلة الدائم الذى يجعله قادرا على السير بدعوته الى طريق النجاح وذلك اذ يقول له (يأيها المزمل قم الليل الا قليلا نصفه أو انقص منه قليلا أو زد عليه ورتل القرآن ترتيلا) المزمل •

كما يقول له (ان ناشئة الليل هى أشد وطئا وأقوم قيلا) المزمل •

ومن هنا فان الاسلام كان حريصا على اقامة الصلاة فى جميع الأوقات حتى فى ساعة المعركة والمسلمون مشغولون بها ولم يؤجلها حتى يفرغوا من مهامهم القتالية ذلك لأن الصلاة سلاح من أسلحة المعركة ولذلك فقد نظم استخدام هذا السلاح بما يتناسب مع طبيعة المعركة فالصلاة رمز لتفوق المسلمين بالايمان بالله ووضوح الهدف السامى فى غاية

وجودهم فى هذه الحياة ويحدث القرآن المؤمنين بكيفية الصلاة فى فى المعركة ويحذرهم من عدوهم الذى يتربص بهم لحظة غفلة واحدة عن أسلحتهم وأمتعتهم فيميلون عليه ميلة واحدة كما يخبرهم بأن أعداءهم الذين يلتقون بهم كتب الله عليهم الذلة وأعد لهم عذابا مهينا — — وفى الآيات الكريمة يوازن بين التحذير والتطمين وهذا التوازن يطمئن المؤمنين ويربيهم فى الوقت نفسه (واذا كنت فيهم فأقمت لهم الصلاة فلتقم طائفة منهم معك وليأخذوا أسلحتهم فاذا سجدوا فليكونوا من ورائكم ولتأت طائفة أخرى لم يصلوا فليصلوا معك وليأخذوا حذرهم وأسلحتهم ود الذين كفروا لو تغفلون عن أسلحتكم وأمتعتكم فيميلون عليكم ميلة واحدة ولا جناح عليكم ان كان بكم أذى من مطر أو كنتم مرضى أن تضعوا أسلحتكم وخذوا حذركم ان الله أعد للكافرين عذابا مهينا) النساء ١٠٢

فهذه الآيات تدل على أهمية الصلاة من الحياة الاسلامية حتى لقد ذكرت الآيات السابقة كيفيتها كما تدل على تكامل المنهج الاسلامى فى مواجهة الحياة الانسانية فى كل حالاتها ومتابعة الفرد المسلم والجماعة المسلمة فى كل لحظة وفى كل حين .

ولهذا أيضا لم يعف المريض من الصلاة بل طلب منه أداؤها على قدر استطاعته قائما أو قاعدا أو مستلقيا حتى تستمر صلته الروحية بالله فيستمر وهو مريض فى قوته ومعنوياته المرتفعة .

الصلاة تكون الشخصية الايجابية المتزنة :

خلق الانسان ضعيفا اذا ما مسه الشر فهو جزوع قنوط لا يعتقد انكشافه ولا ينتظر زواله واذا مسه الخير استغنى بماله وجاهه وطغى وتجبر فليس له كيان متزن يجعله يقابل المحن بصبر وعزيمة كما يقابل النعم بالشكر والبذل ولا يستثنى من ذلك الا المصلين الذين هم على صلاتهم دائمون فهم متزنون فى تصرفاتهم واثقون بأنفسهم وربهم (ان الانسان خلق هلوعا اذا مسه الشر جزوعا واذا مسه الخير منوعا الا المصلين الذين هم على صلاتهم دائمون) فالله هو الأحق عندهم بأن يتوجه المسلمون اليه فى البأساء والضراء والمآسى الفردية والعامة

يستمدون منه العون والصبر ويطلبون منه المثوبة — والله هو الأحق بالشكر على نعمة وخيره العميم ومن هنا فان المصلين لا يصابون بالأزمات النفسية ولا تنتابهم المشاعر السلبية كالملل فى الرخاء والضيق فى الشدة فهم يتوجهون الى ربهم وخالقهم فى كل مناسبة ويؤمنون بقيامه على كل نفس كما يؤمنون بأن الدنيا ليست دار جزاء ولا بقاء بل هى دار اختبار تكشف عن مدى صلابة الفرد فى ايمانه بربه وصدق دعواه بطاعته وقوة تحمله فى فترات الشدة كالمرض وفقد الأحباب وخسارة المال وغير ذلك الى جانب ثقتهم بعدل الله ورضاهم بقضائه مع محاولتهم دفع الأذى ما أمكن بوسائلهم المادية واستعانتهم به كما أنها تخبرهم بالنعم كالصحة والرخاء وما الى ذلك أما الآخرة فهى دار القرار والجزاء .

ولعل هذا هو الذى جعل رب العزة يشرع للمسلمين صلوات مخصوصة للحالات النفسية المختلفة التى تنتاب الفرد والجماعة فشرعت للمناسبات السارة صلاة العيدين حتى لا تنطفىء مشاعر الفرح فيؤثر ذلك على الاحساس بالمسئولية العامة كما شرعت صلوات معينة للأزمات كصلاة الحاجة التى تقام لكل حاجة شخصية طارئة وصلاة الاستسقاء والخسوف والكسوف وبذلك يشتد أزر الفرد والجماعة فى فترات الشدة ويتمتع كل مسلم بشخصيته وهذا يعينه على الالتزام الدائم بأمر ربه وتبعده عن الانحراف أمام المغريات والانهيار أمام الأعداء .

المساواة والحب :

فى المساجد تزول جميع الفوارق والاعتبارات الدنيوية فالجميع يقفون فى صفوف متراصة متساوية خمس مرات فى كل يوم وليلة فى صف واحد يركعون ويسجدون جنبا الى جنب وجبهة الى جبهة تحت قيادة امام واحد يتجهون الى معبود واحد ويلتقون حول هدف واحد ويحسون بأخوة الاسلام — المواعيد محددة والحركات موزونة والصفوف الأمامية للسابقين الى المساجد المسارعين الى نداء الله — ومجتمع المصلين مجتمع الحب يتفقد الغائب ويجامل الحاضر ويعين المحتاج ويسلى المصاب ويفرج كربة المكروب وينصح

المخطىء ويتكافل بعضه مع بعض فى حمل أعباء الجماعة ويسهم فى مشروعات الخير ، مجتمع كله ود وصفاء ووئام صورة لما ينبغى أن يكون عليه المجتمع المسلم الكبير فى جميع نواحيه ... فالمساجد أعظم مدرسة لتهذيب النفوس وتعويدها التواضع ولين الجانب ووداعة الأخلاق ... وهى بذلك تنمى الروح الجماعية والتآلف العاطفى كما تقوى الصلة الفكرية والنفسية والشعورية والاجتماعية بين جماهير المصلين وتنمى فيهم الاحساس الجماعى المملوء بالأمل والألم والفرح والحزن وتعودهم الالتقاء على الخير والتعاون على البر والتقوى والبعد عن الاثم والعدوان وتحبب اليهم النظافة المادية والمعنوية فضلا عن المعنى العسكرى الملحوظ فى تنظيم الصفوف واتباع القائد وكل المشاعر الأخرى التى ينشئها الاحساس باتحاد الوجهة واتحاد الحركات والسكنات ... وهم حين يتجهون الى قبلة فانما يتخطون بذلك حدود المكان واقفين على قطعة من محيط دائرة يقف عليها ملايين المؤمنين ليلا ونهارا متجهين الى البيت العتيق .

رضوان الله :

المسلم يشرك عواطفه وغرائزه وهو فى مجتمع يؤثر فيه ويتأثر به وقد يكون فى سلوكه أخطاء لسبب أو لآخر ولهذا ففى الصلوات الخمس تمكين للمسلم أن يراجع نفسه بالحساب ويغسل روحه من جراء تعامله اليومى مع ما فيها من دوافع وشهوات وأهواء ويطهر قلبه مما انتابه فهذه الصلاة تسمو به وتقوم انحرافه ويعود بعد ذلك ليستأنف حياته وفى ذلك يقول الرسول الكريم (أرأيتم لو أن نهرا بباب أحدكم يغتسل فيه كل يوم خمس مرات هل يبقى من درنه شيء ؟ قالوا : لا يبقى من درنه قال : فذلك مثل الصلوات الخمس يمحو الله بهن الخطايا) متفق عليه — وقال أيضا : الصلوات الخمس والجمعة الى الجمعة كفارة ما بينهما ما لم تغش الكبائر) مسلم وقد سئل رسول الله صلى الله عليه وسلم أى الأعمال أحب الى الله ؟ قال : الصلاة على وقتها — ومن ترك الصلاة فلا دين له) وقد روى الامام مالك عن عبادة بن الصامت رضى الله عنه قال : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : (خمس

صلوات كتبهن الله على العباد فمن جاء بهن ولم يضيع منهن شيئا استخفافا بحقهن كان له عهد عند الله أن يدخله الجنة ومن لم يأت بهن فليس له عند الله عهد ان شاء عذبه وان شاء أدخله الجنة) .

على أنه لا بد من ملاحظة أن الصلاة لها صورة ظاهرية من ركوع وسجود كما أن فيها روحا كاملة وفاعلية مؤثرة ودورا ايجابيا فى ترقية شخصية المؤمن وتزكيتها واعدادها الخلقى والروحى والنفسى والاجتماعى ذات منهج شامل وخصائص مميزة تقبل المؤمنين على اختلاف أجسامهم وألوانهم ولكن مستويات النجاح تختلف بين الأفراد بحسب اقبالهم على الصلاة ومحافظتهم عليها واستغراقهم فيها واقامتهم لها الاقامة التى تتمثل فى الاعتدال فى الأداء والمداومة عليه حتى ترسخ صورة القيم التى يريد الاسلام أن يثبتها فى كيان المجتمع عن طريق هذه الفريضة .

ومن هنا رأينا ثواب الصلاة يختلف من مسلم الى مسلم فبينما ينزل الثواب فى مسلم الى العشر اذ به يرتفع مع آخر الى درجة ممتازة يقول الرسول الكريم (منكم من يصلى الصلاة كاملة ومنكم من يصلى النصف والثلث والربع حتى بلغ العشر) النسائى .

وروى مسلم عن عبد الرحمن ابن ثوبان قول رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : (سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول عليك بكثرة السجود فانك لن تسجد لله سجدة الا رفعك الله بها درجة وحط عنك بها خطيئة .

خاتمة :

كان الرسول صلوات الله عليه يوصى أمته بالصلاة وكان آخر كلمة قالها الصلاة الصلاة وما ملكت أيمانكم وكانت هذه الكلمة آخر مشهد حين نظر الى أصحابه الراكعين الساجدين فى الصلاة نظرة ارتياح بالغ أنساه آلامه المضاعفة فى مرض الموت وفاض وجهه الشريف بشرا ثم أسلم الروح الى بارئها قرير العين مطمئن الضمير لأنه أدى الأمانة وبلغ الرسالة .

وقبل ذلك رفض النبى صلوات الله عليه أن يتساهل فيها أو يتغاضى

عنها ففى رواية الامام أحمد أن وفد ثقيف اشترطوا على رسول الله ألا يحشروا ولا يعشروا ولا يجمعوا ولا يستعلى عليهم غيرهم أى لا يخرجوا للغزو ولا يؤدوا الزكاة ولا يصلوا ولا يولى عليهم أحد من غير قبيلتهم فقال عليه السلام لكم ألا تحشروا ولا تعشروا ولا يستعمل عليكم غيركم ولا خير فى دين لا ركوع فيه) •

ولهذا فان روح نبينا محمد على قوتها حين كانت تضيق نفسه لسبب من الأسباب كان يلجأ الى واحة الروح فيأمر بلالا باقامة الصلاة ويقول له : أرحنا بها يا بلال أو هى اللمسة الجانبية للقلب المتعب المكدود من الحياة وما يلاقيه فيها من صعوبات وعقبات والصلاة أيضا مظهر لنشاط قوى الانسان الثلاث الجسمية والفكرية والروحية وتوجهها الى حالتها جميعا فى ترابط تام واتساق واضح يجعلها قياما وركوعا وسجودا لحركة الجسد ويجعلها قراءة وتدبرا وتفكيرا فى المعنى والمعنى تحقيقا لنشاط العقل ويجعلها توجها واستسلاما لله تحقيقا لنشاط الروح وفى ذلك تذكرة بفكرة الاسلام كلها عن الحياة ــ وبهذا تحقق فكرة الاسلام كلها عن الحياة فى كل ركعة فى كل صلاة ــ ولقد كان دعاء ابراهيم أبى الأنبياء أن يجعله وذريته من المقيمين الصلاة (رب اجعلنى مقيم الصلاة ومن ذريتى ربنا وتقبل دعاء) •

وهكذا تعمل الصلاة فى المسلم وتؤثر فيه التأثير الكامل الذى يجعله قادرا على أداء رسالته فى هذه الأرض مادام قد وعاها وأقامها وحافظ عليها •

على القاضى

قال عمر للولاة :

الأمراء أربعة : أمير قوى ظلم نفسه وعماله فذلك المجاهد فى سبيل الله يد الله باسطة عليه بالرحمة ، وأمير ضعيف ظلم نفسه وأرتع عماله لضعفه فهو على شفا هلاك الا أن يرحمه الله ، وأمير ظلم عماله وأرتع نفسه فذلك الحطمة الذى قال فيه رسول الله صلى الله عليه وسلم شر الرعاة الحطمة فهو الهالك وحده ، وأمير أرتع نفسه وعماله فهلكوا جميعا •

أحلام لها تاريخ

للأستاذ السيد حسن قروت

قلت فى المقال السابق : ان (سيجموند فرويد) العالم النفسانى جزأ النفس البشرية الى الشعور واللاشعور وجعل بينهما منطقة متوسطة ، وجعل اللاشعور وعاء الرغبات المكبوتة التى لا تظهر فى اليقظة ، فاذا نام الانسان وجد اللاشعور فرصته فسرح الى المنطقة الوسطى ، وهنا تكون الأحلام ، وألمعت الى أن الأحلام التاريخية بعضها يقبل منطق فرويد وتلاميذه وبعضها ينأى عنه كل النأى ، وحكاية الرغبات المكبوتة عرفها شعراؤنا فى العصر العباسى حين تحدثوا عن الطيف ، وزورة الخيال قبل أن يفلسفها ابن خلدون فى مقدمته ، فيتخذ من الأحلام سبيلا الى كشف المستقبل بطرق عملية وكلامية ، ولا ضير على الباحث فى ذكر شعر الشعراء فلهم السبق على العلماء فى الحديث عن القمر والوصول اليه ، وفى كشف المجهول ،

فلا غرو اذا وجدنا العباس بن الأحنف الشاعر العباسى يقول :

خيالك حين أرقد نصب عينى
الى وقت انتباهى لا يزول

وليس يزور فى صلة ولكن
«حديث النفس» عنك به الوصول

وتبعه أبو تمام الطائى فقال :

زار الخيال لها ، بل أزاركه
فكر اذا نام فكر الخلق لم ينم

ظبى تقنصته لما تصبت له
فى آخر الليل أشراكا من الحلم

ويفيد شعر الشاعرين أن حديث النفس فى اليقظة والفكر فى المحبوب هو السبب فى زيارة الطيف أو خيال الحبيب ، ويبدو من شعرهما أنهما حصرا الأمر فى الحب والحبيب ؛ لأن الشعراء لا يتحدثون الا عما يشغل قلوبهم ، ويثير لواعج الشوق فيهم ، ولكن العلماء والفلاسفة ميدانهم أوسع فى الغالب ، لأنهم

ينظرون الى الانسان ككل، يدرسونه من جميع أطرافه وأقطاره ، ويحللون ويعاودون التحليل حتى يستقروا على قرار مكين ما وجدوا الى ذلك سبيلا ، ومن ثم خالف العلماء النفسانيون فرويد ولم يتبعوا مذهبه على اطلاقه ؛ لأنه حصر أمر الانسان فى غريزة واحدة ، ولا أحب أن أطيل أكثر من هذا ، فما موقف ابن خلدون فى أمر الأحلام ؟ يقول : ووقوع ما يقع للبشر من ذلك غالبا انما هو من غير قصد ولا قدرة عليه ، وانما تكون النفس متشوقة لذلك الشيء فيقع لها بتلك اللمحة فى النوم ؛ لأنها تقصد الى ذلك فتراه ، فقد عبر عن الرغبات المكبوتة بالتشوف، ويقسم الأحلام الى أنواع ثلاثة راويا عن النبى صلى الله عليه وسلم أنه « قال : الرؤيا ثلاث : رؤيا من الله ، ورؤيا من الملك ، ورؤيا من الشيطان » ويجعل هذا الحديث تأييدا لما فصله قبل قائلا : وهذا التفصيل مطابق لما ذكرناه ؛ فالجلى من الله ، والمحاكاة الداعية الى التعبير (التأويل) من الملك ، وأضغاث الأحلام من الشيطان ، ومدرسة النفس الحديثة لا تعترف بأضغاث الأحلام ؛ فهى عندهم مناط التحليل النفسانى ، ولو تأملنا كلمة « من الشيطان » لوجدناها لا تبعد عما تريد تلك المدرسة ، فمجالها المرضى برغباتهم المكبوتة الآثمة التى تعادى السلوك الحميد وتعاليم الأديان ، وكل ما كان من هذا القبيل فهو من الشيطان ، وليس الشيطان هو الجنى فحسب فالشياطين كثيرون من خارج الانسان وداخله ، وغرضى من هذا كله أن أبين الى أى حد يصلح التطبيق على الأحلام التى لها تاريخ ، والتى تعيش بيننا مرموقة موموقة ، وسأسوق لك فى هذا المقال ثلاثة أحلام لترى معى الى أى حد ينطبق عليها كلام فرويد أو ابن خلدون ، واليك حلم (الأذان)

قال ابن اسحق(١) : فلما اطمأن رسول الله صلى الله عليه وسلم بالمدينة ، واجتمع اليه اخوانه من المهاجرين واجتمع أمر الأنصار استحكم أمر الاسلام ؛ فقامت

(١) السيرة النبوية لابن هشام ج٢ .

الصلاة ، وفرضت الزكاة والصيام، وقامت الحدود ، وفرض الحلال والحرام وتبوأ الاسلام بين أظهرهم، وكان هذا الحى من الأنصار هم الذين تبوءوا الدار والايمان ، وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم حين قدمها انما يجتمع الناس اليه للصلاة لحين مواقيتها بغير دعوة ، فهم رسول الله أن يجعل بوقا كبوق يهود الذين يدعون به لصلاتهم ، ثم كرهه ، ثم أمر بالناقوس فنحت ليضرب به للمسلمين للصلاة ، فبينما هم على ذلك اذ رأى (عبدالله ابن زيد بن ثعلبة بن عبد ربه الخزرجى) النداء ، فأتى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال له : يا رسول الله ، انه طاف بى هذه الليلة طائف : مر رجل عليه ثوبان أخضران يحمل ناقوسا فى يده ، فقلت له : يا عبد الله ، أتبيع هذا الناقوس ؟ قال : وما تصنع به ؟ قلت : ندعو به للصلاة • قال : أفلا أدلك على خير من ذلك ؟ قلت: وما هو ؟ قال : تقول الله أكبر • الله أكبر • الله أكبر • الله أكبر • أشهد أن لا اله الا الله • أشهد أن لا اله الا الله • أشهد أن محمدا رسول الله • أشهد أن محمدا رسول الله • حى على الصلاة • حى على الصلاة• حى على الفلاح• حى على الفلاح • الله أكبر • الله أكبر • لا اله الا الله • فلما أخبر بها رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : انها لرؤيا حق ، ان شاء الله، فقم مع بلال فألقها عليه ، فليؤذن بها، فانه أندى صوتا منك ، فلما أذن بها بلال سمعها عمر بن الخطاب وهو فى بيته ، فخرج الى رسول الله وهو يجر رداءه وهو يقول : يا نبى الله والذى بعثك بالحق لقد رأيت مثل الذى رأى ، فقال الرسول : فلله الحمد على ذلك ، وهذه الرواية تجىء بمعناها وجل ألفاظها فى رواية الطبقات الكبرى لمحمد بن سعد كاتب الواقدى غير أنه يورد الأذان بلا تكرار لألفاظه ، ويذكر أنهم كانوا يجتمعون على صوت مناد يقول « (الصلاة جامعة » ويؤرخ للأذان بأن الأمر به كان بعد تحويل القبلة ، وقد بقى فى الناس « الصلاة جامعة » للأمر يحدث مثل فتح يقرأ، أو أمر يؤمرون به ، وهذه الرؤيا

تجيء مفصلة حسب المذهب النفسى فى أسباب الحلم ، فالرسول وأصحابه قد أهمهم أمر الدعوة للصلاة ، وكيف يجتمعون لها ، وتشاوروا فى الأمر مليا ، وذكرت حلول وفروض رفضت ، ثم انصرفوا الى منازلهم ، وما يزال التفكير يرافقهم فكانت الرؤيا من عبد الله بن زيد الأنصارى وعمر بن الخطاب القرشى ويؤيد اهتمامهم وشغلهم الكبير ابن سعد فى روايته الأخرى ، يقول ابن سعد : فأتى عبد الله بن زيد أهله فقالوا : نعشيك؟ قال : لاأذوق طعاما ؛ فانى رأيت نبى الله صلى الله عليه وسلم قد أهمه أمره للصلاة فنام فرأى فى المنام كأن رجلا عليه ثياب خضر وهو قائم على سقف المسجد فأذن ثم قعد قعدة ، ثم قام فأقام الصلاة . ومعنى هذا أنه كان مشغولا الى درجة أن يبيت دون أن يذوق طعاما ، وأن الهم قد استبد به ، فكانت تلك الرؤيا التى وصفها النبى بأنها رؤيا حق .

فأين موقف مفسر الأحلام من هذا الحلم ؟ انهم لم يفسروا ولم يحللوا ، بل أخذوه على أنه حقيقة واقعة يجب تنفيذها ، وقد نفذت وأصبحت اعلاما ونداء وتدينا على مر الأزمان والأجيال ، فالقضية مقبولة فى الشق الأول منقوضة فى الشق الثانى ، السبب مقبول والتأويل مرفوض لأنه لا تأويل . وان كنت قد ارتضيت الرؤيا وتفسيرها فقد وقعت فى حيرة . اذ كيف يكون حلم الصحابى شرعا؟ ولم يفتنى أن اقراره من السنة ، وجال فى نفسى أن الأذان شيء عظيم به ندعو الى الصلاة ،والصلاة عماد الدين ، وهذا يقتضى وحيا ، والوحى خاص بالأنبياء ، ووافانى ابن هشام بالمخرج من الحرج ؛ فقد أتى برواية تريح الصدر ، وتشرح النفس وتجلو اليقين . قال : وذكر ابن جريج ، قال لى عطاء : سمعت عبيد بن عمير الليثى يقول : ائتمر النبى صلى الله عليه وسلم وأصحابه بالناقوس للاجتماع للصلاة ، فبينما عمر بن الخطاب يريد أن يشترى خشبتين للناقوس اذ رأى عمر فى المنام : لا تجعلوا الناقوس ، بل أذنوا للصلاة ، فذهب عمر الى النبى ليخبره بالذى رأى ، وقد جاء النبى

صلى الله عليه وسلم الوحى بذلك فما راع عمر الا بلال يؤذن ، فقال رسول الله حين أخبره بذلك « قد سبقك بذلك الوحى » وبهذا زالت حيرتى ، وقر قرارى ، وارتضيت الرؤيا من كلا الرجلين : الخزرجى والقرشى؛ لأنها رؤيا طابقت الوحى.

واليك حلما للسيدة عائشة رضى الله عنها يستعصى على المذاهب العصرية التى تتحدث عن النفس .

قالت (١) عائشة لأبى بكر : انى رأيت فى المنام كأن ثلاثة أقمار سقطن فى حجرتى . فقال أبو بكر : خيرا . قال الراوى : فسمعت الناس يتحدثون أن رسول الله صلى الله عليه وسلم لما قبض ودفن فى بيتها قال لها أبو بكر : هذا أحد أقمارك وهو خيرها . فليس هنا أمر أثر فى نفس السيدة عائشة ، أو حادث دعاها الى التفكير فى هذا الشأن ، والمحلل النفسانى فى مثل هذه الحال لايجد له مكانا والأقرب الى التفكير أن نقول : ان السيدة عائشة أهمها الانجاب ، فودت لو ولدت للرسول أبناء ثلاثة يكونون أقمارا ينيرون سماء الأمة الاسلامية ، وقد فكر بذلك فى زمنهم ، لكن أبا بكر حين انتقل سيد الخلق الى الرفيق الأعلى ودفن فى حجرة عائشة ساق اليها التأويل الذى لا تأويل غيره ، وقد سقط القمر الأول وهو خيرها ، ثم يسقط القمر الثانى وهو أبوها ويدفن فى حجرتها ثم يليه عمر بن الخطاب ليدفن مع صاحبيه وهو القمر الثالث ومن البعيد الذى يبلغ حافة المحال أن تفكر عائشة فى موت زوجها وأبيها ورجل آخر هو عمر بن الخطاب ثم تنام ويتغلب اللاشعور على الشعور ويأتى بحلم يضلل السامع أو المحلل النفسانى — ان صح التعبير — ان مشكلة (فرويد) وتلاميذه جاءتهم من ممارسة عملهم مع المرضى ، ولم يمارسوه مع الأسوياء الذين لا يشغلون أنفسهم بما لا يتفق مع الدين ومكارم الأخلاق . وأترك هذا الحلم وما دار

(١) الطبقات ج ١ : ذكر الأذان .

حوله لأصل بك الى الحلم الثالث حلم (معاذ بن جبل) وهو حلم لك أن تبـدى فيه رأيك ، وأن تؤوله بمـا عرفت من دراستك للأحـلام ومساربها ودواعيها ، وحلم (١) معاذ رضى الله عنه جاء من ظروفه وحياته كان صحابيا جليـلا أسلم فى شرخ الشباب ، دون العشرين من عمره ، وحضر بيعة (العقبة الأخيرة) مع السبعين رجلا والمرأتين فى الاجتماع الذى حضره العباس بن عبد المطلب وهو على دين قومه ، ورأسه رسول الله نبى الهدى ، وحضر بدرا وهو فى الحادية والعشرين من عمـره ثم شهد المشاهد كلها ، ومع جهـاده بسيفه كان له جهاد بعقله ، فهو دائم السؤال عن أمـور الدين والتوسع فى فهمه وكان حسن المنظر ، جميل الثنايا ، فصيح اللسان يقبل الناس عليه يسألونه فى دمشق والشـيوخ والكهول حاضرون ، وتوفى فى طاعون (عمواس) سنة ١٨ هـ ذلك الطاعون الذى قضى عـلى كثـير من جـلة الصـحابة وأعيان الفرسـان ممن يزينون المسلمين ، ويروعون الكافرين منهم أبو عبيدة والفضل بن العباس ، ويزيد بن أبى سـفيان ، والحارث ابن هشام المخزومى ، وأبو جنـدل العامرى الى كثير ممن ينبغى ذكرهم وليس هنا مجال الحـديث عنهم ، وانما حديثى عن رؤيا معاذ . قال الرواة : انه كان سخى الكف ، كثير الانفاق ، فأعسر بعد يسر ، وضاق بعد سعة ، فكثرت ديونه ، وتكالب عليه غرماؤه بعـد عودته من غزوة تبوك سنة تسع من الهجرة ، فـلم يجد مفرا من الاحتجاب عن الناس فى منزله ، فشكاه غرماؤه الى رسول الله ، فقالوا : يا رسول الله خذ لنا حقنـا منه ، فأحضره ، وأمـره أن يتنـازل عن ماله لغرمائه ، فلم يف ماله بديونه ، حتى طلبوا الى الرسول أن يبيعه لهم ، فقال لهم : « خلوا عنه فليس لكم اليه سبيل » وذهب معـاذ الى بيته مَحْزونا ، ثم دعاه النبى فبعثه واليا على اليمن ، وقال له : «لعل الله يجبرك ويؤدى عنك»

---

(١) الطبقات ج٢ (معاذ بن جبل) .

وكتب الى أهل اليمن كتابا يقول فيه : « انى بعثت عليكم من خير أهلى والى علمهم ، والى دينهم » فخرج معاذ الى اليمن فلم يزل فيه حتى توفى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وتولى الخلافة أبوبكر الصديق ، واستعمل عمر بن الخطاب أميرا للحج ، والتقى معاذ بعمر يوم التروية بمنى ، فاعتنقا ، وعزى كل منهما صاحبه برسول الله ، ثم أخلدا الى الأرض يتحدثان ، فرأى عمر عنده غلمانا ، فقال : ما هؤلاء يا أبا عبد الرحمن ؟ قال : أصبتهم فى وجهى هذا ، قال عمر من أى وجه ؟ قال : أهدوا الى وأكرمت بهم . وأغلب الظن أن كلمة «أهدوا الى هزت عمر رضى الله عنه ، فقال: اذكرهم لأبى بكر . فقال معاذ : ما ذكرى هذا لأبى بكر ؟ وافترقا. ولا شك فى أن اعتراض عمر عليه ترك أثرا فى نفسه ، وحيرة فى أمره، فأوى الى فراشه قلقا ، « ونام فرأى فى النوم كأنه على شفير النار وعمر آخذ بحجزته(١) من ورائه يمنعه أن يقع فى النار ، ففزع معاذ فقال هذا ما أمرنى به عمر ، فقدم معاذ المدينة ، فذكرهم لأبى بكر فسوغه أبو بكر ذلك ، وقضى بقية غرمائه. وقال : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : « لعل الله يجبرك» هذا هو حلم معاذ ومعه تأويله ، فمعاذ أصاب غلمانا من اليمن عن طريق الاهداء وهو ممنوع دينيا ، ودنيويا أيضا ، وفى هذا وأمثاله نزل قرآن وجاءت أحاديث تنهى عن استخدام السلطة ، وتلقى الهدايا من الرعية . يقول الله تعالى فى سورة البقرة : «ولا تأكلوا أموالكم بينكم بالباطل وتدلوا بها الى الحكام لتأكلوا فريقا من أموال الناس بالاثم وأنتم تعلمون » وأغلب ظنى أن معاذا قرأ هذه الآية وسمع خطبة الرسول صلوات الله عليه فى مثل حالته حين قال من ولاه الرسول : « هذا لكم وهذا أهدى الى » وكيف غضب الرسول غضبته قائلا :

---

(١) معقد الازار .

هلا جلس فى بيت أبيه وأمه ؟ وبين العذاب الذى ينتظره من يقبل الهدايا وغيرها من الرعية . لقد ذكره عمر فتذكر ، وهو مؤمن يملأ الايمان صدره ، فسرعان ما ارعوى ، بل رأى رؤيا أزعجته ، وعلم أنه خالف وأن عمر أنقذه من سوء المصير .
والمتتبع لهذه الحادثة يرى أن معاذا لم يكتف بتسويغ الخليفة له فى أمر غلمانه ، فقد صلى واصطف خلفه هؤلاء الغلمان يصلون ، فلما قضى صلاته نظر اليهم فأعتقهم ، ليأمن غضب الله عليه ، ويفوز بالرضا منه ، وليلقى رسول الله بوجه لم يتغير .

والخلاصة أن الأحلام من طبيعة البشر ، وأنها تجىء نتيجة اضطراب الانسان فى الحياة ، واحتكاكه بغيره ، وأنها لا تتوقف على عمل يعمله صاحبها وقراءة خاصة يقوم بها لتجىء الأحلام كاشفة له مستقبله كما يقول ابن خلدون ، وليست الأحلام مقصورة على الغريزة الجنسية كما يقول فرويد ، فذلك لمن ضعفوا وفى حاجة للطب النفسانى ، أما الأسوياء الذين رضوا بحياتهم ، ولم تشغلهم دنياهم بالأحقاد والأمانى الكاذبة ، فأحلامهم وفق حياتهم بعيدة عن الازعاج والأمراض ، ويتراءى لى أن الأحلام المزعجة تنتاب ثلاث طوائف ، طائفة الملوك ومن فى مستواهم ومن يعيشون فى ساحتهم وطائفة الذين لم يجدوا رعاية فى صغرهم فقست عليهم الحياة ، وطائفة الفقراء الذين يحلمون بالذهب ، والتراب يصعب عليهم .
أما معظم الناس كما قدمنا فهم من الأحلام التى تحتاج الى العالم النفسانى فى غنى أى غنى ، وفى تاريخ البشرية أحلام كثيرة للملوك أقربها الى الذكر أحلام الفترة ، فرأينا الرؤيا التى تدور حول مولد النبى المنتظر كما فى رؤيا ربيعة ابن نصر ، ورؤيا الموبذان وحول مبعثه كما رأينا فى رؤيا خالد بن سعيد الأموى ، ولا داعى لذكر أحلام الفقراء فهى كثيرة كثرة الفقراء .

السيد حسن قرون

أبو الوليد الوقشى

حياته، ومؤلفاته، وشيوخه، وتلاميذه

للدكتور ظهور أحمد اظهر

رئيس قسم اللغة العربية ــ جامعة بنجاب

لا خلاف بين المصادر الشرقية والغربية(١) فى اسم الوقشى واسم أبيه وقد أجمعت ونصت على أنه هشام بن أحمد كما أنها لا تختلف فى كنيته ونصت على ذلك أما نسب الوقشى بعد أبيه فانها تختلف فيه

---

(١) ترجم له الضبى (م ٥٩٩ هـ) فى بغيـــة الملتمس ص ٤٧٠ وابن بشكوال (م ٥٧٨ هـ) فى الصلة ٥٩٢ والقاضى عياض بن موسى اليحصبى (م ٥٤٤ هـ) فى مشيخة القاضى فيروز (ونقل عنه ياقوت فى معجم البلدان ٥/٣٣١) وياقوت (٦٢٦ هـ) فى الارشاد ١٩/٢٨٦ كما ترجم له فى معجم البلدان (وقش) وابن شهبة (م ٨٥ هـ) فى طبقات النحاة واللغويين والصفدى (م ٧٦٤ هـ) فى الوافى (ولم نطلع عليهما بعد) السيوطى (م ٩١١هـ) فى بغية الوعاة ص ٤٠٩ ، وابن حجر (م ٨٥٤ هـ) فى لسان الميزان ٦/١٩٣ وتقى الدين ابو بكر بن أحمد (م ٨٥١ هـ فى المطرب من أشعار أهل المغرب ، والمقرى أحمد بن محمد (م ١٠٤١ هـ) فى نفح الطيب فى مواضع والخوانسارى محمد باقر (م١٣١٣هـ) فى روضات الجنات ص٧٦١ واسماعيل ابن محمد البابانى البغدادى (م١٣٣٩هـ) فى هدية العارفين ٢/٥٠٩ . والأستاذ بروكلمان ١:٤٧٩ والتكملة ١/٦٦٣ والأستاذ خير الدين الزركلى فى الأعلام ٩/٨٠ وآنخل بلنشيا فى تاريخ الفكر الأندلسى ترجمة الدكتور حسين مؤنس ص٤١٦، والقاضى صاعد بن أحمد فى طبقات الأمم ص ١١٤ وتراجم الوقشى الأصلية ثلاثة وأما ما عداها فهى منقولة عنها وفروع لها" وهى ما كتبه القاضى عياض ونقل عنه ياقوت فى معجم البلدان وعنه كثير من المشارقة وما قاله القاضى صاعد فى طبقات الأمم وابن بشكوال فى الصلة . وكانت له ترجمة أخرى أصلية فى المغرب كما قال الخوانسارى . قال صاحب البغية قال فى المغرب و من اهل طليطلة (الوقشى) عارف بالأحكام والحديث وعلم اللسان والنحو والشعر والخطابة والمنطق والهندسة والزيو ج.. الخ . فهذا يدل على أن صاحب المغرب قد ترجم له واخذ عنه الضبى فى بغية الملتمس الا اننا لا نجد هذه الترجمة فى المطبوع من المغرب فى حلى المغرب ولا فى بغيـــة الملتمس فان ما قاله الضبى فى ترجمة الوقشى لا يزيد عن سطرين (أنظر ص ٤٧٠) وكلامه ناقص وسقطت العبارة من الأصل .

اختلافا كثيرا . وقد وقع فى ذلك اضطراب كبير وتخليط فاحش ولا يمكن للقارىء أن يجزم القول فيه .

فقد روى ابن بشكوال فى الصلة(١) أنه هشام بن أحمد بن خالد بن هشام . وفى النسخة الأخرى من نفس الكتاب - التى قرئت على المصنف(٢) أنه هشام بن أحمد بن هشام . وقال القاضى

= ويبدو أن السيوطى جمع بين ما قاله صاعد وابن بشكوال وصاحب المغرب وأما ياقوت فقد اخذ ترجمة الوقشى فى الارشاد من صاعد وابن بشكوال أما فى معجم البلدان فقد نقل جميع ما كتبه القاضى عياض فى مشيخة القاضى فيروز كما نقل ابن حجر كلام القاضى عياض اما مباشرة واما عن طريق ياقوت والأول هو الأرجح لان ما نقاله ابن حجر فيه زيادة (فان لفظ ياقوت : وأخبر الثقة أنه رواه عليه سماع ثقة من أصحابه وخطه عليه وجاء عند ابن حجر : وقد وقفت على الكتاب وأخبرنى ثقة أنه رآه وعليه سماع ثقة من أصحابه وخطه) الا أن الترجمة عند ابن حجر قد حفت بالمكاره والأخطاء فانه يقول : هشام بن أحمد بن هشام بن سعيد بن خالد الكنانى القاضى أبو الوليد الباجى (وهو غلط لأن أبا الوليد الباجى غير أبى الوليدالوقشى) وقال : ابن عمر السفاقسى وهو أبو عمرو السفاقسقى المعروف بابن الضابط وقال : روى عنه أبو محمد سفيان بن القاضى وهو غلط فاحش انما هو أبو بحر سفيان بن العاصى من تلاميذ الوقشى النابهين وسيمر بك ذكره وترجمته .

وقد انفرد الخوانسارى حيث قال انه « هشام بن أحمد بن هشام ابن خالد بن سيد بن الوليد الكنانى المعروف بابن الوقشى » وأنه ولد فى سنة ٤٨ هـ ؟) وأنه توفى سنة ٤٧٨ هـ وهذا غلط لأن المسلمين لم يدخلوا الأندلس قبل ٩٢ هـ فكيف يولد الوقشى بها فى سنة ٤٨ هـ ؟ ! وكان الوقشى ببلنسية خلال حصار القمبيطور لها وكان ذلك سنة ٤٨٥ هـ (ابن عذارى ٣٠٥/٣) أما قوله « خالد بن سيد » فلعله خالد بن سعيد كما جاء فى بعض المراجع الأخرى مثل الارشاد وبغية الوعاة.

(١) الصلة ص ٥٩٢ طبعة مدريد .

(٢) الصلة ص ٦١٧ طبعة القاهرة والاعلام ٨١/٩ .

صاعد بن أحمد(١) : أنه هشام بن أحمد بن خالد . وذكره القاضى عياض فى مشيخة القاضى فيروز(٢) فقال : انه هو هشام بن أحمد بن هشام بن خالد بن سعيد . وأما الضبى(٣) من المغاربة فاكتفى بذكر اسمه واسم أبيه فقط ولم يذكر المقرى (٤) الا اسمه وأهمل اسم أبيه أيضا .

وسرد ياقوت نسبه فى الارشاد(٥) فقال : انه هو هشام بن أحمد بن خالد بن سعيد . ويقول فى البلدان(٦) عند ذكر مدينة وقش أنه هشام بن أحمد بن هشام . وهو عند السيوطى (٧) هشام بن أحمد بن هشام بن خالد بن سعيد . وقد زاد اسماعيل باشا البغدادى(٨) اسما آخر فى نهاية عمود النسب فقال: انه هو هشام بن أحمد بن هشام ابن خالد بن سعيد بن الوليد ولا نعرف مصدره(٩) الذى أخذ منه هذه الزيادة التى أخلت بها جميع المصادر القديمة . وهو عند ابن حجر(١٠) هشام بن أحمد بن هشام ابن سعيد بن خالد . وقال الخوانسارى(١١) انه هشام بن أحمد ابن هشام بن خالد بن سيد بن الوليد الكنانى .

---

(١) طبقات الأمم ص ١١٤ .
(٢) نقل عنه ياقوت فى معجم البلدان ٣٨١/٥
(٣) الضبى ص ٤٧٠
(٤) نفح الطيب ١٨٥/١
(٥) ارشاد ٢٨٦/١٩
(٦) نقلا عن رسالة القاضى عياض .
(٧) السيوطى ص ٤٠٩
(٨) هدية العارفين ٥٠٩/٢
(٩) ربما عن الخوانسارى .
(١٠) لسان الميزان ١٩٣/٦ .
(١١) روضات الجنات ص ٧٦١

فانك ترى أن بعض المصادر لا تذكر نسبه بعد أبيه وبعضها لا تتجاوز جده ، على أنها تختلف فى اسمه أهو خالد أم هشام أم سعيد وأما النسب بعد جده ففيه كثير من الاضطراب والتخليط . واننا نظن أن هذا الخلاف والاضطراب يرجع الى الخلاف والتخليط الذى وقع فى التراجم المغربية وخاصة فى نسخ الصلة لأن معظم تراجم الوقشى عند المشارقة منقولة عن كتاب الصلة . وأجود الأقوال وأصحها عندنا فى نسب الوقشى ما قاله القاضى عياض ونقله عنه ياقوت فى البلدان لأنه يوافق ما جاء فى نسخة الصلة المسموعة على المصنف ، وأيضا فيه زيادة حسنة من اسمين فى عمود النسب بعد جده والقاضى عياض ثقة وهو من المغاربة وممن عاش فى عصر قريب من العصر الذى عاش فيه الوقشى وكفى تأييدا لهذا القول اعتماد أربعة من نوابغ الشرق عليه من أمثال السيوطى ، وياقوت ، واسماعيل باشا البغدادى والأستاذ خير الدين الزركلى .

كنيتـــه :

أما كنية الوقشى فلا اختلاف فيها بين المصادر المغربية والمشرقية وقد أجمعت على أنه كان يكنى أبا الوليد .

نســبته :

وأبو الوليد يعرف بالنسبتين وهما الكنانى والوقشى . فالكنانى يمكن أن تكون نسبة الى قبيلة أو جد ثم اذا كانت النسبة الى قبيلة فهل هو من كنانة قريش أم من غيرها من الكنانات .

وقد ذكر السمعانى (١) وابن الأثير (٢) وكثيرون من رجال العلم والأدب من ينسب الى كنانة ولكن لا الى قبائلهم وانما ينسبون الى آبائهم وأجدادهم منهم رجل كان يعرف بخلف بن حامد الكنانى الذى ولى القضاء (بشذونة) من أعمال طليطلة وقد ازدهرت وتقدمت أسرة

---

(١) فى الأنساب .

(٢) اللبـــاب .

هذا الرجل ونشأ فيها عدد من الرجال النابهين تولوا مناصب القضاء وكانوا يعرفون بهذه النسبة ونرجح أن نسبة أبى الوليد ليست من هذا القبيل وأنما هى نسبة الى قبيلة كنانة بن خزيمة بن مدركة وذلك على أساس ما قاله المقرى (١) وابن الخطيب . فالمقرى يذكر أن عددا كبيرا من الرجال فى الأندلس كانوا ينتسبون الى عموم كنانة وأن جلهم كانوا يسكنون فى مدينة طليطلة وأعمالها وأن من بيتهم الوقشيون الكتانيون الأعيان الفضلاء وذكر فيهم القاضى أبا الوليد هشام والوزير أبا جعفر وأبا الحسين ابن جبير صاحب الرحلة وهو من ولد ضمرة بن بكر بن عبد مناة من كنانة (٢) . وابن جبير هذا هو صهر الوزير أبى جعفر الوقشى ابن أخى أبى الوليد هشام الوقشى .

ويصرح لسان الدين ابن الخطيب (٣) أن ابن جبير كنانى وهو من كنانة بن خزيمة بن مدركة بن الياس وأن أول من ورد الأندلس من أجداده هو عبد السلام الذى كان فى عسكر بلج بن بشر القشيرى الذى ولى الأندلس وذلك فى محرم سنة ١٢٣ هـ وكان نزوله بكورة (شذونة) من أعمال طليطلة . فهذا مما يوضح لنا جليا : أن أبا الوليد الوقشى رحمه الله كان من صميم العرب ومن قبيلة كنانة .

والنسبة الثانية التى يعرف بها أبو الوليد هى « الوقشى » نسبة الى وقش قرية بثغر الأندلس بينها وبين طليطلة اثنا عشر ميلا من المسافة . (٤) وقد ضبطها ياقوت (٥) فقال « وقش بالفتح وتشديد القاف والشين معجمة مدينة بالأندلس من

---

(١) نفح الطيب ١٨٥/١

(٢) الاحاطة ١٦٨/٢ ونفح الطيب ٧٤١

(٣) الاحاطة ١٦٨/٢

(٤) الأعلام ٨١/٩ نقلا عن طبقات ابن شهبة .

(٥) فى معجم البلدان ٣٨١/٥ .

أعمال طليطلة « ويقول الأستاذ عناية الله فى جغرافية الأندلس التاريخية : « ان وقش مدينة فى الأندلس الوسطى من أعمال طليطلة وأن وقش كانت قبيلة من العدنانية ومن الممكن أن يكون قد بناها الناس من هذه القبيلة العربية فعرفت باسمها (١) » .

ولا ندرى أصل الكلمة أهى عربية أم أسبانية كما أننا لا نجزم القول فى تاريخ المدينة وبنائها ، ولم يذكر الجغرافيون والمؤرخون العرب وغيرهم شيئا فى هذا الباب غير الأستاذ عناية الله وعليه العهدة الا أن هذه المدينة كانت عامرة فى القرن الرابع الهجرى لأننا نرى أبا نصر فتح ابن ابراهيم الأموى المعروف بابن القشاوى (٣٣٢ — ٤٠٣ هـ) من أهل طليطلة يبنى حصنا فى مدينة وقش وذلك فى زمن الأمير المنصور محمد بن أبى عامر (٢) . وذكر بعضهم أن عينا كانت عند حصنها ونبشت فى بعض السنين ليكثر ماؤها فكثر فيها العلق كثرة مفرطة فنظروا فيما استخرجوه من نبشها ، فاذا فيه علقة نحاس (٣) .

وقد يذكر له نسبتان غير هاتين المذكورتين وهما الوحشى والوعلى كما وقع فى الصلة وخطبة الطرر والحواشى وفى خزانة الأدب لعبد القادر البغدادى (٤) . ولا

(١) ترجمة من الاردية وانظر « أندلس كاتاريخى جغرافية » (جغرافية الأندلس التاريخية) ص ٥٠٠ وقال كحالة (١٢٥١/٣) وقش حى من الانصار وهم أولاد وقش بن زغبة بن زعوراء ومنهم سلمة بن ثابت ابن وقش صحابى بدرى عقبى ولى اليمامة (اللسان والتاج فى وقش وابن حزم فى جمهرة انساب العرب ص ٤٧١) الا أن الأنصار من القحطانية ولم يذكر ابن حزم ، وهو أندلسى ، قبيلة من قبائل العرب سكنت هذه المدينة مع انه ذكر وقش بن زغبة .

(٢) الصلة ص ٤٥١

(٣) الروض المعطار ص ١٣٥ .

(٤) أنظر الصلة ص ٦١٧ طبعة القاهرة واقليد الخزانة ص ٨٦ وخطبة المتن من كتاب القرط على الكامل .

نعرف أصلهما ولا نستطيع أن نقول فيهما شيئا ، وقد تكون نتيجة لأوهام الناسخين والرواة .

أسرته :

أسرة الوقشى عريقـة فى العـلم والأدب والفضل وقد نشأ فيها عدد من الأعيان الأفاضل ، وحصلت لهم النباهة والشهرة ونالوا من المناصب والمكانة المرموقة والمكارم ما لا يمكن انكاره أو تجاهله ، وقد اعترف به المؤرخون فمن هذه الأسرة الكريمة كان الوزير أبو جعفر وهو ابن أخى أبى الوليد الوقشى وابنه أبو الحسين ونقف قليلا عند ترجمتهما حتى نعرف ما لهذه الأسرة من النباهة والفضل والكرامة .

للبحث بقية

د. ظهـور أحمـد أظهر

قال عمر لأحـد الولاة :

اذا جاءك شيء فى كتاب الله فاقض به ، ولا يلفتنـك عنه الرجال فان جاءك أمر ليس فى كتـاب الله فانظـر سـنة رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فاقض بها ، فان جاءك أمر ليس فى كتاب الله ولم يكن منه سـنة من رسـول الله فانظر ما اجتمع عليه الناس فخـذ منه .

باب الفتوى

للشيخ محمود محمد رسلان

هل السماوات هى الكواكب ؟

السؤال :

يقول بعض الناس : ان السموات السبع هى الكواكب السبعة السيارة ، ونظن ذلك بعيدا لما يأتى :

معلوم أن هذه الكواكب بينها فروج ، والقرآن الكريم يقول : « ومالها من فروج » القرآن يقول : «ولقد زينا السماء الدنيا بمصابيح» أى بالكواكب ، وما به الزينة غير ماله الزينة قطعا ، والا كانا شيئا واحدا . وقال تعالى : « وجعل القمر فيهن نورا وجعل الشمس سراجا » ومن المعلوم أن المجعول غير المجعول فيه .

نرجو تحقيق المقام بأوسع ما يمكن .. وما مقصودنا من ذلك كله الا معرفة ما يجب أن ندين الله به معرفة تامة لا تشوبها شائبة ، وفقكم الله وحفظكم .

الجواب :

الحمدلله رب العالمين والصلاة والسلام على أشرف المرسلين سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين . وبعد :

فينبغى أن يعلم قبل كل شىء أن هؤلاء الناس كثيرا ما يسارعون الى الأحكام الجازمة من غير دليل ولا برهان ، ولهذا تراهم ينقضون اليوم ما أبرموه بالأمس ، حتى قال بعض علمائهم : ان هذه العلوم التى تتبجح بها الآن قد يظهر بطلانها بعد مائة سنة فيرموننا بالتخريف كما رمينا من قبلنا بالتخريف ، وقد صرح رئيس وزراء انجلترا سابقا المسيو بلفور حين رأس مجمع ترقى العلوم البريطانية بجامعة كمبردج فى أغسطس سنة ١٩٠٤ م بما يفيد قصور علمهم وكثرة ما يرد عليه من الخطأ والاشتباه . فلا يحسن بالعاقل أن يغتر بكل ما يسمعه عنهم « وان روجوا وبهرجوا وقعقعوا

وجعجعوا » فان غالب كلامهم خصوصا فى العلويات غير مبرهن ، وللظنون والتخيلات فيه مجال كبير ، ومنهم من يأتى على نظرياته بحجج على سبيل الجدل فيظن أنها براهين لجهله بطريق البرهان ومقدماته .

ومما يزيد الأمر خطورة ويملأ القلوب أسفا أن كثيرا من أبنائنا أصبحوا يقلدون الغربيين فى كل ما ينقل عنهم من غير بحث ولا نظر ولا تحليل ولا تمحيص ، ويكفيهم برهانا على صحته أنهم قالوه ، مع أنه عند قائليه ربما كان فى محل الظن والتخمين ، وربما كان فرضا وجدوه أقرب من غيره من الفروض فقالوا به حتى يتبين لهم خلافه فيرجعون عنه ، ولكن المفتونين بهم عندنا جعلوهم فى محل التقديس ، فلا يبحثون فيما جاء عنهم كائنا ما كان ، وليس هذا شأن المنطق ولا الفلسفة ولا الدين ، فهى على رأى بعض علمائنا كلمات قالها قائل ، فنقلها ناقل ، فقبلها قابل ، فاغتر بها جاهل لا قدرة له على النظر .

وبعد هذه المقدمة ، فان السماوات جاءت بها الديانات كلها ، وعندنا من الأدلة على وجودها مالا يحصى : فمن ذلك ما ذكره السائل ، ونزيد على ما ذكره قوله تعالى : « اذا السماء انفطرت واذا الكواكب انتثرت » فجعل سبحانه الكواكب غير السماء ، ويقول : « اذا الشمس كورت واذا النجوم انكدرت » ثم يقول بعد ذلك : « واذا السماء كشطت » الى غير ذلك من الأدلة الكثيرة .

ومن يقرأ مثل قوله تعالى : « فقضاهن سبع سماوات فى يومين وأوحى فى كل سماء أمرها وزينا السماء الدنيا بمصابيح » وقوله تعالى : « وجعلنا السماء سقفا محفوظا وهم عن آياتها معرضون » وقوله سبحانه : « انا زينا السماء الدنيا بزينة الكواكب » ، « وهو الذى خلق الليل والنهار والشمس والقمر » لم يشك فى أن السماوات غير الشمس والقمر والكواكب . وفى السنة من ذلك شىء كثير أيضا وحديث الاسراء والمعراج فيه

الاشارة الجلية فى هذا الأمر ، ولا داعى للاطالة به ؛ وليعلم قبل كل شىء أننا نثبت السماء كما أثبتها القرآن والتوراة والانجيل والزبور، ولكن لا نتعرض لبيان جواهرها وتحليل عناصرها وشرح ما يكتنفها، فان النصوص عندنا لم تتعرض لذلك ، وأما ما يذكره «الاخباريين» من أن السماء الأولى من فضة ، والثانية من ذهب .. الخ لا يعول عليه .. ولا غرو فالديانات لم تجىء لشرح الأكوان شرحا طبيعيا ، ولم تتعرض لبيان ما فيها من الجواهر والأعراض والعناصر والظواهر ، وانما تتعرض لها من حيث ما فيها من الدلائل على قدرة الله وعظمته، وما تشتمل عليه من اتقان تدبيره وجميل صنعه ، وما ترشد اليه من آثار رحمته وعظيم نعمته ومزيد حكمته ، أما الأبحاث الطبيعية فقد تركتها للعقول ولم تمنع منها ، بل ندبت اليها وحثت عليها .

ثم لتعلم أن المقرر عندنا أنه اذا عارض العقل النقل أولنا النقل ، لأن الطعن فى العقل طعن فى النقل كما هو مبين فى محله (والتأويل عندنا أوسع من السماوات) ـ ولأن المقصود بالعقل عقل المجموع لا عقل الفرد ـ فلننظر بعد هذا فيما عند هؤلاء المتفيهقين الذين ينفون السماوات نفيا باتا تقديسا لشىء سمعوه عن أوربا ولم يتريثوا قليلا تقديسا للقرآن والسنة ، ولو ثبت ذلك ببرهان صحيح لكنا أول المؤولين لما جاء فى الشريعة من ذلك ، ولغة العرب أوسع اللغات تصرفا فى باب المجاز والكناية وأكثرها ألفاظا مشتركة ، حتى ان اللفظ فيها قد يوضع لعشرات من المعانى كما ذكروه فى العين والخال، ولكننا لانطرق باب التأويل أو نلجأ الى القول بالمجاز أو الكناية ، أو نبحث فى معاجم اللغة عن وضع المشتركات الا اذا اضطررنا لذلك، وقد نظرنا فلم نجد عند القوم على نفى السموات دليلا ولا شبه دليل فانه ليس عندهم أكثر من أنهم لم يروها بأنظارهم ولا منظارهم أو بقية آلاتهم ، وليس فى ذلك متمسك لمن يعرف المنطق الصحيح،

فاننا لا نعرف العناصر التى خلقت منها السماوات ، وما يذكر فى ذلك فهو كذب لا أصل له كما قلنا ، فيجوز أن تكون السماوات شفافة، بل هذا هو الذى يقرره الأقدمون فيقولون : اننا نرى كواكب الفلك الثامن (وهو فلك الثوابت عندهم) فيصلنا ضوء تلك الكواكب لكون السماوات شفافة ، فاذا يصح أن نقول : انه يرى ما وراءها ولا ترى هى ، شأن كل شفاف مع غيره ، ويجوز أن تكون بعيدة عنا بعدا يمنع من رؤيتها ، مع ملاحظة أن السماء تطلق باطلاقات كثيرة على معان عديدة :

فتطلق على الأفلاك ، وتطلق على السحاب ، كما قال تعالى : « أنزل من السماء ماء فسلكه ينابيع فى الأرض» على رأى كثير من المفسرين ، وتطلق على كل ما علاك كما هو معروف .

وقد قال كثير من العلماء : ان الكواكب ليست مغروزة فى السماء ولا مماسة لها ، وانما بين السماء والأرض ، فتكون السماء من البعد بمنزلة مالا يرونه من النجوم ، وقد قال الامام أبو بكر بن العربى من أئمة المالكية : ان السماء التى هى احدى الأفلاك غير مرئية لنا . (وهى مشتركة كما قلنا) وهؤلاء النافون لا يستطيعون أن يقولوا انهم رأوا كل ما فى العالم العلوى ، بل هم معترفون بالقصور عن ذلك تمام الاعتراف ، وقد بين عظمة العالم السماوى اللانهائى اللورد — أفيرى — الانجليزى أتم البيان فى كتابه محاسن الطبيعة فانظره ان شئت .

ويجوز أن يكون لديه اشتباه كثير فى ذلك العالم الذى لا يعلمه الا الله ، وكم اختلطت عليهم الأمور والتبست لديهم الحقائق واشتبهت عليهم الأحكام فى العالم الأرضى فضلا عن العالم السماوى ، وكم بين المتقدمين والمتأخرين من علماء الهيئة من خلاف ، وكم للفريقين من خبط وخلط .

وبعد هذا كله فمن يستطيع أن يقول ان عدم رؤية الأشياء دليل على عدمها فى الواقع ؟ ! أما كانوا

ينكرون المكروبات لعدم رؤيتهم اياها ! فهل كان ذلك دليلا على عدمها فى نفس الأمر ؟ والمؤمنون من الأمم كلها وأرباب الديانات جمعاء يثبتون العرش ولم يروه استنادا لما جاءت به الأنبياء وقررته الشرائع التى تقول لنا : انكم ما أوتيتم من العلم الا قليلا ، وتقول : « ما أشهدتهم خلق السماوات والأرض ولا خلق أنفسهم » ، وتقول فى الانسان . .

« انه كان ظلوما جهولا » وتنعى على قوم سوء حالهم فتقول : « بل كذبوا بما لم يحيطوا بعلمه ولما يأتهم تأويله » ونقول فى حق المتظننين الذين يسارعون لتصديق ما يلقيه الخيال وتمليه الأهواء والجهالات : « ان يتبعون الا الظن وان هم الا يخرصون » .

ومن العجيب أن هؤلاء ينفون السماوات التى هى الأفلاك ، والأقدمون من الفلاسفة يثبتون الأفلاك ويقولون : انها أمتن من كل شىء ، حتى قالوا انه يستحيل عليها الخرق والالتئام ، فانظر الى تنافى الرأيين ، وتباعد ما بين المذهبين لتعلم أن طوائف البشر قد يصلون من الخبط والخلط الى حد أنهما يكونان على طرفى نقيض ، وكل منهما يظن أنه الفيلسوف المحقق الذى لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه !

فرحم الله امرأ عرف قدره فلم يتبجح تبجح الجهال وأرباب الخيال . ولو شئنا لتوسعنا أكثر من هذا ، ولعل فيه مقنعا وكفاية ولا نزال نكرر أنه لا مانع عندنا من التأويل واتباع الدليل ، ولكن القوم لم يقيموا على ما يزعمون برهانا ولا شبه برهان ، ولا يمكننا أن نعدل عن تلك الظواهر لأجل قول يقال أو مجرد وهم أو خيال .

امضاء

يوسف الدجوى

من هيئة كبار العلماء

نقلا عن مجلة نور الاسلام . حـ ٨ شعبان سنة ١٣٥٠ هـ المجلد الثانى . بتصرف .

محمود محمد رسلان

قال عمر :

اذا رأيتم العالم يحب الدنيا فاتهموه على دينكم فان كل محب يخوض فيما احب .

بيان من المراقبة العامة للبعوث الإسلامية فى الأزهر بشأن المنح الدراسية فى العام الدراسى القادم

١٣٩٧هـ - ١٣٩٨هـ
١٩٧٧م - ١٩٧٨م

الوطن العربى

البلد	جامعة	دراسات عليا	الشروط
السودان	٢٠	—	لأبناء جنوب السودان من الحاصلين على الثانوية العامة على أن يتوفر فيهم شرط المجموع لكل كلية وذلك عن طريق وزارة التعليم العالى .
	—	١٠	لأبناء السودان من الحاصلين على مؤهل يعادل الشهادة العالية الأزهرية .
اليمن الشمالية	١٠	—	للدراسة بجامعة الأزهر من الحاصلين على مؤهل يعادل الثانوية الأزهرية .
سوريا	١٠	—	يخصص منها ثلاث منح لجمعية النهضة الاسلامية ويوزع الباقى على المعاهد الدينية وذلك عن طريق لجنة شئون الطلاب .
لبنان	٥	—	من الحاصلين على مؤهل يعادل الثانوية الأزهرية .
الصومال	١٠	—	من الحاصلين على مؤهل يعادل الثانوية الأزهرية .
	٥	—	لأمن الدولة

أفريقيا

البلد	معاهد	جامعة	دراسات عليا	الشروط
تنزانيا	١٥	—	—	عن طريق السيد مدير المركز الاسلامى بدار السلام .
أوغندا	٤	—	—	عن طريق السفارة العربية .
		٦	—	من الحاصلين على مؤهل يعادل الثانوية الأزهرية .
فولتا العليا	٥	—	—	عن طريق السفارة العربية .
نيجيريا	٣٠	—	—	توزع على النحو التالى :
				عدد
				٦ للرابطة الأهلية لمؤسسة المدارس العربية النيجيرية .
				٣ منح لجمعية سعود الاسلام ـ ابادن .
				٣ منح لخريجى مركز التعليم العربى الاسلامى ـ اجبجى .
				٣ منح دار التعليم العربى فى لاجوس .
				٣ منح لخريجى قسم الدراسات العربية والاسلامية فى ابادن .
				٢ منحة لخريجى مدرسة العلوم العربية اجيبوادى .
				٢ منحة لخريجى المدارس العربية للرابطة الأهلية .

البلد	معاهد	جامعة	دراسات عليا	الشروط
				٢ منحة لخريجي المعهد العربى النيجيرى ابادن .
				٢ منحة لخريجى جماعة أنصار الاسلام .
				٢ منحة لخريجى معهد الورن الدينى .
				٢ منحة لخريجى مركز التعليم الاسلامى ــ الورن .
النيجر	١٥	—	—	عن طريق السفارة العربية يخصص منها ٥ منح لأبناء الشيخ أبوبكر هاشم .
غانا	٢	—	—	يرشح عليها الطالب كمال الدين عبد الله محمد بناء على طلب الخارجية ، والطالب محمد ادريس عبد الكريم بناء على طلب الامام الأكبر .
غينيا	٥	—	—	عن طريق السفارة العربية .
سيراليون	١٠	—	—	عن طريق مدير المدرسة الاسلامية الخاصة بسيراليون .
السنغال	١٠	—	—	تخصص لأبناء معهد الحاج عبدالله نباس الدينى الاسلامى بناء على طلب سفارتنا بداكار .

البلد	معاهد	جامعة	دراسات عليا	الشروط
ساحل العاج	١٠	—	—	عن طريق السفارة العربية ويخصص منها خمس منح لطلاب المدرسة الاسلامية ــ سبيل الفلاح ــ أبواصو .
الكنغو برازافيل	٢	—	—	عن طريق السفارة العربية .
الكنغو كينشاسا	٥	—	—	عن طريق السفارة العربية .
كاميرون	٣	٢	—	بناء على طلب الخارجية .
بورندى	٢	—	—	عن طريق السفارة العربية .
جيبوتى	٥	—	—	عن طريق الشئون الافريقية بوزارة الخارجية .
زامبيا	٢	—	—	بناء على طلب سفارتنا فى لوساكا .
سلطنة الأوسا	٧	—	—	عن طريق الشئون الافريقية بوزارة الخارجية .
الحبشة	٥	—	—	عن طريق الشئون الافريقية بوزارة الخارجية .
غامبيا	٣		—	عن طريق السفارة العربية .
أريتريا	٥		—	عن طريق الشئون الافريقية بوزارة الخارجية ويقيد عليها الطلاب : (١) حسن على محمد اسماعيل . (٢) عبد الله آدم محمد . (٣) آدم عثمان ادريس . (٤) على عمر محمد . (٥) فاروق عمر النور .

البلد	معاهد	جامعة	دراسات عليا	الشروط
كينيا	٤	—	—	منحتان عن طريق السيد المرشد العام لجماعة التبليغ الاسلامى بمالندى (كينيا) ومنحتان عن طريق المجلس الأعلى لمسلمى كينيا .
تشاد	٥	—	—	عن طريق السفارة العربية .
مالى	٣	—	—	يقيد على منحة منها الطالب محمد مورى كمار .
جنوب أفريقيا	٢	—	—	يرشح على احداهما الطالب حافظ حاج أشرف حاجى موسى .
موزشبوس	٢	—	—	عن طريق السفارة العربية .
راوندا	٢	—	—	عن طريق السفارة العربية .
داهومى	٢	—	—	عن طريق السفارة العربية .
توجو	٢	—	—	عن طريق السفارة العربية .
أفريقياالوسطى	٢	—	—	عن طريق السفارة العربية .
جابون	٢	—	—	عن طريق السفارة العربية .
جزر كومور	٢	—	—	عن طريق السفارة العربية .
بتسوانا	٢	—	—	عن طريق السفارة العربية .
موزمبيق	٢	—	—	عن طريق السفارة العربية .
ساونومى	٢	—	—	عن طريق السفارة العربية .
غينيا بيساو	٢	—	—	عن طريق السفارة العربية .
الرأس الاخضر	١	—	—	عن طريق السفارة العربية .
	—	١٠	—	للشئون الافريقية بوزارة الخارجية

آســيا

البلد	معاهد	جامعة	دراسات عليا	الشروط
الفلبين	٢٠	—	—	توزع على النحو التالى : ٥ لمعهد الفلاح الاسلامى . ٥ لمعهد مراوى الاسلامى . ٥ للمسلمات بناء على طلب أكاديمية بنداو . ٥ للمقيدين حاليا بالأزهر على غير منح تخصص أحداها للطالب محمد ندبر أصغر .
أندونيسيا	١٠	—	—	٥ منح لمعهد علوم القرآن ودار السلام . ٥ منح لمؤسسة عفان الاسلامية بجاكرتا يخصص احداها الكريمة الحاج ابراهيم حسين (نجمة الفائز) .
	—	١٠	—	للحاصلين على مؤهل يعادل الثانوية الأزهرية .
	—	—	١٠	للحاصلين على مؤهل يعادل العالية الأزهرية .
ماليزيا	١٠	—	—	للطلبة المسلمين الماليزيين من أصل صينى .
		٧	—	للطلاب والطالبات المقيدين بكليات جامعة الأزهر بناء على توصية فضيلة الامام الأكبر .

البلد	معاهد	جامعة	دراسات عليا	الشروط
	—	—	١٣	لثلاثة عشر معهدا لمركز الدراسات الاسلامية بكلانتان بناء على طلب الخارجية .
تايلاند	—	١٥	—	٨ من المقيدين حاليا بجامعة الأزهر
				٣ للمركز الثقافى الاسلامى (نارابتوات / ج تايلاند) .
				٣ لخريجى ثانوية معهد نهضة العلوم بولاية جالا .
				١ للمجلس الاسلامى بولاية جالا تخصص للطالب سبنج مى عبنو
الهند	—	—	١٠	للحاصلين على مؤهل يعادل العالية الأزهرية يخصص منها ٥ منح لندوة العلماء لكهنوء .
بنجلاديش	٥	—	—	عن طريق السفارة العربية .
باكستان	—	١٠	—	٣ للطالبات الباكستانيات .
				٤ لجمعية الوفاق العالمى للدعوة الاسلامية .
				٣ للجامعة الاسلامية بهاولفور .
	—	—	١٠	للحاصلين على مؤهل يعادل العالية

البلد	معاهد	جامعة	دراسات عليا	الشروط
أفغانستان	—	—	١٢	للحاصلين على مؤهل يعادل العالية الأزهرية .
مالديف	٢	—	—	عن طريق لجنة شئون الطلاب الوافدين بالأزهر .
سنغافورة	—	٢	—	للحاصلين على مؤهل يعادل الثانوية الأزهرية .
إيران	—	٥	—	للحاصلين على مؤهل يعادل الثانوية الأزهرية .
سيرلانكا	—	٢	—	للحاصلين على مؤهل يعادل الثانوية الأزهرية .
كمبوديا	١٥	—	—	عن طريق السفارة العربية .
بروناى	٢	—	—	عن طريق السفارة العربية .

اوروبا

البلد	معاهد	جامعة	دراسات عليا	الشروط
تركيا	—	١٠	—	للمقيدين بالدراسة بجامعة الأزهر
فنزويلا	—	٢	—	للحاصلين على مؤهل يعادل الثانوية الأزهرية .
روسيا	٣	—	—	عن طريق السفارة العربية .
جزر فيجى	١	—	—	عن طريق السفارة العربية مع تحمل نفقات السفر .
استراليا	١	—	—	عن طريق السفارة العربية .
أمريكا	١٣		—	٣ للجمعية الاسلامية بمدينة بفالو غرب ولاية نيويورك .
				١٠ لأبناء المسلمين عن طريق جمعية احياء التراث الاسلامى بالقاهرة
يوغوسلافيا	—	١٠	—	للحاصلين على مؤهل يعادل الثانوية الأزهرية .
				عن طريق جمعية احياء التراث الاسلامى بالقاهرة .
الصين	٣	—	—	من المقيمين فى تايلاند .
انجلترا	٥	—	—	للمسلمين عن طريق جمعية احياء التراث الاسلامى بالقاهرة .

وترجو المراقبة العامة للبعوث الاسلامية مراعاة ما يأتى بخصوص هذه المنح :

١ ــ ينبه على السفارات العربية بموافاتنا بأسماء المرشحين على هذه المنح وفقا للشروط المدونة أمام كل منحة ــ فى موعد غايته أول أكتوبر ــ ولن يلتفت الى الترشيحات التى ترد بعد هذا التاريخ .

٢ ــ المنح التى لن يتم الترشيح عليها حتى أول أكتوبر ــ تشغل عن طريق لجنة شئون الطلاب الوافدين المقيدين فعلا بالأزهر .

٣ ــ موافاتنا بالمناهج التفصيلية للشهادات الدراسية التى يمكن معادلتها بالشهادات الأزهرية من الآن .

٤ ــ لا يعتد بشهادات النقل ويعرض الحاصل عليها على لجنة الامتحان لتحديد المرحلة المناسبة لمعلوماته .

٥ ــ ألا يقل سن الطالب فى غير الدراسات الخاصة عن ١٢ سنة ولا يزيد عن ٢٠ سنة بالنسبة للسنة الأولى من القسم الاعدادى بمعهد البعوث الاسلامية والمعاهد الأزهرية .

٦ ــ يلحق بجامعة الأزهر الطلاب الحاصلون على الشهادة الثانوية الأزهرية أو مايعادلها أما الحاصلون على شهادة الثانوية العامة أو مايعادلها فتطبق عليهم الشروط التى يقرها مكتب تنسيق الجامعات بوزارة التعليم العالى ويتم التحاقهم بالجامعة الأزهرية عن طريق ادارة الوافدين بوزارة التعليم العالى .

٧ ــ مقدار المنحة الشاملة التى تصرف للطالب المقيد على منح الأزهر فى كل شهر هى :

١٥ ج للطلاب المقيدين بالدراسات الخاصة أو معهد البعوث أو المعاهد الأزهرية وتصرف من تاريخ الوصول .

٢٠ ج للطلاب المقيدين بجامعة الأزهر ، وتصرف من تاريخ الوصول .

٢٥ ج للطلاب المقيدين بالدراسات العليا (بجامعة الأزهر) وتصرف من تاريخ الوصول .

٨ ــ يخصم من المنحة المقررة شهريا الرسوم المقررة للاقامة والتغذية من الطالب المقيم فى مدينة البعوث الاسلامية ، بناء على رغبته، والاقامة مقصورة على الذكور فقط، ولا توجد مساكن للفتيات .

٩ ــ نفقات السفر الى جمهورية مصر العربية على حساب الطالب ، عدا طلاب أفريقيا فقط ، أما نفقات العودة فعلى حساب الأزهر .

١٠ ــ تصرف منحة شهر لكل طالب أنهى دراسته مع تذكرة العودة .

١١ ــ تصرف للطالب الذى يفد من بلده على منح الأزهر عشرة جنيهات مصرية وقت وصوله الى جمهورية مصر العربية لأول مرة كبدل استعداد .

١٢ ــ يصرف بدل كتب للمنح الجامعية (فقط) مقداره خمسة عشر جنيها مصريا وقت وصول الطالب لأول مرة فقط .

عبد السلام الشبراوى
الأمين العام المساعد
لمجمع البحوث الاسلامية

هدية من الحلوى :

ارسل عامل اذربيجان الى عمر هدية من الحلوى ، فقال عمر للرسول الذى جاء بها : أو كل الناس هناك يأكلون هذا ؟ فيجيبه الرجل قائلا : كلا يا امير المؤمنين انها طعام الصفوة فقال للرجل : احمل هديتك وارجع بها الى صاحبها وقل له : عمر يأمرك الا تشبع من طعام حتى يشبع منه قبلك جميع المسلمين .

أخبار العالم الإسلامى

للأستاذ ابراهيم حامد النويهى

مصر

* أصدر الرئيس محمد أنور السادات قرارا جمهوريا بمد خدمة فضيلة الامام الأكبر الدكتور عبد الحليم محمود شيخ الأزهر ثلاث سنوات أخرى اعتبارا من مايو ١٩٧٧ م

والأزهر بكامل هيئاته يبارك هذا القرار الحكيم ويهنىء فضيلة الامام الأكبر ، ويدعو له بمديد من العمر ومزيد من الصحة والتوفيق والسداد حتى يصل الأزهر فى عهده الميمون المبارك الى عزته ومجده فى ظل دولة العلم والايمان ، ورعاية قائد النصر الرئيس المؤمن محمد أنور السادات .

* أقام فضيلة الشيخ محمد متولى الشعراوى وزير الأوقاف ووزير دولة لشئون الأزهر فى الفترة الأخيرة — حفل تكريم لسماحة الامام تقى الدين القمى زعيم مسلمى الشيعة بايران ، وشهده عدد من كبار علماء الأزهر ورجال الدعوة .

وألقى فضيلة الشيخ الشعراوى كلمة قال فيها : انه لمس بنفسه مدى الجهد الذى بذله الامام القمى طوال ٤٠ عاما لازالة الجفوة بين جماعات المسلمين منذ أسس جماعة التقريب عام ١٩٣٧ م ، وأن دليل هذه الدعوة وصدقها أنها اجتذبت أئمة المسلمين من أمثال الشيخ عبدالمجيد سليم ، والشيخ مصطفى المراغى ، والشيخ محمود شلتوت فانضموا اليها .

كما ألقى الامام القمى كلمة قال فيها : لقد جئت الى القاهرة لأول مرة ورفعت رأسى الى السماء ، ودعوت ربى ، قلت : يا رب .. لقد جئت بدعوة ألتمس بها رضاك ، وهى أن تزيل الجفوة بين المسلمين ، وأنا لا أعرف أحدا تحت سماء هذا البلد ، وأنت تعلم ، أن كل دعوة

للمسلمين يجب أن تبدأ من هنا من مصر ، فان كنت ترضى عن هذه الدعوة ، وهى خالصة لوجهك فأيدنى بالرجال المخلصين ، وقد استجاب الله سبحانه لدعوتى ، وانتشرت دعوة التقريب بين المذاهب الاسلامية فى مصر والسودان .

ثم ختم كلمته بقوله : انه يرى أن للمسلمين قصرا كبيرا عاشوا فيه سنوات طويلة ، هذا القصر هو الثقافة الاسلامية بتراثها وتنوعها واجتهاداتها ، لكن أصحاب القصر بتأثير عوامل التدهور انصرف كل منهم الى بناء حوائط وحواجز تعزله عن غيره فعاش كل منهم فى غرفة صغيرة ، والآن نريد أن نزيل هذه الجفوة ليعود القصر الكبير يضمنا جميعا تحت راية واحدة هى راية الاسلام والقرآن .

* قدم فضيلة الشيخ صلاح أبو اسماعيل رئيس لجنة الشئون الدينية والأوقاف والشئون الاجتماعية بمجلس الشعب مشروع قانون لتطبيق الحدود الشرعية الى المجلس ، وهدف المشروع حماية أمن المجتمع وأموال وعقول أبنائه وأعراض البشر وصيانة العقائد ..

ويشمل المشروع الحدود الشرعية الستة وهى : الحرابة والسرقة وشرب الخمر والزنا والقذف والردة .

وفسرت المذكرة الايضاحية للمشروع أن اعتناق الشيوعية بعد الاسلام يعتبر ردة تستوجب تطبيق الحد على من يعتنقها وهو الاعدام اذا أصر على ردته ولم يثب بعد أن أمهل ٦٠ يوما ، ويطبق المشروع على الشخص البالغ .

كما قدم فضيلته مشروع قانون الأحوال الشخصية للمسلمين ، وكان فضيلة الامام الأكبر الدكتور عبد الحليم محمود شيخ الأزهر قد ألف لجنة عليا من العلماء ورجال القانون لاعداد هذين المشروعين وعهد بتقديمهما الى فضيلة الشيخ صلاح أبو اسماعيل الذى قدم مع

هذين المشروعين مشروعا بقانون الرقابة على المصنفات الفنية ، ومشروعا بقانون لرعاية المعوقين ، ومشروعا بقانون يقضى بمد خدمة حملة العالمية المؤقتة الى سن الخامسة والستين ، ويعتزم فى القريب العاجل ان شاء الله تقديم مشروعين ، أحدهما بقانون الزكاة ، وثانيهما بقانون الحسبة .

ومما يجدر ذكره أن المشروعات التى قدمت وقع عليها عشرات النواب ، بل كانت حلبة يتبارى فيها النواب ويتحمسون لها مطالبين بنظرها على وجه السرعة تطبيقا للشريعة الاسلامية التى طال شوق الناس اليها وتعلقت آمالهم باليوم السعيد الذى تقودها فيه شريعة الله الى عز الدنيا ونعيم الآخرة ..

* احتفلت محافظة المنوفية بتكريم أبنائها الذين أتموا حفظ القرآن الكريم ، وشهد الحفل فضيلة الامام الأكبر الدكتور عبد الحليم محمود شيخ الأزهر واللواء سعد مأمون محافظ المنوفية ، وعدد من كبار المسئولين فى الأزهر والمحافظة .

ووزع فضيلة الامام الأكبر الجوائز على الفائزين فى المسابقة وعددهم ٣٢٧ وبلغت قيمة الجوائز ٢٥٠٠ جنيه مصرى .

* حصل تلاميذ المدرسة الثانوية الجوية على كأس التفوق فى مسابقة حفظ القرآن الكريم ، وقد بدأت المدرسة الثانوية الجوية تجربة تحفيظ القرآن فى معامل اللغات منذ عدة سنوات .

وأوضح العميد طيار على زيكو مدير المدرسة الطريقة المستخدمة فى ذلك فقال : هى أن يقوم المدرس بشرح أهداف السورة ومعانيها وكذلك الكلمات الصعبة ، ثم يقرأ الآيات ويرددها التلاميذ خلفه ، حتى يطمئن الى حسن النطق والأداء ، وبعد ذلك تسجل السورة كاملة بصوت المدرس مع شرحها ، وتودع فى معامل اللغات لتصبح مرجعا دائما يستخدمه التلاميذ عند استذكارهم وحفظهم ..

ويقول السيد العميد : ان المزايا التى حققتها المدرسة من خلال هذه

التجربة هى ارتفاع المستوى الخلقى والسلوكى بين الطلاب اهتداء بالمبادىء السامية التى رسمها القرآن الكريم ..

السعودية

* انعقد فى الفترة الأخيرة بمكة المكرمة المؤتمر العالمى الأول للتعليم الاسلامى ، وشهده فضيلة الامام الأكبر الدكتور عبد الحليم محمود شيخ الأزهر ، ووفود من مختلف دول العالم الاسلامى ، ووزراء التربية والتعليم فى الدول العربية والاسلامية ..

وأصدر المؤتمر عدة توصيات هامة منها :

١ ــ اعادة صياغة العلوم التجريبية والتطبيقية والاجتماعية ، صياغة اسلامية ، تربطها بالعقيدة وتعمق الوجدان الدينى عند الدارسين وتشعرهم بعظمة الخالق ، وقدرته ، وتزيل تلك الفرقة المصطنعة بين الدين والعلم التى سرت الينا من اتخاذ المناهج الأوربية فى تدريس تلك العلوم .

٢ ــ أن تكون دراسة الفقه الاسلامى موصولة بالواقع الحالى ومشكلاته والتأكد على أن الحدود الاسلامية واجبة التطبيق ، وأن تكون دراسة الشريعة الاسلامية هى الأساس فى كليات الحقوق ، والاهتمام بالعقيدة الاسلامية المستمدة من القرآن الكريم والسنة النبوية المطهرة وأقوال السلف الصالح .

٣ ــ العناية البالغة باللغة العربية بجميع فروعها ، واعتبارها مادة اجبارية واتخاذ الخطوات الكفيلة بتعريب سائر العلوم .

٤ ــ العناية التامة بالقرآن الكريم حفظا وتلاوة وفهما والتوسع فى قراءة القرآن ابتداء من المرحلة الابتدائية والاكثار من انشاء مدارس تحفيظ القرآن الكريم .

٥ ــ وضع نظام خاص لتعليم البنات يراعى فيه ما يناسب طبيعة المرأة ، وما يحتاج اليه المجتمع ، وما يحقق تعاليم الاسلام .

٦ ـ تطبيق شريعة الاسلام فى جميع الدول الاسلامية ، ودعم الأقليات الاسلامية فى الدول غير الاسلامية والعناية بحلقات العلم فى المساجد .

٧ ـ ضرورة العمل على وقف هجرة العقول العلمية الى خارج العالم الاسلامى .

ابو ظبى

* تقرر أن يكون معهد زايد العلمى الاسلامى بالعين مقرا مؤقتا لجامعة الامارات العربية الجديدة ، على أن يتم التشكيل الكامل لأجهزة الجامعة فى القريب ان شاء الله .

* افتتح فى الفترة الأخيرة فى الشارقة مركز للدعوة الاسلامية هدفه دعم الجماعات الاسلامية فى مختلف أنحاء العالم ، وايجاد الروابط بين الأقليات المسلمة ، وترجمة أمهات الكتب الاسلامية .

الهند

* أقامت جامعة دار السلام بعمر أباد جنوب الهند مهرجانها الذهبى فى شهر ابريل الماضى وشهده وفود وسفراء ٤٠ دولة ، كما شهده فضيلة الشيخ محمد متولى الشعراوى وزير الأوقاف ووزير دولة لشئون الأزهر .

ومثل الأزهر فيه فضيلة الدكتور عبد الجليل شلبى الأمين العام لمجمع البحوث الاسلامية ، وفضيلة الدكتور عبد الودود شلبى مدير مجلة الأزهر .

والتقت مجلة الأزهر بفضيلة الدكتور عبد الجليل شلبى عقب عودته وطلبت منه أن يقدم الى القراء انطباعه عن هذا المهرجان فقال :

الجامعة تسمى جامعة دارالسلام وهى تبعد عن مدينة مدراس بنحو مائتى ميل وتوجد فى قرية عمرأباده

ويقوم بالانفاق على الجامعة كاكا عمر ابن مؤسسها واخوته ؛ ويقوم بناؤها الجديد فى مساحة تبلغ حوالى ٣٠ فدانا ، وسيكون به بجانب أماكن الدراسة مساكن للطلبة ، ومكتبة كبيرة للجامعة ؛

ومكاتب فرعية لكل كلية ، ومساكن للأساتذة ، والجامعة تحيط البيئة بمظهر اسلامى بحت ، وبها مسجد كبير لآداء الصلوات ، وميزة الجامعة المستقلة أنها تقوم على تعليم أبناء المسلمين فقط ، وبذلك تجد الحرية المطلقة فى اختيار مناهجها من غير أن تتدخل الحكومة فيها .

وقد استمر المهرجان ثلاثة أيام وكان يحوى وفودا من نحو ٤٠ دولة وكان به وفدان من سريلانكا ، وتبين أنهم يقومون بنشاط اسلامى ملحوظ فى هذه الجزيرة رغم مقاومة التبشير والحكومات .

ومن الجدير بالذكر أن المهرجان كانت تسوده الروح الاسلامية .

ابراهيم حامد النويهى

ورع عمر بن الخطاب رضى الله عنه :

أرسل عمر الى عبد الرحمن بن عوف يستسلفه (٤٠٠) درهم فقال عبد الرحمن : اتستسلفنى وعندك بيت المال ؟ الا تأخذ منه ثم ترده ؟ فقال عمر : أتخوف أن يصيبنى قدرى (اموت) فتقول انت واصحابك : اتركوا هذا لامير المؤمنين حتى يؤخذ من ميزانى يوم القيامة ولكنى اتسلفها منك لما اعلم من شحك فاذا مت جئت فاستوفيتها من ميراثى .

كتاب الشهر

أيام في الهند

بمناسبة الاحتفال بالعيد الذهبي
"لجامعة دار السلام"

DARUS — SALAM
UNIVERSITY — OMER ABAD
MADRAS — S. INDIA

للدكتور / عبد الودود شلبي

الهند ... السند ..

اسمان أو كلمتان أحفظهما منذ أيام الطفولة ..

كانت الأساطير والحكايات تروى عن هذه البلاد فى ليالى السمر المقمرة ومن خلال تلك القصص التى يرددها العجائز على مصاطب القرية ..

ماذا كنت أتصور عن هذه البلاد البعيدة ؟ ... اننى لا أزال أذكر حكاية المركب المسافرة الى « اسطمبول » وعلى ظهرها حبيب يغنى مع طيور البحر أغنية الوداع للأرض الحبيبة ..

« فاسطمبول » مدينة تربطنا بها أرقى المشاعر ثم هى قريبة منا قرب هذه العواطف التى تذكرنا بعهد السلاطين الغابر .. !!

أما الهند فماذا نعرف عنها ؟ كنت أسمع أنها بعيدة .. بعيدة .. وأن السفر اليها أشبه برحلة من الدنيا الى الآخرة .. !

وتمر سنوات العمر فى طريقها مسرعة .. وتبدأ الحرب العالمية الثانية وأسافر الى القاهرة طالبا للعلم فى جامعة الأزهر العريقة ..

وفى الجامع العتيق تعودت الاستذكار بعد فترة الدراسة .. كانت الحياة فى الجامع الأزهر متعة .. ألوف من الطلاب يجتمعون فيه كل ليلة .. وفى «صحنه» الذى شهد الكثير الكثير من حركات الطلبة ، ومن سهر العلماء على البحث والدراسة كنت أرى جنود الحلفاء من كل جنس ودولة يجيئون للزيارة .. هذا انجليزى . وذاك أمريكى وآخرون من مختلف شعوب آسيا وأفريقيا ..

وقد لفت نظرى من بين هؤلاء جنود يلبسون عمامة غريبة ، واذا دخلوا المسجد دخلوه بوقار وخشية ..

وكان من طلاب الأزهر «الكبار» فى هذا الوقت رجل اسمه الشيخ اسماعيل لم أكن أعرف عنه شيئا أكثر من سكناه فى « التكية » وعرضه أعواد البخور للبيع على

صغار الطلبة . وكان الشيخ متعودا الجلوس بجوار باب المئذنة الكبير على يمين الداخل الى الساحة ..

الشيخ اسماعيل هذا كان يستقبل هؤلاء الجنود بحفاوة فائقة ، ويتكلم معهم بلغة غريبة .

ولأول مرة أسمع أن هؤلاء الجنود مسلمون وأنهم من الهند ، وكان ذلك قبل تقسيم شبه القارة الى باكستان وهندستان .. وكنت أرى هؤلاء الجنود يخرجون من من المسجد ... ثم يتجهون الى حى « الباطنية » فاذا سألنا عن سر هذه الزيارة الى هذه الأحياء القديمة قيل : انهم ذاهبون لزيارة مسجد « بنيامين » شقيق سيدنا يوسف..! بشارع « حيضان الموصلى » .. وأعود لأتساءل هل هذا المسجد هو مسجد « بنيامين » حقا ؟ وهل المدفون فيه هو « بنيامين » شقيق سيدنا يوسف ؟ وفى شوارع القاهرة كان الناس يقابلون هؤلاء الجنود بسؤال لم يزل عالقا فى ذهنى حتى هذه اللحظة ... « مسلمان » ؟ أى هل أنت مسلم ؟ .. فاذا كان مسلما قال : الحمد لله .. واذا كان غير ذلك قال : « سك » !!! أى أنه من طائفة « السيخ » لا من طائفة المسلمين البررة !

وانتهت الحرب العالمية الثانية .. اختفى هؤلاء الجنود من الساحة.. غير أن الحديث عن « الهند » لم ينقطع لحظة واحدة .. كانت حركات الاستقلال فى العالم قد اشتد ساعدها فى مواجهة قوى البغى، وكان « غاندى » زعيم الهند يتردد اسمه على صفحات الجرائد ، وفى نشرات الأخبار ، وعلى السنة الساسة ..

ولم تكن « باكستان » قد ظهرت أو عرفت..حتى كان عام الاستقلال أو عام التقسيم وبدأت الصحف تكتب عن هذه القضية ومن وجهات نظر مختلفة .. وتحررت الهند . وتحقق حلم الشاعر الأعظم « محمد اقبال» بقيام دولة باكستان المسلمة.

ومنذ ذلك الحين بدأت معارفى تنمو وتتسع حول هذه البلاد التى

كانت أشبه بالأساطير والخيال فى تصورى الساذج ..

وأخذت أتعرف على الهند من خلال كتابات علمائها النابهين فى وقتنا الحاضر :

يقول العلامة أبو الحسن الندوى فى كتابه « المسلمون فى الهند(١) » .

لقد دخل المسلمون الهند وهم أرقى أمة فى الشرق . بل فى العالم المتمدن المعمور فى ذلك العهد يحملون دينا جديدا سهلا . سمحا ..وعلوما اختمرت وتوسعت، وحضارة تهذبت ، وكان أغرب ما كانوا يحملون فى الدين « عقيدة التوحيد » النقى الذى لا يرى وساطة بين العبد وربه ، ولا يعترف بالآلهة والمظاهر ..

وقد قرر هذه الحقيقة رئيس وزراء الهند الأسبق « جواهر لال نهرو » حيث قال :

ان دخول الاسلام كان له أهمية كبيرة فى تاريخ الهند .. انه قد فضح الفساد الذى كان قد انتشر فى المجتمع . وأن نظرية الاخوة الاسلامية ، والمساواة التى كان المسلمون يؤمنون بها أثرت تأثيرا عميقا فى أذهان الهندوس ، وكان أكثر خضوعا لهذا التأثير البؤساء الذين حرم عليهم المجتمع الهندى المساواة والتمتع بالحقوق الانسانية (٢) ..

واذا أردنا أن نعرف ما أضافه المسلمون الى ثروة هذه البلاد ومدنيتها يجب علينا أن نستعرض ما كانت عليه الهند قبل وصولهم اليها ، ثم ما فعلوه بعد ذلك حين أقاموا فيها ..

يقول (بابر) التركى فى مذكراته :

لم يكن هناك فى الهند وجود للخيل ، ولم يكن يسمع عن العنب والبطيخ .. فالثلج مفقود ، والماء البارد قليل نادر ، والحمام لم يعرف والشموع لا وجود لها ، وكذلك

---

(١) المسلمون فى الهند ــ صفحة ١٢ وما بعدها .
(٢) المصدر السابق صفحة ١٤ .

الفوانيس . كان الظلام يغطى كل شيء ، ظلام فكرى ، وظلام حقيقى.

وقد كان من عادة السيدات الهنديات أن يحرقن أنفسهن بالنار حدادا على وفاة أزواجهن . فحاول الحكام المسلمون ابطال هذه العادة بالاقناع والحيلة وحين لا تثمر عملية الاقناع كان الحاكم من هؤلاء يرسلها الى حريمه لتقلع عن ارادتها باقناعهن . ولم يكن يسمح الحاكم للمرأة باحراق نفسها الا اذا تأكد لديه عزمها واصرارها على اتمام عملية الحرق .

يقول : M.C. MEHTA فى كتابه « الحضارة الهندية والاسلام » :

ان الاسلام قد حمل الى الهند مشعلا من نور قد انجلت به الظلمات التى كانت تغشى الحياة الانسانية فى عصر مالت فيه المدنيات القديمة الى الانحطاط والتدلى . وقد كانت فتوح الاسلام فى عالم الأفكار أوسع وأعظم منها فى حقل السياسة. شأنه فى الأقطار الأخرى .

لقد كان من سوء الحظ أن ظل تاريخ الاسلام فى هذا القطر مرتبطا بالحكومة فبقيت حقيقة الاسلام فى حجاب وبقيت هباته وأياديه البيضاء الجميلة مختفية عن الأنظار ..



وما من مرة سافرت فيها الى الهند الا وأحسست بهذا الشعور متدفقا فى الوجوه والمشاعر فالمسلم هناك متميز فى سمته وهيئته . وفى شوارع Bombay بومباى تعرف المرأة المسلمة من أول وهلة تقع عيناك عليها .. الوقار والحشمة ، والثوب السابغ يغطى منها كل ناحية وفى شارع Mohmmad Aly. Rd تحس وكأنك تعيش فى القاهرة .. وبالذات فى « خان الخليلى » والغورية !

وحين أتيح لى العمل فى امارات الخليج قبل بضع سنوات فوجئت أثناء سيرى فى شوارع امارة «دبى» كأنتى غريب عن هذه المدينة ... فالوجوه السمراء تملأ شوارعها وأزقتها .. والمتاجر ذات الأسماء الغريبة تملأ جوانبها وأحياءها .

ورائحة الأطعمة النفاذة تنتشر فى سمائها وأجوائها .. كل شىء هنا عجيب غريب .. أما أجهزة المذياع فلا تسمع منها الا تلك الأغنيات الغريبة . أنغام بسيطة وحزينة .. وأناس يروحون ويجيئون بنفس البساطة والمسكنة .. انهم هنود .. والصلة بين بلادهم وامارات الخليج صلة وثيقة عميقة فالعرب الأصليون يتحدثون اللغة الهندية ولا يكاد بيت يخلو من زوجة من « حيدر اباد الدكن » أو من « بومباى » .. كنت أسمع من الطلاب أحاديث هذه الزيجات بدهشة وغرابة .. ان أى مسافر الى الهند يستطيع الحصول على زوجة بعدد قليل من الروبيات.. والخدم والعمال الكادحون فى البيوت كلهم من الهند .

وفى أفريقيا .. وفى الدول الواقعة فى شرقها على المحيط الهندى تجد نفس الصورة ويتكرر المشهد هناك بدرجات متفاوتة ...

أيتها الهند ! كم أنت عجيبة .. وأعجب منك هذه الحياة التى يعيشها أبناؤك فى بلاد الغربة .. !

* * *

وها نحن نتجهز للسفر الى « مدراس » بقرار من الامام الأكبر شيخ الأزهر .. ذلك لأن جامعة « دار السلام » تستعد للاحتفال بعيدها الذهبى فى مدينة « عمر أباد » وقد رأى فضيلة شيخ الأزهر أن يمثل الأزهر فى هذا الاحتفال بالدكتور عبد الجليل شلبى أمين عام المجمع ، والدكتور عبد الودود شلبى مدير مجلة الأزهر ..

* * *

أقلعت بنا الطائرة فى تمام التاسعة والنصف صباح يوم جمعة متجهة الى بومباى ... لقد انشغل كل راكب بحاله ، وغاص فى أعماق نفسه .. أخرج الدكتور عبدالجليل مصحفا وبدأ يقرأ .. وفى المقعد الذى يقع خلفى شاهدت شابا يمسك بالمصحف واقترب منى شاب آخر يسأل عن حكم الدين فى قضايا مختلفة .. ان الشاب القارىء

والشاب السائل كانا مهندسين من العاملين فى شركة مصر للطيران ، وكعادة الشركة فى منح موظفيها تذاكر سفر مجانية . فقد آثر هذان الشابان السفر الى طوكيو للسياحة غير أنهما لم ينسيا عقيدتهما فى هذه الرحلة الطويلة وانتهزا فرصة وجودنا للسؤال فى قضايا الدين والعقيدة ... انهما مصريان حقا مصريان بهذه العقيدة التى لا تهتز وتهون حين تتاح الفرصة ، أو حين يختلط الأمر على الناس فلايفرقون بين الكذب والحقيقة .

غير أن هذه الصورة الوضيئة للمصرى الأصيل لم تكتمل ... كان معنا فى الدرجة الأولى رجل قارب الستين من العمر ، وبجواره امرأة لا تقل عنه سنوات بحساب الزمن .. هذا الرجل أخرج من حقيبته زجاجة .. وبدأ يعب منها ويشرب .. ولم يكن يحمل من الحياء شيئا يعصمه من هذه الزلة ، أو يثير فى نفسه شيئا من الاحترام للمصحف الذى يقرأ بجواره .. !

انهم فى الهند لايشربون الخمر.. فالعقائد الوثنية بالرغم من زيفها لها طقوس تحترم .. وقد رأيت حارس الفندق « السيخى » يعتذر عن قبول سيجارة من أحد النزلاء لأن — دينه يرفض ذلك — ورأينا نحن فى طريق العودة من «مدراس»، طفلين مسلمين يرفضان الطعام الذى قدمته المضيفة لأنه لم يذبح بطريقة شرعية ! وحدثنى صديق يشغل مركزا اقتصاديا هاما أن وفدا هنديا حضر الى القاهرة . وحين عرض عليه المسئولون فى مصر تصدير نوع من الخمر رفض الوفد الهندى ذلك لأن « الزعيم غاندى » — على حد قولهم — يعتبر تناول الخمر جريمة !

ولندع جانبا أحاديث السكارى والخمر . فالطائرة تقترب من بومباى لقد طلبت المضيفة ربط الأحزمة استعدادا للهبوط فى مطار « سانت كروز » .. ظننت لأول وهلة أننا سنهبط فى جزيرة نائية بالمحيط .. فهذه أول مرة أسمع فيها هذا الاسم .. لم يخطر ببالى أن هذا هو مطار بومباى Bombay فقد سافرت الى الهند ثلاث مرات ولم أسمع فيها بهذا الاسم .. وكأن قائد الطائرة المصرى أراد أن

يضيف الى معلوماتنا جديدا من المعرفة ، أو يكشف عن تفوقه الكبير فىعلوم التاريخ والجغرافيا..!

وفى فندق Holiday inn قضينا ليلة واحدة فى انتظار الطائرة المتجهة الى الشرق .. ذلك لأن مدراس تقع على خليج البنغال فى شرق الهند .. وبومباى تقع فى غربها على شاطىء بحر العرب ... وعرفنا فى تلك الليلة أن هذا الفندق يقع فى منطقة اسمها «سانت كروز» وان مطار بومباى يطلق عليه هذا الاسم لوقوعه فى نفس المنطقة التى يقع فيها الفندق ..



وصلنا الى « مدراس » كان فى انتظارنا بالمطار مندوب من الجامعة لمصاحبتنا فىرحلة خلوية عبر أشجار المانجو ، والجوز ، والتمرهندى! ان الطريق الى الجامعة مثير شيق.. أكثر من مائة ميل وسط الحدائق والمعابد والقرى والمدن .. وها هى الجامعة « جامعة دارالسلام » تبدو كعروس أخذت زخرفها وازينت ..

لكن متى نشأت هذه الجامعة ؟ وما هى الأسباب التى دفعت المخلصين لاقامتها فى هذه المنطقة .. ؟؟ ..

« ان كل من له المام بتاريخ الهند وتطوراتها ، يعرف أن العلاقات التجارية والثقافية كانت قائمة بين الهند والعرب من قديم الزمان ، وقد أعانت هذه العلاقات على انتشار الاسلام ، وتعاليمه الراقية فى الهند وخاصة فى الأطراف التى تقع على السواحل الجنوبية والغربية منها .

هكذا يعد جنوب الهند من أول المناطق التى تأثرت بالاسلام .

ولكنه من المؤسف جدا أن فئات المسلمين الذين قدموا الى الهند عن طريق ممر خيبر غفلوا عن هذه البقاع النائية التى كانت مهد الاسلام الأول فيها ، وتتيجة لهذه الغفلة التى حدثت منهم من غير قصد ، أصبحت آثار العقيدة الاسلامية تضعف فى هذه الجهات .

وزاد الطين بلة حين سيطر الاستعمار البريطاني على الهند ، فقد نزلت هذه الكارثة على مسلمى الهند كصاعقة أذهلت عقولهم ، وأما بلاد جنوب الهند فلوقوعها على سواحل الهند التى مكنت الانجليز من الاستيلاء عليها - أصبحت أول صيد يقع فى براثن الاستعمار الغاشم واشتدت وطأتهم على هذه البقاع . وبعد أن أصبح المسلمون فريسة مؤامراتهم الشيطانية وجدوا الفرصة مؤاتية للتغلغل فى شئونهم ، والتدخل فى معتقداتهم ، والهجوم على ثقافتهم ، بشتى الأساليب الخداعة والحيل الخلابة ، وجعلوا يسلطون عليهم مدنيتهم البراقة الزائفة بكل براعة وأصبح المسلمون فى حيرة ودهشة لا يجدون مخرجا من هذا المأزق ، ولا مخلصا من هذه الورطة ، وصاروا فرقا وأحزابا : فريق أحس بالعجز عن القيام فى وجه المشاكل الراهنة ، وشعر بالعى فى مقاومة التحديات المعاصرة ، فانزوى الى التكايا والزوايا ، وفريق رأى معالجة المشاكل بالجمود على التقاليد المتوارثة ، وأغلق قلبه عن كل جديد مهما يكن نافعا . وأفتى بتحريم دراسة اللغات الأجنبية عامة والانجليزية منها خاصة . ونهوا عن الاستفادة من العلوم العصرية والاختراعات والصناعات الحديثة . يقابل ذلك فريق سقط فى شراك الاستعمار وثقافته وكان من بين هؤلاء وأولئك نخبة من المسلمين المخلصين الواعين المتحمسين لعقائد وتعاليم الاسلام الصافية ، وقيمه العليا ،، مؤمنين بخلود رسالة الاسلام ودوامها وشمولها ، وصلاحها لكل عصر وزمن ولكل مصر وبلد ، وتمكنها من مسايرة الحياة الانسانية مهما اشتدت الظروف وساءت الأحوال كان هؤلاء يشعرون بخطورة الموقف عن علم وبصيرة أنه لابد لمقاومة العدو ومواجهة غزوه الفكرى من التسلح بأسلحته، والتحلى بما ينفع من علومه وصناعاته ، وبما يفيد من اكتشافاته واختراعاته مع التمسك القوى بالعقيدة الاسلامية والقيم الدينية التى جاء بها خاتم النبيين محمد بن عبد الله صلى الله عليه وسلم كما كانوا على ثقة كاملة بأن الخروج

بالمسلمين من البدع والخرافات ، والكفر والشرك ، وتخليصهم من التقاليد البالية والعادات الوثنية وتحريرهم من الشجار الفقهى والنزاع المذهبى ، لايمكن الا بانارة قلوبهم وفتح أذهانهم لما جاء فى الكتاب والسنة ، والرجوع بهم فى جميع شؤون حياتهم الى هذين المصدرين الأساسيين ، وترجيح كل ما يوافق الكتاب والسنة ، ورفض ما يخالفهما ، وحثهم على القيام بواجب الدعوة الاسلامية ، وفريضة تبليغ الدين الاسلامى ، ومقاومة الغازى ، وكان من بين هؤلاء الواعين الوجيه كاكا محمد عمر رحمه الله (المتوفى سنة ١٩٢٧ م) ولم يكن هذا العبقرى الفذ عالما كبيرا ولا مثقفا عصريا بل تاجرا أمينا واعيا ، ومن مزايا الجنوب التى تستلفت الأنظار أن الاسلام لم يدخل فيه الا مع التجار من العرب المسلمين ، وكذلك لم تقم فيه حركة اصلاحية ولانهضة تعليمية الا كان التجار المؤمنون على رأسها فقام هذا التاجر الصدوق بعد نفسه لأداء فريضة الدعوة .

ولما بلغ أشده وتزود بزاد العلم والورع والتقوى ، ورأى بعين الاعتبار مانزل بالمسلمين من الرزايا والكوارث ، وما منى به المسلمون من البلايا والمشاكل وما وقعوا فيه من الظلام الحالك ، والضلال السائد ، والجهل والعمى ، والهمجية والفوضى والشرك والبدع والخرافات ، وما غرقوا فيه من الخلافات المذهبية ، والنزاع فى الفروع الفقهية التى لا طائل تحتها ، هذا وذاك ، وشاهد تأخر المسلمين فى مجال العلم والفكر وتخلفهم فى مضمار الحياة ، فلم يصبر على رؤية هذه المفاسد الفردية والاجتماعية ، وقام بالتشاور مع أساتذته وأصدقائه فى شأن النهوض بالأمة ، وفى البحث عن الوسائل التى تكفل لها السعادة وتضمن لها الرقى فى الازدهار وتخرجهم من ظلام الجهل والشرك .

فقام رحمه الله بتوفيق من الله وعونه ، بتحقيق هذه الفكرة البناءة ، واشترى بقعة أرض كبيرة بعيدة عن ضوضاء المدن ، وأنشأ قرية

نظيفة جميلة ، وأخذت هذه القرية اسمها من اسم بانيها رحمه الله ، فتسمت بعمر أباد ، وفى وسط هذه القرية الوليدة أسس رحمه الله بناء هذا المعهد التعليمى والتربوى فى سنة ١٩٢٤ م واعتنى بتحسين بنائه وتفخيم عمارته كما أنه اهتم ببناء مسجد جميل ومساكن للطلاب والأساتذة ، وغرف وصالات للفصول الدراسية والمحاضرات والمكتبة والمطالعة ، وسمى المعهد بجامعة « دار السلام » ، ووقف عليه هو فى حياته ، وبعد وفاته وقف أنجاله وأحفاده ، والمخلصون من المسلمين الآخرين من الأراضى والحدائق والبساتين ، والمزارع ، والدور والأبنية،والممتلكات الأخرى فى عمر أباد ، وفى مدينة مدراس وغيرها ، وقد بنى رحمه الله بجوار الجامعة دارا كبيرة لأسرته ليتمكن من القيام بخدمات الجامعة ، ويثلج صدره بمشاهدتها كل حين ، ويعود أخلافه على ملازمة رجال الدين وأهل العلم . وبعد أن توفى منشى المعهد كاكا محمد عمر رحمه الله (فى سنة ١٩٢٧ م) ، قام مقامه وتولى مكانه بكل جدارة نجله الأكبر كاكا محمد اسماعيل رحمه الله (المتوفى سنة ١٩٥٩ م) . يسانده ــ فى رعاية المعهد والتقدم والنهوض به ــ شقيقه الأصغر كاكا محمد ابراهيم ذلك الرجل الواعى الذى كان بينه وبين الأستاذ الطنطاوى صاحب الجواهر فى تفسير القرآن وغيره من كبار رجال الأمة مراسلات ، ومبادلات فكرية وثقافية ، وأصبح المعهد يرتقى ويتقدم الى الرفعة والازدهار الى أن تمخض عن حركة تعليمية وتربوية كاملة وانبثقت عنه نهضة تجديدية شاملة ، عمت آثارها العلمية والاصلاحية جميع أنحاء الهند : جنوبها وشمالها ، وشرقها وغربها بل بلغت أنوارها خارج البلاد وأصبح هذا المعهد العلمى والتربوى العظيم فى مدة يسيرة بفضل من الله وتوفيقه ، ثم بجد واجتهاد بانيه المخلص ، ومساعى أنجاله وأحفاده المشكورة حصنا منيعا للعربية والدين ، ومركزا قويا للدعوة الاسلامية والمعارف الدينية ، يجلب صيته البعيد الطلاب من سائر أرجاء الهند وخارجها من

أمثال مملكة نيبال وجزائر سيلان ، وملديف ، وماليزيا وأندونيسيا وغيرها من البلاد المجاورة » .

. . .

وها نحن الآن فى جامعة دار السلام .

الكل مشغول بواجبات الضيافة، وواجبات الاحتفال ، مدعوون من أربعين دولة . عرب ، وهنود سيلانيون ، وأفارقة ومن أمم أخرى كثيرة وقد حضر من الهند وحدها أكثر من ثلاثة آلاف ضيف وفدوا من مختلف الولايات ونزلوا فى معسكر كبير للاقامة تتوفر فيه كل الحاجيات ، أما الضيوف الوافدون من خارج الهند فقد خصصت لسكناهم بيوت أعيان المسلمين فى المنطقة ، كنت أسافر مع الدكتور عبد الجليل الى مدينة « هامبور » صباحا ومساء ... ففى هذه المدينة كانت اقامتنا فى بيت أحد التجار المسلمين الذى ترك بيته لضيوف الجامعة ..

وقد بدأ الاحتفال بكلمة ترحيب من الأخ « كاكا محمد عمر » الأمين العام للجامعة .

وقال الأخ « كاكا » فى كلمته :

أيها السادة الأجلاء والضيوف الأعزاء :

أحييكم بتحية الاسلام وأرحب بكم أحر الترحيب أصالة عنى ونيابة عن جميع أعضاء الجامعة ومشايخها وطلابها ونشكركم من صميم قلوبنا وأعماق نفوسنا لقد تحققت اليوم أمنيتنا العزيزة التى كنا نحلم بها منذ فترة طويلة وأمد بعيد وما زلنا ندعو الله تعالى بأن يتيح لنا فرصة الاجتماع لنتشرف بالخدمة ولنتمتع بالتجارب ونريكم جروحنا وآلامنا ونعرض عليكم مشاكلنا وأزماتنا لأنكم أول من اعتنق رسالة الاسلام وبلغها الى العالم ونبين لحضراتكم بأن الدرس الذى تلقيناه من اخواننا العرب كيف حفظناه وكيف حملنا الأمانة التى عرضتموها علينا شاكرين لكم حامدين لربنا الذى هدانا لهذا وما كنا لنهتدى لولا أن هدانا الله .

أيها السادة : أمامنا مسائل لاتعد وقضايا لا تنتهى ولكن الوقت ضيق لايسمح بكل ذلك ، تكاثرت الظباء على خراش فما يدرى خراش

ما يصيد . وحضراتكم شرفتمونا من بلاد نائية تاركين وراءكم أعمالا متراكمة فى هذه الشمس المحرقة وحياتكم مليئة بالتجارب والخبرات فنرى من العدل أن تزودونا بالآراء السديدة والمشورات الثمينة والمعلومات القيمة ومن الاستماع الى حضراتكم لنعمل بما تشيرون ونأمر بما تأمرون لأن الخير الكثير فى الدين الحنيف ما جاءنا الا من عندكم ولا شك أنكم أعلم بمعالجة الأمور فى هذا الشأن وخبراء هذا الميدان ونحن بحمد الله وقعنا على خبير ولا ينبئنا أحد مثل خبير .

أيها السادة : اجتماعنا هذا فى مثل هذا اليوم الشديد الحر للدعوة الى الله واعلاء كلمته وهذا الاجتماع المبارك فى مثل هذه الشمس المحرقة يذكرنا ذلك اليوم الذى انطلق فيه الرعيل الأول بقيادة النبى الأفضل الى مؤتة لرفع راية الاسلام ونشر الدعوة الى الله فنسأله سبحانه أن يلهمنا اقتفاء أثرهم وسلوك سبيلهم وأن يوفقنا للعمل الاسلامى الجبار حتى نرى راية الاسلام خفاقة .

أقدم ثانيا أطيب التحيات وأجلى الاحترام وأزكى الأمانى الى جميع حضرات الضيوف الكرام خاصة العرب منهم وأشكرهم جزيل الشكر على تلبية دعوتنا المتواضعة أصالة عنى ونيابة عن جميع أعضاء الجامعة للمجلس الاستشارى والمجلس الاستقبالى ومشايخها وطلابها ونقول : أهلا وسهلا ومرحبا .

* * *

وتتابعت الكلمات من أعضاء الوفود . والشىء الجميل حقا أن طلبة الجامعة الذين كانوا يقومون بالترجمة من العربية الى الأردية والانجليزية أثاروا انتباهى واعجابى لغة عربية سليمة ، وعبارات جميلة أخاذة .. لقد ذكرونى بطلبة الأزهر القديم يوم كان فى الأزهر طلبة وكانت فيه لغة ! وكان فيه طلاب يؤلفون ويكتبون قبل أن يتجاوزوا المرحلة الابتدائية !!!

* * *

الضيوف العرب يتكلمون بحماسة ... وبلغة « العنتريات » التى لا تقتل ذبابة ! والتبرعات التى قدمت للجامعة هزيلة ، وأشهد الله أن القائمين على أمر الجامعة لم يطلبوا من أحد معونة ، ولم يفكروا فى الاستجداء من أحد شيئا .. لقد كلفهم هذا الاحتفال أكثر من نصف مابون روبية ، ذهب أكثرها فى الترحيب والحفاوة باخوانهم العرب أصحاب الرسالة والدعوة ! :

***

وقد اشتركت الهند فى هذا المهرجان بوزير من الحكومة المركزية ولم يتخلف عن مشاهدة هذا المهرجان الرجال والنساء من الهنادك الذين قدموا لرؤية أعضاء الوفود من كل أمة وأثلج صدرى هذه الروح التى تسود بين السكان فى هذه المنطقة ، ان السائق « ساينام » كان يحدثنا عن الاسلام والمسلمين كاخوة ! وبالغ فى ذلك حتى ظننت أنه من أهل القبلة ! وقد ذكرنى موقفه هذا بشاب التقى بنا فى مطار بومباى وعرض علينا النزول فى فندقه . فقد أدرك بذكاء أننا مسلمان من القاهرة ...

قال : اسمى اقبال .. ثم غيره بعد ذلك الى جيمس .. وحين رأى الدهشة تعلو وجوهنا ضحك وقال : أنا مسلم .. هندو .. كريستيان !

انه نوع من الناس موجود فى كل أرض ... وسواء أكان منهجه خطأ أم صوابا فانها التجارة .. والتجارة كما يقول : ظرفاء مصر « فهلوة وشطارة » !

ومن المعالم البارزة فى هذا الاحتفال تلك الكلمة أو الرسالة التى وجهها الرئيس محمد أنور السادات الى مجلس ادارة الجامعة، والى الوفود الاسلامية التى شاركت فى هذه المناسبة ، والى الشعب الهندى الذى تربطنا به صلات عديدة ..

وقد قال الرئيس فى كلمته :

« اذا كنتم تحتفلون اليوم بالعيد الذهبى لجامعتكم ، فانكم تؤكدون تقديركم للعلم والعلماء ، وتعملون بما يوجبه الدين على اتباعه من

اعـزاز للعـلم ، واحترام للفكر ، وحفاوة بالعلماء ، وتنفير من الجهل وسخرية من الجهال •

ولقد تردد هـذا كله فى الدين الاسلامى الحنيف ، وفى تراث الهند الروحى وحضارتها العريقة •

لهـذا لم يكن عجيبا أن طفـر المسلمون وأن طفر الهنود فى عصور من تاريخهـم المشرق من بداوة الى حضـارة ، ومن جهالة الى ثقافة ، ومن تخلف الى تقدم •

أيها الاخوة والأخوات :

لقد سجل تاريخ الهند أنها ظلت أغنى بلاد العالم آلاف السنين ، وأن العـلوم والفنون الجميلة ازدهرت بها ، وكانت دلهى فى القرن الثالث عشر الميلادى مقصد رجال العـلم والفن •

وكانت تحتفى بالعلمـاء والأدباء والفنانين ، كما كانت تفعل بغـداد من قبل •

كمـا سجل التاريخ أن العـرب اتصـلوا بالهند منـذ زمن بعيـد وتوطدت بينهم الصـلات التجارية فى القرن السابع الميلادى ؛ حينمـا كانت أوربا تشـك فى وجود بلاد الشرق الأقصى ولا تعرف سـوى شواطىء أفريقية ، ففى هذا الوقت كانت السفن العربية تمخـر عباب المحيط وترسو ببلاد اليمن ، ناقلة كثيرا من خـيرات الهنـد الى بلاد العرب ، لينقلها العـرب الى الشام والى أوربا •

وحينما يدقق البـاحث النظـر يجد أن حضارة العرب قد امتزجت بحضارة الهند ، وأن هذا الامتزاج بدت آثاره فى المذاهب الهندية وفى نواح من التفكير العربى •

ولا يستطيع باحث أن يتغافل عن مظاهر هـذا الامتزاج فى فن البناء والعمارة ببلاد الهند وبلاد العرب ، كمـا نرى فى منارة قطب وفى باب علاء الدين الذى تبـدو أعمـدته هندوكية وتبـدو قناطره وزخارفه عربية وكما نرى فى تاج محل الشهير فى العـالم كله بأنه قائم على الفن الهندوكى والعربى والفارسى ، وكما

نرى فى مسجد المعطى والمسجد الكبير فى دلهى ... » .

***

فى كلية البنات بمدراس شاهدت نموذجا من الاخلاص الذى يندر وجوده فى ميدان التعليم والتربية.. انها كلية بنيت على أحدث طراز ، والمناهج المطبقة فيها تتنوع وتتعدد لتشمل كل فروع الثقافة والمعرفة.. انها كلية عصرية بمعنى الكلمة ، وكلية اسلامية فى الواقع والحقيقة، فالصلاة فى المسجد اجبارية والمسجد فى هذه الكلية قريب من حوض السباحة ! وليس لرجل أن يقترب من هذه المنطقة أو يحوم بجوارها ! وتدريس مادة التدبير المنزلى تأخذ صورة جديدة فى التطبيق والعمل.. هناك نموذج كامل « لبيت » داخل هذه الكلية ، وعلى الطالبة أن تقضى فيه فترة من الوقت لتعرف كيف تطبخ ؟ وكيف تنظم شئون البيت ؟ وكيف تستقبل الضيوف والزوار وتعاملهم ؟

كما أن هناك معملا لتفريخ الدجاج ، وآخر لدراسة أحوال الطفل وتطورات نموه .

والشىء الجميل حقا أن السيد / بشير أحمد مؤسس هذه الكلية Mr Justice Basheer Ahmed Sayeed يؤدى عمله بالرغم من بلوغه سن التقاعد ، ان عمره يزيد على السبعين عاما ، غير أنه ــ والحمد لله ــ يتمتع بنشاط يتحدى شباب العشرين قوة وحركة .

قابلنى على باب الكلية مرحبا .. وكان ترحيبه من ذلك النوع الذى يشعرك بدفء العاطفة وحرارة المودة ، وعمق الاخلاص والمحبة ، أضف الى ذلك « ظرفه » الذى يشبع فى الجميع سرورا وبهجة ، لقد أخذنى من يدى .. وأصر على التقاط بعض الصور معه ، كما أصر على اشراك بعض الطالبات معنا فى هذه الصور وحين أخبرته مداعبا أن ذلك خطر على حياتى « كزوج » فى القاهرة .. ! زاد تمسكا بهذه المحاولة وقال : اذن نزوجك لنضمن بقاءك وسلامتك .. !

وبعـد أن طاف بى فى أرجـاء الكلية أخـذنى الى المسجد وقال : هناصلى شيخ الأزهر اماما بالطالبات وحين سـألته كيف يكون المسجد وحمام السباحة فى بقعة واحـدة ؟ ضحك ضحكة عالية ثم قال : هنا طهـارة ، وهناك طهارة ، ان كليتنا تمزج بين الدين والحياة مزجا يتسم بالورع والفضيلة .. !

والشىء الظريف فى هـذه الكلية أن السيدة / فاطمة اختر « حـرم السيد / بشير أحمد تشاركه العمل الجـاد فى هـذه الكلية ، وكانت مفاجأة أن عميدة هذه الكلية السيدة « رجنم كريشـنا » Rajnam Krishnan هندوكية .. وأنهـا من السـيدات الممتـازات عمـلا وتضحية .. والحـق أن السيدة / رجنم جديرة بهـذه الثقة . وكانت فى تصرفها مثالا لمـا ينبغى أن تكون عليه العلاقة بين ابناء الأمة الواحدة .

***

وفى الكلية الجـديدة بمدراس كانت زيارتى الثانية . نفس المشاعر والحفـاوة ، وقـد أصر الدكتور خليفه الله الأستاذ بهذه الكلية على زيارتى لجمعية « أنجمن حمـايت اسلام »

The Anjuman - E - Himayath-- Islam

مكان فسـيح جـدا فى مدراس . يتوسطه مبنى عتيق يشعرك من أول وهلة بالفقر والمسكنة والحرمان أنه بيت لايواء أطفال المسلمين اليتامى «بنين وبنات» الأطفال الصغار جلسوا على الأرض يحفظون القـرآن .. المدرس لا يكاد يتماسك فى وقفته من الارهاق . وفى الجانب الآخـر من هذه الصورة فتيات من مختلفى الأعمار .. وقد وزع هؤلاء الفتيات بحسب أعمـارهن فى الفصـول والحجرات .. صورة لاتغيب عنى . لا تفتؤ تثير الهمـوم والشـجن فى قلبى . هـؤلاء الصبية والصبيات يعيشون وراء هذه الجدر فى حرمان وصمت .. لقد مات الآباء والأمهات . ليس هناك عائل ولا مورد .. ماذا يكون المصـير ان لم توجد هـذه الجمعية ، وهـذه القلوب الرحيمة أن المـأساة لا يدركهـا الا الذين يعيشون فى بلاد الهنـد .. هناك

حيث يمارس التبشير الصليبى جريمته تحت ستار مزيف بالانسانية والرحمة .. أو حيث عصابات الرقيق الأبيض والأسود .. !

لقد دخلت بعض هذه الفصول.. وقف الأطفال لتحيتى كـ « عربى » مقدس ! وفى حجرات الفتيات أحسست أن كل واحدة منهن سهم موجه الى صدرى .

أين أنتم يا اخوة الاسلام ؟ أيها العرب والمسلمون لماذا تتركوننا للجوع والحرمان والضياع ؟

نحن لم نؤمن الا بكم ..

وقد بسط الله لكم من رزقه الكثير الوافر ..

وأسبغ عليكم من نعمه ما هو أكثر ..

فلماذا تتركون بنات الاسلام فى مهب رياح الشر ..

وتفرطون فى يتامى المسلمين على هذا النحو ..

يا أيها العرب .. الأغنياء !!

اذهبوا الى الهند وانظروا كيف يعيش اليتامى .. يتامى المسلمين من البنين والبنات ..

ان أبواب الجنة مفتحة الأبواب فى هذه الأماكن ..

* * *

ان تاريخ التعليم الاسلامى فى الهند حافل بتلك الصور الوضيئة لرجال وهبوا أنفسهم عن تجرد واخلاص لخدمة الدين والعلم ..

يقول العلامة الندوى :

كانت الميزة الكبرى التى كان يتسم بها الأساتذة فى العهد الماضى والتى كانت شعارهم الخاص ، هى الاخلاص والايثار .

وأن تاريخ العلم وطبقات العلماء فى الهند ، حافل بذكر هؤلاء الأساتذة العظام ، وزهدهم فى الحياة وايثارهم الفقر والجوع الذى احتملوه فى حياتهم ، وابتعادهم عن ملذات الحياة ، ومن بين القصص المؤثرة للايثار وتحمل المكروه نورد هنا قصة غريبة تدل على ما أسلفناه .

يحكى مؤرخ الهند مولانا غلام على آزاد البلكرامى فى « مآثر الكرام » قصة لمحدث بلكرام الشهير ، والأستاذ الكبير ، مير سيد مبارك (١١١٥ هـ) نقلا عن أستاذه مير طفيل محمد .

« حضرت مرة فى مجلس مير مبارك وكان قد نهض من مجلسه للوضوء، اذ زلت قدمه وسقط ، فأسرعت اليه وأخذت بيده ، وأردت أن أجلسه وقد أغمى عليه ، فلما أفاق سألته عن سبب هذا الضعف والنقاهة ، فلم يقل كلمة وظل صامتا ، فلما أصررت عليه ، قال انه لم يأكل لقمة واحدة منذ ثلاثة أيام ، ولم يتضح أمر مير مبارك على أحد ، لأنه كتم أمره ولم يقبل شيئا من أحد ، وقد أثر ذلك على نفسى ورق له قلبى ، فذهبت الى بيتى وأحضرت لأستاذى طعاما كنت أظن أنه مرغوب لديه فلما رأى الخوان بين يديه أظهر سروره ودعا لى بخير ، ثم قال: بارك الله فيك وفى طعامك ، ولكن هل تقبل عذرى فيه يا ولدى ، ثم قال بعد برهة ، انه طعام أشراف لما اصطلح عليه الصوفية ولو أن مثل هذا الطعام مباح باعتبار الفقه ، وان الشريعة تبيح أكل الميتة بعد ثلاثة أيام من الجوع ، لكن فى مذهب التصوف والزهد لا يجوز أكل طعام الاشراف(١) .

سمعت كلام أستاذى فلم أقل شيئا ، ورجعت عن مجلسه، وحملت الخوان وتوقفت برهة على الباب وانتظرت ، ثم عدت ثانية أحمل الصينية فوق رأسى وقلت هل كنت يا سيدى تتوقع هذا الطعام بعد رجوعى ؟ قال لا ، قلت اذا لا حرج الآن فى تناوله ، وأعجب أستاذى بكلامى وحجتى وقال لقد غلبتنى بذكائك وتأويلك ، ثم أكله برغبة وشوق(٢) ..

ان هذه القصة رغم كونها غريبة وغير عادية ، ليست فريدة من نوعها فى تاريخ الهند العلمى والدينى ، الذى هو حافل بقصص الأساتذة وزهدهم وقناعتهم ، حتى ان الفقر والجوع أصبح ميزة هذه الطبقة وطبيعتها(٣)..

---

(١) طعام الأشراف هو الطعام الذى أشرفت اليه النفس وتوقعه الآكل.
(٢) مآثر الكرام صفحة ٩٦ ، ٩٧ .
(٣) نزهة الخواطر ١ ، ٢ ، ومآثر الكرام ، وتذكره علماء الهند ، نظام تعليم وتربيت .

ولا تقل عن ذلك أثرا قصةأخرى تدل على الايثار والعمل باخلاص وتركيز كامل للمعلمين ، يرجع عهدها الى القرن الثالث عشر للهجرة .

« كان الشيخ عبد الرحيم (م ١٢٣٤ هـ) يدرس فى رامبور، وعرض عليه والى منطقة روهيل كهند الانجليزى المستر هاكنس منصب التدريس فى كليه بريلى ، براتب شهرى يبلغ مائتين وخمسين روبية (تقدر قيمته الآن بأكثر من ألفى روبية) ووعده بأن راتبه سيزاد فيه ويرفع مستواه ، فاعتذر قائلا بأن امارته تدفع اليه عشر روبيات ، وستوقف هذه المنحة ، فقال له هاكنس انه عرض عليه أضعاف هذا القدر ، وما قيمة عشر روبيات أمام مائتين وخمسين روبية، فقال ان فى بيتى شجرة سدر حلوة وهى محببة الى كثيرا ، فكيف السبيل اليها فى بريلى ولم يتطرق ذهن هذا الانكليزى الى حقيقة الأمر الذى كان يدور بخلد الشيخ فقال انى سأرتب لايصال ثمرة هذه الشجرة اليك فى بريلى ، فقال ان لى تلاميذفى رامبور ، فكيف اتركهم وسأحرم فرصة خدمتهم ، وحاول الانكليزى اقناعه ، فقال انى سأقدم اليهم المنح الدراسية وسيواصلون دراستهم فى بريلى ، ولم يبق فى جعبة الشيخ الا سهمه الأخير ، فأطلقه وقال : صحيح ما تقول ، ولكن ما يكون جوابى يوم القيامة على الارتزاق بالتدريس (١) ..

***

بعد الفراغ من زيارة « انجمن حمايت اسلام » قابلت فى الفضاء الفسيح المحيط بمبنى هذه الجمعية بعض أعضاء جماعة التبليغ ..

لقد قدموا — الى هنا للاقامة بضع ليال — يتجولون فيها بين الناس.وحين عرفتهم بنفسى أحاطونى بقلوبهم وأذرعتهم ! انهم نوع من الدعاة الصادقين حقا..ان الرجل الذى يترك أهله داعيا الى الله بالحكمة لا يمكن لمثل هذا الرجل أن يكون

---

(١) ماذا خسر العالم للعلامة الندوى نقلا عن نزهة الخواطر ص ٣٢٤ .

« دعيـا » أو « كاذبا » لقد سافر بعضـهم الى نيويورك منـذ عشر سنوات .. كانوا يقصدون صديقا لهم فى الشـارع الخامس والثمانين فى المدينة الـكبرى .. ذهبوا الى البيت .. ولـكن الصديق الذى بحثوا عنه كان مسافرا الـى ولاية بعيدة ماذا يفعلون اذن ؟ انما معهم من المال لا يكفى ليـلة واحدة فى فندق من الدرجة الثالثة . لستأذنوا صاحب البيت فى المبيت بالحديقـة حتى الصباح . وافق الرجل عطفا وشفقـة .. وحان وقت الصـلاة فوقف أحدهم ليؤذن بصوت رخيم شجى . ثم دخلوا فى الصـلاة وبدأ امامهم يقرأ .. وبدأت دموعه تنهمر وتتساقط .. وفتح النـاس نوافذ بيوتهم ليروا هـذا المنظر الجليـل الخاشع ..

وبعد خمس عشرة دقيقة .. نزل صاحب البيت ودعاهم للاقامة عنده وأقبـل جيرانه يشتركون معـه فى هـذه الحفاوة وكانت المفاجأة التى لم تدر بخلد واحد من أفراد هـذه الجماعة ..

لقد أسلم صاحب البيت وزوجه بعد ساعتين من النقاش والحوار.. وأرجأ « الجيران » اعلان اسلامهم الى الصباح ليتم ذلك فى ملأ من النـاس !!!

ولـكن كيف بـدأت هـذه الحركة ! ... حركة جماعة التبليغ الاسلامى فى شبه القارة الهندية ؟

يقول العلامة الندوى(١) :

صحبت « مولانا محمد الياس » مركز هـذا النشـاط مدة طويلة ، ورافقته فى السفر والحضر فرأيت نواحى من الحيـاة لم تتكشف لى من قبل ، فمن أغرب ما رأيت يقينه الذى استطعت به أن أفهم يقـين الصحابة ، فكان يؤمن بمـا جاءت به الرسل ايمانا يختلف عن ايماننا اختلافا واضحا كاختلاف الصـورة والحقيقة ، ايمانا بحقائق الاسـلام أشد وأرسخ من ايماننا بالمـاديات والمحسوسات وبخواص الأشـياء والأدوية ومضـارها ومنافعهـا وبتجارب حياتنا ، فـكان كل شىء

---

(١) الدعوة الاسلامية فى الهند وتطوراتها ــ صفحة ٣٦ .

صح فى الشرائع وثبت من الكتاب والسنة حقيقة لا يشك فيها ، وكأنه يرى الجنة والنـار رأى عين .

ورأيته فى حالة عجيبة من التألم والتوجع والقـلق الدائم كأنه على حسك السعدان ، يتمليل تملمـل السليم ، ويتنفس الصعداء لما يرى حوله من الغفلة عن مقصد الحياة ، وعن غاية هـذا السفر العظيم وعن خالق هذا الكون . ومن الاستهانة بقيمة الحياة وتضييعها فى غير محل، ولا أجد له مثـلا الا كالذى يرى الحريق فى بيت وقد أحاطت النيران بأولاده وأسرته ونفائسه ، فيصرخ ويضطرب ولا يقر له قرار ، وعرفت برؤيته معنى الحب ، وفهمت ماروى عن العشاق والمتيمين ومن استولى عليه الحب ، وصدقت ما نقـل عن الأنبياء من الحزن والقلق والحرص على الهداية .

ثالثا وأخيرا رأيت فى هذا الجسم النحيل الذى كاد يعجز عن أن يحمل ثقله روحا قوية جدا ، وقوة ارادة لم أجد مثلهـا فى الشبان الأقوياء والأبطال الأشـداء ، فكان يتحمل من المشاق ما ينوء بالعصـبة أولى القوة ، وقد يظل فى أسفاره أياما متوالية لا يأكل فيها لشدة الاشتغال والعمل ، وأعجب ما رأيت أنه كان فى مرضه الذى توفى فيه لا يستطيع القيام والقعود ، ولكنه يأتى الـى الصف يتهادى بين رجلين ويقـوم للصلاة ولا يستقل بنفسه ، فاذا كبر الامام تركه الرجلان وقام بنفسـه كأنه غير الرجل ويقوم ويركع ويسجد من دون مساعدة ، حتى اذا سـلم الامـام خارت قوته وعاد ضـعيفا لا يستطيع النهوض وبقى هـكذا شهورا . وما فاتته فى مرضه صلاة الى الليلة التى توفى فيها ..

***

نعود بعد ذلك الى مدراس ..

انها مدينـة نظيفة وجميـلة ..

أليس عجبا ألا تقـع عينـاك على شىء من القذارة فى هـذه المدينة الكبيرة ! ان « مدراس » تقع على خليـج البنجال Bengal Bay و «البنجال» هى الأرض أو المقاطعة التى يعيش فيها البنجاليون، والبنجال قسمان : قسم غربى تابع للهنـد ، وقسم شرقى كان فيما مضى يعرف

باسم « باكستان الشرقية » أما الآن فقد صار اسمه بعد الانفصال بنجالاديش Bengaldish والناس يتحدثون هنا بلغة تختلف عن لغة بقية الولايات الهندية الاخرى . انها لغة التأمل Tamil ولهذا تسمى هذه المنطقة من الهند أرض « التأمل » Tamilland

وهذه اللغة هى المستعملة فى سيلان أو « سرى لانكا » كما تعرف اليوم .

ولو عبرت الخليج أى خليج البنجال من « مدراس » الى الجانب الآخر جهة الشرق .. فستجد نفسك فى « تايلاند » أو « بورما » ولو أبحرت جنوبا من الميناء فستجد نفسك بعد ساعات فى سيلان أو « سرى لانكا » .

انها منطقة تتشابك فيها « الجغرافيا » و « والتاريخ » والجمال والسحر ، والغموض والفقر ! والسلام والحرب !

وداعا يا مدراس .. فقد أذن مؤذن الفراق بالعودة والرحيل غير أننا لن نفارقك حتى نرى ما صدر من قرارات الاحتفال بالعيد الذهبى لجامعة دار السلام .

تقول هذه القرارات التى اشترك فى صياغتها أعضاء الوفود من مختلف أقطار المسلمين والعرب :

أولا : تشكر هذه الوفود السادة القائمين على جامعة دار السلام لما لقيت عندهم من حفاوة وحسن وفادة وكرم أخلاق ، وتسأل المولى تعالى لهذه المؤسسة الاسلامية كل توفيق ونجاح ورقى وتحقيق ما تصبو اليه من خير فى المستقبل ، والوفود ستظل تذكر — بالعرفان الجميل لجامعة دار السلام — هذه الفرصة التى أتاحت لها أن تتلاقى وتتعارف .

ثانيا : ان المؤتمرين يعبرون عن سرورهم بهذا المهرجان الذى يأتى بعد المؤتمر الأول للتعليم الاسلامى الذى انعقد فى مكة المكرمة مؤكدا حاجة المسلمين عامة الى الالتزام بالمنهج الاسلامى الشامل فى التربية والتعليم .

ثالثا : نرجو من حضرات الأفاضل اعداد منهج صالح يلائم ظروف

المسلمين فى الهند فى ضوء المذكرة التى عرضت فى مؤتمر التعليم الاسلامى .

رابعا : يعرب المؤتمرون عن استمرار ألم الأمة الاسلامية لبقاء فلسطين السليبة بعامة والمسجد الأقصى بخاصة تحت نير الاحتلال اليهودى ، ويطالبون المسلمين وولاة أمورهم بالقيام بالتزاماتهم وواجباتهم الشرعية تجاه هذه القضية المصيرية الخطيرة ، ويهيبون بهم أن يسارعوا الى رفع راية الجهاد فى سبيل الله لاسترداد الأرض المقدسة .

خامسا : تشكر الوفود الحكومة الهندية على موقف وزارتها الخارجية من الاجراءات الودية حول القضية الفلسطينية وحول الأراضى المحتلة فى ضوء البيانات التى أصدرتها الوزارة بهذا الصدد فكان لها الصدى الطيب فى جميع أرجاء العالم الاسلامى .

سادسا : يناشد المؤتمرون اخوانهم المسلمين فى الهند بتوحيد جهودهم الفردية والجماعية فى اطار واحد مما يحقق الخير لهم وللدعوة الاسلامية فى هذه البلاد ..

سابعا : نلفت أنظار المسلمين الى أن يغتنموا الفرصة الودية التى باحت بالتآلف وقضت على سوء التفاهم بين الأفراد والجمعيات والمنظمات والهيئات الاسلامية وغير الاسلامية ويقابلوا الجميع بالأخلاق الفاضلة الاسلامية من الصدق والعفاف والامانة والبر والاحسان واكرام الجار حتى يؤثر الاسلام فى قلوب جميع الناس كما حدث فى الماضى ، وحيث ان الاسلام قائم على مبادئه الأساسية فى توحيد الله تعالى والايمان بالكتب السماوية والأنبياء والرسل السابقين عليهم السلام ، وهو دين صالح لكل مكان وزمان ، ومرتكز على أساس التقوى والمسؤولية أمام الله تعالى يوم الحساب كما أن مبادئه السامية مرتكزة على الحرية والاخوة والتسامح والمساواة والأمن والسلام والعدالة الاجتماعية التى سعدت بها البشرية زمنا طويلا ..

* * *

لقد رجعنا الى بومباى .. وضعنا رحالنا فى فندق HORIZON أى الأفق .. وقد أصر الدكتور عبد الجليل على خروجنا من الفندق

مشينا فى شوارع ضيقة مليئة بالأكواخ والبيوت الحقيرة . لم يكن يخفف عنا الملل والضيق غير نسمات البحر الرقيقة ، وحفيف أشجار « جوز الهند » السامقة ..

لقد أقبل الناس يحيطون بنا من كل جهة .. أقصد يحيطون بالدكتور الشيخ عبد الجليل بصفة خاصة .. فقد سافرت الى بومباى عدة مرات لم أحظ فيها بمثل هذه الحفاوة .. فملامحى كما يقول بعض الظرفاء « هندية » ! وفى « باكستان » كان الناس يحسبوننى مواطنا من الدرجة الأولى ! وفى « لندن » .. وفى أعقاب الهزيمة القاسية سنة ١٩٦٧ م لم أجد مناصا من الادعاء بأنى « باكستانى » كى أتحاشى المناقشات المملة حول هذه الهزيمة وآثارها المرة .

أما هذه المرة .. وبالذات فى هذه الزيارة .. فقد كان ظهور الدكتور عبد الجليل بعمامته حدثا فى هذه المنطقة .. من الناس من كان يقف ويحيى .. ومنهم من كان يلاحقنا بأسئلة لم نفهم منها شيئا ؟ كنا نميز بين الطوائف والديانات بكلمة « السلام عليكم » وأخيرا ظهر شاب يرتدى سروالا قصيرا وقد ترك صدره عاريا .. لقد أقبل علينا مندفعا .. وبدأ يتكلم كلاما كثيرا .. كان كلامه خليطا من الانجليزية والاردية لقد وقف « عبد الستار » وهذا اسمه .. يتحدث عن نتائج الانتخابات الأخيرة .. وعن سقوط « انديرا غاندى » الذى قوبل بفرحة كبيرة .

لم نعر كلامه اهتماما .. وظننا أن هذه عاطفة مسلم تجاه أخوة له فى العقيدة .. غير أن هذه الفرحة بسقوط « الامبراطورة » كانت عامة .. وكان الهنادك أكثر شعورا بالابتهاج والفرحة لهذه النتيجة ..

كيف حدث هذا ؟

لقد عرفت انديرا غاندى منذ عشرين عاما كانت على ما أذكر مندوبة الهند فى الأمم المتحدة .. قرأت كتابا جمعت فيه تلك الرسائل المتبادلة بينها وبين والدها الزعيم « جواهر لال نهرو » حين كان فى السجن كان اسم هذا الكتاب : « من غير دموع » Without tairs

ان الأسلوب الذى كتبت به هـذه الرسائل ، والأفكار التى احتوتها هذه الكلمات والرقة التى صيغت بها هذه الأفكار ، لايمكن أن تصدر عن رجل « مستبد » فكيف اذا كان الكاتب امرأة .. وامرأة من الهند بالذات ! .

وكما تقول صحيفة الرائد الهندية: لقد وقف الشعب كله ضد الحكومة السابقة وقلما شوهد مثل هـذا الحماس فى الشعب الهندى لقد هتف الناس كلهم بالثورة .. هتف الرجال بالثورة ، وهتف النساء بالثورة ، وهتف الأولاد بالثورة ، وهتف الشيوخ بالثورة .. هتف المسلمون والهندوس كلهم بالثورة، وامتلأت الأجواء بهتافات الثورة ، ولماذا لا يهتفون بالثورة وقد عاشوا فى ظل الارهاب والدكتاتورية تسعة عشر شهرا !!! . وسقطت انديرا فى الانتخابات سقط معها ابنها وعدد كبير من وزرائها .

لم يشفع لها انها ابنة الزعيم « نهرو » ولا أنها زعيمة حزب « غاندى » ولا أنها أول « رئيس » لحكومة هندية ينتصر فى حربه ضد باكستان ، ولا أنها قادت بلادها فى أحلك الظروف والأزمات ، وجعلت من الهند دولة « نووية » تقف مع الدول الكبرى على قدم المساواة .

لقد سلبت « انديرا » من الشعب « حريته » واذا ضاعت الحرية ضاعت الحياة وأصبحت هـذه الأعمال والانجازات أشبه بالطلاسم والخرافات المكتوبة على جدران المعابد فى (بنارس) و (سومنات) ؟

. . .

يقول الشاعر الهندى الكبير « رابندرانبات طاغور » Tagore على لسان «تشيترا » Chitra ابنة ملك « ماينبور » فى احدى مسرحياته :

مسكينة أنت يا ابنة الفناء .. لقد قدم اليك الظل دون الأصل.. السراب دون الشراب .. ان صورة الحياة ذاتها مزيج من الجمال والكمال والجلال .. فأين أنت من هـذه الآفاق .. لقـد ذهب الحب من قبضتك .. وهـذا القناع الزائف الذى يلفك سيذهب عنك .. وستجلس المرأة الموتورة المهجورة

تندب حظها وتجتر حسراتها ليل نهار .. ان هذا المنظر اللعين يطاردك مثل الشبح .. واسفاه يا تشيترا.. لقد ذهبت ليلتك الفريدة ، وضاعت سدى .. ان سفينة السرور كانت بحيث تراها العين.. ولكن الأمواج لم تمكنها من أن تمس الشاطىء ..

ولو كان « طاغور » حيا الى هذا اليوم لادار الحوار نفسه على لسان « انديرا » بدلا من «تشيترا» واستبدل بمملكة (مانيبور) فى مسرحيته العاصمة الكبرى « نيودلهى » ! .

***

ها هى الطائرة تقلع بنا من مطار « سانت كروز » فى طريق العودة الى القاهرة ..

ان الشمس لا تريد أن تفارقنا لحظة .. فقد غادرنا مطار بومباى قبل غروبها بنصف ساعة.. ولاتزال تتقدمنا عاليا فوق جبال السحب البيضاء المتراكمة .

ترى هل كانت ترحب بنا فى طريق العودة ؟

أم هى لا تريد أن تغيب لتبقى ذكريات هذه الرحلة نابضة حية ؟

أم هى العاطفة التى أشعلها الحب فى احتفالات « جامعة دار السلام » العزيزة .. وفى مدينة « عمر آباد » المضياف الكريمة ؟

أم هو شيء من سحر الهند ؟ وطيف من طيوف هذه الرحلة التى شملت ربوعه من الشرق الى الغرب ؟ !

الفهرس

رقم الإيداع بدار الكتب ١٦٧ / ١٩٧٧

الهيئة العامة لشئون المطابع الأميرية
٤٨٢٨ / ١٩٧٧ - ١٢٠٠٢

but even the great scholars of the early period, including the Companions of the Holy Prophet and their followers, did not all agree in every detail in regard to commands and Prophibitions. Do all these people then deserve the condemnation pronounced in the Quran for making diferent interpretations ?

If this is not so, then what kind of differences of opinion have been condemend in the Quran ?

The Problem is very vast and extensive and this is not the place for its detailed discusion. Suffice it to say here that the Quran is not against difference of opinion in the interpretation of its injunctions, provided that (a) there is agreement on the basic principles of Islam among those who differ and (b) they remain united within the fold of the Muslim Community. The Quran deprecated that kind of divergence which starts with self-worship and crookedness and leads to disputes ans sectarianism. As the two kinds of differences are netiher alike in their nature nor in their results, they should not be placed in the one and same category. The first kind of divergence is essential for progress and is the very soul of life and every community of intelligent and thinking people must encourage it. Its existence is sign of life and only that community can afford to repress it which desires to have only blockheads in it. The second kind of divergence, as everyone knows, dis-integrates the community which nourishes it ; therefore is appearance in a community is not a sign of health but a symptom of disease and it can never produce good results.

These two kinds of divergencies of opinion may further be illustrated yb the following :

Supposing there are two scholars or two judges, who agree, on principle, that Allah and His Messenger alone are entitled to obedience and that the Quran and the Sunna are the final authority to dtermine all laws and regulations. They may then differ in the details or in the decision of a case, provided that neither of them makes his opinion as the criterion of Islam or un-Islam nor declares the other to be outside its fold on account of Such a difference of opinion. They may put forward their own arguments in support of their opinions and leave the decision to the public or to the highest court, if it is some judicial matter, or to the legislative body of the community, if it concerns them. Then either one of the two different opinions will prevail or both will be accepted.

---

ing social, cultural, political and economic problems etc .. One is, therfore, baffled to see that it does not contain any detailed regulations even about Salat and Zakat which are such important obligatory duties that the Quran itself lays great emphasis on them over and over again. That is why a casual reador cannot understand how this Book can be called a complete code. This confusion is caused because the objector loses sight of the fact that Allah did not only send down the Book but also appointed His Messenger to demonstrate its teachings by putting them into actual practice. To illustrate this, we take the case of the construction of a building. If only a plan of the proposed building is laid down and no engineer is appointed to supervise and direct its construction, then every detail must be supplied. But if an engineer is also supplied alongwith the plan to construct the building on the spot, obviously there is no need for a detailed plan. In that case only a sketch with its essential features will be quite enough. It would, therefore, be wrong to find fault with such a plan as being incomplete. As Allah sent His Messenger along with the Quran, only general principles and absolutely essential instructions were needed and not their details. Hence the main function of the Quran is to present clearly the intellectual and mroal bases of the Islamic way and reinfore them with arguments and appeals to the heart. As far as the practical side of the building of the Islamic Way of life is concerned, it only defines the limits and bounds of every aspects of life without giving detailed rules and regulations. Moreover it fixes signposts for guidance at certain important places to show how those parts are to be constructed in accordance with Allah's will. The actual work of building the Islamic Way of life, in accordance with the instructions contained in the Book, was entrusted to the Holy Prophet, who was specially sent to set up the pattern of life for the individual, for the society and for the Islamic State to be constructed practically according to the principles of the Quran. Thus the Quran is a complete code in the sense that is to be taken along with the Sunnah of the Holy Prophet.

Another question which troubles the minds is that of divergencies in interpretation of the Quran. People say that on one hand Quran condemns very severly those people who create differences in the Book of Allah and cause division in their religion ; on the other hand, so many different interpretations of the injunctions of the Quran have been made that there is hardly to be found any Command with an agreed interpretation. And it is not the people of the later periods alone who differ with one another

lation should be dubbed as local or temporary, simply because it was addressed to a particular community and during a particular period. There is no philosophy, no way of life no religion in the world which expounds, from the beginning to the end, everything in the abstract withuot making any reference to particular cases or concrete examples, for it is simply impossible to build a pattern of life merely in the abstract. Even if we suppose, for the sake of argument, that it were possible to do so, most surely, such a system will always remain merely a theory on paper and will never take a practical shape.

Moreover, it is neither necessary nor useful to start from the very outset on international lines any ideologicalmovement that is meant to be ultimately international. The only right method of beginning this will be to start the movement in the country of its origin and present with full force its theories and fundamental principles which are to form the basis of the required system of life. Then its exponents should impress these things on the minds of their own people who should have a common lnguage, common habits and common customs. They should first of all put these principles into practice in their own country and prove their worth by evolving a happy and successful system of life. This will naturally attract other nations, and their intelligent people will themselves come forward to understand the movement and start it in their own countries. Thus a certain ideological system does not become national simply because it was at first presented to a particular nation and its agruments were addressed to a particular people. As a matter of fact, what distinguishes a national from an international and temporary from a permanent system is this ; a national system aims either to establish its own superiority or its special claim over other nations or presents principles and theories which, by their nature, cannot be applied to other nations. On the other hand, an international system grants equal status and equal rights to all human beings and puts forward principles of universal application. Moreover, the principles of a temporary system become impracticable with the passage of time while the principles of a permanent system are applicable to all times. If one studies the Quran in the light of the above, one will come to the conclusion that its teachings are of universal application.

Complete Code

Another thing that causes mental confusion is the oft-repeated assertion that the Quran is a complete code of life. But when one reads it, one does not find detailed rules and regulations regard-

AN INTRODUCTION TO THE STUDY OF THE "QURAN"-IV

By

Moulana Abul A'ala Maududi

Universality

Everyone knows that the Quran claims to provide guidance for the whole of mankind, but when he reads it, he finds that it is mainly addressed to the Arabs, who lived at the time of its revelation. Though at times it also adresses other people and mankind in general, it mainly discusses those things which appealed to the taste of the Arabs and were linked with their environment, history and customs. This naturally gives rise to the question : Why does the Quran contain so many local and national elements of the period in which it was revealed, when it was meant for the guidance of the whole of mankind ? Those, who do not understand the wisdom of this, begin to argue like this ; the Quran was really meant for the reform of the Arabs of that period but later on, somehow or other, the claim was made that it was a guidance for the whole of mankind and for all ages.

If one does not raise this objection merely for the sake of objection but really wants to understand the matter, I would advise him to read the Quran and mark the parts which give rise to this doubt. He should then point out any tenet, idea or principle there-in that might have been meant particularly for the Arabs of the period only. He should lay his finger on any moral principle, practical rule or regulation that is not of universal application and was meant only for the Arabs of the period, time and place. The mere fact, that the Quran refutes the blsphemous creeds and condemns evil customs of a particular people, living at a particular time and place bases arguments for the Unity of God on the material gathered from their environment, is not a sufficient proof to establish the allegation that its invitation and appeal was local and temporary. We should examine the question closely and decide whether what it says regarding the blasphemous people of Arabia is or is not equally true of every period and every place, and whether we can or cannot use everywhere, with minor changes, the same arguments that the Quran puts forward for the Unity of God. If the answer to these questions is in the affirmative, then there is no reason why such a universal reve-

breast fed infants. As well there is evidence that malnutrition has a greater incidence in artificially fed than breast fed babies. Apart from safety of human milk from the hygenic point of view recent studies revealed that human milk has certain antiinfective properties :

(a) Growth factor for lactobacillus bifidus : which promotes the growth of L. bifidus this in turn inhibits growth of shigella, E, coli and yeast. This factor is a nitrogen containing polysacharide.

(b) Antistaphylococcal factor : appears to be fatty acid distinct from linoleic acide and protects breast fed infants from staphylococcal infection.

(c) Immunoglobulin : All classes are present in milk especially colostrum. Human milk contains little Ig E, G & M. On the other hand in contrast to cow's milk it contains high values of secretary Ig A which unlike Ig G, M & E is not devided from the plasma, but is synthesized by human mammary gland. It is resistant to proteolysis and PH changes and contains several antibodies against E coli presumably blocking their adherance to the intestinal mucosa as well as Shigella, cholera and polio virus. There is no evidence that these antibodies are absorbed by the gut of the human infant but act mainly locally. Human colostrum also contains specific inhibitor of trypsin thus saving the antibodies from digestion.

(d) Complement C_4 and C_3 are present in human milk but are less than in serum. It seems that colostral secretary Ig A activate C_3 in vivo with its important opsonic chemotactic properties.

(e) Lysozymes : are 300 times more in human milk than animal milk. Although in vivo activity of lysozyme is unknown yet vito experiments suggest that with Ig A and Salmonella. Other enzymes milk which has an in vitro effect on Steptococcus.

Lactiferrin : This is an iron binding protein akin to transferrin. It is relatively rich is human milk and has great affinity to iron. In vitro studies it has been demonstrated to have an inhibitory effect on growth of certain micro-organisms because of an iron competitive effect. In this respect it is advised not to encourage administration of iron salts with milk.

Cellular factors : High number of leucocytes, 2,000-4,000/cm, are found in human milk. These are macrophagues capable of synthizing C_3, C_4 hysosyme and lactoferrin. In addition lymphocytes are also abundant especially in colostrum. These cells produce antibodies especially Ig A class. Recently milk lymphotes were also found to produce the antiviral agent interferon.

Minerals : Although calcium content of human milk is less than cow's milk yet because of its low C.A.P : ratio there is better assimilation of calcium by the breast fed infant so that neonatal hypocalcoemia is much rare than in artificially fed infant. Rickets also is less common in breast fed babies inspite of the low vitamin D content in both milks.

Although iron content of human milk is low recent evidence show that availability of iron in human milk is about 60—70% as compared with 10% or less in most other foods.

The low content of chloride, potasium, sodium and other electrolytes in human milk compared to animal milk is of great importance in determing the osmolarity of body fluids and response to water or salt depletion by the breast fed infant especially the premature and neonate. Because of the limited ability of the newborn baby to concentrate and diluted urine the high solute load of cow's milk entails the excretion of great amount of water even under conditions of dehydration. The sparing effect of the low solute of load of breast milk on water excretion in cases of dehydration as preventive to gastroenterites cannot be over emphasized. The high solute load of animal milk is further exagerated by the high urea output and other nitrogenous by products necessitated by the much higher protein content of cow's milk compared to human milk. The hypotonic nature of most cases of gastroenteritis in breast fed infants, compared to the hypertonic or isotonic form commonly met with in artificially fed infants, is related to the low electrolyte content of human milk. The low buffer value of human milk compared to animal milk is related to its low phosphate content.

Vitamins : Apart from the slightly higher Vit. C and Vit. B content of human milk compared to cow's milk, human and cow's milk are poor in all other vitamins. Vitamin A is especially high in colostrum.

In underdeveloped countries use of animal milk is frequently associated with overdilution because of the cost. This rsults in higher incidence of malnutrition in artificialy fed babies than the breast fed babies.

A final advantage of breast milk over animal milk in infant feeding is the observation recently recognized in Western countries of the greater incidence of obesity amongst artificially fed infants than breast fed infants. This carries the subsequent risks of cardiovascular and metabolic diseases in adulthood.

4. Antiinfective Properties of Human milk.

In the less previliged societies human milk is a safe clean food than animal milk. In Egypt the incidence of gastroenterites is 5 times more in artificially fed infant than

tated by breast feeding does not only assure better care for the infant but there is evidence based on mammalian studies that tactile contact and stimulation may be of considerable importance in the imprinting process and in determining the quality of mothering provided for the infant.

Ease and availability of human milk at the proper temperature without necessary preparation is a great advantage to the mother and saves, in poor communities, the fuel expenses.

3. Composition : Human milk is uniquely formed suite the human infant. Many of the unique properties are related to its composition.

Protein : The lower content of casien in human milk in relation to the other milk protein (1 : 2 in human milk versues 2 or 3 : 1 in animal milk) is responsible for better digestibity and less cured formation. Recent immunoelectrophcresis assays have shown that human milk contains about 18 protein fractions some of which are synthezized by the mammary gland. The amazing high biological value of human milk protein is realized when it is known that 1—5 gm/kg of human milk protein are enough for normal growth in comparison to 3.0 gm/kgm cows' milk protein.

Human milk is much more rich in cystine and less in methionine than cow's milk. Cystin is especially important in normal cerebral development of the newborn.

Fats : Human milk is more rich in linoleic acid than animal milk. Recent studies have shown the important role of lineleic acid in human brain development. Cholesterol content of human milk is also higher than in cow's milk. This might be nature's role in relation to the very rapid brain growth of human newborn and the extensive myelinization process involved. Human milk is rich in lipolytic activity which facilitates fat digestion. In content to animal milk human milk contains a specific ; ipure synthesized by the breast and different from the serum lipase (which is also present in milk). The enzyme is stable under the prevailing conditions in stomach and gut.

Carbohydrate : Almost all carbohydrate content of human milk is composed of beta lactose which is favourable for the synthesis of galactocerebrosides. The high lactose content is not a disadvantage even in communities where lactose in tolerance is prevelant since this only occurs in older children after infancy (excluding the very rare heriditary forms of congenital alactasia). The acid nature of the stools of the breast fed infant and the bacterial conetnt of its bowel are benificial and are related to the high lactose content.

Al-Azhar Seminar

ADVANTAGES OF BREAST FEEDING

By

Dr. A. Safwat Shukry,
Cairo University,

Present Status of Infant Feeding

Artificial feeding is more frequent, at the present time, in U.S.A. than breast feeding. This is not the case in other parts of the world. The tendency to breast feeding decreases with increasing sophistication. In a rural community in Egypt study of the feeding and weaning practices revealed that throughout the first year of life breast feeding was the rule. Only 3 infants in the 2 rual communities studied were not breast fed, two of them due to drying of the breast early and the third case due to pregnancy of the mother at 11 months of age of the infant. In the age interval 12 — 17 months over 90% of infants were still breast fed while in the age group 18 — 23 months 69.8% in one village and 76.1% in the other village were still breast fed. After the second year the percentage of breast fed infants sharply dropped to reach 4.5% at the age of 36 — 41 months.

Advantages of Breast Feeding

1. Economic : To give an idea of how cheap breast milk is it is calculated that lost of ability to breast feed in present day Asia would need to be compensated by an additional bread of 114 million cattle to increase cow's milk production by 40%.

2. Social : In certain population conception is forbidden during period of lactation. Post lactation amenorrhea lasting few weeks to several months seems to be related to the frequency and continuity of milk secretion. Certain authors maintain that sucking itself inhibits ovulation. There is evidence that this inhibitory effect of breast feeding on lactation is more prolonged under conditions of malnutrition of the mothers where birth control is most recuired. Prolonged amenorrhea of lactating mothers in such communities would have a saving effect on the iron stores.

— The beneficial effect of breast fedding on uterine involution is well known. There is as well good evidence that breast cancer is less common in communities where breast feed is common.

— The close contact between the mother and her child necessi-

Bride-money or 'mahr' is another institution which is sometimes misunderstood. It is not a payment by the man for the enjoyment of sexual rights, as some think. It denotes the man's willingness and preparedness to build a home with her participation and a invitation to woman to accept the partner's role, for in Islam it is the man who initiates home-making, acting asits protector and supporter.

Islam gives full independence to woman in working life, in making contracts, running business, owning property and assuming responsible positions and also complete freedom. of belief. Yet Islam recognizes that on account of biological differences the nature of female responsibilities must differ from male. These responsibilities are in no way inferior to the man's duties. Islam, therefore, confers full dignity on the female from early infancy and attaches no disabilities to her.

What the Quran spells out for woman is confirmed by the Prophet's word and practice. According to Ibn Abbas, the Prophet said : "One who did not degrade his daughter and did not prefer the son over her shall enter Paradise". Again he said : "The best among you are those who are best to woman".

He is also reported to have said: "A family is blessed if its first-born is a girl". In days before Islam the birth of a female brought shame and indignity to parents. According to a report from Ayesha (the Prophet's wife), the Prophet displayed great affection and deference to his daughter Fatima.

Islam gives a vision of a society based on humanistic values and healthy human relationships, not on the pursuit of materialistic goals. Such a society does not permit inequality between people but merely assigns different human roles to individuals. Islam's declaration of the equality in status between men and women in human terms dispelled all illusions about her inferiority or weakness. This declaration confers rights which she did not enjoy earlier so that she may meet all her obligations to herself, her family and nation. Some of her roles, like breastfeeding and motherhood are so unique that man cannot perform them. She is brought up to play the part of the builder of a new unit of living and is entitled to all privileges of education and upbringing given to men. This is the teaching of Allah and his Prophet. Both sexes are given the same kind of freedom ; freedom from material avarice and lust, casting an individual into a hard and shining stone in the edifice of family and nation.

The verse mentioned above (6 : 152) prohibits infanticide of both sexes for fear of poverty but the reference is primarily to females because female infanticide was the Arab custom. After Allah's assurance thaat He is the provider of parents and their child, the offence becomes graver. In face of such an assurance infanticide would be motivated by sheer wantonness.

The prohibition of female infanticide implies that a woman is not a piece of property which its owner can destroy at will The concept that woman is man's property goes back to the Arab custom a widow being claimed by the relatives of the dead man like any other piece of property. Such transactions were prohibited by Allah : "O ye who believe, it is not lawful for yau to forcibly inherit the women (of your dead kinsmen)" (4 : 19). The same verse exhorts kind and generous treatment of wives and prohibits husbands from taking back any portion of the mahr (bridemoney) gifted to wives.

The Quran then affirms the right of every infant, male or female, to be breastfed by the mother for two years : "Mothers shall suckle their children for whole two years, for those who wish to complete the suckling" (2 : 233). Even a divorced woman must breastfeed the child and be paid for it by the child's father. She has also the right to engage a wet-nurse at the father's expense. Great importance is given to breast feeding because children deprived of nursing suffer not only physically but also psychologically. If deprived of material warmth and tenderness they grow up into resentful and anti-social adults.

Women's right in inheritance is fully protected in the Quran and modification of this law is not permissable.

Sometimes a question is asked why a woman's share is fixed at half of what the man inherits. The answer is to found in verse 34 of the chapter on women : "Men are in charge of women, because Allah has made one of them excel the other and they spend their wealth (for the support of women)". The wisdom of giving lesser share of inheritance to her is that she has the right to be supported by the husband, the father or brother as long as she lives with them. The modern woman does not seem to realize how valuable and natural is this right. She is required to devote a great part of her time and energy to the propagation of the race and therefore she must receive economic support from the male half of society. In refusing to accept economic dependence on the male out of sheer vanity, the modern woman becomes dependent on the Devil.

daughters. Yet they attributed daughters to Allah. The Quran refers to this contradiction in two verses :

> "Hath your Lord then distinguished you by giving you sons and hath chosen for himself females from among the angels '(17 : 40) and' And yours are males and his females" (53 : 21).

After Islam :

Islam altered the character of human relationships. Older human bonds rested on agressive and materialistic exploitation. Islamic links between human beings were built on the foundation of love, peace and mutually profitable exchange.

Thus Islam humanized society and liberated it from materialistic bondage. The process was gradual and not sudden : "It is we who have sent down the Quran by stages" : (56 : 23). Islam sought a psychological change and no such change can be sudden.

In dealing with woman Islam first defined her status, then pinpointed the customs and laws which were to be abolished and then spelt out the new rights and privileges conferred on woman. Equality of status between men and women was pronounced in the first verse of the chapter on women :

> "O mankind, mind your duty to you Lord who created you from a single soul and from it created countless men and women" (2 : 1) and again in the sura called the Day of Judgement : which declared the two sexes had a common origin and thus an equal status :
> "And was he not a drop of fluid which gushed forth ? then he became a clot ; then Allah shaped him into a pair, the male and female" (75 : 37-39).

Before ordering an outright prohibition of the ancient custom of female infanticide, Islam raised the moral question hether the act was justified : "And when the girl child is asked for what crime was she killed." (81 : 8-9).

Raising this question in context of the day of judgement was an invitation to man to judge for himself how sinful was the act. After this moral education came the verse which outlawed infanticed in absolute and categorical terms :

> "Slay not your children because of penury ; we provide for you and them" (6 : 152)

A crime of killing children was deemed as serious as denying the oneness of Allah for which there is no forgiveness :

> "Allah forgives not ascribing partners to Him but He forgives anything else to whom He pleaseth" (2 : 48).

Al-Azhar Seminar

FEMALE CHILD BEFORE AND AFTER ISLAM

By

Dr. Mohammad Al-Bahay

Before Islam :

Pre-Islamic cultures, Arab, Persian and Roman were tied to a materialistic system of values, for which the Quranic word is "Jahiliyya". It denotes the power of the strong and the rich over the weak and the poor. A society in the state of "Jahiliyya" is a divided society, split between rulers and the ruled, masters and slaves.

The most defenceless, exploitable and vulnerable groups in any human group are women and children particularly the orphans among them. They are most likely to be used as means for the ends of the selfish, greedy and dominant individuals in society.

Islam refused to treat women as an inheritable property as was the custom. Before Islam women had no share in tribal wealth for they did not take part in tribal warfare. Therefore Oyainah ibn Hassan objected why should women inherit when they did not bring wealth to the tribe through acts of valour. The Prophet, peace be upon him, silenced him by saying :

"Thus, I have been ordained by Allah". It is also narrated that the wife of Saad ibn al Rabia who was martyred in the battle of Uhad came to the Prophet with her two daughters and told him that their uncle had taken possession of their father's wealth and the girls were left destitute. Then came the Quranic verse which ordained women's share in inherited property. The girls' uncle was ordered to give two thirds of his dead brother's wealth to his daughters, one eighth to his widow and distribute the rest among other relatives.

Before Islam, a girl child brought humiliation and shame to the father and the family. Often she was killed. Sometimes her sex was concealed by giving her a boy's dress. A daughter's birth brought sorrow to the father as the Quran says :

> "When one of them receives the news of the birth of a female, his face is darkened and he is wroth inwardly" (16 : 58).

The next verse condemns this attitude with the words :

> "And what an evil they chose". (16 : 59).

The pagans of Arabia had a contempt for females and killed their

them, and neglected the other. The Prophet told him "shouldn't you have treated them alike ?"

4) The role of the family in the future of the child :

The Islamic doctrine places the family in a high position and considers it as something absolutely pure, good and sacred. Hence it provided laws and regulations to guard and look after it. Islamic family system provides children with loving care and adequate cultural, moral and social environment to ensure his physical health, psychological soundness and mental growth. Referring to the educative and instructive factors, in child care, the prophet says : "God's mercy be upon a man who helps his children to enable them to do good to him, by treating them with goodness, and amity, and instructing and educating them properly." And the Prophet also says : "Venerate your elders and have mercy on your youngsters"". Another example of the Islamic method of child care is evident in the following prophetic advise ; "It is the duty of a father towards his child to teach him writing, swimming, and shooting and shouldn't spend on him except what is good and lawful."

These are only a few points of the many concrete teachings of Islam in order to realise a sound family as the children are of central concern and are to be surrounded with appropriate physical, social, psychological and moral environment.

In this way Islam gives due emphasis to the concept of genetic counselling.

2) After giving the due emphasis to the care for child health before marriage is implemented, it gives then importance to the system of 'lactation' the advantages and the importance of lactation are evident in the Quranic verse which means : "... and mothers should breast-feed their children for a full two years ......". The beneficial effect of breast-feeding on uterine involution is wellknown. The close contact between the mother and her child necessitated by breast-feeding does not only assure better care for the infant but it is important in determining the quality of mothering provided for the infant.

In Islam the mothers suckle their infants for 2 years. A wet nurse is employed in case of failure of maternal lactation. The problem of infant feeding is one of the most important discussed topics in modern pediatrics. Since the turn of the century there have been many efforts among nutritional experts to advise improved infant formulas. At the same time there has been an increasing insistence on the part of pediatricians that maternal breast is the more preferrable source of infant nutrition and should not be substituted by artificial feeding. The time of weaning was stated, as in the above mentioned Quranic verse, to be at the age of two years. The Quran also refers to this point in another verse which means : "The carrying of the (child) and his weaning is 30 months (46 : 15).

3) Islam emphasises the necessity of providing an appropriate psychological and social environment for a child. In this respect Islam repeatedly calls for equal treatment of children regardless of sex or birth order. Not only that but it has given more emphasis on care of girls to counteract the pre-Islamic tradition of undue preference for sons and maltreating female children. This practice has been strongly condemned in the Quran, as it is evident in the following verse which means : "When news is brought to one of them of the birth of a female (child) his face darknes and he is filled with inward grief. (16 : 58). A Prophetical tradition says : "He who gets a female child and does not degrade her and prefers not the son over her, Allah shall enter him to Paradise".

Islam goes further to eliminate preferential treatment between children, even of the same sex, as the prophet says : "Be fair and equitable in treating your children, just as you would like them to be fair and equitable in treating you." We can quote another example of Islamic concept of fair treatment to the children. It is reported that the Prophet once noticed a man with two sons. The man kissed one of

tor of Aligarh Muslim University, India, on "Economics of Education in Muslim Countries", and Dr. Salah Eddin Namek, Dean of Al-Azhar Faculty of Commerce on "Economics of Children in Egypt."

The third session, presided over by Dr. Mrs. Amal Osman, Minister of Social Affairs and Insurance, was devoted to medical and psychological researches.

Papers on the "Relationship of Parents with Child" and the "Influence of Religious Education on the Mental Health of the Child" were read out by Dr. Gaber Abdul Hamid of Qatar University and Dr. Mohammad Shaalan of Al-Azhar University.

Towards the end of the symposium a round table discussion took place in which a number of prominent specialists took part, including Dr. Mohammad Hassan Fayed, President of Al-Azhar University. Resolutions and recommendations were announced at the end of the symposium.

The Position of The Child Health In Islamic Doctrine :

The following facts may help to understand the general spirit of Islam and its laws regarding the pure and good family system, as children — both male and female — are of central concern. A thorough study of particular Islamic laws which tend to child health care might reveal that no other doctrine or religion places the family system and the child health in as high a position as Islam does.

Health in Islam means a complete state of physical fitness, sound psychological adjustment and adequate social and cultural environment. The appreciation of this state of health is referred to in a Prophetical tradition that means : "A believer who is strong is better and more favored by God than a believer who is weak, ..."

A healthy society consists of healthy individuals. It is an undisputable fact that child is the nucleus of the family. Statistically children compose a large proportion of the population in most of the communities. Reviewing the Islamic doctrine we could come to summarize the Islamic innovations in child health care in the following points :

1) Islam starts its care of the child from the very beginning of the family foundation, namely, the choice of the marital partner. The Islamic tradition refers to the principle that is called 'genetic counselling' in order to avoid any disease inheritance. Referring to this principle the prophet says what means : "Choose your marriage partner carefully, for the line of descent is conducive". Islam also warns against marriage of close relatives to avoid getting unhealthy children, as the tradition says : "Marry outside your kith and kin so that you don't get puny children".

MAJALLATU'L AZHAR

(AL-AZHAR MAGAZINE)

MANAGER : Dr. ABDUL WADOOD SHALABY

RAJAB 1397	ENGLISH SECTION	JULY 1977

AL-AZHAR SEMINAR ON THE 'FUTURE OF THE CHILD IN THE MUSLIM WORLD'

By

Dr. Mohiaddin Alwaye

Al-Azhar University's "International Islamic Centre for Population Studies and Research", organised an international seminar on the "Future of the Child in the Muslim World" in Cairo from May 7 to 9, 1977. The sessions of the seminar were held at the Arab Socialist Union Central Committee Auditorium. Several eminent Muslim scholars from 15 countries participated in symposium to read research papers on a variety of topics related to the "Future of the Child in the the Muslim World".

We can have a general idea about the usefulness of this seminar from the following account of its deliberations and the papers discussed and the speeches delivered by the eminent scholars.

The first session was presided over by Dr. Abdel Halim Mahmoud, Grand Sheikh of Al-Azhar. Two research papers on "Rights of the Child in the Quran and Sunna", and on "Female Children in Arab Society Before and After Islam" were read out by Dr. Mokhtar of Malaysia and Dr. Mohammad El Bahy of Egypt.

The second session, presided over by Dr. Mohammad Hafez Ghanem, Deputy Prime Minister for Soical Development, was devoted to Educational Reasearches.

During this session, Dr. Abdullah Madaly of the Philippines spoke on "The teaching of the Muslim Child and Economy", Dr. Masud Hussein, Vice Chancellor of Jamia Millia Islamia, New Delhi, on "The Relevance of Educational Systems to social, Economic and Cultural Needs of the Muslim Countries" Dr. A. M. Khusro, Vice Chancel-

مجلة الأزهر

مجلة شهرية جامعة

تصدر عن مجمع البحوث الإسلامية بالأزهر

في أول كل شهر عربي

مدير التحرير والإدارة

الدكتور

عبد الودود شلبي

العنوان

إدارة الأزهر

بالقاهرة

ت { ٩٠٥٩١٤
٩٠٥٥٠٦

الجزء السادس — السنة التاسعة والأربعون — غرة شعبان سنة ١٣٩٧هـ — يوليو سنة ١٩٧٧م

بسم الله الرحمن الرحيم

العودة إلى الإيمان

للدكتور عبد الودود شلبي

ماذا بقى من الحضارة الغربية غير القنبلة والمدفع، والقلق والخوف والحيرة والشك ؟ ؟

منذ أكثر من شهر كتبت احدى المجلات الأسبوعية تعليقاً تحت صورة لجماعة من الشباب تقول فيه :

فى مكان ما .. اجتمع أكثر من أربعين فتى وفتاة يرجون الشفاء من أمراضهم النفسية .. وقد حلق الجميع رءوسهم بلا استثناء .. ومن بين هؤلاء وقف شاب يتقلص ويصرخ ويحرك قبضته فى الهواء فى كل اتجاه .. أنا لا شىء .. اننى أخاف من كل شىء .. أكره كل شىء حتى والدتى .. أنتم يا من فوق .. أريد أن أسحقكم .. انها لمتعة أن أدوسكم .. !

وفى الصفحة نفسها من المجلة خبر غريب يقول :

مجلتان ظهرتا فى أميركا هذه الأيام .. أما المجلة الأولى فاسمها « عالم عنيف VIOLENTWORLF » وأما المجلة الأخرى فقد اختارت لنفسها اسم « السفاح » ASSASSIN أما لماذا ظهرت هاتان المجلتان فلأن الناس ـ كما تقول مجلة العنف ـ يشعرون بالملل ، ولذلك يبحثون عن الشيء الذى يفتح شهيتهم على الحياة من جديد .. فتح الشهية بالعنف والقتل !

* * *

تناقض وتخبط ، ومن شقوة الانسان فى هذا العصر كما يقول الدكتور « الكسى كاريل » فى كتابه « الانسان ذلك المجهول » : أن علماء النفس يبذلون كل ما يمكنهم من الجهود فى الكشف عن أمراض نفسية وعصبية جديدة ، ولكنهم فى الوقت نفسه يهملون البحث فى الوصول الى علاج لهذه العلل . وقد دمر هذا التناقض الانسانية تدميرا .. فالأجسام تحت الملابس البراقة أحوج ما تكون الى الهدوء والسكينة ، والأبنية الفخمة تسكنها قلوب محطمة ، والمدن المتلألئة ببريق الحضارة مصابة بالدسائس والكراهية .

ولكن كيف حدث ذلك ؟

يجيب « ول ديورانت » الكاتب الأميركى المتفلسف على هذا السؤال قائلا :

« .. لأن ثقافتنا اليوم سطحية، ومعرفتنا خطرة .. لأننا أغنياء فى الآلات فقراء فى الروح ، وقد ذهب اتزان العقل الذى نشأ ذات يوم من حرارة الايمان الدينى ، وانتزع منا العلم الأسس السامية لأخلاقياتنا .. اننا نطوف بسرعة مذهلة حول الأرض ، ولكننا لا نعرف أين نذهب ، اننا نهلك أنفسنا بمعرفتنا التى أسكرتنا بخمر القوة . ولن ننجو منها بغير الحكمة » .

* * *

لقد أوشكت سفينة أوربا على الغرق ، صرح بذلك « توينبى » ومن قبله أعلن ذلك « برناردشو » وتنبأ غيرهما بهذه النهاية التى توشك

أن تبدأ ! والأمل الوحيد فى الخلاص أن تبحر هذه السفينة الى الشرق ..

ولكن أى شرق هذا الذى يجب أن تتجه اليه أوربا ؟

فى كتـاب « أوربا والاسلام » يقـول الامام الأكبر عبـد الحليم محمود :

فى سـنة ١٩٤٨ كنت مع أحـد العلمـاء الأمريكيين نطوف بأرجاء الأزهر معهدنا العتيق ، وبينما نحن على وشك الخروج علمت أن بعض أعضاء لجنة الفتوى موجودون فى مقر انعقاد هذه اللجنة ، فحـدثت هذا الأستاذ الأمريكى عن « لجنة الفتوى » ورسـالتها . فرغب فى زيارتها ، والتعرف على أعضائها.. دخلنا القاعة . فكان فيهـا المرحوم الشيخ عبد المجيد سليم ، والمرحوم الشيخ العنـانى ، وبعد التعـارف والتحيـة خاطب العـالم الأمريكى فضـيلة الشيخ عبد المجيد سـليم قائلا :

ان الغرب الآن فى حالة روحيـة قلقـة ، ومن الممكن أن يتجـه الى الاسـلام ، ولكن من المحتمـل أن يتجه الى صوفية الهند . فهل أعد الأزهر عدته لتوجيه الغرب نحـو الاسلام ؟

وكان السؤال مفاجئا أو مربكا ؛ ولكن فضـيلة الشيخ عبد المجيـد أجاب وفى أسلوب دبلوماسى لبق : اننا بصدد البحث والدراسة !

* * *

وسـواء أكانت اجابة المرحـوم الشيخ عبد المجيد سـليم لباقة أم حقيقة . فنحن المسلمين.. لم نبذل جهدا تجاه هذه القضية المهمة ؟

ومحاولتنا فى هذا السبيل « باهتة » بالرغم من كونهـا بدائيـة .. ومتواضعة ..

لقد حدث بالفعل ما تنبأ به العالم الأميركى ، فعلى الرغم مما نسمع به كل يـوم من دخـول الكثيرين فى الاسلام ، الا أن هذه الظاهرة لم تأخـذ حجمها الطبيعى فى الحركة والنمو ، ولم تقم الهيئات الاسلامية فى هذا المجال بدورها المرجو ، ففى شـارع أكسـفورد سـتريت OXFORID. st شاهدت عشرات من الشباب يعبرون هذا الشـارع الرئيسى فى قلب لندن وقد حلقوا

رءوسهم على طريقة الرهبان البوذيين ثم جلسوا على الأرض بعد ذلك فى هيئة توحى بالتأمل والفكر . وفى مطار بومباى التقيت بطائفة من هؤلاء الشبان الذين قدموا من الولايات المتحدة أملا فى الحصول على الطمأنينة والأمن، وفى حديث مع واحد من هؤلاء الشبان قال هذا الشاب واسمه « كلارك » :

اننى سئمت حياة الملل والقلق.. أشعر انى غريب فى هذا العالم وقد تركت دراستى فى الجامعة لأنعم بلحظات من الهدوء والسكينة لم تعد تبهرنى تلك الحضارة الزائفة وقيمها المادية اننى أشعر بالاختناق واليأس داخل حجرتى المكيفة .. ولا أكاد أفرق بين الوحوش والناس فى الشارع أو الجامعة ..

* * *

فماذا يجب على المسلمين تجاه هذه الظاهرة ؟

فى الولايات المتحدة الأمريكية ، وفى أقطار كثيرة من أوربا توجد بعض الهيئات والجماعات الاسلامية هناك منظمات شبه رسمية ،وهيئات شعبية ، ومراكز ثقافية،ولكن الدور الذى تقوم به هذه الهيئات والجماعات لا يزال محدودا ، والامكانيات البسيطة التى فى يدها لا تسمح بنشاط أكثر مما تقوم به حاليا ، والصراعات « الشخصية » بين « البعض » من هؤلاء تدمر كل عمل مخلص تدميرا .

ولانقاذ الملايين الحائرة فى أوربا وأميركا ، فانه من الواجب على الحكومات الاسلامية أن تتناسى « ذاتيتها » فى هذه المرحلة ، وأن يعمل الجميع للاسلام يدا واحدة ، وأن يوقن كل مسلم أن أى تقدم فى هذا الميدان انما هو تقدم للاسلام « دينا » ، وللبشرية عموما ، وللمسلمين خصوصا .

ان قيام منظمة اسلامية تشترك فيها كل الدول ، وتتضافر فيها الجهود لخير العمل ، ويسهم فيها كل مسلم بحظه من المال أو الجهد، ويتعاون فيها الجميع باخلاص وصدق . هذه المنظمة ان قامت ستكون حدثا يؤرخ به ، وتحولا

كبيرا نحو الاســلام الذى يبحث الناس عنه .

فى أميركا وأوربا ظهــرت حركة جديدة يتزعمها رجل هنــدى يدعى « المهاريشى » هــذا « المهاريشى » استطاع فى فترة وجيزة أن يؤسس لحركته جامعــة ، وينشىء باسمها اذاعة ، ويصدر العديد من الصحف والمجـلات الأنيقة فكيف بالمسلمين وهم خيرأمة ؟ وكيف بالاسلام وهو دين الفطرة ؟ وكيف بالعــرب وهم أصحاب الدعوة ؟

* * *

يقول سير بودلى Bodley ـــ :

لقد تعلمت من عرب الصــحراء كيف أتغلب على القلق فهم بوصفهم « مســلمين » يؤمنون بالقضــاء والقدر ، وقد ساعدهم هذا الايمان على العيش فى سلام ، وأخذ الحياة مأخذا سهلا هينا . فهم لا يتعجلون أمرا ، ولا يلقون بأنفسهم بين براثن الهم قلقا . يؤمنون بأن « ما قــدر يكون » وأن الفرد منهم « لن يصيبه الا ما كتب الله له » وليس معنى هذا أنهم يتواكلون ، أو يقفون فى وجه الكارثة مكتوفى الأيدى .. كلا ؟

ودعنى أضرب لك مثلا .. هبت ذات يوم عاصــفة عاتيــة ، وكانت العاصفة شديدة الحرارة ، وأحسست من فرط القيظ كأننى مدفوع الى الجنون ، ولكن العرب لم يشكوا اطلاقا ، فقــد هزوا أكتافهم وقالوا كلمتهم المــأثــورة « انه قــدر مكتوب » .

لكن بعد أن مرت العاصــفة ، اندفعوا الى العمل بنشاط كبير . فذبحوا صــغار الخراف قبــل أن يودى القيظ بحياتها ، ثم ســاقوا المــاشية الى الجنوب نحو المــاء . فعلوا هذا كله فى صمت وهدوء دون أن تبدو من أحدهم شكوى . لقد قال رئيس القبيلة الشيخ :

لم نفقد الشيء الكثير . فقــد كنا نتوقع أن نفقد كل شيء ، ولكن حمدا لله وشــكرا .. لدينــا نحو أربعين فى المــائة من ماشــيتنا ، وفى استطاعتنا أن نبدأ بها عملنا من جديد ..

لقد أقنعتنى الأعوام التى قضيتها فى الصحراء بين الأعراب الرحل . ان الملتاثين ومرضى النفوس ، والسكيرين الذين تحفل بهم أوربا وأمريكا ما هم الا ضحايا المدنية.. اننى لم أعان شيئا من القلق قط وأنا أعيش فى الصحراء .. بل هناك فى جنة الله ، وجدت السكينة والقناعة ، والرضا ولا زلت أتخذ موقف العرب حيال قضاء الله نموذجا ومثلا ، فأقابل الحوادث التى لا حيلة لى فيها بالهدوء والامتثال والسكينة . ولقد أفلحت هذه الطباع التى اكتسبتها من العرب فى تهدئة أعصابى أكثر مما تفلح آلاف المسكنات والعقاقير ..

* * *

مرة ثانية.. لقد أوشكت سفينة أوربا على الغرق .. تحطمت مجاديفها البالية واحترقت ، والأمل الوحيد فى انقاذها أن تبحر الى الشرق .. شرق « الاسلام » دين الفطرة ، وشرق « المسلمين » خير أمة ، وعلى العرب والمسلمين أن يعوا هذه الحقيقة ، وأن يكونوا ــ قبل أن يقولوا ــ قدوة وأسوة !!!

د . عبد الودود شلبى

سمع عمر سائلا يسأل بعد المغرب فقال لواحد من قومه : عش الرجل ، فعشاه ، ثم سمعه ثانيا يسأل فقال الم أقل لك عش الرجل ، فقال : قد عشيته ، فنظر عمر فاذا تحت يده مخلاة مملوءة خبزا فقال : لست سائلا ، ولكنك تاجر ، ثم اخذ المخلاة ، ونثرها بين يدى ابل الصدقة وضربه بالدرة وقال له : **لا تعد .**

نظرات فى كتاب الله

للأستاذ العلامة أبو الحسن الندوى

آيات من سورة مريم

قصة تجلت فيها معانى الاعجاز والبلاغة القرآنية وجمال البيان والتعبير ودقة الوصف والتصوير فى أروع مظاهرها ، قصة تجلت فيها رقة العاطفة الانسانية وخلجات النفس البشرية التى تشفق على الحياة وتحرص على بقاء الذكر ووجود الوارث واستمرار النسل — الذى لا يستغرب من الانسان ولا يلام عليه — حتى كأنك تسمع فى هذه الآيات دقات القلب وهواجس الضمير ، قصة تجلت فيها الانسانية الحساسة الضعيفة والنبوة الكريمة القوية جواراً بجوار وجنبا بجنب ، فجاءت تصويرا صادقا ناطقا لنبى انسان ، أو انسان نبى ، وأصبحت قطعة أدبية لا نظير لها فى آداب الأمم ، وفيما عرفه الانسان من بلاغة وبيان لأنه « تنزيل من حكيم حميد » وجاءت حلاوة الجرس وجمال النغمة ورقة الألفاظ فزادت جمالا الى جمال وطابقت روح القصة وموضوعها .

انسان أكرمه الله بالنبوة وحمله أمانة الحياة وأمانة الشرف الذى ورثه كابراً عن كابر وأمانة الرسالة الكريمة ، وابتلى بجفاء الأقران وظلم الاخوان ، ولم يزل يتحمل كل ذلك فى قوة وجلد وصرامة حتى طعن فى السن ودخل فى المرحلة التى لا يطمع فيها الانسان فى حياة طويلة ويلتجىء فيها الى مؤنس ورفيق والى خليفة يبقى به ذكره وتعيش به رسالته ، وقد شاهد النبى زكريا — الذى نقرأ قصته فى هذه الآيات فى حياته ما ينذره بقرب الرحيل

وانقطاع العمر وهو نذير الشيب الذى أوهن العظم وبيض الشعر .

هنالك هاجت العاطفة الانسانية التى يقودها الاشفاق على الرسالة والخوف من الضياع وهو رجل وحيد فريد ليس له ولد يأنس اليه ولا خليفة يعتمد عليه ، وكم ضاعت الأمانة بموت أصحابها وفقدان من يقوم بها ويحدب عليها — فدعا ربه أن يرزقه ولدا تقر به عينه ويحمل رسالته ، ولكنه — لما أراد أن يدعو — خاف ، أن يسخر منه أقاربه ومن حوله ممن لا يخافون الله ولا يعرفون قدرته ولا يعرفون سمو عاطفة زكريا وشرف غرضه ، يضحكون لأنه يدعو للولد فى هذه السن العالية التى لا يولد فيها — لمثله — عادة ، انه خاف السفاهة والشماتة ، وقديما خافها الأنبياء الكرام والرجال العظام ، وقد قال النبى هارون « فلا تشمت بى الأعداء » ، فدعا ربه فى احتراس واسرار ، ولكن فى جد واصرار : « اذ نادى ربه نداء خفيا » ، انه كان يشعر أنه تقدم فى السن ، ودلت القرائن والآثار على أنه سيغادر الدنيا من غير عقب وخليفة ، ولكنه واثق بقدرة الله ، مؤمن بأن الله على كل شىء قدير ، انه قرأ قصة ابراهيم فى التوراة وكيف رزق الولد فى سن أعلى من سنه وكيف قال لما بشر بالولد « أبشرتمونى على أن مسنى الكبر فبم تبشرون » وهكذا قال زكريا « رب انى وهن العظم منى واشتعل الرأس شيبا ، ولم أكن بدعائك رب شقيا » لقد تجلت فيها العاطفة مع العقل والعلم ، والحب مع الايمان واليقين فكان خير دعاء يدعو به عبد يؤمن بقدرة ربه .

ولم يكن مجرد دعاء رجل لا هم له الا فى الولد ، بل هو دعاء نبى يحب أن يكون له ولد يحمل أعباء دعوته ووراثة آبائه الصالحين « يرثنى ويرث من آل يعقوب واجعله رب رضيا » .

ولما بشر باجابة الدعاء هاجت فيه الانسانية وتجاربها ، قال : « رب أنى يكون لى غلام وكانت امرأتى عاقرا وقد بلغت من الكبر عتيا » .

وطلب على هذا الحادث الغريب آية يعرف بها قرب وقوعه ويزداد بها ايمانا ، فمنح آية عدم القــدرة على الكلام ثلاثة أيام ، ومن قــدر على سلب قوة يملكها الانسان قدر على منح قوة لا يملكها الانسان .

وهــكذا كان حتى احتــاج الى الحديث الى قومه بالاشارة .

وجاء يحيى الولد البار الرشيد الذى أكرمه الله بالعلم والحكم فى الصبا ، والحنان والزكاة والتقوى والبر فى الكبر .

وهكذا تنتهى هذه القصة الجميلة البليغة لتبتدىء قصة أخرى وليؤمن الانسان بقدرة الله وفضله .

مجتمع فى فرد وأمة فى نفس واحدة

« قد أفلح المؤمنون ، الذين هم فى صلاتهم خاشعون ، والذين هم عن اللغو معرضــون ، والذين هم للزكاة فاعلون ، والذين هم لفروجهم حافــظون ، الا عــلى أزواجهــم أو ما ملكت أيمانهــم ، فانهم غير ملومــين ، فمن ابتــغى وراء ذلك فأولئك هم العادون ، والذين هم لأماناتهم وعهدهم راعون ، والذين هم على صلواتهم يحافظون ، أولئك هم الوارثون ، الذين يرثون الفردوس هم فيها خالدون » .

(سورة المؤمنون /١ــ١١)

قد مرت بكم فى الآيات صورة انسانية ، صورة تزخر بالحــياة ، وتزهو بالصفات ، وتفتن بالمــلامح والقسمات ، فبالله هل رأيتم صورة فى التاريخ وفى الشعر والأدب وفيما حولــكم أجمل وأكمل من هــذه الصورة التى مرت بكم آنفا ؟ !.

انها صورة انسانية تجمع بــين الفضائل الخلقية والمــكارم الفردية والاجتماعية التى لا تجتمع فى انسان أو فى جماعة ــ الا فى النــادر حتى اعتقد كثير من الناس حتى من علماء النفس والأخــلاق أنهــا أضــداد وضرائر ، قوة فى ايمان ، وخشوع فى العبــادة ، واعراض عن اللغو ، ومواساة للفقــراء وعطف على الضــعفاء ، وعفــة عن المحــارم ، واقتصار على التمتع المباح ، ووقوف عنــد الحــدود ، ورعاية للعهــد ، وحفــظ للأمانة ، ومحــافظة على العبادات والواجبات فياله من فرد يتصف بهــذه الأوصاف كلها ، انه

مجتمع فى فـرد ، وأمـة فى نفس واحـدة .

وتصوروا الفـرد الذى يتصف بهذه الصفات فى واقع الحيـاة ، تصـوروا رجـلا اذا قام أمام ربه خشع ورق قلبه فعيناه تهطلان دمعا ولسانه يفيض ذكرا وشكرا ، واذا خرج من المسجد وصادف فى طريقه لغوا ــ وما أكثره فى الحيـاة ــ أعرض عنه فى حيـاء وكبر نفس ، سخيا بذات يده على الفقراء ، ضنينا بنفسه وشهوته على ما لا تحل له من النساء ، ثابتا راسخا فى فتنـة المال والجمال اذا وسدت اليه الأمانة فى الأموال والأعراض والحكم والولاية ــ فكلها أمانات ــ لم يخن فى أمانته، واذا وعد أو عاهد لم يغدر بذمته ، واذا هتف هاتف ربه أسرع الـى اجابته ، فكان فى كل حق من حقوق الله وحقوق العباد ، قويا أمينـا ، نشـيطا .

وتصوروا مجتمعا يتـكون من هؤلاء الأفراد ، يتكون من أصحاب الايمـان واليقـين ، من العبـاد الخاشعين ، والأغنياء المحسـنين ، والأقوياء الزاهـدين ، والقضـاة العادلين ، والولاة الصالحين ، ، كل فرد فيه قائم بحقه واقف عند حده، خاشع أمام ربه ، ناصح لاخوانه ، ألا يسعد هذا المجتمع ولا يسـود عليه السـلام والهدوء والسكينة ، ولا ينجو من مهالك الدنيا والآخرة؟ انه مجتمع مثـالى قـد بلغ ذروة السعادة والفلاح فى الدنيا والآخرة، وان من يتصف بهـذه الصـفات الكريمة التى تجمع بـين الايمـان والعمل يدخل الجنـة بسلام ويحل منها المحـل الأعلى « أولئـك هم الوارثون الذين يرثون الفـردوس هم فيها خالدون » .

ثم ذكر الله مبدأ خلق الانسان ، وما مر به فى وجوده ونشـأته من أدوار وأطوار من الطين الى الجنين ومن ماء مهين ، والى انسان كامل مبين ، ثم ما ينتهى اليه بعد اتمـام دورة الحياة ثم البعث بعد الممات ، كل ذلك مما يدل على عجز الانسان وضـعفه وفقـره وضـآلته ، وقـدرة الله وقـوته ، وحـكمته وعجائب صنعه ، حتى لا يغتر بنفسه وفضائله ويعلم أن كل ذلك صدقة من ربه ، وجود منه على عبـده ، فلو شاء جرده من هـذه الفضائل

كلها كما فعل بكثير من عباده ، « لقد خلقنا الانسان فى أحسن تقويم ، ثم رددناه أسفل سافلين » .

وأضاف الى ذلك ما ذكر من بدائع خلقه ولطائف صنعه من انزال الأمطار ، وانشاء الجنات والأشجار ، وخلق الدواب والأنعام ، وما وضع فيها من منافع ، ليكون أدعى للشكر وأدعى لمعرفة الله سبحانه وتعالى ، والخضوع أمامه .

الله نور السموات والأرض

« الله نور السموات والأرض ، مثل نوره كمشكاة فيها مصباح ، المصباح فى زجاجة الزجاجة كأنها كوكب درى يوقد من شجرة مباركة زيتونة لا شرقية ولا غربية يكاد زيتها يضىء ولو لم تمسسه نار ، نور على نور ، يهدى الله لنوره من يشاء ، ويضرب الله الأمثال للناس ، والله بكل شىء عليم ، فى بيوت أذن الله أن ترفع ويذكر فيها اسمه يسبح له فيها بالغدو والآصال ، رجال لا تلهيهم تجارة ولا بيع عن ذكر الله واقام الصلاة ، وايتاء الزكاة ، يخافون يوما تتقلب فيه القلوب والأبصار ، ليجزيهم الله أحسن ما عملوا ويزيدهم من فضله ، والله يرزق من يشاء بغير حساب »
(سورة النور / ٣٥ ــ ٣٨)

ان الآيات الجميلة الرائعة التى سمعتموها تحدثنا عن هذا الكون الذى نعيش فيه ونهيم به حبا وغراما ، فى أسلوب جديد أسلوب الوحى الالهى ، أسلوب الأنبياء المرسلين ، الذين انكشفت لهم الحقائق ، واهتدوا من الكون الى فاطر الكون ، وسعدوا بالمشاهدة واليقين ، ولقد قال قائلهم وقد رأى الشمس تغيب فى الأفق : « انى برىء مما تشركون » ، انى وجهت وجهى للذى فطر السموات والأرض حنيفا وما أنا من المشركين » وقد قيل عنه : « وكذلك نرى ابراهيم ملكوت السموات والأرض وليكون من الموقنين » .

حدثتنا هذه الآيات عن سر الحياة ، عن سر القوة والحركة والنشاط ، عن سر البهجة والأنس ، عن سر الجمال الفاتن ، عن سر كل

ما فى هذا العالم من حسن وجميل وحى نام .

« الله نور السموات والأرض » هذا هو النور الذى فاض على هذا العالم فأضاء الكون وأشرقت الأرض بنور ربها .

ولكنه نور لا كالنور « ليس كمثله شىء » ولكنه لا يفهم الا بالأمثلة الحكيمة البليغة .. « مثل نوره كمشكاة فيها مصباح، المصباح فى زجاجة ، الزجاجة كأنها كوكب درى يوقد من شجرة مباركة زيتونة » ولكن هذا النور لا يختص بجهة دون جهة ، وباقليم دون اقليم ، وبجنس دون جنس ، وبوطن دون وطن ، انه فوق الحدود والجهات ، وفوق الأرض والسماوات ، وفوق الشعوب والأمم ، والأجناس ، والأوطان والأنساب والألوان « رب السموات والأرض وما بينهما، ورب المشارق » .

وهكذا رد على من خصص الله رب العالمين بشعب خاص ، أو بوطن خاص ، وضيق رحمة الله الواسعة وجوده العام فقال — وهو يضرب المثل لنوره — « زيتونة لا شرقية ولا غربية » ، ثم انه فى افاضة نوره وبث خيراته وجوده لا يفتقر الى الأسباب ولا يستعين بالوسائط « يضىء ولو لم تمسسه نار » .

ان هذا النور عام قد عم الكون، وعم الشرق والغرب ، وأشرق على البر والبحر ، والسهل والجبل ، والحيوان والجماد ، ولكن لا يهتدى اليه الا من فتح الله بصيرته وشرح صدره للايمان فعرف الله معرفة صحيحة ، وتوصل من الكون الى فاطر الكون « أفمن شرح الله صدره للاسلام فهو على نور من ربه » ، وفكر فى هذا العالم بنور من ربه فوصل الى النتائج الصحيحة وطرب بها « يتفكرون فى خلق السموات والأرض ، ربنا ما خلقت هذا باطلا سبحانك فقنا عذاب النار » ، فالاهتداء الى هذا النور سعادة لا ينالها الا من أدركته العناية الالهية والهداية الربانية « يهدى الله لنوره من يشاء ويضرب الله الأمثال للناس والله بكل شىء عليم » .

هذه الهداية عن طريق الأنبياء والرسل الذين أكرمهم الله برسالاته وكتبه فقال : « قد جاءكم من الله نور وكتاب مبين ، يهدى به الله من اتبع رضوانه سبل السلام ويخرجهم من الظلمات الى النور باذنه ويهديهم الى صراط مستقيم » ، ولذلك يقول المهتدون يوم القيامة « الحمد لله الذى هدانا لهذا وما كنا لنهتدى لولا أن هدانا الله ، لقد جاءت رسل ربنا بالحق » .

ويبحث عن كل شىء فى محله ومركزه ، ويبحث عن هذا النور وعن هذه الهداية فى المساجد التى أسست على التقوى ، وأقيمت للعبادة والذكر والعلم ، « فى بيوت أذن الله أن ترفع ويذكر فيها اسمه » ولكن الاسلام ، ولكن كتاب الله لا يدعو الى الرهبانية ، انه يدعو الى الاشتغال وأكل الحلال انه يمدح من يجمع بين الدين والدنيا فى الدعاء « ومنهم من يقول ربنا آتنا فى الدنيا حسنة وفى الآخرة حسنة وقنا عذاب النار » ويجمع بين التجارة والعبادة فى الحياة بحيث لا تلهيه التجارة والصفق بالأسواق عن أداء الفرائض والصلوات وقد سماهم «الرجال» فقال : « يسبح له فيها بالغدو والآصال ، رجال لا تلهيهم تجارة ولا بيع عن ذكر الله واقام الصلاة وايتاء الزكاة » ، ولا تشغلهم زينة الحياة الدنيا ، وصخب الأسواق عن تذكر يوم شديد عسير لابد منه « يخافون يوما تتقلب فيه القلوب والأبصار ، ليجزيهم الله أحسن ما عملوا ويزيدهم من فضله ، والله يرزق من يشاء بغير حساب» .

حكمة لقمان وموعظة الايمان

« واذ قال لقمان لابنه وهو يعظه يا بنى لا تشرك بالله ان الشرك لظلم عظيم ، ووصينا الانسان بوالديه ، حملته أمه وهنا على وهن ، وفصاله فى عامين أن أشكر لى ولوالديك الى المصير ، وان جاهداك على أن تشرك بى ما ليس لك به علم فلا تطعهما وصاحبهما فى الدنيا معروفا ، واتبع سبيل من أناب الى ، ثم الى مرجعكم فأنبئكم بما كنتم تعملون ، يا بنى انها ان تك مثقال حبة من خردل فتكن فى صخرة أوفى

السموات أو فى الأرض يأت بها الله ان الله لطيف خبير ، يابنى أقم الصلاة وأمر بالمعروف وانه عن المنكر واصبر على ما أصابك ، ان ذلك من عزم الأمور ، ولا تصعر خدك للناس ولا تمش فى الأرض مرحا، ان الله لا يحب كل مختال فخور ، واقصد فى مشيك واغضض من صوتك ، ان أنكر الأصوات لصوت الحمير ، ألم تروا أن الله سخر لكم ما فى السموات وما فى الأرض وأسبغ عليكم نعمه ظاهرة وباطنة ، ومن الناس من يجادل فى الله بغير علم ولا هدى ولا كتاب منير » •

(سورة لقمان ١٣ ــ ٢٠)

سجلت الصحف السماوية وسجل الأدب الدينى مواعظ دينية كثيرة منها هذه الموعظة اللقمانية التى هى من أبلغ هذه المواعظ وأجمعها ، وقد تجلت فيها حكمة الأنبياء ودعوتهم فى أجمل مظاهرها وأروعها اذن لا غرابة اذا ضرب المثل بحكمة لقمان •

وجه هذه الموعظة والد أكرمه الله بالعقل الحصين والحكمة البالغة التى لا يؤتاها الا الأفذاذ الراسخون فى العلم وقد قال الله تعالى: «ولقد آتينا لقمان الحكمة»، وجهها الى ولده وفلذة كبده فجمعت بين شفقة الآباء وهداية الأنبياء وقد انتقى الوالد الكريم العظيم لولده الحبيب الأثير أصول الحكم وجوامع الكلم ، وفضائل الأعمال ، ومكارم الأخلاق ، فجاءت موعظة فريدة يعمل بها العقلاء فى كل عصر ومصر فينالون سعادة الدنيا والآخرة •

بدأ لقمان فى وعظ ابنه بالنهى عن الشرك وقال فى ايجاز وأعجاز « يا بنى لا تشرك بالله ، ان الشرك لظلم عظيم » ، ولا أبلغ فى تصوير الشرك وتهجينه من أن يقال: انه ظلم عظيم ، انه وضع العبادة فى غير محلها وتفريط فى حق الله وأى تفريط فى حق الله وافراط فى حق المخلوق فهو مجموع جنايات وجرائم تجمعها كلمة « الظلم » ومن أظلم ممن أعطى حق الله عبيده ، وترك ملك الملوك، وخضع للذليل المملوك ، فكان كتشبث الغريق بالغريق ، واستغاثة

الرقيق بالرقيق ، وحاجة الفقير الى الفقير ، ولجوء المريض الى المريض .

وقرن الدعوة الى التوحيد بالدعوة الى البر بالأبوين ، ومعرفة حقوقهما ، ولا سيما الأم التى كان جهادها أعظم فى حضانته ونشأته ، « حملته أمه وهنا على وهن وفصاله فى عامين » ، وقد حث الله على معرفة فضلهما وشكرهما لأن منتهما أعظم من المخلوق ، « أن أشكر لى ولوالديك الى المصير » .

ولكن اذا زاحما حق الله وألحا على الشرك ، فلا طاعة لهما ولا كرامة اذ « لا طاعة لمخلوق فى معصية الخالق » ، « وان جاهداك على أن تشرك بى ما ليس لك به علم فلا تطعهما » ، ولكن لا اهانة ولا ايذاء « وصاحبهما فى الدنيا معروفا » ، فلا بأس بالبر والمواساة ، وصلة الرحم أما الاتباع فلا يجوز الا لذوى الهداية والمعرفة والانابة الى الله « واتبع سبيل من أناب الى » .

ولما كان الجمع بين البر بالأبوين وبكل من له حق وفضل وبين مفارقتهما ومجانبتهما فى العقيدة وحقوق الله ، فبر بالأبوين من غير اطاعة فى الكفر والاثم ، وثبات على التوحيد وعبادة الله من غير هضم لحقوق الوالدين ، لما كان ذلك مهمة عسيرة دقيقة لا يطلع على زلاتها الا العليم الخبير قال : « الى مرجعكم فأنبئكم بما كنتم تعملون » .

ثم ذكر فى هذه المناسبة اللطيفة أن الله هو الجدير بالعبادة واللجوء والسؤال والدعاء ، اذ لا بد لمن يلجأ اليه ويعتمد عليه فى قضاء الحوائج واسعاف المطالب أن يحيط علمه بالدقيق والجليل ويطلع على الضمائر والخواطر ، فقال : « يا بنى انها ان تك مثقال حبة من خردل فتكن فى صخرة أو فى السموات أو فى الأرض يأت بها الله ان الله لطيف خبير » .

ثم دعا ابنه الى أمور أساسية فى الدين والأخلاق ، اذا حافظ عليها الانسان وأخذ بها كان عبدا صالحا

وعضوا كريما فى الأسرة الانسانية، منها اقامة الصلاة ، والأمر بالمعروف، والنهى عن المنكر والصبر على المصائب ، ومنها التواضع للناس والسداد والاقتصاد فى السيرة والسلوك ، وكل مجتمع سادت فيه الصلاة التى هى حق الله على العباد والتى تنهى عن الفحشاء والمنكر ، والأمر بالمعروف والنهى عن المنكر والصبر ، وكان أعضاؤه بعيدين عن التكبر والاختيال والاسراف والجفاء ،كان مجتمعا مثاليا ومجتمعا فاضلا كريما يسعد به العالم وتسعد به الحياة •

وختم هذه الموعظة بذكر آلاء الله ونعمه السابغة الظاهرة الباطنة التى توجب الشكر والعبادة والتوحيد وتنشط للعمل بهذه الموعظة المخلصة الرقيقة التى ألقاها عبد مخلص حكيم على ولده العزيز وعن طريقه على « الذين يستمعون القول فيتبعون أحسنه » فقال : « ألم تروا أن الله سخر لكم ما فى السموات وما فى الأرض وأسبغ عليكم نعمه ظاهرة وباطنة ، ومن الناس من يجادل فى الله بغير علم ولا هدى ولا كتاب منير » •

عروج النبوة وهبوط الجاهلية :

« والنجم اذا هوى ، ما ضل صاحبكم وما غوى ، وما ينطق عن الهوى ، ان هو الا وحى يوحى ، علمه شديد القوى ، ذو مرة فاستوى ، وهو بالأفق الأعلى ، ثم دنى فتدلى ، فكان قاب قوسين أو أدنى، فأوحى الى عبده ما أوحى، ما كذب الفؤاد ما رأى ، أفتمارونه على ما يرى ، ولقد رآه نزلة أخرى ، عند سدرة المنتهى ، عندها جنة المأوى ، اذ يغشى السدرة ما يغشى ، ما زاغ البصر وما طغى، لقد رأى من آيات ربه الكبرى ، أفرأيتم اللات والعزى ، ومناة الثالثة الأخرى ، ألكم الذكر وله الأنثى ، تلك اذا قسمة ضيزى ، ان هى الا أسماء سميتموها أنتم وآباؤكم ما أنزل الله بها من سلطان، ان يتبعون الا الظن وما تهوى الأنفس ولقد جاءهم من ربهم الهدى ، أم للانسان ما تمنى ، فلله الآخرة والأولى ، وكم من ملك فى

السموات لا تغنى شفاعتهم شيئا الا من بعد أن يأذن الله لمن يشاء ويرضى ، ان الذين لا يؤمنون بالآخرة ليسمون الملائكة تسمية الأنثى ، وما لهم به من علم ، ان يتبعون الا الظن وان الظن لا يغنى من الحق شيئا ، فأعرض عن من تولى ، عن ذكرنا ولم يرد الا الحياة الدنيا ، ذلك مبلغهم من العلم ، ان ربك هو أعلم بمن ضل عن سبيله ، وهو أعلم بمن اهتدى » •

(سورة النجم / ١ ــ ٣٠)

ان الدين الذى لم يزل الأنبياء يأتون به فى عصورهم ، وجاء به محمد ــ صلى الله عليه وسلم ــ أخيرا قائم على اتصال الأرض بالسماء واتصال الشهود بالغيب ، واتصال رسل الأرض برسل السماء وتفتح كوة جديدة للعلم واليقين لا عهد لعلماء الطبيعة والآداب بها ولا سبيل لهم اليها ، هذا الاتصال هو الذى يسميه الله بالوحى والرسالة ، وكان اتصالا يدين له العالم وتدين له الأجيال البشرية فى أعز ما عندها من العقيدة الصحيحة والمبادىء الصالحة والمدنية الفاضلة ، والأخلاق الكريمة ، وأحدث أفضل ثورة وأمثلها وأعدلها وأعمقها وأوسعها فى المجتمع البشرى •

يحكى الله فى مطلع هذه السورة الكريمة البديعة الجميلة التى سميت بسورة النجم ، هذا الاتصال المبارك ، اتصال الرسول الكريم بوحى السماء عن طريق الملك الكريم ويقول مؤكدا : « ما ضل صاحبكم وما غوى » ، ويقول ان الرسالة التى جاء بها لا تقاس على ما انتجته القرائح البشرية والعقول النابغة ، فمصدرها القياس والتجربة ومنبعها الدراسة والممارسة ، ورافعها الهوى والضرورة •

أما الرسالة التى جاء بها محمد ــ صلى الله عليه وسلم ــ فمصدرها الوحى والالهام •• « وما ينطق عن الهوى ، ان هو الا وحى يوحى » ، فلا يتطرق اليها الشك ولا تبطلها التجارب ولا يعتريها البلى ، ولا تتناقض مع الحقائق ، ولا تفقد حياتها وجدتها فى عصر من العصور •

ثم وصف الله الواسطة الكريمة التى حملت هذه الرسالة الى أفضل البشر بنعوت وصفات فيها الجلال والقوة ، وفيها الروعة والعظمة ، ووصف الجو الذى يكتنف هذا الاتصال بصفات تتصل بعالم الغيب وعالم الروح والملائكة ، وعاد فنفى الوهم والالتباس فى ساعة الوحى وتلقى الالهام ومشاهدة الملائكة والاتصال بعالم الغيب ، فقال : « ما زاغ البصر وما طغى ، لقد رأى من آيات ربه الكبرى » .

ثم أقبل الى عُبَّاد الأوثان وأهل الجاهلية والوثنية فى عصر ظهور الاسلام وقد حرصوا على تخصيص الاناث بالعبادة واشراكها فى الألوهية ، فاللات والعزى ومناة أشهر آلهة الجاهلية العربية وأعظمها اناث ، وآلهة الاغريق القدماء وكثير من الشعوب التى كانت تسكن فى أواسط آسيا اناث ، وقد عرفت واشتهرت كراهة العرب وتذممها من البنات ، حتى شاع وأد البنات فى قبائل كثيرة ، وقد صور القرآن امتعاض العرب الأشراف من بنت تولد تصويرا بليغا دقيقا فقال : « واذا بشر أحدهم بالأنثى ظل وجهه مسودا وهو كظيم ، يتوارى من القوم من سوء مابشِّر به ، أيمسكه على هون أم يدسه فى التراب » .

أقبل الى هؤلاء المشركين الذين جعلوا الملائكة الذين هم عباد الرحمن اناثا وجعلوا لله البنات ولهم البنين فقال : « أفرأيتم اللات والعزى ومناة الثالثة الأخرى ، ألكم الذكر وله الأنثى » ثم قال متهكما ساخرا : « تلك اذا قسمة ضيزى » .

وهكذا الوثنية خرافة وتناقض وأسطورة خيالية « ان هى الا أسماء سميتموها أنتم وآباؤكم ما أنزل الله بها من سلطان » .

وذلك لأن الجاهلية تقوم دائما على الأساطير والحكايات والتقاليد والعادات ، والظنون والقياسات ، والأهواء والشهوات ، « ان يتبعون الا الظن وما تهوى الأنفس » .

ثم ذكر أن هذه الجاهلية لاتقوم على أساس من العلم واليقين ، انما هى قياس فى قياس وظن وتخمين، « وما لهم به من علم ان يتبعون الا الظن وان الظن لا يغنى من الحق شيئا » .

وذكر أن فى الناس طبقة لا شأن لها بالمعرفة الصحيحة ، والحياة الباقية ، والأعمال الصالحة والأخلاق الفاضلة ، أكبر همها ومبلغ علمها هذه الحياة الدنيا ورفاهيتها ودعتها ومآكلها ومشاربها ، هذه هى الطبقة التى تضيع فيها حكمة الأنبياء وشفقتهم واخلاصهم وتوجههم ، فالأولى الانصراف عنها الى طبقة تبحث عن الهداية ، وتهتم بالآخرة، « فأعرض عمن تولى عن ذكرنا ولم يرد الا الحياة الدنيا ، ذلك مبلغهم من العلم ، ان ربك هو أعلم بمن ضل عن سبيله وهو أعلم بمن اهتدى » .

سيرة فى سورة

اذا سئلت هل اشتمل القرآن على صورة مفردة واضحة الملامح والقسمات لحياة محمد — صلى الله عليه وسلم — وطبيعته وتاريخه وخلاصة حياته ؟ .

واذا قيل ان مادة السيرة النبوية وحوادث حياة النبى صلى الله عليه وسلم منشورة مبعثرة فى القرآن فهل جاء ذلك مجموعا مركزا فى مكان واحد ؟ قلت — فى غير تردد واضطراب — نعم ان سورة الضحى وسورة الشرح صورة ناطقة واضحة الملامح والقسمات وخلاصة بليغة لهذه الحياة الفريدة ، اذا تناولها انسان بشىء من الانشراح والتفسير وفصل ما أجمله القرآن كان ذلك كتابا فى السيرة النبوية من أبلغ ما جرى به قلم ومن أصح ما رواه راو « ولاينبئك مثل خبير » .

لقد كانت بعثة النبى — صلى الله عليه وسلم — فى الجاهلية العالمية — طلوع الصبح الصادق فى ظلام الليل الغاسق ، وقد كانت كمطلع السحر فى كل يوم يبتدىء كعمود من النور ثم لايلبث أن يتسع ويبهر ضياؤه ويتعالى النهار وذلك هو

الضحى ، وهو تصوير صادق دقيق لما وصل اليه الاسلام ووصلت بفضله الانسانية من الأوج والنبوغ بالتدريج •

وقد كان لهذا الوحى الذى كان مصدر السعادة والاشراق للعالم فترات كانت لتستجم فيها القوى الروحية وتستعيد قوتها وجدتها حتى تستقبل مايفتح الله به عليها من رحمته فى غد بنشاط جديد وتلك حكمة تعاقب الليل الهادىء للنهار الصاخب ، الحكمة التى خفيت على ضعاف العقول فى مكة فقالوا حين فتر الوحى وتوقف بعد وحى غار حراء ، ان محمدا قد قلاه صاحبه فخوطب صاحب الرسالة — صلى الله عليه وسلم — وقيل « ما ودعك ربك وما قلى » وقرر أن مستقبل هذه الرسالة ومستقبل من يحملها الى الانسانية ومستقبل الأمة التى تخلص لها وتجاهد فى سبيلها أعظم وأوسع فى الدنيا والآخرة من أن تقدره العيون الكليلة والعقول الضيقة « وللآخرة خير لك من الأولى ، ولسوف يعطيك ربك فترضى » ثم صور القرآن الحياة النبوية قبل النبوة فى بلاغة لا بلاغةفوقها واستعرض أدوار اليتم والحيرة والفقر التى مربها هذا الانسان العظيم الذى وجد يتامى العالم وبؤساؤه فى كنفه وتعاليمه حنان الأمومة والأبوة ، وضلال الانسانية سبيل الرشاد وهداية النبوة وفقراء الأمم وصعاليكها عطف الآباء ومواساة الأخوة فقال « ألم يجدك يتيما فآوى ، ووجدك ضالا فهدى ، ووجدك عائلا فأغنى » ثم نبه على أن من شأن من ذاق مرارة اليتم وتعب الحيرة وجهد الفقر أن يشعر بالألم ويعطف على أصحابه •

وجاءت سورة الشرح طرازا آخر من السيرة والصورة ، فقد ذكرت أهم خصائص النبوة وصاحبها الذى ختم به الرسل •

وكل منها عنوان فصل طويل من السيرة وموضوع كتاب ضخم فى التاريخ والتفسير ، قد بدأها الله

بذكر شرح الصدر الذى هو مقدمة العلـوم الدقيقـة العميقة التى هـذه النبـوة ومصـدر هذه فاضت على العالم ولانظير لهـا فى التاريـخ ومصدر هذه الأخـلاق الكريمة التى لا تنبع الا من الصدر الذى شرحه الله وملأه ايمانا وحكمة وحبا ورحمة،ولا يطيقها الا من وسع صدره وقلبه وأشرق بنور الله حتى وسع الانسانية كلها ، ثم ثناه بوضع الوزر الذى أنقض الظهر ، وتاريخ النبوة والاسلام شاهـد على ذلك ولا يعرف تأويل هذه الآية الا من قارن بين حيـاته المكيـة الأولى والمدنية الأخيرة ، ورأى القوة بعد الضعف،والأنس بعد الغربة ، ورأى الفتح المبين ودخـول الناس فى دين الله أفواجا ، أما رفع الذكر فالعالم بتاريخه وجغرافيته شاهد على ذلك فمـن ذا الـذى لهجت الألسـن والأقلام بالحديث عنه والثناء عليه ومن ذا الذى يدوى العالم باسمـه خمس مرات فى كل مكـان ، ومن ذا الذى يشـغل ذكـره الخطبـاء والمؤلفين الذين لانهاية لهـم ، ومن الذى يصلى عليه هذا العدد الضخم وهذا الجم الغفير فى كل عصر ومصر ومن ذا الذى دخـل اسمه فى شعار ديانة يدين بهـا ملايين من البشر ؟ انه محمد ــ صلى الله عليه وسلـم ــ من بين الأنبياء وقـادة الأمم .

اذن فالسورتان خلاصـة للسيرة النبويـة ومعجـزة فى الايجـاز والتصوير .

ابو الحسن الندوى

ان تعليم الأدب الأوروبى على الشكل الذى يسـود اليوم الكثير من المؤسسات الاسلامية يقود الى جعل الاسلام غريبا فى عيون الناشئة المسلمة . ومثل هذا ــ ولكن الى حد أبعد ــ يصدق على التعليل الأوربى للتاريخ العام ، اذ لا يزال الموقف القديم فيه : « رومانيون وبرابرة » يظهر بجلاء .

الاسلام فى مفترق الطرق . محمد أسد ترجمة د /عمر فروخ

واجب العالم الإسلامى

لتحرير الأرض التى أخرجت البخارى

للأستاذ أحمد حسين

من نعم الله على أن أكتب على صفحات مجلة الأزهر وانى لأشكر من صميم فؤادى كل من كان له يد فى اتاحة هذه الفرصة لى وعلى رأسهم شيخ الجامع الأزهر فضيلة الدكتور عبد الحليم محمود فلست أحسب أنه كان من الممكن أن أتشرف بالكتابة فى مجلة الأزهر لولا موافقته ، ثم يجىء الدكتور عبد الودود شلبى رئيس التحرير الذى تفضل بزيارتي ودعوتى لكتابة مقالات لمجلة الأزهر ، وانى له لمن الشاكرين • ولا يتصور متصور ، أننى خرجت عن موضوع مقالى بل لعلى فى صميم الموضوع فأنا أريد أن أحمل أكبر رجل فى الأزهر (من حيث المنصب) ورئيس تحرير المجلة التى تنطق باسم هذه المؤسسة الاسلامية العظيمة (الأزهر) بعض المسئولية التى أريد أن ألفت نظر العالم الاسلامى فى كافة أرجاء الدنيا اليها ، وبخاصة مسلمى البلاد الآتية :

١ ـ تركيا •

٢ ـ ايران •

٣ ـ أفغانستان •

٤ ـ باكستان •

٥ ـ الهند •

واذ كنت أختص هذه البلاد بالذكر فلأن لها حدودا تتاخم التركستان والقوقاز والقرم ، ولكن ذلك لا يعنى تخلى باقى المجتمعات الاسلامية عن مسئوليتها ، كل بحسب قدرتها وامكانياتها وما كان لمجلة غير مجلة الأزهر تصل الى كل هذه المجتمعات من ناحية ، وتلقى أذنا صاغية لمكانة

الاسم الذى تحمله من ناحية أخرى •

المسلمون امة واحدة :

وأول ما أريد أن أقدمه بين يدى رسالتى الى العالم الاسلامى ، هذا االأصل من أصول المجتمع الاسلامى من أنه على اختلاف أجناسه وألوانه وتباعد أوطانه ، فهو فى نهاية الأمر وطن واحد والمسلمون أمة واحدة:

ـ « وأن هذه أمتكم أمة واحدة » •

ـ « انما المؤمنون اخوة » •

ويجسد الرسول صلوات الله عليه هذه الوحدة فى صورة بلاغية لا أحسب أنها سبقت أو لحقت بما يماثلها فى الروعة ، وذلك عندما يقول صلى الله عليه وسلم :

« مثل المؤمنين فى توادهم وتراحمهم كمثل الجسد الواحد اذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الأعضاء بالسهر والحمى » •

الحج كتجسيد للأمة الواحدة :

واذا كانت روح العبادة فى الشريعة الاسلامية تدور حول هذه الوحدة فان ركن الحج يجسدها تجسيدا وحسبى أن أشير الى معنى واحد من معانيه عندما طلب من كل مسلم أن يخلع ملابسه ، وكل ما يشعر بجنسيته أو مقامه ومركزه، مكتفيا من ذلك كله برداء أو ازار (على ما نعرف) ، وهكذا يصبح الناس وليسوا شيئا الا أنهم أمة واحدة •

فماذا عن بلد البخارى :

فاذا كان الأمر على هذا الوجه ، فليس باستطاعة مسلم كائنا من كان علا مركزه أو تواضع أن لا يعرف (على الأقل) ما الذى يجرى فى قطعة من أعز ما ينطوى عليه المجتمع الاسلامى فى أحشاء آسيا، حيث كانت فى يوم من الأيام سمرقند وطشقند ، من عواصم العلم والحضارة ، لا بالنسبة للعالم الاسلامى فحسب ، بل بالنسبة للدنيا كلها • وبالنسبة للعالم الاسلامى فحسبها أنها أخرجت صاحب الجامع الصحيح «البخارى» والذى خرج من بلدة بخارى فى التركستان ولا يزال قبره هناك يشهد أى بلاد هذه كانت ولم يغادر البخارى بلدته الا بعد أن حصل

من شيوخها على كل المعارف الاسلامية آنذاك والتى جعلته فيما بعد أمام أهل الحديث ، ولست أريد أن أتحدث أو أن أشير الى أسماء أخرى لمعت فى سماء هذه المنطقة ، فالمسلمون كما قدمت ، أمة واجدة وجمهرة من خدموا الاسلام من غير العرب ، نبتوا فى هذه المنطقة وان كنا قد اختصصنا « البخارى » بالذكر فذلك لأنه امام الحديث بالاجماع (فى الشرق الاسلامى على الأقل) ولأن مثواه الأخير لا يزال هناك ، واستمرت هذه المنطقة مركز اشعاع حضارى اسلامى ، حتى بعد أن انحدر المسلمون الى حضيض الضعف والتخلف وما زلت أذكر كيف كانت « السجاجيد » الآتية مع حجاج التركستان تنافس « السجاجيد » التى كانت تسمى « بالعجمى » وكان يطلق على الأولى « سجاجيد بخارى » وتلقيت فى حجتى الأولى هذه (١٩٣٤ م) دروسا فى الحديث على يد عالم تركستانى ، كما كنا نأكل أحسن « خبز » وهو الذى يخبز بطريقة أهل بخارى .

وقد لا يعرف الكثيرون أنه منذ أسابيع فقط توفى فى مصر عالم جليل هو المغفور له « الشيخ الطرازى الحسينى » أحد شيوخ التركستان والذين هاجروا من بلادهم بعد أن استعمرها الاتحاد السوفييتى .

وأنا أذكر ذلك كله ليعلم المسلمون فى مشارق الدنيا ومغاربها ، أننا بازاء مجتمع اسلامى ينبض بالحياة الاسلامية ، بل ويشعها فيما حوله ، فاذا كان الروس يعملون جاهدين ليفتنوا المسلمين هناك ويصرفوا الأجيال الصاعدة عن الايمان بالله ، فذلك تصورهم الذى يوهمون أنفسهم أنهم قادرون عليه ولكن هذا الذى يجرى فى روسيا يلقى واجبا على عاتق كل مسلم ولعل أول هذه الواجبات وأبسطها هو معرفة القضية والمعرفة لن تكلف شيئا ولكنها واجب على كل حال أو بالأحرى أول سطور هذا الواجب .

قصة الاستعمار الروسى :

وتبدأ قصة الاستعمار الروسى

لهذه المناطق الاسلامية مع قصة الاستعمار الأوروبى بعامة .

فقد كانت روح الايمان بالقيم والمثل العليا قد انتقلت من العالم الاسلامى الى العالم المسيحى ، فكان أن تدهور المسلمون وعز المسيحيون ، وبدأ عهد الاستعمار الأوروبى فى القرن التاسع عشر ، وحيث جابت انجلترا البحار وعبرتها فرنسا وأسبانيا وايطاليا الى افريقيا ، فان روسيا القيصرية قد أخذت نصيبها من حركة المد الاستعمارى عن طريق غاراتها المتكررة على الدول الاسلامية التى تجاورها ، ابتداء من تركيا فى الغرب حتى القوقاز والتركستان فى الجنوب ، واذ كان المسلمون فى حالة انحسار كما قدمنا ، فقد نجحت روسيا القيصرية بثمن باهظ جدا أن تفرض سلطانها على القوقاز والتركستان الى حين ، وقامت الثورة الشيوعية ، وكان أول ماعمله لينين لدعم هذه الثورة أن أذاع بيانا يعلن فيه حق الشعوب الاسلامية فى الحرية ، ولم تكن الشعوب الاسلامية فى حاجة لمن يحدثها عن الحرية والاستقلال فقد كانت قد انتزعت هذه الحرية وهذا الاستقلال بالفعل .

وجاء الجيش الأحمر :

ولم تكد الأمور تستتب للشيوعية ويصبح لها جيش أحمر ، حتى عادت لغزو التركستان بحجة تأييد العناصر التقدمية ضد العناصر الرجعية ، وزعمت روسيا الشيوعية أنها لا تستعمر هذه البلاد ، وانما هى تدخلها فى جنة « التقدم والالحاد » .

ولروسيا ولزعمائها أن يقولوا ما يشاءون ، ولكن ذلك لن يغير من الحقيقة شيئا ، وهو أن مايحدث فى البلاد الاسلامية الواقعة تحت سلطان روسيا هو استعمار من أسوأ وأبشع أنواع الاستعمار الاستيطانى حيث يعمل من بيده الغلبة والسلطان على ابادة الشعب المقهور لو استطاع الى ذلك سبيلا ، وينسى الروس أن الأوربيين اذا كانوا قد استطاعوا أن يفعلوا ذلك فى أمريكا فلأن قبائل الهنود الحمر كانت بدائية ، قليلة العدد من ناحية ، وحيث جاء المستعمرون بأعداد أكبر وبحضارة

متفوقة ، وليس كذلك الحال فى القوقاز والتركستان فهاتان الدولتان جزء من العالم الاسلامى الذى كان وهج حضارته هو الذى دفع بأوروبا الحديثة الى التحضر .

أسوأ أنواع الاستعمار :

فأما أن ما يجرى فى الدول الاسلامية فى الاتحاد السوفييتى هو أشأم وأسوأ أنواع الاستعمار ، فتلك مسألة لا شك فيها حيث يفرض الغزاة على المحكومين لا أن ينسلخوا من دينهم فحسب ، بل وأن يمتهنوا هذا الدين ويحتقروه فتحول المساجد الى دور لهو وافساد وفى أحسن الأحوال تحول الى مخازن وزرائب للماشية ، ولكن أعظم مساجد سمرقند يظل شامخا يشهد بالحضارة الاسلامية الزاهرة ، فلا يجرؤ الروس على هدمه مكتفين بتحويله الى مسرح للفنون الشعبية كما يقولون واذا كان هذا ما يفعلونه بحياة القوم الروحية بحجة أن هذا هو ما تقضى به التعاليم الماركسية ، فان مافعلوه فى شئون التركستان المادية كاف لفضح خططهم ونواياهم .

فالاقليم الذى كان يطعم نفسه وكل من حوله بأجود أنواع القمح لم يعد ينبت حبة قمح واحدة ، بحجة أنه أصبح مخصصا لانتاج القطن وأما عن الرؤساء ومن بيدهم زمام الأمور فكلهم من الروس الوافدين من الشمال . ويخدع الروس أنفسهم متصورين أن القوم قد نسوا كل شىء عن شخصيتهم وعن ماضيهم المجيد وأنهم جد سعداء بتشرفهم للانتماء للمجتمع السوفييتى ، حيث قص على أحد الشبان العائدين من روسيا بعد أن تعلموا فيها ، وكان ما يقصه على هو فى معرض التنديد بانعدام الأخلاق عند بعض زملائه والذين عندما لاحظوا ولع المسلمين فى جنوب روسيا على اقتناء المصاحف راحوا يبيعونهم كتبا عربية زاعمين أنها مصاحف .

ولعل ذلك يكشف عن مدى تمسك هذه الشعوب بدينها .

ويتصور الروس أن الجيل الذى تلقى التعاليم الشيوعية بما فيها من الحاد سيبقون كذلك وهو

مجرد وهم وخداع للنفس ، وراية الاسلام عائدة من غير ريب أو شك لتعلو كأعلى ما كانت فى يوم من الأيام .

لا مناص من السعى والجهاد :

ولكن عظمة التعاليم الاسلامية وأنه دين الحياة والحضارة ، لا تتمثل فى شىء قدر تمثلها فى حض الانسان على العمل والسعى والجهاد ، فمع التسليم والايمان العميق ، بأن الله هو خالق كل شىء ، وعالم بكل شىء ، وما استقر فى علمه «سبحانه» فآت لا ريب فيه ، فمع يقين المسلم بذلك فهو مطالب بالسعى والاجتهاد والأخذ بالأسباب لتحقيق مايراه خيرا .

فنحن مع يقيننا الثابت أن الله سوف يحرر البلاد الاسلامية من براثن الاستعمار الروسى ، فنحن مطالبون فى ذات الوقت بعمل الممكن وغير الممكن ليتحقق التحرير ، ولاجدال أن عبء الجهاد الأكبر يقع على عاتق أبناء التركستان والقوقاز فى الدرجة الأولى ، ولكن تقديرنا للظروف التى مروا فيها ، والحاضر الرهيب الذى يعيشون فيه يحتم علينا أولا وقبل كل شىء ، أن نعلن عن هذه القضية ونعرف بها .

لن نكون أقل من اليهود :

واذا كان اليهود قد نجحوا فى ربط قضيتهم بحقوق الانسان ، وجعلوا الهجرة من الاتحاد السوفييتى هى مظهر هذه الحقوق ، فليس أقل من أن ننجح مثل نجاحهم حيث لا نطالب بهجرة المسلمين من بلادهم وانما نطالب بحقهم فى تقرير مصيرهم وهو الحق الذى يزعم الاتحاد السوفييتى بأنه رافع لوائه ، واذا كان تقرير هذا الحق قد يتأخر بعض الشىء ، فلا مناص من أن يترك للمسلمين حق التمسك بدينهم وتعليمهم الدين وممارسته بغير معوقات وحرب من الدولة وانى أرجو أن يصل صوتى هذا الى كافة أرجاء العالم الاسلامى على صفحات مجلة الأزهر الشريف .

ألا هل بلغت ، اللهم فاشهد .

احمد حسين

نبي الإسلام في مرآة الغرب

التحرير

تناول « بو سورث » فى كتاب له بعنوان « محمد والدين المحمدى » ، حياة محمد بالبحث والتحليل فقال :

« وكما كان محمد رئيسا للدولة كان رئيسا للدين أيضا ، أى أنه كان قيصرا وبابا فى شخص واحد ، ولكنه كان بابا من غير مزاعم البابا ، وقيصرا دون أن يكون له جيوش قيصر .

كان محمد فى وقت واحد مؤسسا لأمة ، ومقيما لامبراطورية وبانيا لدين ، وهو وان كان أميا فقد أتى بكتاب يحوى أدبا وقانونا وأخلاقا عامة ، وكتبا مقدسة فى كتاب واحد ، وهو كتاب يقدسه الى يومنا هذا سدس مجموع النوع البشرى ، لأنه معجزة فى دقة الأسلوب وسمو الحكمة وجلال الحق .

ثم استطرد بوسورث سميث يقول :

« ان أعجب العجائب فى حياة محمد أنه لم يدع قط القدرة على اتيان المعجزات ، فأيما شىء قال انه يستطيع أن يفعله رآه أتباعه وهو يفعله . ولم ينسب أحد منهم اليه معجزة من المعجزات ، بل ان محمدا نفسه حرص دائما على أن ينكر قدرته على اتيانها . أى دليل له مثل هذه القوة على الاخلاص يمكن أن يسوقه انسان ! لقد ظل محمد الى آخر حياته وليس له لقب يعتز به الا أنه نبى مرسل من عند الله ... دون أن يكون له جيش قائم وانه لحدث فريد فى التاريخ أن يؤسس محمد شعبا وامبراطورية ودينا » ..

وفى موضع آخر كتب يقول :

(لقد كان محمد موفقا كل التوفيق ، ولم يحدثنا التاريخ عن مثله ، لقد جمع بين زعامات ثلاث هى زعامة الشعب ، وزعامة الدين ، وزعامة الحكم والسلطان . ومع أنه كان أميا لا يقرأ ولا يكتب ، فقد جاء بكتاب جمع بين البلاغة والتشريع والعبادة ، يقدسه أكثر من سدس سكان العالم .

أليس فى هذا كله معجزة :

انها معجزة المعجزات :

***

أما السير وليم ميور فتناول حياة هذا النبى بالبحث والتحليل من جوانب مختلفة ، فعن فترة شبابه كتب يقول :

« بجانب صفاء ذهنه ورقة طبعه عاش جانبا كبيرا من شبابه فى أعماق نفسه . لقد شغلت تأملاته وهواجسه أوقات الفراغ التى كان يقضيها الآخرون فى خلاعة وألعاب شرسة .. أما أخلاقه الطاهرة وتصرفاته المشرفة فمنحته تقدير مواطنيه فلقبوه بالأمين » .

وقد تناول جانبا آخر من حياة هذا الرسول فقال :

(ومن صفاته الجديرة بالتنويه الرقة والاحترام اللذان كان يعامل بهما أتباعه حتى أقلهم شأنا ، فالتواضع والرأفة والأناة وانكار الذات والسماحة والسخاء تغلغلت فى نفسه فأحبه كل من حوله .

وكان يكره أن يقول: لا ، فاذا لم يتمكن من أن يجيب الطالب لسؤاله فضل السكوت على الجواب . وقد قالت عنه عائشة : انه كان أشد حياء من العذراء فى خدرها ، وكان اذا أساءه شىء تبيناه فى أسارير وجهه أكثر من كلامه . ولم يمس أحدا بالضرر الا فى سبيل الله . ويؤثر عنه أنه كان لا يمتنع عن اجابة دعوة الى بيت مهما كان رب البيت ، واذا جلس الى صاحبه لم يرفع نحوه ركبتيه تشامخا منه وكبرا . وكانت له تلك الخلة النادرة التى يجعل بها كل فرد من صحابته يظن أنه المفضل المختار) .

أما علاقة النبى بأصحابه فتناولها السير « وليم موير » قائلا :

كان محمد صديقا وفيا ، أحب أبابكر محبة الشقيق الودود ، وعليا

محبة الأب الرؤوف ومما يذكر أن زيدا الذى كان عبــد خديجة كان متعلقا بالنبى تعلقا شديدا لعطفه عليه، حتى أنه فضل البقاء بمكة على أن يعود لبلده مع أبيه وتعلق بأهداب النبى قائلا : لست تاركك ، فقــد كنت لى أبا بارا عطوفا • وقد بقيت صداقته بالنبى الى ما بعــد موت زيد • اذ عامل أسامة ابنه معاملــة فيها اكرام لأبيه •

كــذلك كــانت عــــلاقته بعثمان وعمــر مشبعة بروح المودة والولاء • وكان محمد عليه الصلاة والسلام عادلا مقتصدا فلــم يكن يعوزه الرفق بأعدائه اذا مادانوا له بالطاعة • وقد كان دفاع مكة العتيد الطويل المدى ضد دعوته يحمــل على البطش بهم بعد فتحها ، ولكنه أصدر عفــوا عامــا ملقيا ذكريات الماضى بما فيها من سخرية واهانة واضطهاد فى زوايا النسيان• وعامل أعداءه بالاكرام والسخاء ولم تكن السماحــة التى أبداها لأهــل مكة الخارجين عليه بأقل من ذلك ظهورا ، وهم الذين ناصبوه العــداء سنين طوالا وامتنعــوا عن الدخــول فى طاعته •

وكتب المستر « لين بول » رسالة بعنوان : « محمد صلى الله عليــه وسلم» دافع فيها عن هذا النبى الكريم دفاعا صادقــا فجاء دفاعه صــورة ناطقة بعظمة هذا الرسول وعبقريته • وفى رسالته هذه كتب يقول :

ان كثيرا من كتــاب التراجــم والســير الأوربيين ، الذين تناولوا الكلام عن سيرة محمد لم يتعففوا عن أن يشوهوا هذه السيرة ، بما أدخلوه عليها من افتراءات وادعاءات كاتهامهــم له بالقسوة وارتكــاب الموبقات وانهماك فى الشهوات •

أمــا أنه كان متصــفا بالقسوة فتهمة غــير جديرة بالاعتبار ، ذلك أننا اذا رجعنا الى التاريخ وحكمناه فى هذه المسألة لتبين لنا أن القسوة لم تكن قط من أخلاق محمد بدليل معاملته للأسرى بعــد موقعة بدر وتسامحه مع أعدائه وصــبره على

أذاهم وعطفه على الأطفال والمرضى وحقنه للدماء وعفوه عن أولئك الذين قضوا فى محاربته ثمانية عشر عاما ــ أظهروا له فيها كل صنوف العداء وأذاقوه فى خلالها كل أنواع الجور والظلم والاضطهاد لقد لبث المسلمون فى مكة ثلاثة عشر عاما ذاقوا فى خلالها كثيرا من المضايقة والاضطهاد حتى اضطر النبى وأصحابه فى النهاية الى الهجرة للمدينة التى تقع على مسافة ٢٥٠ ميلا من مكة ولكن الكفار لم يتركوهم بل تعقبوهم اليها فوقعت بين الفريقين عدة وقائع كان موقف محمد وأصحابه فيها موقف الدفاع لا موقف المغير ، وأشهر هذه الوقائع غزوة بدر التى وقعت على مسافة ٢٢٠ ميلا من مكة و ٣٠ ميلا من المدينة ، وغزوة « أحد » التى وقعت على بعد اثنى عشر ميلا من المدينة أيضا . والثالثة وهى التى حاصر فيها الأعداء المدينة ليفتكوا بالرسول وأصحابه ..

وظلت رحى الحرب دائرة بين الرسول وأصحابه من جانب وبين كفار قريش من جانب آخر حتى انتصر الرسول ودخل مكة فاتحا ظافرا فى موقعة لم تسفك فيها قطرة واحدة من الدماء ، أفلا يعتبر هذا كله دليلا على أن محمدا لم يكن متصفا بالقسوة ولا متعطشا للدماء كما يقولون بل كان يعمل دائما على حقنها جهد المستطاع ؟ !

ولقد نال محمد تقدير العالم أجمع وأعدائه بنوع خاص . عندما ضرب للناس مثلا فى مكارم الأخلاق وأطلق سراح عشرة آلاف أسير كانوا فى يوم من الأيام يعملون على قتله والفتك به وايراده هو وأصحابه موارد الهلاك . ولما استتب له الأمر وخضعت شبه جزيرة العرب له من أقصاها الى أقصاها . وجاءه « نصارى نجران » اليمانيون بقيادة البطريك لم يحاول قط أن يكرههم على اعتناق الاسلام ، وأمنهم على أموالهم وأرواحهم وأمر بأن لا يتعرض لهم أحد فى

معتقداتهم ولا طقوسهم الدينية وأن تبقى كنائسهم ومعابدهم كما هى يؤدون فيها شعائر دينهم كما كانوا يفعلون من قبل ، بل أكثر من ذلك لم يفرض عليهم أى ضريبة أو جزية فلما توفى الرسول وتولى بعده خلفاؤه الراشدون أبو بكر فعمر فعثمان فعلى ، لم يحاول أحدهم قط أن ينقض عهد الرسول مع أمنهم على أنفسهم ، بل أحسنوا معاملتهم أيما احسان .

كل هذا يكشف لنا عن ناحية من نواحي الرسول وما اتصف به من الصبر واحتمال المكاره والعفو عند المقدرة ويبرهن لنا على أن دعوته كانت خالصة صادقة بقوله :

« لا اكراه فى الدين » ...

التحرير

« الدنيا دار بلاء ، ومنزل قلعة وعناء ، أسعد الناس فيها أرغبهم عنها وأشقاهم بها ارغبهم فيها ، فهى الغاشة لمن انتصحها ، المهلكة لمن اطمأن اليها ، طوبى لعبد أطاع فيها ربه ، ونصح نفسه ، وقدم توبته ، وأخر شهوته » .

(على بن ابى طالب)

دراسات قرآنية :

لا بقاء لنبوة كاذبة

مسيلمة ومصرعه فى حرب اليمامة

لفضيلة الشيخ مصطفى محمد الحديدى الطير

قال الله تعالى :
« ان الذين يحادون الله ورسوله أولئك فى الأذلين ٢٠ » .
« كتب الله لأغلبن أنا ورسلى ان الله قوى عزيز ٢١ » .
من سورة المجادلة

البيان

ليس معقولا أن خالق هذا الكون العظيم ينصر مرجفا كذابا ، يتكلم باسمه ويزعم أنه رسوله ، فلابد أن يخذله الله ويذله ، ويفضح أكاذيبه ويوهن دعوته ، وينهى حياته أسوأ نهاية ، بأن يسلط عليه من يصرعه ، أو يقف لدعوته بالمرصاد حتى تموت أو تكاد ، أليس هؤلاء يحادون الله ورسوله ، ويعادون دعوة الحق التى أرادها أساسا لمجد الدنيا وعز الأخرى ، ومن حاد الله ورسوله وعادى نظامه ودستوره ، فلابد أن يكون فى الأذلين ولو بعد حين ، « ولله العزة ولرسوله وللمؤمنين »

وكيف يترك الله كذابا يكلم الناس باسمه ، ويبلغهم عنه رسالة موضوعة وفرية مصنوعة ، وهو الذى يقول « ولو تقول علينا بعض الأقاويل . **لأخذنا منه باليمين . ثم لقطعنا منه** الوتين . فما منكم من أحد عنه حاجزين » الآيات ٤٤ — ٤٧ من سورة الحاقة .

وجاء فى التوراة أن النبى الذى **يفترى على الله يقتل ؛**

واذا كانت هذه سنة الله مع الأنبياء المفترين ، فقد حقت على مسيلمة الكذاب هذه السنة ، واليك أيها القارىء الكريم بيان ما كان من أمره — :

وفود بنى حنيفة الى المدينة

كان مسيلمة من بنى حنيفة ، وقد وفد على المدينة على رأس جماعةمن قومه فى السنة العاشرة من الهجرة واجتمع برسول الله صلى الله عليه وسلم ، وسأله أن يشاركه فى النبوة فيكون محمد صلى الله عليه وسلم نبيا فى الحجاز ، ومسيلمة نبيا فى بنى حنيفة ، وكان فى يد النبى صلى الله عليه وسلم عسيب رطب — أى جريدةخضراء — فقال لهذا الكذاب لو سألتنى هذا العسيب ما أعطيتكه فرجع مع قومه الى اليمامة ، ودعاهم الى الايمان به ، زاعما أنه شريك فى النبوة لنبينا محمد صلى الله عليه وسلم ، وأن كلا منهما نبى قومه ، وتكذب لهم بما شاء له هواه ، فاتبعه قومه تعصبا لرجل منهم ، حتى لا يكونوا أتباعا لنبى من قريش ، وقد بلغ من تعصبهم أن رجلا منهم يدعى طلحة النمرى ، جاء مسيلمة وسأله عن حاله ، فأخبره أنه يأتيه رجل فى ظلمة ، فقال : أشهد أنك كاذب ، وأن محمدا صادق ، ولكن كذاب ربيعة أحب الينا من صادق مضر ، فقتل معه يوم عقرباء كافرا.

قرآن مسيلمة الكذاب

زعم هذا الآفك أنه نزل عليه كتاب من السماء ، فكان يتلو عليهم بعض مسجوعاته السمجة، زاعما أنها من وحى السماء ، ومن ذلك قوله فى الضفدع : يا ضفدع بنت ضفدعين نقى ما تنقين. أعلاك فى الماء وأسفلك فى الطين ، لا الشارب تمنعين ، ولا الماء تكدرين .

ومن ذلك قوله : والمبديات زرعا ، والحاصدات حصدا ، والذاريات قمحا ، والطاحنات طحنا ، والثاردات ثردا ، واللاقمات لقما ، اهالة وسمنا ، لقد فضلتم على أهل الوبر ، وما سبقكم أهل المدر ، ريفكم فامنعوه ، والمعتر فآووه ، والباغى فناوئوه — الى غير ذلك من هرائه السخيف .

انقلاب المعجزة ضده

جاءته امرأة فقالت له : ان نخلنا لسحيق — أى بعيد الاثمار — وان آبارنا لجرز — أى لا ماء فيها — فادع الله لمائنا ونخلنا ، كما دعا محمد — صلى الله عليه وسلم — لأهل هرمان ، فسأل عن ذلك ؟

فذكر له أن النبى صلى الله عليه وسلم دعا لهم ، وأخذ من ماء آبارهم ، فتمضمض منه ومجه فى الآبار ، ففاضت ماء ، وأنجبت كل نخلةفسيلا قصيرا مكمما(١) ، ففعل مسيلمةذلك ، فغار ماء البئر ويبست النخل .

وقال له رجل من بنى حنيفة : ضع يدك على رءوس صغار بنى حنيفةمثل محمد ، ففعلوحنكهم(٢) فأصيب كل صبى مسح رأسهبالقرع وذهب شعر رأسه ، ولثغ كل صبى حنكه (٣) .

مصرعه فى عهد أبى بكر

انتقل الرسول صلى الله عليه وسلم الى الرفيق الأعلى فى أوائل السنة الحادية عشرة من الهجرة النبوية ، وولى أبوبكر ــ رضى الله عنه ــ امرة المؤمنين ، ووجد أمامه أمورا جساما تنوء بحملها الشم الرواسى ، فىوقت غابت فيهشخصية الرسول الأعظم صلى الله عليه وسلم عن أفق المسلمين ، فاهتز كيانهم وزلزلوا زلزالا شديدا .

لقد وجد قوما يرتدون عن الاسلام ، لحداثة عهدهم به ، وآخرين يمنعون الزكاة لضعف ايمانهم ، ورأى مسيلمة الكذاب ، يحاول أن يتسع بدعوته ويقضىعلى الاسلام بعد حدوث هذه الصدوع فى بنيانه .

لكن أبا بكر ــ عليه رضوان الله ــ شمَّر عن ساعد الجد ونهض بالعبء ، مستعينا بالله ، ثم بعزم المهاجرين والأنصار ، وشدة شكيمتهم واستماتتهم فى نصرة دين الله ، فبعث بجيوشه لقتال هؤلاء جميعا فى وقت واحد ، فكتب لهم النصر وعز الاسلام وسطع نوره ، وصدق الله تعالى اذ يقول :

« ان تنصروا الله ينصركم ويثبت أقدامكم » .

---

(١) الفسيل صغار النخل ، ومعنى مكمما له أكمام وهى أوعية الطلع .

(٢) التحنيك مضغ تمر أو غيره ، وذلك فم الصبى به .

(٣) يطلق اللثغ على سوء النطق بالحروف ، وعلى ثقل اللسان .

وكان من أمر أبى بكر مع مسيلمة وقومه بنى حنيفة ، أنه أرسل اليهم عكرمة بن أبى جهل على رأس كتيبة من المسلمين ، ثم عززه بشرحبيل ابن حسنة على رأس كتيبة أخرى منهم ، فلقيهم عكرمة بكتيبته قبل أن يأتيه مدد شرحبيل ، فانتصر بنو حنيفة ، فقد كانوا فى موقف يتيح لهم هذا الانتصار ، فقد كانوا فى ديارهم وكانوا أربعين ألف مقاتل ، والمسلمون الذين هاجموهم مغتربون وقليلون ، فلهذا رجحت كفة بنى حنيفة ، فكتب عكرمة الى أبى بكر بما حدث ، فمنعه من العودة الى المدينة حتى لا يبث الوهن فى نفوس المسلمين ، وصرفه الى جبهة أخرى ، حيث أمره بقتال أهل عمان ومهرة .

وكان شرحبيل بن حسنة قد وصله الخبر ، فأقام فى الطريق ينتظر توجيه أبى بكر له ، فكتب اليه أن ينتظر حتى يأتيه خالد بن الوليد .

ثم أمر خالدا بالتوجه لقتال مسيلمة وقومه بنى حنيفة ، فى جيش من المهاجرين والأنصار ، فتوجهوا اليهم باليمامة ، وكان عدد المسلمين قليلا ، لكثرة البعوث التى وجهها أبوبكر — رضى الله عنه — الى مواطن الفتن .

وكان المفروض أن ينتفع شرحبيل ابن حسنة بدرس عكرمة ، فلا يهاجم مسيلمة قبل أن يأتيه خالد بجيشه ولكنه تعجل فهاجمه وهو فى منعة من قومه بنى حنيفة الكثيرى العدد والعُدد ، فنكب كما نكب سلفه عكرمة .

ولما بلغ مسيلمة دنو خالد بن الوليد ، عسكر بمكان يقال له : عقرباء ، وخرج رجل من أشراف بنى حنيفة يقال له (مجاعة بن مرارة) فى سرية يطلب ثأرا لهم فى بنى عامر ، فأسرهم المسلمون ، فقتلهم خالد — عدا (مجاعة بن مرارة) لمقامه فى قومه — لعله يفيد المسلمين .

وحشد مسيلمة جنوده لقتال المسلمين ، وترك الأموال وراء ظهره ، وخطب فى بنى حنيفة شرحبيل بن مسيلمة يحرضهم على

الثبات ، فقال : يا بنى حنيفة : اليوم يوم الغيرة ، فان انهزمتم تستردف النساءُ سَبِيَّات ، وينكحن غير خطيبات ، فقاتلوا عن أحسابكم ، وامنعوا نساءكم ؟

وكانت راية المهاجرين مع سالم مولى أبى حذيفة ، وكانت قبله مع عبد الله بن حفص بن غانم فقتل ، فقالوا : نخشى عليك من نفسك ، فقال : بئس حامل القرآن أنا اذا — وكانت راية الأنصار مع ثابت بن قيس بن شماس ، وكانت العرب على راياتها •

والتقى الجيشان ، ولم يلق المسلمون حربا مثلها قط ، فانهزم المسلمون ، وتوجه بنوحنيفة الى فسطاط خالد الذى جعله مركز قيادته ، وكان به (مجاعة بن مرارة) أسير بنى حنيفة الذى مر بيان قصته ، وكانت امرأة خالد حارسة له ، أما خالد فكان فى قلب المعركة ، فاستخلص بنو حنيفة أسيرهم (مجاعة بن مَرارة) وأرادو قتل زوجة خالد ، فمنعهم (مجاعة) من قتلها ، وقال : أنا لها جار ، فنعمت الحرة ، ثم قال لهم : عليكم بالرجال • ودعوا النساء ، فقطعوا فسطاط خالد ، وكان يوما شديدا على المسلمين •

ثم ان المسلمين تداعوا ، وقال ثابت بن قيس — حامل راية الأنصار — اللهم انى أبرأ اليك مما صنع هؤلاء — يعنى أهل اليمامة من بنى حنيفة — وأعتذر اليك مما صنع هؤلاء — يعنى المسلمين — ثم قاتل حتى قتل • وقال زيد بن الخطاب أحد زعماء المهاجرين: والله لا أتكلم اليوم حتى نهزمهم أو أقتل ، فأكلم الله تعالى بحجتى ، غُضُّوا أبصاركم ، وعُضُّوا على أضراسكم أيها الناس ، واضربوا فى عدوكم وامضوا قُدماً •

وقال أبو حذيفة أمير المهاجرين ، ياأهل القرآن،زينوا القرآن بالفعال، فحمل المسلمون على بنى حنيفة ، حتى ردوهم الى أبعد مما كانوا ، واشتد القتال ، وكانت الحرب حينئذ سجالا ، تارة للمسلمين ، وتارة عليهم ، وقُتِل أبو حذيفة وزيدُ بن الخطاب أمير المهاجرين ،

كما قُتِل غيرهما من قراء القرآن الكريم وسواهم .

تغيير اسلوب القتال

لما رأى خالد ما حل بالناس أمر المقاتلين أن يتمايزوا ، بأن يقاتل كل حَىٍّ تحت رايته ، ليتبين للناس القوى من الضعيف ، والشجاع من الجبان ، فكان أهل البوادى على حيالهم ونظام أحيائهم ، والمهاجرون والأنصار كذلك ، واشتد هؤلاء وأولئك فى اللقاء بسبب هذا التمايز ، فما رؤى يوم كان المسلمون أعظم شدة على عدوهم من هذا اليوم ، وسقط من المسلمين وأعدائهم صرعى كثيرون ، وكان القتل فى المهاجرين والأنصار أكثر منه فى أهل البوادى ، لعظم شعورهم بالمسئولية أكثر من مجاهدى البادية .

رجحان كفة المسلمين

بهذه المعركة التى حصل فيها التمايز بين القبائل والفصائل ، وعلت درجة التنافس بين المجاهدين فى نيل شرف الشهادة ، رجحت كفة المسلمين على أتباع مسيلمة الكذاب من بنى حنيفة ، ولكنهم لم يَحفِلوا بمن سقط منهم — مع كثرتهم — وظلوا مواصلين العزم على المضى فى القتال تعصبا ومنافسة منهم لقريش الذى بعث منهم نبى ، فلماذا لا يكون من بنى حنيفة نبى آخر ، وهم فى نظرهم لا يقلون عن قريش مجدا وحسبا ونسبا ، فان كانت قريش من ذرية مضر ، فبنو حنيفة من ذرية ربيعة .

حينئذ رأى القائد المحنك خالد بن لوليد ، أنهم لا يستسلمون الا اذا قتل مسيلمة فصمم على ذلك .

المعركة الحاسمة والنصر

رأى خالد أن هذا القتال الشرس الذى كثرت فيه الضحايا ولم تحسم به المعركة ، ينبغى أن يعدل عنه الى أسلوب المبارزة بين الأبطال ، يريد بذلك أن يستدرج مسيلمة ليخرج له فيقتله ، فدعا بنى حنيفة الى المبارزة ، فكان مسيلمة شديد الحذر على نفسه ، فلذا كان يدفع لخالد شجعان قومه ، فيقتلهم خالد واحدا بعد آخر — والناس جميعا ينظرون

ـ والمسلمون يعتبرون ذلك بشارة بالنصر ، ويعدونه رافعا لروحهم المعنوية ، ومضعفا لخصومهم .

حينئذ هتف بالمسلمين خالد بن الوليد أن يحملوا عليهم حملة رجل واحد ، بعد هذه المبارزة البطولية الفذة ففعلوا ، وطارد خالد مسيلمة فولى أمام خالد مهزوماً وتبعه أصحابه ، ثم جعلوا يعيرون نبيهم الكذاب قائلين : أين النصر الذى وعدتنا به من قبل ؟

فلما سمع منهم ذلك عاد الى ثباته ، وطلب اليهم أن يقاتلوا عن أحسابهم ، ثم أمر مُحكّم بنى حنيفة مناديا ينادى فى بنى حنيفة (الحديقة الحديقة) فدخلوها جميعا ، وأغلقوا بابها عليهم ، وكان البراء بن مالك من خيرة شجعان المسلمين ، وكان يحب المباهاة بنفسه فى قتاله ، لينفث الرعب فى نفوس الأعداء ، فكان يقول وهو يقاتل قتالا شديدا : الىَّ أيها الناس أنا البراء بن مالك ، فلما دخل بنو حنيفة الحديقة قال البراء ابن مالك : يامعشر المسلمين ألقونى عليهم فى الحديقة ، فلم يفعلوا ، فأقسم عليهم أن يلقوه فيها ، فحملوه حتى أشرف على الجدار ثم هبط داخل الحديقة واحتال حتى فتح الباب للمسلمين ، فدخلوا الحديقة عليهم ـ وهم لا يتوقعون ذلك ، وقاتلوهم قتالا شديدا ، وتقدم وحشىٌّ مولى جبير بن مطعم ورجل من الأنصار ، فقتلا مسيلمة الكذاب ، فصرخ رجل : قتله العبد الأسود ، فولىَّ بنو حنيفة الأدبار حين عرفوا قتله ، وأخذهم السيف من كل جانب .

خالد يتعرف على جثة مسيلمة

كان مسيلمة يعرف أنه هو المقصود الأول لحملة المسلمين على بنى حنيفة ، فكان يخفى نفسه حتى لا يعرف ، ولهذا لم يكن خالد بن الوليد يعرف صورته ، فلما بلغ خالدا مقتله ، أمر باحضار (مجاعة بن مرارة) أمير بنى حنيفة وشريفهم ـ وقد سبق الحديث عنه ـ فلما حضر سار به خالد ، فجعل يكشف له القتلى ليدلّه على مسيلمة ، فمر برجل جسيم وسيم من القتلى ، فسأله

خالد ، أهذا صاحبكم ، فقال لا : والله هـذا خير منه وأكرم ، هـذا محكم اليمامة ــ وكان عبدالرحمن ابن أبى بكر قد رآه يخطب ويحرض الناس على قتال المسلمين ، فرماه بسهم فى نحره فقتله .

ثم وقف خالد على رُجَيْلٍ حقير أصفر أخنس ، فقال مجاعة : هذا صاحبكم الذى قصدتموه ــ مسيلمة ــ قد فرغتم منه ، فقال خالد : أهذا الذى فعل بكم ما فعل .

الحرب خدعة

ومجاعة بن مرارة الذى أسره خالد ، لم يكن رجلا هيِّنا ، فلهذا لم يصرفه المعروف الذى أسداه خالد اليه بالابقاء على حياته ، واكرامه فى أسره ــ لم يصرفه هذا المعروف عن خدمة قومه وخدعة خالد القائد العظيم ، فلقد قال له بعد مقتل مسيلمة وما أصاب قومه من الهزيمة والكوارث : يا خالد . ان الذين انتهيتم منهم هم سَرَعانُ الناس ــ أى أوائلهم ــ وان الحصون مليئة ، فقال خالد لمجاعة: ويلك ما تقول ؟ قال هو والله الحق، فهلم لى الصلح على ما ورائى ، فصالحه على كل شىء دون النفوس، وقال : أنطلق اليهم وأشاورهم ، وكانت هذه خديعة ، فلم يكن فى الحصون سوى الشيوخ والنساء والصبيان ، فانطلق اليهم مجاعة وألبسهم لباس الحرب حتى النساء ، وأمرهن أن ينشرن شعورهن كالرجال ويشرفن على الحصون حتى يرجع اليهن ، ثم عاد الى خالد، وأخبره أن القوم لم يرضوا بما صالح عليه ، وأن بعضهم يشرفون على الحصون ، ليبيِّنوا لك أنهم منى برآء .

فلما رأى خالد الحصون مليئة ، وأن الحرب قد نهكت المسلمين ــ ولا يدرون ما هو كائن ــ وأن المهاجرين المقيمين بالمدينة والأنصار قتل منهم نحو ثلثمائة وستين ، وأن المهاجرين الذين يقيمون بغير المدينة قتل منهم نحو ثلثمائة ــ لما رأى ذلك ــ تساهل فى الصلح ،فصالحه على الذهب والفضة والسلاح ونصف السبى ــ وقيل ربعه .

فلما فتحت الحصــون لم يوجد فيها ســوى النســاء والشــيوخ والصــبيان ، فقال خالد لمجاعة : ويحك خدعتنى ، فقال : هم قومى ولم أستطع الا ما صنعت •

خسائر بنى حنيفة

كانت خسائرهم بالغة الفداحة ، فقــد خسروا نبوتهم الكاذبة التى كانوا يريدون بهــا السلطان على غيرهم بما يتمتعون به من قوة فى الرجال ، وكثرة فى العدد ، ووفرة فى المــال ، ورفعة فى الحســب ، وترابط وتماســك ، وخسروا من جنودهم الشجعان فى موقعة عقرباء سبعة آلاف ، وفى موقعة الحديقــة مثلهم ، وفى الطلب نحوا منهم ، عدا ما صالحوا عليه من الذهب والفضة والسلاح والسبى •

ربح المسلمين من معــركة مسيلمة باليمامة :

كان بقاء هذه النبوة الكاذبة فى قوم أقوياء بعد وفاة النبى صلى الله عليه وســلم من أخطر الأمور على مستقبل الاسلام فى الجزيرة العربية وغيرها ، فلذا يعتبر القضــاء على دعوته ودعاتها أعظم مكسب لقضية الحق الذى جاء به محمد صلى الله عليه وسلم ، حيث أخذت طريقهــا بعدُ بدون معوقات ذات بال الى المشارق والمغارب •

وكانت موقعة اليمامة سببامباشرا لجمع القرآن الكريم فىعهد أبىبكر وعقب وفاته صلى الله عليه وسلم ، وذلك أن القتل قد كثر بها فىحفاظه وقرائه ، فأشار عمر على أبى بكر بجمعه خشــية انقــراض حفــاظه باستشهادهم فى الغزوات المقبــلة ، وما زال يراجع أبابكر فى ذلك حتى شرح الله صدره ، فكلف زيد بن ثابت كاتب الوحى بجمعه ، فجمعه من العسب واللخاف (١) وغيرها : ومن صدور الحفاظ وتم جمعه على أكمل وجه لم يتيسر مثله لكتاب من الكتب السماوية السابقة ، وتحقق

---

(١) اللخاف حجارة بيض رقاق •

بذلك قوله تعالى « انا نحن نزلنا الذكر وانا له لحافظون » وكان الناس يأتون زيدا ، فكان لا يكتب آية الا بشاهدى عدل ، وفى عهد عثمان جمع القرآن على ترتيب السور كما نقرؤه اليوم ، وكتبت منه عدة نسخ وزعت على الأمصار الاسلامية ، ولهذا لم يختلف المسلمون على آية من آيات القرآن الكريم ، فهو مجمع عليه منهم جيلا بعد جيل والحمد لله رب العالمين .

كما أن موقعة اليمامة و نتصار المسلمين فيها ، ثبتا قلوب المترددين ، وأخافا المتربصين ، وذرعا العزة فى القلوب للمؤمنين « ولله العزة ولرسوله وللمؤمنين » .

كتاب ابى بكر ووفاء خالد

لما علم أبو بكر بما أصاب المسلمين من بنى حنيفة ، وأن الله تعالى كتب النصر للمؤمنين ، كتب لخالد أن يقتل رجالهم لما فعلوه بالمسلمين ، ولأن منهم من ارتد بعد اسلامه ، ولكن كتاب أبى بكر جاء بعد أن صالحهم على الوجه الذى مر بيانه ، فهذا أمضى صلحه معهم ووفى لهم ولم يَغدِر ، وكتب الى أبى بكر بذلك فأقره على تصرفه هذا! .

العبرة

وبعد فهذه قصة مجد وكرامة ، وايمان وبطولة تسطر لأبى بكر على صفحات القلوب ، فلولا وقفته الحازمة ضد بنى حنيفة ، لطغوا فى الأرض ، ولعرضوا الاسلام للخطر ، بما كان لهم من تجمع وتعصب لصاحبهم ، ضد أتباع نبى من قريش التى ينافسونها فى المجد والشرف والزعامة للعرب .

ولقد ضاعف خطرهم جرح المسلمين بفقد الرسول صلى الله عليه وسلم ، وردة بعض المسلمين المستجدين ، ومنع بعضهم الزكاة .

وما أثقل العبء على المسلمين بعد انتقال الرسول الى الرفيق الأعلى ، لقد كان وجوده بينهم وقيادته لهم تبعث فى نفوسهم الثقة والطمأنينة والشجاعة وانتظار النصر ، اما وقد

لقى ربه ، فانهم يشـعرون بالفراغ الرهيب ، ويجدون في نفوسهم وهنا لا عهد لهم بمثله ، ولو كان صلى الله عليه وسلم موجودا بينهم في غزوة اليمـــامة ، لكان النصر أسرع والخســارة أقل ، فان حصـونهم ليست أقوى من حصون خيبر أو غيرها من قرى اليهود التى انهارت أمامه صـلى الله عليه وسـلم بأقل خسارة من المسلمين .

ولقد عرفنا من تجارب الحيـاة أنه لابد من كفاح الشر حتى يزول ، ولابد من قيادة رشيدة وعزم لا يلين ، واتحاد لا ينفصـم ، فان توفر هذا للمسلمين ، وكان لهم ايمان لا تهزه العواصـف ولا تقصـفه الرياح القواصف ، فلن تكون أمة أعزمنهم « والله يقـول الحق وهو يهـدى السبيل » .

مصطفى محمد الحديدى الطير

الكسب الحلال :

ما المـال الا مكسـب الأشراف ان
وفقت فيـه الى رضــا مولاكا
حصـل به الدارين واكسـب سؤددا
وارغب لربـك ان يـديم نجـاكا
وعليك بالكسـب الحـلال فانه
فرض ولا يشـغلك عن عقبـاكا
فازرع وتاجـر واعملن أو اصـطنع
واذا أبيـت فأنـت ما أرداكا
واذكر سـؤالك عنـه كيف كسبته
وعـلام قـد انفقتـه فعسـاكا

محمد الخطيب

من مغالطات المستشرقين

لفضيلة الدكتور عبد الجليل شلبي

من الأشياء التي كان يتندر بها المرحوم عباس العقاد في مجالسه — وهي أيضا في بعض كتبه — أن أحد الانجليز المحاربين في الحرب العالمية الثانية كان يكثر أن يردد في حديثه أن الشرق شر كله ، وأن الغرب لم ينل منه خيرا ، قط ، وسأله الأستاذ العقاد مرة ان كان متدينا ، فأجاب انه مسيحي يثق في مسيحيته ، وسأله ثانيا أيرى أن في المسيحية خيرا ؟ فأجاب بأنها كانت ذات خير كثير . وسأله ثالثا أيعرف في أي بلد ولد المسيح وعاش وأعلن رسالته ؟

فبهت الرجل ولم يحر جوابا . لقد فاجأته الصدمة كأنها شي جديد لم يسمع به من قبل ، بينما هي شيء ثابت مقرر يدركه المسيحيون وغير المسيحيين ، ولكن كثيرا ما يعمى الانسان عن الشيء وهو تحت بصره .

ذكرني بهذا ما كتبه أحد أساتذة التاريخ في انجلترا — وكتابه يدرس في عدد من جامعاتها — من أن العرب كانوا ذوى خشونة وبأس ، وأن فتوحاتهم قامت على ما كان لهم من البداوة والميل الى سفك الدماء ، ولكنهم لم يشجعوا الحياة العقلية ، وفكرهم في حقيقته فكر أوروبي نقلوه عن الاغريق والرومان ، بعد أن اتصلوا بهم ، أما قبل ذلك فكان همهم هو المال ، والاكتفاء بما في القرآن من توجيه نحو الجهاد ، وآية ذلك أن عمرو بن العاص أحرق مكتبة الاسكندرية ، فذهبت بعناصر الفكر اليوناني الأصيل ، ولو بقيت هذه المكتبة لاستفادت منها أوروبا كثيرا في نهضتها الحديثة .

هذا موجز ما فى الحديث عن حضارة العرب ، وبعض هذه الآراء مكرور معاد ، وبعضها خاص به ، أو له فيه تحوير وتحويل .

وأهم ما يعنينى فى هذا الحديث هو استشهاده على عزوف الطبيعة العربية وعقلية المسلمين العرب عن المعارف والعلوم ، بل هو يصف الغزاة بأنهم كانوا كالذئاب الجائعة انقضت على ممتلكات الروم والفرس فنهشت هيكلها البالى ثم استفادت منها ولم تفدها . ولكن هذه المسألة الأخيرة شبعت بحثا وأصبحت تهما جوفاء لا يؤبه لها .

أما مكتبة الاسكندرية فقد أحرقت أكثر من مرة قبل أن يعرف العرب الاسكندرية أو البلاد المصرية .

والمكتبة أنشئت فى عهد بطليموس الأول ، ونماها خلفاؤه ، حتى أصبحت كبيرة وغنية بالمؤلفات الاغريقية ، ولم تكن المكتبة الوحيدة فى البلد ولكنها كانت الوحيدة فى كبرها وضخامتها ، وكانت ملحقة بجامعة الاسكندرية ، وكان البطالسة يسخون فى الانفاق عليها ، وكان عهدهم حقا عهد تشجيع للعلم والدراسة ، وكان الطلبة يجدون كل ما يساعدهم ويشجعهم على الدرس حتى المداد والأقلام والورق ، ومعروف أنه فى هذا الوقت وفد على الاسكندرية رجال من ألمع علماء اليونان اسما وأبعدهم شهرة فى العلوم والفلسفة ، وكان هذا مما يزيد نشاط التيار العلمى وسرعته .

ولكن هذه المكتبة . بكل ما فيها من هذا التراث القيم أحرقت بأيدى الرومان ولم تحرق بأيدى العرب ، أحرقها القائد والامبراطور « يوليوس قيصر » عندما دخل مصر سنة ٤٨ ق م ، أى قبل أن يدخل العرب مصر بما يقرب من ستة قرون . وشبت بالاسكندرية حرائق أخرى من الأسطول الرومانى التهمت أجزاء كبيرة من البلد بما فيها المكتبة الكبرى والمتحف ، وكشفت الحفريات الحديثة عن آثار هذه الحرائق وآثارها البالغة بالحى المعروف باسم « كوم الشقافة »

وهو الحى الذى كانت به الجامعة والمكتبة .

وكانت هناك مكتبة ثانيــة تلى هــذه المكتبة ، وربما عرفت باسم « المكتبة الابنة » وهــذه أحرقها الامبراطور ثيــودوسيوس ســنة ٣٨٩ م .

ولم يبــد الرومان بوجــه عام اهتماما بالجوانب العقلية فى مصر ، بل تعطلت الحــركة العقليــة على عهدهم ، واكتفوا بأن اتخذوا مصر مزرعــة تنتج لهم القمح ، وكان عهدهم على طوله عهــد اجــداب فكرى ولم تظهــر حــركة علميــة أو نشاط عقلى ما الا بعد أن دخل العرب هذه البلاد .

هذا : وعمرو بن العاص دخــل مصر سنة ٢٠ هـ (٦٤٠ م) ، ولم يكن بالاسكندرية مكتبة واحــدة ذات أهمية ، وكانت مدرســتها فى دور الركود أو الاحتضار ، وهذه لم ينمها العرب لقيامها على الوثنية ثم امتزاج وثنيتهــا بالمسيحية ، أو قيام المسيحية عليها ، وهذا مما ينبو عنه المسلمون حقا ، ولكن لا يعرف التاريخ أنهم أحرقوا شيئا من آثار الفكر التى أدركها عهدهم ، بل ان العهد الذى كتبه عمرو لأهل مصر من أمانهــم على كنائسهم وصلبهم مما يؤكد أكثر أمانهــم على كتبهم ومكتباتهم . وقد كتب عمرو هذا العهد قبل أن يدخل الاسكندرية ــ كتبه وهو ما يزال بفسطاطه . ومع أن الأســطول الرومانى هــدد الاسكندرية بعد فتحها وقامت بها ثورة لم نسمع أن العــرب اعتمدوا على اشعال حريق لغيظ الأهلين أو الرومان ، ولا كان هذا الأسلوب من طبيعتهم فى فتوحاتهم .

وأول من ذكر هــذه القرية هو الرحالة عبــد اللطيف البغدادى ــ الذى كان بمصر بعد الفتح العربى بأكثر من ستة قرون ، ويبــدو أنه اعتمد فيها على سماع أو استنتاج غير جيد ! ؟

وتلقف القصة فى العصر الحديث جورجى زيدان فعرضها فى كتــابه (التمدن الاســلامى) وزكاها بأن رسول الله (ص) كان قــد رأى مع عمرو بن العاص ورقــة من التوراة

فغضب وقال : « ألم آتكم بها بيضاء نقية ؟ أما والله لو كان موسى حيا ما وسعه الا اتباعى » .

وبهذا رجع جورجى زيدان عما كتبه من قبل نيا لاحراق المكتبة على يد عمرو ، اذ رأى فى هذا الحادث دليلا على أن المسلمين لا يميلون الى قراءة شيء غير ما فى القرآن ؛

وفهم زيدان ليس أقل خطأ عن فهم البغدادى . فالنبى (ص) لم ينه عن مجرد القراءة ، ولكنه يقصر الديانة الاسلامية على منبعها الأصيل الصافى ويخشى عليها أن تلوث بما لوثت به اليهودية من شوائب الوثنية . وقد كان فى قراء الصحابة من قرأ التوراة وحفظ شيئا منها ، ومنهم عبد الله بن عمرو بن العاص ، كما أمر رسول الله (ص) بعض أصحابه بتعلم اللغة العبرانية .

هذا وتفنيد هذه الفرية مما تعرض له غير كاتب .

والواقع أن مكاتب المسلمين هى التى منيت باتلافها على أيدى الآخرين من غير العرب .

فعندما غزا هولاكو التترى المغولى بعداد سنة ٦٥٦ هـ ١٢٥٣ م جعلها طعمة لنيران شوت أجسام أهليها . ثم جعل من المكتبات التى بها جسرا على نهر دجلة عبرت عليها جيوشه ، وقد ظلت مياه النهر مسودة من المداد الذى محى فيها فترة طويلة ، وتعرض التراث الاسلامى الذى تكون فى ستة قرون ونصف قرن ونضج واكتمل لأشنع اتلاف وتلونت حركة الفكر العربى وطرق التأليف والكتابة بلون جديد .

وفى أوائل القرن العاشر الهجرى (السادس عشر الميلادى) تعرضت مكاتب المسلمين وكتبهم لمحنة أعنف وأقسى ، على يد حاكمى الأندلس صاحبى التاج الموحد — فرديناند وايزابلا — ، فغداة طرد المسلمين من أسبانيا ، أشار كاهن القصر باجبار المسلمين على التنصر وتحريم قراءة

الكتب التى بها أفكار أو أصول اسلامية . ولما لم يجد هذا التحريم أشار باحراق مكاتب المسلمين .

وألقيت المخطوطات العربية الكثيرة فى النار ، أوقدت بها الحمامات وأشعلت فيها النار فى الشوارع ، وظلت سماء غرناطة ملبدة بغيوم من دخان الحرائق لعدة أيام ، ووقف الكردينال وصاحبا الجلالة يستمتعون بمناظر اللهب وأعمدة الدخان كأنما كانوا يحرقون جراثيم فتاكة ليحموا الناس أو يستخلصوهم من شرورها ، ! وكم فكرة وقادة وبحث ذى أهمية ، وقواعد علمية أجهد أصحابها فى استخلاصها ذهبت كلها مع هذه النيران .

واذن فالأوروبيون هم الذين سددوا منافذ الفكر العربى اليهم وهم الذين آذوا الانسانية بالحيلولة بينها وبين الاستفادة من مجهود العرب الفكرى !)

وحقا : ان الحضارة تأخرت ثمانية قرون بخروج العرب من أوروبا ، وما فعله هؤلاء من احراق مكاتب المسلمين كان ولا ريب احراقا للحضارة والقيم الانسانية .

ولمن شاء أن يوازن بين هذا المسلك ومسلك عمرو وخلفاء عمرو فى مصر ، أو مسلك أبى عبيدة بن الجراح وخالد بن الوليد فى فتوحهما ، وما أعطيا أهل دمشق وحمص من عهود الأمان ومدى وفاء كل من هؤلاء بما عاهد عليه .

ويعرض الباحث الأوروبى لكل هذه الأحداث مرا عاجلا سريعا ولا يرى فيها ما يصم التاريخ الأوروبى ، بينما يقف بتمهل وأناة أمام نبأ عارض لا أساس له ! ؟

د. عبد الجليل شلبى

قال عمر رضى الله عنه :

اخوف ما أخاف عليكم شح مطاع ، وهوى متبع واعجاب المرء بنفسه .

موقف المسلم من مشكلات الجن

لفضيلة الدكتور يحيى هاشم

نتناول فى هذا البحث :

١ ـ الاعتقاد فى وجود الجن .
٢ ـ ابليس بين الملائكة والجن .
٣ ـ القرين .
٤ ـ الجن وهل هم مكلفون ؟
٥ ـ طبيعة الجن .
٦ ـ رؤية الانس للجن .
٧ ـ تشكل الجن .
٨ ـ دخول الجن بدن المصروع .
٩ ـ وسوسة الجن للانس .
١٠ ـ رسالة الشيطان .
١١ ـ حدود الجن فى علاقته بالانسان .
١٢ ـ المنهج الاسلامى فى الاعتصام من الجن .
١٣ ـ خطأ المنهج غير الاسلامى فى الاعتصام من الجن .
١٤ ـ ليس الجن وحده مصدر المتاعب النفسية .

وقع الاجماع بين المسلمين على أن الجن موجود :

قال امام الحرمين ، من أعلام أهل السنة :

(والتمسك بالظواهر والآحاد تكلف منا مع اجماع كافة العلماء فى عصر الصحابة والتابعين على وجود الجن والشياطين ، والاستعاذة بالله من شرورهم .

ولايراغم مثل هذا الاتفاق متدين متشبث بمسكة من الدين .

ثم قال : فمن لم يرتدع بهذا وأمثاله فينبغى أن يتهم فى الدين ويعترف بالانسلال منه .

على أنه ليس فى اثبات الشياطين ومردة الجن ما يقدح فى أصل من أصول العقل وقضية من قضاياه... وانما يستبعد ذلك من لم يحط علما بعجائب المقدورات . وقولهم فى الجن يجر الى انكار الحفظة من الملائكة عليهم السلام . ومن انتهى به المذهب الى هذا وضح افتضاحه) (١) .

وقال القاضى عبد الجبار ، من أعلام المعتزلة :

(والذى يدل على اثباتهم آى كثيرة من القرآن تغنى شهرتها عن ذكرها .

وأجمع أهل التأويل على مايذهب اليه من اثباتها بظاهرها .

ويدل أيضا على اثباتهم ما علمناه باضطرار من أن النبى صلى الله عليه وسلم كان يتدين باثباتهم .

وما روى عنه فى ذلك من الأخبار والسنن والدلالة على اثباتهم أشهر من أن يشتغل بذكرها) (٢) .

وقال الشيخ أبو العباس ابن تيمية :

(لم يخالف أحد من طوائف المسلمين فى وجود الجن) .

وجمهور طوائف الكفار على اثبات الجن .

أما أهل الكتاب من اليهود والنصارى فهم مقرون بهم كاقرار المسلمين .

وان وجد فيهم من ينكر ذلك فكما يوجد فى بعض طوائف المسلمين ... وان كان جمهور الطائفة وأئمتها مقرون بذلك .

لأن وجود الجن تواترت به أخبار الأنبياء عليهم السلام تواترا معلوما بالاضطرار (٣) .

وقال ابن عقيل : «...والشياطين العصاة من الجن ، وهم ولد ابليس، والمردة أعتاهم وأغواهم : وهم أعوان ابليس ... » .

---

(١) آكام المرجان للعلامة المحدث الشبلى الحنفى .. ص ٤

(٢) آكام المرجان .. ص ٥

(٣) آكام المرجان .. ص ٥

قال الجوهرى :

كل عات متمرد من الجن والانس والدواب شيطان ...

الشيطان..سمى بذلك كل متمرد لبعد غوره فى الشر ...

وقال القاضى أبويعلى : الشياطين مردة الجن وأشرارهم ..) (١) .

ابليس هل كان من الملائكة ؟ :

ذهب البعض الى أنه كان منهم ، بدليل أن الأمر بالسجود الذى أمر الله به الملائكة انصرف اليه ، ولو لم ينصرف اليه لما كان ملوما .

وأما قول الله تعالى عنه « كان من الجن » ــ فالمقصود به ما كان مستترا فيه من معصية الله تعالى .

أو أنه كان من الملائكة قبيل يقال

له الجن ، وأما كونه يتناكح ويتناسل فهذا حدث له بعد المعصية. بعد أن محى من جنس الملائكة(٢).

وذهب آخرون الى أنه ليس منهم.

بدليل قوله تعالى « الا أبليس كان من الجن» ولأن الملائكة لا يتناسلون، وهو يتناسل .

قال الحسن البصرى : لم يكن ابليس من الملائكة طرفة عين(٣) .

ويقرر القاضى عبد الجبار أن ابليس ليس من جنس الملائكة ، وأن الاستثناء الوارد فى الآية جاء على سبيل الاستثناء المنقطع أويقال: انه جمعه مع الملائكة من حيث الحكم المقصود وهو الأمر بالسجود(٤) .

القرين :

روى مسلم وأحمد وغيرهما من حديث عائشة أن رسول الله ــ صلى الله عليه وسلم ــ خرج من عندها ليلا ، قالت : فغرت عليه .. فقال : مالك يا عائشة أغرت ؟ .. فقلت : وما لى لا يغار مثلى على مثلك ؟

---

(١) آكام ص ٨
(٢) آكام ص ١٥٤ / ١٥٥
(٣) آكام ص ١٥٥
(٤) آكام ص ١٥٤ ، ١٥٥

فقال رسول الله صلى اللـه عليـه وسلم : أفأخذك شيطانك ؟ .. فقلت يا رسول الله : أو معى شيطان .. قال: نعم ، ومع كل انسان ، قلت : ومعك يا رسول الله .. قال : نعم ولكن ربى ــ عزوجل ــ أعاننى عليه حتى أسلم .

وفى سند آخر فيه سفيان بن عيينه يقول : « فأسلم من شره » (١) .

وفى رواية أخرى (ما من أحد الا وقد وكل به قرينه من الجن ، قالوا : وأنت يا رسول الله .. قال واياى ولكن الله ــ تعالى ــ أعاننى عليه فأسلم) ..

انفرد باخراجه مسلم (٢) .

تكليف الجن :

قال الرازى فى تفسيره :

أطبق الـكل على أن الجن كلهم مكلفون .

وقال القاضى عبد الجبار :

لانعلم خلافا بين أهل النظر فى أن الجن مكلفون ..

وقد حـكى زرقان وغسان فيما ذكراه من المقالات عن الحشوية انهم ليسوا مكلفين (٣) .

وقال الشيخ ابن تيمية ــ : ... ومعلوم بالاضطرار أنهم أحياء عقلاء فاعلون بالارادة مأمورون منهيون ، ليسوا صفات وأعراضا قائمة بالانسان أو غيره كما يزعمه بعض الملاحدة(٤)

طبيعة الجن :

قال القاضى أبو بكر الباقلانى :

(انهم أجسام مؤلفة .. ..

وقـال كثير من المعتزلة : انهـم أجسام رقيقة بسيطة) (٥) .

وقـال أبو الوفـاء بن عقيل فى الفنون :

« اعلم أن اللـه تعالى أضـاف

(١) آكام ص ٢٦
(٢) آكام ص ٢٦
(٣) آكام ص ٣٤
(٤) آكام ص ٥
(٥) آكام ص ١٥

الشياطين والجن الى النار حسب ما أضاف الانسان الى التراب والطين والفخار » .

والمراد به فى حق الانسان أن أصله الطين وليس الآدمى طينا حقيقة، لكنه كان طينا .

كذلك الجان كان نارا فى الأصل .

... وهم على أشكال ليست نارا .. (١) .

وقال القاضى أبو يعلى محمد ابن الحسين بن الغراء الحنبلى :

« الجن أجسام مؤلفة وأشخاص ممثلة ويجوز أن تكون رقيقة، ويجوز أن تكون كثيفة ، ولا يمكن معرفة أجسام الجن أنها رقيقة ، أو كثيفة الا بالمشاهدة أو الخبر الوارد عن الله تعالى أو عن رسول الله صلى الله عليه وسلم وكلا الأمرين مفقود ..

ثم قال : على أن الرقة ليست بمانعة عن الرؤية فى باب الرؤية .

ويجوز أن تكون الأجسام الكثيفة موجودة (٢) ولا نراها اذا لم يخلق الله تعالى فينا الادراك .

رؤية الجن :

وقال القاضى أبو القاسم الأنصارى فى شرح الارشاد حكاية عن القاضى أبى بكر :

ونحن نقول انما يراهم من رآهم لأن الله تعالى خلق له رؤية ، وان من لم يخلق له الرؤية لا يراهم .

وقال القاضى عبد الجبار :

ولضعف ابصارنا لا نراهم لا لعلة أخرى ولو قوى الله تعالى أبصارنا أو كثف أجسامهم لرأيناهم .. .. وعلى هذا يرى المعاين الملائكة دون من يحضره ، ويراهم الأنبياء جميعا ويرون الجن أيضا دون غيرهم (٣) .

وقال القاضى عبد الجبار :

ويدل على ذلك ــ أى على رؤيتهم بالتكشيف ــ ما فى القرآن الكريم

---

(١) آكام ص ١٣

(٢) آكام ص ١٥

(٣) آكام ص ١٥ ، ١٦

من قصة سليمان عليه السلام مما يدل على أنه تعالى كثفهم له حتى كان الناس يرونهم .

ثم قال : وأما تكثيف أجسامهم فى غير أزمان الأنبياء فانه غير جائز لأن ذلك يؤدى الى أن يكون نقضا للعادة (١) .

وقال أبو القاسم ابن عساكر فى كتاب سبب الزهادة فى الشهادة :

(وممن ترد شهادته ولا تسلم له عدالته من يزعم أنه يرى الجن عيانا، ويدعى أن له منهم اخوانا .

كتب الى أبو الحسن بن أحمد الحداد من أصبهان أخبرنى أبو نعيم أحمد بن عبد الله الحافظ حدثنا محمد بن عبد الرحمن التسترى ، حدثنا يحيى بن أيوب العلاف ، سمعت بعض أصحابنا قال التسترى — أظنه حرملة — سمعت الشافعى يقول : من زعم أنه يرى الجن أبطلنا شهادته لقول الله تعالى فى كتابه الكريم « انه يراكم هو وقبيله من حيث لا ترونهم » .

وأنبأنى محمد بن الفضل الفقيه عن أحمد بن الحسين الحافظ أنا أبو عبد الرحمن السلمى أنبأنا الحسن بن رشيق اجازه قال : أنا عبد الرحمن بن أحمد الهروى ، سمعت الربيع بن سليمان يقول : سمعت الشافعى يقول : من زعم من أهل العدالة أنه يرى الجن أبطلت شهادته ، لأن الله تعالى يقول : « انه يراكم هو وقبيله من حيث لا ترونهم » الا أن يكون نبيا (٢) .

حول تشكيل الجن :

قال كثير من الناس : ان الجن انما توصف بأنها قادرة على التمثيل والتصور على معنى أنها تقدر على التخيل وفعل ما يتوهم عنده انتقالها عن صورها ، فيدرك الراءون ذلك تخييلا ، ويظنون أن المرئى شيطان، وانما ذلك خيالات واعتقادات يفعلها الله تعالى عند النظر .

---

(١) آكام ص ٢١

(٢) آكام ص ٢١

فاما أن ينتقل أحد من صورته على الحقيقة الى غيرها فذلك محال (١) .

وروى أبوبكر بن أبى الدنيا فى كتاب مكايد الشيطان قال : حدثنا أبوخيثمة ، حدثنا هشيم ، عن الشيبانى ، عن يسير بن عمرو قال : ذكرنا الغيلان عند عمر ، فقال :

ان أحدا لا يستطيع أن يتغير عن صورته التى خلقه الله تعالى عليها .

ولكن لهم سحرة كسحرتكم ، فاذا رأيتم ذلك فأذنوا .

وحدثنا محمد بن يزيد الآدمى حدثنا معن بن عيسى عن جرير ابن حازم عن عبد الله بن عبيد ابن عمير قال سئل رسول الله صلى الله عليه وسلم عن الغيلان ، قال : هم سحرة الجن ..

ورواه ابراهيم بن هراسة عن جرير ابن حازم عن عبد الله بن عبيد عن جابر ووصله ..

وحدثنا محمد بن ادريس ، حدثنا أحمد بن يونس ، حدثنا أبو شهاب عن يونس عن الحسن عن سعد ابن أبى وقاص قال : أمرنا اذا رأينا الغول أن نادى بالصلاة (٢) ..

وقال أبو القاسم الانصارى فى شرح الارشاد :

واعلم أن الله تعالى باين بين الملائكة والجن والانس فى الصور والأشكال ، كما باين بينهما فى الصفات .. .. ..

فان قلب الله تعالى الملك الى بنية الانسان ظاهرا وباطنا خرج عن كونه ملكا .

وكذلك لو قلب الشيطان الى بنية الانسان لخرج بذلك عن كونه شيطانا (٣) .

وأخبر النبى صلى الله عليه وسلم أن مرور الكلب الأسود يقطع الصلاة ، فقيل له : ما بال الأحمر من الأبيض

---

(١) آكام ص ٢٠
(٢) آكام ص ١٩ — ٢٠
(٣) آكام ص ٢١

من الأسود ، فقال : الكلب الأسود شيطان .. .. ..

قال القاضى أبو يعلى : انما قال ذلك على طريق التشبيه لها بالجن ، لأن الكلب الأسود أشر الكلاب وأقلها نفعا (١) .

دخول الجن بدن المصروع :

فيه خلاف بين العلماء .
أنكره طائفة من المعتزلة .

أقره أهل السنة .

وأقره من المعتزلة طائفة : منهم عمرو بن عبيد من أوائلهم ، والقاضى عبد الجبار من أواخرهم (٢) .

والاخبار فى ذلك غير قاطعة ، ولم نعرف منها خبرا صحيحا ظاهر الدلالة ..

فى حركات المصروع وكلامه :

(أكثر الناس يعتقدون أنه كلام الجن ويضيفونه اليه .

ولا دليل نقطع به على أن ما سمع منه كلام له أو للشيطان ؟ ؟

وانما يصار الى أحدهما بتوقيف مقطوع به) (٣) .

الوسوسة :

يقول الله تعالى : « قل أعوذ برب الناس ، ملك الناس ، اله الناس ، من شر الوسواس الخناس الذى يوسوس فى صدور الناس من الجنة والناس » .

والوسوسة : الحركة والصوت الخفى الذى لا يحس .

فالوسواس : الالقاء الخفى فى النفس .

والخناس : فعال من خنس يخنس اذا توارى واختفى .

قال ابن عقيل : فان قال لك قائل: كيف الوسوسة من ابليس وكيفه وصوله الى القلب ؟

---

(١) آكام ص ٢٢ و ٢٣
(٢) آكام ص ١٠٧
(٣) آكام ص ١٠

قـل : هو كلام على تميل اليه النفوس والطبع .

وهو كالسحر الذى يميل النفس وان لم يكن صوتا مسموعا بالآذان.

قال ابن عباس رضى الله عنه فى قوله تعالى : «الوسواس الخناس» مثل الشيطان كمثل ابن عرس واضع فمه على فم القلب يوسوس اليه فاذا ذكر الله خنس ، وان سكت عاد فهو الوسواس الخناس .

وفى رواية عن أنس بن مالك : أن رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ قال :

(ان الشيطان واضع خطمه على قلب ابن آدم فان ذكر الله خنس ، وان نسى الله التقم قلبه) .

وقال الزمخشرى : كانت الصحابة رضى الله عنهم تقول : ان الشياطين ليجتمعون على القلب كما يجتمع الذبان ، فان لم يذب وقع الفساد .

رسالة الشيطان :

قال العلامة المحدث الشبلى الحنفى (والمراتب التى يدعو اليها الشيطان ست :

فالأولى : مرتبة الكفر والشرك ومعاداة الله تعالى ورسوله فاذا ظفر بذلك من ابن آدم برد أنينه واستراح من تعبه .

الثانية : مرتبة البدعة ، وهى أحب اليه من المعاصى والفسوق .

الثالثة : الكبائر .

الرابعة : الصغائر ، وهى التى اذا اجتمعت أهلكت صاحبها .

الخامسة : الاشتغال بالمباحات التى لا ثواب فيها .

السادسة : الاشتغال بالعمل المفضول عما هو أفضل منه .

حدود الشيطان فى علاقته بالانسان

قال الله تعالى : « وقال الشيطان لما قضى الأمر ان الله وعدكم وعد الحق ووعدتكم فأخلفتكم وما كان لى عليكم من سلطان الا أن دعوتكم فاستجبتم لى فلا تلومونى ولوموا أنفسكم» (سورة ابراهيم آية ٢٢).

وقال تعالى على لسان ابليس :

(قال: رب بما أغويتنى لأزينن لهم

فى الأرض ولأغوينهم أجمعين الا عبادك منهم المخلصين •

قال : هذا صراط علىَّ مستقيم•

ان عبادى ليس لك عليهم سلطان لا من اتبعك من الغاوين) •

(سورة الحجر١٥ الآيات من ٣٩ ــ ٤٢) •

ويقول تعالى :

(فاذا قرأت القرآن فاستعذ بالله من الشيطان الرجيم •

انه ليس له سلطان على الذين آمنوا وعلى ربهم يتوكلون ، انما سلطانه على الذين يتولونه والذين هم به مشركون) •

(سورة النحل١٦ : الآيات ٩٨ــ ١٠٠) •

(ان عبادى ليس لك عليهم سلطان وكفى بربك وكيلا) (سورة الاسراء ١٧ آية ٦٥) ••

وروى مسلم بسنده قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : ،

(ان ابليس قد يئس أن يعبده المصلون ، ولكن فى التحريش بينهم ••) •

وروى مسلم وأبوداود عن جابر أنه سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : اذا دخل الرجل منزله فذكر اسم الله عند دخوله وعند طعامه قال الشيطان : لا مبيت لكم ولا عشاء ••) (١) •

أى يقوله لاخوانه •

المنهج الاسلامى فى الاعتصام من الجن:

١ ــ الاستعاذة بالله

يقول الله تعالى: (واما ينزغنك من الشيطان نزغ فاستعذ بالله انه سميع عليم •

ان الذين اتقوا اذا مسهم طائف من الشيطان تذكروا فاذا هم مبصرون •

واخوانهم يمدونهم فى الغى ثم لا يقصرون) (الأعراف ٧ الآيات ٢٠٠ ــ ٢٠٢) •

ويقول تعالى : (واما ينزغنك من

---

(١) آكام ص ٢٥

الشيطان نزغ فاستعذ بالله انه هو السميع العليم) (فصلت ٧ الآية ٣٦) .

وفى الصحيحين : أن رجلين استبا عند النبى صلى الله عليه وسلم حتى احمر وجه أحدهما فقال النبى صلى الله عليه وسلم : انى لأعلم كلمة لو قالها لذهب عنه ما يجد :

ـ (أعوذ بالله من الشيطان الرجيم) .

٢ ـ قراءة المعوذتين :

روى الترمذى من حديث الجريرى عن أبى نضرة عن أبى سعيد قال : « كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يتعوذ من الجان وعين الانسان حتى نزلت المعوذتان فلما نزلت أخذ بهما وترك ما سواهما ، قال الترمذى : هو حديث حسن غريب .

٣ ـ قراءة آية الكرسى :

ففى الصحيح من حديث محمد ابن سيرين عن أبى هريرة قال : وكلنى رسول الله صلى الله عليه وسلم بحفظ زكاة رمضان ، فأتانى آت فجعل يحثو من الطعام ، فأخذته فقلت : لأرفعنك الى رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ فقال : اذا أويت الى فراشك فاقرأ آية الكرسى ، لن يزال عليك من الله حافظ ، ولا يقربك شيطان حتى تصبح ، فقال النبى ـ صلى الله عنيه وسلم ـ صدقت وهو كذوب ، ذاك شيطان ..

٤ ـ قراءة سورة البقرة :

ففى الصحيح من حديث سهيل عن أبيه عن أبى هريرة : أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : لا تجعلوا بيوتكم قبوراً وان البيت الذى تقرأ فيه البقرة لا يقربه شيطان .

٥ ـ قراءة خاتمة سورة البقرة :

فقد ثبت فى الصحيح من حديث أبى مسعود الأنصارى قال : قال رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ من قرأ الآيتين من آخر سورة البقرة فى ليلته كفتاه .

وروى الترمذى من حديث النعمان ابن بشير عن النبى ـ صلى الله عليه وسلم ـ قال : ان الله كتب كتابا أنزل منه آيتين ختم بهما سورة البقرة فلا يقرآن فى بيت ثلاث ليال فيقربه شيطان .

٦ ـ قراءة أول سورة حم المؤمن الى قوله اليه المصير مع آية الكرسى :

ففى الترمذى من حديث عبد الرحمن بن أبى بكر ابن أبى مليكة عن زرارة بن مصعب عن سلمة عن أبى هريرة قال ـ قال : رسول الله صلى الله عليه وسلم : من قرأ حم المؤمن الى قوله : اليه المصير ، وآية الكرسى حين يصبح حفظ بهما حتى يمسى ، ومن قرأهما حين يمسى حفظ بهما حتى يصبح •

٧ ـ قراءة : لا اله الا الله وحده له الملك وله الحمد وهو على كل شىء قدير ، مائة مرة :

ففى الصحيح من حديث سمرة ابن أبى بكر عن أبى صالح عن أبى هريرة رضى الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم ـ قال: من قال: لا اله الا الله وحده لاشريك له ، له الملك وله الحمد وهو على كل شىء قدير مائة مرة كانت له عدل عشر رقاب ، وكتب له مائة حسنة ومحيت عنه مائة سيئة ، وكانت له حرزاً من الشيطان يومه ذلك حتى يمسى •

٨ ـ كثرة ذكر الله عز وجل :

ففى الترمذى من حديث الحارث ابن الأشعرى أن النبى صلى الله وسلم قال : ان الله تعالى أمر يحيى ابن زكريا بخمس كلمات :

وذكر الحديث وجاء فيه :

وأمركم أن تذكروا الله تعالى فان مثل ذلك كمثل رجل خرج العدو فى أثره سرعان حتى أتى على حصن حصين فأحرس نفسه منهم ، كذلك العبد لا يحرز نفسه من الشيطان الا بذكر الله تعالى •• الخ •

قال الترمذى : هذا حديث حسن صحيح •

٩ ـ الوضوء والصلاة هما من أعظم ما يتحرز به :

وفى السنن : قال النبى صلى الله عليه وسلم : ان الغضب من الشيطان وان الشيطان من النار وانما تطفأ النار بالماء فاذا غضب أحدكم فليتوضأ •

١٠ــ امساك فضول النظر والكلام والطعام ومخالطة الناس :

فان الشيطان انما يتسلط على ابن آدم من هذه الأبواب الأربعة :

ففى مسند أحمد عن النبى صلى الله عليه وسلم انه قال : النظرة سهم مسموم من سهام ابليس فمن غض بصره لله عز وجل أورثه الله حلاوة يجدها فى قلبه الى يوم يلقاه (١) .

فى بساطة التخلص من الشيطان :

فى رواية للامام أحمد بن حنبل بسنده عن الحارث بن قيس قال : اذا أتاك الشيطان وأنت تصلى فقال أنت ترائى ، فزدها طولا .

وفى رواية لابن أبى داود بسنده عن أبى حازم قال : أتاه رجل فقال يا أبا حازم ان الشيطان يأتينى فيوسوس الىَّ ، وأشده عندى أن يأتينى فيقول : انك طلقت امرأتك .

فقال له أبوحازم : أو لم تأتنى فتطلقها عندى ، قال: والله ما طلقتها عندك قط .

قال : فاحلف للشيطان كما حلفت لى .

وروى مسلم من حديث عثمان بن أبى العاص قال : قلت : يارسول الله ان الشيطان قد حال بينى وبين صلاتى وبين قراءتى ، فلبَّسها علىَّ .

فقال رسولُ الله صلى الله عليه وسلم : اذا أحسست به فتعوذ بالله منه ، واتفل عن يسارك ثلاثا .

قال : ففعلت ذلك فأذهبه الله عنى ..

المنهج غير الاسلامى فى الاعتصام من الجن :

بعد أن يصف ابن تيمية الاستعانة على الجن بالذكر والقرآن والاستقامة يقول ــ :

(وأما الاستعانة عليهم بما يقال ويكتب مما لا يعرف معناه فلا يشرع استعماله ــ ان كان فيه شرك ، فان ذلك محرم ، وعامة ما يقوله أهل العزائم فيه شرك ، وقد يقرءون مع

---

(١) آكام ص ٩٥ ــ ٩٨

ذلك شيئا من القرآن ويظهرونه ويكتمون ما يقولونه من الشرك .

وفى الاستشفاء بما شرعه الله تعالى ورسوله مايغنى عن الشرك وأهله(١).

وفى الصحيح عن النبى صلى الله عليه وسلم أنه رخص فى الرقى ما لم يكن شركا ، وقال : من استطاع أن ينفع أخاه فليفعل .

وفى التطيب والاستشفاء بكتاب الله عز وجل غنى تام ، ومقنع عام ، وهو النور والشفاء لما فى الصدور.

ولهذا نهى علماء المسلمين عن الرقى غير المفهومة المعنى، لأنها مظنة الشرك ، وان لم يعرف الراقى انها شرك ، ومن رتع حول الحمى يوشك أن يقع فيه (٢) ..

وان اللجوء الى الرقى الغامضة ، أو الى غير المنهج الاسلامى بصفة عامة لهو فى حد ذاته زيادة ارتباط بالشيطان وليس تخلصا منه :

روى الامام أحمد بسنده عن عبد الله بن مسعود :

كان نفر من الانس يعبدون نفراً من الجن فأسلم النفر من الجن واستمسك هؤلاء بعبادتهم ، فأنزل الله « أولئك الذين يدعون يبتغون الى ربهم الوسيلة أيهم أقرب » (٣).

وروى الامام أحمد بسنده عن عبد الله بن مسعود قال :

خط رسول الله صلى الله عليه وسلم خطا بيده ثم قال : هذا سبيل الله مستقيما . ثم عن يمينه وشماله ثم قال : هذه السبل ليس منها سبيل الا عليه شيطان يدعو اليه ، ثم قرأ « وأن هذا صراطى مستقيما فاتبعوه ولا تتبعوا السبل ٦ : ١٥٣ » .

ليس الجن وحده :

أما اذا لم تنفع الوسائل التى شرعها الاسلام فى التخلص من المتاعب النفسية ، فهذا قاطع فى أنها ليست من الشيطان ..

---

(١) آكام ص ١١٣
(٢) آكام ص ١٠٤
(٣) آكام ص ١٢٢

وليس الشيطان وحده مصدر الاضلال للانسان •

ولقد بين القرآن الكريم أن الوسوسة نوعان: نوع من الشيطان، ونوع من الانسان ••

يقول العلامة الشبلى الحنفى :

ان قوله تعالى : « من الجنة والناس » ، بيان للذى يوسوس وأنهم نوعان : انس ، وجن •

فالجنى يوسوس فى صدر الانسى •

والانسى يوسوس أيضا الى الانسى •

فالموسوس نوعان : انس، وجن •

وقد قدمنا : أن الوسوسة هى الالقاء الخفى فى القلب ، وهذا يشترك بين الجن والانس •

وقد دل القرآن على أن من الانس شياطين كشياطين الجن لقوله تعالى :

« وكذلك جعلنا لكل نبى عدوا شياطين الانس والجن ٦:١١٢ » •

ولا يقتصر الأذى الذى يتعرض له الانسان على ما يأتيه من وسوسة الشيطان ، أو وسوسة الناس •

فهناك النفس الفردية ذاتها •

« وما أبرىء نفسى ، ان النفس لأمارة بالسوء الا ما رحم ربى » •

وهنا ينبغى على المرء أن ينتقل من معالجة الشيطان على الوجه الذى بيناه فى المنهج الاسلامى الى معالجة النفس ذاتها على المنهج الاسلامى أيضا •

***

ويتلخص منهج الاسلام فى معالجة النفس فى قوله تعالى :

« والعصر ان الانسان لفى خسر، الا الذين آمنوا وعملوا الصالحات وتواصوا بالحق وتواصوا بالصبر» صدق الله العظيم ••

وبالله التوفيق ••

د • يحيى هاشم

أركان اقتصاد الحرب فى الإسلام

للواء محمد جمال الدين محفوظ

ان ارتباط القوة الحربية بالاقتصاد فى الاسلام من المبادىء الأساسية للاستراتيجية العسكرية الاسلامية ، بمقتضى التكليف القرآنى بالجهاد بالمال والأنفس ، واتساع مجال القوة الذى ورد مطلقا فى الآية الكريمة « وأعدوا لهم ما استطعتم من قوة » ، ليشمل القوة الاقتصادية مع غيرها من مصادر القوة المادية والمعنوية .

وعملا بهذا التوجيه القرآنى ، فان الأمة الاسلامية تضع اعتبارات الاستراتيجية العسكرية فى حسابها وهى تضع خطط التنمية الاقتصادية . فاذا واجهت تهديدا بالحرب أو هبت للدفاع لرد العدوان عليها كان عليها أن تحول اقتصادها الى ما يسمى باقتصاد الحرب ، حتى يصبح البنيان الاقتصادى قادرا على تلبية مطالب الحرب واحتياجاتها .

ونستطيع أن نستخلص الأركان التى يقوم عليها اقتصاد الحرب فى الاسلام فيما يلى :

الركن الأول :

التخطيط الاقتصادى

يعتبر التخطيط الاقتصادى من أفضل الأساليب العملية للربط بين الاستراتيجية العسكرية والاقتصاد بحيث يمكن استخدام الموارد الانتاجية للأمة بسرعة وفاعلية وقت الحرب .. فان مقتضى التكليف بالجهاد بالمال ، أن يكون المال مال الأمة وهى تحارب لدفع العدوان . ومن ثم فان التخطيط الاقتصادى يكفل توجيه المال نحو الأهداف المنشودة لصالح الدفاع عن الأمة وأمنها ، بعيدا عن أشكال الاحتكار أو التنافس على الأرباح أو غير ذلك مما يعيق اندفاع عجلة التنظيم الاقتصادى .

الركن الثانى :

التكامل الاقتصادى للأمة الاسلامية

والتكامل الاقتصادى مطلب بالغ الحيوية لتحقيق أمن الأمة الاسلامية، لأن التكامل يكفل لها الاكتفاء الذاتى الذى هو بدوره مطلب حيوى لبناء القوة المنشودة التى تستطيع أن ترهب الأعداء وتخيفهم من عاقبة عدوانهم والتى تستطيع أن تهزمهم لو اعتدوا .

أما اذا لم تحقق الأمة الاسلامية الاكتفاء الذاتى فسوف تصبح تحت رحمة الاحتكارات الدولية أو تقلبات السياسة والمصالح العالمية ، ولن تتمكن من بناء قوتها كما ينبغى أن تكون ، وبذلك تكون قد قصرت فى الوفاء بالمهمة التى كلفت بها باعداد القوة التى ترهب أعداءها .

لذلك فالتكامل الاقتصادى هو الضمان الأكيد لفاعلية القوة واستمرارها وتطورها فى كل عصر .

الركن الثالث :

العمل وزيادة الانتاج

ان العمل والانتاج من العناصر الأساسية للبنيان الاقتصادى ، وتزيد أهميتهما فى أوقات الشدة والحروب ، حيث تصبح زيادة الانتاج من الضرورات الحيوية التى تفرضها المعركة للأسباب الآتية :

• فى وقت الحرب تتضاعف طلبات القوات المسلحة من المؤن والذخائر والأسلحة والوقود وغيرها .

• مطالب القوات المسلحة وقت الحرب لاتحتمل التأجيل أوالتعرض للأزمات أو الاختناقات لما فى ذلك من خطر على نتيجة المعركة ومصير الأمة ، لذلك يستدعى الأمر الاحتفاظ فى المخازن والمستودعات بكميات كبيرة من مختلف السلع والمواد اللازمة سواء للقوات المسلحة أو للشعب عامة .

• فى وقت الحرب تتعرض « أدوات الانتاج » كالمصانع والمنشآت الاقتصادية والمستودعات ووسائل النقل ، للاصابة أو التدمير

من جراء أعمال العدو الحربية الأمر الذى يستدعى زيادة الانتاج لتعويض الخسائر .

• ثم ان أهمية العمل وزيادة الانتاج تزداد وقت الحرب ، لأنه بمقتضى اعلان النفير العام (التعبئة العامة) فان كثيرا من العاملين فى المصانع والمزارع وغيرها من مصادر الانتاج ، يستدعون(١) للانتظام فى صفوف الجيش للقتال ، الأمر الذى يؤثر فى الكفاءة الانتاجية لمصادر الانتاج المذكورة . فيصبح من الضرورى فى تلك الحالة أن تعمل هذه المصادر على سد الفراغ لكى تظل محتفظة بكفايتها الانتاجية، ويتحقق ذلك بالتدريب الجيد للعاملين الجدد ، وبرفع كفاءة جميع العاملين ليتقنوا العمل ويزيدوا من الانتاج الى غير ذلك من التدابير .

ومن أجل تعبئة هذه القوى والقدرات يوجه الاسلام الى الاخلاص فى العمل واتقانه كما فى قوله تعالى :

• « انا جعلنا ما على الأرض زينة لها لنبلوهم أيهم أحسن عملا» (الكهف ٧) .

• « وقل اعملوا فسيرى الله عملكم ورسوله والمؤمنون وستردون الى عالم الغيب والشهادة فينبئكم بما كنتم تعملون » (التوبة ١٠٥) .

---

(١) تشمل القوة العسكرية لأية دولة ما يسمى بالقوات العاملة والقوات الاحتياطية ، والقوات العاملة (أو النظامية) يكون أفرادها متفرغين تماما للخدمة العسكرية ، وهى الأساس الذى تتألف منه القوات المسلحة فى السلم وعند قيام الحرب ، ويتوقف حجم القوات العاملة على الظروف الاستراتيجية للدولة من حيث مدى تعرضها للتهديد ومدى قدرتها الاقتصادية وغيرها أما القوات الاحتياطية فهى تضم كل فرد أدى خدمته العسكرية فى القوات العاملة وعاد الى ممارسة عمله فى الحياة المدنية ، لكنه يعتبر فى سجل الاحتياط لفترة زمنية تحددها القوانين . ويستدعى أفراد الاحتياط فى حالة التعبئة الجزئية أو العامة فى ظروف الحرب للاشتراك فى القتال ، وتعتبر القوات الاحتياطية هى الرصيد الحقيقى لقوة الدولة العسكرية .

• « ان الذين آمنوا وعملوا الصالحات انا لا نضيع أجر من أحسن عملا » (الكهف ٣٠) •

• « وآخرون يضربون فى الأرض يبتغون من فضل الله وآخرون يقاتلون فى سبيل الله » (المزمل ٢٠) •

وكما فى قول الرسول صلى الله عليه وسلم :

• « من أمسى كالا من عمل يده ، أمسى مغفورا له » •

• « ان الله يحب اذا عمل أحدكم عملا أن يتقنه » •

• « ان الله يحب المؤمن المحترف » •

وأشاد النبى صلى الله عليه وسلم بالرجل الذى رآه يضرب اللبن فى بناء المسجد النبوى بأحسن مماكان يضربه أخوه فقال : « الزم هذا ، فانى أراك تحسنه ، ورحم الله امرأ أحسن من صنعته » •

وقال عليه الصلاة والسلام لمعاذ وقد وجد فى يده خشونة من العمل: « يد لن تمسها النار » وكررها •

وعن كعب بن عجرة رضى الله عنه ، مر رجل على رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فرأى أصحاب رسول الله من جلده ونشاطه ، فقالوا : يا رسول الله ، لو كان هذا فى سبيل الله ؟ فقال الرسول : « ان كان خرج يسعى على ولده صغارا فهو فى سبيل الله ، وان كان خرج يسعى على أبوين شيخين كبيرين فهو فى سبيل الله ، وان كان يسعى على نفسه يعفها فهو سبيل الله ، وان كان خرج رياء ومفاخرة ، فهو فى سبيل الشيطان » •

وقال عليه الصلاة والسلام « ما من مسلم يغرس غرسا أويزرع زرعا فيأكل منه طير أو انسان أو بهيمة الا كان له به صدقة » •

كذلك يوجه الاسلام الى التخطيط العلمى الذى هو أساس اتقان العمل وزيادة الانتاج والاستعداد لمواجهة الأزمات ، وهو ما يفهم من قول الله تعالى :

« قال تزرعون سبع سنين دأبا ، فما حصدتم فذروه فى سنبله

الا قليلا مما تأكلون ، ثم يأتى من بعد ذلك سبع شداد يأكلن ما قدمتم لهن الا قليلا مما تحصنون ، ثم يأتى من بعد ذلك عام فيه يغاث الناس ، وفيه يعصرون » (يوسف ٤٧ ــ ٤٩) •

الركن الرابع :
ضبط الاستهلاك ومحاربة الاسراف

ان ضبط الاستهلاك ومحاربة الاسراف يشكلان الوجه الآخر للعمل وزيادة الانتاج ، فلا يستقيم مع ضرورة العمل ومضاعفة الانتاج أن يكون هناك اسراف أو استهلاك بلا ضوابط •

والاسلام يوجه الى ضبط الاستهلاك ومحاربة الاسراف لكى يتوفر للأمة فائض فى الانتاج يمكنها من مواجهة الأزمات التى تتوقع ــ كما ذكرنا ــ فى حالة الحرب ، كما يجنبها آثار الحصار الاقتصادى أو الاحتكارات العالمية •• يقول الله تعالى :

• « ان المبذرين كانوا اخوان الشياطين وكان الشيطان لربه كفورا » (الاسراء ٢٧) •

• « يا بنى آدم خذوا زينتكم عند كل مسجد ، وكلوا واشربوا ولا تسرفوا انه لا يحب المسرفين » (الأعراف ٣١) •

• « ولا تجعل يدك مغلولة الى عنقك ، ولا تبسطها كل البسط فتقعد ملوما محسورا » (الاسراء ٢٩) •

ويقول الرسول صلى الله عليه وسلم :

• « ما عال من اقتصد » • أى ما افتقر من لا يسرف فى الانفاق ولا يقتر •

• « القصدَ القصد تبلغوا » • أى عليكم بالتوسط فى الأمور تصلوا الى غاياتكم •

• « التبذير انفاق المال فى غير حقه » •

• « الاقتصاد نصف المعيشة » •

• ان الله تعالى يرضى لكم ثلاثا ويكره لكم ثلاثا : فيرضى لكم أن

تعبدوه ولا تشركوا به شيئا ، وأن تعتصموا بحبل الله جميعا ولاتفرقوا، ويكره لكم قيـــل وقال ، وكثرة السؤال ، واضاعة المـال » •

• « كلـوا واشربوا والبسـوا وتصدقوا فى غيراسراف ولامخيلة» •

الركن الخامس :
تحريم الاحتكار واستغلال ظروف الحرب :

ويحرم الاسلام احتكار الأقوات واستغلال ظروف الحـرب لتحقيق الأرباح برفع الأســعار والغش فى المعاملات •

ويصف الله التجار الأمناء الذين يقومون بواجبهم نحو الله والناس ولا تشغلهم أعمالهم عن الله فيقول جل شأنه :

« رجال لا تلهيهم تجارة ولا بيع عن ذكر الله واقام الصـلاة وايتـاء الزكاة يخافـون يوما تتقلب فيــه القلوب والأبصـار ، ليجـزيهم الله أحسن ماعملوا ويزيدهم من فضله ، والله يرزق من يشاء بغير حساب » (النور ٣٧ ــ ٣٨) •

ويقول الرسول صلى الله عليــه وسلم :

• « التاجر الصديق الأمين مع النبيين والصديقين والشهداء » •

• « الجالب مرزوق ، والمحتكر ملعون » •

• « من احتكر طعاما أربعـين يوما فقد برىء من الله ، وبرىء الله منــه » •

وفى صحيح مسلم « أن رسول الله صلى الله عليه وسلم مر على صبرة(١) طعام فأدخل يده فيها فنالت أصابعه بللا • فقال : ما هــذا يا صاحب الطعـام ؟ قال : أصابته السـماء يا رسول الله • قال : أفلا جعلتــه فوق الطعام حتى يراه الناس ؟ من غشنا فليس منا » ، وفيه أيضا أن

(١) الصبره بضم الصاد : الكومة من الطعام ، ويقال اشترى الطعام صبره أى جزافا بلا كيل أو وزن (المعجم الوسيط) .

رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول :

•• اياكم وكثرة الحلف فى البيع فانه ينفق ثم يمحق » أى يروج السلعة ثم يذهب البركة من كسب البائع •

وينهى الاسلام البائع أن يسمع المشترى من الأيمان الكاذبة ما يخدعه به ، ويوهمه أن بضاعته لا نظير لها ، وأنها أجود من بضاعة غيره ، وأرخص مما يباع فى جميع الحوانيت والله يعلم أنه لكاذب « ويحلفون على الكذب وهم يعلمون ، أعد الله لهم عذابا شديدا انهم ساء ما كانوا يعملون » (المجادلة ١٤) •

محمد جمال الدين محفوظ

صن النفس واحملها على ما يزينها
تعش سالما والقول فيك جميل
ولا ترين الناس الا تجملا
نبا بك دهر أو جفاك خليل
وان ضاق رزق اليوم فاصبر الى غد
عسى نكبات الدهر عنك تزول
يعز غنى النفس ان قل ماله
ويغنى غنى المال وهو ذليل

« على بن ابى طالب »

من الفقه المقارن :

حكم قراءة المأموم

لفضيلة الدكتور ابراهيم دسوقى الشهاوى

اتفق الفقهاء على أن المنفـرد فى الصلاة يجب عليه أن يقرأ فيها شيئا من القـرآن سـواء أكان الفاتحة بخصـوصها ، كما ذهب اليـه الجمهور ، أم كان الفاتحة أو غيرها من سور القـرآن كما ذهب اليـه الحنفية .

ثم اختلفـوا فى حكم قـراءة المـأموم ، على ثلاثة أقوال :

القول الأول :

إن المـأموم يجب عليـه قراءة الفاتحة ، سواء أكانت الصلاة جهرية أم كانت سرية ، وسواء أكان يسمع صوت امامه فى الجهـرية أم كان لا يسمعه لبعده عنه أو نحوه ، ذهب الى ذلك الشافعية وبعض الصحابة وبعض التابعين(١) .

القول الثانى :

ان المـأموم يجب عليـه قراءة قرآن ، فاتحة أو غيرها من القرآن ، سواء أكانت الصلاة سرية أم كانت جهرية ، وسواء أكان يسمع صوت امامه فى الصلاة الجهـرية أم كان لا يسمعه لبعده عنه أو نحـوه ، وذهب الى ذلك الحنفية والمـالكية والحنـابلة فى المشـهور عنهم كما ذهب اليه الثورى وابن عيينه .

القول الثالث :

أن المـأموم يجب عليه قـراءة الفاتحة فى الصلاة السرية والجهرية

(١) ثم اختلف الشافعية ومن وافقهم فى محل قراءة المأموم الفاتحة فقال بعضـهم : يقرؤها حال سكتات الامام ، وقال بعضـهم : يقرؤها حال قراءة الامام الفاتحة ، ، وقال بعضهم يقرؤها حال قراءة الامام للسورة .
وهذه مسألة مستقلة وغير مقصودة لنا بالمقارنة .

التى لا يسمع فيها امامه لبعده عنه ونحوه ، ولا يجب عليه قراءة الفاتحة فى الصلاة الجهرية التى يسمع فيها امامه ، ذهب الى ذلك الشيعة واسحاق وابن المبارك والزهرى ، وهو قول لمالك وأحمد (١) .

الأدلة

استدل أصحاب القول الأول :

على أن المأموم يجب عليه قراءة الفاتحة فى الصلاة الجهرية والسرية : بالسنة ، والقياس :

فأولا : مارواه أبوداودوالترمذى عن عبادة بن الصامت ، أنه قال : صلى رسول الله — صلى الله عليه وسلم — الصبح ، فثقلت عليه القراءة ، فلما انصرف قال « انى أراكم تقرءون وراء امامكم » قال : قلنا : يا رسول الله أى والله ، قال : « لا تفعلوا الا بأم القرآن ، فانه لا صلاة لمن لم يقرأ بها » .

ووجه الدلالة :

أن قوله « لا تفعلوا » نهى عن قراءة أى شىء من القرآن خلف الامام ، وقوله « الا بأم القرآن » استثناء منه ، وقوله : « فانه لاصلاة لمن لم يقرأ بها » علة المستثنى ، وهذا كله نص فى وجوب قراءة الفاتحة على المأموم فى الصلاة الجهرية ، واذا وجبت قراءة الفاتحة فى الجهرية على المأموم ، وجبت عليه بالأولى فى الصلاة السرية .

ورد هذا الدليل :

بأنه لا يصلح للاحتجاج به ، لأنه من رواية ابن اسحاق ونافع بن محمود ابن الربيع ، وقد تكلم أهل العلم بالحديث فيهما ، فقالوا : ان ابن اسحاق مدلس ونافعا أدنى منه حالا ، ذكر ذلك ابن قدامة المقدسى فى كتابه الشرح الكبير .

وثانيا :

ما رواه البخارى ومسلم عن عبادة بن الصامت عن النبى — صلى

---

(١) ثم اختلف القائلون : بأن المأموم لا يجب عليه القراءة ، فى حكم القراءة بعد ذلك ، فذهب بعضهم الى حرمة القراءة وذهب بعضهم الى أنها تستحب فى الصلاة السرية وتكره فى الصلاة الجهرية .

وهذه مسألة مستقلة وغير مقصودة لنا بالمقارنة .

الله عليه وسلم ــ أنه قال : « لاصلاة لمن لم يقــرأ بأم القرآن » .

ووجه الدلالة :

أن النبى ــ صلى الله عليه وسلم ــ نفى صحة صــلاة من لم يقــرأ بأم القرآن ، وهــذا النفى عام يتناول المـأموم والمنفــرد ، كما يتنــاول الصلاة مطلقا : سريةكانت أمجهرية. فيفيد وجوب قراءة أم القــرآن فى الصلاة على المـأموم والمنفــرد ، سواء أكانت الصلاة سرية أم كانت جهرية ، لتناول النص لهما .

ورد هــذا الدليل :

بأنه عام خص منــه المـأمــوم بالأحاديث الدالة على عدم وجــوب قراءة أم القــرآن على المـأموم ، فالحديث خاص بالمنفرد فى الصــلاة ولا حجــة فيه على وجــوب قراءة أم القرآن على المـأموم ، ســواء أكانت الصــلاة ، جهــرية أم كانت سرية .

واما القياس :

فقاسوا : قراءة المـأموم فاتحة الكتاب على قراءة المنفــرد فاتحــة الكتاب ، بجامع آن كلا منهما ركن من أركان الصلاة لا توجد الصلاة الا به ، فكما تجب قراءة الفاتحــة فىالصلاة على المنفرد ، سواء أكانت الصلاة جهرية أم سرية ، فكذلك فىالصلاة على المنفرد ، سواء أكانت الصلاة جهرية أم سرية .

ورد هــذا القياس

بأنه قيــاس فى مقــابلة النص فلا يحتــج به ، والنص هو قــوله تعــالى : « واذا قرىء القــرآن فاســتمعوا له وأنصــتوا لعــلكم ترحمون » (١) فانه أقام الاستماع مقام القراءة فى الصــلاة الجهرية ، وأقام الانصــات مقام القــراءة فى الصلاة الجهرية والسرية . والقياس فى مقابلة النص فاســد الاعتبار . فلا يجب به على المـأموم قــراءة خلف الامام سواء أكانت الصــلاة جهرية أم كانت سرية .

واستدل أصحاب القول الثانى :

على أن المـأموم لا يجب عليــه القــراءة خلف الامام بالفاتحــة

---

(١) الآية (٢٠٤) من سورة الأعراف .

ولا بغيرها من القرآن سواء أكانت الصلاة جهرية أم سرية . بالكتاب والسنة والقياس :

أما الكتاب :

فقوله تعالى : « واذا قرىء القرآن فاستمعوا له وأنصتوا لعلكم ترحمون (١) .

ووجه الدلالة :

أن هذه الآية نزلت فى شأن الصلاة ، يدل على ذلك ما أخرجه البيهقى عن مجاهد أنه قال : كان رسول الله — صلى الله عليه وسلم — يقرأ فى الصلاة فسمع قراءة فتى من الأنصار ، فنزل قوله تعالى : « واذا قرىء القرآن فاستمعوا له وأنصتوا لعلكم ترحمون ، وأخرج البيهقى — أيضا — عن الامام أحمد : أنه قال : « أجمع الناس على أن هذه الآية فى الصلاة » .

وقوله تعالى : « فاستمعوا له وأنصتوا » أمر والأمر للوجوب .

فالآية قد أوجبت على المصلين المأمومين الاستماع وهو انما يكون فى حالة الجهر ، وأوجبت عليهم الانصات ، وهو يعم حالة الجهر وحالة السر . ووجوب الاستماع والانصات على المأموم خلف الامام يستلزم عدم وجوب قراءة عليه ، فاتحة أو غيرها من سور القرآن ، سواء أكانت الصلاة جهرية أم كانت سرية .

ورد هذا الدليل :

بأن وجوب الاستماع والانصات فى الآية عام بالنسبة الى الفاتحة وغيرها من سور القرآن ، قد خص بالأحاديث الدالة على وجوب قراءة الفاتحة فى الصلاة على المنفرد والمأموم ، سواء أكانت الصلاة جهرية أم كانت سرية ، وصار معنى الآية : واذا قرأ الامام غير الفاتحة فاستمعوا له وأنصتوا . فالآية لا تدل على عدم وجوب قراءة الفاتحة على المأموم ، سواء أكانت الصلاة جهرية أم سرية .

وأما السنة :

فما رواه الدارقطنى عن عبد الله ابن شداد عن جابر عن النبى —

(١) الآية (٢٠٤) من سورة الأعراف .

صلى الله عليه وسلم ـ أنه قال « من كان له امام فقراءة الامام له قراءة » .

ووجه الدلالة :

أن الحديث صريح فى أن قراءة الامام تقوم مقام قراءة المأموم سواء أكانت الصلاة جهرية أم كانت سرية ، فلا تجب القراءة على المأموم خلف الامام ، فاتحة أو غيرها من سور القرآن .

ورد هذا الدليل :

بأنه عام فى قراءة الفاتحة وغيرها من سور القرآن ، وقد خص بغير الفاتحة ، فأصبح بعد تخصيصه يدل على أن قراءة الامام للمأموم فى غير الفاتحة .

وأما القياس :

فقد قاسوا : قراءة المأموم على قراءة المسبوق ، بجامع أن القراءة ركن من أركان الصلاة . فكما تسقط القراءة عن المسبوق فكذلك تسقط عن المأموم . فلا تجب عليه قراءة فاتحة أوغيرها ، سواء أكانت الصلاة جهرية أم سرية .

ورد هذا القياس :

بأنه قياس مع الفارق ، فان سقوط القراءة عن المسبوق انما كانت لفوات محلها وهو القيام . وهذا غير متحقق فى المأموم ، والقياس مع الفارق غير صحيح فلايحتج به .

واستدل أصحاب القول الثالث :

على أن المأموم يجب عليه قراءة الفاتحة فى الصلاة السرية والجهرية التى لا يسمع فيها امامه ، ولا يجب عليه قراءة الفاتحة فى الصلاة الجهرية التى يسمع فيها امامه بالسنة وهى أحاديث كثيرة نذكر منها حديثين لظهور دلالتهما .

الحديث الأول :

ما رواه الدارقطنى عن أبى هريرة عن النبى ـ صلى الله عليه وسلم ـ أنه قال : اذا أسررت بقراءتى فاقرءوا واذا جهرت فلا يقرأن معى أحد .

ووجه الدلالة :

من هذا الحديث أنه نص فى وجوب القراءة فى الصلاة السرية حيث أمر بها النبى ـ صلى الله عليه وسلم ـ أمرا صريحا ، ويلحق بها الجهرية التى لايسمع فيها المأموم امامه ، لأن الجهر مداره بالنسبة الى المأموم

هو سماعه فحيث لم يسمع كان كأنه فى صلاة سرية ويجب عليه القراءة خلف الامام • كما أنه نص فى عدم وجوب القراءة فى الجهرية، ويؤكد عدم الوجوب النهى عن القراءة بقوله « فلا يقرأن معى أحد » •

الحديث الثانى :

ما رواه أبوداود والنسائى والترمذى عن أبى هريرة ، أنه قال: ان رسول الله — صلى الله عليه وسلم — انصرف من صلاة جهر فيها بالقراءة ، فقال : هل قرأ معى أحد منكم آنفا ؟ فقال رجل : نعم يارسول الله ، قال : فانى أقول : مالى أنازع القرآن ، قال : فانتهى الناس عن القراءة مع رسول الله — صلى الله عليه وسلم — فيما يجهر فيه رسول الله — صلى الله عليه وسلم — من الصلوات بالقراءة حين سمعوا ذلك من رسول الله — صلى الله عليه وسلم •

ووجه الدلالة :

أن قوله « مالى أنازع القرآن » انكار منه — صلى الله عليه وسلم — على من قرأ ، وهذا الانكار دليل واضح على عدم وجوب القراءة فى الصلاة الجهرية مؤكد بمايفيد النهى عن القراءة ، وقد فهم الصحابة — رضى الله عنهم — أنه مختص بالصلاة الجهرية فانتهوا عن القراءة فيها خلف الامام ، أما الصلاة السرية فهى على الأصل من وجوب القراءة فيها •

ورد الاستدلال بالحديثين :

أنهما عامان فى القراءة بالفاتحة وغيرها من سور القرآن ، وقد خصا بقراءة الفاتحة فى حديث عباد « لا تفعلوا الا بأم القرآن ، فانه لا صلاة لمن لم يقرأ بها » فانه وارد فى الصلاة الجهرية ، فالحديثان لا دلالة فيهما على عدم وجوب الفاتحة فى الصلاة الجهرية •

القول الراجح

ان الناظر فى مسألة قراءة المأموم، وخصوصا المستوعب لها يتضح له أن الأدلة التى تمسك بها أصحاب الأقوال المختلفة أكثر من أن تحصى، وكلها ظاهرها التعارض اذا اعتبرنا نظر كل واحد الى ما تمسك به •

وكلها متكلم فى سـندها اذا اعتبرنا نظر المخالف لمـا تمسك به مخالفه ، ولذلك يخيل الينا أنهـا معـركة : « أولا » : فى التعديل والتجريح .

وثانيا : فى بيـان وجهة الدلالة على المطلوب لكل واحد ، والناظر فى هـذه المعركة أظن أنه سـوف لا يخرج منها الا بأن المسألة لادليل عليها . ولكن لمـا كان لابد بعـد عرض أقوال المختلفين فى المسـألة أن نؤيد كل قول بدليـل ــ بدأت فاستوعبت ما أمكننى استيعابه من الأدلة ، ثم اخترت لكل قول بعض الأدلة التى فى بادىء يظن أنها تدل على المطلـوب ، ثم أوردت عليهـا ما اعترض به عليها . فكانت النتيجة أن جميع الأدلة لا تصـلح للحجية لتعارضـها ، لذلك كان لا بد أن تتلمس مرجحا لأحدها يجب العمل بمقتضاه .

هذا والراجح فى نظرنا هو ماذهب اليه أصحاب القول الثالث من القول بأن المـأموم يجب عليه القـراءة خلـف الامام فى الصـلاة السرية والجهرية التى لا يسمع فيها امامه ، ولا يجب عليه القراءة فى الصـلاة الجهرية التى يسمع فيهـا امامه ، لمـا يترتب على الجهر فى الجهـرية من التباس القراءة وعدم ضبطها ، ولأن فى الصلاة السرية اذا لم يشغل المـأموم نفسـه بالقـراءة ووقف ساكتا ذهبت نفسـه مذاهب شتى وفكر فى غير الصلاة ، وربما خرج بقلبه من الصـلاة ، فرجوعا به الى الواجب عليـه وهو منفرد خير من تركه تتراكم عليـه الوسـاوس والأوهام من كل ناحية ، حتى يخرج عن خشوعه وخضوعه . والله أعلم بالصواب .

د / ابراهيم دسوقى الشهاوى

... فالاسلام ليس عقيدة صوفية ولا هو فلسفة ، ولكنه نهج من الحياة حسب قوانين الطبيعة التى سنها الله لخلقه ، وما عمله الأسمى سوى التوفيق التام بين الوجهتين الروحية والمـادية فى الحياة الانسانية .

الاسلام فى مفترق الطرق

رجال الله...

ميمون بن أبى شبيب

التحرير

قال ميمون : أردت الجمعة زمن الحجاج ، فتهيأت للذهاب ، ثم قلت : أذهب وأصلى خلف هذا (الحجاج) ؟ ، فقلت مرة أذهب وقلت مرة لا أذهب ، فأجمعت رأيى على الذهاب ، فنادانى مناد من من جانب البيت : « ياأيها الذين آمنوا اذا نودى للصلاة من يوم الجمعة فاسعوا الى ذكر الله » فذهبت ! وجلست مرة أكتب كتابا فعرض لى شىء ان انا كتبته فى كتابى زين كتابى وكنت قد كذبت وان أنا تركته كان فى كتابى بعض القبح وكنت قد صدقت ، فقلت مرة أكتبه ، وقلت مرة لا أكتبه ، فأجمعت رأيى على تركه فنادانى مناد من جانب البيت : « يثبت الله الذين آمنوا بالقول الثابت فى الحياة الدنيا وفى الآخرة » .

فتركته :

هذا كل ما ذكره الاصبهانى من كلام أبى نصر ميمون بن أبى شبيب ، الفقيه المحدث الشهيد ، وفيه يتكشف جانب من نفسه الطيبة هو الجانب المبارك الذى يتميز به السالكون لهذا الطريق المشرق الى الله ، فهم دائما حتى فى دقائق أعمالهم ، يسيرون بهذا الشعاع الهادى من قلوبهم الحية العامرة ، ويستوحون المنطقة القدسية الرائقة فى نفوسهم الكبيرة : أنهم ينشدون السكينة والرضا فى كل عمل ، وفى كل حركة ويتقدم هذا النشدان فى حياتهم الروحية حتى يكون الرائد الذى يسبق حدود الفقه ويطبعها بطابعه وليس معنى ذلك أن يهمل أحدهم هذه الحدود أو أن يستغنى عن علمها وعن الرجوع اليها ، لا ، فأبو نصر مثلا فقيه محدث ، ولكن معنى ذلك ان فقه الفقيه منهم لم يكن

حملا لأثقال من العلم يجعلها فى رأسه مبوبة مفصلة ثم يمد يده فى كل مسألة ليبحث عن حكمها ... بل كان أمرا أكبر من ذلك ، وأعمق من ذلك ، كان فقها عن الله ... يلتقى فيه الحلال المشروع بالشعور برضاء الله ، والحرام الممنوع بالشعور بغضب الله ، والمشتبه بينهما بالورع الصادق الذى نصح به رسول الله ، وحين يكون الفقه هكذا فقها عن الله : يصبح مركزه الأصيل فى قلب الفقيه الحى وفى مشاعره الأمينة المرهفة ، وتصبح اشارة المرور لسالك هذا الدرب المضىء هى الاشارة التى قررها لسان النبوة (استفت قلبك وان افتاك الناس وافتوك وأفتوك) !! انه مقام جليل يستوى لأصحابه بقدر استواء نفوسهم ورسوخ ما بينهم وبين الله .. ونجهد نحن أنفسنا لبلوغه على قدر ما نطيق معتمدين فى كل مراحل طريقنا اليه على شريعة الله الواضحة فى السراجين الخالدين : كتاب الله وسنة نبيه صلى الله عليه وسلم ! !

واذا استبان ذلك وأنست النفس اليه فلا بأس ان يكون مراد أبى نصر من قوله : (فنادانى مناد من جانب البيت) انه تلقى الهاتف من نفسه المؤمنة الموصولة ببيت الله الحرام.. أليس هذا البيت هو المركز الذى اختاره الله من كل جوانب الأرض ليتجه اليه العابدون ركعا سجدا ؟ وليس عنده يطوف الطائفون ولا يحل لهم طواف عند سواه ؟ أوليس هو البيت الذى خصه الله — فى القرآن بالنسبة اليه : « واذ جعلنا البيت مثابة للناس وأمنا واتخذوا من مقام ابراهيم مصلى وعهدنا الى ابراهيم واسماعيل أن طهرا بيتى للطائفين والعاكفين والركع السجود)؟ أومن عجب اذا ان ينسب أبو نصر هاتف ايمانه بالله الى جهة البيت الحرام الذى يتجه اليه ويتمثله كلما وجه وجهه لله وقال :
الله أكبر !

* * *

وقد أسند ميمون عن على بن أبى طالب ، وعبد الله بن مسعود ، ومعاذ ، والمقداد ، وأبى ذر ، وابن عباس ، وعمار ، والمغيرة بن شعبة

وسمرة بن جندب ، وعائشة ، رضى الله عنهم جميعا .

ومما رواه عن معاذ : « بعثنى رسول الله صلى الله عليه وسلم الى اليمن . فلم يزل يوصينى حتى آخر ما أوصانى قال : عليك بحسن الخلق فان أحسن الناس خلقا أحسنهم دينا .

* * *

ومما رواه كذلك عن معاذ : (خرجت مع رسول الله صلى الله عليه وسلم فى غزوة تبوك ، فرأيت منه خلوة فاغتنمتها فأوضعت بعيرى نحوه حتى صايرته ، فقلت يا رسول الله : علمنى عملا يدخلنى الجنة ! قال: « قد سألت عظيما وانه ليسير على من يسره الله : تعبد الله : ولا تشرك به شيئا ، وتقيم الصلاة المكتوبة ، وتؤدى الزكاة المفروضة ، وتصوم رمضان » ، ثم سار وسرت ، فقال: « وان شئت أنبأتك بأبواب الخير : الصوم جنة ، والصدقة تكفر الخطيئة ، وقيام الرجل فى جوف الليل) ثم قرأ (تتجافى جنوبهم عن المضاجع) ثم سار وسرت ، ثم قال : (ألا أنبأتك برأس الأمر كله وعموده وذروة سنامه : الجهاد فى سبيل الله) ، ثم سار وسرت ، فقال : (ان شئت أنبأتك بما هو أملك على الناس من ذلك كله فكانت منه سكتة ، وكانت منى التفاتة ، فرأيت راكبا يوضع نحوه فخشيت أن يأتيه فيشغله عنى ، فأومأ الى لسانه وفيه قلت : يارسول الله : وانا لنؤاخذ بما تتكلم ؟ ! قال : ثكلتك أمك يا ابن جبل ! ما تقول الا لك أو عليك ! وهل يكب الناس على مناخرهم فى جهنم الا حصائد ألسنتهم ؟ !) .

* * *

ومما رواه عن المقداد قال : (جاء رجل يثنى على عامل لعثمان عند المقداد ، فحثا المقداد فى وجهه التراب وقال : (ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : (اذا رأيتم المداجين فاحثوا فى وجوههم التراب) .

ومما رواه عن عمار بن ياسر قال : (قال رسول الله صلى الله

عليه وسلم : من ضرب مملـوكه ظالما أقيد منه يوم القيامة) ..

***

ومما رواه عن عائشـة : (انها كانت فى سفر ، فأمرت لنـاس من قريش بغذاء ، فمر رجـل غنى ذو هيئة ، فقالت : ادعوه . فنزل فأكل ومضى . وجاء سـائل فأمرت له بكسرة ، فقالوا لها أمرتينا أن ندعو هـذا الغنى وأمرت لهذا السـائل بكسرة ؟ ! فقالت : ان هـذا الغنى لم يجمل بنا الا ما صنعنا به ، وان هـذا السـائل سـأل فأمرت له بما أرضاه ، وان رسول الله صـلى الله عليه وسلم أمرنا أن ننزل الناس منازلهم) .

رضى الله عن أبى نصر وأرضاه .

أين الرعاية والتذمم ؟ !

قال عمر لرجل هم بطـلاق زوجته : لم تطلقهـا ؟ قال : لا أحبها ! قال: او كل البيوت بنيت على الحب! فأين الرعاية والتذمم ؟ !

وقال رضى الله عنه عن زوجته :

تحملتها لحقوق لهـا على فانها طباخة لطعامى ، خبـازة لخبزى ، غسـالة لثيـابى ، مرضـعة لولدى ، وليس ذلك بواجب عليها ، ومسكن قلبى بها عن الحرام .

تغير الفتوى بتغير الأزمنة والأمكنة والأحوال والأعراف

لفضيلة الدكتور يوسف القرضاوى

— ١ —

من المعلوم باستقراء النصوص : أن أحكام الشريعة انما جاءت لتحقيق مصالح العباد ، واقامة القسط بينهم وازالة المظالم والمفاسد عنهم ، وهذا ما ينبغى مراعاته عند تفسير النصوص وتطبيق الأحكام فلا يجمد الفقيه على موقف واحد دائم يتخذه فى الفتوى أو القضاء أو التعليم أو التأليف أو التشريع ، وان تغير الزمان والمكان والعرف والحال . بل ينبغى مراعاة مقاصد الشريعة الكلية وأهدافها العامة ، عند الحكم فى الأمور الجزئية الخاصة .

كلام ابن القيم فى تغير الفتوى :

ومن ثم قرر المحققون كالعلامة ابن القيم وغيره : « أن الفتوى تتغير وتختلف باختلاف الأزمنة والأمكنة والأحوال والعوائد والنيات » .

وعقد الامام ابن القيم لذلك فصله الممتع فى كتابه « أعلام الموقعين » وقال فى مقدمة هذا الفصل كلمته التى أصبحت منارا يهتدى به بعد :

« هذا فصل عظيم النفع جدا ، وقع ـ بسبب الجهل به ـ غلط عظيم على الشريعة ، أوجب من الحرج والمشقة وتكليف ما لا سبيل اليه ، ما يعلم أن الشريعة الباهرة ـ التى فى أعلى رتب المصالح ـ لا تأتى به ؛ فان الشريعة مبناها وأساسها على الحكم ومصالح العباد ، فى المعاش والمعاد . وهى عدل كلها ، ورحمة كلها ، ومصالح

كلها ، وحكمة كلها ... فكل مسألة خرجت عن العدالة الى الجور ، وعن الرحمة الى ضدها ، وعن المصلحة الى المفسدة ، وعن الحكمة الى العبث ، فليست من الشريعة ، وان أدخلت فيها بالتأويل » (١) .

« فالشريعة عدل الله بين عباده ورحمته بين خلقه ، وظله فى أرضه ، وحكمته الدالة عليه ، وعلى صدق رسوله — صلى الله عليه وسلم — أتم دلالة وأصدقها ، وهى نوره الذى به أبصر المبصرون ، وهداه الذى به اهتدى المهتدون ، وشفاؤه التام الذى به دواء كل عليل ، وطريقه المستقيم الذى من استقام عليه فقد استقام على سواء السبيل » (٢) .

الأحكام الثابتة والأحكام المتغيره :

وليس معنى هذا أن أحكام الشريعة كلها قابلة لتغير الفتوى بها بتغير الزمان والمكان والعرف . فمن أحكام الشريعة ما هو قطعى الثبوت والدلالة ، ولا مجال فيه للاجتهاد والاختلاف مهما دار الفلك وتغيرت الظروف والأحوال .

وفى هذا يقول ابن القيم نفسه فى كتابه « اغاثة اللهفان » .

« الأحكام نوعان :

نوع لا يتغير عن حالة واحدة هو عليها لا بحسب الأزمنة ، ولا الأمكنة ، ولا اجتهاد الأئمة ؛ كوجوب الواجبات ، وتحريم المحرمات ، والحدود المقررة بالشرع على الجرائم ، ونحو ذلك . فهذا لا يتطرق اليه تغيير ولا اجتهاد يخالف ما وضع عليه .

والنوع الثانى :

ما يتغير بحسب اقتضاء المصلحة له زمانا ومكانا وحالا ، كمقادير التعزيرات وأجناسها وصفاتها : فان الشارع ينوع فيها بحسب المصلحة:

وبعد ان ذكر ابن القيم جملة من الأمثلة والوقائع الدالة على ذلك قال وهذا باب واسع اشتبه فيه على كثير من الناس الأحكام الثابتة اللازمة ،

---

(١) اعلام الموقعين ج ٣ ص ١٤ — ١٥

(٢) ج ١ ص ٣٤٦ — ٣٤٩

التى لا تتغير ، بالتعزيرات التابعة للمصالح وجودا وعدما .

وهذا الذى قرره المحقق ابن القيم بقوة ووضوح ، قرره بصورة ما — علماء محققون فى المذاهب الأخرى مثل الامام القرافى المالكى فى كتابه الاحكام وكتابه الفروق ومثل العلامة الحنفى ابن عابدين فى رسالته « نشر العرف فى بناء بعض الأحكام على العرف كما بينا ذلك فى كتابنا «شريعة الاسلام» .

هل لتغير الفتوى دليل من القرآن ؟ :

هذه القاعدة الجليلة التى تقرر تغير الفتوى بتغير الأزمنة والأمكنة والأحوال والنيات والعوائد : هل نجد لها أصلا ودليلا من القرآن والسنة ؟

أما القرآن ، فلم يحاول ابن القيم — رحمه الله — أن يستدل به ، ولم أر أحدا غيره حاول الاستدلال به على ذلك أيضا .

ويلوح لى ، أن من يدقق النظر فى كتاب الله ، يجد فيه أصلا لهذه القاعدة المهمة ، وذلك فى عدد من الآيات التى قال كثير من المفسرين فيها : منسوخة وناسخة .

والتحقيق : انها ليست منسوخة ولا ناسخة ، وانما لكل منها مجال تعمل فيه ، وقد تمثل احداهما جانب العزيمة ، والأخرى جانب الرخصة أو تكون احداهما للالزام والايجاب والأخرى للندب والاستحباب . أو احداهما فى حال الضعف والأخرى فى حال القوة وهكذا ...

فضرب لذلك مثلا ، قوله تعالى فى سورة الأنفال . « يأيها النبى حرض المؤمنين على القتال ، ان يكن منكم عشرون صابرون يغلبوا مائتين وان يكن منكم مائة يغلبوا ألفا من الذين كفروا بأنهم قوم لا يفقهون » ثم قال : « الآن خفف الله عنكم وعلم أن فيكم ضعفا ، فان يكن منكم مائة صابرة يغلبوا مائتين ، وان يكن منكم ألف يغلبوا ألفين بإذن الله والله مع الصابرين » .

والمعنى كما يقول صاحب المنار ان أقل حالة للمؤمنين مع الكفار فى القتال ، ان ترجح المائة منهم على المائتين ، والألف على الألفين وأن

هذه الحالة رخصة خاصة بحال الضعف كما كان عليه المؤمنون فى الوقت الذى نزلت فيه هذه الآيات وهو وقت غزوة بدر، فقد كانوا لا يجدون ما يكفيهم من القوت ، ولم يكن لديهم الا فرس واحد (أو فرسان) وانهم خرجوا بقصد لقاء العير غير مستعدين للحرب . ومع هذا كله كانوا أقل من ثلث المشركين الكاملى العدة والأهبة .

ولما كملت للمؤمنين القوة ــ كما أمرهم الله تعالى أن يكونوا فى حال العزيمة كانوا يقاتلون عشرة أضعافهم أو أكثر ، وينتصرون عليهم . وهل تم لهم فتح ممالك الروم والفرس وغيرهم الا بذلك ؟ وكان القدوة الأولى فى ذلك أصحاب رسول الله ــ صلى الله عليه وسلم فى عهده ومن بعده .

وذهب بعض المفسرين الى أن آية العزيمة من هاتين الآيتين منسوخة بآية الرخصة التى بعدها ، بدليل التصريح بالتخفيف فيها (والآن خفف الله عنكم) ولكن الرخصة لا تنافى العزيمة ولا سيما وقد عللت هنا بوجود الضعف ، ونسخ الشيء لا يكون مقترنا بالأمر به ، وقيل التمكن من العمل به ، وظاهر أن الآيتين نزلتا معا .

وروى البخارى عن ابن عباس رضى الله عنه قال : لما نزلت « ان يكن منكم عشرون صابرون يغلبوا مائتين ... » شق ذلك على المسلمين، حين فرض عليهم ألا يفر واحد من عشرة ! فجاء التخنيف فقال : « والآن خفف الله عنكم وعلم أن فيكم ضعفا ، فان يكن منكم مائة صابرة يغلبوا مائتين ... » الحديث .

وهذه الرواية لاتدل على النسخ الأصولى الذى زعمه بعضهم (وهو رفع الحكم الذى تضمنته الآية الأولى ، وانتهاء العمل به الى الأبد) فقد تبين أن الآية الأولى عزيمة أو مقيدة بحال القوة ، والثانية رخصة مقيدة بحال الضعف . اهـ .(١)

ومعنى هذا أن الآية الثانية تشرع لحالة معينة غير الحالة التى جاءت لها الآية الأولى .

---

(١) انظر تفسير الآية فى الجزء العاشر من تفسير المنار

وهذه أصل لتغير الفتوى بتغير الأحوال .

ومثل ذلك آيات الصبر والصفح والعفو والاعراض عن المشركين ونحو ذلك مما قال فيه كثير من المفسرين : نسختها آية السيف . فالحق أن لهذه الآيات وقتها ومجالها، كما أن لآية السيف وقتها ومجالها كذلك . ولهذا جعل الامام السيوطى هذه الآيات من قسم المنسأ لا من قسم المنسوخ .

قال فى « الاتقان فى علوم القرآن » فى النوع الثانى والأربعين ، وهو ما يتعلق بالنسخ فى القرآن :

« النسخ أقسام ... وذكر الأول والثانى منها ، ثم قال: وثالثها: ما أمر به لسبب ثم يزول كالأمر حين الضعف والقلة بالصبر والصفح (أى عن الأعداء المناوئين من الكفار) ثم نسخ بايجاب القتال .

قال السيوطى : وهذا فى الحقيقة ليس نسخا ، بل هو من قسم المنسأ، كما قال تعالى : « أو ننسئها » (١) فالمنسأ هو الأمر بالقتال الى أن يقوى المسلمون . وفى حال الضعف يكون الحكم وجوب الصبر على الأذى .

قال : وبهذا يضعف ما لهج به كثيرون من أن الآية فى ذلك منسوخة بآية السيف . وليس كذلك بل هى من « المنسأ » بمعنى أن كل أمر ورد يجب امتثاله فى وقت ما ، لعلة تقتضى الحكم ، بل ينتقل بانتقال تلك العلة الى حكم آخر وليس بنسخ ، انما النسخ لازالة الحكم حتى لا يجوز امتثاله ا هـ .

أصل تغير الفتوى من السنة

والناظر فى السنة النبوية يجد لهذه القاعدة ــ تغير الفتوى ــ أصلا فيها ، ودليلا عليها ، فى أكثر من شاهد ومثال .

وقد نبه على ذلك الحافظ ابن حجر فى « تلخيص الجبير » بالاشارة الى الحديث الذى رواه أبو داود عن أبى هريرة : ان رجلا سأل النبى ــ صلى الله عليه وسلم ــ عن المباشرة للصائم ، فرخص له ، واتاه

(١) قراءة فى قوله تعالى : « ما ننسخ من آية أو ننسها » الآية .. من سورة البقرة .

آخر فسأله ، فنهاه ! فاذا الذى رخص له شيخ ، واذا الذى نهاه شاب .

ولكن هذا الحديث ضعيف لا يعتمد على مثله فى اثبات هذه القاعدة المهمة .

وأولى منه الاستدلال بحديث سلمة بن الأكوع عند البخارى وغيره . قال : قال النبى صلى الله عليه وسلم — من ضحى منكم فلا يصبحن بعد ثلاثة ، ويبقى فى بيته منه شىء . فلما كان العام المقبل قالوا : يارسول الله ، نفعل كما فعلنا فى العام الماضى ؟ قال : كلوا وأطعموا وادخروا ، فان ذلك العام كان بالناس جهد (أى شدة وأزمة) فأردت أن تعينوا فيها .

وفى بعض الأحاديث : انما نهيتكم من أجل الدافة التى دفت يعنى القوم الذين وفدوا على المدينة من خارجها .

ومعنى هذا أن النبى — صلى الله عليه وسلم — نهى عن ادخار لحوم الأضاحى بعد ثلاثة أيام فى حالة معينة ، ولعلة طارئة ، وهى وجود ضيوف وافدين على المدينة فى هذه المناسبة الطيبة ، فيجب أن يوفر لهم ما يووجبه كرم الضيافة ، وسماحة الأخوة من لحم الضحايا .

فلما انتهى هذا الظرف العارض، وزالت هذه العلة الطارئة ، زال الحكم الذى أفتى به الرسول تبعا لها ، فان المعلول يدورمع علته وجودا وعدما . وغير النبى الكريم فتواه من المنع الى الاباحة . ولهذا صرح فىأحاديثه باباحة الادخار بعد ذلك قائلا ، كنت نهيتكم عن ادخار لحوم الأضاحى ، فكلوا وأطعموا وادخروا » كما فى الصحيح .

فهذا مثل واضح لتغير الفتوى بتغير الأحوال .

وأكثر الفقهاء والمحدثين يعتبرون هذه الاباحة نسخا للنهى المتقدم ، ويذكرون هذا الحديث مثلا من أمثلة النسخ ، كحديث كنت نهيتكم عن زيارة القبور ألا فزوروها ، والتحقيق أنه ليس منباب النسخ ، بل من باب نفى الحكم لانتفاء علته كما أشار الى ذلك الامام الشافعى رضى الله عنه فى آخر « باب العلل فى الحديث من كتابه « الرسالة » حيث ربط النهى عن الادخار بالدافة » .

ووضح ذلك الامام القرطبي فى تفسيره منكرا أن يكون من النسخ قائلا :

« بل هو حكم ارتفع لارتفاع علته ، لا لأنه منسوخ . وفرق بين رفع الحكم بالنسخ ،ورفعه لارتفاع علته . فالمرفوع بالنسخ لا يحكم به أبدا ، والمرفوع لارتفاع علته يعود بعود العلة ، فلو قدم على أهل بلدة ناس محتاجون فى زمان الأضحى ، ولم يكن عند أهل ذلك البلد سعة يسدون بها فاقتهم الا الضحايا ، لتعين عليهم ألا يدخروها فوق ثلاث ، كما فعل النبى — صلى الله عليه وسلم » (١)

وقد فهم الراشدون من الصحابة هذا المعنى ، فجاء عن أمير المؤمنين على بن أبى طالب — رضى الله عنه — انه صلى بالناس فى يوم عيد ، ثم خطبهم فنهاهم عن الادخار فوق ثلاث ، مذكرا اياهم بنهى النبى — صلى الله عليه وسلم — وهذا ماجعل القائلين بالنسخ هنا يحارون فى تفسير موقف على . فقال بعضهم : لعله لم يبلغه النسخ . ولكن الامام أحمد روى ما يدل على أنه بلغته الاباحة والرخصة .

فالراجح اذن انه قال ذلك فى وقت كان بالناس جهد وحاجة . وبهذا جزم ابن حزم ، كما فى فتح البارى .

قال الحافظ : والتقييد بالثلاث واقعة حال . والا فلولم تسد الخلة الا بتفرقة الجميع لزم — على هذا التقدير — عدم الامساك ولو لليلة واحدة (٢) .

والشاهد هنا أن النبى — صلى الله عليه وسلم — أفتى فى حال بمنع ادخار لحوم الأضاحى ، ثم غير فتواه من المنع الى الاباحة ، لما تغيرت الظروف ، وهو دليل بين على صحة القاعدة التى قررها ابن القيم — رحمه الله .

وأشهر من ذلك أن النبى — صلى الله عليه وسلم — كان يجيب عن السؤال الواحد بأجوبة مختلفة ، وذلك لاختلاف أحوال

---

(١) تفسير القرطبى ج ١٢ ص ٤٧ ، ٤٨

(٢) فتح البارى ج ١٢ ص ١٢٠ — ١٢٥ ط الحلبى .

السائلين • فهو يجيب كل واحد بما يناسب حاله ، ويعالج قصوره أو تقصيره •

فقد وجدنا من يسأله عن وصية جامعة فيقول له : لا تغضب • وآخر يقول له : قل آمنت بالله ثم استقم •

وآخر يقول له : كف عليك لسانك •

وهكذا يعطى كل انسان من الدواء ما يرى أنه أشفى لمرضه • وأصلح لأمره •

ومن هذا مارواه البخارى فى صحيحه عن أبى هريرة — رضى الله عنه — قال : سئل النبى — صلى الله عليه وسلم — أى الأعمال أفضل ؟ قال : ايمان بالله ورسوله • قيل : ثم ماذا ؟ قال : جهاد فى سبيل الله • قيل : ثم ماذا ؟ قال حج مبرور(١) فجعل الجهاد فى سبيل الله أفضل الأعمال بعد الايمان •

وفى هذا المعنى جاءت أحاديث شتى تجيب السائلين بأن الجهاد لا يعدله عمل آخر ، الا من استطاع ان يصوم الدهر فلا يفطر ، ويقوم الليل فلا ينام !

ولكن البخارى نفسه روى عن عائشة أم المؤمنين — رضى الله عنها — أنها قالت : يارسول الله ، نرى الجهاد أفضل العمل ! قال : لكن أفضل الجهاد حج مبرور (٢) تروى كلمة (لكن) بضم الكاف وهو الأكثر على أنها خطاب للنسوة ، وبكسرها مع مد اللام على انها للاستدراك • والمراد واحد ، وهو ان الجهاد ان كان أفضل العمل ، فذلك فى حق الرجال ، أما النساء فأفضل جهاد لهن الحج المبرور •

فهنا تغيرت فتواه وجوابه — صلى الله عليه وسلم — لما كان السائل امرأة ، اذ الأصل فى حمل السلاح ان يكون للرجال •

وهذا كله — وغيره كثير — أصل فى تغير الجواب أو الفتوى بتغير أحوال السائلين ، فكيف اذا تغير الزمان والمكان ؟

د. يوسف القرضاوى

---

(١) صحيح البخارى : كتاب الحج : باب فضل الحج المبرور :

(٢) صحيح البخارى : كتاب الحج : باب فضل الحج المبرور .

حديث قتال اليهود من أعلام النبوة

لفضيلة الشيخ محمد نجيب المطيعى

« تقاتلون اليهود حتى يختبىء أحدهم وراء الحجر ؛ فيقول الحجر : يا عبد الله هذا يهودى ورائى فاقتله » .

ليس لهذه الشرذمة المضللة منهج منضبط تدين به وتحترم نسقه وتقف عند ضوابطه وروابطه بغير جمود ولا جحود ، يمكن بمقتضاه أن نحاكمها به ، ونحتكم واياها عنده .

فهم حين ينسبون كل شىء الى اليهود يفضحون أنفسهم بآرائهم التى لوسمح لأى انسان عنده مسكة من العقل أن يسمعها لما تردد فى الحكم عليها بأنها أفكار يهودية من حيث ان اليهود هم أصحاب المصلحة فى ترديدها ونشرها وذيوعها .

ومن هذا الذى تقر به أعين اليهود ويغتبطون له التشكيك فى أن يرى موسى فى أمة محمد كثرة كاثرة ليلة الاسراء ، ويرى القوة التى لاتتاح لمن انتسب اليه عقلا ولا واقعا ، فأصحاب المصلحة فى هذا التشكيك هم اليهود .

وهم الآن لو اطلعت عليهم لرأيتهم أشد سرورا وأعظم غبطة حين يأتى من ينتسب الى الاسلام فينشر ظلال الشك والريب فى صحة أحاديث الفتن التى تعيشها الدنيا رغم أنف أولى المكابرة والعناد .

وقبل أن نأتى على تأويل الحديث من وجهة نظر العقل والعلم نذكر رواياته .

ففى صحيح البخارى فى كتاب الجهاد ، باب قتال اليهود : حدثنا اسحاق بن محمد الفروى حدثنا

مالك عن نافع عن عبد الله بن عمر رضى الله عنهما أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : (تقاتلون اليهود حتى يختبىء أحدهم وراء الحجر فيقول : يا عبد الله هذا يهودى ورائى فاقتله) •

ثم يردف البخارى هذا الحديث بآخر شاهدا له ومعضدا : حدثنا اسحاق بن ابراهيم أخبرنا جرير عن عمارة بن القعقاع عن أبى زرعة عن أبى هريرة رضى الله عنه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « لا تقوم الساعة حتى تقاتلوا اليهود حتى يقول الحجر وراء اليهودى : يا مسلم هذا يهودى ورائى فاقتله » •

وعلى منهج أهل هذا الشأن من أصحابنا المحدثين يكون الاسناد الأول جديرا بصدر الباب لاتفاقهم على أن هذا الاسناد أصح الصحيح وأعلى الأسانيد بلا خلاف (مالك عن نافع عن ابن عمر عن النبى صلى الله عليه وسلم) والواسطة بين مالك والبخارى اسحاق بن محمد بن عبد الله بن اسماعيل بن أبى فروة الغروى مولى عثمان بن عفان ولو كان اسحاق الغروى تفرد بهذا الحديث لكان هناك مجال للقول ، ولكن الذى يأخذ بحجز المكابرين ما يأتى :

أولا : كونه شيخا للبخارى ، وقديما قال العلماء : من روى له البخارى فقد اجتاز القنطرة •

ثانيا : تعضيده برواية اسحاق ابن ابراهيم بن مخلد بن ابراهيم ابن مطر أبى يعقوب الحنظلى المعروف بابن راهويه • وهو الذى قال فيه وهب بن جرير : جزى الله اسحاق بن ابراهيم عن الاسلام خيرا • وقال أحمد بن حنبل : لم يعبر الجسر الى خراسان مثله • وقال أيضا : لا أعرف له بالعراق نظيرا ، وقال لمن سأله عنه : اسحاق عندنا امام من أئمة المسلمين •

وقال ابن خزيمة : والله لو كان فى التابعين لأقروا له بحفظه وعلمه وفقهه ، ويقول أبو داود الخفاف وقد أملى أحد عشر ألف حديث من حفظه ثم قرأها علينا فما زاد حرفا ولا نقص حرفا • وجرير بن عبد الحميد ومن بعده من بقية الاسناد من أعاظم رواة

الحديث لا يقلون جلالة عن الاسناد الأول .

ثالثا : اخراج مسلم له من أكثر وجه ، وبذلك يكون الحديث متفقا عليه من الأمة كلها ، لاتفاق الأمة على نعت ما يرويانه بالمتفق عليه قال مسلم :

حدثنا أبوبكر ابن أبى شيبة حدثنا محمد بن بشر حدثنا عبد الله عن نافع عن ابن عمر عن النبى صلى الله عليه وسلم قال : (لتقاتلن اليهود فلتقتلنهم حتى يقول الحجر : يا مسلم هـذا يهودى فتعال فاقتله) ثم قال : وحدثنا محمد بن المثنى وعبيد الله بن سعيد قالا : حدثنا يحيى عن عبيد الله بهذا الاسناد وقال فى حديثه : هذا يهودى ورائى .

حدثنا أبوبكر بن أبى شيبة حدثنا أبو أسامة أخبرنى عمر بن حمزة قال : سمعت سالما يقول : أخبرنا عبد الله ابن عمر أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « تقتتلون أنتم ويهود حتى يقول الحجر : يا مسلم هذا يهودى ورائى تعال فاقتله » .

حدثنا حرملة بن يحيى أخبرنا ابن وهب أخبرنى يونس عن ابن شهاب حدثنى سالم بن عبد الله أن عبد الله ابن عمر أخبره أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال « تقاتلكم اليهود فتسلطون عليهم حتى يقول الحجر : يا مسلم هذا يهودى ورائى فاقتله » .

رابعا : لأن أحمد بن حنبل أخرجه فى مسنده جـ ٢ ص ٤١٧ حدثنا قتيبة بن سعيد حدثنا يعقوب عن سهيل عن أبيه عن أبى هريرة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : (لا تقوم الساعة حتى يكثر المال ويفيض حتى يخرج الرجل بزكاة ماله فلا يجد أحدا يقبلها منه ، وحتى تعود أرض العرب مروجا وأنهارا وحتى يكثر الهرج ، قالوا : وما الهرج يارسول الله ؟ قال : القتل القتل ، وبهذا الاسناد أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : (من حمل علينا السلاح فليس منا ومن غشنا فليس منا ، وقال : من ابتاع شاة مصراة فهو فيها بالخيار ثلاثة أيام فان شاء أمسكها وان شاء ردها ورد معها صاعا من تمر ، وقال : لا تقوم

الساعة حتى يقاتل المسلمون اليهود فيقتلهم المسلمون حتى يختبىء اليهودى وراء الحجر أو الشجرة فيقول الحجر أو الشجرة يا مسلم يا عبد الله هذا يهودى خلفى فتعال فاقتله) الى آخر الحديث .. وأخرجه فى غير ما موضع من مسنده .

ونأتى الى معنى كلام الحجر ، فان الكلام اذا حمل على الحقيقة كان خرقا للعادة واعتبر من السمعيات التى يجب التصديق بها مادام الخبر ثابتا بالاسناد المتصل يرويه العدول الضابطون وليس فيه شذوذ من حيث مخالفته لآخر محفوظ أو علة قادحة ويكون نطق الحجر أمرا لا محل للجاج فيه اذا كان بهذه المثابة ، اذ أن الله تبارك وتعالى يخلق عنده ادراكا .

وأما اذا حمل الأمر على المجاز ، كأن يكون مع المسلمون آلات كاشفة ، وأجهزة اليكترونية حساسة تكشف اليهود على بعد مهما استتروا بالسواتر وتدرعوا بالجدر، وامتنعوا بأسباب التمويه والتخفى فان المناظير النفاذة والمخترعات الحساسة والجساسة ضرب من التأويل العقلى الذى تحتف به التجربة فى واقعها الراهن ، والتى لا يمارى أحد فى أنها نوع اخبار بطريق النمم والشف عما وراءه ، ولما كان تعقب العدو يقصد به القضاء عليه وقتله ، فان الجدار الذى ينم عما وراءه انما يجعلك تخلص الى من تطارده ، وكأنه يقول لك ها هو ذا ورائى فاقتله ..

وقد يكون كناية عن استئصالهم وقطع دابرهم ، وأن المسلم فى بحثه عن الفارين والهاربين وتعقبهم واصطيادهم كأنما تنطق له الحجارة بلسان حالها ، وهم قد عرف عنهم استخدام الحجر والمدر والرمال للتحصن بها والتستر وراءها قال تعالى : (لا يقاتلونكم جميعا الا فى قرى محصنة أو من وراء جدر) .

فاذا أخبر صلى الله عليه وسلم بأمر سيحدث فى المستقبل فان قانون هذه المعجزة يخرج عن حد الخبر الذى يحتمل الصدق والكذب ،

وحقيقة اطلاق الخبر عليه انما هو على سبيل المجاز ، لأن خبر الوحى لا يقبل خضوعه لاحتمال الصدق والكذب .

فاذا أضيف المستقبل الى فعل الخبر كان وعدا يصح من نبى وغير نبى[1] ، فان أضيف الى فعل غيره كان من الغيوب المعجزة ، لا يصح الا من نبى مبعوث وعن وحى منزل اذا تكرر عاريا عن الأسباب المنذرة .

ولئن ظهر خبر من غير نبى فهو بالاتفاق عن حدس ان صح فى خبر لم يصح فى كل خبر . ويصح من النبى صلى الله عليه وسلم فى كل خبر لأنه من الله تعالى المحيط بعلم الغيوب كما قال لنبيه صلى الله عليه وسلم : (قل لا أقول لكم عندى خزائن الله ولا أعلم الغيب ولا أقول لكم انى ملك ان أتبع الا ما يوحى الى ، قل هل يستوى الأعمى والبصير) وفى خزائن الله هنا تأويلان (أحدهما) خزائن الرزق فأغنى وأفقر (والثانى) خزائن العذاب فأعجل وأدخر .

وفى قوله (ولا أعلم الغيب) تأويلان (أحدهما) علم الخزائن على ما مضى من التأويلين (والثانى) علم ما غاب عن ماضى ومستقبل ، الا أن المستقبل لا يعلمه الا الله تعالى ، ومن أطلعه عليه من أنبيائه لقوله تعالى : (عالم الغيب فلايظهر على غيبه أحدا الا من ارتضى من رسول) .

وأما الماضى فقد يعلمه المخلوقون من أحد وجهين اما من مخلوق معاين أو من خالق مخبر فكانت الأخبار المستقبلة من آيات الله تعالى المعجزة ، فأما الماضية فان علم بها غير المخبر لم تكن معجزة ، وأن لم يعلم بها أحد كانت آية معجزة .

وفى قوله تعالى : (ان اتبع الا ما يوحى الى) تأويلان (أحدهما) لن أخبركم الا بما أطلعنى الله عليه (والثانى) لن أفعل الا ما أمرنى الله به .

---

(١) راجع اعلام النبوة لأقضى قضاة البصرة الماوردى صاحب الحاوى الكبير والأحكام السلطانية المتوفى سنة ٤٥٠ هـ .

على أن فيما وصل اليه العلم من أسباب الكشف عما وراء الحصون المنيعة والسواتر الحصينة والجدر كأنها باشفافها عما وراءها انما تنم عمن يختفى من اليهود وراء تلك الجلاميد الثقال ، وكأنها تدل عليه وتحرص على قتله ، وهو احتمال قوى تسيغه اللغة ولا تأباه ، وقد رأينا كيف تكشف أجهزة الباخرة ليبرتى عن الأماكن السرية والمعاقل والأصوات ، وتنقل الصور والتحركات ، وتتدخل فى موجات الارسال ، وقد حدث أن أخذنا اخذهم (بكسر الهمزة) ، وجرينا على الأهبة والاعداد اللذين أمر الله بهما فانتصرنا على اليهود فى العاشر من رمضان المشهود وهذا أمر حاصل لا يفتقر الى برهان على وقوعه لضرورة العلم به ، فيكون الخبر من دلائل النبوة وأعلامها « ليهلك من هلك عن بينة ويحيى من حى عن بينة » ، « والله يقول الحق وهو يهدى السبيل » .

محمد نجيب المطيعى

اننا نعتقد ان الاسلام ، بخلاف سائر الأديان ، ليس اتجاه العقل اتجاها روحيا يمكن تقريبه من الأوضاع الثقافية المختلفة ، بل هو فلك ثقافى مستقل ونظام اجتماعى واضح الحدود .

فاذا امتدت مدينة أجنبية بشعاعها الينا وأحدثت تغييرا فى جهازنا الثقافى — كما هى الحال اليوم — وجب علينا أن نتبين لأنفسنا اذا كان هذا الأثر الأجنبى يجرى فى اتجاه امكانياتنا الثقافية أو يعارضها ، وما اذا كان يفعل فى جسم الثقافة الاسلامية فعل المصل المجدد للقوى او فعل السم .

ليوبلد فايس

الشريعة الإسلامية والقانون الإنجليزى

للأستاذ حسن حسب الله

— ١٢ —

بدأنا الكلام فى العدد السابق عن الجرائم والعقوبات فى الشريعة الاسلامية وانتهينا الى المبادىء فى التشريع الجنائى الاسلامى وتقسيمه للجرائم الى حدود وقصاص وتعزير .

ونبدأ فى هذا العدد بالكلام عن جرائم الحدود .

وجرائم الحدود هى الجرائم التى حدد لها التشريع الاسلامى عقوبة معينة بنص قرآنى أو بسنة نبوية ولا يجوز فيها زيادة العقوبة أو انقاصها عن القدر المحدد لها مهما كانت الظروف فجرائم الحدود لا تعرف فى تطبيقها ظرفا مخففا ولا ظرفا مشددا على عكس التشريع الوضعى فمثلا فى جريمة السرقة نجد أن التشريع الوضعى يفرق فى العقوبة بين ما اذا كانت السرقة مصحوبة بالاكراه أم لا وبين ما اذا كانت قد تمت ليلا أو نهارا وبين ما اذا كانت قد وقعت على مال مملوك للدولة أو مملوك للأفراد وبين ما اذا كانت قد وقعت فى أحد دور العبادة أم فى مكان آخر وهكذا ، أما التشريع الاسلامى فى جرائم الحدود فلا يعرف مثل هذه الصور اطلاقا فعقوبة السرقة هى قطع اليد فى جميع الصور المتقدمة دون أية تفرقة .

وجرائم الحدود قد وردت فى التشريع الاسلامى فى الكتاب والسنة على سبيل الحصر فلا يجوز استبعاد أى جريمة منها بأى مصدر من مصادر التشريع الاسلامى مهما كانت قوته فلا يجوز مثلا اضافة جريمة النصب أو الرشوة الى جرائم الحدود وقطع يد النصاب أو المرتشى قياسا على قطع يد السارق كما لا يجوز

استبعاد جريمة شرب الخمر من جرائم الحدود حتى وان ألحقت بجرائم التعزير فجرائم الحدود كما هى محددة بعقوباتها محددة بنوعيتها لا يجوز الاضافه اليها ولا الانقاص منها وهذه الجرائم عددها سبعة وهى السرقة وقطع الطريق والزنا والقذف وشرب الخمر والبغى والردة .

وسنقوم بشرح أحكام كل جريمة من هذه الجرائم ونبدأ أولا بجريمة السرقة .

جريمة السرقة جريمة شائعة فى كل زمان وفى كل مكان وفى كل المجتمعات على اختلاف مستوياتها الاجتماعية والثقافية والاقتصادية فهذه الجريمة شائعة فى العالم كله شيوع الماء والهواء ولذلك لانجد تشريعا وضعيا الا وقد تعرض لها على اختلاف فى تقدير العقاب ولاترتبط هذه الجريمة بمناخ فكرى أو اقتصادى معين فكما ترتكب فى المجتمعات الرأسمالية ترتكب فى المجتمعات الاشتراكية وكما ترتكب من بعض الفقراء ترتكب أيضا من بعض الأثرياء ولم يتوقف ارتكابها فى زمان معين فهى جريمة خالدة على مر الأزمان . وجريمة السرقة تعتبر أخطر الجرائم وأشدها ضررا فى حياة المجتمع فاذا شاعت فى مجتمع من المجتمعات لم يأمن انسان لا على ماله فقط وانما على حياته أيضا فكم من أفراد قتلوا بيد اللصوص اما ليسهل لهم سرقتهم واما أثناء دفاعهم عن أموالهم ولك أن تتصور مدى الافلاس الذى يتعرض له مجتمع تشيع فيه هذه الجريمة ولا يستطيع أفراده التفرغ للانتاج لرفع مستواهم الاقتصادى ولك أن تتصور ما تتكبده الدولة فى مثل هذا المجتمع من نفقات للمحافظة على الأموال وحراستها وما يترتب على تفرغ بعض الأفراد لهذه المهمة من تعطيل للقوى البشرية والمادية وحرمان المجتمع من مساهمتها فى رفع مستواه والأمثلة على ذلك لا تقع تحت حصر فكم من أفراد قتلوا وكم من بنوك سرقت وكم من أناس اختطفت ولم يسلم من الاعتداء محل تجارى ولا سكن خاص

ولا شخص نائم فى بيته ولا سائر فى طريقه ولا راكب لوسيلة من وسائل المواصلات العامة ولم تفلح الشرائع الوضعية فى الدول الرأسمالية ومن حذا حذوها من الدول الاسلامية فى ايقاف هذا الخطر أو الحد منه ويكفى أن نشير فى هذا الصدد الى ما نشر فى احدى الجرائد اليومية فى مصر عن أحد اللصوص الذى ضبط أثناء اقتحامه (فيلا) بالمعادى لسرقتها وما كشف عنه التحقيق من ارتكابه ثلاثين سابقة سرقة قبل ذلك. أما الدول الاشتراكية أو الشيوعية فقد عالجت مثل هذا الأمر بقسوة بالغة فوصلت عقوبة السرقة الى حد الاعدام ولذلك استطاعت أن توفر أكبر قسط من الاستقرار والأمن فى هذا المجال .

ومن هنا كان اهتمام التشريع الاسلامى بجريمة السرقة واعتبارها من جرائم الحدود بنص قرآنى حتى لا يستطيع أى حاكم من الحكام فى أى زمن من الأزمان أن ينفرد بتقدير العقاب عليها حسبما يراه سواء بالتخفيف أو التشديد فتضطرب أحوال الناس تبعا لأهواء الحكام ولذلك قال تعالى : « والسارق والسارقة فاقطعوا أيديهما جزاء بما كسبا نكالا من الله والله عزيز حكيم ــ المائدة ٣٨ » فعقوبة السارق هى قطع اليد ولا يملك أى حاكم تخفيف هذه العقوبة أو تشديدها بأى حال من الأحوال .

ولقد اختلف سادتنا من الفقهاء الأوائل فى تعريف السرقة الموجبة لقطع اليد وأملى عليهم ورعهم وتقواهم وخشيتهم من الافتاء بوجوب القطع على احتمال الشبهة فى عدم وجوبه والظروف السائدة فى أزمانهم والحياة البسيطة التى كانت عليها المجتمعات التى عاشوا فيها وندرة ارتكاب هذه الجريمة كل ذلك كان من شأنه أن قال بعضهم أن النشال لا تقطع يده لأنه يطلق عليه فى اللغة العربية « طرار » وليس « سارق » وأن من يسرق من القبر ومن المسجد لا تقطع يده لأن ما يسرقه غير مملوك لأحد فالميت لا يملك شيئا وما فى المسجد ملك لله وليس ملكا للأفراد كما قالوا أن من يسرق جهارا لا تقطع يده لأنه يمكن استرداد ما سرقه بالاستغاثة وأن المجنى عليه

فى هذه الحالة يعلم بالسارق ويمكن متابعته كما قالوا بأن من يسرق من بيت المـال أى من يسرق شيئا مملوكا للدولة لا تقطع يده لأن له جزءا فى ملكية المسروق باعتباره من رعاياها كما اشترطوا ما أسموه بحرز المثـل أى أن تتم السرقة من المكان المعتاد لحفظ الشىء المسروق وضربوا لذلك مثلا من يسرق جواهر مودعة فى اصطبل لا تقطع يده لأن الاصـطبل لا يعتبر مكانا معتـادا لحفظ الجواهر . كذلك اشـترطوا أن لا تقل قيمة المسروق عن حد معين واختلفوا فى تقدير هذا الحد الأدنى بين درهم واحد واثنين وثلاثة وأربعة وخمسة وعشرة دراهم كما اختلفوا فى تاريخ تقدير هذا النصاب فقال بعضهم تقـدر قيمة الشىء المسروق يوم السرقة وقال بعضهم تقدر قيمته يوم الحكم على السـارق بالقطع كذلك اختلفـوا فى مدى التـزام السارق برد الشىء المسروق أو قيمته بعـد قطع يده فذهب البعض الى التزامه بذلك وذهب البعض الى أنه غير ملتزم برد الشىء المسروق أو قيمته وأن كل ما يسـتحقه نتيجة السرقة هـو القطع فقط فلا يجوز الزامه برد الشىء المسروق أو قيمته ولك أن تتصور فداحة الأخذ بمثل هذا الرأى فى زماننا هـذا الذى أصبح فيه اللصوص يسرقون الملايين من البنوك .

هذه الخلافات انما مردها كما قلنا هو خشية هؤلاء الفقهاء من الفتوى بايقاع حد وفى وجوبه شبهة لحديثه صلى الله عليه وسلم « ادرءوا الحدود بالشبهات » ولذلك أخذوا بأحوط الآراء وأسلمها فى هذا الاتجاه الى جانب ما كان يشـيع فى مجتمعاتهم من بساطة وايمان ومعرفة كل منهم بالآخر وسهولة الوصول الى المجرم وانعدام خطر الجريمة لعدم شيوعها . وليس معنى عدم اقامة حد السرقة فى الحالات المتقدمة فى نظر هؤلاء الفقهاء هو افلات السارق من العقاب انما معنـاه عدم قطع يده فقط مع معاقبتـه بأية عقـوبة أخرى يراها الحاكم أو القاضى وسيجىء شرح ذلك تفصيلا عند الكلام عن جرائم التعزير .

اذا نظرنا الى الآية الكريمة « والسارق والسارقة فاقطعوا أيديهما » فاننا نجدها كما قال ابن حزم عامة فى كل سرقة فمتى ثبت ارتكاب الشخص لجريمة السرقة وجب اقامة حد السرقة عليه بقطع يده لأن الآية عامة ومطلقة .

وجريمة السرقة تتم بمجرد استيلاء أى فرد على مال منقول مملوك لغيره وأن يكون هذا الاستيلاء بنية تملكه وأن لا يكون مضطرا لذلك لأن حالة الاضطرار ينعدم معها الاختيار (فمن اضطر غير باغ ولا عاد فلا اثم عليه) وفى هذا الزمان لا تقتصر الملكية على الفرد وهو مايطلق عليه فى الاصطلاح القانونى والشرعى بالشخص الطبيعى وانما يجوز أيضا للأشخاص المعنوية وهى شخصية من صنع التشريع الوضعى مثل الشركات والجمعيات والمؤسسات وغيرها أن تتملك الأموال على مختلف أنواعها .

والقاعدة أن كل مال فى الدولة غير مملوك لأحد الأشخاص الطبيعية أو المعنوية وغير مباح (كالطير فى السماء والسمك فى الماء) يعتبر مملوكا للدولة أو بالاصطلاح الشرعى بيت المال باعتباره يمثل جميع المقيمين فى الدولة وباعتباره وارثا لمن لا وارث له وعلى ذلك لا يوجد مال غير مملوك الا الأموال المباحة .

ويجب أن يكون الاستيلاء على المال بنية التملك وليس بقصد آخر وأن لا تكون هناك حالة من حالات الضرورة الملجئة لذلك فمن أشرف على الهلاك جوعا وامتدت يده الى رغيف خبز مملوك لغيره فلا يعتبر سارقا فى هذه الحالة لأنه قد اضطر لذلك .

ويجب أن يكون المال المسروق له قيمة مالية ومما يجوز تملكه وبيعه وقد سبق أن تعرضنا لتحديد معنى المال عند الكلام عن نظام الملكية وعلى ذلك فمن يسرق خمرا أو خنزيرا لا يعاقب لأنه لا قيمة لهما شرعا ولا يجوز تملكهما ولا بيعهما .

ولا فرق فى السرقة بين أن تتم خفية أو جهارا ولا أن تقع على مال

مملوك لبيت المال أو لأحد الأفراد ولا أن تقع على مال موجود فى مسجد أو فى قبر أو غيره ولا أن تقع على مال فى حرز مثله أم فى غير حرز المثل ولايشترط أن تبلغ قيمة الشيء المسروق نصابا معينا وقد رأينا خلاف الفقهاء فى تقدير هذا النصاب خاصة وأن تحديد هذا النصاب بثلاثة دراهم فى ذلك الوقت البعيد لا يمكن معه فى وقتنا هذا تحديد ما يعادله بالضبط فى كل بلد على حدة وفى كل وقت على حدة حيث تتغير قيمة النقد من بلد لآخر وفى نفس البلد الواحد من وقت لآخر وهذا يتنافى مع عموم الشريعة الاسلامية وصلاحية تطبيقها فى كل زمان ومكان وبذلك لا يشترط فى الشيء المسروق الا أن يكون مملوكا للغير وله قيمة مالية ويمكن الانتفاع به وأن يكون ممايجوز تملكه وبيعه ولا نرى ضرورة اشتراط أى شرط آخر أخذا بظاهر نص الآية الكريمة.

أما السارق فيشترط فيه أن يكون بالغا وعاقلا فلا تقطع يد السارق ان كان صبيا أو مجنونا كما يشترط ألا يكون أبا أو أما لمالك الشيء المسروق لحديثه صلى الله عليه وسلم « أنت ومالك لأبيك » وألا يكون مضطرا لما فعل وهذه مسألة يقدرها القاضى .

أما ما اشترطه الفقهاء من أن تتم السرقة خفية حتى تقطع يد السارق استنادا الى قول الجوهرى وابن عرفه بأن « السارق عند العرب هو ما جاء مستترا الى حرز فأخذ منه ما ليس له فان أخذ من ظاهر فهو مختلس ومستلب ومنتهب ومحترس فان تمنع بما فى يده فهو غاصب » فاننا نرى أن هذه الأوصاف لا تلغى وصف السارق وانما هى تدل على نوع السرقة ولو أخذنا بأن الغاصب ليس بسارق فلا تقطع يده لوصلنا الى نتيجة غريبة جدا وهى أن من يسرق الملايين من أحد المصارف فى وضح النهار بعد تهديده موظفى البنك بما يحمله من سلاح لا تقطع يده لأنه يعتبر غاصبا ولأن السرقة لم تتم فى خفية عن أعين الناس بينما تقطع يد أى فرد امتدت فسرقت جنيها واحدا فى غفلة من صاحبه

كذلك ما اشترطه الفقهاء من أن لاتكون للسارق على المال المسروق ولاية فان كانت له ولاية عليه كما لو كان مستأجرا أو مستعيرا أو مرتهنا له فلا تقطع يده فاننا نجد أن هذا الشرط لا يتفق مع عموم نص الآية الكريمة وقد ثبت أن رسول الله صلى الله عليه وسلم انما قطع يد المرأة المخزومية لأنها كانت تجحد العارية ولا يمكن التسليم بقطع يد من سرق جنيها واحدا لم يكن فى عهدته وعدم قطع يد سارق الآلاف متى كانت فى عهدته خاصة اذا مالوحظ أن حد السرقة يمثل الحد الأقصى للعقاب على جرائم الاعتداء على المال فلا يجوز فرض هذا الحد على أى جريمة أخرى من جرائم الاعتداء على المال مهما بلغت درجة جسامتها •

واذا اشترك أكثر من واحد فى سرقة المال تقطع أيديهم فلا يخفف من ذلك اشتراكهم •

وحتى يقام حد السرقة فانه يتعين رفع الدعوى على السارق والدعوى لا ترفع الا من المالك للشىء المسروق ويحق له شرعا قبل رفع الدعوى أن يعفو عن السارق فلا يحاكم ولا يقام عليه الحد ــ أما بعد رفع الدعوى فان حقه فى العفو يسقط ويقام الحد على السارق بعد الاثبات ولا يملك السارق دفع الحد عن نفسه بشراء الشىء المسروق أو برده أو بدفع أى مبلغ من المال مهما كانت قيمته ولو كانت أضعاف أضعاف قيمة الشىء المسروق •

ولا يعنى توقف اقامة الحد على طلب مالك الشىء المسروق أن تتوقف أيضا اجراءات ضبط السارق وافلاته من كل عقاب وانما يعنى ذلك عدم قطع يده ان عفا عنه مالك الشىء المسروق مع استمرار تعرضه للعقاب الذى تحدده الدولة فى مثل هذه الحالات فالسارق لا يفلت من العقاب وان أفلتت يده من القطع •

وقد اختلف الفقهاء فى أدلة اثبات السرقة وتشدد بعضهم فى الأدلة المقبولة وذلك لجسامة العقوبة ولأخذهم فى الحسبان دائما قول رسول الله صلى الله عليه وسلم «ادرءوا الحدود بالشبهات» ولذلك

لم يقبل بعض الفقهاء من أدلة الاثبات الا الاقرار وشهادةشاهدين اثنين ونرى أن هذا الرأى لا يمكن أن يستقيم فى عصرنا هذا حيث لا يمكن أن يتصور أن يقر أحد بارتكابه السرقة مع علمه بأن عقوبتها هى قطع يده ومن ناحية الشهود فقد لا يشاهد السارق غير صاحب المال المسروق أو رجل الشرطة الذى يقوم بضبطه متلبسا بجريمته ولذلك نرى الأخذ برأى الامام الشافعى فى جواز اثبات السرقة بكافة طرق الاثبات وهذا الرأى هو الذى يستقيم فى هذا العصر الذى نشطت فيه هذه الجريمة وأصبحت ترتكب بأحدث الوسائل العلمية خاصة وأن السباق العلمى بين طرق ارتكاب الجرائم وطرق الكشف عنها من شأنه الوصول الى الأدلة الحقيقية التى تجعل القاضى يطمئن تماما الى ما اذا كان المتهم الماثل أمامه هو السارق أم لا ٠

وكما انقسم الفقهاء فى أدلة اثبات جريمة السرقة انقسموا فى مدى سقوط الحق فى رفع دعوى السرقة وفى اثباتها بمضى المدة فذهب البعض الى أن جريمة السرقة يسقط الحق فى رفع الدعوى بشأنها وفى الشهادة على السارق بمضى المدة واختلفوا فى مدة هذا التقادم فذهب البعض الى تقديره بشهر واحد وذهب البعض الى تقديره بستة شهور وترك البعض تقديره للحاكم وذهب البعض الى أن دعوى السرقة واثباتها لا تنقضى بالتقادم سواء كان اثباتها بطريق الاقرار أو بشهادة الشهود ٠

وكما انقسموا فى أثر التقادم بالنسبة لرفع الدعوى واثبات السرقة انقسموا أيضا فى أثر التقادم فى اقامة الحد بعد صدور الحكم به لو تراخى تنفيذ قطع اليد مدة بعد صدور الحكم به لسبب هرب الجانى أو تعطيل الحاكم للتنفيذ أو لأى سبب آخر ٠

فذهب بعض الفقهاء الى أن لهذا التقادم أثره فيسقط حكم الحد بعد صدوره اذا تقادم وترددوا فى تحديد مدة التقادم كما سبق أن ذكرنا بين شهر وستة أشهر أو ترك تقديرها للحاكم ٠ أما الرأى الآخر فانه يذهب

الى ان حد السرقة لا يسقط بتأخير اقامته مدة تعد تقادما وحجة هـذا الرأى أن الحد اذا صدر الحكم به فقد تقرر وثبت وليس لأحـد أن يؤخر اقامته لأن تأخيره يعد تعطيلا لحد من حدود الله ويجب المبادرة الى وقف هذا التعطيل ولو أخذنا بمبدأ التقادم لانصرفت أذهان الجناة الى ايجاد الحيل المختلفة للهـرب ولسهل على الحكام أن يسقـطوا الحدود اذا أخروا اقامتها ولو شهرا واحدا مستندين فى ذلك الى أقوال الفقهاء ولذلك نرى الأخـذ بالرأى القائل بأنه لا أثر للتقادم سواء فيما يتعلق برفع الدعوى أواثبات السرقة أوتنفيذ الحد بعدصدور الحكم به.

واذا ما رفعت الدعـوى وتم الاثبات وصدر الحكم ونفذ الحـد فان بعض الفقهاء يرى أن عقـوبة السرقة تقتصر على اقامة الحد فقط ولايلتزم السارق برد الشيءالمسروق أو قيمته ويرى البعض أنه الىجانب قطع يده فانه يلتزم برد المسروق أو برد قيمته ، ونرى الأخذ بهذا الرأى الأخيرلأنه لوفرضنا أنأحداللصوص سرق عدة آلاف من الجنيهات من أحد المصارف فماذا يستفيده هذا المصرفمن قطع يد هذا اللص مع ضياع أموال البنك .

وقد اختلف الفقهاء فيما اذا عاد السارق الى السرقة بعد أن قطعت يده اليمنى فى السرقة الأولى فذهب بعضهم الى أنه فى السرقة الثانيـة تقطع رجله اليسرى وفىالسرقة الثالثة تقطع يده اليسرى وفى السرقة الرابعة تقطع رجله اليمنى وذهب بعضهم الى قطـع اليد اليسرى فى السرقة الثانية ثم الرجل اليمنى فى السرقة الثالثة والرجـل اليسرى فى السرقة الرابعة وروى عن على بن أبى طالب أنه تقطع اليـد اليمنى فى السرقة الأولى ثم الرجل اليسرى فى السرقة الثانية ولا قطع بعـد ذلك وانمـا يعاقب تعزيرا بالعقوبة التى يحددها القـاضى أو الحاكم وهو مـا نرى الأخذ به .

ومن كل ماتقدم يتضح لنا حكم السرقة فى الشريعة الاسلامية حسبما نسـتظهره من الآية الكريمة ومن الشروح المختلفة للفقهاء وهو كمـا يلى :

١ ــ أن جريمة السرقة تتم بمجرد الاسـتيلاء بنية التملك على مـال

الغير الجائز تملكه وبيعه دون ضرورة ملجئة لذلك .

٢ ــ يشترط فى السارق أن يكون بالغا وعاقلا وليس أحد الأبوين لمالك الشىء المسروق .

٣ ــ لا يحكم بحد السرقة الا اذا رفعت الدعوى من مالك الشىء المسروق .

٤ ــ يتم اثبات السرقة بكافة طرق الاثبات .

٥ ــ لا أثر للتقادم فى رفع دعوى السرقة ولا فى اثباتها ولا فى تنفيذ الحد بعد صدور الحكم به .

٦ ــ يلتزم السارق برد الشىء المسروق أو قيمته مع اقامة الحد عليه .

٧ ــ تقطع اليد اليمنى للسارق فاذا عاد تقطع رجله اليسرى فان عاد للسرقة بعد ذلك يعاقب بالعقوبة التى يحددها الحاكم أو يقدرها القاضى .

وبهذا نكون قد انتهينا من الكلام عن جريمة السرقة ونبدأ فى العدد القادم ان شاء الله الكلام عن بقية جرائم الحدود .

حسن حسب الله

سمع عمر أن أحد أولاده اتخذ خاتما ، واشترى له فصا بألف درهم فكتب اليه يؤنبه ويؤدبه :

بلغنى انك اشتريت فصا بألف درهم فبعه واشبع به ألف جائع واتخذ خاتما من حديد ، واكتب عليه :

(رحم الله امرءا عرف قدر نفسه)

مع العقاد فى "اللغة الشاعرة"

للأستاذ السيد حسن قرون

— ١ —

بعد أن طوف العقاد فى مجال الفكر،وضرب بسهم وافر فى مجالات المعرفة فى كتب تربو على المائة وفى مقالات لاتحصى فى السياسة والاجتماع والنقد الأدبى فى الصحف والمجلات حملتها الى القراء على مدى خمسين عاما قدم للمكتبة العربية كتابا لطيف الحجم ، غزير العطاء ، نابض الأسلوب ، هو كتاب « اللغة الشاعرة »وهو دراسة وافية شافية فى اللغة العربية من حروفها وتصريفها الى نهاية البلاغة فى أدائها وفى أثناء ذلك رده الحاسم على المستشرقين والخارجين عليها من أبنائها الناطقين بها ، ولاسيما قضية « انتحال الشعر الجاهلى »مستخدما الأدلة المقنعة ، والبراهين الدامغة فى غير صخب أو مغالطة ، وقد دعاه الى موقفه هذا تعرضها لهجوم أصحاب النوايا السيئة من دعاة العلم فى الخارج والداخل ممن يتشدقون بدراسة اللغات والديانات، ووزن كل لغة حسب مفاهيم اصطنعوها وتبع الاستشراق أناس منا تتلمذوا على بعضهم أو قرءوا لهم ، فغضوا من لغة الضاد ، ورموها بالقصور عن استيعاب الحضارة الحديثة ومتطلباتها فى العلوم والفنون ، فكان كتاب « اللغة الشاعرة » تصحيحا للأفهام ووضعا للأمور فى نصابها .

وليس من قصدى أن أعطيك الكتاب والرأى فيه معا فهذا يقتضى مجهودا كمجهود الأستاذ عباس محمود العقاد تأليفا وتصنيفا ، وانما أهدى اليك

بعضا مما تناوله المؤلف موردا رأيه فى قضايا أثيرت منذ مطلع هذا القرن ولم يحسم الخلاف فيها ، وأغلب ظنى أنه قد حكم فيها حكما أصاب المحز وطبق المفصل مقدما البراهين مسجلا الحيثيات التى يقبلها النقاد والدراسون للغات من المهتمين بلغتهم ، وقد كسبوا القضية فى محكمة العقاد .

ومن البداية أعلن — رحمه الله — فى « فاتحة عريقة » : هذه اللغة على قدمها تتجدد لها مزايا متعددة كلما تقدمت الدراسات الحديثة فى العلوم اللسانية والصوتية، ويرجع الباحثون الى خصائصها فيكشفون جانب المزية فيها وجانب الرجحان منها على غيرها بعد أن كان كل فريق منهم يحسبها شذوذا يدل على النقص أو يدل على جمود فى الفكر على سنة اللغات الشائعة بين لغات الحضارات الكبرى » .

وما البحوث التى حواها ذلك الكتاب ؟ يقول : فى الصفحات التالية فصول عن اللغة الشاعرة وعن اللغة المعبرة وعن المقابلة بين فن العروض العربى وأمثاله من فنون اللغات الأخرى ، وعن فلسفة الحياة كما تصورها المأثورات الشعرية من عهد الجاهلية الى ما بعد الاسلام وعن الموافقة بين مقاييس النقد ومقاييس التاريخ فى الشعر القديم ، ومعها فصول تناسبها وتجرى مجراها يتحرى بها ابراز المزايا العلمية لهذه اللغة الشاعرة فى ابان الحاجة اليها لأن الحاجة الى ابراز هذه المزايا تمس غاية المساس فى زمن تعرضت فيه هذه اللغة — وحدها — بين لغات العالم لكل ما ينصب عليها من معاول الهدم ، ويحيط بها من دسائس الراصدين لها ، لأنها قوام فكرة ، وثقافة ، وعلاقة تاريخية ، لا لأنها كلام وكفى .

وقد وعدتك أنى أقدم لك هدايا أو نماذج مما فى هذا الكتاب ، وتلك النماذج تعطيك منهج العقاد ومذهبه فى بيان مزية تلك اللغة، وقد ضيقت على نفسى الخناق فجعلت همى فى موضوعات خاصة أراها جديرة بالعرض وهى : الاعراب وأوزان الشعر ، والمجاز والشعر والزمن فى اللغة العربية ، ونقد

الشعر العربى ، مما جالت فيه أقلام الاستشراق والاستغراب ، وهى مجالات فسيحة يستخدم فيها العقاد عقله وعلمه وأدبه وممارسته للآثار الأدبية والنقدية فى اللغات الأجنبية. والعقاد من جيل الرواد الذين بثوا الحركة فى اللغة نثرها وشعرها ، وفى مقدمة من وضعوا مقاييس للشعر العربى الحديث حين ثار مع زميليه المازنى وشكرى على شعراء النهضة ، وسموا شعرهم « بشعر التقليد » فاذا جاء اليوم ليثبت للغة شاعريتها ومزيتها على اللغات الأجنبية العالمية فهو خير من يقوم بذلك ، وينهض به .

الاعراب

فماذا قال عن مزية الاعراب فيها؟ أنت تعلم أن دعاة العامية نادوا بترك الاعراب ، ودعوا الى الوقوف على الساكن ، وحذف النون فى الأفعال الخمسة ،واشتطوا فى ثلبها فقالوا : ان اللغة العربية تفهم لتقرأ ولا تقرأ لتفهم الى غير ذلك مما ينفر أهلها منها ، ويجعل الحديث بها ضربا من التخلف والتلكؤ عن مسايرة العصر ولا جدال فى أن هؤلاء القائلين ضعفوا عن فهمها واتقان استعمالاتها فعادوها ، ومن جهل شيئا عاداه — كما يقولون — ولكن العقاد عايشها وخبر دقائقها وتذوق جمالها ، لذلك جاء رادا اليها حقها كاملا غير منقوص وهو يتعرض للاعراب بطرق غير مطروقة ، وقول أنف لم يعرفه من جال فى هذا المضمار قديما وحديثا لا تظن بى المغالاة ، فاليك شيئا مما قاله فى الاعراب والقصيد .

ليس أوفق للشعر من العبارات التى تنتظم فيها حركات الاعراب وتتقابل فيها مقاطع العروض وأبواب الأوزان وعلامات الاعراب ، فان هذه الحركات والعلامات تجرى مجرى الأصوات الموسيقية ،وتستقر فى مواضعها المقدورة على حسب الحركة والسكون فى مقاييس النغم والايقاع ، ولها بعد ذلك مزية تجعلها قابلة للتقديم والتأخير فى كل وزن من أوزان البحور ... وان هذه المزية لتعلم النحاة أحيانا كيف ينبغى أن يفهموا الشعر فى هذه اللغة الشاعرة لأن المزية الشعرية فى قواعد اعرابها أسبق من المصطلحات التى يتقيد بها النحاة والصرفيون »

ويضرب أمثلة ليؤيد بهـا رأيه من القديم والوسيط والحديث فى منطق سـليم ، وتعليل جـذاب . قال : يقول النابغة ــ شاعر جاهلى ــ :

فبت كأنى ساورتنى ضئيلة
من الرقش فى أنيابها السم ناقع

فينسى النحاة أن عـلامة الرفع فى القافيـة تدل على الصـفة وتعطى الكلمة معنـاها الذى يلائم الوزن ويلائم الاعراب ، وما أخطأ النابغة حين قال: «ضئيلة ناقع فى أنيابها السم» ولاهو بمخطىء فى تأخير الصـفة الى مكان القافيـة لأنهـا ــ وهى مرفوعة ــ لاتكون الا صفة موافقة لموصـوفها أينما انتقل بها ترتيب الكلم المنظوم . ويقول أبو سعيد الرستمى فى وصف دار ابن عباد ــ شاعر عباسى ــ :

وسامية الأعـلام تلحظ دونها
سنا النجم فى آفاقها متضائلا

فلايضير الشاعر أن يضع النحاة متضائلا هنا حيث أرادوا من مواضع الاعـراب : هى حال وان أرادها النحاة مفعولا ثانيا ، وهى قافيـة مطمئنة فى موقعها على حسب الوزن وعلى حسب المعنى فى كل كـلام منظوم أو منثور ولا يستقيم هذا النسق لشاعر بنظم بغير اللغـة العربية ؛ لأن الترتيب الآلى يقيده بموضع لا يتعـداه حيث يطلقه الاعـراب (العربى) المعدود فى عرف أعدائه الجهلاء قيدا من القيود .

وتقع هذه الضآلة الى موقعهـا من نظم شاعر معاصر يضعها حيث صح له وضعها بلفظها ووزنها ومعناها فقال :

قطعوا بأيديهم خيوط سيادة
كانت كخيط العنكبوت ضئيلا

ان ضئيلا فى هذا البيت الذى وصف به (شوقى) سيادة (بنى عثمان) لتحمد للاعراب العربى تلك الطمأنينة التى تستقر بها فى موضـعها ، فلا تضطرها السيادة الى التأنيث وليس عليه أن يقول . « كانت ضئيلة » ولا أن يقول : « قطعوا خيوطـا ضآلا » ؛ لأن لسـان « الحال »

هنا أصدق من لسان المقال • فقواعد الاعراب هى التى أتاحت لهؤلاء الشعراء أن يطوعوا أوزانهم لمعانيهم ، ولو نظموا بغيرها ماوجدوا تطويعا يساعدهم ، ويبرز فنهم الشعرى •

الشعر والأوزان

فاذا بلغنا الشعر وأوزانه وقوافيه وجدنا عند العقاد جلاء لكل شبهة، وبيانا لكل ظنة ، ودليلا لكل ضلة ، آخذا بيدك الى الفن الكامل فى الأداء العربى ، « والمقصود بالفن الكامل هو الشعر الذى توافرت له شروط الوزن والقافية وتقسيمات البحور والأعاريض التى تعرف بأوزانها وأسمائها ، وتطرد قواعدها فى كل ما ينظم من قبيلها » ولا يترك هذا الكلام دون مقابلة وموازنة بين الشعر العربى وغيره فى اللغات الأجنبية ، ويفرد الحديث عن اللغات السامية لأن بعضهم يقول : ان هذا الفن العربى أثر من آثار المزاج السامى لما اشتهرت به السلالات السامية من نشاط الحس وسرعة الاستجابة للمؤثرات ، لكن البحوث المشرقية أثبتت أنها خلو من فنون العروض الملتزمة فى المنظومات العربية ، فالعرب لم يبدعوا فنهم لأنهم سلالة سامية ، ولم يبدعوه لأنهم سلكوا فيه مسلك الأمم الأخرى مبتكرين أو مقلدين ، تفردوا بفنهم الذى لا نظير له بين أمم العالم لأسباب كثيرة : منها خاصة الفن الموسيقى فى مخارج الحروف العربية ، وخاصة الأوزان والحركات على حسب معانى المشتقات ، وخاصة الاعراب وارتباط قواعده بالحركات ، ودلالة الحركات على المعانى دلالة تسمح بالتقديم والتأخير ووضع الكلمة فى الموضع الذى يناسب مبنى البيت ولا يخل بمعناه •

والسبب الأصيل عنده هو (الحداء) ومن الطريف أن نقادنا القدامى أشاروا الى شىء يوحى بقول العقاد فقد ذكروا عن أولية الشعر العربى أن أول من نطق بالشعر (مضر) حين وقع من فوق الجمل فأصيبت رجله فصاح بقول منظوم • يقول العقاد : ان الحداء غناء مفرد موقع على نغمة ثابتة وهى حركة الجمل فى حالتى الاسراع

والابطاء ، ونشأ عن ذلك البحر ، والقافية ، الوزن تبعا لحركة الجمل ، والقافية لأنها تنبه السامع الى المقاطع والنهايات ــ كأنها الفاصلة فى الكتابة ، كما تقول اليوم ــ خلافا للغناء الجماعى الذى يشترك فيه الكثيرون ، فيعرفون من سياقه أين يكون الوقوف ، وأين يكون الاسترسال ، وحتى كلمة (شعر) يجعلها من وضع العرب ، وأنها مع تحريفاتها الكثيرة فى السامية ترجع الى أصلها العربى مدونا تلك اللغات وتحريفاتها ، فكلمة (شيرو) فى الأكدية القديمة تدل على هتاف الأناشيد فى الهياكل ،ومنها انتقلت الى العبرية التى تأتى فيها كلمة (شير) بمعنى (أنشد) والى الآرامية التى تترادف فيها كلمة (شور) وكلمات الترنم والترتيل ويسمى كتاب نشيد الانشاد بالعبرية (شيرهشيريم) بهذا المعنى ، وليس التحريف بعيدا فى الانتقال من لفظ (شعر) الى لفظ (شير) اذا علمنا أن حرف العين وبعض حروف الحلق سقطت من (الأكدية) كما سقطت من أكثر اللغات .

ويلح العقاد على « السليقة الموسيقية » التى اختصت بها اللغة العربية فيسرت لأصحاب المواهب أن ينظموا بها فى الجاهلية دون تعلم العروض ، ومثلهم فى أيامنا ناظم الزجل ، فهو منظوم فى كل بحر من بحور العروض وكل مجزوءاتها ، وانه ليجهل أسماءها وقد يجهل قراءتها فى الورق كما يجهل معانيها اذا قرئت عليه ، وكثيرا ما نظم الأزجال فى بحور العروض المتعددة أناس جهلوا كتابة الحروف كما جهلها قبل مئات السنين شعراء الجاهلية المشهورون ، ولولا جريان اللغة فى ألفاظها وتراكيبها « على السليقة الموسيقية » لما تيسر ذلك للشاعر الجاهلى ولا للزجال الأمى فى هذه الأيام .

ويناقش فكرة عجز اللغة العربية عن الوفاء بفنون الشعر الكبرى ، الغنائى ، والقصص الملحمى ، والتمثيلى ، فالمشهور لدى الدارسين أن أغراض الشعر العربى انحصرت فى الشعر الغنائى من غزل ووصف وفخر وهجاء ومدح ورثاء ولم تطرق أبواب الملاحم ولا مسارح

التمثيل ناظرين الى الشعر الجاهلى وأغراضه . ولكن العقاد فى رده على هذا لم يفرق بين قديم وحديث فأوزان الشعر العربى وسعت كل فن وغرض « لم تضق بالترشيح والتسميط ، ولا بالأناشيد الفردية والأناشيد الجماعية ، ولم يعجز عن التعبير بها فى فنون القصة على التخصيص ناظم ذو معرفة وثقافة ، ولا ناظم من الأميين أصحاب السليقة المطبوعة فى ملاحم اللغة العامية ، فالملحمة اليونانية الكبرى — وهى الالياذة(١) — نقلت الى العربية الفصحى فى هذه الأوزان ، وملاحم أبى زيد الهلالى نظمت فى هذه الأوزان » .

ويقرر أن بحور اللغة العربية تستوعب حاجة كل ناظم « ففى اللهجات الشائعة مقطوعات نظمها الأميون والأميات فى موضوعات الأفراح والمآتم ، والمساجلات والأمثال لا تخرج عن أوزان تلك البحور ، ولا يحس الناظم الأمى أنها عسيرة عليه ، فهو لا يحتاج الى أداة غير السليقة الفنية والقدرة المطبوعة على التعبير » . ويتابع البحث فى تلك « الموسيقية » قائلا: انها تأتى فى الكلام الذى لا يقصد به الشعر كما جاء فى القرآن والحديث الشريف واذا كان الأمر كذلك ولا ريب فيه فلم يصيح الشعراء اليوم بصعوبة النظم على الوزن والقافية الموحدة ؟ .

يقول العقاد : ومن هنا يظهر لنا أن الدعوة الى الغاء الأوزان ذات البحور والقوافى فى اللغة العربية لا تأتى من جانب سليم ، ولا تؤدى الى غاية سليمة ، فلا يدعو اليها غير واحد من اثنين : عاجز عن النظم الذى استطاعه الشاعر العامى فى نظم القصص المطولة والملاحم التاريخية من أمثال السيرة الهلالية وسيرة الزير وغيرها من السير المشهورة .

أو عاجز عن النظم الذى استطاعه الشاعر العامى والشاعرة العامية فى نظم أغانى الأفراح ونواح المآتم وأمثال الحكمة والنصيحة على ألسنة

---

(١) ترجمها الى العربية سليمان البستانى سنة ١٩٠٤ فى أحد عشر الف بيت بالفصحى .

المتكلمين باللهجات الدارجة ، ولا خير للفن فى كلام يقوله من يعجز عن هذا القدر من السليقة الشاعرية والملكة الفنية ، وأحرى به أن يأتى بما عنده فى كلام منثور ويترك النظم وشأنه بدلا من هدم الفن كله وحرمان اللغة العربية من آثار القادرين عليه . ويختم قوله فى الأوزان بقوله :

« ان هدم الفن الجميل الذى امتازت به لغة العرب بين لغات العالم لا يصدر الا عن عجز أو اصرار على الهدم ، ولا خير فى دعوة يتولاها العجز العقيم ، والضغينة النكراء »

لكن شعراء « التفعيلة أو الشعر الحر » أو « الشعر السايب » كما سماه العقاد نفسه قد ملئوا الجو هتافا بالعدول عن الشطور المتساوية ، ومضوا به الى شىء لا هو شعر ولا هو نثر ، وحد الشعر عندى أنه يصلح للغناء ، فاذا استعصى عليه كان ثغاء وخوارا ، ونعيقا على الفن من شعر وغناء ، وانك لتبدأ فى أوله ثم تجد نفسك تجرى وتجرى حتى تنتهى من هذا الطراز وأظنك لا تفهم منه الا ظلالا من الفهم ان وفقت ، فقد جمع بين النظم الأعرج والمضمون الكسيح وما ثورة العقاد عليه الا أنه لم يجد له مذاقا وأنه يعترض مجرى اللغة الشاعرة ويرمى بها بين اللغات العاجزة ، ولولا ذلك لكان العقاد أول المؤيدين ، اذ أنه فى مقدمة من دعا الى التجديد فى الشكل والمضمون ، ويعز على أن أجد (صلاح عبد الصبور) ، (وكمال نشأت) يتخذان « الشعر الحر » مذهبا ، وهما القادران على السير فى طريق « عمود الشعر » ولكمال نشأت ديوان كامل نظمه كما ينظم شعراء العصر العباسى ولكن حب الاغراب له أضواء تغشى العيون .

المجاز والشعر

كنت أود أن أترك الحديث عن « المجاز » لأن من درسوا البلاغة متخصصين أو غير متخصصين شبعوا من الحقيقة والمجاز وما تفرع عليهما من مباحث تعنى الدارسين ، وتستهلك بهاء الشعر الأصيل من كثرة الأخذ والرد من عهد السكاكى الى عهد الجارم ، لكننى نظرت

فوجدت العقاد يعالج أمرا يتصل بفهم المستشرقين للمجاز فى لغتنا الشاعرة من جهة ، ومن جهة أخرى يأتى بطرائف طريفة لم يسبق اليها فى الدراسات السابقة أو اللاحقة ، ويعلن منأول كلمة أناللغة العربية لغة المجاز . كيف كان ذلك ؟ ولى تجربة أنا مع الذين استغربوا أو بتعبير أدق الذى شدوا قليلا أو كثيرا من اللغات الأجنبية ، فهم فى أثناء الحوار يقولون : ان اللغة العربية لا حقيقة فيها فكلها مجاز ، وأعجب كيف يكون المجاز مولودا من غير أب أوأم ، والأصل فى اللغات أنها تتصل بالماديات فكيف خالفت اللغة العربية القاعدة ؟ ان العقاد فى حديثه عن المجاز رد على المستشرقين والمستغربين معا . يقول : لا تسمى اللغة العربية بلغة المجاز ـ فيما نرى ـ لكثرة التعبيرات المجازية فيها ، لأن هذه التعبيرات قد تكثر فى لغات عدة من لغات الحضارة ، وانما تسمى اللغة العربية بلغةالمجاز لأنها تجاوزت بتعبير المجاز حدود الصور المحسوسة الى حدود المعانى المجردة ، فيسمع العربى التشبيه فلا يشغل ذهنه بأشكاله المحسوسة الا ريثما ينتقل منها الى المقصود من معناه ، فالقمر عنده بهاءوالزهرة نضارة ، والغصن اعتدال ورشاقة، والطود وقار وسكينة ، ويضرب مثلا لسهولة الانتقال من الحقيقة الى المجاز كأن لا حقيقة منظورة بالكتابة . قال : كان الكاتب فى عهود الكتابة الأولى قبل اختراع (الأبجدية) يريد أن يكتب كلمة (يمشى) فيرسم على الصخر أو الورق صورة انسان يمشى على قدميه ويبدو عليه أنه يتحرك فى مشيته ، ثم تطورت الكتابة فانتقلت الصورة الى مقطع صوتى يؤخذ من الصورة ويستخدم فى الدلالة على الأصوات التى تشبهه ، ثم انتقلت من المقطع الصوتى الى حرفواحد تجتمع منه الحروف الأبجدية وهى الكتابة فى مرحلتها الأخيرة ، فالباء هى الحرف الأول من كلمة (بيت) التى كانت ترسم على شكل بيت للدلالة على المبيت أو المساء ، ثم تولد منها مقطع بحروفه الثلاثة ، ثم تولد من المقطع حرف واحد هو الذى بقى من الصورة كلها وهو الذى نسميه الآن حرف « الباء »

ونسمعه فلا يخطر لنا رسم البيت على بال ، لأننا تخطينا بالكتابة عهد (الهيروغليفية) وعهد المقطع الى عهد الحروف الأبجدية •

مثل هذا التطور يتكرر فى الصورة المجازية التى ترد على ألسنة المتكلمين باللغة العربية فلا يلبث التشبيه المجازى أن يؤدى معناه المقصود بغير وساطة الشكل المستعار ، ولا يشغل الذهن بالصورة المحسوسة لانتقاله منها على الأثر الى الوصف الذى يقابلها كما تقدم فى معنى القمر والزهرة والغصن والطود •

ولا يعنى العقاد بهذا أن الحقيقة ذهبت وأبيدت ، وانما يعنى تطور اللغة وامكاناتها فى الأداء ، فكلمات كثيرة بقى لها معناها الحقيقى مع شيوع معناها المجازى على الألسنة حتى ليقع اللبس أيهما السابق وأيهما اللاحق فى الاستعمال؟ وهنا يورد كثيرا من هذا النوع الذى يستخدم فيه المجاز والحقيقة باقية صالحة للاستخدام ، منه : الحقيقة والمجاز ، وانطلق ، واعترض ووجب ، والفريضة ، والفضيلة ، والحكمة ، والعقل ، والعظمة ، والأنفة ، والعزة ، والنبل ، والرحمة ، والجمال ، والبشر ، والعلم ، والثقة شارحا الأمرين ، مبينا الاستعمال فى حالى المجاز والحقيقة • ثم قال : « ومن هذه المجازات ما هو قوى الدلالة على أحوال الأمة العربية فى حياتها الأولى فالكتابة والشكل والرسم والبلاغة والفصاحة والدلالة نفسها كلمات مستعارة من حياة أقوام رعاة وقبائل مترحلة : فالكتابة والشكل بمعنى القيد ، والرسم أثر خطو الابل على الرمل فى رسيمها أو سيرها على العموم ، والبلاغة من الوصول الى غاية السير والفصحة من اللبن الفصيح الذى زال رغوه ، والدلالة للقافلة كالدلالة للكلام • واذا قال العربى القديم : ان العرب قوم أو قبيل فانما يعنى بالقوم طائفة من الناس تقوم معا للقتال ، وما الطائفة وما القبيل ؟ انهما جاريتان هذا المجرى ، فالطائفة أناس يمضون الى قبلة واحدة ، ومثل هذا اطلاق كلمة (القرن) ؛ على الذين يقترنون فى مولد واحد ، ثم أطلقت على الزمن

الذى يقترنون فيه ، ويشبه أن يكون (الجيل) بمعنى القرن على فعيل من جال ، ثم تحولت من جويل الى جيل ... » .

ثم يستطرد من هذا الى المقارنة بين اللغة العربية واللغات الأخرى فى استعمال المعنى الحقيقى والمعنى المجازى فى وقت واحد ، فيبدو له من المقارنة أن الكلمات التى تستعمل للغرضين كثيرة فى اللغة العربية وليست بهذه الكثرة فى اللغات الأوربية ، ويذكر العلة فى ذلك قائلا : وقد يرجع الفارق الى غير سبب ، فلعله راجع الى تطاول العهد بين بداوة الأمم الأوربية وحضارتها ، ولعله راجع الى انتقال لغاتها الى حالتها الحاضرة من لغات قديمة بطل استعمالها وانقطعت فروعها عن أصولها ، ولعله راجع الى خاصة عربية بدوية فى التعبير بالتشبيهات المجازية أو الشعرية .

ثم يهاجم المستشرقين فى فهمهم وضلالهم وحرمانهم الحس اللغوى الذى يمنحهم مذاق المجاز العربى مقدما المثال ليكشف جهلهم وادعاءهم معا فى فهم البلاغة العربية أو الخيال فيها . يقول ان قول البديعى العربى : « رأيت قمرا على غصن على كثيب » يربك السامع من غير أبناء اللغة العربية ، ويجتهد هذا السامع فى استخراج الصور المحسوسة من أطوار التشبيهات فلا يدرى كيف يجتمع منها رسم جميل ، ثم ينفض يده من البلاغة العربية قائلا لنفسه انها بلاغة مزاج آخر يسيغ ما لا يساغ فى كل مزاج ، الا أن المسألة فى حقيقتها ليست من مسائل المزاج المختلف بين الأجناس ، ولكنها مسألة اللغة والاصطلاح فى استخدام الصور والكلمات ...

ان العربى أيضا يزعجه أن يضع قمر السماء على غصن الشجر على كومة الرمل ليستخرج منها محاسن انسان يهواه ولا يعجب السامع من هواه ، ولكنه يبتهج ولا ينزعج حين يفهم الصورة على طريقته فى ترجمة المجاز من الصور الهيروغليفية الى الحروف الأبجدية : اشراق كالاشراق الذى يحسه الناظر الى القمر ، وخفة كالخفة التى يتمايل بها الغصن

النضير ، وجسم بض كالجسم الذى يمسك ذلك الغصن ، وانسان يتقابل فيه الاشراق والخفة والبضاضة فى رشاقة واعتدال ، ولا موجب بعد ذلك للحيرة ولا لنفض اليدين من بلاغة المزاج الغريب الذى يأبى أن يأتلف بكل مزاج .

ومن أين جاءت الحيرة ثم الحكم القاسى على الشعر العربى ؟ يقرر العقاد أن الغالب على هؤلاء المستشرقين من زمرة الحفاظ يشتغلون بجانب الحفظ فى الأدب ، ولا يشتغلون بلباب الأدب فى لغاتهم ولا فى لغات غيرهم من المشارقة أو المغاربة ؛ فهم لا يحسنون الحكم على شاعر من أبناء جلدتهم ، وأحرى بهم ألا يحسنوا الحكم على الشعراء من أبناء اللغات التى تخالف لغاتهم . يشعر المستشرقون بالربكة حين يتوقفون بذهنهم عند مجازات التشبيه فيحسبونها مقصودة لذاتها . ويتقيدون بقشورها اللفظية دون ثمراتها وبذورها ، ولا يدرى أحدهم كيف يطرب العربى لهذا الشعر ، ولا يحاول أن يرجع بالعجب الى نفسه قبل أن يتهم أمة كاملة بضلال الحس وسوء التعبير ، وهى — فيما يعلم — من الأمم التى تفخر بلسانها ، وتنكر العجمة فى ألفاظها ومعانيها . والأمر بعد ليس راجعا الى ذوق وذوق فأبناء العروبة الذين يقرءون اللغات الأجنبية لا يربكون حين يقرءون ؛ لأنهم يصلون الى طبيعة اللغة التى تعلموها ، ولأنهم يتذوقون ولا يحفظون . وهكذا دفعهم الحق بكشف مساويهم ، وعلة الخطأ فى تنائيهم عن تذوق البلاغة العربية والمجاز الشعرى فيها .

السيد حسن قرون

سئل عمر عن رجل لا يشتهى المعصية ، ولا يعمل بها هل هو أفضل ؟ أم رجل يشتهى المعصية ولا يعمل بها ؟
فقال : الذين يشتهون المعصية ولا يعملون بها « أولئك الذين امتحن الله قلوبهم للتقوى لهم مغفرة وأجر عظيم » .

المرأة فى الإسلام

لفضيلة الدكتور رءوف شلبى

— ١ —

موضوع المرأة فى الاسلام شىء له أن يقلب على كل الوجوه وأن يعرض فى مظاهر شتى كأنما هو موضوع خطير ومعضل لما ينتته الاسلام من حسمه وانهاء الرأى فيه ... وهكذا شىء لهذا الموضوع أن يطرق كثيرا بل شىء له أن يقام له مؤتمر خاص أو مهرجان فكرى حاص لغرض نحن لا نحسن النية تجاهه وان حسنت نيات المشتركين فيه لأنه لا رأى لمسلم ولا لمسلمة اذا قضى الله ورسوله أمرا .. وقد انتهى منذ أربعة عشر قرنا من موضوع المرأة فى الاسلام وطبق شرع الاسلام فى حكومات شتى وبلاد شتى ، وعصور شتى وأزمان شتى ولم تظهر قضية المرأة فى مجتمع الاسلام على أنها مشكلة الا بعد أن ظهر الغزو الفكرى الأوربى ، وأصغر الفكر الشرقى أمامه فأصبح الفكر الغربى هو الوجه للفكر العربى المسلم وتسلل موضوع المرأة كموضوع من موضوعات المشكلات الاجتماعية لأهداف كثيرة أقلها خلخلة الاعتقاد فى صحة النظام الاسلامى للأسرة فى العصر الحديث ، والمطالبة بتطوير التشريع الاسلامى على سنن النظام الغربى ... وبذلك يكسب المخطط الاستعمارى الثقافى مكسبا ضخما وهو أن حوّر فكر المسلمين فى أدق عناصر حياتهم فى موضوع الأسرة وأبعدهم من النظام الاسلامى .

ومن الغريب جدا أنه فى اللحظة التى نرى فيها الفكر الغربى يتهافت فى نظام الأسرة : نرى ألمانيا بعد

الحرب العالمية الثانية تطالب جمهرة نسائها بالنص على وجوب تعدد الزوجات فى الدستور الألمانى •

وفى اللحظة التى نرى فيها ايطاليا حاليا وهى عرين الفاتيكان تبيح الطلاق ••• فى هذه اللحظات نرى أن سموم الفكر الغازى القديم التى سرت الى النشاط النسائى العربى ما زالت عالقة بجدران التفكير للحركة النسائية كما زالت هناك مطالبات بتقييد الطلاق وتعدد الزوجات •

والغريب فى الموضوع أن الحركة النسائية العربية المعاصرة قد أغلقت عينها عن نور الاسلام وفتحت كل أبصارها على ظلام الفكر الغربى تعبًّ من ضلاله لتسقى روضها بالمياه الملحة من المحيط الاطلنطى مقتنعة بأنها أصفى من ماء النيل الذى يهب للحدائق عطر الورود ورياض البساتين وأعنى (بالنيل) هنا هدى القرآن الكريم والسنة النبوية الشريفة •

ومن هنا أيها الاخوة فان الحديث عن المرأة فى الاسلام سوف يكون منطلقه هو الاسلام نفسه اظهارا للصورة الرائعة للحياة الكريمة التى هيأها الاسلام الحنيف للمرأة لتحيا موقرة بعيدة عن مشاغبات الحياة وهواجس النفس••وتقنين المغترين•

وسوف نعالج الموضوع على النحو التالى ـ :

أولا : الطور الأول :

قبل المولد

كان الشعور السائد فى المجتمع العالمى ابان ظهور الاسلام يتأفف من خلف البنت •

وكان الاسلام فى المدينة المنورة يجاور ـ عن كثب ـ اليهود، الفرس والرومان والنصارى وهؤلاء لهم فقه خاص ونظام خاص عن المرأة •• فلما جاء الاسلام أراد أن يضع ذاتيته التشريعية فى مواجهة ذلك المنطق البشرى كله فمهد الاسلام الحنيف بمدخل سيكولوجى نفسى عند الرجل ليستقبل المرأة فى الوجود الدنيوى بنفس راضية وصدر حنون ومشاعر طيبة • فربطها الاسلام برضوان الله وأنسه بقول النبى صلى الله عليه وسلم :

ان الله خلق الخلق حتى اذا فرغ منهم قامت الرحم فقالت : هذا مقام العائذ من القطيعة ، قال : نعم ،أما ترضين أن أصل من وصلك وأقطع من قطعك ؟ قالت : بلى ، قال : فذاك لك .

رواه مسلم فى باب صلة الرحم .

فيضع الاسلام منزلة المرأة وهى ما تزال فى رحم الغيب بجوار مقام العائذ بالله أى فى مقام السلطان والعزة فهى فى جوار آمن ، وهى فى جوار صاحب الملك والتدبير والسلطان فمن ذا الذى يغضب الرحمن ؟

ولا تقف التهيئة الوجدانية عند هذا فقط بل انها لتسير فى خط يثير الوجدان الطموح ويدفعه الى التلذذ بخلف البنت فيجعل الاسلام دخول الجنة مرتبط بصلة الرحم يقول النبى صلى الله عليه وسلم — :

« لا يدخل الجنة قاطع رحم » (رواه مسلم) .

ويقول عليه الصلاة والسلام :

« من سره أن يبسط عليه رزقه أو يسأ له فى أثره فليصل رحمه » (رواه مسلم) .

واذا أساءت المرأة — فرضا — واصلها ، فان الاسلام لم يحرمها من هذه المكرمة — ففى البخارى :

« ليس الواصل بالمكافىء ولكن الواصل الذى اذا قطعت رحمه وصلها » .

وبذلك يضع التشريع الاسلامى المرأة فى كل أحوالها ومن قبل أن تولد على بساط التكريم والاحترام.

فأرونى مثل هذا الشرع شرعا جعل للمرأة مثل هذه الحظوة وهى فى الغيب المحجوب ما تزال شيئا ما .

ثانيا — الطور الثانى :

طور طفولتها

كانت وما تزال — البيئة البشرية تشمئز من البنت وكان وما يزال — الرجل متعلقا بانجاب الذكر لأنه حسب تفكيره امتداد لحياته واستمرار لاسمه واحياء لذكره .

وكان وما يزال الرجل يرى أن البنت مصدر عار ، انها تحمله مشقة نفسية فى التربية وتحمله مشقة

اقتصادية فى النفقـة .. الخ وذلك عبء .. عبء ثقيل عليه .

أما الولد فيما يزعم الرجل فهـو أخف ثقلا ،لأنه مصدر عمل وعون.

ثم جـاء الاسـلام وقلب الفكرة وجعـل مولد البنت مولـد كرامة جديدة ، ففى الأثر :

اخرجى وأنا عون أبيك .

وجعلها الله لوالدها سترا من النار

ففى مسلم ــ :

« من ابتلى من البنـات بشىء فأحسـن اليهن كن له سـترا من النار » .

وجعل الاسلام الاحسان اليهن من مفاتيح الجنة .

فقد روى الامام أحمـد والبزار والطبرانى ــ :

« من كان له ثلاث بنات يؤدبهن ويرحمهن ويكفلهن وجبت له الجنة، قيل : يارسول الله فان كانتا اثنتين قال وان كانتا اثنتين .

وجعل الاسلام انجـاب البنـات عطية اللـه الأولى ومنحته السامية فقدمهن على الذكور فى قوله تعالى:

« لله ملك السموات والارض يخلق ما يشاء : يهب لمن يشاء اناثا ، ويهب لمن يشاء الذكور، أو يزوجهم ذكرانا واناثا ويجعل من يشاء عقيما انه عليم قدير »(٤٩ ، ٥٠ الشورى). »

فجعل لانجاب البنات هبـة من هباته وعطية من عطياه جـل شأنـه وجعله فى جوار « يخلق مايشاء » فالعطية منه مقبولة لانه لامعطى لمـا منح ، وجعل الخلق فى سلطان ملكه ـ وقدم هبة الاناث لتكتسب الأنثى شرف الجوار للخالقية الموضوعة فى اطار الملكية الالهية فهى ألصق بما لجلاله من كمال السلطان فأكسب هبة الاناث بهذا علو منزلة على عطية الذكور .

وليس هذا فحسب بل جعل النبى صلى الله عليه وسلم أب الاناث صاحبه يوم القيامة ــ ففى مسلم عن أنس بن مالك قال ، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ــ :

« من عال جاريتين جاء يوم القيامة انا وهو كهاتين — وضم حابعه — » .

ويواجه التشريع الاسلامى منكرات العادات الجاهليه التى تأخذ بوأد البنات ، فينعى القرآن الكريم على المشاعر المتحجرة .

« واذا بشر أحدهم بالأنثى ظل وجهه مسودا وهو كظيم يتوارى من القوم من سوء ما بشر به أيمسكه على هون أم يدسه فى التراب ألا ساء ما يحكمون » (٥٨ ، ٥٩ — النحل). فتصحح الآيات القرآنية الفكرة الخاطئة وتضع بديلها حكمة الله التى جعلت تهيئه أن تنشأ من زوجين : ذكر وأنثى بينهما تمام التكامل والمودة لا تعارض فيه ولا تشاحن.

والأنثى فى نظر الاسلام أصيلة فى نظام الحياة (يأأيها الناس انا خلقناكم من ذكر وأنثى) واذا كان أمر الحياة كذلك فكيف يغتم رجل اذا بشر بالأنثى ... ولهذا عالج القرآن قضية البنات بصورة ترهب العتاة وتحمى النسمة الطيبة التى يعبق بها الوجود أنسا ومودة وحنانا ،

فيضع مسؤلية هذه الفعلة الشنيعة فى سباق الهول الهائج المائج يوم القيامة كأنما هو حدث كونى من الأحداث العظام يضعه مع الشمس

اذا كورت .

والنجوم اذا انكدرت .

والجبال اذا سيرت .

والعشار اذا عطلت .

والوحوش اذا حشرت .

والبحار اذا سجرت .

والنفوس اذا زوجت .

والموءودة اذا سئلت بأى ذنب قتلت .

فى هذا الايقاع الحركى الجائح المروع المؤهل يضع القرآن الكريم قضية الموءودة احدى الموضوعات ليوم الحساب ومن هنا من شريعة القرآن الكريم فقط تنبع كرامة المرأة دون منٍّ أو تمالل أو مغالاة.

فأرونى مثل الشرع شرعا جعل للمرأة مثل هذه الخطوة من التكريم والاحترام ؟ .

ثالثا ــ الطور الثالث :

الى البيت السعيد

الحياة الزوجية آية من آيات وحدانية الله وعظمته .

« ومن آياته أن خلق لكم من أنفسكم أزواجا لتسكنوا اليها وجعل بينكم مودة ورحمة ان فى ذلك لآيات لقوم يتفكرون » (٢١ الروم) .

فالناس يعرفون مشاعرهم تجاه الجنس الآخر وتأتى هذه الآية فى ايقاعها الرفيق اللطيف الموحى لتلتقط هذه الصورة من أعماق القلب ونور الحسن وتبرزها فى صورة (لتسكنوا اليها) لا لشىء آخر .. وهو سكن مطمئن عفيف هادىء رائق ممتلىء بالبهجة والسعادة والأنس والسرور ...

(وجعل بينكم مودة ورحمة)

أبرار لحكمة الخالق يدرك بها العقلاء حكمة الله جل شأنه فى تلبية الحاجة الفطرية فهما معا .

وكأنما الآية تهمس بيد الحنان على مشاعر البشر أفلا تذكرون قدرة الله التى أودعت فى نفوسكم رجالا ونساء هذه العواطف والمشاعر وجعلت فى الصلة سكنا للنفس والأعصاب ، وراحة للجسم والقلب واستقرارا للحياة والمشاعر وأنسا للروح والضمائر واطمئنانا للذكر والأنثى وعلى السواء ، ولذلك حفظ الله بيت الزوجية بهذه الضمانات :

١ ــ رأى المرأة فى الزواج :

وكان البيت السعيد فى الاسلام باذنها ففى الحديث الشريف :

« لا تنكح البكر حتى تستأذن قالوا يا رسول الله ، وكيف اذنها قال : أن تسكت » (رواه مسلم) .

ويقول عليه أفضل الصلاة والسلام :

« الأيم أحق بنفسها والبكر تستأذن واذنها صماتها » .

واذا كان فى المجتمع المعاصر سلوكا غير هذا فهو ليس من الاسلام ولا من تقاليده ففى البخارى :

« ان خنساء بنت خدام أنكحها أبوها وهى كارهة فرد النبى صلى الله عليه وسلم ذلك النكاح (١) .

وفى عهد النبى صلى الله عليه وسلم رفضت بريرة مغيثا ولم يأمرها النبى صلى الله عليه وسلم بقبول الزواج منه مع أنه كان يمشى وراءها فى الطرقات باكيا .

٢ ــ مهرها نحلة :

والزواج عقد كالعقود ولكن الله لم يسم الممنوح للزوجة ثمنا كما سماه فى البيع ولا عوضا بل سماه نحلة ، والنحلة هى العطية التى لاتتقابل بعوض ولكنها تنحل للتكريم دون مقابل فهى رمز للمعنى السامى الذى لا تستطيع اللغات أن تعبر عنه ، انة رمز المودة والنقاء والهناء فى سكن جعل رحمة ومودة وقد سماه الله نحلة تقريرا لمبدأ يجب أن يراعى فى تقديم المهور .

ذلك أن نحلة النحل عسل مصفى فيه شفاء للناس ونحلة النحل هذه يطلبها النحل من أعلى الزهور نسبة فى السكر .

واذا ارتشف النحل رحيق الزهر لم يترك عليه أثرا ولا ضررا يقدمه ولا من شفتيه فهو أخذ بلا أضرار فاذا عاد النحل أخرج الرحيق عسلا بهيج اللون حلو المذاق .

فاذا ما قدم الانسان قدم شفاء وضعت فيه بركة الله .

فكذلك المهر ينبغى أن يكون كذلك من مصدر حلال .

لايرتبط به أذى ولا منة .

وأن يقدم بيد الحنان .

وأن لا ينتظر فى مقابله عوض .

ولهذا لم يجعل الاسلام له حدا محدودا فالرمز فيه كناية عن الرضا ، وأعظم النكاح بركة أقله مؤونة .

٣ ــ لا يجمع عليها قريبتها :

ولما كانت الزوجية سكنا ومن مستلزمات السكن السعادة والطمأنينة فقد حافظ الله على مشاعر الزوجة وحافظ على حسن العلاقات داخل الأسرة والنسب فحرم الله أن يجمع الرجل مع زوجته واحدة من قريباتها المذكورات فى سورة النساء الآية ٢٢

---

(١) ارشاد السارى ج ١٠ ص ١١١

من كل سيدة تمت لها بصلة القرابة أو النسب .

أماً أو خاله ، أو عمه أختا أو بنتا لأحد الأخوين أو أختا من الرضاعة ... الخ .

٤ ـ كما حرم الاسلام أن تسعى امرأة فى طلاق أختها من زوجها لتحل مكانها ففى البخارى :

« لايحل لامرأة تسأل طلاق أختها لتستفرغ صفحتها فانما لها ما قدر لها » .

فليست الزوجية اشباع شهوة وانما هى قضية ود وسكن ؛ ولهذا فقد حرم الاسلام على المرأة أن تستعمل بعض مميزاتها التى وهبها الله اياها لتفتن الرجل عن زوجته فتحل محلها بعد أن يطلقها .

وبذلك فقد برزت احدى مفارقات التشريع الاسلامى عن التشريع الوضعى الذى تعانى منه المرأة فى النظام الأوربى وهو مايسمى بنظام(العشيقات) فضلاعن الأنظمة الأخرى التى جعلت من المرأة زجاجة عطر تتناولها جميع الأيدى دون حساب .

٥ ـ وكما حظر الاسلام على المرأة أن تعتدى على أختها فتطلقها لتحل محلها كذلك حرم الاسلام على الرجل أن يخطب على خطبة أخيه حفاظا على المودة التى بدأت بين الخطيب وخطيبته وحفاظا على المودة بين أبناء المجتمع الاسلامى القائم على الأخوة وأن يحب المسلم لأخيه مثل ما يحب لنفسه فقد روى عن ابن عمر رضى الله عنهما قال ـ:

« نهى رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يبيع بعضكم على بيع بعض ولا يخطب الرجل على خطبة أخيه حتى يترك الخاطب قبله أو يأذن له الخاطب »

٦ ـ تحريم الشغار :

ليست قاعدة الحياة الزوجية مثل قاعدةالبيع ، ولامثل قاعدة العلاقات العامة فى المجتمع التى تقوم على تبادل المنافع ، أنها أسمى من ذلك كله لأنها آية من آيات وحدانية الله وعظمته تذكر الناس بحكمة الخالقية التى جعلت من النوعين تكاملا ينبثق معه الأنس والود والحنان..

وتمشيا مع هذه القاعدة الجليلة فى بناء الأسرة فقد حرم الاسلام نكاح الشغار وأن يتبادل الرجال النساء فى مقابل المهر ففى الحديث الشريف:

« لا شغار فى الاسلام » •

٧ ـ وعلى هذا النسق فقد حرم الاسلام استغلال المرأة كمصدر للتمويل •

يحكى جروف صامويل فى كتابه (المجتمع ومشاكله): أن روما فى القرون الوسطى كان بها ست عشرة ألف امرأة تمارس البغاء وقد جعلتهم الكنيسة مصدراً لتمويل الضرائب وسمحت لهن بشرعية ممارسة هذا النوع من الانحراف المهين •

ومع هندسة شوارع سنغافورا Singgapura بالزهور التى أشرفت عليها مهندسة صهيونية ـ نظمت الصهيونية العالمية الدعارة فى هذه الجزيرة التى تعتبر مركزا عالميا للتجارة والسفر ولا تجد الحكومات فى بلاد الغرب أو الشرق حرجاً من أن تمتلىء نسوة هذا النوع بالفنادق ترويجا للسياحة ••• ولكن الاسلام عفف المرأة عن هذا التردى المهين وحافظ عليها عرضا وشرفا فقال تعالى :

« ولا تكرهوا فتياتكم على البغاء ان أردن تحصنا » (٣٣ ـ النور) •

فأرونى أيها السادة شرعا مثل شرع الاسلام أعطى للمرأة مثل هذه الضمانات فى الحفاظ عليها ••• ؟

وأرونى أيها السادة شرعا غير الاسلام أعطى للزوجة مثل هذه الضمانات •• ؟ ضمانات الأنس والمودة والشرف والعفاف •• ؟

أو تريد الحركة النسائية المعاصرة غير هذا •• ؟

اذن دلونى على السبيل ؟

(أ) الواجبات على الرجل تجاه زوجته :

ويخط الشرع الاسلامى المبدع مواثيق الرجل تجاه زوجته :

• العشرة بالمعروف :

يقول الله تعالى : « وعاشروهن بالمعروف » •

ويطول حبل العشرة الى اصلاح الخلل الذى يصيب حصن الزوجين فى بعض الأحايين فيقول الله تعالى :

« فان كرهتموهن فعسى أن تكرهوا شيئا ويجعل الله فيه خيرا كثير » ١٩ ــ النساء .

فتوصى الآية بأن هناك راعيا فوق الأسرة يديم عليها المعروف كنظام فى العشرة ، ذلك الراعى صوت التدين الذى يسيطر على قوى النفس وينادى من سويداء الفطر: لم تكرها ؟ ربما هذا الخير من أجلها ... فتترطب المشاعر الملتهبة ويزول شعور الكره العارض وتعود الى الزوجية نسمة صبح الوداد لتنعش حياة الأسرة من جديد .

. **النفقه :**

ويوجب الاسلام على الرجال النفقة وهى نفقة حدها القدرة والايسار فيقول الله تعالى :

« لينفق ذو سعة من سعته ومن قدر عليه رزقه فلينفق مما آتاه الله لا يكلف الله نفسا الا ما آتاها سيجعل الله بعد عسر يسرا » . (٧ ــ الطلاق) .

وتوضع فى النفقة جو يشيع بالحب والحنان لا تسلط فيه ولا عنف يقول النبى صلى الله عليه وسلم ــ :

« اذا سقى الرجل امرأته الماء أجر » (رواه البخارى فى التاريخ) فهل تريد الحركة النسائية المعاصرة أن تحدد النفقة ؟؟

واذن فما حظ المرأة التى قدر لها الأقل وقد أيسر صاحبها أو ماذنب الرجل اذا أعسر وقد قدر عليه مالا يقدر عليه ؟ والله يقول ــ :

« ان ربك يبسط الرزق لمن يشاء من عباده ويقدر » .

وليست الحركة النسائية المعاصرة هى التى تبسط الرزق وتقدر فكيف تقنن النفقات والعسر واليسار بيد الله والله لا يكلف نفسا الا ما آتاها ...

والله هو الذى يجعل من بعد عسر يسرا ...

اذن تقنين النفقة بقدر ثابت خروج بقانون الأسرة عن حياض

الشريعة وربقة الايمان بالله الذى جعل العسر واليسر بيده هو ...

• **حفظ سرها :**

يالعظمة الاسلام وهو يحوط المرأة بسياج من الستر يحفظ عليها ماء وجهها ويخفى عن الناس بعض خصائصها الخاصة التى تتحلى بها مع شدة وقارها فاذا ما عرفت ربما رآها الناس صغيرة أوتقززت هى من نفسها يقول النبى صلى الله عليه وسلم ـ :

« ان من أشر الناس عند الله منزله يوم القيامة : الرجل يقضى الى امرأته وتفضى اليه، ثم ينشر سرها » .

لقد شاء الاسلام أن تبقى للمرأة خصائصها سرا لا يجوز للرجل أن يذيعه ليبقى لها كبرياؤها وأنوثتها وكرامتها بعيدا عن سمع الناس وخواطرهم .

• **حفظ مالها :**

النظام الجاهلى قديما وحديثا فى أوربا لايعطى حقا للمرأة فى التصرف المباشر فى أموالها ... وجاء الاسلام الحنيف ليؤسس للمرأة حقا طبيعيا فى ملكية المال وأهلية التصرف فيه يقول الله تعالى ـ :

« للرجال نصيب مما ترك الوالدان والأقربون .

وللنساء نصيب مما ترك الوالدان والأقربون .

مما قل منه أو كثر نصيبا مفروضا (٧ ـ النساء)

وقد حرص الاسلام على أن تبقى ملكية المرأة وأهليتها فى التصرف حقا ثابتا فنص القرآن الكريم على عدم التدخل فى شئونها المالية قال تعالى ـ :

«وان أردتم استبدال زوج مكان زوج وآتيتم احداهن قنطارا فلا تأخذوا منه شيئا أتأخذونه بهتانا واثما مبينا » (٢٠ النساء) .

«وآتوا النساء صدقاتهن نحلة ، فان طبن لكم عن شىء منه نفسا فكلوه هنيئا مريئا » (٤ ـ النساء) .

فصلت الآيات على أنه لا يجوز ألبتة أخذ شىء من مال المرأة الا عن رضى نفس منها .

وقد برزت الصورة التركيبية فى الأسلوب القرآنى بما لا يبيح

اجتهادا فى جواز أخذ شيء ولو كان يسيرا دون اذنها الطبيعى .

فالفعل طاب يتعدى بعربية بالبـاء — طاب بكذا — يعنى سمح ولكنه هنا فى الآية الكريمـة تعدى بكلمة عن التى تدل على المجاوزة مما يفيد أن أخذ شيء من مالها لا يجـوز الا بعد تجاوزها هى عن رغبة طيبة منهـا .

واظهار السموح به جزءا معبرا عنه بشيء يدل على كمال تصرفـها ومطلق ملكيتها .

وكون الفاعل تمييزا للدلالة على أن الأسـاس فى الاباحـة مرتبط بمطلق ارادتـها الحـرة فى الاذن والتبرع دون ضغط أو تحايل .

. عدم احراجهـا :

ومن الواجبـات التى يحتمهـا الاسلام على الرجل تجـاه زوجته عدم احراجها .

فاذا كان مسافرا فلا يرجع اليهـا ليلا دون أن يخبرها بعودته ، ففى البخـارى :

« قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : اذاأطال أحدكم الغيبة فلا يطرق أهله ليلا » .

وفى الطبرانى فى الكبير — :

« ولا تطرقوا النساء ليلا » .

وفى مسند الامام أحمد بن حنبل رضى الله عنه — :

« كان رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يطرق أهله ليلا » .

هكذايضمن الاسلام للمرأة حياة طبيعية طيبة وهذه الحياة على نحو ما شرحناه هى مفهوم : « الرجال قوامون على النساء »

فالقوامة : تمـام الرعاية وكمال الضـبط وهى تكليف من الله الى الرجـال ليحسنوا رعاية الأسرة ، وقد حبا الله الرجال من الخصائص ما يؤهلهم لهذه القوامة .

فان تخلى الرجال عنها فقد تخلوا عن أمانة من أمانات الله .

ويوم أن يتخـلى عن القـوامة الرجـال تتعسر الحياة فى شرقنـا الاسلامى كما فسـدت الحياة فى الغرب المترنح بين أفانين الفساد .

فهـل يريد الرجـال التخلى عن القوامة وهىأمانةالله فى أعناقهم! ؟.

وهل تريد المرأة أن يتخلى الرجل عن قوامته لهـا فتنهار ! ؟

د . رءوف شلبى

التزام الصالحين

للواء الركن محمود شيت خطاب

ألف أحد المشبوهين سياسيا وأخلاقيا ، كتيبا تافها لا قيمة له بأى سعر، ولا وزن له بأى ميزان، وهذا الكاتب يشرف على صفحة من صفحات احدى الصحف الكبرى ، تحوى على أخبار الفنانين والفنانات، وعلى أخبار هزيلة بعيدة عن الصدق تأمر بالمنكر وتنهى عن المعروف .

ولم يكد هذا الكتيب التافه يصدر الى أسواق الوراقين ، الا وكان حديث الصحافة وموضع تنويه أمثال كاتبه ، فلا أكاد أطالع صحيفة أو مجلة الا وأقرأ فيها مقالا مسهبا كله ثناء واطراء للمؤلف والكتاب .

واشتريت نسخة من ذلك الكتيب، فوجدته وريقات معدودات ، كل ما فيه عبارة عن وصف أماكن اللهو والمسارح وعلب الليل فى باريس وروما ولندن وغيرها من مدن أوروبا ، وبالامكان اعتباره دليلا للأماكن السياحية التى تتسم باللهو والمجون من حانات وأماكن القمار ومسارح الفسق ومحلات الزنا ، ودعاية سافرة رخيصة تشجع القراء على ارتياد البلاد الأجنبية والهروب من البلاد العربية .

أمثال هذا الكاتب الفاسق الفاسد ، داعية الخمور والقمار والفحشاء ، الذى يحب أن تشيع الفاحشة فى الذين آمنوا ، تحف به زمرته من الفسقة الفاسدين ،

فينوهون بفكره ويثنون على انتاجه، ويجعلون منه مفكرا ومؤلفا له قيمته ومكانته خدمة للأجنبى ولأعداء العرب والمسلمين .

ومر بذهنى بسرعة ما صدر من كتب قيمة لمؤلفين كبار ، تبنى ولا تهدم ، وتشيد ولا تخرب ، فوجدت أكثر تلك الكتب مجهولة ، وأكثر مؤلفيها غير معروفين ، لم يطلع عليها غير الذين دأبوا على زيارة المكتبات كل يوم ، فقلت لنفسى : لماذا يلتزم الفسقة أمثالهم، ولا يلتزم الصالحين أحد" من الناس ؟

ولست أنسى أبدا يوم علمت بوفاة العلامة المرحوم الشيخ محى الدين عبد الحميد عضو مجمع اللغة العربية بالقاهرة ، وعضو مجمع البحوث الاسلامية فى الأزهر الشريف ، ورئيس لجنة الافتاء فى الأزهر ، وأعظم محقق للتراث العربى الاسلامى فى العصر الحديث، فقد حضرت السرادق التى هيئت لاستقبال المشيعين والمعزين ، ومن سخرية الأقدار أن أحد الفنانين الذى عمل جاهدا لتحطيم الأخلاق نصف قرن بلا هوادة ولا كلل هلك فى ذلك اليوم ، وكانت سرادقه تلاصق سرادق المرحوم الشيخ محى الدين عبد الحميد ، فوجدت سرادق الشيخ تضم عددا محدودا من الأشخاص ، ووجدت سرادق الفنان المخرب تضم ألوفا من الأشخاص .

وخرج جثمان الشيخ ، فشيعه مالايزيد عن عدد الأصابع ، وخرج جثمان الفنان فشيعه أكثر من عشرة آلاف .

ويومها جرت من عينى دمعات ، وقلت لنفسى : أهكذا يكون تقدير العلماء العاملين المخلصين ؟

أهكذا يقابل العلماء الأعلام حتى فى موتهم بالعقوق والاهمال ؟

والذين يقرأون الصحف والمجلات، يجدون الاهتمام البالغ بحركات وسكنات الفنانين والفنانات ، ولا

يجدون أى اهتمام بالعلماء العاملين المخلصين !

والذين ينصتون الى الاذاعة المسموعة ، يجدون نفس الاهتمام بابراز الفنانين والفنانات ، ونفس الاهمال للعلماء العاملين المخلصين !

والذين يشاهدون الاذاعة المرئية ، يرون التركيز على الفنانين والفنانات بشكل هائل ولا يرون عشر معشار هذا التركيز على العلماء العاملين المخلصين !

أهذا مجرد صدفة ، أم هو متعمد ؟

انه متعمد بدون شك :

ولمصلحة من يلاقى العلماء العاملون المخلصون مثل هذا العقوق والاهمال ؟ !

لمصلحة الصهيونية العالمية والعدو الصهيونى وأعداء العرب والمسلمين ، ما فى ذلك أدنى شك .

والذين تدق لهم الطبول ، وتبرز أسماؤهم من المؤلفين ، وراءهم جماعات منظمة من المريبين ، تشيد بأسمائهم لقاء ثمن معلوم ، هذا الثمن هو استهانتهم بالعربية لغة والاسلام دينا ، والتراث العربى الاسلامى فكرا وحضارة .

وليس على مَن لم يدقّق فى ذلك ، أن يمعن النظر تارة أخرى ، ليجد كيف تشعل الشموع وتدبج المقالات ، من أجل دعاة العامية ، ودعاة الحروف اللاتينية ، ومنتقدى العربية والاسلام والتراث العربى الاسلامى العريق .

أما الذين يدافعون عن القرآن الكريم عقيدة وتشريعا ولغة والتراث الاسلامى العربى علما ينتفع به ويمكث فى الأرض ، فلهم الله !

فهل يقف الكتاب والمؤلفون الصالحون الذين يعملون تحت راية القرآن الكريم ، مكتوفى الأيدى متفرجين ؟ !

ان كل الدنيا ضدهم ، فهل من المعقول أن يقفوا ضد أنفسهم ؟

هذا ما يحدث فعلا ، فالطالحون يتجاهلون الصالحين ، والصالحون يتجاهلون الصالحين أيضا ، لذلك تفوق الطالحون على الصالحين وبرزوا وأصبحت لهم مكانة مرموقة بغير حق على حساب الصالحين !

يا حاملى راية لغة القرآن وسدنة العربية ومفكرى الدين الحنيف عقيدة وتشريعا ، ويامحققى التراث العربى الاسلامى .

انكم اذا بقيتم متفرقين ، جنيتم على أنفسكم ، وعلى العلم الذى تحملونه ، وعلى أبنائكم ، وعلى الأجيال القادمة .

تجنون على أنفسكم ، لبقائكم مغمورين ،وعلمالعلم لبقاء مؤلفاتكم مجهولة ، وعلى أبنائكم والأجيال القادمة لأنه لا يرتضى أحد أن يعيش مغمورا ويموت مغمورا ... انهم سينهجون منهج الهدامين من أجل الشهرة والعيش الرغيد .

انصروا اخوتكم وساندوهم من أجل المثل العليا التى تؤمنون بها ، ومن أجل انتشار تلك المثل بين الناس وسيادتها على العقول والقلوب ، ومن أجل مصاولة المشبوهين والمريبين والمخربين ، فمن الحرام أن يبقوا يسرحون ويمرحون خدمة لأعداء العرب والمسلمين .

لا يكفى أن يقرأ الصالح كتاب أخيه الصالح ، ثم يهز رأسه اعجابا وتقديرا ... عليه أن ينوه بما قرأه بالكلمة الصادقة أو باللسان وهو أضعف الايمان .

لا يكفى أن يسمع الصالح أخبار محنة أخيه الصالح بأمر من أمور الدنيا ثم يتمتم بكلمات الأسى والحزن ... عليه أن يعاونه بكل ما يستطيع لانتشاله من محنته .

لا يكفى أن يرى الصالح أخاه الصالح مريضا ، ثم يكتفى بالدعاء له ... بل عليه أن يعوده ويعاونه

على الشـــــفاء بالدواء والطبيب والكلمة الطيبة .

لا يكفى أن يترحم الصالح على أخيـه الصـالح ... بل عليه أن يشيّع جنازته ويعزّى أهله وينشر مؤلفاته ويرثيه ويكتب سيرته .

لا يكفى أن يدعو الصـــالح للشـاب الصالح ... بل عليه أن يشجعه ويرشـده ويسـدد خطاه وينشر انتاجه .

لقد سارعت بعد وصول القاهرة قبل سنتين الى زيارة دار المرحوم الامام الأكبر الشـيخ عبد الرحمن تاج شـيخ الأزهر الأسبق ، فاستقبلنى ولده ، فلما طال انتظارى للشيخ سألت ولده : هل الشـيخ مريض ؟ فقال : يرحمه الله .

لم أسمع وأنا فى العراق ، نبـأ وفاة الشيخ الجليل ، علامة العربية والتفسـير ، الورع التقى النقى ، صاحب المواقف المشهورة دفاعا عن كرامة العلماء ، بينما سمعت سـيلا متدفقـا من أنبـاء وفاة التافهين والأمعات وأشباه الرجال ! !

وكنت مريضـا فى احـــدى المستشـفيات ، وكان الى جانـبى مريض من معتنقى المبادىء الهدامة، فرأيت كيف نظم أصـحابه زياراته ونشروا أخبـار مرضه وغمـروه بالزهور ، بينما حملنى الممرضون على نقـالة المرضى وحيـدا ليس معى أحـد من الناس ، لأن أهلى هناك وأنا هنا ، واكتفى أصحابى بالدعاء .

وكان فى المستشفى شيخ الأزهر السابق ، وحيـدا فريدا ، يعـانى المرض والوحـدة ، يعـوده أفراد قلائل من أهله ومحبيه .

يا أيها الأخوة الصالحون :

لمـاذا أنتم متواكلـون ضعفاء والحـق معـكم ، ولمـاذا غيركم متكالبون أقوياء والباطل معهم ؟ ! أيكونون أقوى منكم على باطلهم، وتـكونون أضـعف منهم على حقكم ؟ !

وقديما قالوا : « ما ضاع حق وراءه مطالب » ، وما ضاع الحق ، ولكنكم ضعتم ، وضيعتم ذريتكم والجيل الحاضر والأجيال القادمة ، فكم من ذريتكم أصبح كاتبا أو مؤلفا ، وكم منهم احتفظ بمكتباتكم وكتبكم ؟ !

لقد رأيت أحد أعلام العلماء يعرض مكتبته العامرة للبيع ، فسألته عن سبب بيعها ، فقال : « لا أحد من أولادى يعرف قيمتها أو يهتم بها ، وستباع من بعدى بأبخس الأثمان ! ! » .

كل أبناء العلماء الأعلام تقريبا ، سلكوا غير مسلك آبائهم ، فأصبحوا أطباء ومهندسين.. الخ .

لأنهم لا يريدون أن تدركهم حرفة العلماء عقوقا وفقرا واهمالا !

تماسكوا يا علماء المسلمين وتعاونوا ، ولا تتركوا اخوتكم يتساقطون واحدا بعد واحد ، حتى يأتى دوركم فى السقوط دون أن ينتطح لمصيركم عنزان ، فدافعوا عن أنفسكم بالتماسك والتعاون ، والله مع الجماعة ، والذئب يستضعف الشاة المنفردة ، أما الشاة فى القطيع فلا يجرؤ الذئب على اقتحامها .

اننى آمل وأحذّر ، فهل من سميع مجيب ؟ !

محمود شيت خطاب

ولا خير فى ود امرىء متلون
اذا الريح مالت مال حيث تميل
جواد اذا استغنيت عن أخذ ماله
وعند احتمال الفقر عنك بخيل
فما أكثر الاخوان حين تعدهم
ولكنهم فى النائبات قليل

(على بن أبى طالب)

مسئولية الحاكم عن رعاية المواطنين

لفضيلة الشيخ أبو الوفا المراغى

عن عمر بن مر الجهنى أنه قال لمعاوية : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : ما من امام يغلق بابه دون ذوى الحاجة والخلة والمسكنة الا أغلق الله أبواب السماء دون خلته وحاجته ومسكنته ، فجعل معاوية رجلا على حوائج الناس . رواه الترمذى .

وعن أبى سعيد الخدرى رضى الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : أحب الناس الى الله يوم القيامة وأدناهم منه مجلسا امام عادل ، وأبغض الناس الى الله تعالى وأبعدهم منه مجلسا امام جائر . أخرجه الترمذى . من سنن الله فى الوجود أن يكون لكل جماعة قيم عليها يدبر أمورها ويضبط شئونها ، ويحاجز بينها ، ويدفع قويها عن ضعيفها ، حتى فى جماعات الحيوان ، وفى جماعة النحل والنمل وغيرها شواهد على ذلك ، وتشتد حاجات الجماعات الى المدبر والمسيطر كلما تنوعت أسباب المعاش وكثرت أوجه النشاط وتشابكت المصالح ، وما كان الرسل الا ساسة ومديرين يسوسون أممهم بما بعثوا به من سياسات وتدبيرات تناسب جماعاتهم وعصورهم ، وأيا كانت تلك السياسات من البساطة فهى نظم اقتضتها حاجات تلك الجماعات وأحوالهم ولقد بعث محمد صلى الله عليه وسلم للبشرية بعد أن تطورت وبلغت من الرشد الانسانى مرحلة تهيأت فيها لقبول نظم الحكم وتفهمها بل مارست أنواعا منها على مستوى الدولة كما كانت الحال فى دولتى الفرس والروم ، أو على مستوى القبيلة كما كانت الحال فى بلاد العرب فكان ضروريا أن يأتى فى رسالته بنظم للحكم أوضح

وأشمل ومكملة لما سبقها من النظم أو معدلة لها ، وكذلك كان واقع الرسالة المحمدية فقد جاءت بنظام متكامل للحكم من نواحيه السياسية والقضائية والادارية وغيرها ، ولو قورن ذلك النظام بنظم العصر لما اختلف فى هيكله العام عنها ، وقد تختلف العبارات ولا تختلف المعانى ، فرئيس الدولة فى النظام السياسى العصرى سواء كان ملكا أم رئيسا للجمهورية هو الامام الأعظم فى النظام الاسلامى ، والديمقراطية أو انتخاب رئيس الدولة هو الشورى أو الاختيار ، وواجبات الحاكم هى مسئولياته وهكذا لو تتبعنا نظم الحكم السياسى أو القضائى العصرى وقارناها بالنظام الاسلامى لما اختلفت فى معانيها ومفاهيمها وان اختلفت فى دلالاتها وعباراتها والذى يعنينا من تلك النظم والوظائف الاسلامية فى كلمتنا هذه هى وظيفة الحاكم العام أو رئيس الدولة أو الامام الأعظم ، ولا شك أن وظيفة الامام هى قمة الوظائف الاسلامية وأهمها شأنا وأعظمها خطرا وأوسعها سلطانا ، لذلك عنى بها الاسلام أشد عناية سواء فى طريقة الاختيار أم فى طريقة مباشرة السلطات وان كانت نظم الحكم السياسى المعاصر قد حرصت فى دساتيرها على بيان كيفية اختيار الحاكم وبيان حقوقه وواجباته فقد حرصت نظم الحكم الاسلامى على ذلك وبينته فى قواعد عامة أحيانا وخاصة أحيانا أخرى ، وربما كان التعميم فى هذا الصدد فى قواعد النظم الاسلامية خيرا من التفصيل فقد يحدث من الأمور شىء لم يكن قد تناوله التفصيل ، وقد عنى الفقهاء بجميع هذه الواجبات وتنسيقها من مصادرها فى الكتاب والسنة وكل ما ورد على أذهان المشترعين الدستوريين مما يجب توافره فى شخص الحاكم من صفات تلائم ضخامة مسئولياته فقد أوجبها النظام الاسلامى وأوصى بها ، وكل ما حمله التشريع الدستورى الحاكم أو رئيس الدولة من مسئوليات فقد حمله اياها النظام الاسلامى أيضا ، ومن القواعد العامة التى وردت بها الأحاديث فى مسئوليات الحاكم ، توخى الصراحة

والنصح فى الحكم وفى ذلك يقول رسول الله فيما روى معقل بن يسار مما ورد فى البخارى ومسلم : انى سمعت رسـول الله صلى الله عليه وسلم يقول : ما من عبد يسترعيه الله رعيه فيموت يوم يموت وهو غاش لرعيته الا حرم الله عليه الجنة . وفى رواية : ما من أمـير يلى أمور المسلمين ثم لا يجهد لهم ولا ينصح لهم الا لم يدخل معهم الجنة .

ومن تلك القواعد تحرى العدالة بين جميع الناس ، وفى ذلك يقـول الرسول : أحب الناس الى الله يوم القيامة وأدناهم منـه مجلسـا امام عـادل ، وأبغض النـاس الى الله وأبعدهم منه مجلسا ، امام جائر . ومن تلك القـواعد فى المسئوليات أيضا ، توافر النزاهة والأمانة وعدم اسـتغلال المنصب ، ومن أمـارات النزاهة العزوف عن الولاية وعـدم الحرص عليها والسعى اليها والالحاح فى طلبها ، ولذلك رفض النبى صلى الله عليه وسلم أن يولى الحكم من طلبـه وقـد جاء فى ذلك ما رواه البخـارى ومسـلم عن أبى موسى الأشـعرى قال : دخلت على النبى صلى الله عليه وسلم أنا ورجلان من بنى عمى فقال أحدهما : يا رسول الله أمرنا على بعـض ما ولاك الله عز وجل ، وقال الآخر مثل ذلك ، فقال انا والله لا نولى هذا العمـل أحدا سأله أو أحدا حرص عليه .

ومن تلك القواعد فى المسئوليات أن يمارس الحاكم سلطته فى اطـار الدستور ، والدستور فى الاسـلام هو كتاب الله وما ثبت من السنة عن رسول الله . وفى ذلك يقول الرسول صلى الله عليه وسـلم فيمـا رواه البخارى عن أنس بن مالك رضى الله عنـه : اسمعوا وأطيعوا وان ولى عليكم عبد حبشى كأن رأسه زبيبة ما أقام فيكم كتاب الله .

ومن أهم المسئوليات التى حملها نظام الحـكم الاسـلامى ، الحاكم التعـرف على مشـاكل الجمـاهير والعمل على حلها وبخاصة مشـاكل الضعـفاء الـذين لا يسـتطيعون الوصـول الى الحـاكم ليبسطوا ظلاماتهم ويعرضوا مشاكلهم وهـذا التعرف هو الذى عبر عنه الحديث بانفتاح باب الحـاكم وانغـلاقه فى قـوله : ما من امام يغلق بابه دون

ذوى الحاجة والخلة والمسكنة الا أغلق الله أبواب السماء دون خلته وحاجته ومسكنته ، فليس المراد بالباب هو باب الديوان واغلاقه على كل حاكم حتى لا يدخل عليه أحد ولا بانفتاحه انفتاحه حتى يدخله جميع الناس ، وانما المراد به معرفة أحوال الناس ومشاكلهم والعمل على حفظ حقوقهم وتيسير معاشهم وكل ما يهم من أمورهم ، وليس من الممكن أن يكلف الحاكم بتعرف مشاكل الجماهير كلها بل لابد له من أجهزة وأعوان يحملون معه ذلك العبء فى أمانة واخلاص وهم بطانة الخير التى أوصى الشرع باتخاذها والتى لو ظفر الحاكم بها فقد ظفر بخير أداة فى استقرار الحكم ومحبة الجماهير ، كما قال صلى الله عليه وسلم ما من وال الا وله بطانتان ، بطانة تأمره بالمعروف وتنهاه عن المنكر ، وبطانة لا تألوه خبالا . فمن وقى شرها فقد وقى وهو من التى تغلب عليه منهما .

وليس للتعرف على مشاكل الجماهير طريق خاص ولا أسلوب معين ، فلكل عصر وسائله وأساليبه، ولقد كان عمر رضى الله عنه يتعرف على مشاكل الجماهير أحيانا بنفسه وكان يعس بالمدينة ليلا أى يطوف بها ليتعرف على أحوال الناس وما يجرى بينهم فى الشئون العامة للدولة والخاصة بالجماهير وقد استطاع بهذا الأسلوب أن يضبط نظام الدولة ويفرج شدائد الناس ويغرس فى نفوسهم الشعور بسلطان القانون وهيبته ويطمئنهم على رعايته وعدالته ، وتميز فى التاريخ بلقب الحاكم العادل اعظاما له وانصافا .

والكلام فى مسئولية الحاكم فى الشريعة الاسلامية متشعب وكثير ، وحسبنا فيها ما سردناه وما نبه اليه الحديث فى شئون الضعفاء الذين لا يستطيعون فيها حيلة ولا يهتدون اليها سبيلا والذين هم دائما موضع الرعاية فى الشريعة الاسلامية وفى جميع شرائع الله .

ابو الوفا المراغى

بئس الحاكم انا اذا شبعت وجاع الناس ، وبئس الوالى انا ان اكلت طيبها ، واطعمت الناس كراديسها.

امير المؤمنين عمر

الخوانك والتكايا والزوايا في القاهرة

للأستاذ محمد كمال السيد

— ٤ —

ذكرنا فى المقال السابق جامع أيتمش البجاسى وترجمته ..وذكرنا أن عند الجامع المذكور ينتهى شارع باب الوزير ويبدأ شارع المحجر . وأن هذا الجامع على ناصية حارة اسمها حارة الطوربة (أى التربة) وتؤدى الى باب الوزير . وعلى يسار الخارج من الباب المذكور ضريح طراباى الشريفى (راجع الخريطة بالعدد السابق) .

باب الوزير :

وباب الوزير : اسم قديم ذكره المقريزى فكأنه من قبل القرن التاسع الهجرى . ولم أصل الى تاريخ مبدأ التسمية . ولكن لعله من الطريف أن أذكر أننى نمت ذات ليلة وأنا منشغل بهذا . فحلمت أنه كان هناك زير يستقى منه الناس . ثم أنشأ بعضهم بابا بجانب الزير . فقال الناس : باب و .. زير . ثم أصبح باب الوزير .

طراباى الشريفى :

وهو صاحب الضريح على يسار الخارج من باب الوزير . أصله من مماليك الأشرف قايتباى (حكم ٨٧٢ ــ ٩٠١هـ) .وتنقل فى الوظائف حتى وصل الى داودار ثانى فى سلطة قانصوه بن قانصوه (٩٠٤ ــ ٩٠٥) ثم ترقى سنة ٩٠٨ فى دولة الأشرف قانصوه الغورى الى وظيفة رأس نوبة النوب كما ذكر ابن اياس فى بدائع الزهور .

ورأس نوبة وظيفة من يتحدث على مماليك السلطان . وتنفيذ أمره

فيهم . والنوبة : واحدة النوب وهى المرة بعد الأخرى . وأعلا هؤلاء الرؤوس هو رأس رؤوس النوب. وهكذا ذكر القلقشندى فى صبح الأعشى (جـ ٥ ص ٤٥٥) وقال أن العاملة تقول عنه : رأس نوبة النوب فبهذا يكون تعبير ابن اياس عن هذه الوظيفة غير صحيح .

وهذه الوظيفة غير وظيفة مقدم المماليك وهو الذى يتولى شؤون المماليك . فمقام المماليك من الخدام الخصيان المعروفين بالطواشية .

ولقب طراباى بالشريفى نسبة الى الشريف أميرجان تاجر المماليك المتوفى سنة ٨٨٠ هـ .

وتوفى طراباى فى المحرم سنة ٩١٧هـ فى عشر السبعين . وكان ظالما قاسيا اغتصب كثيرا من الأموال والحقوق بالعسف والغطرسة . وخلف تركة طائلة من مماليك وأموال وخيول وجمال وسلاح وأمتعة وغير ذلك استولى عليها جميعها السلطان الغورى بعد وفاته .

وقد شمت فيه ابن اياس فقال فى وفاته قصيدة . هى كأشعاره التى أورد كثيرا منها فى بدائع الزهور فى المناسبات المختلفة ظاهرة الركاكة لفظا ومعنى وصياغة. ولكن نذكرها لما فيها رسم لشخصية طراباى وصورة من تفكير وأسلوب ذلك العصر :

بموت طراباى أفرج الله كربة
عن الناس من خلق السموات والأرض
فهذا فتوح عاد فى مصر ثانيا
وعمت به الأقطار فى الطول والعرض
وقد كان جبارا عنيدا معاندا
فكم جار فى الأحكام بالبرم والنقض
ويبطل حق الناس من كل واجب
ويقى خلاف الشرع فى الندب والعرض
ولما طغا ظلما وزاد تجبرا
فعجل عزرائيل للروح بالقبض
وأسكنه ضيق اللحود معذبا
وأخلى منازله فى طرفة الغمض
وقد جاء يسعى للجحيم برجله
وأجزم بعد الرفع بالنصب والخفض
ومذ شاع بين الناس أخبار موته
فصار يهنى بعض من سر للبعض
فيارب قابله بما يستحقه
وأودعه فى الأغلال للبعث والعرض

خانكاه قوصون :

فاذا خرجت من باب الوزير وسرت فى شارع قرافة باب الوزير تجد على يمينك زاوية (سيدى) محمد المجاهد . وهى التى ذكرها على باشا مبارك بين الزوايا وقال أنشأها الحاج على المجاهد سنة ١٢٨٦ هـ (١٨٦٩ م) . وقال أنها خانقاه قوصون وكرر هذا فى خبر خانكاه قوصون بين الخوانك .

وذكرنا فى مقالنا السابق أن هذا خطأ . فخانكاه قوصون فى غير هذا الموضع . فقد ذكرها المقريزى فى الخطط (ج ٢ ص ٤٢٥) وقال انها فى شمال القرافة مما يلى قلعة الجبل تجاه جامع قوصون أنشأها الأمير سيف الدين قوصون وكملت عمارتها سنة ٧٣٦ هـ وقرر فى مشيختها الشيخ شمس الدين محمود الأصفهانى ورتب له معلوما شيئا من الدراهم والخبز واللحم والصابون والزيت وسائر ما يحتاج اليه حتى جامكية غلام بغلته (الجامكية الراتب المقرر دوريا سواء شهريا أو سنويا) . واستقر ذلك فى الوقف بعده لكل من تولى المشيخة بها . وقرر بها جماعة كثيرة من الصوفية ورتب لهم الطعام واللحم والخبز فى كل يوم ومعلوم كل شهر من الدراهم والحلوى والزيت والصابون . وما زالت كذلك الى أن كانت المحن من سنة ٨٠٦ هـ فبطل الطعام والخبز منها وصار يصرف لمستحقيها بعض الدراهم وتلاشى أمرها بعد ما كانت من أعظم جهات البر وأكثرها نفعا وخيرا . اهـ .

والقرافة التى يعنيها المقريزى .. وقال أن الخانكاه فى شمالها ممايلى : قلعة الجبل هى القرافة الصغرى التى تقع جنوبى القلعة وتبدأ من عند باب السيدة عائشة المعروف بباب قايتباى وباب القرافة .

وقد أسمت مصلحة المساحة الشارع الآخذ من باب قايتباى المذكور بشارع القرافة الكبرى . وهو خطأ نبه اليه المرحوم أحمد باشا تيمور . فالقرافة الكبرى كانت شرقى الفسطاط . وبدأ استعمال هذه القرافة الصغرى فى عهد الأيوبيين . وباب قايتباى أنشأه الأشرف قايتباى

سنة ٩٠١ هـ (١٤٩٦ م) وتسميه العامة باب السيدة عائشة لقربه من مسجدها .

وقد ذكر ابن اياس فى بدائع الزهور فى حوادث سنة ٩١١هـ وفاة الحافظ العلامة الشيخ جلال الدين السيوطى وقال : انه دفن بجوار خانقاه قوصون التى هى خارج باب القرافة .

وقبر السيوطى معروف ، ويزار، والجبانة هناك تسمى جبانة جلال الدين السيوطى وهى بالشمال من قرافة المماليك . ولا تزال هناك بقايا من خانكاه قوصون وجامعه بشارع القرافة على يسار الداخل من باب قايتباى .

وقوصون المذكور هو الأمير الكبير سيف الدين قوصون . قدم مصر سنة ٧٢٠هـ على سبيل التجارة ببضائع زهيدة القيمة لا تتجاوز الخمسمائة درهم . وكان فتى جميلا فى الثامنة عشرة من عمره . فعشقه أحد موظفى الاسطبلات السلطانية. فصار يتردد عليه . فرآه السلطان الناصر محمد بن قلاوون فأعجبه . فابتاعه من نفسه ليصير من جملة المماليك السلطانية . وجعله من ضمن السقاة . وأحبه كثيرا . فأنعم عليه بامرة عشرة . ثم امرة طبلخاناه . ثم جعله أمير مائة مقدم ألف . وهى أعلى المراتب (وقد سبق ذكر هذه المراتب فى مقال سابق) . وأرسل فأحضر أخاه سوسون وغيره من أقاربه . وأمَّر الجميع . وتزوج قوصون بابنة الناصر. وتزوج الناصر أخت قوصون. ولما احتضر الناصر أوصاه على أولاده .

وتوفى الناصر محمد بن قلاوون سنة ٧٤١هـ وتولى بعده ابنه المنصور أبو بكر . فخلعه قوصون بعد شهرين ونفاه الى قوص . ثم أمر بقتله هناك . وأقام كجك بن الناصر مكانه وهو ابن سبع سنين ولقبه بالأشرف . وتولى قوصون نيابة السلطنة. وأصبح بيده كل الأمور. وكان أحمد بن الناصر مقيما بالكرك. فطالب بالملك وأيده كثير من الأمراء. فخاف قوصون وشرع فى القبض على بعضهم . فتجمعوا ضده وحصروه فى القلعة حتى قبضوا عليه

سنة٧٤٢ هـ ونهبت داره وسائر دور حواشيه . وحمل الى الاسكندرية حيث قتل هناك .

وله من الآثار هـذه الخانكاه والجامع بجـوارها . وداره التى نهبت وكانت بالرميلة (المنشية تحت القلعة) . وجامع بشـارع القلعـة (محمدعلى سابقا) تجاه مدخل الحلمية الجديدة . وتسميه العامة : جامع قيسون ، وقد ضاع جزء من هـذا الجامع عند فتح شارع القلعة (محمد على سابقا) .

شارع المحجر :

ننتقل بعد هذا الى الجزء الثانى من شارع باب الوزير وهو شارع المحجر . ويبدأ شـارع المحجر من عند جامع ايتمش البجاسى السـابق ترجمته وينتهى الى سـكة المحجر عند دار المحفوظات

فاذا سرنا فى شارع المحجر متجهين الى القلعـة نجد على يميننـا درب المـارستان لأن بداخـله بقايـا المـارستان المؤيدى .

المارستانات والمارستان المؤيدى :

والمرستان : لفظ معرب معناه : بيت المرضى .

وأول من أنشـأ المـارستان فى الاسلام هو الوليد بن عبد الملك بن مروان سـنة ٨٨ هـ (٧٠٧ م) . وجعل فيه الأطباء ، وأجرى الأرزاق على من فيه من مرضى وأطباء وعمال، وأمر بحبس المجـذومين حتى لا يخرجوا ويصيبوا الناس بالعدوى وأجـرى عليهـم وعلى العميـان ما يكفيهم .

وأقدم مارسـتان فى مصر كان مارسـتان المغـافر . وكان خارج الفسطاط . أنشأه الفتح بن خاقان فى خلافة المتوكل على الله العباسى (٢٣٢ ــ ٢٤٧ هـ) . وقـد بـاد أثره .

ثم أنشـأ أحمـد بن طولون (٢٥٤ ــ ٢٦٩ هـ) المـارستان فى جزء من موقـع العسـكر شـمال الفسـطاط . وشرط ابن طولون ألا يعالج فيه جندى ولا مملوك . وجعل فيه حمامين أحدهما للرجال

والآخر للنســاء • وشرط أن تنزع ثياب المريض وما معه • ويحفظ مع أمين المــارستان • ويصرف للمريض ملابس من المــارستان ويفرش له• ويباشر بالأدوية والأغذية حتى يبرأ• فيأكل فروجا ورغيفا • ويعاد اليــه ماله وثيابه • وكان يتردد بنفسه على المــارستان فيتفقد المرضى والأطباء والخزائن المختلفة التىتحوى الطعام والدواء والثياب والفرش وغيرها •

ثم أنشــأ كافور الأخشــيدى سنة ٣٤٦هـ المارستان بمدينة مصر (الفسطاط) •

وقد باد أثر الاثنين أيضا •

ثم أنشــأ المنصــور قلاوون (٦٧٨ــ٦٨٩ هـ)المارستان الشهير الباقى للآن بجهة بين القصرين •

ثم أنشأ المؤيد شيخ (٨١٥ ــ ٨٢٤ هـ) هــذا المــارستان الذى نحن بصدده فى هذا المقال •والمؤيد شيخ هو منشىء الجامع الكبير على يسار الداخل من باب زويلة •

وقال المقريزى ان هذا المارستان فوق الصوة تحت طبلخاناه قلعــة الجبل•وكان مكانه مدرسة الأشرف شعبان الذى ذكرنا خبره فى جامع أم السلطان فى المقال السابق • وقد هدم هذه المدرسة الناصر فرج بن برقوق (٨٠١ــ٨١٥هـ) ثم بنى المؤيد شيخ مكانها هذا المارستان•

والصوة كان اسمها أيضا : الثغرة• وهى فوق سكة المحجر•والطبلخاناه مكان حفظ الأدوات المختلفةللطبول والموسيقى • وكانت بدون سقف• فكانت فى أيام الفتن ترمى من فوق مدرسة الأشرف شــعبان • وهذا سبب هدم المدرسة •

ولمــا توفى المؤيد شــيخ تعطل هذا المــارستان• ثم صار دارضيافة للقادمين من الخارج للسلطان • ثم تحول سنة ٨٢٥هـ الى جامع بهمنبر وامام وخطيب ومؤذنون وبــواب وقومة • ومصــاريفه من وقفه على الجامع بداخل باب زويلة •

والآن قد تهدم هذا المــارستان بتمامه ولم يبق منه الا بقــايا بعض جــدران • ورأيت بأســفله نجارا يستأجر المكان من الأوقاف ويباشر عمله فيه •

تكية تقى الدين العجمى أوالبسطامى:

هـذه التكية خلف المـارستان المؤيدى . ولكن تصل اليها من درب اللبانة بعد بيت الفنـانين المعروف هناك .

وقد ذكرها المقريزى ضمن الزوايا باسم زاوية تقى الدين. فقال :انها تحت قلعة الجبل أنشـأها الناصر محمد بن قلاوون بعد سنة ٧٢٠هـ لسكنى الشيخ تقى الدين رجب بن أشـيرك العجمى . وكان وجيهـا محترما عند أمراء الدولة وتوفى فى ٨ رجب سـنة ٧١٤ ! ! وما زالت منزلا لفقـراء العجم الى وقتنـا هذا . اهـ .

وذكرتها مصلحة المساحة بخرائطها أنهـا بقايا تكية محمد تقى الدين البسطامى . وذكرها على مبارك فى الزوايا والتكايا . ونقـل ما ذكره المقريزى . كما نقـل أيضـا عن السخاوى أن عمر بن محمد البغدادى قدم القاهرة سـنة ٨٥٠ هـ وبيده حسـبة دمشق ووكالة بيت المـال وعـدة وظائف أخرى . فنزل فى زاوية التقى رجب العجمى الى أن توفى فى نفس السنة .

فنجد التضـارب فى الأسـماء والتواريخ . فلعل محمد تقى الدين البسـطامى الذى ذكرته مصـلحة المساحة بخرائطها هو ابن رجب بن أشيرك العجمى الذى ذكره المقريزى وقال أن الناصر أنشـأ له هـذه الزاوية . والتـاريخ الذى ذكره المقريزى للزاوية بعـد تاريخ وفاة الشيخ رجب بسنوات .

مع ملاحظة أن هناك زاوية أخرى بشارع سكة المحجر باسـم زاوية الشـيخ رجب بشارع باب الوداع امتداد سـكة المحجر على يسـار المتجه الى قرافة باب الوزير. وهى تجاه دار المحفوظات . وهى زاوية صغيرة بها مكان للصـلاة على يمين الداخـل ودورة . وعلى يسـار الداخل ضريح الشيخ رجب المذكور.

وتكية تقى الدين بها بقية للآن فى مقابلة الداخل بدرب اللبـانة . ويسـكنها بعض الناس . وبقـايا المسـجد بجوارها قبلهـا على يمين الداخل بدرب اللبانة .

جامع وخانكاه منجك اليوسفى :

وما دمنا فى هـذه الجهة فنذكر جامع منجك اليوسفى بشارع باب الوداع ، وهو امتداد شارع الباب الجديد الذى هو امتداد شارع سكة المحجر . ثم يمتد شارع باب الوداع باسم : شارع قرافة باب الوزير .

وجامع منجك من الجوامع العظيمة تصل اليه من داخل قبوة معقودة بالحجر متفرعة من شارع باب الوداع . والجامع على يسار الخارج من القبوة . ومئذنة الجامع خارجه منفصلة عنه . وأمام الجامع الآن كوم هائل من الأتربة والقاذورات فى مساحة كبيرة خالية من المبانى تصلح أن تكون ميدانا أو متنزها لرفاهية المنطقة .

وقد ذكره المقريزى ضمن الجوامع . وقال : انه تحت القلعة الجبل خارج باب الوزير . ويعرف موضعه بالثغرة . أنشأة الأمير سيف الدين منجك اليوسفى فى مدة وزارته سنة ٧٥١ هـ ورتب فيه صوفية وقرر لهم فى كل يوم طعاما ولحما وخبزا . وفى كل شهر معلوما . وجعل فيه منبرا ورتب فيه خطيبا يصلى بالناس صلاة الجمعة . وأوقف عليه عدة أوقاف .

وترجم المقريزى لمنجك هذا ترجمة طويلة يضيق المقام عن ذكرها فهى عبارة عن تاريخ مصر فى عصر من عصورها المضطربة من بعد وفاة الناصر محمد بن قلاوون .

ولكن نختصر من ترجمته : أن الناصر أحمد بن الناصر محمد تعين سنة ٧٤٣ هـ سلطانا بعد خلع أخيه الأشرف كجك كما سبق ذكره . وبعد مدة ترك الناصر أحمد مصر وفضل الاقامة فى الكرك . فخلعه الأمراء وعينوا بدله أخاه الصالح اسماعيل . وأرسلوا منجك اليوسفى الى الكرك . وكان حينذاك أحد السلحدارية . فقبض على الناصر أحمد وقطع رأسه وعاد بها الى مصر سنة ٧٤٥ هـ فأعطاه السلطان امرة . ثم تنقل فى الوظائف حتى توفى الصالح اسماعيل سنة ٧٤٦ هـ وتعين بعده أخوه الكامل شعبان الذى قتل سنة ٧٤٧ هـ وتولى بعده أخوه المظفر حاجى الذى ذبح سنة ٧٤٨ هـ .

وتولى بعده أخوه الناصر حسن فى سلطنته الأولى التى استمرت حتى سنة ٧٥٢ هـ .

وتعين حينذاك يلبغاروس نائبا للسلطنة . وهو أخو منجك. فعيّن منجك وزيرا . فاستبد وقطع كثيرا من الرواتب والمقررات لجميع أمراء وموظفى الدولة والقصور السلطانية. وأغلظ على الكتاب وموظفى الدواوين وهددهم . فاجتمعوا فيما بينهم وقرروا جمع مبلغ من المال منهم وأعطوه لمنجك سرا . فأصبحوا مقربين اليه. وشره فى جمع المال فجعل لكل ولاية أو وظيفة ثمنا ومقابلا سواء فى مصر أو الشام. وافتعل سنة ٧٤٩هـ محضرا وقع عليه الكتاب بأنه عندما تولى الوزارة لم يكن فى الخزائن أو الأهراء شيئا من المال أو الغلال . وخاف عليه أخوه يلبغاروس فطلب اعفاءه من الوزارة .فأعفى . ولكن لم يستمر المعين بدله غير أربعين يوما فاستعفى وعاد منجك الى الوزارة . وزاد عسفه وقطع الرواتب والمقررات بحجة التوفير وادعى عجز الميزانية بأوراق تثبت عجز الايرادات عن المصروفات مقارنا بما كانت عليه المصروفات فى عهد الناصر محمد بن قلاوون .

والواقع أن الاسراف بلغ الحد. فمثلا أسرف نساء القصور السلطانية ــ وباقى النساء جارينهن فى هذا ــ فى عمل القمصان والبغالطيق (مايلبس فوق القميص) حتى كان يفضل من القميص كثير على الأرض . وسعة الكم ثلاثة أذرع . ويسمينه البهطلة . وكان القميص يتكلف ألف درهم . والازار يتكلف أيضا مثل هذا المبلغ . وبلغ الخف والسرموزة (الحذاء) خمسمائة درهم . فأمر منجك بقطع أكمام النساء . وأمر الوالى بتتبع ذلك . ومن قبض عليها تعاقب . وعلق على سور القاهرة صور النساء عليهن تلك القمصان وهن تحت العقوبة . فانكففن عن لبسها . ومنع الأساكفة من عمل الأخفاف المثمنة (أى الثمينة) ونودى فى الأسواق والقياسر بمنع بيع الأزر الحرير ومن خالف يصادر ماله .

ولم يزل الوزير فى عسفه وشرهه فى جمع المال حتى أوغر ضده الصدور • فقبض عليه سنة٧٥١هـ وصودرت أمواله وأملاكه بعد استكتابه اقرارا ببيعها • ونفى الى الاسكندرية حيث ظل بها حتى خلع الناصر حسن سنة٧٥٢هـ وتولى بعده أخوه الصالح صالح فأمر بالافراج عنه فعاد الى القاهرة فقيرا • فسعى حتى حصل على فتوى من الفقهاء بأن اقراره بالبيع كان باطلا لاكراهه عليه • فأعاد له السلطان بعض أملاكه •

وقام أخوه يلبغاروس بالشام ضد السلطان • فاختفى منجك • ثم قبض عليه ونفى الى الاسكندرية حيث ظل بها حتى سنة ٧٥٥ هـ فشفع له أحد الأمراء فأفرج عنه على أن يقيم بصفد •

وفى تلك السنة خلع الصالح صالح وعاد الناصر حسن للحكم ثانية • فأعطى منجك نيابة طرابلس• ثم نقله الى نيابة حلب سنة٧٥٩ هـ ثم هرب منها واختفى حتى قبض عليه سنة ٧٦١ وأحضر لمصر • فلم يؤاخذه السلطان • وأنعم عليه بأمرة طبلخاناه فى الشام • وصرح له أن يقيم بالشام حيث يشاء •

وقتل الناصر حسن سنة٧٦٢ هـ• وتولى بعده المنصور محمد ابن المظفر حاجى بن الناصر محمد ابن قلاوون • فشق عصا الطاعة بالشام بيدمر نائب الشام • وانضم اليه منجك • فقبض عليه • ثم خلع المنصور محمد سنة ٧٦٤ هـ • وتولى بعده ابن عمه وهو الأشرف شعبان بن حسين السابق ذكره فى جامع أم السلطان فأفرج عن منجك وولاه نيابة السلطنة بدمشق • ثم استدعاه سنة ٧٧٥هـ وعينه نائبا للسلطنة بمصر وأتابك العساكر • فظل بها حتى توفى على فراشه سنة ٧٧٦ هـ وله من العمر نيف وستون سنة • ودفن بتربته بجوار جامعه •

وله من الآثار غير هذا الجامع داره التى كانت على رأس سويقة العِزّى المسماة الآن شارع سوق السلاح بالقرب من مسجد الرفاعى وجامع السلطان حسن وسيرد ذكرها فى المقال التالى باذن الله •

رباط الست كليلة وجامع أصلم :

وقبل أن ننتقل من هـذه المنطقة نذكر رباط الست كليـلة بجـوار جامع أصلم • وقال عنه المقريزى أنه خارج درب بطوط من جمـلة حكر سنجر اليمنى ملاصق للسور الحجر بخط سوق الغنم • وقال : وقفه علاء الدين البراباه على الست كليـلة المدعوة دولات باى ابنـة عبد الله التتـارية زوج الأمـير سيف الدين البرلى السلاحـدارى الظاهرى وجعلـه مسـجدا ورباطا ورتب فيـه اماما ومـؤذنا فى ٢٣ شوال سنة ٦٦٤ هـ •

وقال على مبارك :ان هذاالرباط زال بالكلية •

وجامع أصلم المذكور : ان هذا الرباط كان بجـواره موجود للآن بشارع درب المحروق امتداد شارع النبوية • ومعروف بجامع أصلان•

وأصلم هذا أصله من مماليـك المنصور قلاوون وتقلب فى الوظائف حتى وصل الى رتبة أمير مائة مقدم ألف فى عهـد النـاصر محمـد ابن قلاوون •

وقال المقريزى عنه : وكان يجلس على رأس الحلقـة ويجيـد رمى النشاب مع سلامة صدر خيِّرا الى أن توفى سـنة ٧٤٧ هـ • وكانت داره بجوار هـذا الجامع وقال : وبهـذا الجـامع درس وله أوقاف وهو من أحسن الجوامع • اهـ •

تكية حسن الرومى :

بسكة المحجر بالقرب من التقائها بشارع المحجـر • ولم يذكـرها المقريزى ربما لأنهـا أنشئت بعـد عصره • وذكرها على مبارك ضمن التكايا باسم تكية حسن بن الياس الرومى • واكتفى بمجرد الاسـم ولم يترجمها •

وقد تخربت هذه التكية الآن • وباعت الدولة نحاسـها وأدواتها • وأجرت المكان الى جمعية التربيـة والتعـاون الاجتماعى • وبهـا مستوصف •

وتصـعد الى التكيـة بعـدة درجات • وبجـوارها المسـجد منخفض عن أرض الشارع وبصحن المسـجد ضريح الشـيخ حسن الرومى •

وسنتكلم فى المقـال التـالى عن منطقـة سـويقة العِزِّى وسـوق السلاح بإذن الله •

محمد كمال السيد محمد

التفسير القرآنى للقرآن

للأستاذ عبد الكريم الخطيب

المجلد الأول

الجزء الأول والثانى

دراسة وعرض ونقد

للدكتور سعد ظلام

صدر هذا الكتاب عن دار الفكر العربى — مطبعة السنة المحمدية — مارس ١٩٦٧ والكتاب واحد من خمسة عشر مجلدا ضمت تفسير القرآن الكريم .

وقد افتتح الكاتب بمقدمة تاريخية تحدث فيها عن الامة الاسلامية ، وأنها أمة القرآن وعته فرعاها وتمسكت به فأرشدها الله وأعزها ، وما نأت عن الغاية الا عندما وقعت الجفوة بينها وبين القرآن ، تلك الجفوة التى أحدثت تميعا فى العقيدة الدينية بنفس المسلم .

وقد أرجع السبب فى ذلك الى الخلافات السياسية والمذهبية التى وقعت بين المسلمين ، الأمر الذى أدى الى تشعب المسائل الدينية بين الطوائف ، ثم كان التعويل على هذا التشعب والمسائل الخلافية من الأسباب التى ميعت العقيدة أيضا .

وما دام القرآن هو مصدر التشريع فلا بد من الفهم السليم الصحيح والمبنى على طول التأمل والتدبر لكل مايثيره من قضايا وأفكار ، فيكون بذلك اتصالنا الوثيق بكتاب الله وتصور مسائل الدين تصورا واضحا محددا .

وعنوان الكتاب يعطى للقارىء انطباعا معينا يفهم منه أن المؤلف يفسر القرآن بالقرآن،وخير التفسير ما فسر آيات الكتاب بآيات الكتاب .

ويفهم من العنوان أيضا أن المؤلف التزم هذا المنهج فى كتابه . ولكن قراءتك للكتاب تجعلك فى قناعة تامةأن المؤلف تناقض مع نفسه أو تراجع عن العنوان والمنهج ولم يلتزم بهما ، بل ان الكاتب نفسه تعارض مع نفسه لأنه كما سبق أن ذكرت « لايفسر القرآن بالمعنى الحرفى للتفسير،انما يقرأ القرآن،ثم يسجل مشاعره ازاء مايقرأ » هذا من ناحية المنهج ، أما من ناحية تسجيل المشاعر ازاء ما يقرأ فلنا عليها هى الأخرى جملة من الملاحظات لأننا نلاحظ أن المؤلف أقحم مشاعره فى كل فكرة واستغرق فى دوامة الرصد والتسجيل حتى نسى الغرض الأصلى للتفسير ، وتبنى بعض الآراء ، واقتنع بها ، وألصقها بالقرآن .

وقد ذكر الكاتب فى المقدمة أن مباحث هذا المجلد هى « الجن والشيطان وابليس ــ والنسخ ولا نسخ فى القرآن ــ هكذا يقول ــ وآدم ــ مادة خلقه ــ والوصية للمتوفى عنها زوجها » .

وقبل أن يبدأ بتفسير فاتحة الكتاب أثبت مبحثا حول القرآن الكريم تناول فيه المكى منه والمدنى، وعرف كلا منهما ، وذكر السور المكية والمدنية ، وعدد آى القرآن وكلماته وحروفه .

وانتقل الى الفاتحة ، فذكر أنها مفتتح القرآن وأم الكتاب ، والسبع المثانى .

وقارن بين الفاتحة وبين ما أورده من « انجيل متى » مما سماه دعاء وصلاة ، وذكر أن هناك تشابها كبيرا فى الروح التى تستولى على الانسان وهو يتلوها خاشعا متعبدا واتخذ من هذا دليلا على أنهما من معدن واحد ، وأن متنزلهما السماء وحيا من رب العالمين[1] » .

وهو بهذا يسلم بصحة الانجيل أى « انجيل متى » الذى استشهد به ، بل وأكثر من ذلك أكد التشابه بين القرآن والانجيل فى الروح والروحانية والتأثير . على الرغم

---

(١) ص ٢١ ، ص ٢٢

من أن هذا النص الذى استشهد به وقدم فيه وأخر بل وغير فى بعض كلمه ، فيه اضطراب تحاشاه المؤلف حيث يذكر نفس الاصحاح من نفس الانجيل « واغفر لنا ذنوبنا كما نغفر نحن أيضا للمذنبين الينا » ثم يذكر بعد هذا « فانه ان غفرتم للناس زلاتهم يغفر لكم أيضا أبوكم السماوى » (١) .

فقد وجد المؤلف بعض التناسب بين آية فى القرآن واصحاح فى الانجيل ، فاتخذ من هذا ذريعة الى الاعتراف بصحة هذا الانجيل والتشابه — على الاطلاق — بينه وبين القرآن — وأنه من عند الله ، هكذا يبنى الحكم بسرعة وبأقل مناسبة ، صحيح نحن نؤمن بالانجيل الذى نزل على عيسى ، وأن هناك قدرا من التشابه بين الكتابين يقول النجاشى : « ان هذا والذى جاء به المسيح ليخرج من مشكاة (٢) واحدة » ولكن يجب التريث فى الحكم وعدم اللجوء الى الجزاف والاحتمالات واحتراف التشابه حتى نحكم حكما مطلقا على كلٍّ — أساس الدعوى فيه جزء قليل .

وينتقل المؤلف الى أفضلية آدم فى خلافة الله فى الأرض على الملائكة ، فيعلل لأفضلية آدم عليهم ، بأن الملائكة من البهاء والصفاء والطاعة المطلقة المستسلمة التى لا تنزع عن ارادة ولا ترجع الى نظر وتقدير ، لهذا ، فهم ليسوا أهلا للخلافة ، لأن منصب الخلافة يقتضى استقلالا فى تصريف الشئون فيما هو خليفة فيه ومتسلط عليه .

والانسان بما له من عقل وارادة هو المستأهل لهذه الخلافة يتولاها عن الله ويتولى ضبط أمورها وسياسة شئونها (٣) .

وليس ذلك وحده هو السبب فى اصطفاء آدم خليفة لله ، بل هناك أسباب أخرى من بينها أن تكوين الانسان من مادة وروح ، وقدرته على المواءمة بينهما وتغليب جانب الروح على المادة وتطويعه للخير ،

---

(١) انجيل متى « الاصحاح السادس » .

(٢) من أقوال النجاشى عندما سمع سورة « مريم » .

(٣) ص ٥١/٥٢ من الكتاب .

يكون أليق بالاصطفاء مما ليست له هذه القــدرة ، لأنه مركب نورانى فحسب •

وقد يكون من بـين أسـباب الاصطفاء أن يخطىء آدم فيـكون فى خطئه تشغيل لصفة المغفرة الالهية « انى أعلم مالا تعلمون » •

ولآدم فى نظـر المؤلف مفهـوم مغاير لمفهـوم المفسرين الذين يرى المؤلف أنهم اعتمـدوا فى معرفتـه على الاسرائيليات وأساطير الأولين من قصـــة « الخلق ومكان آدم فيهـا (١) » •

وتعـرض للجـن وابليس والشيطان (٢) وعرض بعض الآيات التى ورد فيها ذكـر ابليس ثم عقب عليها بأن ابليس على صفة خاصـة غير صفة الشيطان والجن ، والا لمـا التزم القرآن ذكر ابليس فى هـذه الصور المتعددة لموقف واحد (٣) •

وهذا لا ينهض دليلا أمام النص القرآنى الذى ينص على أن «ابليس كان من الجن ففســق عن (٤) أمر ربه » •

ويعرض لذكـر الشيطان بلفظ المفـرد والجمع فيذكر الآيات التى تدل على ذلك ، ويستنتج منها أن اللفظ فى حالتى افراده وجمعه أسماء لذات واحدة •

ويقع فى مغالطة حين يسـتعرض الآيات التى أمـر الله فيها ابليس بالسجود لآدم ، ويستنتج منها أن ابليس كان من الملائكة (٥) وأنه كان فى درجة دنيـا فى هـذا العـالم الروحى هى درجة الجن ، وأنه لم يظـل فى جماعة الجن ، بل أخرجه الله من بينهم حـين أبى أن يسجد لآدم مع الساجدين وأنه بدأ يتحول منذ حلت به اللعنة خلقا آخر ، فاذا هو شيطان مريد وشيطان رجيم •

---

(١) نفس الصحيفة السابقة •

(٢) ص ٥٦ •

(٣) ص ٥٤ •

(٤) الآية ٥٠ من سورة الكهف •

(٥) ص ٥٧ •

ثم يخلص من هذا كله الى أن ابليس من عالم الجن ثم نزل الى ابليس ، ثم تحول من ابليس الى شيطان (١) .

ويغنيه عن هذا الاضطرار كله تفسيره الاستثناء فى قوله سبحانه وتعالى : « فسجد الملائكة كلهم أجمعون الا ابليس بأنه استثناء منقطع ، والاستثناء المنقطع هو الذى لايكون ما بعد « الا » داخلا فى جنس ما قبلها أو فى حكمه ، وقد أوقعه فى هذا الخلط وذاك الاضطراب جعله الاستثناء متصلا .

وقد وردت آيات كثيرة فى القرآن على أسلوب الاستثناء المنقطع كقوله سبحانه وتعالى فى سورة الصافات (٢) « فانظر كيف كان عاقبة المنذرين الا عباد الله المخلصين » .

و « الا » فى الاستثناء المنقطع بمعنى (لكن) ويكون المعنى فسجد الملائكة كلهم أجمعون ، لكن ابليس امتنع عن السجود تكبرا واباء .

وتعرض الكاتب لقصة خلق آدم عليه السلام (٣) ، فذكر أن القرآن عرضها عرضا محكما ومع أن القرآن ليس كتاب علم ، وليس من همه أن يقرر حقائق علمية فانه فى قضية خلق آدم قد أمسك بها من أطرافها ، وجاء بها على الوضع الذى يلتقى مع الحقائق العلمية فى أصدق وجوهها وأضوئها .

ومع أن الأليق فى العقل أن تجىء الحقائق العلمية اذا جاءت مفسرة للقرآن كاشفة عن أسراره ، لا أن يجىء القرآن على الوضع الذى تخضعه للحقائق العلمية أو تلوى آية وتقسرها قسرا لتلتقى مع النظريات والحقائق العلمية .

وقد سار المؤلف مع أسلوب الحقائق العلمية وأخضع الآيات لها

---

(١) ص ٥٧/٥٨ .
(٢) الآيتان ٧٣ ، ٧٤ .
(٣) ص ٥٩ وما بعدها .

حين فسر الحمأ المسنون بأنه بشائر الحياة اذ هو « البكتيريا » التى تولدت منها خمائر الحياة ، وظهرت فيها جرثومتها الأولى .

ويسير مع قضايا العلم وتجاربه فيخضع آى القرآن الى حقائقه أيضا حين يرى أن الطين الذى خلق منه الانسان قد تقلب فى أطوار عدة ، حتى ظهر منه الانسان ، فهناك التراب ، وهناك الطين ، والطين اللازب ثم الصلصال ، ثم الحمأ المسنون ...

وبلغة العلم يكون التراب فالطين فالصلصال فالحمأ المسنون ، أربعة أطوار تنتقل فيها بذرة الحياة ويستنتج من قوله تعالى .. « ولقد خلقنا الانسان من سلالة من طين ... » بأن آدم لم يجىء من الطين مباشرة ، وانما كان ذلك بعد سلسلة طويلة من التطورات ، وبعد عمليات معقدة من التصفية والانتخاب استمرت ثلاثين سنة حتى انتهت بظهور الانسان .

واذا صح أن التجارب البشرية فى حقول العلم ومعامله تحتاج الى الزمن ومداومة النظر لاستخلاص النتائج وملاحظتها من التجارب ، فالله غنى عن هذا الأسلوب الذى لا يليق « انما أمره اذا أراد شيئا أن يقول له كن فيكون » .

هذه واحدة ، والثانية أنه فى قصة خلق آدم يستخدم مناهج العلم الحديث مثل « نظرية دارون فى أصل الأنواع ، وفى النشوء والارتقاء [1] » .

واخضاع القرآن لقضايا العلم الحديث وتجاربه غير مقبول ولا مستساغ ، لأنه مما يزعزع الثقة بالنص القرآنى اذا اهتزت نتائج التجارب ، بعد ذلك أو ثبت اختلال قانونها ، أو جاء ما ينافيها أويناقضها وكثيرا ما يحدث ذلك .. فمثلا أثبتت أحدث المناهج العلمية فى تفسير قانون المادة أثبتت أن جزئيات المادة تنقسم الى ذرات ، وأن كل ذرة تنقسم الى اشعاعات

(١) ص ٦٤ وما بعدها .

كدليل على مصدر تلك المادة وأساس وجودها وأنها برغم كثافتها فان فى تقسيمات الذرة الى اشعاعات ما يوحى بأنها من صنع الله الذى أتقن كل شيء ، وهو مصدر الضوء •

ونحن نعتقد أن لكل علم مناهجه ، والاعتماد على النظريات العلمية فى تفسير القرآن واخضاع آيه لها غير مأمون العاقبة •

وقد أدى استخدام مناهج نقدية كالمنهج النفسى والتاريخى فى النقد الأدبى الى افساد الذوق الأدبى كله وكانت نظرية دارون من بين النظريات التى طبقت على النقد الأدبى •

والاستنتاجات التى تنشأ من مجموع العلات والتى لا تعتبر أكثر من أسباب ظنية قابلة للمناقشة لا تعطى استنتاجا حاسما ، وهذه هى احدى مخاطر المجازفة باستخدام مناهج علم فى الحكم على أفكار علم أو فن آخر •

وقد وقع فى نفس المزلق المرحوم الدكتور طه حسين فى كتابه « فى الشعر الجاهلى » حيث طبق الفلسفة الديكارتية على الأدب الجاهلى والقرآن ، فاضطربت الأفكار بين يديه وتنافرت ، وخلط بالمنهج الديكارتى المنهج التاريخى ، فاختل ميزان الحكم فى يديه ، والأحكام الجازمة خطرة جدا فى هذه الأحوال •

وربط قضية خلق آدم بنظرية « دارون » نوع من الاحتيال لاثبات أن القرآن يساير مناهج العلم ، وهذا ما لا نسلم له به ، ولا يسلم به معنا الكاتب نفسه • حيث يذكر أن نظرية « دارون » قد يكون فيها قليل أو كثير من الخطأ فى الاستنتاج •

ولكنه يلجأ الى ذلك الربط للايهام بأن تفسيره تفسير عصرى •

(الحديث موصول)

د • سعد ظلام

أخطاء شائعة

للأستاذ عباس أبو السعود

٢٤١ ــ ويقولون : ذهب فلان الى الطبيب ليكشف عليه ، ويعرف ما به من ضر ، كما كشف على أخيه من قبل ، وفى هذا التعبير عيب واضح ، هو أنهم جعلوا الفعل متعديا بعلى وهو لا يتعدى به أبدا ، وانما له خمس حالات :

(١) أن يتعدى بنفسه كما فى قولك : كشف الله غمى ، وهو الذى يكشف الغمم ، وقوله جل شأنه « فكشفنا ما به من ضر » وقوله « ولو رحمناهم وكشفنا ما بهم من ضر للجوا فى طغيانهم يعمهون » .

(٢) أن يتعدى بعن ، كما فى قولك : كشفت عن السر فى نجاح هذا الطالب ، وقوله تعالى « فلما رأته حسبته لجة وكشفت عن ساقيها » وقوله « لقد كنت فى غفلة من هذا فكشفنا عنك غطاءك » « يوم يكشف عن ساق ويدعون الى السجود » .

ومثله المزيد بالسين والتاء كما فى قولك : استكشف الأمير عن كذا ، اذا سأل أن يكشف له .

(٣) أن يتعدى باللام كما فى قوله سبحانه « وان يمسسك الله بضر فلا كاشف له الا هو » .

(٤) أن يكون لازما ، وذلك اذا كان مزيدا بالهمز ، أو كان بزنة تفعل ، أو كان بزنة تفاعل فمن الأول قولك : أكشف فلان اذا ضحك فانقلبت شفته حتى تبدو درادره ، وأكشفت الناقة اذا تابعت بين النتاجين ، ومن الثانى قولك : تكشف فلان : اذا ظهر كانكشف ، وتكشف أيضا اذا افتضح ،وتكشف

البرق اذا ملأ السماء ، ومن الثالث قولهم : لو تكاشفتم ما تدافنتم ، قال ابن الأثير ان المعنى لو علم بعضكم سريرة بعض لاستثقل تشييع جنازته ودفنه •

(٥) أما الموازن لافتعل فقد يأتى متعديا بنفسه كما فى قولك : اكتشف الكبش النعجة اذا نزا عليها ، وقد يأتى لازما كما فى قولك : اكتشفت المرأة لزوجها اذا بالغت فى التكشف له عند الجماع • ولاصلاح عبارتهم يحسن أن يقال : ذهب فلان الى الطبيب ليفحص عما به من علة كما فحص عن علة أخيه من قبل •

٢٤٢ ــ ويزعمون أن السوقة هم أهل الأسواق ، والحق أنهم الرعية أى خلاف الملك ، وسموا بذلك لأن الملوك يسوقونهم فينساقون لهم ، أنشد الجوهرى لنهشل بن حرى :

ولم ترعينى سوقة مثل مالك
ولا ملكا تجبى اليه مرازبه

ولفظ السوقة يستوى فيه الواحد ، والجمع ، والمذكر ، والمؤنث ، وربما جمع على سوق ــ بفتح الواو ــ •

قالت بنت النعمان بن المنذر :

فبينا نسوس الناس والأمر أمرنا
اذ نحن فيهم سوقة تتنصف

٢٤٣ ــ ويقولون : برز المقاتل وفى يده الصمصام أو الصمصامة بكسر الصاد فيهما ، يريدون السيف والصواب فتح الصاد فى كل منهما ، وذلك لأن كل ما كان من المضاعف الرباعى على وزن فعلال فلا يكون الا مفتوح الفاء ، كالخلخال ، والصلصال ، والصمصام الا حرفا واحدا هو الديداء اسم لآخر الشهر •

فان كان مصدرا جاء بالكسر كالزلزال ، والقلقال (١) •

قال سيبويه : فعلال بالكسر من غير المضاعف كثير مثل حملاق (٢) ، وقنطار وشملال (٣) ، وسرداج (٤) •

---

(١) القلقال : التحريك ، تقول : قلقل الولد الشىء قلقة وقلقالا اذا حركه .

(٢) حملاق العين بالكسر ويضم : باطن أجفانها الذى يسود . جمعه محاليف •

(٣) الشملال : الشمال •

(٤) السرداح : الناقة الكريمة أو السمينة •

٢٤٤ ــ ويطلقــون على كل من يغمز برجله حين يمشى كلمة أعرج ؛ ويقــولون عرج الرجل بفتح الراء يعرج بضــمها عرجا بفتحتين ، وفى هــذا التعبير مطعن ، لأنه خلــط بالخطــأ •

والفصيح أن يفــرق بين هــذا الغمز ، فان كان خلقــة أو من علة لازمة قيل : عرج يعــرج عرجا من باب تعب ، فهو أعرج ، وهى عرجاء ، وهم وهن عرج وعرجان بضم العين فى كل منهمــا والعرجان بالتحريك مشية الأعرج •

ويقال فى ذم الأعرج : لتلقين من هذا الأعرج الأعيرك بصيغة التصغير ، وهى حية صماء لا تقبل الرقى تطفر كمــا تطفــر الأفعى ، ويقال فى ذم الغــراب وشؤمه : حجل فى دارهم الأعور الأعرج لحجــلانه وانقباض نســاه •

وان كان الغمز من شىء أصــاب الانســان فى رجــله فمشى مشية العرجان قيل : عرج يعرج من باب دخل عروجا ، أو عرج يعــرج من باب قتل عرجا ، فهو عارج ، والأنثى عارجة وهم عارجون وهن عارجات •

ومن باب دخل يقــال فى معنى آخر : عرج يعرج عروجا اذا ارتقى فى سلم ونحوه ، ومن هذا قوله تعالى « ولو فتحنا عليهم بابا من السماء فظلوا فيه يعرجون » والمعــرج ، والمرقى والمصعد ثلاثتها بزنة مقعد ومعناها واحد هو الصعود •

والمعراج السلم ومنه ليلة المعراج ، جمعــه معــارج ومعــاريج ، وفى التنزيل « ومعارج عليها يظهرون » •

٢٤٥ ــ ويقولون : صرح الرئيس لفلان بالســفر ، وأعطــاه تصريحا بذلك ، يعنــون أنه أباحــه له ، والصواب أن يقال : أذن له بالسفر ، ومنحه اذنا يؤيده جواز مكتوب هو صك المسافر •

أما التصريح فهو تبيــين الأمــر وانكشافه ، تقول : صرح فلان بما فى نفسه تصريحا اذا بينه وأظهره ، وصرح النهــار اذا انكشف سحابه وأضاءت شمسه ، وصرح الحق عن محضه أى عن خالصــه وذلك اذا انكشف بعد خفائه ، وصرحت الخمر

اذا ذهب زبدها ، ومن هذا قولهم : لبن صريح اذا خلص وذهبت رغوته ، وعربى صريح من عرب صرحاء أى غير هجناء ، والهجين عربى ولد من أمة أو من أبوه خير من أمه .

٢٤٦ ـ ويجمعون كلمة المصير على مصائر ، بقلب ياء المفرد همزة فى الجمع فيقولون : مصائر الأيام ، والقاعدة المعروفة أن الياء والواو مفاعل وفعالل الا اذا كانتا مدتين لا تقلبان همزة اذا وقعتا بعد ألف زائدتين فى المفرد ، نحو كتيبة وكتائب ، وصحيفة وصحائف ، وعجوز وعجائز ، وتشاركهما الألف فى ذلك كرسالة ورسائل ، وقلادة وقلائد .

أما اذا كانت كل منهما أصلية فى المفرد فانه يجب أن تبقى فى الجمع على حالها ، مثل معيشة ومعايش ، ومكيدة ومكايد ، ومفازه ومفاوز ، ومصير ومصاير ، قال مضر بن ربعى :

وما الوحش هاجتنى ولكن ظعائن
دعاهن رواد الملا ومصايره

وشذ القلب فى مصائب ومنائر مع أصالة المدة فى مفرديهما ، وسهل ذلك تشبيه الأصلى بالزائد .

٢٤٧ ـ وقد فشا على ألسنة كثير من المثقفين قولهم : سافرنا بواسطة القطار ، وأروينا زرعنا بواسطة الناعورة ، وهذا خطأ ، لأن الواسطة هى الجوهرة الفاخرة التى تجعل وسط القلادة ، كما قال الأزرى والزمخشرى ، وفى القاموس : وواسطة الكور مقدمه .

ويقال : فلان واسطة قومه اذا كان أعلاهم منزلة وأرفعهم محلا ، ولم نر فى أمهات اللغة ولا فى غيرها من الكتب التى يحتج بها أن الواسطة تأتى بمعنى الوسيلة أو العلة ، وان كانت قد شاعت فى الألسن والأقلام بهذا المعنى ، وقد أدرك مدرسو العربية خطأ هذا الاستعمال ، وأخذوا يرمجونه فى كراسات تلاميذهم ، ولكنهم أملوا كلمة الوساطة محل الواسطة ، وارتضاها كثير من الأدباء حتى صارت منبثة فى كراسات الطلاب بهذا المعنى .

والحق أن الوساطة لم ترد فى اللغة بمعنى الوسيلة أو السبب ، فمن يقول مثلا : تروى الأرض بوساطة النواعير لم يسلك طريق العرب فى تعبيرهم لأنا لم نقف عليه فيما قرأنا للفصحاء والبلغاء ، بل لم نره الا حديثا فى اصلاح السادة المدرسين لكلمة الواسطة ، وفيما ينشر فى الصحف ، ولهذا يجب فى تأدية هذا المعنى أن يقال : سافرنا بالقطار أو بالطائرة ، وأروينا زرعنا بالناعورة ، وتكتب الرسائل بالأقلام ، وتوقد النار بالكبريت ، كل ذلك بباء الاستعانة كما فى الأمثلة السابقة .

أو بباء السببية كما فى قوله تعالى « انكم ظلمتم أنفسكم باتخاذكم العجل » وقوله «فكيف اذا أصابتهم مصيبة بما قدمت أيديهم » وقوله « فكلا أخذنا بذنبه » .

٢٤٨ ــ وينكرون وجود كلمتى منضد ومنضدة بفتح الميم وكسر الضاد فيهما بمعنى الخوان الذى تنضد عليه للضيفان ألوان الطعام ، ويشنعون على تركهما فى كراسات الطلاب دون اصلاح ، وحجتهم فى ذلك أن معاجم اللغة قصدت كلامها على النضد بمعنى منضود ، كولد بمعنى مولود ، أو بمعنى السرير تنضد عليه الثياب والحق أن قواعد النحو والصرف لاتأباهما لأنهما اسما مكان من نضد فلان المتاع ينضده من باب ضرب اذا ضم بعضه الى بعض متسقا أو مركوما، فهو منضود، ونضيد ، قال تعالى « وأمطرنا عليها حجارة من سجيل منضود » وقال « والنخل باسقات لها طلع نضيد » .

واسم المكان من هذا الفعل يأتى على وزن مفعل بفتح الميم وكسر العين فيقال : منضد كمعرض ، ومعدن ، ومهبط ، وقد تلحقه هاء التأنيث فيقال منضدة كمنزل ومنزلة للدار ، ويجمع منضد ومنضدة على مناضد .

وها هو ذا يزيد بن ضرار الذبيانى الملقب بمزرد أخى الشماخ ، والشاعر المشهور الذى أدرك الاسلام وأسلم يقول فى قصيدة له مطلعها

ألا يا لقوم والسفاهة كاسمها
أعائذتى من حب سلمى عوائدى

وفى آخرها يخاطب آل الوحيد من بنى كلاب قائلا :

وعهدى بكم تستنقعون مشافرا
من المحض بالأضياف فوق المناضد

ولا داعى بعد هذا لاستبدال النضد بالمنضد والمنضدة فكل منها صحيح .

٢٤٩ — ويقولون لما يدل على نوع المدارس والمستشفيات والمحال التجارية ونحوها ، ويشير الى أسماء أصحابها (يافطة) ولما استبان لكثير من المثقفين عامية هذه الكلمة استبدلو بها كلمة (لافتة) ، وقد فشا استعمالها فشوا عظيما ، وارتضاها عدد وافر من الخاصة وأقروها وما دروا — لو أنعموا النظر — أن معناها بعيد كل البعد عن المعنى الذى يريدونه .

ففى أمهات اللغة على اختلاف أنواعها : لفته ، يلفته لفتا من باب ضرب لواه وصرفه ، كما فى قوله تعالى « أجئتنا لتلفتنا عما وجدنا عليه آباءنا » أى لتصرفنا .

ومن اللفت والالتفات ، والتلفت ، وكلاهما معناه الانصراف ، قال :

تلفت نحو الحى حتى وجدتنى
وجعت من الاصغاء (١) ليتا (٢) وأخدعا (٣)

أى انصرفت نحو الحى .

وتقول : مالى الى فلان ملتفت ، ومتلفت ، أى ليس فى وسعى أن أنصرف عنه .

مما عرضنا اتضح لكل أديب أن اللفت لا يؤدى الا معنى الانصراف واللى ، فقولهم (لافتة) معناه صارفة ، وهذا ضد ما يريدون .

وأرى أن يوضع لهذا المعنى كلمة بطاقة تشبيها لها بالرقعة المنوطة بالثوب وفيها رقم ثمنه أو كلمة معلم وزان مقعد تشبيها له بالأثر الذى يستدل به على الطريق .

أو كلمة دليل ، أو دلالة ، أو علامة ، أو عنوان أو عنيان ، أو علوان بضمهن ، وقد قالوا :

وكلما استدللت بشىء يظهرك على غيره فعنوان له .

---

(١) الأصغاء : الميل .
(٢) الليت بكسر اللام : صفحة العنق .
(٣) الأخدع : شعبة من الوريد .

٢٥٠ ــ ويقولون : زج اللص فى السجن ، يعنون أنه سيق اليـه ، وهـذا خطأ صراح ، والفصيح أن يقال : زجى اللص زجوا اذا دفـع وسـيق سـوقا ، أو زجى تزجيـة بالتثقيل للمبالغة ، أو أزجى ازجاء بالألف ومن هذا قوله تعالى « ربكم الذى يزجى لكم الفلك » وقـوله « ألـم تر أن الله يزجى سـحابا » وقوله « بضاعة مزجاة » معناه أن البضاعة مسوقة شيئا فشيئا على قلة وضعف لأنها خسيسة يدفعهـا كل من تعرض عليه أما الزج الذى تخيروه لعبارتهم فله ثلاثة معان لا صلة لها بالسوق .

أحـدها : الطعن بالزج وهـو الحـديدة التى تكـون فى أسـفل الرمح ، تقول : زججت الرجل من باب نصر اذا طعنته بالزج .

والثانى : أن يجعل للرمح زج ، تقول : زججت الرمح زجا اذا ركبت له زجا .

والثالث : الاخـراج والتنمية ، كمـا فى قولك : نزلنـا بواد يزج النبات أى يخرجه وينميه كأنه يرمى به عن نفسه ، قال :

فى عازب[١] أزج[٢] يزج نبـاته
خال تمعـج[٣] دونـه الرواد

وأما التزجيج فله معنيان :

أحدهما : أن يجعـل للرمح زج كما قلنا سابقا فى معنى الزج ، تقول: زججت الرمح تزجيجا اذا جعـلت له زجا .

والآخر : دقة الحاجب وتطويله واستقواسه كالزجج بالتحريك قال

اذا ما الغـانيات برزن يوما
وزججـن الحـواجب والعيونا

---

(١) العازب : الكلا .

(٢) الأزج : البعيد .

(٣) تمج الرواد : ترددوا وانثنوا وانصرفوا

بــاب الفتــوى

للأستاذ محمود رسلان

هل يجوز الدعاء على المسلم بالكفر :

السؤال

ما رأى الاسلام فى رجل يدعى العلم ، وقد أذنب أحد أصحابه ذنبا ، فصار يدعو على هذا المذنب قائلا ما نصه : « اللهم اعم بصرك يا فلان . اللهب اسلب ايمانك يا فلان . اللهم أمتك على الكفر يا فلان » فى جمع من المسلمين ، فغضب أحدهم وامتنع عن مصاحبته فعلم ذلك المدعى بسبب امتناعه ، وهو الدعاء ، فخطأه وأفتى بجواز ذلك الدعاء وأصر عليه فنرجو الجواب مع الشكر .

الجواب

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على أشرف المرسلين سيدنا محمد وعلى آله وأصحابه أجمعين .

وبعد : ـ فان صح ما قيل عن ذلك المفتى فهو من أكذب الكاذبين وأجهل الجاهلين . ولو كان على شىء من العلم لاقتدى برسول الله صلى الله عليه وسلم حيث يقول : « اللهم اهد قومى فانهم لايعلمون » أو بابراهيم عليه السلام حيث يقول: « ربنا اغفر لى ولوالدى والمؤمنين يوم يقوم الحساب » أو بالمؤمنين الأولين حيث يقولون :

« ربنا اغفر لنا ولاخواننا الذين سبقونا بالايمان ولا تجعل فى قلوبنا غلا للذين آمنوا ربنا انك رءوف رحيم » .

وهذا حديث نص فى الموضوع : عن عمر رضى الله عنه أنه قد أتى برجل شرب الخمر ، وكان رسول

الله صلى الله عليه وسلم جلده فى الخمر قبل ذلك ، فقال رجل من القوم بحضرته صلى الله عليه وسلم اللهم العنه ما أكثر ما يؤتى به ! •• فقال صلى الله عليه وسلم : « لاتلعنوه فانه يحب الله ورسوله» أخرجه البخارى • وفى رواية لأبى داود عن أبى هريرة : « لا تقولوا هذا ولكن قولوا : اللهم ارحمه اللهم تب عليه » •

فهذا هو أدب الاسلام ، لامافعله هذا المفتى • وقد كان صلى الله عليه وسلم يلاطف من سبق عليه القضاء فوقع فى حد من حدود الله تعالى ، ويقول : « ادرءوا الحدود بالشبهات » علما منه صلى الله عليه وسلم بالضعف البشرى الذى كثيرا ما يغلب صاحبه المؤمن ايمانا قلبيا صحيحا ، عالما أنه سيرده ايمانه وقتا من الأوقات ، وستنهاه صلاته يوما من الأيام ، ناظرا الى سعة الرحمة الالهية ، والى كرم الله الذى ينظر الى القلوب لا الى الصور ، مبينا لنا أن الندم توبة ، وأن التوبة تجب ما قبلها ، وأن الحسنات يذهبن السيئات •

وقد عرف صلى الله عليه وسلم أن الانسان بمقتضى البشرية لابد أن يكون له هنات وهفوات ، فأرشدنا الى الحمية ما استطعنا • فاذا وقعنا فى مرض الذنب لم يوئسنا ولم يقنطنا ، بل أرشدنا الى الدواء الذى يخلصنا مما وقعنا فيه ، فقال : «اتق الله حيثما كنت ، واتبع السيئة الحسنة تمحها ، وخالق الناس بخلق حسن » •

فانظر الى هذا التعليم النبوى الوجيز الذى اشتمل على مجامع السعادات الدنيوية والأخروية • فجزاه الله عنا أفضل ما جازى نبيا عن أمته • وقد كان صلى الله عليه وسلم يقبل اعتذار المعتذر ، ويرشده ولا يؤنبه ، ويكتفى من الناس بظواهرهم ، علما منه أن صلاح الظواهر قد يجر الى صلاح البواطن ، ولا يطلب من الناس الكمال فى الأشياء ولا يكلفهم غاية واحدة ، نظرا الى ما بينهم من التفاوت فى الاستعداد ، وأن كلا

يأخذ ما قدر له ولا يتجاوز مرتبته فكان يسيرهم جميعا فى طريق الخير، وينير لهم طريق الهدى ، ثم يدعهم لله تعالى ، ولا يدقق هـذا التدقيق الذى يفعله الآن أولئك المتفيهقون. وقد غضب على أسامة غضبا شديدا عندما قتل الرجل الذى قال : لا اله الا الله ، ولم يقبـل منه أنه قالها تقية ، وصار يقول له : أقتلته ؟ ! بعد أن قالها حتى تمنى أسامة أنه لم يكن أسلم قبل . مع أن الظاهر أن الرجل ما قالهـا الا تقيـة ، ولكنه صلى الله عليه وسـلم لا يحب أن يفتح باب الاحتمال وسوء الظن ، علما منه بمـا يترتب على ذلك من الشرور والمفاسد ، واتباع الأهواء والأغراض والأوهـام والجهالات ولذلك زجر أسامة وقال له : هـلا شققت عن قلبه !

وسرهذا أن اصلاح الظواهر كثيرا ما يجر الى اصلاح البواطن كما قلنا خصوصا فى بيئات الهدى ، وأوساط الدين والصـلاح . هذا وقد قالوا « ان الرضا بالكفر كفر » فهل يعتبر الدعاء بالكفر رضـاء به ، أو فوق الرضاء كما هو ظاهر ؟ وقد ورد فى الصحيح أن من رمى غيره بالكفر باء به أحـدهما .. فانظر الى تغليـظ الشارع فى هذا الباب الضيق الذى يجب أن يبتعد عنه المسـلمون كل الابتعاد ....

غلطة فاحشة :

ان الذى ساقه السـائل بما قاله « اللهم أمتك على الكفر يا فلان » غلط فاحش ، فانه جمع بين خطأين فى جملة واحدة ، وهو مما نص علماء العربية على امتناعه .

احاديث تبين حقوق المسلم على اخيه المسلم :

عن واثـلة بن الأسـقع قال : سمعت رسـول الله صلى لله عليه وسلم يقول : « المسلم على المسلم حرام : دمـه وعرضـه ، وماله . المسلم أخـو المسلم لايظلمـه ولا يخذله ، التقوى ها هنا ، وأومأ بيده الى القلب وحسب امرىء من الشر أن يحقر أخاه المسلم» . رواه الامام أحمد وغيره واسناده جيد .

وعن أسـماء بنت يزيد قالت : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: « من ذب عن عرض أخيـه بالغيب

كان حقا على الله أن يعتقه من النار» رواه أحمد والطبراني. وعن عبدالله ابن مسعود قال : قال رسول الله صلى الله علية وسلم : « ان أول هذه الأمة خيارهم ، وآخرها شرارهم مختلفين متفرقين ، فمن كان يؤمن بالله واليوم الآخر فلتأته منيته وهو يأتى الناس ما يحب أن يؤتى اليه » رواه الطبراني .

وعن عائشة رضى الله عنها قالت : قال رسول الله صلى الله علية وسلم: « ادرءوا الحدود عن المسلمين ما استطعتم، فان كان له مخرج فخلوا سبيله ، فلأن يخطىء الامام فى العفو خير من أن يخطىء فى العقوبة » أخرجه الترمذى .

وعن جرير رضى الله عنه : قال « قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : لا يرحم الله من لا يرحم الناس» أخرجه الشيخان والترمذى.

وعن أبى هريرة رضى الله عنه : « من لا يرحم لا يرحم » . أخرجه الشيخان وأبو داود والترمذى ...

وعن عائشة رضى الله عنها قالت : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « ان الرفق ما كان فى شىء الا زانه ، ولا نزع من شىء الا شانه » أخرجه مسلم وأبوداود.

وعن جرير رضى الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: « من يحرم الرفق يحرم الخير كله » أخرجه مسلم وأبو داود .

وعن أبى موسى رضى الله عنه قال كان النبى — صلى الله عليه وسلم — اذا بعث أحداً فى بعض أمره قال : « بشروا ولا تنفروا ، ويسروا ولا تعسروا » . أخرجه أبو داود . الى آخر ما جاء فى السنة وهو كثير.

وبعد : فلا غرابة فى مثل تلك الفتاوى الضالة ، فقد أخبرنا صلى الله عليه وسلم أن الناس سيتخذون رؤساء جهالا فاذا سألوهم أفتوا بغير علم فضلوا وأضلوا ... هذا وليس من شأن المسلم الذى يحتاط لدينه أو يعرف قدر نفسه . ولعل ذلك يقع منك موقع الغرابة والدهشة ، ولكن لا محل للغرابة بعد ما قال صلى الله عليه وسلم : « اذا لم تستح فاصنع ما شئت » ..

والانسان مجمع العجائب والغرائب ، ومظهر المتضادات والمتناقضات ، فرحم الله امرأ عرف قدره ، ولم يتعد طوره ، فسلم لأئمة الهدى ما قالوا ، ولم ينازعهم فيما لم يدر سره ولم يسبر غوره .

فحسبك تسليم العلوم لأهلها
وحقك فيها أن تكون متابعا

أسأل الله أن يقينا شر فتنة العقل الناقص، والعلم الأبتر، وأن يخلصنا من ضلالات هذا العصر الذى تسابقت فيه الأهواء ، بمنه وكرمه ، انتهى بتصرف من مجلة الأزهر المجلد السابع لسنة ١٣٥٥ هـ للمرحوم الشيخ يوسف الدجوى عضو هيئة كبار العلماء ص ٦١٤ — ٦١٨ .

محمود محمود رسلان

دخل على رسول الله — صلى الله عليه وسلم — ذات يوم أعرابى ، وخاطبه عليه السلام بجرأة العربى المتحرر ، سائلا النبى عن رخصة تبيح الزنا عند الحاجة ، فقال له الرسول صلى الله عليه وسلم — قولا — خاطب فيه عقل الرجل وقلبه ووجدانه وطبعه ، وألقى عليه سؤلا : أتحب الزنا لأمك ؟ قال الرجل : لا ... أتحبه لزوجتك ؟ قال الرجل : لا ... أتحبه لأختك ؟ قال الرجل : لا ... أتحبه لابنتك ؟ قال الرجل : لا ... فقال الرسول — صلى الله عليه وسلم كذلك الناس — يا أخا العرب لا يحبونه لأمهاتهم ولا لزوجاتهم ولا لاخواتهم ، ولا لبناتهم » .

(جوهر الايمان)

أخبار العالم الإسلامي

للأستاذ ابراهيم حامد السويدي

مصر

* أقام العالم الاسلامى احتفالات بذكرى الاسراء والمعراج، فأقامت مشيخة الأزهر ووزارة الأوقاف احتفالات بهذه المناسبة الكريمة ، كما أقيمت احتفالات بجميع مساجد الجمهورية ، ألقى فيها العلماء ورجال الدعوة والمفكرون محاضرات دينية ، تناولوا فيها هذه الذكرى ومكانتها والدروس المستفادة منها .

* أصدر فضيلة الامام الأكبر الدكتور عبد الحليم محمود شيخ الأزهر قرارا بانشاء ادارة للقرآن الكريم لأول مرة فى الأزهر ، وذلك للاهتمام بمكاتب تحفيظ القرآن الكريم بالمحافظات ،ودعمها ونشرها على أوسع نطاق ، ومساعدتها ماديا ومعنويا ، بهدف التوسع فى المعاهد الأزهرية .

ويعد هذا أول قرار اتخذه فضيلة الامام الأكبر بعد تجديد مدة خدمته ثلاث سنوات أخرى اعتبارا من مايو ١٩٧٧ م .

ومن الجدير بالذكر أن فضيلته سيعمل على انشاء كليات أزهرية جديدة بحيث تشمل كل المحافظات كما سيعمل على أن تتسع كلية البنات الاسلامية لتصبح جامعة للبنات تتبعها كليات متنوعة ..

حيا الله فضيلة الامام الأكبر وأمده بالعون والقوة والصحة للعمل من أجل الأزهر والاسلام فى ظل دولة العلم والايمان ورعاية الرئيس المؤمن محمد أنور السادات ..

* انعقدت فى الفترة الأخيرة — الندوة الاسلامية العالمية عن مستقبل الطفل فى العالم الاسلامى الذى نظمها

المركز الدولى الاسلامى للدراسات والبحوث التابع لجامعة الأزهر تحت رعاية سيدة مصر الأولى السيدة جيهان السادات .

وشهد الندوة فضيلة الامام الأكبر الدكتور عبد الحليم محمود شيخ الأزهر ، وفضيلة الشيخ محمد متولى الشعراوى وزير الأوقاف ووزير دولة لشئون الأزهر ، وعدد من كبار علماء الأزهر ، كما حضرها وفود من عشر دول اسلامية ..

وناقش العلماء والمفكرون فى هذه الندوة الموضوعات الخاصة بالطفل فى الاسلام ، وصحة الطفل وتغذيته فى العالم الاسلامى ، وتعليم الطفل المسلم واقتصادياته والحياة النفسية والأخلاقية له ، ونظم التعليم الدينى للأطفال فى بعض الدول مثل الهند والفلبين وأندونسيا .

وأوصت الندوة بوضع خطة لتربية الطفل المسلم مستمدة من تعاليم الدين الاسلامى وتكون دستورا يتبع فى جميع البلاد الاسلامية ، وتخصيص ميزانية مستقلة لتعليم الطفل والعناية بصحته ، وفتح مراكز فى البلاد الاسلامية لتعليم اللغة العربية .

* يتوافد كثير من المسلمين على المكتب الذى أنشىء بالأزهر للتبرع لاذاعة القرآن الكريم ، تلبية للنداء الذى وجهه فضيلة الامام الأكبر الدكتور عبد الحليم محمود شيخ الأزهر ، للتبرع لهذه الاذاعة ليغطى ارسالها جميع العالم وعلى مدى ٢٤ ساعة ، حتى تتمكن من أداء رسالتها فى نشر الوعى الاسلامى وقد وصلت التبرعات الى أكثر من عشرة آلاف جنيه .

وافتتح أيضا حساب بالعملة الأجنبية فى المصرف العربى الدولى باسم صندوق اذاعة القرآن الكريم وذلك لتلقى التبرعات بالعملات الأجنبية .

* قرر فضيلة الشيخ محمد متولى الشعراوى وزير الأوقاف ووزير دولة لشئون الأزهر ايفاد بعثة من علماء الأزهر الذين يجيدون اللغة الانجليزية لنشر الدعوة الاسلامية وتدريس اللغة العربية فى جابون ، وذلك أثناء

اجتماع فضيلته بالسيد / محمد عارف الحوكى المستشار الخاص للرئيس الجابون الحاج عمر بانجو الذى أشهر اسلامه عام ١٩٧٣ ، واعتنق الاسلام بعده ٣٥ ألفا من مواطنيه .

السعودية

* تبرع جلالة الملك خالد بن عبد العزيز ملك المملكة العربية السعودية للمركز الاسلامى بلندن بمبلغ مليون ومائتى جنيه استرلينى .

وأعرب الدكتور شودرى عميد المركز الاسلامى بلندن عن شكر المركز والمسلمين فى بريطانيا لجلالة الملك خالد على هذا التبرع السخى الذى سيمكن به الانتهاء من بناء المسجد فى شهر يوليو ١٩٧٧ م .

ومن الجدير بالذكر أن المسجد سيضم مكتبة اسلامية وقاعات لتدريب الأئمة وجناح للسيدات حتى يمكنهن المساهمة فى الحفاظ على القيم الاسلامية .

تحية للملك خالد ، وتهنئة له بالشفاء ، ودعاء له بدوام الصحة ، ليظل خادما للحرمين الشريفين ذائدا عن الاسلام وحياضه ، ودعما لأهله ومنشآته .

* تبرعت المملكة العربية السعودية بمبلغ ٥٠٠ ألف ريال سعودى للجنة القائمة على تعمير المساجد والمدارس التى أصيبت بكوارث الزلازل التى اجتاحت منطقتى ايريان الغربية وجزير بالى شافى جاوة بأندونسيا .

* أقامت جماعة تحفيظ القرآن الكريم بمكة المكرمة حفلا كبيرا للطالبات الحافظات للقرآن الكريم وقد بلغ عدد الحافظات للقرآن كله ٣٤ طالبة ، والحافظات لعشرين جزءا ٥٤ طالبة والحافظات لعشرة أجزاء ٨٢ طالبة ، ووزعت عليهن فى الحفل جوائز مادية بلغت ٤٧٫٧٠٠ ألف ريال سعودى .

* افتتح بجامعة الملك عبدالعزيز بمكة المكرمة مركز للبحث العلمى واحياء التراث الاسلامى ، ويهدف المركز الى جمع المخطوطات المبعثرة فى شتى أنحاء العالم الاسلامى ،

وتحقيقها ونشرها ، للاستفادة بمافيها من كنوز ونفائس، كما يهدف المركز الى معالجة القضايا الاسلامية المعاصرة ووضع الحلول السليمة لها .

غينيا

* اعتنق الاسلام موريس كنديانو وزوجته لوس لنديانو الغينيان واختار موريس لنفسه بعد اعتناقه الاسلام اسم (محمد الأمين) كما اختارت لوس زوجته لنفسها بعد اعتناقها الاسلام أيضا اسم (مريم) .

ومجلة الأزهر تتجه الى الأخ محمد والأخت مريم بالتهنئة والدعاء لهما بالتوفيق فى ظل الاسلام ، ونور كتابه الكريم وهدى نبيه الأمين .

أمريكا الشمالية

* أصدر المؤتمر الاسلامى لأمريكا الشمالية الذى عقد مؤخرا فى مدينة نوارك بولاية نيوجرسى ودعت اليه ونظمته رابطة العالم الاسلامى ــ توصيات وقرارات هامة ، منها :

١ ــ تطوير سياسة تربوية موحدة تكون مقياسا وأساسا لمنفعة جميع المسلمين .

٢ ــ وضع الخطوط العريضة لاقامة وانشاء مدارس اسلامية تشرف عليها هيئة ادارية للتعليم والتسجيل وتنسيق المعلمين وتشرف كذلك على وضع البرامج التعليمية وتخطيط بعض المشاريع الخاصة المفيدة وايجاد لجنة تضم أولياء أمور الطلبة للتعاون مع معلمى هذه المدارس لما فيه صالح المسلمين .

٣ــ استخدام العلوم التكنولوجية الحديثة عند اعداد الكتب والمناهج المدرسية ومراجع المواد التعليمية وتطوير وسائل التعليم السمعية والبصرية بغية الفائدة المرجوة وترجمة المبادىء الاسلامية لتعليم الطلبة الأحداث فى هذه المدارس الاسلامية ..

٤ ــ توحيد المناهج التعليمية وتطويرها بحيث تشمل تدريس وتلاوة القرآن الكريم باللغة العربية وأن تشمل هذه المناهج التعليمية

على مفاهيم الاسلام ومبادىء هذه العقيدة والأخلاق والسلوك السوى التى تدعو اليها تلك العقيدة والمبادىء الاسلامية ،كماتشمل هذه البرامج تعليم التاريخ والجغرافيا الاسلامية والتفسير الاسلامى للعلوم والدراسات الطبيعية ومقدمة عن الأديان المقارنة .

٥ ــ انشاء معهد رئيسى للمعلمين ومراكز أخرى محلية وذلك لتدريب المعلمين والمختصين بشئون التعليم من أجل خدمة ومنفعة هذه المدارس الاسلامية ورفع شأنها ، واقامة دورات تدريبية لهؤلاء المعلمين لتطوير أساليب التعليم فى تلك المدارس .

٦ ــ تقديم مساعدات عاجلة الى تلك الجمعيات الاسلامية التى هى فى أمس الحاجة بسبب ضيق استيعاب مدارسها ، والتى لاتستطيع الاستمرار طويلا فى اعتمادها على المدارس الأسبوعية فى تعليم أبنائها .

٧ ــ تنظيم برامج مكثفة ومتكاملة لتوحيد التعليم لأبناء المسلمين وعائلاتهم رجالا ونساء وأن تتضمن هذه البرامج أسس الدعوة الاسلامية .

٨ ــ اعداد برامج اذاعية وتليفزيونية على فترات ثابتة تنظم وتذاع من قبل بعض المسلمين ذوى الكفاءة والمقدرة فى سبيل نشر الاسلام ..

٩ ــ تأسيس مجلة خاصة بالمتعلمين والمثقفين تعرض الاسلام ومبادئه الى الهيئات التعليمية وتقف بالمرصاد للدفاع عن الاسلام ضد أعدائه الذين يتربصون به أو يتصدرون له .

١٠ ــ ايجاد مجلس اسلامى للتنمية الاقتصادية يقوم بتمويل المشاريع الاقتصادية للمسلمين بدون فوائد أو أرباح ويعهد الى هذا المجلس القيام بالواجبات والمسئوليات لجمع ونشر المخططات التكنولوجية للبنوك أو لمؤسسة تطوير المسلمين فى واشنطن أو لأية مشاريع اقتصادية قد تحتاج اليها جمعيات المسلمين فى هذه القارة .

ابراهيم حامد النويهى

كتاب الشهر

رسالتان

بين البابا والمودودى

للعلامة أبو الأعلى المودودى

بسم الله الرحمن الرحيم

تقديم :

فى شهر ديسمبر ١٩٦٧ م تلقى السيد أبوالأعلى المودودى ، أمير الجماعة الاسلامية فى باكستان رسالة من البابا بولس السادس - الفاتيكان - روما ، يدعوه فيها الى الاحتفال بأول يناير ١٩٦٨م « كعيد للسلام » فأكبر السيد أبوالأعلى المودودى هذه اللفتة الطيبة من جانب أكبر شخصية فى الكنيسة الكاثوليكية ، وتبادل مع البابا مشاعر مماثلة فى رسالة بعث بها اليه ردا على رسالته ، الا أن جواب المودودى لم يكن مجرد تعبير رسمى عن الأمل وتمنى الخير لقضية السلام ، وانما يتضمن كذلك تقييما موجزا للموقف على حقيقته ، فقد تناول الموضوع بأسلوب جرىء ، وتحليل عملى للمشكلة بأسرها ، كما بحث الأسباب التى جعلت أمر السلام والمودة بين شعوب العالم ، وعلى الأخص بين العالمين الاسلامى والمسيحى حلما لم يتحقق حتى هذه اللحظة ، كذلك تقدم الأستاذ المودودى بمقترحات مهمة لو طبقها قداسة البابا والعالم المسيحى لاستحال الشقاق والتوتر والعداوة القائمة الى تعاون وخير ومودة .

ان هذه المراسلة على درجة كبيرة من الأهمية اذ نوقشت فيها أمور ذات أهمية بالغة ، وبأسلوب صريح مباشر ، فها نحن أولاء نقدم الوثيقتين للعالم المسيحى والاسلامى راجين من الذين يتوفر لديهم اهتمام صادق بالمسألة أن يولوهما عنايتهم وفكرهم الجاد وأن يساهموا بنصيبهم لتصفية القوى الضاربة فى جذور التوتر القائم .

١ مارس ١٩٦٨ م

غلام محمد

أمير الجماعة الاسلامية فى كراتشى وعضو المجلس التنفيذى المركزى للجماعة الاسلامية - باكستان

رسالة قداسة البابا بولس السادس بمناسبة الاحتفال بيوم السلام

تتوجه بهذا الخطاب الى كافة الرجال الخيّرين ، لدعوتهم الى الاحتفال بيوم السلام فى كافة أنحاء العالم ، وذلك فى اليوم الأول من كل عام ، اعتبارا من أول يناير ١٩٦٨ م ، كما نعرب عن رغبتنا فى

تكرار هذا الاحتفال عاما بعد عام كأمل ورجاء ، فى بداية التقويم الذى يقيس ويحدد طريق الحياة الانسانية من الناحية الزمنية بأن يهيمن السلام بميزانه العادل الرحيم على تطور الأحداث فى المستقبل .

اننا نعتقد أن هذا الاقتراح يترجم آمال الشعوب وحكوماتها ، والنظم الدولية التى تسعى الى الحفاظ على السلام فى العالم ، والمؤسسات الدينية التى تهتم بتوطيد دعائمه ، وكذلك الحركات الثقافية والسياسية والاجتماعية التى تتخذ من السلام مثالها الأعلى ، والشباب الذين استوعبوا بكل حيويّة المناهج الجديدة للحضارة ، فساروا طائعين تجاه تطوراتها السلمية ، والعقلاء الذين يشاهدون مدى ضرورة السلام ومدى الخطر الذى يتهدده فى أيامنا هذه .

لذلك كان الاقتراح بتخصيص يوم للسلام يوافق اليوم الأول من السنة الجديدة غير قاصر علينا نحن الكاثوليك أى أنه ليس مجرّد اقتراح دينى ، ولكنه يطمع فى أن ينال اخلاص كافة أصدقاء السلام الحقيقيين ، وكأنهم هم أول من دعا اليه كى نعبّر عنه بطريقة حرة تتفق وشخصية الذين يشعرون بمدى جمال وانسجام كافة الأصوات فى العالم ، ومدى أهميتها لتفحص الخير الأصيل فيه – أى فى السلام – وسط الفرق الموسيقية المنوعة للبشرية فى العصر الحديث .

ان الكنيسة الكاثوليكية بهذه الخدمة والأسوة الحسنة لترغب بكل بساطة أن تطرح هذه الفكرة على أمل أن تحوز الموافقة الشاملة من العالم المتحضر ، وليس ذلك فحسب ، بل أن تلقى هذه الفكرة كثيرا من المؤيدين القادرين على تكريس جهودهم لهذا اليوم ، حتى يتم الاحتفال به فى اليوم الأول من كل عام جديد ، وأن تستعيد البشرية الواعية شخصيتها المخلصة القوية بعد استنقاذها من نزاعاتها الدموية المحزنة ، التى تكاد تودى بحياتها مما سينتقل بالتاريخ العالمى الى مزيد من السعادة والنظام والتحضر .

كما أن الكنيسة الكاثوليكية سوف تستقطب أنظار أبنائها الى واجب الاحتفاء بيوم السلام ،

مستخدمة فى ذلك العبارات الدينية والخلقيـة فى الديانة المسيحية ، ولكنها ترى من واجبهـا أن تذكّر كافة الذين يتفقون معها على ضرورة هذا العيد ببعض النقاط التى يجب أن يتميز بها ـ :

أولها : ضرورة الدفاع عن السلام ضد الأخطار التى تتهدده دائما ، وخطر تبقى الأثرة فى العلاقات بين الشعوب ، وخطر العنف الذى تسمح بعض الأمم لنفسها بالانسياق اليه تبعاً ليأسها من اعتراف الآخرين واحترامهم لحقها فى الحياة والكرامة الانسانية ، والخطر الذى تفاقم فى أيامنا هـذه بصـورة مذهلة ، ويتمثل فى اللجوء الى أسلحة الابادة المخيفة التى تمتلكها بعض الأمم ، وتنفق عليها المبالغ الهائلة من أموالها مما يترك أثراً مؤلماً حين تؤخـذ بعين الاعتبار الحاجات المـاسة التى تعـترض تقـدم كثير من الأمم الأخرى ، وختاما خطر الاعتقاد بأن المنـازعات الدولية لا يمكن حلهـا بالطرق المنطقيـة ، أى المفاوضات القائمـة على القـانون والعـدالة والمساواة ، وانما بالوسائل المعرقلة (للتقـدم) وأسـاليب العنف والقتل .

ان الأسـاس الموضـوعى اللازم للسلام يتمثل فى ايجاد روح جديدة تبعث التعـايش بين الشـعوب ، وتغرس نظـرة جديدة للانسان من حيث واجباته ومصيره ، ولابد من تحقيق مزيد من التقدم لجعل هـذه النظرة عالمية مؤثرة ، كمـا لابد من اعداد جديد يتولى مهمـة تربيـة الأجيال الجديدة وتعليمها الاحترام المتبـادل بين الأمم ، والأخـوة بين الشعوب والتعاون بين الأجنـاس ، لتحقيق تقدمها وتطـورها ، ومن واجب الجميـع مساندة وتدعيم المنظمات الدولية التى أنشئت لهذه الغـاية ، كما يجب التعريف بهـا بصورة أفضل وتزويدها بالسلطات والوسائل الملائمة لمهمتها العظيمة ، ولابد ليوم السلام أن يكرم هـذه المؤسسات ويحيطها بالعناية والثقة وبروح من التطلع التى تبقى فيهـا محاولة تحقيق أخطر مسؤولياتهـا وتركيز احساسها بالمهمة الملقاة على عاتقها والمؤتمنة عليها .

ولابد أن نضع فى اعتبارنا التحذير التالى : « ان السلام لا يمكن أن يقوم على أساس من الكلمات البليغة التى تلقى ترحيبا لأنها تلبى الآمال الحقيقية الصادقة للانسانية ، ولكنها فى الوقت ذاته يمكن أن تساهم ، وقد ساهمت بالفعل بكل أسف ، فى طمس الروح الحقيقية والنوايا الصادقة للسلام ، بل كانت بمثابة قناع لمشاعر وأعمال الظلم والمصالح الحزبية ، كذلك لا يمكن للمرء أن يتحدث بحق عن السلام فى الوقت الذى لا يوجد فيه أى اعتراف أو احترام لأركانه الصلبة ، ونعنى بها الاخلاص ، والعدل ، والحب فى العلاقات بين الشعوب ، وفى نطاق كل أمة من الأمم ، وفى العلاقة بين المواطنين بعضهم مع بعض ، وعلاقتهم بحاكميهم ، ثم حرية الأفراد والشعوب فى كافة مجالاتها المدنية والثقافية والخلقية والدينية ، والا فلن يكون هناك سلام حتى ولو تمكن الظلم أن ينشىء وضعا يتخذ المظهر الخارجى للنظام والمشروعية ، انما سيكون هناك مزيد من العصيان والحرب التى لا يمكن قهرها بصورة نهائية ، لذلك فاننا ندعو أهل الحكمة والسلطان الى تخصيص هذا اليوم للسلام الحقيقى ، السلام المبنى على العدل ، والتوازن القائم على الاعتراف الصادق بحقوق الشخصية الانسانية والاستقلال التام لكل أمة .

وبناء على ما تقدم ، فاننا نأمل فى الختام ألا يؤدى تعظيم المثل الأعلى للسلام الى اكرام جبن الذين يخشون أن يكون من واجبهم بذل حياتهم فى سبيل خدمة أوطانهم واخوانهم حال انشغالهم فى الذود عن العدالة والحرية ، والذين لايبتغون الا الفرار من مسؤولياتهم ، ومن المجازفات التى لابد أن يتعرض لها كل من يطلب العلى والرفعة . فالسلام ليس استسلاما ولا يتضمن فى طياته تصورا وضيعا كسولا للحياة ولكنه يعلن عن أسمى قيم الحياة وأوسعها انتشارا فى العالم أعنى بها الحق والعدل والحرية والمحبة . اننا نضع هذه القيم تحت راية السلام فى سبيل الحفاظ عليها وصيانتها ، ومن أجل أن ندعو

الأفراد والأمم الى رفع هذه الراية فى مطلع كل سنة جديدة ، هـذه الراية التى لابد أن تكون مرشدا يهدى سفينة الحضارة وسط عواصف التاريخ التى لا مفر منها ، لتقودها الى أسمى موانىء مصيرها » .

رد السيد أبى الأعلى المودودى

عزيزى البابا بولس السادس :

أود أولا ، وقبل كل شىء ، أن أعرب عن صادق شكرى لكم على رسالتكم الموقرة المؤرخة ٨ ديسمبر ١٩٦٧ م ، والتى تسلمتها من الدكتور « ر . ا . بتلر » مستشار أمانتكم ومدير « لويو لاهور » فى لاهور ، والتى ناشدتم فيها كل من يرتبط بالكنيسة الكاثوليكية وجميع المنتمين الى سائر الديانات الكبرى فى العالم وكافة الرجال الخيّرين بصفة عامة للاحتفال بغرة (يناير) كيوم للسلام ، ولقد وددتُ أن أرد على رسالتكم فى حينها الا أن مشاغلى للأسف لم تسمح لى بالكتابة لكم قبل هذا التاريخ .

أقدّم لكم خالص تهانىّ القلبية لأنكم دعوتم الانسانية الى التوجه لتحقيق هدف يعتبر بحق : المثل الأعلى المشترك بين الجميع ، كما أنكم استلفتم أنظار العالم تجاه العوامل التى تعترض وتحول دون الوصول الى تلك المُثُل العليا ، فمما لا ريب فيه أن السلام يعتبر من أهمّ الحاجات الرئيسية الأساسية التى تشكل حجر الزاوية لتحقيق الرخاء والتقدم البشرى ، ولكن بالرغم من كافة الأمانى الطيبة لتحقيق السلام ، وبالرغم من الاحساس بأهميته فان الانسانية لا تزال محرومة منه حتى هذه اللحظة ، والسبب فى ذلك وفى استمرار كون هذا المثل بعيد المنال فى أوقاتنا هذه هو كما تفضلت تماما ناجم عن العوامل التى ذكرت بعضها فى رسالتك والتى لفتّ اليها أنظار العالم فى هذه الساعة الحرجة من تاريخ الانسان ، واننى على يقين من أنه ما لم يتم اتخاذ اجراء ما بصورة صارمة وبأسلوب ملموس لتصفية هذه العوامل فلن تستطيع الأمانى الطيبة

ومجرد التعبير عن النوايا الحسنة والتعاون أن تقود الجنس البشرى الى غايات بعيدة . اننى أحس احساسا عميقا أن أشد ما نحتاج اليه هو تفتيش قلوبنا بكل اخلاص وأمانة وصدق . اننا بحاجة الى تحليل نفسى صريح من جانب الأفراد والجماعات والأمم ومجموعة الأمم وأعضاء الطوائف الدينية المختلفة ، تحليل يهدف الى أن يفهم هؤلاء عيوبهم ونقائصهم ، ويكتشف كل منهم نصيبه المقصود أو العفوى ودوره فى العوامل التى تشقى الانسان وكذلك نصيب كل منا كل بمفرده فى المثل الأعلى الذى نسعى لتحقيقه ونتطلع اليه لاقامة السلام الحقيقى ، وليس ذلك فحسب وانما المطلوب أيضا هو أن يسعى كل واحد منا جاهدا على ضوء ما تقدم لازالة تلك العوامل التى تعترض الطريق الى السلام بكافة السبل الممكنة ، كذلك من واجب كلٍّ منا أن يعمل بقلب مفتوح وصراحة صادقة واتجاه للسلام لا لزيادة الأحقاد والنوايا الشريرة ، فيحاول مصارحة الرجال الخيِّرين المنتمين الى الفئات والديانات الأخرى بالنواحى التى لا تعجبه بصورة مباشرة أو غير مباشرة من سلوكهم وموقفهم ، وذلك لكى يعمدوا الى اصلاحها وازالة أسباب الشقاق .

وبهذه الروح ذاتها « أود أن ألفت انتباهكم الى أمور معينة أنشأت الضغينة فى صفوف المسلمين، وهى أمور تعتبر أساسا لشكواهم من اخوانهم النصارى ، وسوف أبيِّنها هنا لأنكم لكونكم أرفع منزلة فى الكنيسة النصرانية تتمتعون به من التبجيل الكبير والاحترام والنفوذ العظيمين أن تصلحوا الموقف وأن تعملوا على احداث تغيير الى الأفضل فى موقف النصارى وسلوكهم ، كما أود أن أضيف أننى أرحب وأدعو اخواننا النصارى أن يخبرونا بصراحة مماثلة بما يأخذونه علينا من شكاوى ذات أسباب معقولة ونؤكد لهم أننا سنبذل قصارى جهدنا للقضاء عليها، ولن يتسنى لنا ــ لعمر الحق ــ أن نعمل على اقامة جو من السلام والمحبة والخير فى العالم ما لم ينصف كل منا

الطرف الآخر ، وبهذه الطريقة يمكننا أن تتعاون معا على خدمة قضية السلام ، وأود أن أقول : اننا حتى ولو فشلنا فى اظهار التسامح والكرم تجاه بعضنا البعض فانه يمكننا على الأقل أن نكف عن التظالم وجرح مشاعر بعضنا البعض ، وأقترح أن أبسط أمامكم بأسلوب صريح لا لبس فيه تلك الجوانب من موقف اخواننا النصارى وتصرفاتهم التى تعتبر معادية ومسيئة الى المقدسات فى نظر المسلمين لا فى نظر قلة أو فئات منهم فحسب ، بل أستطيع أن أقول فى نظر جميع المسلمين فى العالم ، وهذا هو سبب شكايتهم من العالم النصرانى :

١ - الاستفزازات الدينية والسلام:

ان التهجمات الموجهة ضد النبى محمد صلى الله عليه وسلم وضد القرآن والاسلام بصفة عامة من قبل المفكرين النصارى فى كتاباتهم وأحاديثهم واعتداءاتهم التى تستمر حتى الآن ، هذه التهجمات هى مصدر اساءة كبيرة للمسلمين ، وقد تعمدت استخدام عبارات « تهجم » واعتداء حتى لا ينشأ سوء فهم بأننا نشكو من النقد المنصف والمجابهة المعقولة ، فالمناقشات الأكاديمية التى تتخذ نهجا معقولا وتكون فى حدود اللياقة لا يمكن بحال أن تسبب الاحتقار أو الضيق ، فمثل هذه المناقشة لا تسىء الينا حتى ولو تضمنت أقسى الاعتراضات ، وليس ذلك فحسب بل ان المسلمين يرحبون بذلك وانهم على استعداد تام للمشاركة والاسهام فى مثل هذه المناقشات ، وانه لمن دواعى سرورهم العظيم أن يواجهوا الحجج القائمة على أساس منطقى ولكننا نشعر أننا على حق حين نستنكر تيار المهاجمة المقذعة الموجهة ضدنا بصورة لا ترتفع عن الأكاذيب والشتائم المبطنة بأسلوب عظيم الاثارة والاساءة ، ولا تزال هذه الحملة الكلامية على أشدها .

ومن الجدير بالذكر أننا نحن المسلمين نحترم كلاً من مريم وعيسى عليهما السلام ونقدرهما أعظم تقدير ، وهذا يشكل جزءا من عقيدتنا ، وكل كلمة تشم منها أدنى اساءة لهما تعتبر كفرا فى ديننا ، أى تجعلنا خارجين عن

الاسلام ، وربما لا تستطيع أن تذكر مثالا واحدا يزعم أن أحد المسلمين قد وجّه أدنى اساءة يمكن تصوّرها للنبى الكريم عيسى وأمه الصدّيقة عليهما السلام ، ونحن بطبيعة الحال ، لا نؤمن بألوهية عيسى الا أن ايماننا بنبوته لا يتزعزع ، كايماننا بنبوة محمد عليهما الصلاة والسلام ، ولا يمكن لأى فرد أن يصبح مسلما بحق ما لم يؤمن بعيسى وبقية الأنبياء عليهم الصلاة والسلام الى جانب ايمانه بمحمد صلى الله عليه وسلم .

كذلك فاننا نعتقد أن كلا من القرآن والتوراة والانجيل كتب سماوية ، نزلت من عند الله تعالى ، ولا يمكن لأى مسلم أن يكن عدم الاحترام لهذه الكتب المقدسة ، واذا كانت هناك أية مناقشة للانجيل فى أوساطنا فقد كان ذلك من زاوية التأكد فيما اذا كان الانجيل المتوفر فى أيامنا هذه والمطبوع فى كتب ، صحيحا ومعتمدا أم لا ! ؟ وهل يحتفظ بالوحى كاملا كما نزل على الأنبياء ؟ وهذه مشكلة تعرضت لنقاش عظيم حتى من قبل علماء النصارى أنفسهم ، ولكن لم يحدث قط أن أنكر أحد من المسلمين أن كلمة الله قد نزلت على أنبياء من أمثال موسى وعيسى وبقية الرسل الوارد ذكرهم فى الانجيل ، الا أن المسلمين لا يسلمون أن الانجيل الحالى يتضمن كلمة الله كاملة وفى صورتها الخالصة ، ومع ذلك فانهم يؤمنون أنه يشتمل على كلمة الله ، والواقع أن اخواننا النصارى لم تسنح لهم أية فرصة للاشتكاء بأننا تتعرض لأنبيائهم أو لكتبهم المقدسة ، على العكس من ذلك فقد دلّت تجاربنا على أننا نتعرض باستمرار لصنوف التعذيب العقلى من قبلهم ، ولا يزال هذا الوضع مستمرا بلا هوادة منذ عدة قرون ؛ فالمستشرقون وغيرهم من الكتّاب والمتحدثين النصارى لا يدعون فرصة تلوح لهم الا وينفثون فيها سمومهم ضد نبينا وكتابنا المقدس ودیننا ، وهذا عامل مهم جدا من العوامل المسببة للتوتر فى العلاقات بين الطائفتين العالميتين النصارى والمسلمين ، فهذا يولد المرارة والبغضاء كما أن هذه الدعاية

الخبيثة تؤدى حتما الى بث الاحتقار والضغينة ضد المسلمين فى قلوب الجماهير النصرانية ، فاذا أقنعتم أتباع الديانة المسيحية بتغيير موقفهم وتصرفاتهم بهذا الشأن بصورة لا تجعل النقد والمعارضة وسيلة للبغضاء والاثارة ، اذا نجحتم فى ذلك فانكم تقدمون خدمة جليلة حقا لقضية السلام فى العالم .

٢ ـ دور جمعيات التبشير النصرانية:

هناك أمر آخر يستدعى الاهتمام الفورى ، ويتعلق بالأساليب التى تستخدمها جمعيات التبشير النصرانية والمبشرون النصارى لنشر دياناتهم فى البلاد الاسلامية ، فأسلوب العمل الذى يتبعه مبشرو الانجيل هؤلاء شنيع للغاية ويعتبر مصدرا من مصادر الشقاق والخلاف ، وتتمثل شكوانا فى أنهم لايقصرون نشاطاتهم على نشر الدين فحسب ، ولكنهم بدلا من ذلك يلجأون الى أساليب وسبل لا مناص من اعتبارها وسائل للضغط السياسى والاستغلال الاقتصادى ، والتخريب للأخلاق والدين ، ويشهد على ذلك ما رأيناه بأم أعيننا وما يشاهد فى بقية أنحاء العالم الاسلامى ، فلا يمكن لأى عقل مهما كان محدودا ولا يليق بأى انسان كريم أن يعتبر تلك الأساليب وسائل مناسبة ومباحة لنشر أى دين من الأديان ، فقد قام هؤلاء المبشرون فى مناطق شاسعة من افريقيا بحرمان المسلمين من كافة الخدمات التعليمية وذلك بالتواطؤ مع الدول الاستعمارية الغربية وتغافلها عن جرائمهم فى الوقت الذى كانوا يسيطرون فيه على تلك المناطق .

فقد أوصدوا أبواب المعاهد التعليمية أمام كل شخص لا يدين بالنصرانية أو على الأقل ليس لديه الاستعداد لتغيير اسمه الاسلامى واستبداله باسم نصرانى ، وبهذه الكيفية قويت شوكة الأقلية النصرانية وأصبحت هى الطبقة الحاكمة ، وهذه الفئة المنبثقة القوية النفوذ هى التى تولت السلطات السياسية والعسكرية والاقتصادية بعد الاستقلال فى كثير من الدول الافريقية التى تعيش فيها أغلبية ساحقة من المسلمين ، وهذا ظلم صارخ نزل بالمناطق الافريقية التى تقطنها أغلبية من المسلمين ، وفى السودان استأثر المبشرون

النصارى بجنوب السودان بمساعدة الاستعمار البريطاني ، وأصبحت كافة حقوق نشر العلم الحديث امتيازا خاصا بالنصارى دون غيرهم ، وفرضت على المسلمين قيود حتى فى زيارة هذا الاقليم ، لا لأغراض الدعوة ونشر دينهم فيه فحسب بل لأى غرض آخر كائنا ما كان . لست أدرى كيف يمكن اعتبار مثل هذه الاجراءات وسائل عادلة ومعقولة لنشر الدين ! ؟ وهنا فى باكستان فان التصرف المشترك بين كافة المستشفيات والمعاهد التربوية التبشيرية (النصرانية) هو انها تفرض رسوما باهظة على المرضى والطلاب المسلمين ، واذا اعتنق أحد من الفقراء النصرانية فانه يزود بالتسهيلات (الخدمات) الطبية والتربوية بلا مقابل أو برسوم رمزية ! ، وواضح أن هذا ليس تبشيرا دينيا ؛ وانما هو محاولة للمساومة والعبث بالضمير الانسانى والعقيدة مقابل فتات تافهة .

وهناك جانب آخر للمشكلة عظيم الأهمية ، فالمؤسسات التعليمية للمبشرين تخرج طبقة جديدة من الناس ، طبقة لا تتمسك بالنصرانية ولا تظل على دين الاسلام ، وانما تفصل نفسها عن تراثها ولا تطبق أى تراث أخلاقى آخر . والنتيجة هى أن تصبح نموذجا غريبا من الجنس البشرى فى مواقفها الأخلاقية ومعاييرها الثقافية وكذلك فى أخلاقها وتصرفاتها وفى لغتها وعاداتها الاجتماعية ــ وباختصار فى منهج حياتها برمته ، فمن وجهة النظر الدينية الصرفة لا تظل هذه الفئة متمسكة بالاسلام كما لا تنجذب نحو المسيحية وانما تنساق بدلا من ذلك فى أحضان العلمانية والالحاد وانحلال فى الدين والخلق ، فهل بوسع أى رجل عاقل أن يعتبر هذه النشاطات من قبل بعثات التبشير النصرانية خدمة حقيقية للدين من أى وجه من الوجوه ! ؟ وهذه هى الأسباب الحقيقية التى تجعل المسلمين ينظرون نظرة ارتياب شديد تجاه هذه البعثات ، ويشعرون أنها لا تعمل من أجل نشر الدين وانما تحيك مؤامرة ضد الاسلام والمجتمع المسلم ، رجاء أن تولوا هذه الجوانب قدرا مناسبا من التفكير

وأن تبذلوا نفوذكم لاقناع الارساليات التبشيرية بالكف عن هذه الأعمال التخريبية المكشوفة والمستورة .

٢ - اسرائيل : خطر على السلام :

هناك شعور مشترك بين المسلمين تجاه العالم النصرانى وهو أنه يكن عداوة شديدة ضد المسلمين ، ومما يقوِّى هذا الشعور مانلاحظه ونجربه فى كل مكان تقريبا ، وآخر تعبير له : ما حدث بمناسبة الحرب العربية الاسرائيلية فى عام ١٩٦٧م ، فقد فرح الناس فى معظم أقطار أوروبا وأميركا واحتفلوا بانتصار اسرائيل مما ترك جرحا عميقا فى قلوب المسلمين فى العالم بأسره ، وربما لا تجد مسلما واحدا الا ويعتبر موجة الفرح والسرور الطافح التى غمرت أوروبا وأميركا على أثر هزيمة المسلمين العرب مظهرا من مظاهر العداوة والبغضاء المتأصلتين فى أوساط العالم النصرانى ضد المسلمين ، فقد زاد ذلك اساءة على اساءة خاصة ــ اذا نظرنا اليه من زاوية تاريخية ــ فقصة وجود اسرائيل ، بل اقحامها وفرضها علينا ، لم تعد هذه القصة سراً . فقد ظلت فلسطين طوال الألفى عام الماضية موطنا للعرب ، وفى السنوات الأولى من القرن الحالى كانت نسبة اليهود لا تزيد على ٨ بالمائة من مجموع السكان ، وعلى الرغم من هذا قررت الحكومة البريطانية فرض الانتداب فى فلسطين مما أكد هذه السياسة ، ولم تكتف بذلك بل أصدرت اليها تعليمات بجعل الوكالة اليهودية شريكا فى الحكم وذلك لترجمة هذا الاقتراح الى حقيقة واقعة ، وسرعان ما بدأت حملة لحشد اليهود من كافة أرجاء المعمورة ، واستقرَّ هؤلاء المهاجرين فى فلسطين بكل الوسائل الممكنة مما رفع نسبته الى ٣٣ بالمائة من مجموع السكان خلال ثلاثين عاماً ، وكان هذا ظلماً صارخاً كانت نتيجته طرد سكان البلاد الحقيقيين من أوطانهم وفرض أناس غرباء على البلاد وجعلها وطنا مفتعلا لهم ! ؟

ولم تنته الجريمة النكراء عند هذا الحد ، بل ارتكب اعتداء آخر أشد ظلما وأكثر تعسفا ، فأخذت أميركا تمارس ضغطا علنيا على الأمم المتحدة حتى تقرر تحويل هذا الوطن

اليهودى المصطنع الى دولة يهودية!؟ وبناء عليه أعطى السكان اليهود وهم ٣٣ بالمائة من مجموع السكان ، أعطوا ٥٥٪ من مساحة فلسطين بينما أجبر ٦٧٪ من السكان العرب على الانكماش فى حدود ٤٥٪ من مساحة وطنهم الا أن اليهود بما لديهم من العتاد والدعم الذى زودتهم به نفس الدول التى كانت تفرضهم على العرب فرضاً ، لم يقنعوا بما قدم لهم ، فلجأوا الى القوة والرعب والضم التعسفى واستولوا على ٧٧٪ من مجموع مساحة البلاد ، وافتعلوا جواً من السلب والنهب والقتل والارهاب جعلوا فيه الحياة مستحيلة بالنسبة للعرب ، وأخذوا يشردون السكان حتى أجبروا أكثر من مليون عربى على ترك بيوتهم وأوطانهم ! ؟

هذه لعمر الحق هى اسرائيل على حقيقتها وعلى ضوء هذه الحقائق التى لا محل للخلاف عليها هل يستطيع أى رجل منصف أمين أن يقول بأن اسرائيل دولة شرعية قامت بوسائل عادلة طبيعية ؟ فالحق أن وجودها ذاته كان عملا عدوانيا شنيعا ، وعلى الرغم من هذا فلم يرض اليهود بالحدود التى فرضوها بالقوة ، بل على العكس من ذلك ، فهم يعلنون على رؤوس الأشهاد ان وطنهم القومى المزعوم يمتد من النيل الى الفرات ! ؟ وبعبارة أخرى : فان هذا اعلان دائم عن مخططاتهم العدوانية لاحتلال المنطقة بأسرها بالقوة وطرد سكانها الأصليين من بيوتهم وجلب يهود من كافة أنحاء العالم للاستيطان فيها !؟ ولقد كان عدوان يونيو ١٩٦٧ م المفاجىء فى الحقيقة جزءاً من هذا المخطط العدوانى ذاته ضمّت اسرائيل على أثره منطقة مساحتها ٢٦٫٠٠٠ ميلا مربعا ! ؟

وليكن معلوما بعبارات واضحة : أن المسلمين يعتقدون أن العالم النصرانى هو المسؤول عن ايقاع هذا الظلم ، وهو السبب الحقيقى فى هذا الجور والبغى ، فالشعوب النصرانية هى التى أوجدت وطنا مصطنعاً لشعب داخل وطن شعب آخر ؟ والنصارى هم الذين حولوا هذا الوطن الزائف الى دولة

ولم يكتفوا بذلك بل جعلوا المعتدى على درجة من القوة وزودوه بالمال والسلاح حتى ينفذ مخططاته التوسعية عن طريق القوة المجردة!؟

وهذا العالم النصرانى نفسه هو الذى يعرب عن سعادته وفرحه العظيم بانتصار اليهود على المسلمين، فهل تعتقد بعد هذه التجربة المريرة أن أى عربى أو أى مسلم فى أى مكان من العالم يمكن أن يصدق التصريحات الكلامية المخلصة للعالم النصرانى ؟ وهل يمكن بحال أن يفكر فى اعتبار النصارى أنصاراً للعدل والانصاف وتجسيدا للحب والاخلاص ؟ ومن يا ترى يستطيع أن يعتبر النصارى شعوباً بعيدة عن مشاعر الحقد والتعصب الدينى ؟ وكيف يمكن للمسلمين أن يثقوا بهم بصورة من الصور ؟ وهل لى أن أسأل : هل تعتقد أن السلام يمكن أن يقوم فى العالم رغم هذا كله ؟

حقا : ان هذا ليس من واجبنا بل هو من واجبكم أن تجعلوا اخوانكم النصارى يحسون بوخز الضمير وتأنيبه على هذه السابقة الشنيعة ويحاولون تصفية نفوسهم وتطهيرها من الشوائب والدنس .

٤ – السيطرة الدولية على القدس :

وبصدد الحديث عن اسرائيل لا أملك الا أن أبين أن جنابكم قد ارتكبتم غلوا وتجاوزا للحد رغم أننى أعتقد أن ذلك قد تم بحسن نية ، فنيتكم الطيبة فوق مستوى الشك ولكن يبدو أنه قد فاتتكم جوانب معينة للقضية : اننى أشير هنا الى اقتراحكم بوضع القدس القديمة تحت اشراف دولى ، فربما جاء اقتراحكم هذا بقصد حماية المدينة المقدسة وحفظها من ويلات الحرب ، والنزاع والدمار ، ولكن الذى سيحدث يغاير ذلك مغايرة تامة ؟ فان ذلك : سيفتح الباب لارتكاب مظلمة أخرى وبدء مأساة جديدة . فمن الجلى الواضح أن الرقابة الدولية ستتم عن طريق المنظمة الدولية ذاتها التى جاءت بهذه الدويلة المصطنعة الى حيز الوجود (أعنى اسرائيل) والتى تعجز عن ردع أى عدوان ترتكبه اسرائيل أو اصلاح أى خطأ تقترفه حتى هذه اللحظة ؟ وبمجرد أن تنتقل هذه المدينة الى أيدى الأمم المتحدة فانها ستفتح أبوابها على مصراعيها التوطين

اليهود تماماً كما حدث فى ظل الانتداب الذى منحته عصبة الأمم للحكومة البريطانية ، وسوف تبدأ موجة جديدة من الهجرة اليهودية الى المدينة ، وستتوفر للمستوطنين اليهود كافة التسهيلات للحصول على الأراضى والممتلكات وشرائها فى القدس بالوسائل المشروعة وغير المشروعة ؟ وهكذا سيحتل اليهود المدينة بأسرها ويتحكمون فى مصيرها وهم لا يعرفون معنى الاحترام للأماكن المقدسة عند النصارى والمسلمين على السواء ، وهذا ما سيفضى اليه الاقتراح فى الحقيقة؟

أرجو المعذرة على هذا الرد المطول جواباً على رسالتكم ، كما أرجو عدم المؤاخذة للأسلوب الصريح المباشر الذى حاولت به مشاطرتكم أفكارى ، فالواقع أننى اعتقدت أن من واجبى أن أبيّن لكم العقبات الحقيقية التى تعترض سبيل اقامة السلام ، والتى يجدر ازالتها ومعالجتها بصورة ملموسة ، وقد كنت صريحا فى رسالتى وأتوقع ذلك من عطوفتكم ؟

مرة ثانية : أكرر أنه اذا كان هناك أى شىء من جانب العالم الاسلامى يمكن أن يعتبر عائقا فى سبيل السلام ، فأرجو عدم التردد فى بيانه لنا ، وأعدكم أننى سأبذل ما لدىّ من تأثير فى العالم الاسلامى لخدمة هذه القضية ؟ كما أننى على استعداد لأن ألفت أنظار بقية الزعماء فى المجتمع الاسلامى تجاه هذه المشكلة وأن أدعوهم لبذل قصارى ما يستطيعون لازالة العوائق من الطريق المؤدى الى السلام والمحبة ؟

لاهور — ١٧ يناير سنة ١٩٦٨ م

المخلص
أبوالأعلى المودودى

المؤلف :

يعتبر أبو الأعلى المودودى واحداً من أعظم المفكرين المعاصرين فى العالم الاسلامى • ولد فى عام ١٩٠٣ ، وبدأ حياته كعالم وصحفى ، وبعد أن أمضى فترة مضيئة فى ميدان الصحافة شرع فى عام ١٩٣٢م باصدار مجلته العلمية الخاصة « ترجمان القرآن » وهى مجلة شهرية باللغة الأوردية ، تعمل على تحقيق بعث

اسلامى — وفى عام ١٩٣٧ م دعاه الدكتور محمد اقبال للتعاون معه فى مهمة تجديد الفقه الاسلامى وتقنينه ، وتوجيه ومراقبة البحوث فى « دار الاسلام » وهى مؤسسة أنشئت لهذه الغاية .

كذلك اشتغل أبوالأعلى المودودى عميدا لكلية اللاهوت — بالكلية الاسلامية بلاهور قرابة عامين . وفى عام ١٩٤١ م نظم حركة البعث الاسلامى وانتخب رئيسا لها ولا يزال يقودها منذ ذلك الحين ،

والمودودى كاتب مكثر ، فقد ألف أكثر من ستين كتاباً عن الاسلام ترجم كثير منها الى اللغة العربية ، والانجليزية ، والتركية ، والفرنسية ، والبنغالية ، والهندية ، والتامل ، وكثير غيرها من اللغات المحلية الأخرى فى الهند، وباكستان — ويمتاز ، المودودى بأسلوبه العلمى المنطقى . وقد استطاع بما يتمتع به من المام واسع بأمور الاسلام والفكر الحديث : أن يتفرد بصفة مميزة له وهى تقديم الاسلام بطريقة منظمة تماماً تستقطب الطبقة المثقفة بصورة خاصة ، ولا ريب : أنه أكثر كاتب — فى شبه القارة الهندوباكستانية — من حيث كثرة عدد قرائه .

لم أر مثل العرب فاتحين أضرت بهم سماحتهم وعدالتهم مع أبناء الأمم التى فتحت على أيديهم ذلك لان الاسلام دين هؤلاء الفاتحين يأمرهم بالعدل والصفح والتسامى عن البغضاء والحقد .

جوستاف لوبون

بيان مشيخة الأزهر
بشأن فيلم "محمد رسول الله"

أصدر فضيلة الامام الأكبر الدكتور عبد الحليم محمود شيخ الأزهر البيان التالى :

باسمى

وباسم الأزهر

وباسم مجمع البحوث الاسلامية الذى درس هذا الموضوع فى عدة جلسات عقدها لهذا الغرض .

أعلن عدم الموافقة على انتاج فيلم بعنوان « محمد رسول الله » صلى الله عليه وسلم . أو أى فيلم آخر يتناول بالتمثيل ـ على أى وضع كان ـ شخصية الرسول أوشخصية الصحابة رضوان الله عليهم .

ذلك لأن ظهور هذه الشخصيات على الشاشة السينمائية ـ تصريحا أو تلميحا ـ أو بأية صورة من الصور الخفية أو المعلنة ـ ينقص من قيمتها ويحط من منزلتها فى وجدان المسلم .

هذا اذا افترضنا جدلا أن الذى يقوم بتمثيلها على درجة عالية من الخلق الطيب والصلاح والتقوى ، تقارب الشخصية التى هى موضوع التمثيل .

أما أن الأمر ليس كذلك على أى حال من الأحوال ، فان الاساءة الى الشخصيات الاسلامية تصبح بالغة وشديدة الخطورة .

ومن ناحية أخرى فان القصة بما فيها من حوار ومناظر ـ مهما تكن درجة اجادتها أو مطابقتها للحقائق

الاسلامية ــ يدخل فيها دائما شىء من اجتهاد المؤلف ويبقى فيها دائما جوانب خاضعة لاجتهاد الممثل والمخرج ، والمصور ، وغيرهم من سائر الفنيين العاملين فى انتاج الفيلم ، يمكنهم التصرف فيها وفقا لثقافتهم وعقائدهم واتجاهاتهم الخاصة • وهذا مصدر خطر شديد •

كذلك فان الأمر يتصل بمجال عرض الفيلم فى الدور المعدة لذلك • وهى دور معدة أساسا للهو والتسلية والترفيه ــ وذلك بلا شك يترك أثرا على قداسة الشخصيات الاسلامية التى يتعرض لها الفيلم ••

على أنه اذا كان الغرض من تمثيل هذا الفيلم ــ أو غيره مما تظهر فيه الشخصيات الاسلامية ذات المنزلة الخاصة ــ التعريف بالاسلام ، أو بمجد من أمجاده فان فى تاريخنا متسعا لذلك حيث يعنى بالشخصيات والعهود والأحداث والأمجاد التى يمكن تقديمها دون التعرض لشخصية الرسول أو الصحابة أو من يماثلهم من أصحاب القدوة من المسلمين •

من ذلك كله :

يتبين أنه لا يجوز من الناحية الاسلامية السماح بانتاج « فيلم محمد رسول الله » كما لا يجوز السماح بعرضه •

وندعو حكام المسلمين وأولياء أمورهم ••

كما ندعو الأمة الاسلامية كلها ••

الى ايقاف العمل فى هذا الفيلم •

شيخ الأزهر

د • عبد الحليم محمود

الفهرس

طبع بالهيئة العامة لشئون المطابع الأميرية

رئيس مجلس الادارة
محمد حمدى السعيد

رقم الإيداع بدار الكتب ١٦٧ / ١٩٧٧

الهيئة العامة لشئون المطابع الأميرية

٧٢٨٤س-١٩٧٧-١٢٠٠٢

ENGLISH SECTION

2. *Postponing gratification*

Quranic verses stress that rawards of good actions are often deferred : "The reward of one who surrenders his purpose to Allah in doing good is with his Lord" (2:112). This capacity to forego immediate gratification for the sake of ultimate rewards is a sign of moral maturity and an essential element of moral education.

Consideration for others

The central problemin moral behaviour is reconciling self-interest with the demands and needs of the social group. This problem was studied by me in a research carried out on secondary school children in Baghdad. My chief research instrument was an Arabic version of the 'Differential values inventory test' developed by Prince (1957). The responses to the this paper-and-pencil test divided the subjects into two groups : those who shared a "traditional and original" value-system and those who influenced by "modern and emergent" values. Children the first group made individual judgements on the basis of absolute and inflexible moral standards and were strongly committed to virtues like hard work, self-denial, respect for self and others. Those falling in the second group were more responsive to the opinions and beliefs of the social group and less sure of their own judgements. Their behaviour was shaped not so much by the indoctrination of parents and teachers as by the consensus among their peers. Consequently, they were motivated by the group's immediate aproval rather than by remote rewards promised by their elders.

The interesting finding was that as the child developed, he changed from the first to the second type of value-system. Thus older children were more community-oriented and less likely to stand by absolute values and judgements, compared to younger children, Similar findings were reported for us children and they broadly confirm Piaget's conclusions.

Moral education at schools

The above findings have important implications for moral training at school. Moral education in schools follows conventional lines. It depends either on verbal exportation and preaching or on punishments attached to misbehaviour. Very little has been done to use group dynamics as a tool of moral education. Considering that a growing child becomes increasingly committed to communal values and dependent on his peers, this method should not be neglected.

The use of group dynamics in moral edcation is based on the principal that a two-way linkage exists between the individual and his group.

---

related to sexual freedom and honesty while violations of households discipline relating to nutrition were totally ignored. It was also observed that better educated parents relied to a greater extent on reasoning and persuasion and were less inclined to adopt punitive measures.

In the Islamic pattern of child upbringing, a number of principles of basic importance : (1) The child must receive constant proof of parental affection and tenderness. It is related that a man who saw the Prophet kissing his grandson al-Hassan said that he had never kissed any of his ten sons. The Prophet, peace be upon him, replied : "Those who have no compassion receive no compassion" (Abu Huraira).

(2) Persuasive methods shoud be used with children. According to Abu 'Abbas, the Prophet said : "Persuade your children to improve their ways and manners".

(3) A child must never suffer from a sense of injustice. The Prophet declined to act as a witness for No'man Ibn Bashir's father when he want to bequeath his propenty to one child and give nothing to others.

(4) Training should be gradual and consistent with the child's age. "Ask your child to pray if he is seven but punish him if he is ten and neglects his duty" said the Prophet. Similarly, the Quran prescribed different methods of taking permission by children who were below and those who were above the age of puberty, before entering the apartments of their parents.

The effect of example

Studies have shown that in experimental situations 'models' have only a limited influence on child behaviour. However, in real life emotional identification with a respected figure may have profound influence on thoughts and deeds. The importance of choosing the Prophet as a 'model' has been repeatedly mentioned in the Quran.

Experimental and field studies on the relationship between religious values and ethical behaviour have been scanty on account of procedural problems. However, it appears that regular performance of relgious rituals is associated with more ethical behaviour and pacific attitudes.

Some issues of moral education

1. *Conformism.* Is a child's intiative and independence curbed when he is taught to identify himself with a community and its rules ? To what extent should conformism be encouraged ?

Islam seeks a balance between social conformism and personal independence. The Prophet advised detachment from a group engaged in evil and closeness to one engaged in good deeds.

are willing to support you or not". Islam requires an individual to prove his social usefulness by taking up a trade, industry or profession.

Islam also encourages the formation of familial ties and acceptance of the responsibles of parenthood. An individual may feel so inadequate, isolated and rejected in his chilldhood that he may lack the confidence to take up the role of husband and a father.

Difficulties in chosing a vocation or a marriage partner arise for childelren who have been victims of parental hostility, jealousy and resentment. Such points of tension do not exist in a family which adheres to Islamic norms : A child is valued as a trust from Allah and never treated as an unwanted burden. In turn, a parent is accorded highest respect and honour. The two are never in conflict or competition. Sacrifice and selfdenial on the part of parents and gratitude on the part of children creates a harmonious relationship.

Thus, moral behaviour in an Islamic family is the outcome of healthy psychological development and a sound emotional life. It is not developed through a frequent use of the carrot and the stick or mechanically repeated commands and prohibitions.

Methods of Child-Upbringing

Three styles of imparting moral training are most common : (1) commanding or prohibiting specific acts without explaining the reasons behind the directions given ; (2) threatening the child with withdrawal of love if he fails to comply with the wishes of parents ; (3) helping the child to learn about the social and personal consequences of his acts through reasoned arguments. The last approach is found to be far more effective than either the authoritarian approach or threatening the child with loss of love. Its effectiveness lies in the opportunity it gives to child to overcome his self-centered attitudes and develop an empathy for those around him. For example, a child may develop the habit of saying 'thank you' to the teacher sooner if he learns that the teacher appreciates an expression of gratitude. Moral development is essentially a question of growing out of a personal shall and identifying with other people's thoughts and feelings.

I undertook a study of different methods of moral training. Eleven hypothetical situations in child and adolescent behaviour were presented to parents of different educational levels and they were asked to state what they would do in each situation. It was found that parental tolerance decreased with their educational level; girls were treated more strictly than boys and adolescents more strictly than younger children. The situations that aroused greatest anxiety

said the Prophet. Emphasis on acts fosters a sense of independence among individuals. They do not inherit but achieve redemption.

An Islamic upbrining does not restrict the individual but affords him fullest opportunity for self-expression. It imposes no fetters on the child's fancy and inclination. The most instructive example is the way the Prophet, peace be upon him, treated his grandson Hassan. When the Prophet knelt down in the posture of prayer, young Hassan would jump on his back, thinking that it was great fun to ride on his grandfather. The Prophet never ordered the child to come off. He waould stay in the kneeling position, his head touching the ground, until the child decided that he had had his fun. When the prophet's companions asked him why he spent such a long time in the kneeling position, he replied : "My son was riding me and I did not like terminating his pleasure".

Between the age of six and eleven or twelve the child is required to prove his competence as a learner. He is pushed into a school where he graded and judged. If he fails, he feels lost and rejected. But islamic upbringing does not leave the child entirely to the mercy of school teachers. The mother assumes the role of a teacher and gives him the prayer words. A mother is far more patient than a teacher. Children who are taught by their mothers are less likely to develop a sense of inferiority compared to those whose self-esteem depends only on the teacher's approval and satisfaction.

Then comes the stage when the child discovers self-hood, the age between tweleve and eighteen. He is tormented by many questions : who is he and what is his role in soiety ? Is he still a kid or a grown up person ? Can he become a husband, a father and a breadwinner ?

Islamic law lays down when an individual ceases to be a child and becomes a full member of social group, as responsible and competent as anybody else. At the age of fifteen, maturity is formally recognized and declared. The five daily prayers, fasting, poor-tax (zakat) and pilgrimage to Mecca become incumbent. These tokens of acceptance into communal life help in the integration of the individual into society. A Muslim adolescent is not a marginal, unsure, uncommitted and self-doubting creature.

The next two steps are individual's integratoin into the economic fabric and his membership of the biological community.

The Messenger of Allah, peace be upon him, spoke of work as a sacrament. He said : "It is better for you to take a rope and fetch a bundle of feul wood on your back and sell it than to ask people if they

text instead of following them blindly, (3) to make correct choices for their own sake not for the sake of avoiding punishment ; (4) to view punishment as a just recompense and not an arbitrary decree; (5) to adjust behaviour to varying needs and expectations of individual instead of assuming a complete uniformity in the demands of the environment; (6) to, view accidents and misfortunes realistically instead of looking at them as magical retributions.

Psychological research confirms that regardless of cultural differences, moral development broadly follows the parth outline above.

Moral behaviour and Personality development.

Moral behaviour is one aspect of the human personality. If failures and distorions occour in the individual's total growth process, aberrations in moral behaviour can be expected.

Such breakdown can occur at various points in the growth process, starting from early infancy to late adolescence. However, an Islamic upbrining ensures healthy and integrated development of the individual.

The most critical period in the first year of life when the child's world is dominated entirely by his mother. In his relationship with the mother is a frustrating experience, he grows with a resentment against the whole world. At this stage the child's most important need in maternal warmth and tendernous. Breastfeeding satisfies this need.

The Quran gives full importance to breastfeeding. It is laid down ; "And mothers shall such their children for full two years, for those who wish to complete their suckling". The Caliph Omar may Allah be gracious to him, had ordered that every weaned child shall receive a allowance from the state treasury. Mothers, therefore, began to shorten the breast feeding period, Omar decided that every newborn shall be eligle for the allowance for he did not want women hasten weaning.

The child must acquire a sense of security through closeness to mother. But he must not get tied to her apron strings and remain denpendent on her for ever. Islam encouraged individuals to assert their will against parental images, like authoritarian rulers. Caliph Omar admonished one of his governors, Abu Musa al Ash'arai for assuming a atyle of life for above the common man. He was telling Muslims that each one of them is as close to God as the most powerful and in no way inferior to his brethren.

Status in a Muslim community does not depend on who you are but what you do. "No Arab excels a non-Arab except through piety"

ences may delay normal moral development but they cannot end the process. At the same time excessive moralistic pressures cannot hasten the growth process beyond its natural pace.

Piaget bases her theory of moral development on the child's earliest perceptions of order and justice. The child assumes that (1) people in his environment are no different from him, in needs, thoughts or feelings and (2) they give and take as equal patners in an exchange relationship. He thinks of moral behaviour as the set of rules which must be respected by all players. The rules are fixed and inviolable and their infringement creates disorder and conflict. Therefore, when he breaks a rule, he expects punishment because he fears that he has upset his universe.

At this stage of development, which usually lasts from three to eight years, moral behaviour means exact and literal compliance with rules. The intention behind the rules or the possiblity of their being changed or interpreted differently are not facts within the child's consciousness. A wrong is defined merely as act which is followed with punishment for a violation of rules. Thus, accidents may be viewed as retributive acts of God or Nature for breaking sacred social rules. The very young child's world is pervaded by blind and mechanical justice.

At a later stage the child learns that all people around him are not exact images of himself, playing a game as his partners. Each person his own life and makes his own rules. However, they reach an understanding that they must not cause displeasure to each other. Social rules are a product of this understanding and are nothing but mutually agreed pacts to live and let live. These rules are relative and not absolute; then can be modified if necessary and their intention and spirit are of greater importance then strict compliance with outward forms. At this stage parents can help the child to discern the purpose and significance of social rules and perceive the values which they preserve and protect. The transition from the first to the second stage therefore means a change from compulsive autonomous morality. Moralacts cease to be response to external pressure and become reasoned and intelligent choices of the individual.

This is a kind of morality which is based on the inner stability and harmony of the individual and not external commands and threats. Temptations are resisted, errors are freely confessed and their consequences willingly accepted.

Thus, the signs of moral maturity are: (1) the capacity to judge actions by intentions and not in terms of their punitive consequences; (2) to interpret rules in their human con-

internal or external. It is inspired by the individual's desire to achieve a self-chosen pattern of values. The Prophet, peace be upon him said : "Three virtues sustain man's faith ; love of Allah and his Messenger which exceeds all other love, love of man who is loved by none but Allah, hatred of untruth as the stronge as the dread of the Fire".

Routes of moral development

The group of educationists who sume that the child's mind is like a clean state believe that morality is the product of the training given to the child. The training may be given at home, at school, in a mosque or through any other social institution. It is not different from any other training that the child receives through the mechanism of reward and punishment. Approved behaviour is rewarded and becomes habitual through repitition. Disapproved behaviour is punished and gradually eliminated as possibly response to situations. The behaviourist may think that he is working in a normal vacuum but he cannot escape moral questions when he comes to define his educational objectives. In the absence of a value system he cannot decide if one kind of training is better than another.

Moralists who believe in the intrinsic sinfulness of human nature also share with behaviourists the the goal of moulding the individual according to a fixed model. The behaviourist does not identify himself with this model and says that it reflects social demands. The moral disciplinarian feels that he is more than agent of scoiety for he is helping the child to control his baser self. Both these groups, however, make use of the same educational method. They punish unwanted behaviour and reward what they approve.

The third group of 'humanistic' educators, beginning from Rean Jacques Roussaan to moderns like Rogers and Maslow, believe that evil does not reside in human nature but in human society. If a child is left to develop in full freedom, he would grow into a perfect human being. The educational task, therefore, is to remove the pressures which distort and perfect the natural growtn process. Caught in the web of man-made taboos and exhortations, the child becomes a machine and loses his capacity to learn from nature. Nature is a far better teacher than man.

Those ideas has a strong influence on thinking of modern psychologists like Piaget and Kohlberg who explain moral development in terms of the child's interaction with the environment. According to them, morality cannot be implanted by parents and teachers. It is the product of the experience to which the child is exposed. Unwholesome social influ-

C. The child's mind is described as a clean slate (tabula rasa), ready to receive any impress from its environment. An educator cannot, therefore, achieve his goals unless the environment is corrected.

Islam does not fully share the Judaic and the Christian doctrine of original sin. Many texts proclaim the inherent goodness of human nature. It is related by Muslim and Bukhari, on the authority of Abu Huraira, that the Prophet (peace be upon him) said : "Every child is born in (God-given) nature. His parents turn him into a Christian or Magian. Then he recited (the Quranic verse) : The nature of Allah is the nature endowed to man and it shall not be altered". It means that every person is born with an inherent inclination towards Islam but his Parents deflect him away from his path.

Psychoanalysts have drawn our attention to the role that parents play in shaping human behaviour. They speak about a conflict between the child's demand and his reality-system. Parents are a part of this sytem. To retain parental love, the child must make a compromise. Therefore, he incorporates parental demands into his own value-system. Parental wishes become the dictates of his own conscience. At every step, he imitates his father without being concious of the imitative act. Thus, external demands become internal demands. Fear of punishment and parental rejection is replaced by a 'sense of guilt' Sense of shame is social punishment but a sense of guilt is self-punishment. A two year old child may fear the withdrawal of his mother's love if he errs but a five year-old feels that he has turned against himself and lost self-respect.

It follows, therefore, that the child's moral development is largely dependent on the moral behaviour of those whom he loves and respects - his parents and other olders in the family.

The prophet, peace be upon him, intuitively understood this principle. He declared : "Those who deceive are not one of us". A man could always deceive without being detected and escape external punishment. Chould he bear the spiritual isolation and torment repudiatiating what he believed to be the best part of his self ?

An example of self-directed morality, based on internal rather than external standards, is provided by the attitude of early Muslims towards adultery. Under the law adultery carried a harsh punishment if it was proved by four eye-witnesses. Yet many people confessed to the crime and asked for the punishment instead of taking advantage of the fact that their crime had not been discovered or proved.

In its final stage of development, moral behaviour ceases to be dependent on reward and punsihment,

PARENT - CHILD RELATIONS IN ISLAM

By

Dr. Gaber Abdul Hamid Gaber

The child's moral development has arousd the interest of thinkers, both ancient and modern. Greek thinkers - Socrates, Plato and Aristotle expressed an interest in the subjet and also Muslim scholars, such as Farabi and Ghazzali. However ever since the emergence of psychology as a science in 1879 - if that is taken as the correct date - the subject has not received the attention it deserved. Piaget's book on the moral development of the child appeared in 1932 but her ideas did not gain popularity until the sixties.

Using experiment and observation, psychologists tried to deduce laws of moral development, expecting that this knowledge would help in directing it towards desired goals. The emphasis in moral education, as in school education was, however, on cognitive aspects ; on child's knowledge of the demands and expectations of elders. Very little attention was paid to child's own inclination and capacity to meet these demands.

Moral development defined

Moral development is development of conscience' ; the personal structure of social values. It implies two-fold harmony. between personal values and behaviour, on one hand, and between the individual's purposes and social goals, on the other. In other words, the individual must not be in conflict either with himself or with his community.

A further stage in moral development is the individual's capacity to undertake an examination of social norms and values in relation to universal and absolute moral standards. Moral behaviour is obviously not average behaviour. Adherence to moral principles may even imply a deviation from a prevanling statistical average of human actions and responses.

Theories of moral education

Theorists of moral education have made three different assumptions about basic human nature :

A. Influenced by the doctrine of original sin, the educator believes the child is inherently anti-social. Eradication of inborn evil is therefore defined as the prime educational task.

B. The newborn is considered pure and good. Preserving this purity and protecting the child against corruption is the educator's responsibility.

start the Islmic Movement and fight against the rebellious world. It was the Quran that urged him to declare war against every kind of falsehood and engage in conflict with the leaders of disbelief without any consideration of the consequences. Then it attracted good souls from every home and gathered them under the banner of its Leader in order to fight against the upholders of the old order who organised themselves into a gang to oppose them. During this long and bitter struggle between right and wrong, truth and falsehood, which continued for twenty-three years or so, the Quran went on guiding the Movement in every phase and at every stage, until it succeeded in establishing the Islamic Way of life in its perfection.

It is thus obvious that one cannot possibly grasp the truths contained in the Quran by the mere recitation of its words. For this purpose one must take active part in the conflict between belief and unbelief, Islam and un-Islam, truth and falsehood. One can understand it only if takes up its Message, invites the world to accept it and moves on and on in accordance with its Guidance. Thus alone will one experience and understand all that which happened during the revelation of the Quran. One will meet with the same conditions that were experienced at Makkah, Ta-'if and Habash and pass through the same kind of fire that had to be passed through at Badr, Uhd, Hunain, Tabuk etc. One will meet with Abu Jahls and Abu Lahabs and come across hypocrites, the double-faced, the "Jews", in short, every type of people mentioned in the Quran. Incidentally, this is a wonderful experience of its own kind and worth the trial.

While passing through any one of these stages of this experience one will find some verses and some surahs of the Quran, which will themselves tell that they were revealed at such and such a stage and brought such and such instructions for the guidance of the Movement. In this way the Quran will lay bare its spirit even though one might not be able to understand all the lexical meanings of its words and solve all the intricacies of grammar and rhetric. The same formula applies to its Commandments, its moral teachings, its instuctions about economics and culture and its laws regarding different aspects of human life. These things can never be understood unless they are put into practice. It is thus obvious that those individuals and communities who discard it from practical life, cannot understand its meaning and inmbibe its spirit by mere lip-service to it.

should begin its detailed study and take down notes of the different aspects of its teachings. For instance, one should note down what pattern of life it approves and what it disapproves. One should note down the quallities of a good man and those of a bad man, side by side, in order to bring both the patterns clearly before his mind simultaneously. Similarly, one should note down, side by side, those things whih lead to the success and salvation of man and those which lead to his failure and ruin. In the same way, he should put down, under different headings, the teachings and instruction of the Quran about creed, morality, duties, obligations, civilization, culture, economics, politics, law, social system, peace, war, and other human problems. These notes should be consolidated to form a complete sketch of each aspect of the teachings and then fitted together to form a complete system of life.

Then, if one desires to know the Quranic solution of certain human problem he should first make a study of the relevant literature, both ancient and modern, and note down the basic issues. He should also make use of the research so far made into the problem and note down the points at issue. He should then study the Quran, with a view of finding out the answers to those issues. I can say from my own personal experience that when one studies the Quran with a view to making research into any problem, one will find an answer to it even in those verses which one had skipped over without ever imagining that it lay hidden therein.

It is suggested that each paragraph of "THE MEANING OF THE QURAN" may be made the unit of the study. At first it should be studied from the orginal Arabic Text with the help of some literal translation and then with the help of "THEMEANING OF THE QURAN". It is expected that the meanings of the Quran will surely beome clear by the grace of God.

But in spite of all these devices, one cannot grasp the inspiring of the Quran, unless one begins to put its message into practice, for the Quran is neither a book of abstract ideas and theories which may be studied in an easy chair nor is it a book of religious enigmas which may be unravelled in monasteries and universities. It is a book that has been sent down to invite people to start a movement and to lead its followers and direct their activities towards the achievement of its mission. One has, therefore, to go to the battlefield of life to understand its real meaning. That was why a quiet and amiable person like Mohammad (Allah's pace be upon him) had come out of his seclusion and

AN INTRODUCTION TO THE STUDY OF THE QURAN—V

By

Moulana Abul A'ala Maududi

Suggestions for Study

Finally, here are a few suggestions for the study of the Quran :

As different people turn to the Quran with different aims and objects, it is not possible to offer any general advice about the method of its study so as to fulfil the requirements of all. I am, however, interested only in those people who want to understand it and seek guidance from it for the solution of human problems. I will, therefore, offer some suggestions which may help satisfy their needs and remove their difficulties.

The one pre-requisite for understanding the Quran is to study it with an open and detached mind. Whether one believes it to be a revealed book or not, one should, as far as possible, free one's mind of bias in favour of or against it and get rid of all pre-conceived opinions and then approach it with the sole desire of understanding it. Those people who study it with preconceived notions of their own, read only their own ideas between its lines and cannot, therefore, grasp what the Quran wants to convey. It is obvious that this method of study can never be fruitful even with other books but it is utterly fruitless when applied to the study of the Quran.

There is another thing which must be kept in view. If one wants to have merely a cursory acquaintance with the contents of the Quran, then perhaps it might suffice for him to read it once. But, if one wishes to have a deep knowledge of it, one will have to go through it several times and each time from a different point of view. Those, who desire to make a thorough study of the Quran, should read it twice, at least, with the sole purpose of understanding, as a whole, the system of life it presents. One should also try to find out its fundamentals and the way of life it aims to build on them. During this preliminary study, if some questions occur in his mind, the reader should note them down and patiently continue his study, for he is likely to find their answers aomewhere in the Quran itself. If he finds answers to his questions, he should note them down along with the questions. But if does not find an answer to any questions in his first reading, he should patiently make his second reading. I can see it in the light of my own experience that in the second reading hardly any question remains un-answered.

After getting a general insight into the Quran in this way, one

by side in daily prayers. A sense of equality prevails among all in the performance of pilgrimage, not only in appearance but in fact before God and man. Such opportunities are to be reminder of the absolute equality that shall be before the Lord of the Universe and of that piety is the only criterion of merit. Thus, the spirit of equality between man and man is imbueing him with a sense of freedom, individuality and dignity.

Islam seeks for a balanced society in all its characteristics and structures. The economic structure of the society must be balanced as far as its resources and potentialities allow. It is obligatory on the collective body of the Muslims to make active use of each of these sources for the benefit of the whole community. Therefore if an individual or a group of people deliberately concentrate the wealth or the investment of their capital in the hands of a small group and neglect the well-being of the community, the authorities may intervene to direct them for safe-guarding the interests of the society and the state.

Usury is prohibitted, the debtor will return the capital only and none will be injustifed. (The Prophet started with the loans of his uncle Abbas and said) : The usury of Abbas Ibn Abdul Muthalib is forbidden altogether : O people : The devil (Satan) is desperate of being worshipped in this land for ever. But he will be content with your faults. Beware of him and take heed for your religion. O people : You have rights over your wives and they rights over you. You must treat them with loving kindness, you have taken them on the security of God. Everyone will have his share of inheritance.

O people ! Listen to my words and understand. Know that every Muslim is a brother to another Muslim and all Muslims are brothers. Nothing which belongs to another is lawful unto his brother unless freely given out of goodwill. Guard yourselves against all sorts of injustice. If you resort to the Book of Allah and the tradition of His Prophet which I have left among you and keep them well, you will never go astray. Let him who is present, tell it to those who are absent).

Islam aims at creating a strong integrated society of comprehensive unity. It is aware of the social construction which divides and subdivides the people into racial, tribal and national factions. The main signification of Islamic call is the universal generality : It is for this world and for the hereafter. for the individual and for the community, for the nation and for the state. It is the religion of human nature recognizing natural laws in general and regularising the interests of individual and society, healing them from the social ills and prejudices. That is why, Islam is called the healer of social ills.

The social system of Islam healed first the social evils of tribal and racial prejudices which disintegrated the Arabs into quarelling tribes and integrated these tribes and subtribes into a great united nation. The Holy Quran reminds the Arabs of this social miracle of Islam in the following verse :

« واذكروا نعمة الله عليكم اذ كنتم اعداء فالف بين قلوبكم فاصبحتم بنعمته اخوانا وكنتم على شفا حفرة من النار ، فانقذكم منها، كذلك يبين الله لكم آياته لعلكم تهتدون »

(And remember Allah's favour unto you : how you were enemies and He made friendship between your hearts so that you became as brothers by His grace : and how you were upon the brink of an abyss of fire ; and He did save you from it; Thus Allah makes clear His revelations unto you, that haply you may be guided) 3 : 103.

Islam gave the society, several opportunities in everyday life, for the abolition of all class distinction. The rich and the poor, the master and the servant stand side

The following are some of the important features of the Islamic contribution towards the uplift of the women in all walks of life : (1) Woman is encouraged to study and acquire knowledge, (2) She has the right to keep her own property and the husband has no right to interfere except with her permission. (3) She is given the right of claiming divorce in certain cases. (4) She may take part in wars and fighting by helping men and nurse or encourage men to fight against the enemy. (5) She has the freedom to re-marry after divorce. In this connection we must recall the pre-Islamic position of women in marriage and divorce. Divorce was very common among the pre-Islamic Arabs and it was condemned by the Prophet who said :

« أبغض الحلال عند الله الطلاق »

(The thing most disliked by God (of lawful acts) is divorce). (6) The Prophet has praised the man who treats his wife the best. He said (The best of you in the consideration of God, is the man who treats his wife the best). In this way Islam abolished the evil customs of pre-Islamic social system and improved the status of women members of the society.

The last address delivered by the Prophet soon after his farewell pilgrimage suggested the basic laws and rules of Islamic social life :

« أيهـا الناس اسـمعوا قـولى فـانى لا أدرى لعلى لا ألقاكم بعد عامى هذا بهـذا الموقف أبدا ، أن دماءكم وأموالكم عليكم حرام الى أن تلقوا ربكم كحرمة يومكم هذا وكحرمة شهركم هذا ، وأنكم ستلقون ربكم فيسألكم عن أعمالكم .. فمن كانت عنده أمانة فليؤدها الى من ائتمنه عليها ، وان كل ربا موضـوع ولكن لكم رؤوس أموالكم لا تظلمون ولا تظلمون (وبدأ الرسول بأقرب الناس اليه ، عمـه العباس فقال) : وأن ربا العباس بن عبدالمطلب موضوع كله ، أيها الناس ان الشيطان قـد يئس أن يعبد فى أرضكم هذه أبدا ولكنه ان يطع فيما سوى ذلك فقد رضى له مما يحقرون من أعمالكم فأحذروه على دينكم .

أيها الناس ان لكم على نسائكم حقا ولهن عليكم حقا . واستوصوا بالنساء خيرا وأنكم انما أخذتموهن بأمانة الله . ان الله قسم لكل وارث نصيبه فى الميراث ، أيها النـاس اسمعوا قولى وأعقلوه لتعلموا أن كل مسلم أخ للمسلم وأن المسلمين اخوة فلا يحل لامرىء من أخيه الا ما أعطاه عن طيب نفس منه ، فلا تظلموا أنفسكم ، وقد تركت فيكم ما ان اعتصمتم به فلن تضلوا أبدا ، أمراً بيناً ، كتاب الله وسنة نبيه ، فليبلغ الشاهد منكم الغائب » .

(O people. Listen to my words, for I may not be with you after this year in this place. Your lives and property are sacred and inviolable to each other until you may appear before your Lord, sacred as this day and this month are sacred to all. Let it be well understood that you will appear before your Lord Who shall demand from you all an account of all your actions. Anyone who keeps anything from another must return it to him and be faithful to any trust placed in you.

MAJALLATU'L AZHAR

(AL-AZHAR MAGAZINE)

MANAGER : Dr. ABDUL WADOOD SHALABY

Shaʿban 1397	ENGLISH SECTION	AUGUST 1977

THE BASIS OF SOCIAL LIFE IN ISLAM

By

Dr. Mohiaddin Alwaye

The basis on which Muslim society is built up may be traced from the first principle of Islamic faith, that is there is no God but Allah. The faith in the oneness of God teaches the relations of man with God and his relation with his fellow men. It also removes effectively all barriers that divide a brother from a brother and prescribes a social order which makes equality and brotherhood among individuals and groups. In the social order which Islam prescribes the status of man is determined not by his descend, inheritance, wealth, position of social or political power, but by his personal character and behaviour.

Islam meant a social life in which there was no class conflict and discrimination but it retained such of the classes and groups as was needed for harmonious development of the social organism. These classes and groups were the limbs of the same body functioning systematically for the healthy development of the body as a whole.

Among the more important factors which develop a sound society is the organised family life. In Islam men and women are members of the family. One of the striking features of the Islamic social system is the position assigned to women in social life. As the maintainer of the family, man holds greater power and responsibility, though women take a prominant part in it. Islam contributed much towards a healthy and sound family by improving the position of women in various ways.

مدير التحرير والإدارة
الدكتور
عبد الودود شلبى

مجلة الأزهر

مجلة شهرية جامعة
تصدر عن مجمع البحوث الإسلامية بالأزهر
فى أول كل شهر عربى

العنوان
إدارة الأزهر
بالقاهرة
ت { ٩٠٥٩١٤
٩٠٥٥٠٦

الجزء السابع — السنة التاسعة والأربعون — غرة رمضان سنة ١٣٩٧هـ — أغسطس سنة ١٩٧٧م

بسم الله الرحمن الرحيم

الهداية فى صورتها الأسمى

للدكتور عبد الحليم محمود
شيخ الأزهر

بسم الله الرحمن الرحيم الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على أشرف المرسلين سيدنا محمد وعلى آله وصحبه ومن اتبع هديه الى يوم الدين وبعد :

فانه كلما أهل شهر رمضان وجهنا فى قوة الى القرب من القرآن الكريم : تلاوة وتدبرا والقرآن الكريم هو كتاب الهداية فى صورتها الأسمى ، وذلك أنه بلغ بالانسانية الذروة فى جميع مجالات الكمال .

ومجالات الكمال بالنسبة للانسانية تتكون من العقيدة والأخلاق والتشريع .

وأسمى صور العقيدة — ونعنى بذلك العقيدة الحقة — يتركز فى التوحيد . ولقد استفاض القرآن استفاضة كبيرة فى شرح التوحيد : أسسا وأهدافا وصورا ونماذج .

وقمة الموحدين هو من « يشهد » أن لا اله الا الله فاذا « شهد »

أن لا اله الا الله فقد أصبح التوحيد له حالا لا عقيدة فحسب . والقرآن الكريم يقود من يتلوه ويتدبره الى أن يشهد الله فى كل شىء : يشهده خالقا ومدبرا ومهيمنا بيده مقاليد الأمور كلها واليه المصير .

قل اللهم مالك الملك .

والملك هنا هو الكون وكل أمر من أمور الكون : فالحياة من ملك الله والجاه والسلطان والقوة والثروة ونبضات القلب وطرفة العين . . . كل ذلك من الملك .

تؤتى الملك من تشاء ، وتنزع الملك ممن تشاء وتعز من تشاء ، وتذل من تشاء ، بيدك الخير ، انك على كل شىء قدير .

ووجود الانسان الموحد هو الهدف الذى توجه اليه تعاليم الاسلام .

انها توجه اليه ابتداء من تسمية الدين نفسها « الاسلام » فكلمة الاسلام معناها أن تسترسل مع الله على ما يجب ، أن تستسلم له فى كل ما تأتى وما تدع ، أن تسلم قلبك وجوارحك اليه سبحانه أن تحقق « اياك نعبد واياك نستعين » أن تسجد له ، أن تحقق القرب فى السجود . يقول تعالى :

« واسجد واقترب » .

ويقول سبحانه آمرا :

وكن من الساجدين .

والسجود استجابة الكيان الانسانى كله له سبحانه استجابة له سيدا لا سيد غيره ، قائدا لا قائد غيره ، مهيمنا لا مهيمن غيره ، هو وحده الآمر الناهى ، واليه وحده ترجع الأمور ، العزة به ، والتوكل عليه ، والتقوى له ، والاعتصام به ، والاستعاذة به ، ولا حول ولا قوة الا به .

أن يصبح التوحيد حالا : ذلك هو هدف التعاليم الاسلامية .

فاذا ما أصبح التوحيد حالا فقد برىء الانسان من العبودية لغير الله تعالى وأصبح الانسان حرا الحرية الصادقة : حرا من هم الرزق ، حرا من عبودية الخوف ، حرا من كل ما يقلق الانسانية ، ويضطرب له القلب ، حرا من العبودية للطغاه والجبابرة ، حرا لا يقيده الا أوامر

الله تعالى ونواهيه : هـذه الأوامر والنواهى التى تقـود الى الكمال لأنها تقود الى القرب من الله تعالى، والقـرب منـه سبحانه قـرب من الكمال ، وبنسبة القرب منه سبحانه وتعـالى يكون قـرب الانسان من الكمال .

وكلما قرب الانسان من الله تعالى كان أنفع للمجتمع لأنه كلما قـرب من الله تعالى كان منفذا لقوانين الله تعالى وان من قوانين الله تعالى هذه الطائفة الخاصة بالمجتمع ونذكر على سبيل المثـال قوانين سـعة الرزق بالنسبة للمجتمع يقول تعالى :

« ولو أن أهل القـرى آمنـوا واتقوا لفتحنا عليهم بركات من السماء والأرض » وما من شـك فى أن الايمـان والتقـوى يتضـمنان : الاخلاص والجد والعمل والتعاون وتحقيق العدل ، واذا ما حدث ذلك نزلت عليهم الخيرات من السـماء وانبثقت لهـم الأرزاق من الأرض وانتشرت البركة فى كل مكان .

ويقول الله تعالى :

استغفروا ربكم انه كان غفارا : يرسل السـماء عليـكم مدرارا ويمددكم بأموال وبنين ويجعل لكم جنات ويجعل لكم أنهارا .

والاستغفار هنا يتحقق بأمرين :

١ ــ الاكثار منه .

٢ ــ والاخلاص فيه .

وهو بذلك مؤد بأهل القرىٰ الى ما يحبه الله تعالى منهم من الايمان والتقـوى فيفتح سـبحانه عليهم البركات من السماء والأرض .

ومن هذه القـوانين قانونان من أهم القوانين بالنسبة للمجتمع هما قانون النصر وقانون اسـتمرار النصر .

أما قانون النصر فهو ما عبر الله تعالى عنه بقوله :

وعـد الله الذين آمنـوا منكم وعملوا الصالحات ليستخلفنهـم فى الأرض كمـا استخلف الذين من قبلهم وليمكنن لهـم دينهم الذى ارتضى لهم وليبـدلنهم من بعـد خوفهم أمنا يعبدوننى لا يشركون بى شيئا .

أما قانون استمرار النصر فهو ما عبر سبحانه عنه بقوله :

«الذين ان مكناهم فى الأرض» •

كما مكننا سبحانه مثلا على أرض سيناء بعد هذا النصر المبين •
« أقاموا الصلاة وآتوا الزكاة وأمروا بالمعروف ونهوا عن المنكر ، ولله عاقبة الأمور » •

والآيتان واضحتان كل الوضوح والأمم الاسلامية فى مرحلتها الراهنة فى أشد الحاجة من أجل كرامتها ومن أجل وطنها أن تعمل جاهدة على تحقيق توجيهات الله تعالى فى هذين القانونين : بعضها يعمل جاهدا لتحقيق قانون النصر ووعد الله لا يتخلف ، ثم تعمل جاهدة لتحقيق قانون ضمان النصر • والبعض الآخر ، بعد أن نصره الله فى معركة الاستعمار يعمل جاهدا فى تحقيق قانون ضمان النصر ومن لجأ الى الله فهو آمن ، ومن استعاذ بالله محققا شروط الاستعاذة أعاذه الله تعالى ومن يتوكل على الله فهو حسبه •

وكما تضمن القرآن الكريم كل ما يحتاج اليه المجتمع فى يسره لاستمراره ، وفى عسره للخروج منه : فانه تضمن من القوانين ما يحتاج اليه الفرد من أجل سعادته وقانون السعادة فى القرآن الكريم يعبر الله تعالى عنه بقوله : من عمل صالحا من ذكر أو أنثى وهو مؤمن فلنحيينه حياة طيبة ولنجزينهم أجرهم بأحسن ما كانوا يعملون •

وهذه القوانين سواء منها ما كان متعلقا بالمجتمع وما كان متعلقا بالفرد كلها تعود فى أساسها الأصيل الى تحقيق التوحيد فاذا ما وجد الانسان الموحد سعد فى دنياه وفى آخرته واذا ما وجد المجتمع الموحد سعد فى دنياه وفى آخرته •

وللموضوع بقية •

الدكتور عبد الحليم محمود
شيخ الأزهر

«يا أيها الذين آمنوا كتب عليكم الصيام كماكتب على الذين من قبلكم لعلكم تتقون » •

صدق الله العظيم

نظرات فى كتاب الله

للأستاذ العلامة أبو الحسن الندوى

تشريع الصوم وأسراره كما ذكرها القرآن

« يا أيها الذين آمنوا كتب عليكم الصيام كما كتب على الذين من قبلكم لعلكم تتقون، أياما معدودات، فمن كان منكم مريضا أو على سفر فعدة من أيام أخر ، وعلى الذين يطيقونه فدية طعام مسكين ، فمن تطوع خيرا فهو خير له ، وأن تصوموا خير لكم ان كنتم تعلمون، شهر رمضان الذى أنزل فيه القرآن. هدى للناس وبينات من الهدى والفرقان ، فمن شهد منكم الشهر فليصمه ، ومن كان مريضا أو على سفر فعدة من أيام أخر ، يريد الله بكم اليسر ولا يريد بكم العسر ، ولتكملوا العدة ولتكبروا الله على ما هداكم ولعلكم تشكرون » (١) .

هى آيات من سورة البقرة تدور حول فريضة الصيام ، هذه هى الآيات الأولى التى عرف المسلمون بها وجوب الصيام فى رمضان ، والصوم شاق على النفس ، لأنه حرمان من الطعام والشراب والشهوات فى مدة محدودة ، فما كان أجدرهم بأن يستثقلوا هذا التشريع وأن يستثقلوا هذه الآيات التى تنزل به .

ان كل من يأتى بمسئولية ومتاعب، وكل من يحول بين المرء وبين شهواته بغيض ثقيل ، ولكنه ليس كذلك ، فلماذا ؟ .

ليست هذه الآيات التى تضمنت وجوب الصوم ــ تشريعا جافا مجردا كالقوانين والمراسيم العادية التى لا تعتمد الا على الرابطة السياسية أو الاجتماعية التى تقوم بين الفرد

(١) سورة البقرة / ١٨٣ ــ ١٨٥

والحكومة ان هذه الآيات — بالعكس من ذلك — تخاطب الايمان والعقيدة والعقل والضمير ، والقلب والعاطفة فى وقت واحد تثير كل ذلك وتغذى كل ذلك وهكذا تهيىء الجو لقبول هذا التشريع واساغته بل للترحيب به واستقباله بنشاط وحماس ، انها آية فى الاعجاز ، آية فى فقه الدعوة ، آية فى علم النفس ، آية فى التشريع الحكيم ، تنزيل من حكيم حميد .

خاطب الله المكلفين بهذا التشريع بقوله : « يأيها الذين آمنوا » ، وهكذا هيأ المخاطبين لقبول كل ما يكلفون به ويطلب منهم ، مهما كان شاقا وعسيرا ، لأن صفة الايمان هى تقتضى ذلك وتوجبه ، فمن آمن بالله كاله ورب وسيد مطاع وصاحب الأمر والنهى ، وخضع له بقلبه وقالبه ، واستسلم له وأحبه من أعماق نفسه كان جديرا باجابة كل ما يصدر عنه من أمر ، وكل ما يوجه اليه من سؤال « انما كان قول المؤمنين اذا دعوا الى الله ورسوله ليحكم بينهم أن يقولوا سمعنا وأطعنا » ، « وما كان لمؤمن ولا مؤمنة اذا قضى الله ورسوله أمرا أن يكون لهم الخيرة » ، « يا أيها الذين آمنوا استجيبوا لله وللرسول اذا دعاكم لما يحييكم » ، والشريعة كلها — بما فيها من فرائض وعبادات وأحكام — حياة للنفوس .

ثم ذكر الله أنه كتب عليهم الصيام ولكنه لم يكتبه عليهم لأول مرة فى تاريخ الأديان وليس هو بدعا فى التشريع ، فقد كتبه على من سبقهم من أهل الكتاب وأهل الشرائع والأديان وهكذا يخفف الله وطأة هذا التشريع على النفوس ويهون خطبه عليها ، فالانسان اذا عرف أنه لم يكلف بشىء جديد وانما هو شىء سبق وتقدم ، وقامت به الطوائف والأمم ، هان عليه الأمر وتشجع عليه ثم ذكر أنه ليس امتحانا فقط ، ولا مشقة ليس وراءها قصد ، انه رياضة وتربية واصلاح وتزكية ، ومدرسة خلقية ، يتخرج فيها الانسان فاضلا كاملا ، زمامه بيده يملك نفسه وشهواته ، ولا تملكه لقد استطاع الاضراب عن المباحات والطيبات ، فقوى على ترك الممنوعات والمحرمات ، ومن يترك الماء الزلال والحلال ، والطعام الزكى الهنىء لأمر ربه كيف يقرب السحت الحرام

والرجس النجس من المطاعم والمشارب والمعائش؟ لذلك قال : لعلكم تتقون .

ثم قال لا تهولنكم عدة الشهر ولا تثقلن عليكم ، فانما هى : أياما معدودات تصام تباعا وتنقضى سراعا ، ومانسبة هذا الشهر ـ الذى لايصام الا نهاره ـ الى العام الكامل الذى ينقضى فى لذة مباحة ومتعـة وراحة ، ثم انه يستثنى من هـذا التكليف مريض ومسافر ومن يعجز عن الصـوم أو يخاف عليه منه .

ثم ذكر فضل الشهر الـذى شرع صومه ، انه شهر نزل فيه القرآن الذى كان بعثا جديدا للجيل الانسانى ومبدأ حياة جديدة للنوع البشرى ، فخليق بالمسلم أن يستمد من هـذا الشهر المبارك وبصيامه وقيامه حياة جديدة وايمانا جديدا ، وقوة جديدة .

هذا هو الصوم الاسلامى ، أو الشحن الروحانى الـذى هو زاخر بالحياة والمنافع والبركات بعيد عن الارهـاق والاجهاد والمشقات التى لا تطيقها النفوس : يريـد الله بكم اليسر ولا يريد بكم العسر ولتكملوا العـدة ولتكبروا الله على ما هداكم ولعلكم تشكرون .

تشريع الحج وبعض حكمه وأحكامه فى ظلال القـرآن

« الحج أشهر معلومات ، فمن فرض فيهـن الحـج فلا رفث ولا فسوق ولا جدال فى الحج ، ومـا تفعلوا من خير يعلمه الله ، وتزودوا فان خير الزاد التقوى ، واتقـون يا أولى الألباب [1] » .

ان لله مواسـم فى زمنـه وفى خلقه ، هى فصول يحل فيه ربيـع القلوب والأرواح ، وربيع الايمان والأخلاق وتهب فيها نسائم الرحمة ونفحات المحبة ، لطيفة نظيفـة ، رقيقة رفيعة ، قوية حية ، منعشـة محببة ، .

ومن أفضل هذه المواسم الربانية الروحانية والأعياد المعنوية الايمانية رمضان شهر الصوم ، وأشهر الحج وخاصة ذو الحجة ، وقد ذكر الله

---

(١) سورة البقرة / ١٩٧

فى كتابه بعضها اثر بعض وأشاد بذكرها ونوه بشأنها ، وقد جمعت بينها جامعة ، هى جامعة الطاعة ، وجامعة المحبة ، وجامعة فضل الزمان ، أو فضل المكان ، فلاصوم اذا لم تكن طاعة ولا صوم اذا لم تكن محبة وايثار رضا الله على رضا النفس ، ولا حج اذا لم تكن طاعة وانقياد ، ولم تكن محبة وايثار يهجر الانسان طعامه وشرابه ، وشهواته ليصوم ويرضى ربه ، ويعصى نفسه ، ويهجر الانسان وطنه وسكنه وأهله وراحته ، ليحج ويرضى ربه ويعصى نفسه، والصوم فى رمضان أفضل الأزمان ، والحج فى مكة وحواليها فى أفضل مكان ، وفى أفضل أزمان ، فاقترن الصوم بالحج، وشابه الحج بالصوم ففى كليهما زهد وصبر وايثار وهجرة، والصائم يسعى بين الامساك والفطور ويطوف حول بيت ربه والحاج يسعى بين الصفا والمروة وبين منى وعرفات ويطوف حول بيت ربه ، ولكل عيد ولكل فدية ولكل تهنئة •

وقد منع الله فى الصوم عن الغيبة وقول الزور والخصام بصفة خاصة ، وقبح أمرها فقال النبى — صلى الله عليه وسلم — : ؟ ومن لم يدع قول الزور والعمل به فليس لله حاجة فى أن يدع طعامه وشرابه، وقال النبى — صلى الله عليه وسلم — اذا كان يوم صوم أحدكم فلا يرفث ولا يصخب فان سابه أحد فليقل انى صائم •

وقال عليه الصلاة والصلام : « رب صائم ليس له من صيامه الا الجوع » ، وقد نهى الله فى الحج عن الرفث والفسوق والجدال ، فقال عز من قائل: « الحج أشهر معلومات فمن فرض فيهن الحج فلا رفث ولا فسوق ولا جدال فى الحج » •

وقد ظهر فى هذه الايات وفى هذه التوجيهات اعجاز التنزيل واعجاز التشريع بأن الصوم لثقله على النفس وبعد الصائم عن مألوفاته وهجره لعاداته مظنة لغيبة يشفى بها الانسان نفسه أو يقتل بها وقته والخوض فى خصام أو لجاج لحدة النفس والغضب لأدنى سبب فنهى عن ذلك ، وكذلك الحاج معرض لخطر الرفث وهو الفحشاء وقلة الحياء والفسوق والجدال لبعده عن الأهل ، وطول

السفر وحصول المشقة والمرور بأحوال مختلفة ، والاختلاط بأناس ورفاق ، لم يألفهم ولم يألفوه ، فالحج مظنة لكل ذلك فحذر الله الحاج فى سبيله القاصد لبيته عن كل ذلك ، ولا يعلم ذلك الا من أحاط علمه بكل شىء وعرف طبيعة الانسان ومواضع ضعفه وسقطته ألا يعلم من خلق وهو اللطيف الخبير .

وقد شمل الصوم والحج ، أنواعا من الطاعات ، وضروبا وأساليب من البر والعبادات ليست معروضة ولا داخلة فى صميم الصوم والحج ، كالانفاق والمواساة ، والرحمة والخدمة ، والبر والصدقة والقيام واحياء الليالى ، والتسبيح والتلاوة، تقوى الصوم والحج وتكثر ثوابهما وفضلهما ، فقال العليم الحكيم : « وما تفعلوا من خير يعلمه الله » .

وحث على التزود للقيام بالحج فى عفة ونزاهة ، والتزود للآخرة بالاكثار من الخيرات ، وأنواع العبادات وقال عز وجل : « وتزودوا فان خير الزاد التقوى ، واتقون يا أولى الألباب » ، وقد أمر الصائم بالتزود لصومه كذلك وهو التسحر الذى يقوى على الصوم ويعين عليه ، والحاج يأخذ الزاد والراحلة ، وهنا اقترن الصوم بالحج كذلك ، فكلاهما يجرى فى رهان واحد .

محنة عظيمة ، وتوبة كريمة

« لقد تاب الله على النبى والمهاجرين والأنصار الذين اتبعوه فى ساعة العسرة من بعد ما كاد يزيغ قلوب فريق منهم ، ثم تاب عليهم ، انه بهم رءوف رحيم ، وعلى الثلاثة الذين خلفوا ، حتى اذا ضاقت عليهم الأرض بما رحبت وضاقت عليهم أنفسهم وظنوا أن لا ملجأ من الله الا اليه ، ثم تاب عليهم ليتوبوا ، ان الله هو التواب الرحيم » (١) .

كانت غزوة تبوك التى غزاها رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ فى سنة تسع من الهجرة غزوة شديدة غزاها رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ كما يقول كعب ابن مالك ـ رضى الله عنه ـ :

---

(١) بسورة التوبة / ١١٧ ـ ١١٨

« فى حر شديد واستقبل سفرا بعيدا ومفازا وعدوا كثيرا قويا » يعنى المملكة الرومية العظيمة التى كانت تحكم نصف الأرض المعمورة تقريبا ، وكان ذلك فى عسرة من الناس وجدب فى البلاد ولذلك سميت غزوة العسرة وقد طاب الثمار والظلال فى المدينة وقويت الرغبة فى البقاء فى الوطن والأهل ، وانصرفت الطباع وزهدت النفوس فى الخروج والغزو ، وقد اجتمعت الأسباب المثبطة العائقة وحلا البقاء فى المدينة وشق الخروج والمجازفة بالحياة أمام عدو قد دمر الامبراطورية الفارسية وهزمها هزيمة منكرة بالأمس القريب .

ولكن كان من معجزات التربية النبوية ومن معجزات الايمان والعقيدة أن لم يتخلف عن هذه الغزوة الشاقة العسيرة الا ثلاثة أشخاص من المؤمنين ، والمسلمون مع رسول الله — صلى الله عليه وسلم — كثير لا يجمعهم كتاب حافظ ولا ديوان ، فما رجل يريد أن يتغيب الا ظن أنه سيخفى له ما لم ينزل فيه وحى الله ، فليس عليهم رقيب الا الايمان وليس لهم حسيب الا ضميرهم وعقيدتهم ولم يتخلف هؤلاء الثلاثة الا بطبيعة التسويف أو الكسل الذى قد يعترى الرجل النشيط ، وقد كان فيما لقوا من تأنيب الضمير ولائمة النفس والشعور بالعزلة والتخلف عن الرفاق وعن الانسان الذى آثروه على نفوسهم وأولادهم ومهجهم وأرواحهم ، لقد كان فى كل ذلك عقاب شديد وعذاب أليم .

وقد ذكر ذلك أحد الثلاثة وهو كعب بن مالك فى بلاغته العربية وبيانه المشرق فقال : « فكنت اذا خرجت فى الناس بعد خروج رسول الله — صلى الله عليه وسلم — فطفت فيهم أحزننى أنى لا أرى الا رجلا مغموصا عليه النفاق أو رجلا ممن عذر الله من الضعفاء » .

ولما رجع رسول الله — صلى الله عليه وسلم — سألهم عن سبب التخلف فصدقوا واعترفوا وكان لابد من تأديب وكان لابد من درس ، وكان لابد من امتحان الاخلاص والولاء والحب والوفاء وكان ذلك .

فقد نهى رسول الله ــ صلى الله عليه وسلم ــ المسلمين عن كلامهم من بين من تخلف عنهم .

فماذا كان بعد ذلك ؟ ظهرت معجزة مثبتة للايمان والتربية وسلطان العقيدة ، كانوا أبناء المدينة عاشوا فيها ولهم فيها اخوة وأقارب ، وأهل وولد ، وأصدقاء وأحباب ، ولكن خضع المجتمع كله لكلمة تصدر من شفة رسول الله ــ صلى الله عليه وسلم ــ فلا عاصى ، ولا ثائر ، وندع القول لكعب بن مالك الراوى الأديب البليغ « فاجتنبنا الناس وتغيروا لنا حتى تنكرت فى نفسى الأرض فما هى التى أعرف » حتى تعمد الى ابن عم له وأحب الناس اليه فسلم عليه فلا يرد السلام فنشده بالله هل تعلمنى أحب الله ورسوله ، فيجيب بعد ما نشده ثلاث مرات : الله ورسوله أعلم فتفيض عينا كعب بن مالك .

ويأمره رسول الله ــ صلى الله عليه وسلم ــ بأن يعتزل امرأته ، فيفعل ويلحقها بأهلها ويخطب وده ملك غسان الكبير ويدعوه ليواسيه ويكرمه وكان من أشد محنة امتحن بها محب ، يجفوه الحبيب القريب ، وينبذه المجتمع وتقصيه البيئة وفى هذه الضائقة والجفوة يطلبه ملك كتبا مع أخبار بره ورفده وعطاياه الواسعة فيرفض ذلك فى اباء وكراهة وحقارة ، انها معجزة ثالثة للايمان والتربية وسلطان العقيدة .

ولما تم كل ذلك وبلغ الضيق غايته والمحنة أشدها ولا أبلغ من قول الله تعالى : « حتى اذا ضاقت عليهم الأرض بما رحبت .. الخ » تاب الله على هؤلاء المخلفين المؤمنين الصادقين الذين ظهرت قوة ايمانهم فى هذه المحنة أشد مما تظهر فى معركة حربية أو غزوة عملية ، وثبتوا فى هذا الجفاء والاقصاء أشد مما يثبت البطل على حر السيوف والأسنة .

تاب الله عليهم توبة كريمة شرف فيها قدرهم وغسل عنهم عارهم وخلد ذكرهم وبيض وجوههم وبدأ بالنبى والمهاجرين والأنصار الذين اتبعوه فى ساعة العسرة وهكذا ألحقهم بأصحابهم الذين سبقوهم ووضعوهم فى هذا المكان المشرف الكريم ، وما بدأ بذكر النبى ــ صلى الله

عليه وسلم — الذى غفر الله له ما تقدم من ذنبه وما تأخر ، ولا يذكر الذين ساهموا فى هذه الغزوة الا لاعادة الثقة الى نفوس هؤلاء الثلاثة ورد اعتبارهم ومكانتهم فى المجتمع ولازالة ما يسميه علماء النفس اليوم « بمركب النقص » وهى مصلحة عظيمة من مصالح التوبة ، ولذلك جاء فى الحديث الشريف « التائب من الذنب كمن لا ذنب له » و « أن التائب يصبح كيوم ولدته أمه » ، وليست هنالك طريق أو أسلوب أقوى وأعمق تأثيرا من الأسلوب الذى اختاره القرآن ، وهو أنه قدم ذكر السابقين الراسخين الذين سبقت لهم الحسنى ولم يسقطوا هذه السقطة ، يشرفهم ويتقدم عليهم رسول الله — صلى الله عليه وسلم — وبدأه بقوله : « لقد تاب الله على النبى والمهاجرين .. الخ » ليعرف الناس أن التوبة مكرمة وفضيلة يحتاج اليها الأنبياء والمرسلون ، والسابقون الأولون ، والمؤمنون الراسخون ، والمجاهدون المغامرون ، لئلا يشعر هؤلاء الثلاثة أنهم منحطون فى القدر ، نازلون فى الشرف ، ولئلا يلصق بهم هذا العار ، ولئلا يشعر المجتمع الاسلامى أنهم غرباء متميزون والشامة فى الناس يشار اليهم بالبنان ، فقال :

« لقد تاب الله على النبى والمهاجرين والأنصار الذين اتبعوه فى ساعة العسرة من بعد ما كاد يزيغ قلوب فريق منهم ، ثم تاب عليهم انه بهم رؤوف رحيم ، وعلى الثلاثة الذين خلفوا ، حتى اذا ضاقت عليهم الأرض بما رحبت وضاقت عليهم أنفسهم ، وظنوا أن لا ملجأ من الله الا اليه ، ثم تاب عليهم ليتوبوا ، ان الله هو التواب الرحيم » .

نموذج رائع من الايمان النبوى والحنان الأبوى

« واذ قال ابراهيم رب اجعل هذا البلد آمنا واجنبنى وبنى أن نعبد الأصنام ، رب انهن أضللن كثيرا من الناس ، فمن تبعنى فانه منى ومن عصانى فانك غفور رحيم ، ربنا انى أسكنت من ذريتى بواد غير ذى ذرع عند بيتك المحرم ، ربنا ليقيموا الصلاة ، فاجعل أفئدة من الناس

تهوى اليهم وارزقهم من الثمرات لعلهم يشكرون ، ربنا انك تعلم ما نخفى وما نعلن ، وما يخفى على الله من شىء فى الأرض ولا فى السماء ، الحمد لله الذى وهب لى على الكبر اسماعيل واسحاق ، ان ربى لسميع الدعاء ، رب اجعلنى مقيم الصلاة ومن ذريتى ، ربنا وتقبل دعاء ، ربنا اغفر لى ولوالدى وللمؤمنين يوم يقوم الحساب » (١).

ان دعاء والد لولده ، أوجد ومؤسس أسرة وسيد عشيرة لذريته وفصيلته شىء طبعى جرت به العادة واقتضته الطبيعة البشرية ، فان حنان الأبوة ، والحرص على سعادة الأولاد من غريزة الآباء والأجداد وشيوخ القبائل ، وقد سجل التاريخ ودواوين الأدب العربى بصفة خاصة أدعية ووصايا كثيرة من الآباء للأبناء ومن الشيوخ المحنكين للنشء الجديد والأجيال القادمة تجلت فيها نفسية الشيوخ وثقافتهم ونفسية ذلك العصر الذى عاشوا فيه وثقافته كذلك ، وهى مرآة صادقة وحكاية أمينة مصورة لما كان يعيش فى ذلك العصر من الخواطر والأفكار ، ولما كان فى تلك البيئة من المثل العليا والغايات المطلوبة .

ولكن دعاء ابراهيم الخليل أسلوب من الدعاء لا نظير له فى التاريخ ولا مثيل له فى دواوين الأدب ، كما أن ابراهيم طراز خاص من البشر وأمة وحده ، والدعاء قطعة من النفس وصورة للنفسية والعقيدة ، انه دعاء تجلى فيه ايمان ابراهيم ، وحنان ابراهيم ، وعلم ابراهيم ، ودعوة ابراهيم ، فمن أراد أن يعرف مكانة ابراهيم ويتمثل نفسيته فلينظر الى هذا الدعاء الذى صدر من أعماق النفس ومن أعماق القلب ، فدل على النفس ودل على القلب ، وكان ابراهيم دائما يتكلم عن عقيدة ويعبر عن القلب ، ذلك القلب السليم الذى خصه الله به فكيف فى هذا الدعاء الذى كان يناجى به ربه .

ان أول ما طلبه ابراهيم من ربه لأولاده وذريته هو ان يجنبهم واياه عبادة الأصنام وكان ذلك أكبرهم

(١) سورة ابراهيم / ٣٥ ـ ٤١

ابراهيم الذى شغل خاطره ، واستولى على مشاعره ، فقد رأى — وهو بعيد النظر ، واسع التجربة ، نافذ البصيرة ، سائح فى الأرض — مصير الأجيال البشرية والأديان السماوية كيف أصبحت فريسة الوثنية ، وعبادة الأصنام ، وكيف ضاعت أمانة التوحيد فى غابة العقائد والفلسفات وكيف شغل الانسان بعبادة الأصنام والتماثيل والتوجه اليها والتوسل بها عن عبادة الله وحده فلم يوفق لها ولم يكرم بها فى أجيال كثيرة وآجال طويلة ، وكانت النتيجة أن اتجهت عاطفة العبادة وغريزة الدعاء والالتجاء والتضرع الى المخلوقات والمحسوسات ، فهل يناقش ابراهيم — عليه الصلاة والسلام — فى ضوء التجارب وواقع الحياة فى قوله : « رب انهن أضللن كثيرا من الناس » ؟ ، وهل يشك فى صدقه وفراسته ؟ .

ثم انه يخبر بأنه أسكن ذريته بواد غير ذى زرع بجوار البيت المحرم بعيدا عن مراكز المدنية والخصوبة والتجارة ومن العواصم الكبيرة ، على خلاف عادة الآباء ومؤسسى العشائر والقبائل وآثر بطن الجزيرة وبطحاء مكة ليعلموا أن المطلوب منهم غير التجارة وغير الزراعة وغير الثراء والرخاء المطلوب منهم القيام بدعوة ابراهيم والمحافظة على عقيدة ابراهيم ، ولئلا يذهلوا عن عبادة رب هذا البيت الذى بناه وشيده ، الذى أطعمهم من جوع وآمنهم من خوف « ربنا ليقيموا الصلاة » .

وهنالك ثار الحنان الأبوى فى جوار الايمان النبوى ، وابراهيم الخليل مثال رائع بين ايمان الأنبياء وحنان الآباء ، فلم ينس الشفاعة لأولاده الذين هم قطعة من نفسه وجسمه ، فلاحظ — وهو قوى الملاحظة — أن الوادى الذى آثره لأولاده لا زرع فيه ولا ضرع ، وليس فيه شىء يستهوى القلوب ويجلب الناس ويجلب الرزق والبضائع وهم أمنة الدعوة وورثة الدين ، فكيف يقومون بفريضتهم ، وكيف يؤثرون هذا المكان المنعزل بالاقامة والبقاء ، فقال : « فاجعل

أفئدة من الناس تهوى اليهم وارزقهم من الثمرات لعلهم يشكرون » .

ولم يشغل هــذا الدعاء المخلص والمناجاة الخاشعة عن أن يحمد الله على نعمة الأولاد والذرية التى وهبت على الكبر ، وانما المسكن بالساكن والمنزل بالعامر والشىء بالشىء يذكر وكان كل ذلك نتيجة الدعاء والابتهال وهو يرجو اجابة هذا الدعاء ، كما تحقق اجابة الدعاء القديم « الحمد للــه الذى وهب لى على الــكبر اسماعيل واسحاق ، ان ربى لسميع الدعاء » وطلب من الله أن يوفقــه وذريته لاقامة الصــلاة وأن يجعله وأعقابه مرتبطين بوجهه الكريم وبيته القديم ، ولم ينس حين دعا لذريته أن يدعو لأبيه وللمؤمنين جميعا ، فابراهيم ــ عليه الصلاة والسلام ــ آية فى الوفاء وسخى جواد فى الدعاء فقال : « ربنــا اغفر لى ولوالدى وللمؤمنين يوم يقوم الحساب » .

أبو الحسن الندوى

قال عز من قائل :

« شــــهر رمضـــان الذى أنزل فيه القرآن هدى للناس وبينات من الهدى والفرقان فمن شهد منكم الشهر فليصمه ومن كان مريضــا أو على ســفر فعدة من أيام أخر يريد الله بكم اليسر ولا يريد بكم العسر ولتكملوا العــدة ولتكبروا الله على ما هداكم ولعلكم تشكرون . واذا سألك عبادى عنى فانى قريب أجيب دعوة الداع اذا دعان فليستجيبوا لى وليؤمنوا بى لعلهم يرشــدون » .

البقرة آية : ١٨٥ ، ١٨٦ .

في ذكرى إحراق المسجد الأقصى

أو الجذور الحقيقية لمأساة فلسطين

للعلامة أبو الأعلى المودودي

اهتز العالم الاسلامى من أقصاه الى أقصاه للجريمة المروعة التى ارتكبتها السلطات الاسرائيلية المحتلة عندما أقدمت على حرق المسجد الأقصى فى ٣١ آب ١٩٦٩ ، والتقت مشاعر الشعوب مع الحكومات فى استنكار تلك الجريمة النكراء ، وتأتى ذكرى احراق المسجد الأقصى على العالم الاسلامى لتدق ناقوس الخطر ولتعلن أن على المسلمين جميعا العمل على انهاء أسطورة اسرائيل ، فالمسجد الأقصى مرتبط أشد الارتباط بعقيدة المسلمين فاذا أراد المسلمون الحفاظ على عقيدتهم فلا مناص لهم ــ حكومات وشعوبا ــ من استنقاذ أولى القبلتين وثالث الحرمين الشريفين .

وبدأ السؤال يطرح نفسه فى ذهن كل رجل مرة بعد أخرى : أليس لهذه المحنة من علاج ؟ ان هذه المرحلة من أحرج المراحل فى تاريخنا الاسلامى . ومن سوء طالعنا أن هذه المرحلة السوداء برزت فى عصرنا حيث يشكل المسلمون تسعمائة مليون . ومع ذلك فان الصهاينة حثالة العالم وشذاذ الآفاق بلغت بهم الجسارة الى أن يحرقوا مسجدا من مساجدنا الثلاثة المقدسة : أولى القبلتين ظل النبى صلى الله عليه وسلم متوجها اليه الى أن حوله الله الى الكعبة ومسراه صلى الله عليه وسلم . فهل من محنة بعد هذه المحنة يا مسلمون؟ وظل كل فرد فى قلبه ذرة من الايمان يتفكر فيما اذا كان الأمر بلغ هذا المبلغ ولم يحرك المسلمون ساكنا فكيف لهم بعد ذلك أن يعيشوا فى العالم مرفوعى الرءوس موفورى الكرامة ولا ندرى كم من عار يستقبلنا فى المعمورة بعد هذا الخطب الجلل

يجب علينا ، ونحن فى هذه المرحلة الحرجة ، أن ندرك قبل كل شىء مغزى القضية لأننا بدون تفهمها كما هى ، لا نستطيع أن نتخذ خطوة فاصلة فى سبيل الدفاع عن المسجد الأقصى وانقاذه من براثن اليهود .

السبب الحقيقى لهذه الجريمة النكراء :

ان اسرائيل بعد ارتكابها هذه الجريمة الشنعاء حاولت مرارا أن تذر الرماد فى أعين المسلمين بأساليب ماكرة جدا ، أعلنت أولا عقب هذه الجريمة أن هذا الحريق نشب بسبب وقوع النقص فى الأسلاك الكهربائية مفاجأة . غير أن المجرمين انتبهوا على الفور الى أن هذه الأكذوبة سوف لا تنطلى على أحد ، اذ كيف يمكن أن تلتهب ألسنة النار بصورة هائلة بمجرد وقوع النقص فى الأسلاك الكهربائية . فاختلقوا بكل وقاحة أكذوبة أخرى : وهى أن العرب هم الذين أشعلوا النار فى مسجدهم .

أدرك الصهاينة على الفور بأن هذا الافتراء لا ينفع أبدا . فقبضوا أخيرا على شاب استرالى ليقنعوا الدنيا بأن هذا المعتوه هو الذى ارتكب هذه الجريمة فى حالة من الجنون وفقدان الوعى ، أما هم فلا يهدفون أبدا الى تدمير المسجد الأقصى تحت خطة مرسومة . ومن المحتمل أن يقدموا هذا الشاب الى محكمة مؤلفة من قضاة معينين من قبلهم ، ليحاولوا تغطية جريمتهم . ان خطة الاستيلاء على المسجد الأقصى ليست وليدة الساعة بل هى خطة طويلة المدى ظل اليهود يعملون على تحقيقها من قرون والحريق الحاضر هو خطوة تمهيدية لهذه الخطة .

تاريخ المطامع اليهودية :

يجب أن نعرف جيدا تاريخ فلسطين والقدس فالاسرائيليون دخلوا هذه المناطق حوالى ١٣٠٠ ق.م وبعد كفاح دام قرنين كاملين احتلوها فى النهاية . ان الاسرائيليين لم يكونوا من أبناء هذه الأرض الأصليين . بل كان أبناؤها

الأصليون تلك القبائل والشعوب التى ورد ذكرها فى التوراة . ومن تصريحات التوراة نفسها يبدوا أن بنى اسرائيل سيطروا على أرض فلسطين بعد قتل هؤلاء القبائل والشعوب بنفس الطريقة التى احتل الافرنج بلاد أمريكا بعد ابادة الهنود الحمر .

بحجة أن الرب أورثهم هذه الأرض . ولذلك يحق لهم أن يطردوا أهلها الأصليين بل أن يبيدوهم عن بكرة أبيهم ويبسطوا عليها احتلالهم .

ثم غلب الأشوريون على شمال فلسطين فى القرن الثامن قبل الميلاد وأبادوا الاسرائيليين بأسرهم ومزقوهم كل ممزق وأسكنوا مكانهم القبائل التى كانت معظمها عربية الأصل . كما غلب ملك بابل بنو خذنصَّر على جنوب فلسطين فى القرن السادس قبل الميلاد وأجلى اليهود منه ودمر القدس (أورشليم) وحوله الى أكوام من التراب وهدم هيكل سليمان (Temple of Soloman) الذىَ بناه سيدنا سليمان عليه السلام فى القرن العاشر قبل الميلاد ، ولم يبق منه حجر على حجر . وقد أتيحت لليهود مرة أخرى فرصة دخول جنوب فلسطين واتخاذه مقرا لهم فى عصر الحكم الايرانى ، بعد أن عاشوا مدة طويلة منفيين مطرودين ، فأعادوا الهيكل من جديد فى اورشليم . بيد ان هذه المدة أيضا لم تدم أكثرمن ثلاثة أو أربعة قرون ، لأنهم ثاروا على الامبراطورية فى عام ٧٠ الميلادى فكان من جراء ذلك أن دمر أورشليم والهيكل مرة أخرى كما قضى الرومان على ثوراتهم الأخرى فى ١٣٥ الميلادى وأبعدوا اليهود من جميع أنحاء فلسطين وشتتوا شملهم . وفى هذا الجلاء الثانى سكن فى جنوب فلسطين القبائل العربية . . . .

كما سكنوا شمال فلسطين قبل ذلك بثمانية قرون . وحينما دخل الاسلام هذه الأرض كانت جميع أنحائها مأهولة بشعوب عربية .

كان الرومان منعوا اليهود حتى من دخول القدس (وكان اسمها حينئذ ايليا) بموجب القانون . وكادت

السلالات اليهودية فى فلسطين تنعدم •

ويتضح من هذه التفاصيل التاريخية ما يلى :

أولا : ان اليهود دخلوا أرض فلسطين بارتكاب جريمة ابادة الشعوب الأصلية Genocied

ثانيا : لم يسكنوا فى شمال فلسطين أكثر من أربعة أو خمسة قرون •

ثالثا : لم تدم اقامتهم فى جنوب فلسطين أكثر من ثمانية أو تسعة قرون •

رابعا : مع أن الشعوب العربية كانت تسكن شمال فلسطين منذ أكثر من ألفين وخمسين عاما وفى جنوب فلسطين من نحو ألفين عاما ، يزعم اليهود اليوم أن فلسطين هبة ربهم وعدهم بذلك ويحق لهم لأجل ذلك أن ينالوا (أرض الميعاد) باستخدام القوة ويطردوا منها سكانها الأصليين ليحلوا محلهم كما أبعدوا منها سكانها الأصليين قبل ٣٣ قرنا من القرون الخالية •

ما زال اليهود يتلون طقوسهم الدينية منذ ألفى عام أربع مرات فى الأسبوع لاحتلال القدس واستعادة الهيكل • كما أن فى كل بيت يهودى تقام فى المناسبات الدينية التمثيلية التى تذكرهم كيف أنهم خرجوا من مصر وسكنوا فلسطين وكيف أبعدهم أهل بابل من فلسطين فتفرقوا أيدى سبا • وهم بهذه الطريقة يثبتون فى ذهن أولادهم الصغار أن فلسطين هى ملكهم ويجب أن تعاد اليهم ، وغايتهم فى الحياة أن يبنوا هيكل سليمان فى بيت المقدس ـ الكاتب اليهودى الشهير الذى عاش فى القرن الثانى عشر الميلادى موسى بن ميمون (Maimonids) يكتب فى كتابه : « شريعة اليهود » (The Code of Jewishlaw) بكل صراحة بأن كل جيل من أجيال اليهود المتعاقبة مدعو الى بناء هيكل سليمان فى القدس ، وكذلك حركة الماسونية ، التى كشفت الصحافة الباكستانية عن الكثير من أسرارها فى الآونة الأخيرة ، حركة يهودية الأصل تهدف الى بناء الهيكل • بل هو غايتها القصوى وهدفها الرئيسى •

وتقام فى جميع المحافل الماسونية تمثيلية توضح كيفية اعادة بناء الهيكل . وكفاكم أن تتبينوا من كل ذلك أن التهاب ألسنة النيران فى المسجد الأقصى ليس حادثا مفاجئا ، بل يهدف الشعب اليهودى منذ القرون الى بناء هيكل على أنقاض المسجد الأقصى وموقعه ، والآن وبعد احتلاله على القدس ، من المستحيل أن يمتنع من تحقيق حلمه التاريخى .

شعب ينكر الجميل :

من الثابت تاريخيا أن هيكل سليمان كان قددمر سنة ٧٠ الميلادية نهائيا . وحينما فتح المسلمون القدس فى عهد سيدنا عمر رضى الله عنه لم يكن فى هذا المكان أى معبد بل كانت المنطقة عبارة عن زبالة وأنقاض . ولذلك فان أى يهودى لا يستطيع أن يتهم المسلمين بأنهم أقاموا المسجد الأقصى وقبة الصخرة بعد هدم معبد لهم . كما أنه من الثابت تاريخيا كذلك أن فلسطين أخليت من اليهود فى عهد الرومان الذين منعوا اليهود من دخول القدس بموجب القانون .

والمسلمون هم الذين سمحوا لليهود دخول فلسطين والاقامة فيها فى عصرهم . ويشهد التاريخ بأنه لم يستقر لهم قرار خلال ثلاثة أوأربعة عشر قرنا مضت فى أى مكان فى العالم الا فى وطن الاسلام . بينما ظلوا يتعرضون للاضطهاد والمذابح فى كل بلد يحكمه المسيحيون . ومما يعترف به علماء التاريخ اليهود أنفسهم : أن العصر الذى عاشه اليهود تحت حكم الاسلام فى الأندلس كان عصرهم الذهبى .

كان حكام المسلمين يرعون اليهود . ويحافظون عليهم ويحرسون أموالهم ويشجعون تجارتهم . وهذا حائط المبكى الذى يعتبره اليهود أقدس مكان لهم فى العالم مما تكرم المسلمون باعادته اليهم حسبما كتبته نشرة الحكومة الاسرائيلية التى تصدر من بمبائى فى الهند ، فى عددها الصادر فى أول يوليو سنة ١٩٦٧ م : ان حائط المبكى كان مدفونا تحت الأنقاض والزبالة حيث لم يبق له فيه عين ولا أثر . وقد علم بذلك السلطان سليم الملقب بياوز صدفة فأمر بتنظيفه ، وسمح لليهود بزيارته الا أن اليهود

شعب مجبول على نكران الجميل وبدأ يقابل المسلمين على تسامحهم معه وعطفهم عليه ما نراه اليوم من ألوان التعذيب والتنكيل وضروب الدمار والثبور فى فلسطين .

الخطة اليهودية :

أما كيف أن اليهود كرسوا محاولاتهم للاستيلاء على فلسطين تحت خطة مرسومة فيتضح مما يلى :

« قامت فيهم بداية الأمر حركة دعت الى هجرة اليهود من مختلف أنحاء العالم الى فلسطين ، وشراء الأراضى فيها . فمنذ ١٨٨٠ م بدأت الهجرات اليهودية معظمها كانت من أوربا الشرقية . وبعد ذلك بمدة يسيرة أنشأ الزعيم اليهودى الشهير ثيودور هرتزل فى ١٨٩٧ م الحركة الصهيونية جعل من غايتها الاستيلاء على فلسطين واعادة بناء الهيكل . فقام الرأسماليون اليهود على نطاق أوسع بجمع الأموال ونشطوا لمساعدة العائلات اليهودية المهاجرة فى فلسطين فى شراء الأراضى وانشاء المستعمرات فيها . وفى ١٩٠١ م بعث هرتزل المذكور وفداً الى الخليفة العثمانى السلطان عبدالحميد الثانى وعرض عليه استعداد اليهود لدفع جميع القروض والديون على تركيا والمعونات المالية الأخرى مقابل السماح لليهود بجعل فلسطين وطنا قوميا لهم غير أن السلطان عبد الحميد داس كل هذه المغريات ووقف بعناد وثبات أمام أطماع الصهيونية ورفض العرض قائلا : ان بيت المقدس الشريف قد افتتحه للاسلام أول مرة سيدنا عمر ابن الخطاب رضى الله عنه ولست مستعدا لأن أتحمل فى التاريخ وصمة ببيعها لليهود وخيانة الأمة التى كلفنى المسلمون بحمايتها . ليحتفظ اليهود بأموالهم فالدولة العلية لا يمكن أن تحتمى وراء حصون بنيت بأموال أعداء الاسلام » .

والذى حمل هذه الرسالة الى السلطان هو الحاخام قره صو آفندى من سلانيك ومن العائلات اليهودية التى هاجرت من أسبانيا واستوطنت الممالك العثمانية . وقره صو آفندى هذا على رغم كونه من رعايا الحكومة

التركية قد بلغت به الجرأة الى أن يدخل على السلطان التركى ويقدم الطلب لتسليم فلسطين لليهود • لم يكتف اليهود بهذا فحسب ، بل هدد هرتزل السلطان بسوء عاقبة هذا الموقف • واثر ذلك دبرت المؤامرات لخلع السلطان عبد الحميد الثانى تواطأت فيها الحركة الماسونية والدونمة (١) والشباب الذين كانوا مفتونين بالثقافة الغربية وحاملى لواء القومية التركية • وما ان انقضت سبع سنوات حتى تم احكام خيوط المؤامرة وتهيأ الجو لخلع السلطان • ومن الحوادث المؤلمة التى وقعت فى عملية خلع السلطان أن الذين ابلغوا السلطان قرار الخلع كانوا ثلاثة أشخاص : مسلم مأجور (عارف حكمت ياور فريق البحرية) رومى موتور (ارستيدى باشا وزير النافعة سابقا) وثالث الثلاثة الحاخام قرهصو آفندى الذى بعثه هرتزل الى السلطان فطرده من قصر يلدز • فيالبشاعة انتقام اليهود وانعدام الغيرة الاسلامية فى « المسلمين » يوفدون لتبليغ سلطانهم قرار الخلع اليهودى القذر الذى كان السلطان رفض طلبه وبصق فى وجهه وطرده من القصر •

نشوء الصراع بين القومية التركية والقومية العربية :

كانت هناك مؤامرة أخرى تنسج خيوطها بدقة وخفاء كانت ترمى الى تمزيق الدولة العثمانية اربا اربا • والتقت فى تدبيرها أيضا العبقرية اليهودية مع الدبلوماسية العربية فأنشأت فى الأتراك حركة قومية • دعتهم الى بناء الدولة التركية على أساس القومية بدلا من الأخوة الاسلامية مع أن الدولة العثمانية لا يمكن فيها الشعب التركى فقط ؛ وكانت تشمل الأجناس الأخرى كالعرب والأكراد • ومحاولة قصر الدولة الخليطة من الأجناس العديدة على الجنس التركى معناه أن يقطع المسلمون من غير الجنس التركى ولاءهم عنها • وفى الجانب الثانى

(١) الدونمة كما هو معروف لقب يطلقه الأتراك على جماعة اليهود الذين هاجروا من أسبانيا واستوطنوا سلانيك وهم طائفة يتظاهر أفرادها بالاسلام مع احتفاظهم باطنا بالدين اليهودى •

جرت محاولات اشباع العرب بالقومية العربية واقناعهم على ضرورة اللجوء الى الحرب للتحرير من « الاستعمار التركى» والذين نشروا فتنة القومية العربية فى البلاد العربية هم كانوا مسيحين جعلوا بيروت مركز الدعوتهم كما أن الجامعة الأمريكية (الكلية الانجيلية السورية سابقا) كانت مقرا لهم ومعوانا على حركتهم . وهكذا وجدت القوميتان المتناطحتان فى الأتراك والعرب فى آن واحد . وكرست الجهود لضرب احداهما بالأخرى الى درجة أنه فى أثناء الحرب العالمية الأولى دخل الأتراك والعرب هذه الحرب لا كطرفين متساندين متعاضدين بل كقوتين معاديتين متناحرتين تتعطش احداهما لشرب دم الأخرى .

الحرب العالمية الأولى ووعد بلفور :

اتجه اليهود أولا فى الحرب العالمية الأولى الى القيصر الألمانى واهلم الثانى لأن اليهود كان لهم فى المانيا آنذاك نفس النفوذ الذى حصل لهم اليوم فى أمريكا ، فعرض اليهود على القيصر فكرة الوطن القومى فى فلسطين وحاجة اليهود الى الاعتراف بحق شرعى لهم فى استعمارها ، غير أن اليهود لم يطمئنوا الى حكومة المانيا لكونها متحالفة مع حكومة تركيا فى الحرب ولذلك ماكادوا يقتنعون بوعد القيصر ولهلم بتأمين فكرة الوطن القومى . فتقدم الدكتور وايزمين Dr. Weizman واتصل بالحكومة الانكليزية ، وابدى استعداده لوضع العبقريات اليهودية والامكانيات اليهودية فى العالم تحت تصرف انكلترا وفرنسا فى الحرب مقابل تعهدهما بانشاء وطن قومى لليهود فى فلسطين اذا واكبها الحظ وتحقق لهما الانتصار فى الحرب . والدكتور وايزمين هو الذى كان تولى زعامة الحركة الصهيونية آنذاك . واخيرا نجح وايزمين فى انتزاع الوعد الذى اشتهر بوعد بلفور من حكومة انكلترا فى سنة ١٩١٧ م الذى نص على أن بريطانيا تعتزم اقامة وطن قومى لليهود . وهكذا ظهر غدر الانجليز وممالأتهم للصهيونية وخيانتهم للعرب اذ انهم كانوا يقنعون العرب بأنهم سيكونون لهم دولة عربية مستقلة ، وقد أعطوا لذلك فعلا وعدا مكتوبا للشريف الحسين

، وانحرافا وراء هذا الوعد المعسول ثار العرب على الأتراك ، ومهدوا الطريق لاستيلاء انجلترا وفرنسا على فلسطين والعراق وسوريا . وفي نفس الوقت قد أعطى الانجليز وعداً مكتوبا لليهود أيضا بجعل فلسطين وطنا قوميا لهم وهذه أكبر خيانة انجليزية لا يستطيع الشعب الانكليزى محو عارها من وجهه طيلة تاريخية . ومن هنا هل كانت فلسطين وطنا قوميا لليهود ؟ لقد قدر الانجليز توطينها باستيراد المستعمرين من الخارج ، من المعلوم أن فلسطين كان يسكنها الشعب العربى منذ ألفين وخمسمائة سنة ولم يكن عدد اليهود فيها يتجاوز خمسة فى المائة حين صدور تصريح بالفور . فاصدار وزير خارجية المملكة البريطانية وعدا باستيطان شعب تفرق أيدى سبا قبل ألف وتسعمائة سنة مضت فى موطن شعب مستقر كان يعنى هذا بكل صراحة . « اننا نحن الانجليز ، كما استولينا على الوطن العربى بمساعدة العرب أنفسهم ، تتيح لكم أيها اليهود أيضا الفرصة لأن تطردوا منه العرب وتوطنوا فيه شعوبكم المشتتة فى أنحاء العالم »

وهذه جريمة لا مثيل لها فى التاريخ البشرى . والذى يزيدها فداحة أن اللورد بالفور يقول فى مذكراته عن الوعد الذى أعطاه لليهود « لا حاجة بنا الى أن نستنفسر سكان فلسطين الحاليين رأيهم فى تقرير مصيرهم ؛ لأن الصهيونية أجل وأهم لنا من تطلعات سبعمائة الف نفر من العرب وتعصباتهم الذين يسكنون هذه المنطقة منذ القديم » وكلمات بالفور هذه فى مذكراته لا تزال مسجلة فى الجزء الثانى من وثائق السياسة البريطانية ؛

القضية فى عصبة الأمم :

وتحققت الحلقة الأولى من المخطط الصهيونى بعيد المدى بعد أن استولى الانجليز على فلسطين وصدر تصريح بلفور واستكملت هذه الحلقة فى غضون ٣٧ عاما بدءاً من ١٨٨٠ م الى ١٩١٧ م . ثم أخذت الحلقة الثانية من هذا المخطط دورها للتنفيذ وذلك فى المرحلة التى اندفعت فيها عصبة الأمم ((League of Nation))

والدولتان الموجهتان لها فى الحقيقة : بريطانيا وفرنسا لابراز هذه الحلقة الى حيز التنفيذ كأنهما ليستا دولتين

حرتين ؛ بل انهما عمليتان للحـركة الصهيونية مسيرتان بارادتها • وقررت عصبة الأمم فى ۱۹۲۲ وضع فلسطين تحت انتداب Mandate بريطانيا والاحصائيات التى اجريت بعد هذا القرار دلت على عدد سكان فلسطين عربا ويهوداً كما يلى :

٦٤١ر٦٦٠ عربا مسلمين •

٤٦٤ر٧١ عربا مسيحيين •

۷۹۰ر۸۲ يهود •

وكان سبب تزايد عدد اليهود : الهجرات المتتابعة الى فلسـطين : اذ كان عددهم فى عـام ۱۹۱۷ م ستة وخمسين ألفا وارتفع هـذا العدد فى ظرف خمس سنوات الى ثلاثة وثمـانين ألف ومع ذلك فان عصبة الأمم أوصت بريطانيا حـين اعطائها حق الانتـداب « حكومة الانتداب » مسؤلة عن توفير كافة التسهيلات لجعـل فلسطين وطنـا قوميا لليهـود واعتراف المنظمـة الصـهيونية رسـميا واشراكها فى الحـكومة واخـراج فكرة الوطن القومى لليهود الى النور بمشورتها وبالتعاون معها « وأما عن سـكان فلسطين الأصليين فاكتفت عصـبة الأمـم فى توجيهـاتها لحـكومة الانتـــداب بأن تراعى حقـوقهم الدينية والمدنية » • (Religious and Civil Rights) ولم تشر الى حقوقهم السياسية ولا بطـرف خفى • هــذا هو العـدل الذى التزمت به عصـبة الأمـم التى ما أنشأت الا باسم بث السلام فى العـالم • انها أسهمت اليهــود الدخلاء فى السلطة السياسية ، بينما السكان الأصليين لايستحقون حتى المطالبة بحقوقهم السياسية •

منجزات الانتداب البريطانى :

وبعـد أن نال الانكليـز حـق الانتـداب على فلسطين شـجعوا نشاطات جلب اليهـود من أنحـاء الأرض واسكانهم فى فلسـطين • وأول مندوب سام من قبل بريطانيا فى فلسطين هربرت صـموئيل كان يهوديا كما أشركت اللجنة اليهودية فى ادارة البلاد وسلمت اليها دوائر التعليم والزراعة • كما سلمت اليها شئون الهجرة والترحيل والجنسية •

ووضعت القـوانين التى أمنت للمهاجرين من اليهود الحصول على

الأراضى وأغدق عليهم بالقروض والضمانات لزراعة الأراضى. كما فرضت على العرب ضرائب باهظة استصدرت المحاكم قرارات لمصادرة أراضيهم . ثم بيعت الأراضى المصادرة لليهود . كما منحت الاقطاعات الواسعة من الأراضى الأميرية لليهود المستعمرين اما منا وعطاء واما مقابل أجرة رمزية . وفى بعض المناطق صفيت القرية بأسرها من سكانها العرب الأصليين . وحولت الى مستعمرات يهودية خالصة . وألغيت فى احدى المناطق ملكية ثمانية آلاف من الفلاحين وعمال الزراعة العرب من أراضيهم البالغة ٥٠ ألف دونما بموجب أوامر الحكومة ، ورحلوا منها بعد أن أعطى كل فرد منهم تعويضا قدره ثلاث جنيهات وعشر شلنات . وعن طريق هذه الاجراءات الغاشمة ازداد عدد سكان اليهود فى خلال ١٧عاما بصورةهائلة: فبينما هم كانوا فى عام ١٩٢٢م نحو٨٢ ألفا : وصل

هذا العدد الى ٤٥٠ ألف فى سنة ١٩٣٩ م . ويبدو من ذلك أن الانكليز لم يكونوا يرمون من وراء انتدابهم على فلسطين الا خدمة الصهاينة . ولم يؤنبهم ضميرهم فى يوم من الأيام بأن على الحكومة بالنسبة لسكان البلاد الأصليين حقوقا والتزامات لا مناص لها من الدفاع عنها والمحافظة عليها وتطور هذا الأمر فى الحرب العالمية الثانية .... تطوراً خطيراً . حين بدأ اليهود الذين تعرضوا لاضطهاد هتلر يلجأون الى فلسطين بطرق قانونية وغير قانونية وعملت الوكالة الصهيونية على ادخال آلاف مؤلفة من اليهود فى أرض فلسطين . وألفت العصابات اليهودية المسلحة التى قامت بنشر الرعب والفوضى فى أنحاء فلسطين لاذلال العرب وطردهم من ديارهم واحلال اليهود مكانهم وأقيم لهذا الغرض من المذابح الدامية ماترتعد لسماعها الأوصال ، وكانت الكميات الكبيرة من السلاح تترامى الى اليهود تحت

مسمع ومرأى من الانتداب الانكليزى وكان اليهود يشنون الغارات على العرب وقانون البلاد ما كان يمنعهم من كل ذلك . بينما نفس القانون يمنع العرب من حيازة أى نوع من السلاح ويمنعهم من الدفاع عن أنفسهم تجاه الظلم والقساوة ، بيد أن الحكومة البريطانية فتحت صدرها لتوفير التسهيلات فى ترحيل العرب الذين كانوا يفرون بأنفسهم الى الخارج ، وهكذا فقد استكملت الحلقة الثانية من المخطط الصهيونى الرهيب فى خلال ٣٠ عاما ابتداء من سنة ١٩١٧م وفى هذه المرحلة أصبح اليهود من المقدرة حيث استطاعوا أن ينشئوا فى فلسطين « الدولة القومية » بدلا من الوطن القومى .

للبحث بقية

أبو الأعلى المودودى

قال الدكتور « ريتسن » عن محمد «صلى الله عليه وسلم»:
« يا ابن مكة ونسل الأكرمين ، يا معيد مجد الآباء والأجداد ، يا مخلص العالم من العبودية . ان العالم ليفخر بك ... ويشكر الله على تلك المنحة الغالية .. انه يقدر جهودك كلها ، يا نسل الخليل ابراهيم : يا من منحت الاسلام للعالم ووفقت بين قلوب البشر ... وجعلت الاخلاص من شعارك ... يامن قلت فى شريعتك : « انما الأعمال بالنيات » .
لك منا الشكر الجزيل » !

محمد عبد الحميد أحمد ــ فى ظلال العقيدة

حكاية الحسابات الفلكية لتحديد بدأ الصوم مرفوضة

للأستاذ أحمد حسين

مرت على العالم الاسلامى فى العصر الحديث فترة حرجة كاد أن يفقد نفسه فيها ، لولا أن الله سلم. وقد كان من هذه المتاهات ، قول من قال : اننا فى عصر العلم الحديث، يجب أن يكون العلم هو سندنا ، وقد وصلنا فى دنيا العلم الى حد معرفة موعد شروق القمر وغروبه بكل دقة لعدة سنوات مقبلة ، فعندما يقول لنا العلم : ان هلال رمضان تستحيل رؤيته بالمناظير المكبرة فضلا عن الأعين المجردة ، فى تاريخ معين فليس يجوز عند (سدنة العلم) أن تقبل قول من قال: انه رأى الهلال : وينسى هؤلاء (الجهابذة ! ؟) .

اننا اذا أخذنا بهذا المقياس العلمى المزعوم لأبطلنا الصوم من أساسه فى بعض بلدان العالم ، حيث لا تغرب الشمس أبدا ، أو أنها تغرب لتشرق من جديد بعد ساعة أو ما هو دون الساعة .

ولو أخذنا بمجرد الحسابات الفلكية ،لاضطربت مواقيت الصلاة، ولو أننا حكمنا المنطق الصارم وما تقوله بعض العقول ، لوجدنا من يقول وما هى فائدة الصوم (وقد قال قائل : انه يعطل الانتاج) ولو تابعنا هذه المسيرة ، مسيرة العلم والخضوع لمقتضياته لقام من يتساءل عن الصلاة وعن ضرورتها ، ولانتهى الأمر بالغاء الدين من أساسه ، وهو ما فعله حكام شعوب بالفعل ، حيث اعتبروا الدين خرافة لا تتفق مع العلم الحديث وحقائقه الثابتة ؟ ؟

وانى أدع لله عز وجل الحكم على نية من قالوا بضرورة تحكيم الحسابات العلمية الفلكية لتحديد أول أيام الصوم ، هل كانوا بهذا القول يعنون السير فى هذا الطريق، طريق الغاء الدين ، أم لا ؟ ويعنينى فى مقامى هذا ، أن أقول : انه لا يحق لكائن من كان فى موضوع الدين ، أن يوقف أيا من مناسك الدين وتعاليمه بزعم أن هذا هو ما يوجبه العلم ، لأن ذلك معناه اخضاع الدين للعلم ، حيث العلم هو الذى يجب أن يخضع للدين ، فليس العلم الا أحد فروع الدين ، فهو فرع والدين هو الأصل ، واذا غمت هذه الحقيقة عند الأوربيين ممن لم يعرفوا شيئا عن الاسلام ؟؟

فهى بالنسبة للمسلمين أوضح وأظهر من فلق الصبح .

كيف لا وأول سطر من سطور الاسلام :

« اقرأ وربك الأكرم » .

« الذى علم بالقلم » .

« علم الانسان ما لم يعلم » .

وغرس فى نفس كل مؤمن الى أبد الآبدين الشوق الى العلم والتعلم : « وقل ربى زدنى علما » .

ولكنه بمقدار ما استحث المسلمين على طلب العلم وبمقدار ما كرم العلماء حتى جعلهم ورثة الأنبياء ، فقد حذر البشر أن لا يغتروا بعلمهم أو يستطيلوا ، فقال وقوله الحق :

« وفوق كل ذى علم عليم » .

وعلم البشرية كلها شىء قليل .

«وما أوتيتم من العلم الا قليلا» .

فالدين هو الدين ، تلقيناه عن سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم وتلقاه هو عن طريق الوحى من الله رب العالمين ، والمسلم لا يكون مسلما الا اذا آمن بسيدنا محمد رسولا من رب العالمين، وأنه لا ينطق عن الهوى وانما هو وحى يوحى . والأمر الالهى صريح :

« وما آتاكم الرسول فخذوه » . فعندما يقول الرسول صلوات الله عليه :

« صوموا لرؤيته وافطروا لرؤيته » .

فهذا نص لم يعد يجوزمعه لكائن من كان ، أن يتفلسف باسم العلم ، فيبطل الرؤيا لما يسميه حسابات فلكية علمية •

وانى كمسلم أتحدث كما يتحدث مئات الملايين من المسلمين : كان يجب أن أقف عند هذا الحد ، فلا اجتهاد مع النص ولكنى أسمح لنفسي ــ وقد عاد الاسلام عند بعض الأقوام غريبا كما بدا ــ أن أشرح لهم ما فى هذا الادعاء من تحكيم الحسابات الفلكية من خلل يناقض كل معقول ومنقول ويهدر القيم العليا ، والمثاليات وكرامة الانسان•

الرؤية لا تكون الا بالعين :

يقول الله تعالى فى كتابه العزيز :

« فمن شهد منكم الشهر فليصمه » •

وقال رسول الله ما قدمناه :

« صوموا لرؤيته وافطروا لرؤيته » •

ولا يقولن قائل : وانما هوحديث فقد طبقه رسول الله وصحابته فصاموا لرؤية الهلال وافطروا لرؤيته ، وتابعتهم الملايين ، فمئات الملايين فألوفهم : أجيالا بعد أجيال وقرونا فى اثر قرون ، حتى أصبحت رؤية هلال رمضان عيدا من أعياد المسلمين يحتفلون به بشتى الطرق والأشكال ، ويطلقون على هذه المناسبة الكريمة « الرؤية » •

موكب الرؤية :

وقدكان للرؤية فى طفولتى وصباى ما يسمى موكب الرؤية وهو أثر من آثار الماضى ظل يتناقص بطبيعة الحال تحت تأثير الاحتلال البريطانى ، ومع ذلك فقد ظل هذا الموكب حديث الخاص والعام، وقد كان أكثر ما يكون شبها ، بهذا الذى يطلقون عليه اسم « موكب الزهور » حيث كانت كل الحرف والمهن والطوائف تشترك فى الموكب بعربات تمثل حرفتها أو مهنتها •

وكان الموكب يسير من بيت القاضى (أى المحكمة فى شارع نور الظلام) وكانت الموسيقات الرسمية وكتائب من جنود الشرطة، تتقدم الموكب ، ولست أحبذ هذا

الموكب أو أطالب باعادته ، فمثل هذه الأمور يجب أن تبحث وأن يصدر بها قرار من علماء المسلمين خوفا من البدع ، فأنا لا أتعرض لهذا الذى يحدث بالاستحسان أو الانكار ، وانما أذكره كواقع مادى فى تاريخنا يثبت أن الاهتمام بموضوع « الرؤية » هو جزء من تراثنا فأن يلغى — كائن من كان — موضوع « الرؤية » بحجة أن الحسابات الفلكية هى التى تقرر ، فهو يلغى ظاهرة مارسها المسلمون منذ ألف وأربعمائة سنة ، فأعجب لأقوام يطالبون الناس أن يحتفلوا بمناسبات عديدة ويعتبروا هذه الاحتفالات جزءا من تكوين الأمة ثم يسقطون مناسبة كبرى عاش المسلمون يحتفون بها عبر الدهور؟؟ الحق أنه لا تفسير لذلك الا الرغبة — تحت ظل العلمانية — فى النيل من الاسلام .

عظمة الفرد فى الاسلام وكرامته :

وهم يستكبرون ويستفظعون فكرة أن يكون بقدرة فردين من عامة الناس أن يشهدوا بأنهما رأيا الهلال كى تنصاع الجماعة الاسلامية الى قولهما ويبدأ صوم رمضان .

ولا عجب فى هذا الازدراء بالفرد ، فالقائلون بالخضوع للعلم والعلمية والعلمانية قوم قد درجوا لا أقول على الاستهانة بالفرد وازدرائه ، بل درجوا على دوسه بالنعال بل وسحقه سحقا اذا لزم الأمر ، اذا كان ذلك على ما يزعمون فى صالح الجماعة ، ولن تستطيع أن تدخل فى عقولهم : أن الجماعة هى مجموع هؤلاء الأفراد فاذا تحول الفرد الى صفر ، فان مجموع الأصفار لا يزيد عن كونه صفرا .

وهنا تتجلى عظمة الاسلام وعلوه علو السماء على الأرض : على المذاهب العلمية والعلمانية فهو اذ يؤكد عظمة الجماعة وقوة الجماعة ، و « يد الله مع الجماعة » ولكنه يؤكد قبل ذلك على عظمة الفرد وقوة الفرد وكرامة الفرد وأن ذلك هو السبيل الذى لا سبيل غيره لبناء الجماعة ، فيقول تعالى ، بعد أن خلق انسانا فردا ليكون خليفته ، وبعد أن علمه شذاً من علمه ونفخ فيه من روحه .

أن « من قتل نفسا بغير نفس أو فساد فى الأرض فكأنما قتل الناس جميعا » ؟؟

أى أن قتل انسان واحد قد يعنى قتل البشرية كلها ، فديننا يقوم على تكريم الانسان واعلاء شأن الانسان الفرد ، وهو يفترض فيه الاستقامة والعدالة والصدق والأمانة الا أن يقع منه ما يريب .

فاذا هال أصحاب المذاهب العلمية والعلمانية أنيكون للانسان الفرد كل هذه القيمة والخطورة ، قلنا لهم : هذا شأنكم ولكن ذلك ليس هو شأن الاسلام .

الرؤية والشهادة :

فعندما يقول لنا سيدنا رسول الله « صوموا لرؤيته » فقد أصبح هذا نصا واجب الاتباع ومن خالفه فهو مارق من الدين بلا جدال أو شبهة ، والأمر هنا معلق على الرؤية ، ورؤية البعض هى رؤية للكل ، وهذا هو نظام الاسلام ، والأصل فى الرؤية هى العين التى خلقها الله لتكون هى وسيلة الانسان للرؤية ، وقد تأسس علم الفلك بكل جلاله وروعته ، ورصدت الكواكب والنجوم والأفلاك والبروج بالعين المجردة ، فاذا جاء العلم الحديث بما يكبر ويقرب المرئيات ، فلا بأس فى ذلك فهو لا يتعارض مع الأمر بالرؤية فسوف تظل العين هى التى ترى وسيظل الانسان « الفرد » هو الذى يقرر أنه رأى ، والاسلام لا يرى حرجا فى ذلك ، فالمنظار المكبر لا يعدو أن يكون وسيلة من الوسائل التى تتغير بتغير الظروف والأحوال حيث يظل الهدف ثابتا لا يتغير .

والشهادة :

فان يرى البعض هلال رمضان أمر واجب وأن يشهد بذلك ، ويدعمه شاهد آخر وأن يكون الشاهدان عدلين ، (على تفصيل فى كتب الفقه ، حيث ذهب البعض الى حد الاكتفاء بشاهد واحد ، وهو ما نتركه للمختصين) وكل ما يعنينا فى مقامنا هذا ، أن يبدأ الصوم بالرؤية العينية بواسطة بعض البشر ، لا طبقا لمقتضيات

الحسابات الفلكية ، فللحسابات الفلكية ميدانها .

أما بالنسبة للصوم الذى هو عبادة فنحن بازاء نص صريح قاطع ملزم « صوموا لرؤيته » .

لا ضرر ولا ضرار :

ويعيدون ويزيدون ويهولون فى الحديث عن الأضرار التى تنشأ عن عدم الاستقرار وتحديد موعد بَدء الصوم بصورة مؤكدة ، وكل هذه سفسطة لو انسقنا وراءها ــ فضلا عن أن نأخذ بها لقضت على الدين ــ والعبادة من أساسها ، لقد عاش المسلمون على هذا النهج وازدهروا وأبدعوا فى ظل هذا الترقب لهلال رمضان وهل ثبتت الرؤية بالفعل ؟ أم يكملوا شعبان ٣٠ يوما نزولا عند نص الحديث :

« فان غم عليكم(١) فأتموا شعبان ثلاثين يوما (٢) » .

احمد حسين

قال « لويل توماس » : قبل أن يستكشف « كولومبس » أمريكا بألف سنة « أبصرت عين الطفل القرشى « محمد بن عبد الله » النور فى مكة واختاره الله ليحول تاريخ العالم ويغير مجرى الحياة » .

وقالت دائرة المعارف البريطانية :

« كان محمد أظهر الشخصيات الدينية العظيمة وأكثرها نجاحا وتوفيقا » .

فى ظلال العقيدة

---

(١) أى لم يروا الهلال ليلة ٣٠ شعبان .

(٢) أى نهارا .

دراسات قرآنية :

ليلة القدر

لفضيلة الشيخ مصطفى محمد الحديدى الطير

قال تعالى :

« انا أنزلناه فى ليلة القدر . وما أدراك ما ليلة القدر . ليلة القدر خير من ألف شهر تنزل الملائكة والروح فيها باذن ربهم من كل أمر . سلام هى حتى مطلع الفجر » .

ليلة القدر لها منزلة عظيمة فى نفوس المسلمين ـ خاصتهم وعامتهم ـ سلفهم وخلفهم ، وأهل الصلاح منهم ينتظرونها كل عام ، ليسموا بأرواحهم ونفوسهم فى أنوارها ، وينعموا ببركاتها ، ويغنموا من عطاء ربهم الذى وعده من قام ليلها وأحيا أسحارها ، وأهل الحاجات منهم يرفعون أكفهم ضارعين خاشعين ، يبتغون فضلا من ربهم ورضوانا ، وكشفا للنوازل وتفريجا للكروب ، ورحمة وبى وحنانه وسلامه وَسِعَت الجميع ، فانه سبحانه يقولَ فى محكم كتابه « سلام هى حتى مطلع الفجر » .

والزمان كله عند الله سواء ، فليس لبعضه فضل على بعض الا لأسباب تقت[illegible]يه ، أو غايات تترتب عليه ، وكذلك كان الأمر فى ليلة القدر ، فانها وان كانت جُزءاً من الزمان ، فقد رفع الله شأنها بنزول القرآن ، وشرفها بذلك على جميع الأزمان ، وجعلها من أجله متنزلا للرحمات ومهبطا للسلام ، من غروب شمسها الى مطلع فجرها ، فتعال معى أيها القارىء الكريم لنتعرف فضلها من سورة القدر التى نزلت بشأنها .

« انا أنزلناه فى ليلة القدر »

القدر هنا بمعنى الشرف والمنزلة الرفيعة ، والمعنى : انا أنزلنا القرآن فى ليلة الشرف والمقام السامى ، لنزول القرآن العظيم فيها ، ولأن الدعاء والعبادة يعلو فيها قدرهما ويرتفع ثوابهما عند الله تعالى .

وتفسير القدر بالشرف معروف لغة ، يقال : فلان له قدر عند الناس — أى شرف ومنزلة كريمة ، وانما أضمر الى القرآن فى قوله « أنزلناه » مع أن اسم القرآن لم يسبق هذا الاضمار ، للايذان بعظم قدره ، واستغنائه عن التصريح باسمه .

وقيل القدر بمعنى التقدير ، فعن ابن عباس وغيره أنه يُقَدَّر فى هذه الليلة ما يكون فى تلك السنة من مطر ورزق واحياء واماتة وغيرهما الى السنة القادمة ، فيكون المعنى : أنزلناه فى ليلة تقدير شئون الخلائق ، أى اظهار هذه الشئون واعلانها للملائكة المأمورين بتنفيذ مقدرات الله فى الكون ، وهم الذين يعرفون بمدبرات الأمور ، كما فى قوله تعالى « فالمدبرات أمرا » أما تقدير الله لأمور الكون فأزلي سابق على خلق السموات والأرض ، كما جاء فى الحديث الصحيح « جفت الأقلام وطويت الصحف » .

وبهذا التأويل تطابقت الآية مع قوله تعالى فى سورة الدخان « انا أنزلناه فى ليلة مباركة انا كنا منذرين(٣) فيها يفرق كل أمر حكيم(٤) » .

وقيل للحسين بن الفضيل : أليس الله تعالى قدر المقادير قبل أن يخلق السموات والأرض قال ؟ بلى : قيل : فما معنى ليلة القدر ؟ قال : سوق المقادير الى المواقيت ، وتنفيذ القضاء المقدر .

وقد عظم الله تلك الليلة فقال :

« وما أدراك ما ليلة القدر »

وأى شىء أعلمك يا محمد ماهى ليلة القدر فى علو منزلتها عند الله تعالى ، يعنى أن فضلها العظيم

لا يعلمه سوى علام الغيوب ، ثم عظمها بأسلوب أصرح فقال :

« ليلة القدر خير من ألف شهر »

فأنت ترى أنه تعالى اختار لانزال القرآن ليلة هى أشرف الليالى ، بحيث تعدل فى شرفها وفضلها بل تفوق ألف شهر ، وكيف لا تكون به كذلك وهو أعز كلام ، أنزله رب السموات والأرض على أشرف رسول لخير أمة أخرجت للناس .

وقد أجهد المفسرون أنفسهم فى فهم المراد من هذه الآية الكريمة ، فقيل معناها أن العمل الصالح فيها خير منه فى الف شهر ليست فيها ، وروى عن ابن عباس أنه ذُكِر لرسول الله صلى الله عليه وسلم أن رجلا من بنى اسرائيل حمل السلاح فى سبيل الله ألف شهر ، فعجب لذلك وقال : يا رب جعلت أمتى أقصر الأمم أعمارا وأقلها أعمالا ، فأعطاه الله ليلة القدر خيرا من ألف شهر لكل عامل الى يوم القيامة ، وكذلك روى عن ابن مسعود .

وما نظن أن مثل ذلك يصح رواية عنهما ، فان بنى اسرائيل كانوا يتهربون من القتال ، حفاظا على أرواحهم ، وضعفا فى ايمانهم ، فهم الذى قالوا لموسى عليه السلام « اذهب أنت وربك فقاتلا انا هاهنا قاعدون » فليس مقبولا أن يجاهد أحدهم ثلاثا وثمانين وسنة وثلثا فى سبيل الله ، وليس مقبولا القول بأن الرسول يرى هؤلاء أكثر من أمته أعمالا — وهم كذلك — ولا أطول منهم أعمارا ، فان آجالنا ليست بأقصر من آجالهم ، وأعمارنا وأعمارهم متقاربة ، وحسبك ما عرف من أعمار المومياوات (الجثث) الفرعونية ، فانها مثل أعمارنا ، كما أن أجسادهم فى حجم أجسادنا كما أنه ليس مقبولا أن يعدل قيام ليلها جهادا فى سبيل الله سواء كان الجهاد منا أو ممن سبقنا ، فان تعريض الأجساد والأرواح لأخطار الجهاد فى تأييد دين الله والدفاع عنه ، لا يمكن أن يفضله قيام ليلة واحدة مهما كان قدرها وفضلها ، فان الثواب على قدر المشقة .

ولو كان قيام ليلها يغنى عن الجهاد ألف شهر لتعرض الاسلام لخطر

كبير ، ولهذا قال بعض العلماء : ان المقصود من كونها خيرا من ألف شهر التكثير فى ثواب عبادتها ، وليس الحصر العددى ، والذى ينبغى فهمه أن هذه الليلة وان كان يعظم فيها قدر الأعمال وثوابها ، لقوله صلى الله عليه وسلم « من قام ليلة القدر ايمانا واحتسابا غفر له ما تقدم من ذنبه » رواه البخارى ومسلم ، فان كونها خيراً من ألف شهر حاصل بسبب أن القرآن العظيم نزل فيها ، فهو مصدر التشريع الالهى الرفيع ، والدستور الالهى الخطير ، فكانت هذه الليلة خيراً من ألف شهر لم ينزل فيها ، لما فيه من المنافع العظيمة التى تعود على الجنس البشرى فى عقيدته ، وسمو روحه وأخلاقه ، وقوانين معاشه وأحكام معاده .

لقد كان الناس يعيشون قبل الاسلام فى حروب متتابعة ، فلا تكاد تنتهى حرب حتى تبدأ حرب أخرى أشد وأقسى ، لأسباب بعيدة عن الحق دانية من الباطل ، الى جانب ما كانوا يعتقدونه من ألوهية الأوثان ، وربوبية البشر والحيوان ، وما كانوا يفشونه من مفاسد الأخلاق والعادات ، وأدران الذنوب والمظالم ، فكانت هذه الليلة التى نزل فيها القرآن حداً فاصلا بين هذا وأمثاله من أنواع الجهالة ، وبين العلم والعرفان ، ومعرفة الواحد الديان ، وقوانين السلوك والأخلاق الفاضلة .

أليس القرآن الذى أنزله الله فى هذه الليلة ، مصدراً للاستقرار والوحدة والتجمع بين الأمة العربية وبين سواها على أساس من العقيدة السديدة ، وتبادل النفع والخير والمحبة والسلام ، فى ظل شريعة عادلة ، لافضل فيها العربى على عجمى الا بتقوى الله تعالى ، فكيف لاتفضل هذه الليلة ألف شهر لم ينزل فيها القرآن والناس فى جهالتهم يعمهون ، أليست ليلة الشفاء خيراً من ألف شهر يقضيها المرء عليلا مهدما .

والمراد من نزول القرآن فيها ابتداء نزوله ــ كما قاله الشعبى ــ فقد بدأ انزاله فيها ثم تتابع انزاله حسب الوقائع التى نزل فى شأنها لمدة ثلاث وعشرين سنة ، هى مدة الدعوة المحمدية ، على صاحبها أفضل الصلاة والسلام .

وروى عن ابن عباس أن القرآن كله نزل ليلة القدر الى السماء الدنيا ، ثم تتابع نزوله منها منجما على النبى صلى الله عليه وسلم حسب الوقائع ، ولكن ابن عباس لم يرفع ذلك الى النبى صلى الله عليه وسلم ، ولعل ذلك من قبيل الرأى القابل للصواب والخطأ ، فانه لا حاجة لنزوله دفعة واحدة الى السماءالدنيا ،ففى وسع جبريل وطاقته الملكية الخطيرة ، أن ينقله من اللوح المحفوظ الى الرسول بسرعة تفوق حد الخيال ، كلمادعت الحاجة الى نزول آيات القرآن العظيم .

تعيين ليلة القدر

أكثر العلماء على أنها فى أوتار العشر الأخير من رمضان ، ومعظم هؤلاءعلى أنهاليلة السابع والعشرين منه ، وعمادهم فى ذلك ما روى عن ابن عمر رضى الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « من كان متحريها فليتحرها ليلة سبع وعشرين » وما صح من روايةأحمد ومسلم وأبى داود والترمذى وغيرهم عن زر بن حبيش أنه قال : قلت لأبى بن كعب : ان أخاك عبد الله بن مسعود يقول : من يقم الحول يصب ليلة القدر ، فقال : يغفر الله لأبى عبد الرحمن ، لقدعلم أنها فى العشر الأخير من رمضان ، وأنها ليلة سبع وعشرين » الى أخر الحديث : قال الترمذى : حديث حسن صحيح ، وخرجه مسلموبقية من ذكرنا ، وقال أبى بن كعب : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول « ليلة القدر ليلة سبع وعشرين » أى من رمضان .

وقال أبو بكر بن الوراق ، ان الله تعالى قسم ليالى هذا الشهر — شهر رمضان — على كلمات هذه السورة ،فلما بلغ السابعة والعشرين أشار اليها فقال (هى) وأيضا فان ليلة القدر تكرر ذكرها ثلاث مرات — وهى تسعة أحرف — فتجىء سبعا وعشرين : اهـ ولا شك فى أن هذه استنباطات لطيفة الى جانب الحديث الصحيح الذى عين أنها ليلة السابع والعشرين ، وقد تقدم نصه ورواته .

وبعد ما تقدم نقول : ان اختلاف العلماء فى تحديد وقتها تابع لاختلاف الروايات فى ذلك ، ولعل الله تعالى أخفى وقتها ليتعدد طلب العبد لها بألوان الدعاء والعبادة ، كما أخفى الاجابة فى الدعاء ليبالغ العبد فيه ، وكما أخفى ساعة الاجابة فى يوم الجمعة ليجتهد العبد فى الدعاء فى جميع يومها ، وكما أخفى موعد قيام الساعة عن الناس ليديموا الحذر من مفاجأتها .

ونحن نرجح أنها فى العشر الأخير من رمضان ، لأن النبى صلى الله عليه وسلم كان يعتكف فى المسجد فى هذه العشر ، وأغلب الظن أنه كان يفعل ذلك لوجودها فيها ، ويساعد على هذا الترجيح ما نقلناه من حديث ابن عمر وحديث زر بن حبيش ، وحديث أبى بن كعب ، قالت عائشة رضى الله عنها : « كان رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا دخل العشر الأخير شد مئزره وأحى ليله وأيقظ أهله » .

« تنزل الملائكة والروح فيها باذن ربهم من كل أمر »

أى تنزل الملائكة والروح فى تلك الليلة على دفعات ، باذن ربهم وأمره من أجل كل أمر قضاه الله عز وجل فى السنة القابلة ، ليباشروا تنفيذه ، فان فيها يفرق كل أمر حكيم على ماسبق بيانه ، والملائكة أجسام نورانية قادرة على التشكل ، لا يعصون الله ما أمرهم ويفعلون ما يؤمرون ، والروح هو جبريل عليه السلام ، قال تعالى « نزل به الروح الأمين : على قلبك لتكون من المنذرين : بلسان عربى مبين » وقيل الروح بمعنى الرحمة .

« سلام هى حتى مطلع الفجر »

أى يسلم فيها الملائكة على مؤمنى أهل الأرض تحية لهم ، وقيل يسلم الله عليهم ، والسلام من الله الرحمة ومن الملائكة استغفار .

ويجوز أن يكون المعنى أن الله يسالم فيها عباده ويتجاوز عن سيئاتهم السابقة اذا أقبلوا على عبادته جل وعلا ، ويستمر هذا السلام حتى مطلع الفجر .

من يحرز فضلها ؟

يحرز فضل هذه الليلة من قامها احتساباً لوجه الله تعالى ، قال صلى الله عليه وسلم « من قام ليلة القدر

ايمانا واحتسابا غفر له ما تقدم من ذنبه » أخرجه البخارى ومسلم •

وقال النووى فى شرحه لمسلم لا ينال فضلها الا من أطلعه الله عليها ، فمن قامها ولم يشعر بها لم ينل فضلها ، وخالفه المتولى والأوزاعى ، حيث قالا ان فضلها يناله من قامها باخلاص لله تعالى •

احياء ليلة القدر

احياؤها يكون بالصلاة والدعاء وقراءة القرآن والسنة النبوية فى وقت منها ، فلا ينام ليلها كله ، وأخرج مالك فى الموطأ عن سعيد بن جبير « من شهد العشاء من ليلة القدر فقد أخذ بحظه منها » أى من صلاها فى جماعة فقد نال حظا من قيامها الذى يحرز به فضلها ، قال القرطبى : ومثله لا يقال بالرأى •

وأخرج البيهقى عن أنس بن مالك قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « من صلى المغرب والعشاء فى جماعة حتى ينقضى شهر رمضان ، فقد أصاب من ليلة القدر بحظ وافر » •

وأخرج الامام أحمد والترمذى وصححه والنسائى وابن ماجه وغيرهم عن عائشة رضى الله عنها قالت : قلت يارسول الله : ان وافقت ليلة القدر فما أقول ؟ قال : قولى: « اللهم انك عفو تحب العفو فاعف عنى » •

وقال سفيان الثورى : الدعاء فى تلك الليلة أحب من الصلاة ، قال : اذا قرأ ودعا كان حسنا ، ونحن نقول : اذا ضم الى ذلك الصلاة كان أحسن •

أصحاب الحظ السعيد

هم أولئك الذين يكشف الله لهم بعض ملكوت السموات والأرض فيرون الملائكة فيها على صورها ، بين قائم وقاعد وراكع وساجد ، ومسبح ومكبر ، ويشاهدون من عظمة الملك والملكوت مايحير الألباب ويجلى لهم كبرياء ذى الجلال والاكرام ، نسأل الله تعالى أن يجعلنا واياك أيها القارىء الكريم من أهل شهودها المنتفعين ببركاتها•

مصطفى محمد الحديدى الطير

من تراثنا الحديث :

شهر رمضان

للمرحوم الدكتور محمد عبد الله دراز

واستدار الزمان، وعادشهر رمضان.

عاد الينا بعد أن نسينا كثيرا ، وبعد أن سبحنا فى شؤون دنيانا سبحا طويلا عاد رمضان ، وقدر لنا أن نعود معه لنشهد ايامه الغراء ، ونحيى لياليه الزهراء ... ترى هل يمتد بنا العمر ، فنعود اليه كرة أخرى ؟ أم هل يسبق الأجل ، فلا نلقاه بعد عامنا هذا ؟

الا من اتخذ عند الله عهدا أنه سينسأ له فى أجله ، حتى يلقى رمضان فى عام قابل ، معافى فى بدنه موفورا فى رزقه ، ممكنا من تدارك أمره ، صادقا فى نيته ، راشدا فى عزيمته .. من اتخذ عند الله عهدا بذلك ، فليبطىء ما شاء أن يبطىء فى عمله ، وليسترسل ما شاء أن يسترسل فى أمله وليسوف وليؤجل ، ما بدا له أن يسوف ويؤجل .

أما والقدر مستور محجب والأجل قد ينتهى فى لمحة والساعة لا تأتى الا بغتة ، فمن الحمق والله أن نبيع حاضرا بغائب ، وأن نستبدل شكا بيقين . « أفرأيت ان متعناهم سنين ، ثم جاءهم ما كانوا يوعدون ، ما أغنى عنهم ما كانوا يمتعون » « أو لم ينظروا فى ملكوت السموات والأرض وما خلق الله من شى وان عسى أن يكون قد اقترب أجلهم، فبأى حديث بعده يؤمنون» وفى أى فرصة بعدها يتداركون ؟ أفينتظر كل امرىء منا حتى يجيئه اليوم الذى يقول فيه : « رب ارجعون لعلى أعمل صالحا فيما تركت »أو يقول : «رب لولا أخرتنى الى أجل قريب فأصدق وأكن من الصالحين » .

كلا ، بل الحزم كل الحزم ، والكيس ، كل الكيس ، أن نغتنم

هذه الفرصة السانحة ولا نضيع هذه الصفقة الرابحة .

نعم ، انها لفرصة سانحة . الا تعرف من فصول الزمان ، فصلا خصيبا يورق فيه الشجر ، ويتفتح فيه الزهر ، وتطيب فيه التربة ، وتبارك فيه الحبة ، فتؤتى أكلها ضعفين أو أضعافا كثيرة ؟ ..

انه الربيع ، يتحينه الزراع ويترصدونه ليلقوا فيه بذرهم ، وليغرسوا فيه غراسهم ..

هكذا رمضان ، هو ربيع الأرواح ، كل ما أزلفت فيه النفس من خير وبر يزكو وينمو ويربو : صيامه وقيامه وصدقاته وغدواته وروحاته كلها مباركة مضاعفة الأجر ، وحسبه أن فيه ليلة القدر

وما أدراك ماليلة القدر ؟ ليلة القدر خير من ألف شهر .

فما أجدر المتخلفين منا عن الركب ان يتداركوا فى هذا الربيع ما فاتهم ، وأن يحاولوا اللحاق بالقافلة ، قبل أن ينقطع الطريق بهم .

وما أقدر السائرين منا فى هذه القافلة السماوية على أن يضاعفوا اليوم جهودهم ، وأن يستحثوا مطاياهم وركائبهم ، ليزدادوا اقترابا من مثلهم العليا .

ألا وليكن أول ما نبدأ به حين نستمع الى هذا النداء ، أن نلتفت التفاتة يسيرة الى الوراء ، لنحصى على انفسنا سقطاتنا وزلاتنا ، ولنمحو بماء الندم ما مضى من تفريطنا فى حق ربنا ، ولنوطن العزم على الجد والاستقامة فى مستقبل أمرنا . . تلك هى الخطوة الأولى فى الاستجابة لداعى الله ، وتلك هى حقيقة الاستغفار الذى جعله الله ضمانا للأمن والأمان ، فى هذه الحياة ، وفيما بعد هذه الحياة ، وذلك حيث يقول عز شأنه مخاطبا رسوله الرؤوف الرحيم « وما كان الله ليعذبهم وأنت فيهم وما كان الله معذبهم وهم يستغفرون » فكان للأمة اذ ذاك حصاتتان من البلاء : حصانة بوجود الرسول بين ظهرانيهم وحصانة باستغفارهم لذنوبهم واليوم وقد ذهبت الحصانة الأولى ولم يبق لنا الا الحصانة

الثانية . فان ضيعناها هى الأخرى باصرارنا على اقرار الكفر، والالحاد، واهمالنا لقمع الفجور والفساد فسوف يسلط الله علينا بذنوبنا من لا يرحمنا ، وسوف يهلكنا بما فعل السفهاء منا ، ولن يكون لنا منه يومئذ ضمان ولا أمان ،فان من لا ايمان له لا أمان له « فاى الفريقين أحق بالأمن ان كنتم تعلمون ؟ الذين آمنوا ولم يلبسوا ايمانهم بظلم اولئك لهم الامن وهم مهتدون » .

فلنبدأ عملنا فى هذا الشهر الكريم بالاقلاع عن كل ظلم ، والتوبة والإنابة من كل اثم : « ربنا أغفر لنا ذنوبنا واسرافنا فى أمرنا » ربنا ظلمنا أنفسنا وان لم تغفر لنا وترحمنا لنكونن من الخاسرين » . فاذا أتممنا هذه الخطوة السلبية بالتنزه والتطهر ، بقى علينا أن تتبعها خطوة ايجابية بالتجمل والتكمل ، والبناء والانشاء .. نعم ، بعد أن تفرغ قلوبنا من ظلمات الشهوة ، يجب أن نملأها بنور الحكمة فليس الشأن كل الشأن فى رمضان أنه شهر الجلد والمقاومة ، ولكنه فوق ذلك هو شهر الهدى والرحمة .. هدى ورحمة منشوران على الأرض، وهدى ورحمة مرسلان من السماء.

فيه تزدحم بيوت الله ليلا ونهارا بالراكعين والساجدين ، والقارئين والذاكرين ، والمرشدين والمسترشدين وفيه تفيض قلوب المؤمنين رحمة وحنانا ، وبرا واحسانا ، بالفقير والمسكين،واليتيم وابن السبيل فذلك هو الهدى وتلك هى الرحمة المنشوران على الارض .

وفيه أنزل القرآن ، هدى للناس وبينات من الهدى والفرقان وفيه تصب الرحمات ، وتستجاب الدعوات : « واذا سألك عبادى عنى فانى قريب اجيب دعوة الداع اذا دعان » فذلك هو الهدى وتلك هى الرحمة المرسلان من السماء .

أيها الصائم : ان العاقل ، لا يقدم على أمر الا اذا رسم هدفه وحدد غايته ، وان المؤمن ، لايعمل عملا الا اذا صحح فيه نيته ، وتبين سداده واستقامته . فهل حددت هدفك من صيامك وصححت نيتك

فيه ؟ أم هى العادة الموسمية ، والمتابعة للعرف السائر ؟

انى لاربأ بك أن تكون فى مسلكك هذا ، أسيرا لعادة من العوائد ، فردية كانت أو جماعية ، فان الله الذى جعل زمام قيادتك فى عقلك وقلبك ، لا يرضى لك أن تتبدل من هذه القيادة الرشيدة قيادة العادات العمياء ، التى تجعل منك آلة أو شبه آلة . وان الله الذى خلقك سيد نفسك ، يكره منك أن تكون امعة تصوم كما يصوم الناس وتفطر كما يفطرون ، وانت لا تدرى فيم صاموا ولا فيم افطروا .

اما اذا كنت فكرت وقدرت ، وآثرت هذه التضحية والحرمان عن بصيرة وبينة ، فحدثنى مليا عن دخيلة نفسك وصف لى حقيقة الخير الذى تبتغيه من هذا الصوم .

هل رأيت فيه استجماما لأجهزتك ، وتجديدا لأنسجتك ، وحمية تصحح بها بدنك ، أو وجدت فيه اقتصادا لشىء من نفقاتك ، وادخارا لبعض أوقاتك ؟ أو رأيت فيه فرصة لاعلان شدة مراسك وقوة احتمالك وتحديك للشدائد والآلام واستعدادك لنوب الزمان ؟

أيها الصائم ..

اننى لست أنكر ، أن يكون من خصائص الصيام ، الوفاء بهذه الوظائف كلها ، واضعاف اضعافها ولكنى أحذرك وانذرك أحذرك ، أن يكون هدفك وهمك شيئا ، من هذه الأغراض النفعية وأشباهها وانذرك بأنك ان فعلت ذلك . لم تزد على أن تكون رجلا رياضيا جسورا ، أو اقتصاديا دقيق الحساب ، أو متطببا يلتمس أيسر السبل للوقاية أو العلاج ، أو ماشئت ان تكون غير ذلك . أما أن تحسب نفسك صائما فى نظر الاسلام فلا ..

فالصوم فى الاسلام لا يكفى فيه هذا المظهر السلبى المادى ، الذى يقوم على اجتناب المفطرات لأى باعث كان ، ولأى هدف اتفق وانما هو قبل كل شىء عمل روحى ايجابى ، يتحرى فيه العامل الهدف الذى حددته له الشريعة ، ويجعل

نيته فيه ، وفقا لارادة ربه منه • فاعرف اذا ، ماذا اراد ربك من صومك ، واعمل على أن تكون نيتك وفقا لارادته ، وليكن أول ماتذكره من ذلك ، ان الله الرحيم ، لا تعنيه من صومك حرارته ومرارته ، ولا يناله من جسمك دبوله وهزاله ، وانه اذا كانت هنالك أديان ونحل، ترى فى ألم الجسم مقعدا يطلب • وترى فى الارتفاق بالطيبات عدوا يحارب ، فليس الاسلام من بين هذه الاديان • كيف وهو الذى يقول « لاتحرموا طيبات ما أحل الله لكم » ويقول : « يريد الله بكم اليسر ولا يريد بكم العسر » انه لو كانت غاية الصوم هى اشعار الصائم بالجوع والعطش ، لكان الرجل العادى ، يكفيه صوم جل اليوم ، بدل صومه كله ، ولكان الرجل الفاقد لشهية الطعام يجب عليه أن يضيف مدة أخرى يشعر فيها بألم المخمصة ، ولكننا نعلم ، أن الذى يزيد فى مدة الصوم ، ولا يتحلل من حرمانه ولو بالنية عند غروب الشمس ، آثم • وان مثله فى الاثم كمثل الذى ينقص من مدة الصوم فيفطر قبل الغروب • ونعلم من جهة أخرى أن الذى يراعى شرائط الصوم وحدوده ، وهوعلى صومه معان ، وله ميسر مبرور مأجور ، كالذى يكابد فيه شيئا من تغير المزاج •

ليس هدف الصوم اذا هو هذا الألم البدنى ، وان كان هذا الألم قد يقع فى طريقه • أن الله عز وجل حين قال لنا « كتب عليكم الصيام» لم يقل : لعلكم تتألمون ، كما أنه لم يقل لعلكم تصحون ،أو لعلكم تقتصدون ، وانما قال : « لعلكم تتقون » فجعل الصوماختبارا روحيا ،وتجربة خلقية واراد منه أنيكون وسيلتك الى نيل صفة المتقين ، وأداتك فى اكتساب ملكة التقوى •

التقوى • هذا هو الهدف الحقيقى ، الذى ان اصبته جاءت من ورائه كل الثمرات مكرهة راغمة وان اخطأته فقدأضعت عملك كله سدى «من كان يريدحرث الآخرة نزد له فى حرثه ، ومن كان يريد حرث الدنيا نؤته منها وما له فى الآخرة من نصيب »

فما أدراك ما التقوى ؟ إنك لن تحيط بكنهها ، ولن تقدرها ، حق قدرها الا اذا عرفت طبقات الكائنات ومراتب الوجود . فاعلم ان للوجود ثلاث مراتب «مرتبة السيادة العظمى» وهذه قد استأثر بها الواحد الأحد الفرد الصمد .. «ومرتبة العبودية الدنيا» . وهذه هى مرتبة الكائنات العاجزة المسخرة لقانون الطبيعة ، والتى ليس لها من الحرية نصيب كالجماد والحيوان . وان الانسان ليهبط الى هذه المنزلة اذا وقع أسيرا فى قبضة شهواته . بين هاتين المرتبتين مرتبة تجتمع فيها السيادة على الكون .. والعبودية لخالق الكون وتلك هى المنزلة التى يصعد اليها الانسان ، اذا وقف يتلقى أوامره العليا من ربه ، ثم جعل يلقى هذه الأوامر على جنوده من القلب والجوارح .

فاذا اسلمت لـه تلك الجنـود مقاليـدها ، فصـار قائدا مطاعا فى جنده ، سيدا مهيبا فى مملكته الصغيرة فقد نال صفة القوى ، وأصبح جديرا بالاستخلاف فى الارض والتمكين له فيها . وأكرم بعبـودية هى عين السيادة .

تلك هى التقوى التى أراد الله أن تكون ثمرة صيامك . وهى فى الحقيقة هدف مشترك بين العبادات والطاعات جميعا . غير أن للصوم فى تحصـيلها أثرا أوسـع وأعم . والمنـزلة التى يبلغها الصـائم بين مراتب المتقين . هى أعلى المراتب وأسماها .

اما أن أثر الصـوم فى التقوى أوسـع وأعم ، فلأن التقوى التى تثمرها هذه الواجبات انما هى كف عن المحارم . أما الصيام فانه يجىء من وراء هذه الدائرة المحظورة ، فيضيف اليها نطاقا جديدا . يعلمنا به كيف نكـف عن بعض الحـلال والمباح ؟ وكيف نستغنى أحيانا عما هو فى العادة من مقومات الحيـاة فاذا كانت الطاعات الأخرى تورث أوائل درجات التقوى ، بالاعتدال والاسـتقامة ، فان الصيام يورث نهاية درجاتها ، بالزهد والورع .

ان منزلة الصيام ، هى أسـمى مراتب التقوى ، وأكرمها عند الله فان فى سـائر العبـادات جوانب تحببها الى النفـوس الكـريمة ، وتقربها من مقتضى الطباع السليمة ففى الصلاة مثلا ، حلاوة المناجاة وفى الزكاة ، اريحية الجود والكرم وفى الجهاد عزة الحمية واباء الضيم أما الصـيام فانه ليس فيه معاونة من الطبـع ، بل فيه على العكس معاندته ومقاومته ، فكان أقـرب الأعمال الى الخلوص عن الشوائب. ولعله من أجل ذلك كانت الأعمال كلها يثاب عليها بأضعاف معلومة ، من العشرة الى السـبعمائة ، الا الصوم فان تضعيف جزائه لايدخل تحت حصر ولا عد ، كما جـاء فى الحديث القدسى : « كل عمل ابن آدم لـه الا الصـوم فانه لى وأنا أجزى به » ومصـداقه فى الكتاب العـزيز : انما يوفى الصـابرون أجرهم بغير حساب .

هذا الفضل العظيم انما هو كما قلنا ، لمن فقه حكمة الصوم وصحح فيه نيته ، وذلك انما يكون بجعله نهاية الطهر لا بدايته . فبـداية الطهر ، طهر الأبرار ، بترك المحارم ونهاية الطهر طهر الأخيار بالتحـرر من عادة الترف والعيش الناعم ،حتى اذا جاء الغد ، وجد الجد ، ودعا الداعى الى التضحية العظمى نكون لقد أخذنا للأمر عدته ،حيث مارسنا الصـبر وشـدته ويومئـذ نرضى بالظمأ ، والنصب ، والمخمصـة فى سـبيل الواجب ، ولا نرضى أبدا أن نعود الى الترف والنعيم تحت الذل وفى قبضة الغاصب .

وتلك هى عبـرة السـاعة من درس الصيام ...

بلال .. والأذان :

كان أذان « بلال » للمرة الأولى على أطلال الوثينة هو فى الواقع أنشودة الحرية الأولى للعالم ، وترنيمة الفلاح الكبرى التى حملتها الريح فى اعطافها الى أذن الانسانية الراسفة فى قيودها والمصفدة فى اغلالها ! لقد كان أذانه فاتحة عصر جديد وتاريخ جديد وحضارة جديدة ... لا دعوة للصلاة فحسب.

بلاغة الأسلوب النبوى

للأستاذ الشيخ منشاوى عثمان عبود

— ٢ —

تمهيد :

قلت فى المقال السابق : ان الله تعالى اختار رسله الكرام — صلوات الله وسلامه عليهم — من صفوة البشر وحملهم أمانة التبليغ عنه ، والدعوة الى دينه .

وأداء هذه المهمة السامية لا يتأتى الا بأن يتوفر لكل رسول القدرة على صحيح البيان ، وحسن الأداء ، وفصاحة اللسان وبلاغة المقال ، واستقامة الحجة ، وقوة البرهان .

واذا كانت بلاغة القول أمرا لازما تقتضيه مهمة كل رسول من رسل الله السابقين — كما بينا — فهى بالنسبة لرسولنا الأكرم أشد لزوما ، وأكثر حاجة ، وأعظم أثرا ، اذ قد بعث صلوات الله وسلامه عليه فى أمة عربية تعتز بالفصاحة ، وتتبارى فى البلاغة ، وتمجد البيان ، فتسمو بأهل الاجادة والبراعة فيه الى أعلى مناصب الرفعة والتكريم ، فاقتضت الحكمة الآلهية أن يؤيد الرسول بالمعجزة الباهرة الخالدة ، وأن تكون تلك المعجزة من جنس ما يشغل فراغ القوم ، ويأخذ بألبابهم ، فأنزل عليه القرآن الكريم ، فبهرهم بجزالة المعنى ، وفخامة اللفظ ، وحسن السياق ، واحكام النظم ، فخر أئمة البيان صاغرين أمام عظمته ، وأذعنوا لاعجازه ، واقتضت الحكمة الالهية أيضا أن يكون هذا الذى أنزل عليه القرآن المعجز فى درجة من البيان تلى ذلك الكتاب الكريم ليستطيع أن يبلغه فى صورة مشرقة .

لذا أتم الله تعالى على نبيه نعمة البيان ، فكان المثل الأعلى فى فصاحة اللسان ، وبلاغة القول ، وروعة الأداء .

وقد حاولت أن أذكر بعض النماذج لبلاغة الأسلوب النبوى فقلت ان البلاغيين يعرفون البلاغة بأنها مطابقة الكلام لمقتضى الحال مع فصاحته .

وبينت أنه ما من شأن من الشئون تكلم فيه الرسول عليه الصلاة والسلام الا واستكملت فيه رعاية المطابقة لمقتضى الحال بأفصح أسلوب وأبلغ عبارة ، وذكرت مثالا لهذا .

وفى هذا المقال أحاول أن أذكر مثالا آخر ، وأعرض لبعض آخر من صنوف البلاغة فأقول : روى البيهقى وابن حبان والطبرانى وأبو نعيم عن عبد الله بن سلام ـ بسند صحيح ـ كما قال السيوطى ـ (أن زيد بن سعنة جاءه صلى الله عليه وسلم قبل اسلامه ـ يتقاضاه دينا عليه ، فجبذ ثوبه عن منكبيه ، وأخذ بمجامع ثيابه ، وأغلظ له ، ثم قال انكم يا بنى عبد المطلب مطل ، فانتهره عمر ، وشدد له فى القول ، والنبى صلى الله تعالى عليه وسلم يبتسم ، فقال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم : أنا وهو كنا الى غير هذا منك أحوج يا عمر : تأمرنى بحسن القضاء وتأمره بحسن التقاضى ثم قال صلى الله عليه وسلم : لقد بقى من أجله ثلاث ، وأمر عمر يقضيه ماله ، ويزيده عشرين صاعا لما روعه فكان سبب اسلامه) .

تفسير الكلمات :

(زيد بن سعنة) بفتح السين وسكون العين وفتح النون ، وهو حبر من أحبار اليهود الذين أسلموا وهو من أكثرهم مالا وعلما ، حسن اسلامه وشهد المشاهد وتوفى مرجعه صلى الله عليه وسلم من تبوك .

(مطل) بضم الميم والطاء ، جمع ماطل ، وهو من يتلكأ فى سداد الدين مع القدرة على الأداء .

(بحسن القضاء) أداء الدين على وجه مرضى .

(بحسن التقاضى) أى المطالبة بالدين فى تيسير ورفق .

(بقى من أجله ثلاث) أى بقى من تأجيل الموعد لسداد دينه ثلاثة أيام .

(ويزيده عشرين صاعا) المراد اعطاؤه ذلك القدر من تمر — كما جاء فى شرح الحديث — (نسيم الرياض لشفاء القاضى عياض) للشهاب الخفاجى .

(لما روعه) أى أمر صلى الله عليه وسلم باعطاء هذا القدر المذكور لصاحب الدين ، لترويع عمر له — اذ هم بقتله — كما جاء فى بعض روايات الحديث التى أوردها صاحب الشرح السابق .

(فكان سبب اسلامه) أى فكان حسن صنيع النبى صلى الله عليه وسلم معه سبب دخوله فى الاسلام .

هذه الواقعة تعتبر من أصدق الشواهد على أنه — عليه الصلاة والسلام — سلك ما يقتضيه الحال فى أروع صورة ، وأكرم موقف ، وبأحكم قول ، وأبلغه ، وأبينه .

فهذا رجل يهودى ، جاء الى النبى — صلى الله عليه وسلم — يطلب دينه قبل موعده الذى التزمه ، ولم يكتف بأنه نقض عهده فى تأجيل هذا الدين ، فذلك يقتضيه أن يطلبه فى رفق واستحياء ، ولكنه طلبه فى حال بالغة من العنف والبشاعة ، اذ جذب بشدة ثوبه — عليه الصلاة والسلام ، وقبض على مجامع ثيابه ، ووجه اليه كلاما جافا نابيا ، عدا به على كرامته ، وكرامة قومه : (انكم يا بنى عبد المطلب مطل) .

ولقد بلغ سوء التصرف من اليهودى ، وقبح مقاله الى حد أثار عمر بن الخطاب — رضى الله عنه ، اذ رأى فى هذا عدوانا أثيما على مقام الرسول الكريم ، فزجر هذا الرجل ، وشدد له فى القول ، وهم بقتله — كما جاء فى بعض روايات الحديث .

لكن الرسول عليه الصلاة والسلام — بخلقه العظيم ، وإمكانه الرفيع ، وأفقه الأعلى يبتسم رضا بثورة عمر على الظلم والباطل ، وحماسه للعدل والحق ، ووفائه العظيم للرسول الأمين — ولم يستفزه — صلوات الله وسلامه عليه — ما صدر من الرجل ، ولم يحمله سوء تصرفه على أن يوافق عمر على الانتقام منه ، ومقابلة

الاساءة بمثلها ، فوجهه ـ عليه الصلاة والسلام ـ الى أهدى سبيل ، وأقوم نهج ، وأكرم سلوك .

فبين لعمر الموقف الذى ينبغى أن يقفه ، والمهمة التى كان يجدر به أن يؤديها ، فقال له :

(أنا وهو كنا الى غير هذا منك أحوج يا عمر : تأمرنى بحسن القضاء وتأمره بحسن التقاضى) .

وفى هذا أروع صورة للتواضع العظيم ، والقول الرشيد ، حيث جعل النبى ـ صلى الله عليه وسلم ـ نفسه واحدا من الأمة يتوجه الأمر اليه من أحد أتباعه ، وسوى بينه وبين خصمه اليهودى فى طلب توجيه الأمر الى كل منهما ، بل وبدأ بنفسه فى هذا فقال :

(تأمرنى بحسن القضاء ، وتأمره بحسن التقاضى) .

وأراد ـ عليه الصلاة والسلام ـ أن يشعر الرجل ببعض خطئه ، وأن يضرب المثل الأعلى ، والأسوة الطيبة فى الصبر على ما بدر من صاحب الدين ، والتغاضى عن اساءته ، والترفق فى معاملته ، فقال: (لقد بقى من أجله ثلاث) وفى أمره صلى الله عليه وسلم لعمر بالذات أن يقضى الرجل ماله ـ مظهر من مظاهر الترضية لهذا الرجل ، لأن عمر ـ رضى الله عنه ـ هو الذى انتهره ، وشدد له فى القول ، فيكون فى قيامه بأداء ماله تطييب لخاطره .

ومن أروع مقابلته ـ عليه الصلاة والسلام للاساءة بالاحسان ، ودفعه للسيئة بالتى هى أحسن ـ أنه لم يكتف بأمر عمر ـ أن يدفع اليه حقه الذى طلبه قبل موعده ، وأساء فى طلبه ، بل أمر عمر أيضا ـ أن يزيده على حقه عشرين صاعا ـ نظير تخويفه وترويعه ـ ، فأى اكرام للمسىء يرتفع الى هذا المقام ؟

وأى رعاية لمقتضى حال كل من الرجل وعمر تسمو الى هذه الرعاية ؟

وأى قول يبلغ فى بيان واجب كل من المتخاصمين والحاضر لخصومتهما ما بلغه هذا القول

النبوى مع الفصاحة والاشراق ؟ ان الناظر فى هذه الواقعة نظرة فاحصة ــ يدرك ادراكا جازما ــ أن الله تعالى ــ كما جعل رسوله ــ صلى الله عليه وسلم ــ مثلا أعلى فى فضله وكما له ــ جعله نموذجا فريدا فى قوله وبيانه .

وحسبنا شاهدا على ما نقول ــ ان تلك الواقعة ــ بما اشتملت عليه من حكمته ــ عليه الصلاة والسلام ــ فى التصرف ، وسداده فى القول ــ جعلت من هذا العدو الألد ، العنيف الخصومة ــ بشرا سويا ، يفارق دينه ويدخل فى الاسلام ، مذعنا لمبادئه ، معجبا بسماحته ، معتزا بتعاليمه ، مدافعا عنه ، مجاهدا فى سبيل ربه ، فشهد مع رسول الله ــ صلى الله عليه وسلم ــ كثيرا من المشاهد والغزوات ، فصار أهلا للعطاء الالهى الكريم الدال عليه قوله تعالى : « والذين جاهدوا فينا لنهدينهم سبلنا وان الله لمع المحسنين(١) » .

٢ ــ قد يكون الكلام مناسبا للخاصة من الناس ، بليغا فى حقهم ، لكنه يرقى عن مستوى العامة ، فلا يدركون له مغزى ، ولا ينالون منه نفعا ، وقد يكون واضحا لدى العامة ، لائقا بهم ، لكنه يكون مبتذلا عند الخاصة ، لا يظفر منهم باعجاب ، ولا يحظى بتقدير ، وقلما يوجد كلام تشترك الطائفتان فى فهمه ، وادراك مقاصده ، واعتباره .

لكن كلام رسول الله ــ صلى الله عليه وسلم ــ كان بينا هادفا ، حاسما ، يفهمه جميع السامعين .

روى أبو داود عن عائشة ــ رضى الله عنها ــ قالت :

كان كلام رسول الله صلى الله عليه وسلم ــ كلاما ، فصلا ، يفهمه كل من سمعه .

الحديث موصول .

منشاوى عثمان عبود

---

(١) سورة العنكبوت آية رقم ٦٩

تغير الفتوى بتغير الأزمنة والأمكنة والأحوال والأعراف

لفضيلة الدكتور يوسف القرضاوى

— ٢ —

هدى الصحابة فى تغير الفتوى :

والناظر فى هدى الصحابة وسنة الراشدين — رضى الله عنهم — يجدهم أفقه الناس فى استعمال هذه القاعدة — قاعدة تغير الفتوى بتغير موجباتها — ولذلك أمثلة عديدة يجدها من طلبها فى مظانها . نذكر شيئا منها هنا :

تغير فتواهم فى عقوبة شارب الخمر:

فمما تغيرت به فتواهم بتغير الزمن والحال عقوبة شارب الخمر . فانه لم يكن فيها فى زمن رسول الله — صلى عليه وسلم — حد مقدر ، وانما جرى الزجر فيه مجرى التعزير .

روى البخارى عن عتبة بن الحارث : أن النبى صلى الله عليه وسلم — أتى بنعيمان أو ابن نعيمان ، وهو سكران ، فشق عليه ، وأمر من فى البيت أن يضربوه ، فضربوه بالجريد والنعال ، وكنت فيمن ضربه (١) .

وروى أيضا عن أبى هريرة قال: أتى النبى — صلى الله عليه وسلم — برجل قد شرب ، قال : اضربوه ، قال أبو هريرة : فمنا الضارب بيده ، والضارب بنعله ، والضارب بثوبه . فلما انصرف قال بعض القوم : أخزاك الله ! قال : لا تقولوا هكذا ، لا تعينوا عليه الشيطان ! (٢) .

وأخرج عبد الرزاق فى مصنفه عن معمر وابن جريج : سئل ابن

(١، ٢) كتاب الحدود من صحيح البخارى . باب : الضرب بالجريد والنعال .

شهاب : كم جلد رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ فى الخمر ؟ قال : لم يكن رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ فرض فيها حدا ، كان يأمر من حضره يضربون بأيديهم ونعالهم ، حتى يقول رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ ارفعوا (١)

وروى أيضا نحو ذلك عن عبيد ابن عمير من كبار التابعين (٢) وسيأتى بعد ..

بل ورد : أن النبى ـ صلى الله عليه وسلم ـ لم يضرب الشارب أصلا فى بعض المواقف . وذلك فيما أخرجه أبو داود والنسائى بسند قوى ـ كما فى الفتح ـ عن ابن عباس : أن رسول الله صلى الله عليه وسلم ـ لم يوقت فى الخمر حدا . قال ابن عباس : وشرب رجل فسكر ، فانطلق به الى النبى ـ صلى الله عليه وسلم ـ فلما حاذى دار العباس ، انفلت فدخل على العباس فالتزمه ، فذكر ذلك للنبى ـ صلى الله عليه وسلم ـ فضحك ، ولم يأمر فيه بشىء (٣) .

وأخرج الطبرى من وجه آخر عن ابن عباس « ما ضرب رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ فى الخمر الا أخيرا . ولقد غزا تبوك فغشى حجرته من الليل سكران ، فقال : ليقم اليه رجل فيأخذه بيده حتى يرده الى رحله » (٤) .

والظاهر أن النبى ـ صلى الله عليه وسلم ـ تساهل فى أول الأمر لقرب عهدهم من حل الخمر ، حتى اذا استقر التشريع ضرب وجلد ، وان لم يوقت حدا . بل جلد الأربعين ودون الأربعين وفوق الأربعين كما يبدو ذلك من مجموع الروايات .

ولما انتهى الأمر الى أبى بكر ـ رضى الله عنه ـ قرر العقوبة أربعين على طريق النظر كما قال الشاطبى (٥)

(١ ، ٢) المصنف ج ٧ ص ٣٧٧
(٣) فتح البارى ج ١٥ ص ٧٧ ط الحلبى .
(٤) المصدر السابق .
(٥) الاعتصام ج ٢ ص ١١٨
(٦) المصدر السابق .

فقد روى البيهقى عن ابن عباس أن الشراب كانوا فى خلافة أبى بكر أكثر منهم فى عهد النبى — صلى الله عليه وسلم — فقال أبو بكر : لو فرضنا لهم هذا ! فتوخى لهم نحوا مما كانوا يضربون فى عهد النبى — صلى الله عليه وسلم — فكان أبو بكر رضى الله عنه يجلدهم أربعين حتى توفى (١) .

وهذا يدل على أن تقديره للضرب فى عهد النبى — صلى الله عليه وسلم — تقدير تقريبى . كما جاء فى حديث أنس أن النبى — صلى الله عليه وسلم — ضرب نحوا من أربعين . وكلمة « نحوا » تدل على التقريب لا على التحديد .

وروى عبد الرزاق عن أبى سعيد الخدرى : أن أبا بكر ضرب فى الخمر بالنعلين أربعين (٢) والضرب بالنعلين ليس من جنس ضرب الحدود المقدرة .

فلما كان عهد عمر بن الخطاب رضى الله عنه — شاور الناس فى جلد الخمر — وقال ان الناس قد شربوها واجترأوا عليها ! فقال علي : ان السكران اذا سكر هذى، واذا هذى افترى (أى قذف الأبرياء) فاجعله حد الفرية (أى القذف) فجعله عمر حد الفرية ثمانين (٣) .

ومعنى هذا أنهم أقاموا السبب مقام المسبب ، أو المظنة مقام الحكمة، فرأوا الشرب ذريعة الى الافتراء الذى تقتضيه كثرة الهذيان .

وجاء فى سبب هذه المشاورة من عمر أن خالد بن الوليد كتب اليه : ان الناس قد انهمكوا فى الشرب وتحاقروا العقوبة (٤) .

---

(١) السنن الكبرى ج ٨ ص ٣٢٠

(٢) المصنف لعبد الرازق ج ٧ ص ٣٧٩

(٣) رواه عبد الرازق ج ٧ ص ٣٧٨

(٤) رواه أبوداود والنسائى من حديث عبد الرحمن بن أزهر — كما فى الفتح المذكور

وروى مسلم والنسائى أن عبد الرحمن بن عوف قال لعمر حين استشارهم : أخف الحدود ثمانون. فأمر به عمر (١) .

وفى مرسل عبيد بن عمير ـ عند عبد الرزاق ـ قال : « كان الذى يشرب الخمر يضربونه بأيديهم ونعالهم ويصكونه ، فكان ذلك على عهد رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ وأبى بكر ، وبعض امارة عمر ، ثم خشى يغتال الرجل ، فجعله أربعين سوطا ، فلما رآهم لايتناهون جعله ستين ، فلما رآهم لا يتناهون جعله ثمانين ، ثم قال : هذا أدنى الحدود (٢) .

وهذا يدل على أنه وافق عبد الرحمن فى أن الثمانين أخف الحدود ، أى الحدود المذكورة فى القرآن ، فهو أخف من حدى: الزنى والسرقة.

وقد روى البخارى عن السائب ابن يزيد قال : كنا نؤتى بالشارب على عهد رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ وامرة أبى بكر وصدرا من خلافة عمر ، فنقوم اليه بأيدينا ونعالنا وأرديتنا ، حتى كان آخر امرة عمر ، فجلد أربعين ، حتى اذا عتوا وفسقوا جلد ثمانين(٣)

والمراد بآخر امرته وسطها ، كما يدل عليه قوله « وصدرا من خلافة عمر » وقد روى النسائى الحديث نفسه بلفظ (٤) حتى اذا كان وسط امارة عمر فجلد فيها أربعين ، حتى اذا عتوا .. الخ (٥) .

أما عثمان فجلد ثمانين وأربعين، وعلى ورد عنه الأمران . وقال : كل سنة . ومعاوية أثبت الجلد ثمانين (٦) .

---

(١) الفتح ج ١٥ ص ٦٧
(٢) المصنف ج ٧ ص ٢٧٧ ، ٣٧٨
(٣) البخارى ـ باب الضرب بالجريد والنعال .
(٤) الفتح : ج ١٥ ص ٧٣
(٥) سنن الدارقطنى ج ٣ ص ١٥٧ ـ ١٥٨ والفتح ج ٥ ص ٦٤ ـ ٧٧
(٦) رواه الدارقطنى وغيره .

والذى يعنينا مما ذكرناه هنا أن الصحابة ــ رضى الله عنهم ــ لم يثبت لديهم أن النبى ــ صلى الله عليه وسلم ــ وقت فى الخمر حدا معينا ، ولو ثبت لهم ذلك ، لم يحتاجوا الى المشاورة فيه ، والى استعمال الرأى بالقياس على القاذف أو أخف الحدود ، وغير ذلك من الاعتبارات .

واذ لم يثبت لديهم نص ملزم ، فقد تغير حكمهم واختلفت فتواهم بتغير الزمن ، واختلاف الأحوال ، كما نجد ذلك واضحا فى خلافة عمر الذى جلد أربعين ثم ستين ، ثم ثمانين ، كلما رأى الناس لا يتناهون ولا يزدجرون .

بل ورد أن عليا ــ رضى الله عنه ــ زاد العقوبة على ثمانين فى بعض الأحوال . فقد روى أن النجاشى الحارثى الشاعر قد شرب الخمر فى رمضان ، فضربه ثمانين ، ثم حبسه، فأخرجه من الغد ، فضربه عشرين ، ثم قال له : انما جلدتك العشرين لجرأتك على الله ، وافطارك فى رمضان (١)

هذا مع ما ورد عن على فى روايات أخرى أنه استحب ألا يزيد فى الجلد على أربعين .

وجاء عن عمر أنه زاد النفى على الضرب فى مثل هذه الحالة ، لما فيها من انتهاك حرمة الشهر الكريم . فقد أتى بشيخ شرب فى رمضان فقال : للمنخرين، للمنخرين ! ؟ (أى كبه الله للمنخرين) أفى شهر رمضان وولداننا صيام ؟ ! فضربه ثمانين ، ثم سيره الى الشام (٢) .

وهذا يدل أن العقوبة تختلف باختلاف حال المجرم ، ومقدار عتوه واشتهاره بالفجور وتكرر الجريمة منه مرة بعد مرة ، وعدم ارتداعه بالعقوبة . فمثل هذا يشدد عليه ، بخلاف من لم يشتهر بفسق ولا فجور .

---

(١) المصنف ج ٧ ص ... والبيهقى ج ٨ ص ٣٢١

(٢) أيظر : المصدرين السابقين .

ولهذا جاء فى بعض الروايات : أن عمر كان اذا أتى بالرجل الضعيف تكون منه الزلة ، جلده أربعين [١] أى بخلاف الفاجر المصر على الكبيرة .

وهذا ما جعل عمر بن عبدالعزيز يقول : تحدث للناس أقضية بقدر ما أحدثوا من فجور .

والعجيب أن على بن أبى طالب رضى الله عنه — الذى أشار على عمر بجلد الشارب ثمانين ؛ لأن الشرب مظنة الافتراء والقذف، رجع عما أشار به على عمر ، ورأى بعد ذلك أن يكتفى بأربعين ، كما جاءت بذلك الروايات ، وان ضعفها البعض وردوها .

ولا حاجة الى ردها فيما أرى . فما دامت العقوبة غير مقدرة نصا ؛ فهى متروكة لأولى الأمر واجتهادهم .

فلعل عليا — رضى الله عنه — رأى الناس قد ارتدعوا فى زمنه بعد تغليظ العقوبة فى حقهم ، فرأى العودة الى التخفيف ، كما كان عليه الحال فى عهد النبوة وخلافة أبى بكر .

وفى الصحيحين عن على — رضى الله عنه — أنه قال : ما كنت لأقيم حدا على أحد فيموت ، وأجد فى نفسى شيئا ، الا صاحب الخمر ، فانه لو مات وديته (أى دفعت ديته لأهله) وذلك أن رسول الله — صلى الله عليه وسلم — لم يسنه (يعنى لم يقدر فيه حدا معلوما) .

ولهذا حكى الطبرى وابن المنذر وغيرهما عن طائفة من أهل العلم : أن الخمر لا حد فيها ، وانما فيها التعزير ، بدليل الأحاديث الصحيحة التى سكتت عن تعيين عدد الضرب، وما جاء عن ابن عباس وابن شهاب من أن النبى — صلى الله عليه وسلم — كان يقتصر فى ضرب الشارب على ما يليق بحاله [٢] .

---

(١) الفتح ج ١٥ ص ٧٦ وأنظر : سنن الدارقطنى ج ٣ ص ١٥٧ بتحقيق السيد عبد الله هاشم يمانى .

(٢) فتح البارى ج ١٥ ص ٧٧ ط الحلبى .

وبهذا تعقب الحافظ فى «الفتح» نقل من حكى الاجماع على أن فى الخمر حدا واجبا .

وقال الامام الشوكانى فى متن « الدرر البهية » : مَن شرب مسكرا ـ مكلفا مختارا ـ جلد على مايراه الامام . أما أربعين جلدة ، أو أقل ، أو أكثر ، ولو بالنعال » .

وأكد ذلك شارحه السيد صديق حسن خان فى « الروضة الندية » أخذا من مجموع الأحاديث الواردة فى الباب قائلا : فيكون على هذا من جملة أنواع التعزير (١) .

والظاهر من صنيع الامام البخارى فى صحيحه « أن هذا هو مذهبه أيضا . كما ذكر الحافظ ابن حجر . قال : فانه لم يترجم بالعدد أصلا ، ولا أخرج هنا فى العدد الصريح شيئا مرفوعا » (٢) .

والمقصود من كل ما ذكرناه هنا : هو بيان تغير فتوى الصحابة ـ رضى الله عنهم فى عقوبة شارب الخمر من عصر لعصر ، ومن حال لحال ، حيث لم يلزمهم نص بحد معين عن الله ورسوله . وهو يوكد ما قلناه ومن وجوب تغير الفتوى بتغير موجباتها .

تغير فتوى الصحابة فى زكاة الفطر :

ومثل آخر نضربه لتغير الفتوى بتغير موجباتها فى زمن الصحابة رضى الله عنهم ، ونأخذه هذه المرة من باب الزكاة .

فقد فرض رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ زكاة الفطر ـ : صاعا من طعام ، من تمر أو زبيب أو شعير أو أقط ، كما صحت بذلك الأحاديث .

ولكن صح عن عدد من الصحابة أنهم رأوا فى زمنهم نصف صاع من قمح يعدل صاعا من تمر أو شعير . فأخرجوا نصف صاع من القمح زكاة فطرهم .

---

(١) الروضة الندية بشرح « الدرر البهية » ج ٢ ص ٢٨٣ ، ٢٨٤

(٢) فتح البارى ج ١٥ ص ٧٩ ، ٨٠ .

قال ابن المنذر : لا نعلم فى القمح خبرا ثابتا عن النبى ـ صلى الله عليه وسلم ـ يعتمد عليه ، ولم يكن البر بالمدينة ذلك الوقت الا الشىء اليسير منه . فلما كثر فى زمن الصحابة رأوا أن نصف صاع منه يقوم مقام صاع من الشعير » (١) .

ثم روى ابن المنذر عن عثمان وعلى وأبى هريرة وجابر وابن عباس وابن الزبير وأمه أسماء بنت أبى بكر: أنهم رأوا فى زكاة الفطر نصف صاع من قمح .

وروى الجماعة عن أبى سعيد الخدرى قال : كنا نخرج زكاة الفطر اذ كان فينا رسول الله ـ صلى عليه وسلم ـ صاعا من طعام ، أو صاعا من تمر ، أو صاعا من شعير ، أو صاعا من زبيب ، أو صاعا من أقط ، فلم نزل كذلك حتى قدم علينا معاوية المدينة فقال : انى لأرى مدين (أى نصف صاع) من سمراء الشام (يعنى القمح) تعدل صاعا من تمر .. فأخذ الناس بذلك .

فهؤلاء الصحابة الذين ذكرهم ابن المنذر وغيره ، وكذلك معاوية ومن وافقه ، أجازوا اخراج نصف صاع من القمح ، مع ان المنصوص عليه ، والمعمول به ، منذ زمن النبى ـ صلى الله عليه وسلم ـ انما هو صاع . ولكنهم لما لاحظوا فى زمنهم غلاء ثمن القمح بالنسبة لأثمان الأطعمة الأخرى مثل الشعير والتمر ، رأوا اخراج نصف الصاع من القمح من باب المعادلة والقيمة .

تغير فتوى عمر فى زكاة الخيل :

ومثل ذلك موقف عمر من زكاة الخيل :

فقد روى الامام أحمد والطبرانى أن أناسا من أهل الشام جاؤا عمر فقالوا : انا أصبنا أموالا : خيلا ورقيقا ، نحب أن يكون لنا فيها زكاة وطهور ؟ قال : ما فعل صاحباى قبلى فافعله ،

(١) انظر ، كتابنا : « فقه الزكاة » ج ٢ ص ٩٣٥ ، ٩٣٦

واستشار أصحاب محمد ـ صلى الله عليه وسلم ـ فقال على : هو حسن ، ان لم تكن جزية راتبة يؤخذون بها من بعدك (١) •

وأخرج عبد الرزاق والبيهقى عن يعلى بن امية قال : ابتاع عبد الرحمن أخو يعلى من رجل من أهل اليمن فرسا أنثى بمائة قلوص (ناقة شابة) فندم البائع ولحق بعمر ، فقال : غصبنى يعلى وأخوه فرسا لى ؟ فكتب عمر الى يعلى : أن الحق بى فأتاه ، فأخبره الخبر ، فقال : ان الخيل لتبلغ هذا عندكم ؟ ما علمت أن فرسا يبلغ هذا ! ؟ فنأخذ من كل أربعين شاة ، ولا نأخذ من الخيل شيئا ؟ خذ من كل فرس دينارا ؟ فضرب على الخيل دينارا دينارا (٢)•

ولم تذكر الروايات : أن هذه القصة بعد تلك ، ولكن هذا هو المعقول المناسب ، فعمر فى القصة الأولى كان مترددا أن يفعل شيئا لم يفعله الرسول ولا أبو بكر قبله ، ولهذا استشار الصحابة ، وأشار عليه على برأيه •

وأما فى القصة ، فالظاهر أنه لم يستشر أحدا ، بل كانت القضية واضحة أمام فكره تمام الوضوح ، وكون فيها رأيه بعدما رأى وسمع ، وأمر واليه ان يأخذ من كل فرس دينارا (٣) •

فهنا غير عمر فتواه فى زكاة الخيل ، بتغير الزمن والحال ولم يجمد على ما انتهى اليه الرأى فى القصة الأولى ، فان الاجتهاد يتغير بتغير ملابساته •

وقد أفتى مرة بفتويين مختلفتين فى قضية واحدة ، فى زمنين مختلفين ، فلما سئل فى ذلك ؟ قال : ذلك على ما علمنا ، وهذا على ما نعلم •

فتوى عمر فى المؤلفة قلوبهم :

ومن ذلك مارآه عمر من ايقاف اعطاء الزكاة لمن عرفوا فى العهد النبوى

---

(١) فقه الزكاة ج ١ ص ٢٢٩

(٢) المصدر السابق ص ٢٢٦

(٣) نفس المصدر السابق ، ص ٢٢٩

وعهد أبى بكر باسم « المؤلفة قلوبهم » وقال : ان الله أعز الاسلام وأغنى عنهم .

وليس ذلك نسخا لما جاء فى القرآن الكريم ، والسنة النبوية ، ولا اسقاطا لهذا السهم الى الأبد ، كما فهم ذلك بعض الأئمة . بل الصواب أن السهم باق لم يلحقه نسخ اذ لا نسخ بعد انقطاع الوحى ، وكيف ينسخ عمر والصحابة معه ما يثبت بالقرآن والسنة ، وظل النبى ـ صلى الله عليه وسلم ـ يعمل به الى آخر حياته ، وعمل به أبو بكر من بعده ؟

كل ما فعله عمر ، أنه لم ير حاجة الى التأليف ـ فى عهده ـ ومنع أناسا استمأروا الأخذ من الزكاة تحت عنوان التأليف .

وتقرير الحاجة الى التأليف أو عدمها ، واختيار الاشخاص أو الفئات التى تتألف قلوبها ، من حق الامام بمشورة أهل الرأى من حوله . وهو أمر تتغير فيه الفتوى من زمان الى زمان ، ومن حال الى حال (١) .

فتوى عمر فى طلاق الثلاث :

ومن ذلك ما قاله شيخ الاسلام ابن تيمية من الزامه رضى الله عنه للمطلق ثلاثا بكلمة واحدة بالطلاق ، وهو يعلم انها واحدة ، ولكن لما رأى اكثار الناس منه رأى عقوبتهم بالزامهم به ، ووافقه على ذلك رعيته من الصحابة . وقد أشار هو الى ذلك فقال : « ان الناس قد استعجلوا فى شىء كانت لهم فيه أناة ، فلو أنا أمضيناه عليهم ؟ » فأمضاه عليهم ليقلوا منه . فانهم اذا علموا أن أحدهم اذا أوقع الثلاث جملة واحدة ، وأنه لا سبيل له الى المرأة : أمسك عن ذلك ، فكان الالزام به عقوبة منه ، لمصلحة رآها . ولم يكن يخفى عليه أن الثلاث كانت فى زمن النبى ـ صلى الله عليه وسلم ـ وأبى بكر : تجعل واحدة ، بل مضى على ذلك صدر خلافته ، حتى أكثر الناس من ذلك ، وهو اتخاذ لآيات الله هزوا ـ كما فى المسند وسنن النسائى وغيرها من حديث محمود بن لبيد ... فلما

---

(١) أنظر : كتابنا « فقه الزكاة » ج ٢ ص ٥٩٨ ـ ٦٠٨ حيث حققنا بقاء سهم المؤلفة قلوبهم ، وفندنا القول بنسخة ، وبينا فقه عمر فى المسألة.

أكثر الناس من ذلك عاقبهم به • ثم انه ندم على ذلك قبل موته ، كما ذكره الاسماعيلى فى مسند عمر (١)•

تغير الفتوى فى قسمة الأرض المفتوحة:

ومما تغيرت فيه الفتوى فى زمن الصحابة : قضية قسمة الأرض التى يفتحها المسلمون عنوة على الفاتحين المقاتلين ، وما حدث فيها من خلاف فى زمن عمر رضى الله عنه •

فقد رأى بلال ومعه بعض الصحابة ان تقسم أرض الشام بعد فتحها على من فتحوها بسيوفهم ، محتجين بأن النبى ــ صلى الله عليه وسلم ــ قسم أرض خيبر بعد فتحها ، وهو موافق لعموم قوله تعالى « واعلموا أنما غنمتم من شىء فأن لله خمسه •• » الآية• ويفهم منها أن أربعة أخماسها للفاتحين ، وفى بعض الروايات : انه صلى الله عليه وسلم قسم نصف خيبر ، ووقف نصفها لنوائبه •

ولكن عمر ومعه جماعته من فقهاء الصحابة مثل على ومعاذ ــ رضى الله عنهما ــ رأوا عدم تقسيمها ، وابقائها فى أيدى أربابها على أن يدفعوا عنها خراجا يكون لمصالح جميع المسلمين فى حاضرهم ، وآخر الأجيال التى تأتى بعدهم • وعبر الفقهاء عن ذلك بوقفها على كافة المسلمين •

وهكذا فعل عمر فى سواد العراق وغيره ، واستمر عليه من بعده الخلفاء

وأما قسمة النبى ــ صلى الله عليه وسلم ــ خيبر ، فقد ورد أنه قسم نصفها فقط ووقف نصفها لنوائبه ، على أنهم قالوا : « انها كانت فى بدء الاسلام ، وشدة الحاجة فكانت المصلحة فيه ، وقد تعينت المصلحة فيما بعد ذلك فى وقف الأرض ، فكان ذلك هو الواجب » •

وقد قال عمر : لولا آخر الناس (أى الأجيال المستقبلة) لقسمت الأرض ، كما قسم النبى ــ صلى الله عليه وسلم ــ خيبر « فقد وقف الأرض مع علمه بفعل النبى ــ صلى

---

(١) الطرق الحكيمة لابن القيم ص ١٦ ، ١٧ مطبعة السنة المحمدية .
وراجع فى الموضوع ص ٣٣ من مجموع فتاوى شيخ الاسلام ط الرياض ج ٢ من اعلام الموقعين ص ٤١ و ج ١ من اغاثة اللهفان ص ٣٠٠ وما بعدها .

الله عليه وسلم ـ فدل على أن فعله ذاك ـ صلى الله عليه وسلم ـ لم يكن متعينا (١) وهذا انما يكون فيما يبنى على المصلحة، ويتصرف فيه النبى ـ صلى الله عليه وسلم ـ بمقتضى الامامة ورياسة الدولة .

والذى يقرأ مناقشات عمر، ومن وافقه مثل على ومعاذ ـ رضى الله عنهم جميعا ـ واستدلالاتهم بما فى وقفها على المسلمين من المصالح، وما فى قسمتها على أفراد الفاتحين من مفاسد يتأكد له مقدار فقه الصحابة لدينهم، وايمانهم بأن شريعتهم لا تجىء بحكم أو مبدأ ينافى مصلحة الأمة (٢) .

فتوى عمر فى عام المجاعة :

ومثل آخر من الفقه العمرى، الذى يتمثل فيه تغير الفتوى بتغير الأوضاع والأحوال وهو ما فعله فى عام المجاعة، الذى يعرف بـ « عام الرمادة » .

فقد أصدر فيه حكمين فى غاية من الأهمية ـ :

الأول : تأخير جباية زكاة الماشية (من ابل وغنم وبقر) حتى يزول القحط، وينزل المطر، ويتوافر المرعى، فقد ذكر أبو عبيد « عن أبى ذباب : أن عمر أخر الصدقة عام الرمادة، فلما أحيا الناس (أى نزل عليهم الحيا وهو المطر) بعثنى فقال اعقل فيهم عقالين، فاقسم فيهم عقالا، وائتنى بالآخر (٣) » والعقال : صدقة العام .

وكان ذلك من حكمة عمر، ودقة فقهه، ورفقه بالرعية، فهو لم يسقط الزكاة، وانما أخر جبايتها، حتى لا يرهق أرباب المال .

الأمر الثانى : درؤه القطع عمن سرق فى هذا العام، فروى أبو عبيد عنه أيضا : « لا قطع فى عام سنة » والسنة : القحط والجدب .

---

(١) انظر : المغنى لابن قدامة ج ٢ ص ٥٩٨ ط الامام .
(٢) راجع الخراج لأبى يوسف والأموال لأبى عبيد .
(٣) الأموال ص ٣٧٤
(٤) نفسه ص ٥٥٩

وذكر ابن القيم عن السعدى بسنده الى عمر قال : لا تقطع اليد فى عذق ولا عام سنة .

قال السعدى : سألت أحمد بن حنبل عن هذا الحديث فقال :العذق: النخلة وعام سنة : المجاعة . فقلت لأحمد : تقول به؟ فقال: أى لعمرى! قلت : ان سرق فى مجاعة لا تقطعه؟! فقال : لا ، اذا حملته الحاجة على ذلك والناس فى مجاعة وشدة .

قال السعدى : وهذا على نحو قضية عمر فى غلمان حاطب .. وذكر بسنده : أن غلمة لحاطب بن أبى بلتعة ، سرقوا ناقة لرجل من مزينة فأتى بهم عمر ، فأقروا ، فأرسل الى عبد الرحمن بن حاطب ، فجاء ،فقال له : ان غلمان حاطب سرقوا ناقةرجل مزينة ، وأقروا على أنفسهم ، ثمقال عمر : ياكثير بن الصلت ، اذهب فاقطع أيديهم . . فلما ولى ردهم عمر ثم قال : أما والله .. .. وتجيعونهم ، حتى ان أحدهم لو أكل ماحرم الله عليه حل له لقطعت أيديهم وايم الله ، اذ لم أفعل لأغرمتك غرامة توجعك (الخطاب لعبدالرحمن ابن حاطب) ثم قال : بكم أريدت منك ناقتك ؟ قال بأربع مائة . قال عمر : اذهب فأعطه ثمانى مائة .

قال الامام ابن القيم : وذهب أحمد الى موافقة عمر فى الفصلين جميعا . (يعنى درء الحد ، ومضاعفة الغرم) .

قال : وقد وافق أحمد على سقوط القطع فى المجاعة (الأوزاعى). وهذا محض القياس ، ومقتضى قواعد الشرع . فان السنة اذا كانت سنة مجاعة وشدة ، غلب على الناس الحاجة والضرورة ، فلا يكاد يسلم السارق منضرورة تدعوه الى مايسد به رمقه ، ويجب على صاحب المال بذل ذلك له ، اما بالثمن أو مجانا على الخلاف فى ذلك .

والصحيح وجوب بذله مجانا لوجوب المواساة واحياء النفوس مع القدرة على ذلك والايثار بالفضل مع ضرورة المحتاج .

وهذه شبهة قوية تدرأ القطع عن المحتاج ، وهى أقوى من كثير من الشبه التى يذكرها كثير من الفقهاء ... لا سيما وهو مأذون له فى مغالبة صاحب المال على أخذ ما يسد رمقه .وعام المجاعة يكثرفيه المحاويج

والمضطرون ، ولا يتميز المستغنى منهم والسارق لغير حاجة من غيره، فاشتبه من يجب عليه الحد بمن لا يجب عليه فدرىء .

نعم ، اذا بان أن السارق لا حاجة به ، وهو مستغن عن السرقة قطع(١).

ومعنى هذا : ان عمر لم يسقط الحد بعد وجوبه ، بل هو لم يجب أصلا لوجود الشبهة التى أوجبت درأه .

جمع القرآن وكتابته فى المصاحف :

ومن الأمور الجليلة الخطر ، البعيدة الأثر : ما حدث فى عهد الصحابة من جمع القرآن وتدوينه فى عهد أبى بكر ، على خلاف ما كان عليه الحال فى عهد النبى — صلى الله عليه وسلم — ثم كتابة المصاحف فى عهد عثمان واحراقه ما سواها ، على خلاف ما كان عليه الحال فى عهد الشيخين: أبى بكر وعمر . رضى الله عنهم أجمعين .

فقد كان القرآن فى العهد النبوى محفوظا فى صدور الرجال ، ومكتوبا فى صحف ومواد بدائية متفرقة، على ما يليق بحال القوم فى ذلك العهد من جريد و لخاف (٢) وعظام وخزف وغير ذلك . لقلة القراطيس عندهم.

فلما استحر القتل بقراء القرآن يوم اليمامة (فى حروب الردة) فى زمن الصديق رضى الله عنه ، وقتل منهم فى ذلك اليوم — فيما قيل — سبعمائة — أشار عمر بن الخطاب على أبى بكر — رضى الله عنهما — بجمع القرآن ، مخافة ان يموت أشياخ القراء ، كأبى وابن مسعود وزيد . وقد توقف الصديق فى أول الأمر ، وقال لعمر : كيف أفعل شيئا لم يفعله رسول الله — صلى الله عليه وسلم ؟! فقال : هو والله خير . قال أبو بكر : فلم يزل يراجعنى حتى

---

(١) اعلام الموقعين ج ٣ ص ٢٢ ، ٢٣ مطبعة السعادة — تحقيق عبد الحميد محيى الدين .

(٢) اللخاف : جمع لخفة ، وهى حجارة بيض رقاق .

شرح الله لذلك صدرى ، ورأيت الذى رأى عمر ... وأرسل أبوبكر الى زيد بن ثابت ليكلفه مهمة جمع القرآن وتدوينه ، فقد كان كاتب الوحى لرسول الله صلى الله عليه وسلم . ولكن زيدا توقف فى الأمر كما توقف فيه الصديق من قبل ،وقال له ولعمر: كيف تفعلان شيئا لم يفعله رسول الله صلى الله عليه وسلم ؟! فقال أبو بكر : هو والله خير ؟ قال زيد : فلم أزل أراجعه حتى شرح الله صدرى للذى شرح له صدر أبى بكر وعمر ... وقام زيد بمهمته على خير وجه . وجمع القرآن من صدور الحفظة ، ومن المواد المتفرقة التى كتب فيها . وكتبه فى صحف بقيت عند أبى بكر حتى توفاه الله ، ثم عند عمر حتى توفاه الله ، ثم عند حفصة بنت عمر أم المؤمنين (١) .

فلم تكن هذه الصحف للقراءة اذن، وانما هى نسخة رسمية تحفظ وتصان ، ليرجع اليها عند اقتضاء الحاجة .

وكان هذا — ولا شك — من الأعمال العظيمة والضرورية للاسلام والمسلمين ، وفق الله اليه هؤلاء الصحابة الأجلاء ، ليحفظ به كتابه المجيد ، تحقيقا لوعده سبحانه « انا نحن نزلنا الذكر وانا له لحافظون » وانما لم يفعله النبى — صلى الله عليه وسلم — لأن القرآن كان ينزل عليه منجما ، حسب الوقائع ،فكان لا يزال — مادام حيا — يتوقع نزول جديد منه ، أما فى عهد الصحابة فقد ثبت اكتمال القرآن ، وانقطع الوحى ، وزال المانع الذى كان فى العهد النبوى ، ووجد المقتضى لكتابته مجموعا مرتبا ، فلما تغير الزمن والحال تغير الموقف أو تغيرت الفتوى .

وفى عهد الخليفة الثالث عثمان رضى الله عنه طرأ وضع جديد ، اقتضى موقفا آخر جديدا أيضا .

ذلك أن الناس اختلفوا فى القراءات بسبب تفرق الصحابة فى البلدان ،

(١) أنظر : مقدمة تفسير القرطبى ج ١ ص ٤٣ وكذلك الاتقان للسيوطى ج ١ ص ٥٧

واشتد الأمر فى ذلك ، وعظم اختلافهم وتشبثهم ، ووقع بين أهل الشام والعراق ما ذكره حذيفة — رضى الله عنه — وذلك أنهم اجتمعوا فى غزوة « أرمينية » فقرأت كل طائفة بما روى لها — أى من الأحرف السبعة التى رخص لهم فى القراءة بها — فاختلفوا وتنازعوا وأظهر بعضهم اكفار بعض والبراءة منه وتلاعنوا .. فأشفق حذيفة مما رأى منهم ، فلما قدم المدينة — فيما ذكر البخارى والترمذى — دخل الى عثمان قبل أن يدخل الى بيته ، فقال : أدرك هذه الأمة قبل أن تهلك ! قال : فبماذا ؟ قال : فى كتاب الله ، انى حضرت هذه الغزوة ، وجمعت أناسا فى العراق والشام والحجاز — فوصف له ما تقدم — وقال : انى أخشى عليهم أن يختلفوا فى كتابهم ، كما اختلفت اليهود والنصارى ! ؟

ورأى عثمان أن يجمع القرآن فى مصاحف يبعث بها الى الأمصار ، ليرجع الناس اليها ، وبذلك يدرأ عن المسلمين شر الخلاف والفتنة .

وقد جمع الصحابة — رضى الله عنهم — وفيهم على بن أبى طالب — رضى الله عنه — وطلب منهم الرأى ، فقالوا : الرأى عندك يا أمير المؤمنين قال : الرأى عندى أن يجتمع الناس على قراءة ؛ فانكم اذا اختلفتم اليوم كان من بعدكم أشد اختلافا !؟ قالوا : الرأى رأيك يا أمير المؤمنين ؟ فأرسل عثمان الى حفصة : أن أرسلى الينا بالصحف ننسخها فى المصاحف ثم نردها اليك .. فأرسلتها اليه ، فأمر زيد بن ثابت وعبد الله بن الزبير وسعيد بن العاص وعبد الرحمن بن الحارث بن هشام ، فنسخوها فى المصاحف .. ورد عثمان الصحف الى حفصة وأرسل الى كل أفق بمصحف مما نسخوا ، وأمر بما سوى ذلك من القرآن فى كل صحيفة أو مصحف أن يحرق (١) .

قال الامام القرطبى — :

وكان هذا من عثمان — رضى الله عنه — بعد أن جمع المهاجرين والأنصار ، وجلة أهل الشام ، وشاورهم فى ذلك فاتفقوا على جمعه بما صح وثبت من القراءات المشهورة عن النبى صلى الله عليه وسلم ، واطراح ما سواها ،

---

(١) انظر : تفسير القرطبى ج ١ ص ٤٤ ، ٤٥

واستصوبوا رأيه ، وكان رأيا سديدا موفقا ، رحمة الله عليه وعليهم أجمعين (١) .

وقد واجه هذا العمل ـ كتابة المصاحف وتحريق ماسواها ـ انكارا من بعض الناس شأن كل عمل جديد ، مخالف لما ألفوه من قبل ، مما جعل عليا كرم الله وجهه يقوم مقام الدفاع عن عثمان ، مثنيا على عمله ، روى عنه سويد بن غفلة أنه قال : يا معشر الناس ، اتقوا الله واياكم والغلو فى عثمان ، وقولكم: حراق المصاحف ، فوالله ، ماحرقها الا عن ملأ منا أصحاب محمد صلى الله عليه وسلم . وعن عمر بن سعيد قال ، قال على بن أبى طالب رضى الله عنه : لو كنت الوالى وقت عثمان ، لفعلت مثل الذى فعل عثمان (٢) .

ان عثمان لم يخالف من قبله شهوة للخلاف ، ولكن الزمن تغير عن زمن الشيخين ، وظهرت بوادر خلاف يوشك أن ينقلب الى فتنة وشر مستطير فكانت فتوى عثمان بموافقة الصحابة لتفادى ذلك ـ كتابة المصاحف وجمع الناس عليها ، واتلاف ما عداها . لقد تغيرت الفتوى بتغير الزمن والحال (؟

تغير فتوى ابن عباس فى توبة القاتل :

ومن الأمثلة الجيدة لتغير الفتوى بتغير الحال : ما جاء عن ابن عباس فى توبة القاتل ؛ فقد روى ابن أبى شيبة بسنده (٣) : أن رجلا جاء الى ابن عباس فقال : ألمن قتل مؤمنا توبة ؟ قال:لا ، الى النار ! فلما ذهب، قال له جلساؤه : ما هكذا كنت تفتينا ، فما بال هذا اليوم ؟ ! قال : انى أحسبه مغضبا يريد أن يقتل مؤمنا . فبعثوا فى أثره ، فوجدوه كذلك .

رأى ابن عباس فى عينى هذا الرجل الحقد والغضب ، والتوثب للقتل ، وانما يريد فتوى تفتح له باب التوبة ، بعد أن يرتكب جريمته ، فقمعه وسد عليه الطريق حتى

---

(١) أنظر : تفسير القرطبى ج ١ ص ٤٤ ، ٤٥

(٢) المصدر السابق ص ٤٧

(٣) قال الحافظ فى التلخيص : رجاله ثقات ج ٤ ص ١٨٧ بتعليق السيد عبد الله هاشم اليمانى .

لا يتورط فى هــذه الكبيرة الموبقة ولو رأى فى عينه صورة امرىء نادم على ما فعل ، لفتح له باب الأمل ! ؟

وقد روى سعيد بن منصور عن سـفيان قال : كان أهل العـلم اذا سكتوا عن القاتل قالوا : لا توبـة له ، واذا ابتلى رجل (أى قتل بالفعل) قالوا له : تب (١) .

أى التفرقة بين من ابتلى بالفعـل ووقع فيه ، فيرخصون له ويسهلون عليه ما وجد للرخصة سبيل ، وكثير من الفقهاء يسير على هذا النهج — الذى سنه ابن عبـاس — فى كافة المسائل،والتسهيل سبيل ، وبين من لم يقع منه الفعل فيشددون عليه .

مثال ذلك : من حلف بالطـلاق ألا يفعل شـيئا ثم فعله ، فهنـا يفتى بمذهب من لايوقع الطلاق أصلا . كما هو مذهب بعض السلف،أو من يجعله يمينافيه كفارة ، واختاره شيخ الاسلام ابن تيمية وابن القيم . وان كان حلف ولم يفعل، وليس به حاجة الى الفعـل ، أفتى بمذهب الجمهور وهكذا .

تغير الفتوى فى عهـد التابعين ومن بعدهم :

وفى عهد التابعين باحسان نجد أمثلة عديدة لتغير الفتوى . مثـل ماروى عنهم أنهم أجازوا تسعيرة السلع ، دفعا للضرر عن الجمهور ، لتغير أحوال الناس عما كانت عليه فى عهد النبى — صلى الله عليه وسلم — وأصحابه .

ومن ذلك ماروى : أن عمر بن عبدالعزيز كان يقضى — وهو أمير فى المدينة — بشاهد واحد ويمين ، فلما كان بالشام ، لم يقبل الا شاهدين ، لما رأى من تغير الناس هناك عما عرفه من أهل المدينة .

وهو القـائل كلمته المشـهورة : تحدث للناس أقضية بقدر ما أحدثوا من فجور .

ومن ذلك ماذكـر : أن أبا حنيفة كان يجيز القضاء بشهادة مستور الحال فى عهده — عهد أتباع التابعين — اكتفاء بالعدالة الظاهرة . وفى عهد صاحبيه — أبى يوسـف ومحمد — منعا ذلك لانتشار الكذب بين الناس (٢) .

---

(١) المصدر السابق .

(٢) انظر : أصول التشريع الاسلامى — للأستاذ على حسب الله ص ٨٤ ، ٨٥

ويقول علماء الحنفية فى مثل هذا النوع من الخلاف بين الأمام وصاحبيه: انه اختلاف عصر وزمان ، لا اختلاف حجة وبرهان ؟

وقد خالف المتأخرون من علماء المذهب الحنفى ماتص عليه أئمتهم والمتقدمون منهم فى مسائل عديدة ، بناء على تغير الزمان والحال ، وألف فى ذلك علامة المتاخرين منهم • الشيخ ابن عابدين فى ذلك رسالته الشهيرة « نشر العرف » وذكر فى هذه الرسالة: «أن كثيرا من الأحكام تختلف باختلاف الزمان لتغير عرف أهله، أو لحدوث ضرورة، أو لفساد أهل الزمان ، بحيث لو بقى الحكم على ماكان عليه أولا ، للزم منه المشقة والضرر بالناس ، ولخالف قواعد الشريعة المبنية على التخفيف والتيسير ودفع الضرر والفساد ، ولهذا نرى مشايخ المذهب خالفوا ما نص عليه المجتهد (امام المذهب) فى مواضع كثيرة بناها على ما كان فى زمنه لعلمهم بأنه لوكان فى زمنهم لقال بما قالوا به ، أخذا من مذهبه (١) » •

وفى المذهب المالكى نجد ماكتبه العلامة شهاب الدين القرافى فى كتابيه « الفروق » و « الأحكام فى تميز الفتاوى من الأحكام » منبها على وجوب تغير الحكم اذا كان مبنيا على عادة تغيرت ، أو عرف لم يعد قائما

ومن الأمثلة التى تذكر هنا: ما حكى عن الشيخ الامام أبى محمد بن أبى زيد القيروانى (المتوفى سنة ٣٨٦هـ) وصاحب « الرسالة » المشهورة فى فقه الملكية والتى شرحها أكثر من واحد من جلة علماء المذهب ، فقدرووا عنه أن حائطا انهدم من داره ، وكان يخاف على نفسه من بعض الفئات ، فاتخذ كلبا للحراسة، وربطه فى الدار، فلما قيل له : ان مالكا يكره ذلك ؟ قال لمن كلمه : لو أدرك مالك زمانك لاتخذ أسدا ضاريا ! (٢) •

وفى كل مذهب نجد مثل هذه المواقف ــ تفاوت فيما بينها ــ مما يدلنا على مقدار السعة والمرونة التى أودعها الله هذه الشريعة ، وجعلها بذلك صالحة لكل زمان ومكان •

د / يوسف القرضاوى

---

(١) مجموعة رسائل ابن عابدين ج ٢ ص ١٢٥

(٢) انظر : شرح العلامة زروق على « الرسالة » ج ٢ ص ٤١٤ ط مطبعة الجمالية بمصر

بيان وقرارات

المؤتمر الأول للجمعيات والهيئات الإسلامية في مصر للمطالبة بتطبيق الشريعة الإسلامية

الحمد لله رب العاملين والصلاة والسلام على سيدنا محمد بن عبدالله سيد الأنبياء والمرسلين ، وعلى آله وصحبه ، ومن دعا بدعوته ، وسلك سبيله الى يوم الدين .. وبعد :

فان الاسلام هو دين الله الذى أوحى بتعاليمه فى أصوله وشرائعه الى النبى محمد صلى الله عليه وسلم ، وكلفه بتبليغه للناس كافة ، ودعوتهم اليه .

وقد حفظ الله هذا الدين بحفظ المصدر الأول وهو القرآن الكريم الذى لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه .. وما روى صحيحا من سنة الرسول صلى الله عليه وسلم ، وهى المصدر الثانى فى التشريع الاسلامى ، وقد تضافرت جهود علماء المسلمين المجتهدين جيلا بعد جيل لفهم الكتاب والسنة ، واستنباط الأحكام التفصيلية منهما . حتى كانت ذخيرة الفقه الاسلامى كفيلة بتلبية احتياجات الناس فى كل شئون حياتهم ومعيشتهم . وأصبح لهذا الفقه أصالته وشمول قواعده، واستيعابه ما يجد فى حياة الناس ، من أقضية وتصرفات ومعاملات .

ومن هنا كانت الشريعة الاسلامية فى عمومها وشمولها وأصالة قواعدها المستمدة من الكتاب والسنة صالحة لكل زمان ومكان ، قادرة على حكم الناس ، ووضع الحدود الفاصلة بين الحق والباطل ، والحلال والحرام .. ذلك مع اتساع دائرتها بحيث تشمل الجوانب الاخلاقية التى قصرت عنها قوانين الناس ، مع ما تنفرد به من الهيبة التى تدعوا الناس الى الاذعان لها ، والاستجابة لأحكامها ، لأنها من عند الله ، الذى يدين له العباد بالطاعة والخضوع .

وقد ظهرت يقظة الأمة الاسلامية فى النصف الثانى من القـرن الرابع عشر الهجرى (العشرين الميلادى)، بعـد ما انزاح عن بلادهـا كابوس الاستعمار العسـكرى ، وانعقـد اجماعها على ضرورة تدعيم استقلالها بالتخلص من الاسـتعمار الفـكرى والثقافى والتشريعى ، والعـودة الى تعاليم دينها ، وهدى ربها ، والحكم فيها بما أنزل الله لخير البشر وصلاح حالهم . وقد عبرت الأمة الاسلامية عن اجماعهـا فى هـذا الشـأن فى دسـاتيرها المختلفة التى نصت على وجوب تطبيق الشريعة الاسـلامية والالتزام بهـا وبأحكامها .. ومن بينها دستور مصر الصادر فى سبتمبر ١٩٧١ الذى استجاب لارادة الأمة ، وأعلن فى صـدر مواده دين الدولة الاسلام والشريعة الاسلامية مصدر رئيسى للقوانين .

ولقد أصبح أمر هذه الأمة بيد أبنـائها . وزال كل عذر فى تأخير العودة بها الى كتـاب اللـه وسنة رسـوله صلى الله عليـه وسلم ، وأصبحت الفرصة سانحة والظروف مهيئة لتحقيق هذا الأمل . الـذى طالما راود نفوس المسلمين فى أوطانهم وارتفعت أصـواتهم بالمطالبة به ، وأعطت الجماهير ثقتها لنواب الامة على أسـاس وعودهم بالعمل على جعل التشريع الاسلامى وأحكامه فى موضع التطبيق .. بل ان الضرورة تـدعو الى وجوب تطبيق الشريعة الاسـلامية لمصلحة الأمن . وسلامة الأفـراد والجمـاعات فى أنفسـهم وأمـوالهم وأعـراضهم . حتى أن مؤتمر مديريات الأمن الذى عقده المسئولون عن الأمن فى مصر فى هذا العـام قرر ان تطبيق الشريعـة هو العلاج الوحيد للقضاء على الزحف الاجرامى المتزايد .

ولقد بذلت جهود صادقة من مجمع البحوث الاسلامية ، ولجان وزارة العدل . ومن علمـاء وأعضاء هذا المؤتمر . لاعداد مشروعات القوانين المسـتمدة من الفقه الاسـلامى . وقدمت هـذه المشروعات فعلا الى مجلس الشـعب كاجـراء رسمى ، لاستصدار قرارات تطبيقها ، وليس لابـداء الرأى فى صـلاحيتها ، أو الاستشارة فى العمل بهـا . فليس لأحد أو هيئة أن يبدى رأيه فى أحكام

الله التى شرعها لعبـاده ، وأوجب تطبيق أحكامها عليهم • والالتـزام بأمره فى ذلك (وأن احـكم بينهم بما أنزل الله ولا تتبع أهواءهـم ، واحـذرهم أن يفتنـوك عن بعض ما أنزل الله اليك • فان تولوا فاعلم انما يريـد الله أن يصـيبهم ببعض ذنوبهـم وان كثـيرا من النـاس لفاسقون) •

وقـد أثبت التـاريخ أن الأمـة الاسلامية كانت رائدة النهضة العلمية والحضارة والتقدم فى كل مجـالات الحياة • وكانت تحمل لواء الحضارة فى العالم كله • وجاءتها وفود طلاب العلم والمعرفة من بلاد أوربا • وكانت الأندلس وجامعاتها مهـد الحضارة التى تشع بنورها على آفـاق رحيبة خارج بلاد المسـلمين ، مما جعـل الحضارة الأوربية الحديثـة مدينـة للحضارة الاسلامية فى عصـور الاسلام الزاهية • وقد تحقق للأمة الاسلامية كل هذا يوم كانت تحكم بشريعة الله ، وتلتزم دينه •

ولقد أثبت التاريخ أيضا أن عصور الضعف والتخلف والهزيمة والفرقة ، انها حلت بالأمـة الاسلامية عنـدما ابتعدت عما شرعه الله لها ، وأمرها به فأصابهم الله ببعض ذنوبهم • ولن يصلح حال هذه الأمة الا بما صلح به أولها • وان الله لا يغير ما بقوم حتى يغيروا ما بأنفسهم •

ولقـد شـهد التاريخ كذلك أن استتباب الأمن واسـتقرار العـدل وطمأنينة الناس على أنفسهم وأموالهم وأعراضهم وحرياتهم ، لم يكن ذلك فى عهد ولا فى قطر يقرب من حـال بـلاد المسـلمين التى طبقت والتى لا تزال تطبق شريعة الاسلام •

ولقد سجل التاريخ أيضـا ، أن الأمة التى تطبق الشريعة الاسلامية ينعم كل من على أرضها مسلما كان أو غير مسلم ، بالأمن والعـدل ، والحضارة والرخاء ذلك أن الاسلام جعل لأهل الذمة فى بلاد المسـلمين ما لهم من حقوق • وعليهم ما عليهم من واجبـات • قال الله تعـالى : (لا ينهاكم الله عن الذين لم يقاتلوكم فى الدين ، ولم يخرجوكم من دياركم

أن تبروهم وتقسطوا اليهم • ان الله يحب المقسطين • انما ينهاكم الله عن الذين قاتلوكم فى الدين ، وأخرجوكم من دياركم ، وظاهروا على اخراجكم أن تولوهم • ومن يتولهم فأولئك هم الظالمون) •

وقد أوصى رسول الله صلى الله عليه وسلم خيرا بأهل الذمة ، الذين لاينقضون ذمة ، ولا يخونون عهداه

فقال صلى الله عليه وسلم « من آذى ذميا فقد آذانى » •

وقال صلى الله عليه وسلم « من ظلم معاهدا أو انتقصه حقه أو كلفه فوق طاقته أو أخذ منه شيئا بغير طيب نفس ، فأنا خصمه يوم القيامة » •

وقال صلى الله عليه وسلم « الا من قتل نفسا معاهدة لها ذمة الله وذمة رسوله ، فقد أخفر بذمة الله فلا يستروح رائحة الجنة » •

فمن أجل استعادة مجد هذه الأمة الاسلامية •

ومن أجل نشر الأمن والطمأنينة فى نفس كل من يقيم على أرض اسلامية •

ومن أجل العودة الى مصدر القوة والعزة والحضارة والرقى •

ومن أجل الالتزام بما أمر الله فى قرآنه ، وما أرشد اليه الرسول فى سنته •

ومن أجل أن تكون الشريعة الاسلامية هى مصدر القوانين فى بلاد المسلمين •

التقت الهيئات والجماعات الاسلامية الكبرى لمدة ثلاثة أيام (٢٧—٢٩ جمادى الآخرة ١٣٩٧هـ الموافق ١٤—١٦ يونية ١٩٧٧ م) فى وحدة متكاملة ومؤتمر يعبر عن آمال جماهير المسلمين فى تطبيق أحكام الشريعة الاسلامية تحت رعاية فضيلة الامام الاكبر الدكتور عبد الحليم محمود شيخ الأزهر وبرياسة فضيلة الأستاذ الكبير الشيخ حسنين محمد مخلوف المفتى الأسبق لمصر وذلك استجابة لما أوجبه الله من الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر • والنصيحة لله ورسوله ولأئمة المسلمين وعامتهم • وما أمر الله به من الدعوة الى سبيله بالحكمة والموعظة الحسنة •

وقد استمع اعضاء المؤتمر ألى الأحكام الشرعية فى وجوب تطبيق الشريعة الاسلامية ، كما أوضحها كبار المسئولين من علماء مصر وخاصة فضيلةالامام الأكبر الدكتور عبد الحليم محمود شيخ الأزهر.. وفضيلة الشيخ محمد متولى الشعراوى وزير الأوقاف والأزهر وفضيلة الشيخ محمد خاطر مفتى جمهورية مصر .. وفضيلة الشيخ حسنين محمد مخلوف المفتى ورئيس لجنة الفتوى الأسبق لمصر .

كما استمع أعضاء المؤتمر الى البحوث العلمية المقدمة من بعضهم فى تطبيق أحكام الشريعة الاسلامية ثم عقدوا اجتماعات فيما بينهمودارت مناقشات فى اللجان الفرعية .. ثم اصدر المؤتمر القرارات الآتية :

أ ــ كل تشريع أو حكم يخالف ما جاء بهالاسلام ، يقع باطلا ، ويجب على المسلمين رده ، والاحتكام الى شريعة الله ، التى لا يتحقق ايمانهم الا بالاحتكام اليها .

٢ ــ الأمر بتطبيق الشريعة الاسلامية نزل به الوحى الالهى ، فليس لأحد أن يبدى رأيا فى وجوب ذلك ، ولا تقبل مشورة بالتمهل أو التدرج أو التأجيل فى تنفيذه .

٣ ــ السويف فى اقرار القوانين الاسلامية معصية لله ورسوله ، واتباع لغير سبيل المؤمنين.وخروج على اجماعهم ، ومضيعة لمصالح الأمة جمعاء وعلى الهيئة التشريعية أن تبرىء ذمتها أمام الله والناس ، بسرعة اقرار مشروعات القوانين الاسلامية المقدمة اليها .

٤ ــ تطبيق الشريعة الاسلامية هو الحل الوحيد لجميع مشاكل الأمة اقتصاديا واجتماعيا وسياسيا وعسكريا وعلميا وثقافيا .

٥ ــ تطبيق الشريعة الاسلاميةخير ضمان للوحدة الوطنية .

٦ ــ ينظر المؤتمر بعين التقدير والأمل الى ما صرح به السيد رئيس الجمهورية منعزمه على تطهير أجهزة الاعلام من الملحدين ، ويناشده سرعة تنفيذ هذا فى كل مراكز التوجيه والتربية ، ومواقع التأثير فى مرافق

الدولة ، حرصا على سلامة الأمةوقوة بنيانها •

٧ ــ يناشد المؤتمر السيد رئيس الجمهــورية اصــدار أوامره بتطهير وسائل الاعلام من الموبقات الأخلاقية التى تحرج صدور المؤمنين،وتستهين وتتجرأ على حدود الله وتدمير كيان الأمة •

٨ ــ يناشد المؤتمر السيد رئيس الجمهورية أن يراعى عند الترشــيح للمناصب القيادية فى الدولة اختيار المعروفين بالخلق والدين •

٩ ــ يقرر المؤتمر وجوب تربيــة النشء فى جميع مراحل التعليم الى نهاية الدراسة الجامعية تربية دينيــة تكون الضمير الدينى ، وتغرس فى نفوسهم مكارم الأخلاق ، وتكسبهم الصلابة ضد كل زيغ أو انحراف ، ليكون الشــاب مسلما فى جوهــره ومظهره •

١٠ ــ يجب ادراج حفظة القرآن الكريم من الفئات المستثناه من شرط المجموع عند الالتحاق بالجــامعات والمعاهد العليا ودور التعليم المختلفة•

كما يجب معاملة حفظة القــرآن الكريم من المجندين معــاملة حملة المؤهلات •

١١ ــ يوصى المؤتمر بتقوية محطة اذاعة القــرآن الكريم ، حتى تغطى أنحاء العالم ، مع النهــوض بهــا وتحويلها الى اذاعة جامعة •

١٢ ــ تكون اللجنــة التنفيذية للمؤتمر فى حالة انعقاد دائم لمتابعــة الجهود فى تنفيذ هذه القرارات التى تعبر عن اجماع الأمــة على ضرورة تطبيق الشريعة الاسلامية •• وتدعو الهيئــات والجماعات المشــتركة فى المؤتمــر الى الاجتماع كلمــا دعت الضرورة الى هذا •

والله ولى التوفيق •

* * *

الجماعات والهيئات المشــتركة فى المؤتمر حسب ترتيب الحــروف الهجائية :

جمعية أبى بكر الصديق •

جمعية التراث الاسلامى •

جمعية الخلفاء الراشدين .

جمعية شباب سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم .

جمعية الشبان المسلمين .

الجمعيات الشرعية للعاملين بالكتاب والسنة .

الجمعيات العامة للمحافظة على القرآن الكريم .

جمعية العشيرة المحمدية . .

جمعية الهداية الاسلامية .

مشيخة عموم الطرق الصوفية .

مجمع البحوث الاسلامية .

ادارة الوعظ والارشاد .

جامعة الأزهر .

ادارة الدعوة بوزارة الأوقاف .

الصحافة الاسلامية .

الجمعيات الدينية بالجامعات .

هدية السماء :

ما عيد الفطر الا رمز لمكافأة سبقت للصائمين الصادقين الذين لم يشب صيامهم كذب ولا ضلال ... وهو رمز انتصار على معركة النفس حول مطالب العيش ، وأغلال المادة فى رمضان فهو هدية سماوية يقدمها الاله العظيم لعباده الذين صاموا شهره كما يريد وقاموا بين يديه كما يريد. لذلك كان العيد يوم فرح لأنه رمز مكافأة الهية على واجب وهدية سماوية لفريضة وانتصار روحى على معركة أرضية!

فى ظلال العقيدة

تعقيبات على بعض ما ينشر ويذاع

للأستاذ على البورانى

١ ــ تقدير زكاة الفطر من الخبز :

فى كتاب الفقه على المذاهب الأربعة ص ٥١١ فى آخر الصفحة « يجوز ــ عند المالكية ــ اخراج زكاة الفطر من الدقيق أو السويق بالكيل وهو قدح وثلث ، ومن الخبز بالوزن وقدر برطلين بالرطل المصرى » اهـ •

(أقول) : ان القدح والثلث من الدقيق أو السويق يساويان أربعة أرطال مصرية وثلاثة أرباع الرطل ودرهما وخمسة أسباع الدرهم ، فهل يعقل أن يكون الخبز المصنوع من هذا الدقيق أو السويق رطلين ؟ أليس هذا غريبا ؟ انه لغريب حقا ، والصواب أن الدقيق أو السويق اذا عجن وخبز يزيد وزنه فيصير ثمانية أرطال ، ولعل بعض المالكية القدامى قدر المد الذى هو ربع الصاع فجعله رطلين من الخبز ، فسبق القلم الى الصاع بدلا من المد ، والله الهادى الى سواء السبيل •

* * *

٢ ــ تأخير زكاة الفطر عن نهار العيد

جاء فى كتاب الفقه المذكور ص ٥٠٩ فى آخر الصفحة « ووقت وجوبها ــ أى زكاة الفطر عند الشافعية ــ آخر جزء من رمضان وأول جزء من شوال • ويسن اخراجها أول يوم من أيام عيد الفطر بعد صلاة الفجر وقبل صلاة العيد ، ويكره اخراجها بعد صلاة العيد الى الغراب الا لعذر كانتظار فقير قريب ونحوه • ويحرم اخراجها بعد غروب اليوم الأول الا لعذر كغياب المستحقين لها •• » اهـ •

(أقول) :

فى هذا الكلام عدة مؤاخذات :

(أولها) قوله « ويسن اخراجها أول يوم من أيام عيد الفطر » فهذه العبارة يفهم منها أن العيد أيام ، والواقع أن العيد فى الشرع يوم واحد مع ليلته المتقدمة عليه ؛ وهما أول شوال ، ثم ان الاخراج نفسه واجب وليس مسنونا ، وانما المسنون كون الاخراج فى أول اليوم ، فالصواب أن تكون العبارة هكذا « ويسن أن يكون اخراجها أول يوم عيد الفطر بعد صلاة الفجر وقبل صلاة العيد » .

(المؤاخذة الثانية) قوله : « ويكره اخراجها بعد صلاة العيد الى الغروب » فهذه العبارة توهم أن الاخراج نفسه مكروه مع أن الاخراج واجب ، وانما المكروه هو التأخير عن صلاة العيد ، فالعبارة المثلى يجب أن تكون هكذا « ويكره تأخير اخراجها عن صلاة العيد الى الغروب الا لعذر كانتظار قريب فقير ونحوه ، ولا يسقط وجوبها بالتأخير لعذر أو غير عذر ، اذ لابد من أدائها كما لا يخفى » .

(المؤاخذة الثالثة) قوله : « ويحرم اخراجها بعد غروب اليوم الأول الا لعذر كغياب المستحقين لها » .

ففى هذه العبارة أولا ايهام أن العيد أيام وليس يوما واحدا ، وفيها ثانيا ايهام أن الاخراج نفسه حرام مع أن الاخراج ما زال وجوبه متعلقا بالذمة ولا يسقط الا بفعله ، فالعبارة المثلى يجب أن تكون هكذا « ويحرم تأخير اخراجها عن نهار العيد الا لعذر كغياب المستحقين لها ، ولا يسقط وجوبها بالتأخير ، وانما يسقط بالأداء كما مر » .

وبعد ، فالتعبير بكراهة الاخراج وحرمته مذكور فى كتب الشافعية والحنابلة ، وهو مجاز قد يفهمه العلماء من أهل المذهبين ، ويخطىء فيه غيرهم ، وقد نقل الكتاب عن المالكية فى هذا المعنى عبارة واضحة لا ايهام فيها حيث قال : « يحرم تأخير زكاة الفطر عن يوم العيد ولا تسقط بمضى ذلك اليوم بل تبقى فى ذمته فيطالب باخراجها عن نفسه وعن كل من تلزمه نفقته ان كان ميسورا ليلة العيد » اهـ

هذا ، وقد أخطأ فى فهم عبارة الشافعية بعض العلماء من غير الشافعية ، وكان يكتب فقرات دينية فى بعض الصحف اليومية فلما سئل كتب فى الجريدة المذكورة : ان الزكاة اذا تأخرت عن موعدها سقط وجوبها عند الشافعية بل يأثم باخراجها ، ثم استدل بعبارة كتاب الفقه على المذاهب الأربعة التى نقلناها آنفا ، وليس هو أول من يخطىء فى فهم عبارات الكتب التى لم يألفها ، ولهذا أنصح لكل من يتصدى للفتيا فى الصحف والمجلات والاذاعة أن يتحرى حذرا من الضلال والتضليل .

* * *

٣ ــ ما يقال بعد الأذان :

كتب باحث فى احدى المجلات الدينية أن الصلاة على النبى صلى الله عليه وسلم لا تطلب من المؤذن وانما تطلب من سامعيه فقط لأنهم المخاطبون بقوله صلى الله عليه وسلم : « فقولوا مثل ما يقول ثم صلوا على » .

(أقول) : جاء فيما يقال عند الأذان وبعده أحاديث يجدر بى أن أذكر هنا بعضها للفائدة ثم أعقب على كلام هذا الباحث !

(ا) روى مسلم فى صحيحه وأبو داود فى سننه عن عمر بن الخطاب رضى الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « اذا قال المؤذن الله أكبر الله أكبر فقال أحدكم الله أكبر الله أكبر : ثم قال أشهد أن لا اله الا الله قال أشهد أن لا اله الا الله ثم قال أشهد أن محمدا رسول الله قال أشهد أن محمدا رسول الله ثم قال حى على الصلاة قال لا حول ولا قوة الا بالله ثم قال حى على الفلاح قال لا حول ولا قوة الا بالله ثم قال الله أكبر الله أكبر قال الله أكبر الله أكبر ثم قال لا اله الا الله قال لا اله الا الله من قلبه دخل الجنة » .

هذا الحديث يدل على فضل اجابة المؤذن بأن يحكى السامع ألفاظ الأذان واحدا واحدا ماعدا الحيعلات فيستبدل بها الحوقلات ، وفيه اشتراط الاستحضار بالقلب مع الاخلاص ، ولم تكرر الشهادتان

فيه ولا الحيعلتان اختصارا ، وقوله « دخل الجنة » معناه أن جزاءه دخول الجنة التى يدخلها السابقون بالأعمال الفاضلة ، والا فان المسلم الذى لم يصنع هذا سيجزى بدخول الجنة غير أن درجته أقل ممن فعل هذا وأمثاله .

(ب) روى أبو داود عن شهر ابن حوشب عن أبى أمامة رضى الله عنه أو عن بعض أصحاب النبى صلى الله عليه وسلم : أن بلالا رضى الله عنه أخذ فى الاقامة فلما أن قال قد قامت الصلاة قال النبى صلى الله عليه وسلم : « أقامها الله وأدامها » وقال فى سائر الاقامة كنحو حديث عمر رضى الله عنه السابق فى الأذان (وشهر بن حوشب) مختلف فى توثيقه وقد رواه عنه (محمد بن ثابت) وهو ضعيف، ولكن لا يخفى أن الحديث الضعيف يؤخذ به فى فضائل الأعمال ما لم يعارضه حديث صحيح ، وهو هنا كذلك ، فينبغى لسامع الاقامة أن يقول كما يقول المقيم ويستبدل الحوقلتين بالحيعلتين ويقول أقامها الله وأدامها مرتين .

(جـ) روى أحمد والشيخان وأصحاب السنن الأربع عن أبى سعيد الخدرى رضى الله عنه أن النبى صلى الله عليه وسلم قال : « اذ سمعتم النداء فقولوا مثل ما يقول المؤذن » .

هذا الحديث يدل على أن سامعى الأذان يطلب منهم على سبيل الوجوب أو الاستحباب أن يقولوا مثل ما يقول المؤذن . وهذا عام لأنه يشمل الحيعلات ، وحديث عمر السابق طلب فيه استبدال الحوقلات بالحيعلات ، فهو خاص .

وقد اختلف العلماء فى الجمع بين الحديثين على ثلاثة آراء (الرأى الأول) أن السامع مخير بينهما ، فله أن يقول حى على الصلاة أو حى على الفلاح ، وله أن يقول لا حول ولا قوة الا بالله (الرأى الثانى) أن الخاص يخصص العام فيكون قوله صلى الله عليه وسلم « فقولوا مثل ما يقول » معناه « فقولوا مثل ما يقول ما عدا الحيعلات » وعلى هذا لا يستحب ولا يجب اتيان

السامع بالحيعلات ، بل يجب أو يستحب تكرار الحوقلة أربع مرات اجابة عن الكلمات الأربع (الرأى الثالث) أن المطلوب من السامع الجمع بين ما فى الحديثين فيجب عليه أو يستحب منه أن يقول حى على الصلاة لا حول ولا قوة الا بالله ، وهكذا يقول فى باقى الكلمات ، والرأى الأوسط هو الذى عليه الكثيرون . ثم ان ظاهر الحديث الوجوب لأن النبى صلى الله عليه وسلم أمر السامعين بقوله « فقولوا » والأمر للوجوب ، وبهذا قال بعض العلماء . وقال بعضهم ان الأمر هنا للاستحباب ، لأن أصل الأذان مستحب فالحكاية تكون مستحبة أيضا لأنها لا تزيد عن الأصل ، ولأن السامعين انما أمروا بالاجابة ليدركوا فضل المؤذنين كما سيأتى فى حديث عمرو بن العاص ، وادراك الفضل مستحب وليس بواجب لأن تاركه يحرم من الفضل فقط ، وليس الحرمان من الفضل عقوبة . والحكمة فى قول السامعين لا حول ولا قوة الا بالله — أنهم لما طلب منهم الاقبال على الصلاة والفلاح أمروا بأن يشعروا بقلوبهم أن تحولهم عما هم فيه وقدرتهم على الذهاب الى الصلاة والقيام بها انما هما باعانة الله تعالى ، فهم يقولون لا تحول عن القعود والكسل عن الطاعة والانغماس فى المعصية ولا قوة على النهوض للطاعة والخروج عن المعصية الا بعون الله تعالى وهدايته وتوفيقه .

(د) روى أحمد والبخارى وأصحاب السنن الأربع عن جابر رضى الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « من قال حين يسمع النداء اللهم رب هذه الدعوة التامة والصلاة القائمة آت محمدا الوسيلة والفضيلة وابعثه مقاما محمودا الذى وعدته حلت له شفاعتى يوم القيامة » .

هذا الحديث فيه ترغيب لكل من يسمع الأذان — ومنهم المؤذن لأنه يسمع آذان نفسه — أن يقول هذه الكلمات عقب السماع ، فقوله « حين يسمع » معناه « حين ينتهى سماعه » لأن النطق بهذه الكلمات انما يتمكن منه السامع بعد تمام

الأذان . ومعنى « الدعوة التامة » دعوة التوحيد المأخوذة من قول المؤذن أشهد أن لا اله الا الله أشهد أن محمدا رسول الله ومعنى كونها «تامة» أنها تجمع العقائد الصحيحة كلها بأن يعتقد الانسان أن لهذا الكون الها مستغنيا عما سواه مفتقر اليه كل ما عداه فهو متصف بجميع صفات الكمال ومنزه عن جميع صفات النقص ومستحق للعبادة وحده ، وقد أرسل الى العالمين رسوله محمدا صلى الله عليه وسلم خاتما للمرسلين ، وأنزل عليه الكتاب المصدق لكل الكتب السابقة والمهيمن عليها والجامع بالشريعة الحقة التى يجب السير عليها ولا نجاة من النار ولا استحقاق للجنة بدونها . ومعنى « الوسيلة » منزلة هى أعلى المنازل فى الجنة كما سيأتى فى حديث عبد الله بن عمرو ابن العاص رضى الله عنهما ، ومعنى « الفضيلة » المزية التى له صلى الله عليه وسلم على جميع الرسل وجميع الخلائق . وقوله « مقاما محمود » هكذا بالتنكير وروى أيضا بلفظ « المقام المحمود » بالتعريف وهو المقام الذى يحمده فيه الأولون والآخرون ، وهو المقام الذى يشفع فيه لجميع الناس يوم القيامة الشفاعة العظمى (فان قلت) ان الوسيلة والفضيلة والمقام المحمود ستكون حتما فما معنى الدعاء بحصولها . (فالجواب) أن هذا الدعاء يقصد منه الاقرار بأنه يستحقها وأهل لها وأن الله عز وجل قد يشرفه بها ، وفى هذا التشريف تشريف لنا لأننا أمته الذين أجبناه واتبعنا النور الذى أنزل معه .

ومعنى « حلت له » حقت وثبتت له ، وقوله « شفاعتى » معناه الشفاعة فى حط السيئات ورفع الدرجات ، فان النبى صلى الله عليه وسلم له سوى الشفاعة العظمى شفاعات للمؤمنين ، منها ما يكون بخروج قوم من النار ودخولهم الجنة ، ومنها ما يكون بانتقال بعضهم من درجات فى الجنة الى درجات أعلى .

(هـ) روى أحمد ومسلم وأبو داود والترمذى والنسائى عن

عبد الله بن عمرو بن العاص رضى الله عنهما أنه سمع النبى صلى الله عليه وسلم يقول : « اذا سمعتم المؤذن فقولوا مثل ما يقول ثم صلوا على فانه من صلى على صلاة صلى الله بها عليه عشرا ثم سلوا الله لى الوسيلة فانها منزلة فى الجنة لا تنبغى الا لعبد من عباد الله وأرجو أن أكون أنا هو فمن سأل الله لى الوسيلة حلت عليه الشفاعة » .

هذا الحديث فيه زيادة على ما فى الأحاديث السابقة الأمر بالصلاة على النبى صلى الله عليه وسلم ، وهو أمر لجميع السامعين ومنهم المؤذن نفسه لأنه قد سمع نفسه وليس يشغله عنها شىء لأنه قد فرغ من الأذان (فان قلت) ان قوله صلى الله عليه وسلم « اذا سمعتم المؤذن » خطاب لغير المؤذن، لأنهم المخاطبون بقوله «فقولوا مثل ما يقول » لأنه لا معنى لأمر المؤذن بأن يقول مثل ما يقول ، فعلى هذا يكون قوله «ثم صلوا على» خاصا أيضا بغير المؤذن (قلنا) ان الخطاب فى قوله « ثم صلوا علىَّ » لا يلزم أن يكون مطابقا للخطاب الذى قبله فان الأصل فى جميع الخطابات العموم ، ثم يخص بعضها بدليل خاص فلا يتعدى هذا الخصوص الى غيره . وايضاح هذا أن التاء فى قوله « اذا سمعتم » تشمل جميع السامعين ومنهم المؤذن لأنه يسمع نفسه ، والواو فى قوله « فقولوا » هى عامة أيضا ، لكن عمومها مخصوص بمن لا عذر له ، فيخرج المعذور كالمصلى والمجتمع مع زوجته ومن كان داخل المرحاض والمشتغل بأمر لا يتمكن معه من الاجابة كشرطى المرور ومحصلى الأجور فى المركبات وغيرها والمدرسين المأمورين بقضاء زمن معين فى التدريس لا يفرطون فى لحظة منه ، ومن هؤلاء المعذورين المؤذن فان كلماته يجب أن تكون متواصلة فلا يفصل بينها بالاجابة ، والواو فى قوله « ثم صلوا على » هى عامة كسابقتها ، ثم هى مخصوصة بغير المعذورين أيضا ، فيخرج منها المعذورون كما فى الأمثلة السابقة ما عدا المؤذن ، فانه معذور بالنسبة للاجابة لأنها تفصل كلمات الأذان

التى يجب وصلها ، وليس معذورا بالنسبة للصلاة على النبى صلى الله عليه وسلم لأنه قد فرغ من الأذان فيكون مطالبا بها كسائر السامعين غير المعذورين ، وأيضا ، هو داخل فى التعليل للصلاة وهو قوله صلى الله عليه وسلم « فانه من صلى علىَّ .. الخ » فان فيه كلمة « مَنْ » وهى شرطية عامة كما لا يخفى ، اذ معناها « أىُّ انسان صلى على صلاة صلى الله بها عليه عشرا » والمؤذن داخل فى هذه الشرطية فانه لا معنى لحرمانه من صلاة الله عليه ، وأيضا أن اجابة المؤذن شرعت ليلحق غير المؤذنين بالمؤذنين فى الفضل فكيف يؤمرون وحدهم بالصلاة على النبى صلى الله عليه وسلم . أليس معنى هذا تخصيصهم بما يجعلهم أكثر فضلا . وأيضا فالمؤذن لـمّا قال أشهد أن محمدا رسول الله مرتين وجب عليه أن يصلى عليه لأنه لو لم يصل عليه لكان بخيلا مستحقا للبُعد عنْ الرحمة ، وهو لا يتمكن فى أثناء أذانه من هذه الصلاة فيجب عليه أن يأتى بها عند تمكنه وذلك بعد الفراغ من أذانه ، وبايضاح هذه النقطة الأخيرة أن النبى صلى الله عليه وسلم قال « البخيل من ذكرت عنده فلم يصل علىَّ » رواه أحمد والترمذى والنسائى وابن حبان والحاكم فى المستدرك عن الحسين بن على رضى الله عنهما عن النبى صلى الله عليه وسلم ، ومعنى بخله أنه بخل على نفسه بحرمانه من صلاة الله عليه عشرا لتكاسله عن صلاة واحدة على نبيه صلى الله عليه وسلم ، وفى حديث صحيح آخر أن جبريل عليه السلام قال للنبى صلى الله عليه وسلم « بَعُدَ مَنْ ذكرت عنده فلم يصل عليك » فقال النبى صلى الله عليه وسلم « أمين » فهذان الحديثان يدلان على أن من ذُكِرَ عنده النبى صلى الله عليه وسلم يجب عليه أو يتأكد تأكدا شديدا أن يصلى عليه ، وهذا يشمل الذاكر الذى جرى على لسانه ذكره عليه الصلاة والسلام ، فهذه أوجُه كثيرة يكفى واحد منها فى الدلالة على أن المؤذن مطالب بعد أذانه على سبيل الوجوب أو التأكد أن يصلى على النبى صلى الله عليه وسلم .

(و) روى مسلم والترمذى والنسائى وابن ماجه عن سعد ابن أبى وقاص رضى الله عنه عن النبى صلى الله عليه وسلم أنه قال « من قال حين يسمع المؤذن : وأنا أشهد أن لا اله الا الله وحده لا شريك له وأن محمدا عبده ورسوله رضيت بالله ربا وبمحمد رسولا وبالاسلام دينا غفر له ذنبه » .

هذا الذكر الذى أرشد اليه الحديث الشريف : الظاهر أنه يقال قبل قول المؤذن حى على الصلاة ، فاذا لم يتسع الوقت له فيتبغى أن يقال عقب الأذان قبل الصلاة على النبى صلى الله عليه وسلم .

(ز) روى أحمد فى مسنده وأبو داود فى سننه والنسائى فى عمل اليوم والليلة بسند صحيح عن عمرو بن العاص رضى الله عنه : أن رجلا قال يا رسول الله ان المؤذنين يفضلوننا ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم « قل كما يقول فاذا انتهيت فسل تعطه » .

قوله « قل كما يقول » ارشاد الى ما به يلحق السامع المؤذن فى الفضل ، وهل تستثنى الحيعلات أو لا تستثنى ؟ سبق بيان الخلاف فى ذلك ، وقوله « فسل تعطه » الهاء فى آخره للسكت أو هى ضمير ، والمقصود بيان أن الدعاء بعد الأذان مستجاب واذا استجيب من السامع فانه يستجاب من المؤذن اذ لا فرق .

(ح) روى أبو داود والترمذى عن أم المؤمنين أم سلمة رضى الله عنها قالت : « علمنى رسول الله صلى الله عليه وسلم أن أقول عند أذان المغرب :

« اللهم ان هذا اقبال ليلك وادبار نهارك وأصوات دعاتك فاغفر لى » .

لا يخفى أن هذا الدعاء خاص بأذان المغرب فمَحلُّه بعد الصلاة على النبى صلى الله عليه وسلم ودعاء الوسيلة والفضيلة والمقام المحمود .

(ط) روى أحمد وأبو داود والترمذى والنسائى بسند صحيح عن أنس بن مالك رضى الله عنه : أن النبى صلى الله عليه وسلم قال

«الدعاء لا يرد بين الأذان والأقامة» قالوا فما نقول يا رسول الله ؟ قال « سلوا الله العفو والعافية فى الدنيا والآخرة » .

هذا ارشاد الى دعاء مخصوص يقال بين الأذان والاقامة ، وليس فيه حصر ، فللانسان أن يضيف اليه أدعية أخرى أو يقرأ شيئا من القرآن الكريم ، فقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم فيما يرويه عن رب العزة جل شأنه « من شغله ذكرى عن مسألتى أعطيته أفضل ما أعطى السائلين » .

(ى) روى ابن السنى عن أبى هريرة رضى الله عنه أنه كان يقول — اذا سمع المؤذن يقيم — « اللهم رب هذه الدعوة التامة والصلاة القائمة صل على محمدا وآته سؤله يوم القيامة » . هذا الأثر من كلام الصحابى الجليل أبى هريرة رضى الله عنه ، فهو حديث موقوف عليه ، لكنه فى حكم الحديث المرفوع الى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، لأن أبا هريرة لا يقول مثل هذا الكلام من رأيه وانما يقوله مما حفظه عن النبى صلى الله عليه وسلم ، فينبغى أن يقال عقب الاقامة ، وهو مناسب لها لأنه أخصر مما يقال عقب الأذان .

وبعد ، فهذه عشرة أحاديث ذكرتها لفائدة القراء الكرام ، وقد تضمن شرح الحديث الخامس منها تعقيبا على قول الباحث ان الصلاة على النبى صلى الله عليه وسلم ليست مطلوبة من المؤذن ، ولعله بعد قرائته يقتنع بأن الصلاة على النبى صلى الله عليه وسلم مطلوبة من المؤذن على سبيل الوجوب أو السنة المؤكدة ، واذا كانت الصلاة عليه مؤكدة فينبغى أن تقرن بالسلام لقوله تعالى : « يأيها الذين آمنوا صلوا عليه وسلموا تسليما » وللصلاة على النبى صلى الله عليه وسلم كيفيات ، وأفضلها ما نقوله فى الصلاة بعد التشهد الأخير ، فينبغى للمؤذن والسامع جمعا بين الصلاة والتسليم أن يقول كل منهما « السلام عليك أيها النبى ورحمة الله وبركاته اللهم صلِّ .... اللهم رب هذه الدعوة .... » . (يتبع)

على حسن البولاقى

لماذا نحن مسلمون

لفضيلة الدكتور عبد الجليل شلبى

هذا حديث أذعته فى مناسبة خاصة بين عدد من رجال الأديان الأخرى ، وأذعته فى مصر مرتين بين عدد من رجال الفكر الامريكى وطائفة من فرقة دينية منهم ،ورأيت الآن أن أسجله بعد قراءة كتيب صغير كتبه المستشرق الألمانى اليهودى د• ولهلهم رودلف • جعل عنوانه « صلة القرآن باليهودية والمسيحية» وأود فى حديث آخر أن أتحدث عن هذا الكتاب ، غير أنه أثار فى ذهنى هذا الحديث الذى أذعته من قبل ، ففيه اجابة على كثير من شبهاته •

فى صيف العام الماضى طلبت وزارة الثقافة والاعلام القاء محاضرتين عن الاسلام على مجموعتين من رجال الدين الامريكان، وكان مكان المحاضرتين فندق شبرد ، ولما ذهبت فى الوقت المحدد وجدت الطائفتين جميعا قد اجتمعتا معا وكان عددهم كبيرا ، وعرفت أنهم من طائفة «المورمون» وطائفة المورمون طائفة مسيحية نشأت فى القرن التاسع عشر ، وقائدها الأول هو يوسف سميث Joseph Smith الذى أعلن أن ملائكة من السماء هبطت عليه فأمرته أن يكون له كنيسة مستقلة وألا يتبع أى فرقة أخرى ، ثم وجد ألواحا ذهبية فى بعض الجبال فترجمت الى اللغة الانجليزية وأصبحت كتاب هذه الطائفة ، ثم نشر كتابا آخر سماه العقيدة والعهد Doctorine and eouenent فجمعه مع الألواح فى كتاب واحد عرف بأنه الوحى الذى تلقاه سميث ، كما أطلق عليه النبى الأبيض ، ولما كثر أتباعه انتقل من نيويورك

الى قرية خاصة بهم هى الآن مدينة يوتا .

كان هذا العدد الكبير الذى زار مصر من هذه الطائفة ، ويبدو أنهم طائفةممتازة مختارة ، فقد استمعوا طويلا الى حديث الاسلام ومعاملة المسلمين لذوى الديانات الأخرى ، وبعد نهاية المحاضرة وجهت الى أسئلة عديدة تدل على فكر دينى والمام بتاريخ الأديان لكن أسئلتهم عن الاسلام كانت بطعبية الحال صدى لفكر استشراقى وعدم اطمئنان الى تلقى محمد صلى الله عليه وسلم وحيا من الله .

وسألت احدى المستمعات : اذا كنت تؤمن أن محمدا تلقى وحيا من الله فلماذا لا تؤمن بأن «سميث» قد تلقى أيضا وحيا من الله ؟

وسألتها عن معجزات « سميث» التى تثبت صدقه فأجابت انها كانت كثيرة وأهمها أنه كان يطرد الشياطين من أجسام المرضى على نحو ما كان يفعل المسيح وأنه تنبأ بأشياء غيبية تحققت .

وقال سائل آخر لماذا تؤمن بمعجزات المسيح ولا تؤمن بمعجزات سميث ؟ وسأل آخرون أسئلة قريبة من هذه الأسئلة .

هذه هى الطائفة الأولى .

أما الطائفة الثانية فكانت مجموعة أقل عددا من السابقة ، وليسوا جميعا من رجال الأديان ، ولكنهم جميعا من الجامعيين ومن ذوى الفكر الموجه فى جامعاتهم ، ويبدو أن معلوماتهم عن الاسلام أقل من معلومات أتباع سميث ، وكانوا على ظمأ الى التعرف على حقيقة ورغبة الى معرفة تاريخ النبى محمد وعلى الأخص طرق اتصاله باليهود والمسيحيين حتى استفاد منهم هذا الدين ؟ !

وبعد استماع المحاضرة والاجابة على العديد من الأسئلة جاءت أسئلة قريبة من أسئلة (المور مون) .

لماذا آثرتم الاسلام على المسيحية؟

هل كان محمد يحيى الموتى ويبرىء الأكمه والأبرص على نحو ما فعل المسيح ؟

لماذا تحمل محمد حرب أقوامه طويلا ولم يستنزل عليهم لعنة السماء ، لماذا لم يرسل عليهم عذابا ، أو يميت رؤساءهم حتى تخضع له أعناق الآخرين ؟

وهكذا .. وهكذا

واجابتنا على الطائفتين اجابة واحدة .

اننا نؤمن بمعجزات موسى وعيسى وغيرهم من الأنبياء انها جاءت فى القرآن الكريم ، وما لم يذكره القرآن لا نصدقه ولانكذبه وطرد سميث الشياطين وادعاؤه وحيا أوحى به اليه ليس له لدينا حجة ، ونحن نؤمن بأن محمدا خاتم الأنبياء ولا نبى بعده ، وللآن لا نجد سببا يدعونا الى تغيير عقيدتنا ، ولانجد دليلا على مايقولون ان الاسلام لا يركن الى معجزات تبهر العقول وتحير الأذهان حتى يخر الناس مذهولين أمامها فيخضعوا لصاحب الدعوة رهبة وعجزا : لا هذا تأثير وقتى ، أو كما يقول رجال التربية انتباه قسرى وهو قليل الجدوى لأن تأثيره لا يدوم ، واذا خضع له جيل من الناس تمردت عليه الأجيال اللاحقة . ولكن الاسلام يعمد الى اقناع العقل أولا ، ويعتمد على اقامة الدليل على مايقول وهذا الدليل ــ على عكس ارهاب المعجزة ــ ينتقل من جيل الى جيل ولا يتبدل مع مرور الأيام .

وما جدوى أن ينزل محمد لعنة من السماء على معارضيه أويصيبهم بعذاب من عند الله ، ؟ انه بعد فناء هؤلاء المعارضين أو اصابتهم سيواجه آخرين لا يعلمون رسالته ولابد أن يعارضوها ، واذن فلابد أن ينزل بهم ما نزل بالسابقين ، وما أرسل الله محمدا نقمة وعذابا للناس ولكنه أرسله رحمة للعالمين .

وما جدوى أن يتبعه جيل بدافع الرهبة وخوف العذاب وهو غير مقتنع ولا فاقه ما دعى اليه ؟

لقد طلب العرب من النبى أن ينزل بهم مثل هذه النقم ان كان صادقا فقالوا : « اللهم ان كان هذا

هو الحق من عندك فأمطر علينا حجارة من السماء أو ائتنا بعذاب أليم » .

ولكن محمدا لم يبعث لانزال العذاب على الناس واهلاكهم، وانما بعث ليعلمهم ويرشدهم ويرقى عقولهم وتفكيرهم ، وما كان له أن يجاريهم فى تفكيرهم الساذج البدائى ، لأن عمله أن يرفعهم ويسمو بتفكيرهم وعقلياتهم ، ولهذا يستنزل رحمة الله عليهم بدلا من استنزاله العذاب عليهم فيقول : « اللهم اغفر لقومى فانهم لا يعلمون » وكانوا حقا لا يعلمون .

ويقرر القرآن أن هذه المعجزات لا تجدى ولا تقنع ، فقال : « وما منعنا أن نرسل بالآيات الا أن كذب بها الأولون ، وآتينا ثمود الناقة مبصرة فظلموا بها ، وما نرسل بالآيات الا تخويفا » وقال أيضا : « ان نشأ ننزل عليهم من السماء آية فظلت أعناقهم لها خاضعين » .

ولكن الآيات لم تكن الا تخويفا، والتخويف انما يؤثر تأثيرا وقتيا ، وكان مقبولا لدى الأنبياء السابقين لأن رسالاتهم كانت رسالات موقوته ، ولطائفة معينة من الناس ، أما رسالة محمد فهى رسالة عامة خالدة — فهى رسالة لجميع الناس ولجميع الأزمنة .

ومعجزة محمد هى القرآن تحدى به الناس فى عصره ، وقد اتهمه معاصروه العرب بمثل ما يتهمه به المستشرقون الآن ، قالوا : أساطير الأولين اكتتبها فهى تملى عليه بكرة وأصيلا، وقالوا انما يعلمه بشر،.. وكان الرد على هذا كله هو التحدى أن يأتوا بقرآن مثله . وجاء فى القرآن : « فليأتوا بحديث مثله ان كانوا صادقين ، أم يقولون افتراه قل فأتوا بسورة مثله ، وادعوا من استطعتم من دون الله ان كنتم صادقين .. » .

« قل لئن اجتمعت الانس والجن على أن يأتوا بهذا القرآن لا يأتون بمثله ولو كان بعضهم لبعض ظهيرا » .

وازاء هذا التحدى لم يسعهم الا الاستسلام .

وأصبح أعداء محمد بعد فترة مسلمين ، وأصبحوا متحمسين للاسلام كان عمر بن الخطاب ممن عادوا الاسلام، وكان خالد بن الوليد وعمرو بن العاص ممن حاربوا النبى محمدا ، وكان أبو سفيان بن حرب من أعدائه الألداء، ولا ترجع عداوته للدين وحده ، بل هى عداوة قديمة موروثة ، وقد أصبح هؤلاء مسلمين يتعبدون بتلاوه القرآن ، ويدينون بدين الاسلام .

والقرآن مازال موجودا يتحدى كل جيل كما تحدى الذين عاصروا النبى محمدا ، وما زال المثقفون وأفذاذ البيان العربى يدركون اعجاز القرآن وسموه على طاقات البشر ، واذن فنحن فى هذا الجيل والأجيال اللاحقة كالأجيال التى خلت ــ كلها تشهد معجزة النبى محمد كما رآها معاصروه ، فلسنا مسلمين عن تقليد واتباع لآراء السابقين ، ولكننا مسلمون لأننا نلمس معجزة نبينا ونشهدها أمامنا .

والاسلام حقا لا يقبل التقليد فى العقيدة لأن التقليد شىء والاعتقاد شىء آخر ، والمقلدون تجاهلوا أهم نعمة تميز بها الانسان وهى نعمة العقل والتفكير ، فانما يقلد غيره من لا قدرة له على ادراك الحقائق ، ولهذا يدعو القرآن الى اعمال الفكر والتأمل فى ملكوت السموات والأرض ، وهذا التفكير يهدى تلقائيا الى معرفة الله الذى ليس كمثله شىء وهو السميع البصير .

وليس هناك معجزة باقية سوى القرآن ، وليس هناك من شهد معجزة نبيه سوى المسلمين ، واذن فليس هناك ديانة صحيحة سوى الاسلام .

لهذا نحن مسلمون .

وقلت: أن على سائلنا أن نسأله. ووجهت الى الأساتذة الجامعيين من العالم الجديد :

أنتم مسيحيون ، فهل رأيتم السيد المسيح ، طبعا لم تروه ، هل رأيتم معجزاته أو واحدة منها ؟

طبعا لم تروا . اذن أنتم مسيحيون بالوراثة . رأيتم آباءكم وذويكم مسيحيين فاتبعتموهم . وبوصفكم من رجال الفكر والبحث تعلمون أن من الباحثين من ينكر معجزات عيسى ، ومنهم من ينكر وجود المسيح ذاته كما أن هناك من ينكرون معجزات موسى ونبوته ، فما هو ردكم عليهم ؟

انني — كرجل مسلم — أتحدى من ينكر نبوة محمد بهذا القرآن ، أواجهه بمعجزة النبى الذى آمنت به ، ومن خلال هذه المعجزة أثبت وجود موسى وعيسى وغيرهم من الأنبياء الذين ذكرهم القرآن كما أثبت معجزاتهم ، فقد أنزل الله القرآن مصدقا لما بين يديه من الكتاب ومهيمنا عليه ، واذن فذوو الديانات الأخرى يعتمدون أيضا على القرآن .

وأذكر أن نبى المورمون لم يمض عليه قرن واحد ، ومع ذلك لا يملك أتباعه أى دليل على صدقه ، وقد قيل كثير حول ألواحه وقيل أكثر حول معجزاته ، وأتباعه الآن بلاشك مقلدون .

هذا جانب مما يجعلنا نؤثر الاسلام ونتبعه ، وواضح منه أن الاسلام هو الدين الوحيد الذى يملك الدليل على صدقه .

وسألت الأساتذة الجامعيين عن وجهة نظرهم ازاء حجتنا ، فقالت أستاذة منهم : لقد حضرنا أساتذة ولكننا خرجنا تلاميذ .

د : عبد الجليل شلبى

ولى الله بين القرآن والسنة

لفضيلة الأستاذ الشيخ أبو الوفا المراغى

عن أبى امامة الباهلى رضى الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : قال الله : ان أغبط أوليائى عندى مؤمن خفيف الحاذ ذو حظ من الصلاة أحسن عبادة ربه وأطاعه فى السر وكان غامضا فى الناس لا يشار اليه بالأصابع وكان رزقه كفافا فصبر على ذلك ثم نقر بيده فقال عجلت منيته ، قل تراثه ، قلت بواكيه . أخرجه الترمذى .

لم يفتر النبى صلى الله عليه وسلم منذ أن ابتعثه الله واصطفاه لأداء الرسالة وتبليغ الأمانة عن القيام بما انتدب له بكل أسلوب وكل وسيلة حرصا على أن يستجيب الناس له لينقذهم مما انغمسوا فيه من ضلال أراد الله أن يبعدهم عنه ويشفيهم منه ، وكان يحزنه أن يعرضوا ويصدوا عن نور هدايته حتى عاتبه الله فى آيات كثيرة على ارهاق نفسه بما يلقى من عنتهم فقال تعالى : لعلك باخع نفسك ألا يكونوا مؤمنين . وقال تعالى : ليس عليك هداهم ولكن الله يهدى من يشاء . وقال تعالى : أفأنت تكره الناس حتى يكونوا مؤمنين .

وكان صلى الله عليه وسلم بما ألهمه الله من علم وحكمة خبيرا بمواطن التأثير من النفوس ومداخل الهداية من القلوب ذا بصيرة بأساليب الاقناع المناسبة لكل موقف ولكل انسان كان يدعو الكافر الى التوحيد ويحذر العاصى من العصيان ويحث الطائع على المزيد من الطاعات بألوان من الترغيب المبهج والترهيب المزعج مما احتوى القرآن أصوله ووشت السنة حواشيه وأطرافه بجوامع الكلم

وروائع الحكم ، ففى القرآن الكريم والسنة النبوية معارض من القول فى أوصاف ما أعد الله للمؤمنين الطائعين من الثواب وما رصد للكافرين والعاصين من العقاب تتخلل أكثر سور القرآن مما يلين القلوب ويرقق النفوس ويفتح العقول والقلوب والآذان الى ما حوى الكون من غريب الخلق وعجائب القدرة والكشف عن سلطان الله فيما يشاء وعلى من يشاء وقد استغرق العمل للدعوة كل وقت رسول الله وكل جهده وجل حديثه فكان عمله وقوله حتى بين أهله وأصحابه تشريعا وهداية كملت به الشريعة واستقامت الملة ونقله أصحابه فى أمانة وصدق وحرص الى آفاق العالم فى حياته وبعد وفاته ، محوطا بالتقديس والثقة حتى بلغت الثقة به ما لم تبلغه شريعة مما تقدم من الشرائع السماوية ولقد كان طبيعيا أن تتفاوت حظوظ الناس فى العمل بما يؤمرون به وما ينهون عنه من الشريعة كما كان طبيعيا أن يتفاوتوا كذلك فى منازلهم عند الله وفى درجات القرب منه وقد بين ذلك الحديث أقرب الناس اليه وأرضاهم عنده وأوفرهم حظا من ثوابه والمغبوط منهم ، والذى يتمنى مثل درجته كل انسان من جمع خصالا استحق أن يبلغ بها ما بلغ عند ربه •

والمؤمنون جميعا أولياء الله بولاية الايمان وبالمودة وبالقرب والمحبة والطاعة لما شرع وهم كما حددهم فى كتابه وبينهم أبلغ بيان « ألا ان أولياء الله لا خوف عليهم ولا هم يحزنون الذين آمنوا وكانوا يتقون لهم البشرى فى الحياة الدنيا وفى الآخرة • لاتبديل لكلمات الله ذلك هو الفوز العظيم » • فولى الله من آمن به واتقى ما يخالف ما شرعه والايمان والتقوى يكادان لا يحتاجان لشرح وايضاح وصورتهما مرسومة بالفطرة فى أذهان ذوى الفطر السليمة وليس الولى هو الشخص الخيالى الذى يرسم الدجالون والكذابون وذوو العقول المدخولة صورته بصورة تجاوز بوصفه أوصاف الأنبياء وتجاوز بمنزلته منازل الأنبياء بل

يجعلون له نصيبا من تصريف الأمور وتدبير الشئون ويشركونه جهلا بالله ، فتصريف الأمور وتدبير الشئون شأن من شئون الله تعالى وحده « ألا له الخلق والأمر » .

ولى الله هو ما رسمه الله لا ما رسمته الخيالات الفاسدة والأساطير الخرافية وقد زاده الحديث بيانا فقال هو المؤمن الخفيف الحاذ ـ والحاذ الظهر ـ والمراد أنه المتخفف من مشاغل الدنيا ومحبوباتها من مالْ وولد وجاه والمتمكن بذلك من الاتصال بالله والاقبال عليه بصلاته وصيامه وفروضه عامة كما بينها رسول الله جاهدا فى أدائها على أحسن الوجوه وهو الذى يقوم بطاعاته وقرباته فى اسرار وخفية اتقاء الرياء والسمعة لتكون خالصة لله لا يشوبها غرض دنيوى يحبط ثوابه منها ثم هو الذى لا تخدعه مظاهر الدنيا ولم يجتذبه الشيطان الى التطلع الى مناصب الحكم والسلطان حتى يعرف ويشار اليه بالبنان أينما كان، ثم لم يجعل مع ذلك همه جمع المال واكتناز الذهب والفضة والضياع والمتاع بل كان همه من المال ما يقوم بحياته من ضرورات العيش فيكتفى به ويصبر عليه عملا بقوله صلى الله عليه وسلم حسب ابن آدم لقيمات يقمن صلبه.

ويحفظ على ذلك الوالى ولايته ليلقى بها ربه ان يقصر عمره وتعجل منيته خوفا من الامتحان والفتنة ولا يترك ميراثا لفقره ولاتقوم على قبره البواكى والنوائح لانطوائه على نفسه وتخفيه وزهده فى الجاه والمنصب والسلطان وتصاول الاقران . هذا رسم ولى الله فى القرآن وسنة رسول اللهوهذه صورته الصحيحة وليست صورته ورسم ما شطحت فيه خيلات المتصوفة والمرتزقة مما يخرج بها عن البشر ورسمه ماشطحت فيه خيلات المتصوفة والأرض ويسخرهم بقهره وسلطانه فتلك صورة خيالية لا يعرفها الاسلام ولم ينتحلها لاصلح خلق الله وأقربهم اليه بشهادة القرآن وهم أبو بكر وعمر وعثمان وعلى

وغيرهم من صحابته الأبرار الاطهار ولم يقل القرآن ولم تقل السنة عن واحد من اولئك ما يقوله الكاتبون فى الأولياء والمترجمون لهم ، انا لانجحد الأولياء ولاننكر ماحباهم الله من تقوى ولكن على الصورة التى رسمها القرآن والحديث لهم أما على الصورة التى رسمها بعض الناس من أنهم مدبرون مصرفون نافعون ضارون احياء وهم أموات تكاليفهم مرفوعة وذنوبهم موضوعة فانا نعوذ بالله من الضلال بعد الرشاد ومن الكفر بعد الايمان .

هذا ويلاحظ فى هذا الحديث اهتمامه بأمور جعلها عناصر هامة فى تحقيق جوهر الولاية أولها التحذير من التعلق باسباب الشهرة والجاه والسلطان ولعل ذلك لأنها من أسباب البلاء والدخول فى مداخل السوء والنفاق والرياء والغش والغدر والخوض فى اكتساب الحرام فمن تعلق باسباب الشهرة هان عليه دينه وضعف يقينه واقتحم مهاوى الهلاك والأمر الثانى قلة الاهتمام بالمال والاكتفاء بما يحفظ الحياة ويقيم الأود حتى لا يستغرق الاشتغال بالمال كل وقته وكل جهده ولايدع له فراغالعبادة الله . والأمر الثالث حسن العبادة، وحسن العبادة اداؤها على الصورة الكاملة التى رسمت لها ، ولكل عبادة وسائل احسان بينها العلماء والفقهاء فى مواطنها . واخيرا نسأل الله أن يجعلنا من أوليائه بما هدانا به من كتابه وسنة رسوله

ابو الوفا المراغى

قال صلى الله عليه وسلم :

« الصيام جنة ، فاذا كان يوم صوم أحدكم فلا يرفث ولا يجهل وان امرؤ شاتمه أو قاتله فليقل : انى صائم ، انى صائم ، والذى نفسى بيده لخلوف فم الصائم أطيب عند الله من ريح المسك » .

أخرجه النسائى عن عائشة .

القيادة العسكرية والمنهج العلمى فى الإسلام

للواء محمد جمال الدين محفوظ

يروى أن القائد العام فى احدى الدول العظمى توجه لافتتاح كلية أركان الحرب (١) التى أنشئت لأول مرة بعد الحرب العالمية الأولى ، فلما دخل قاعة الدراسة حيث كانت تجلس أول مجموعة من الضباط الدارسين ، توجه نحو المنصة ليلقى فيهم كلمة ، فلم يزد على قول كلمتين اثنتين هما : « تعلموا التفكير » ! !

والحق أن خطاب القائد — على قصره الشديد — كان بليغا الى اقصى حد . فلقد قصد من ذلك التركيز على « بيت القصيد » وهو « تعلم التفكير » وهو الشىء الذى انشئت الكلية من أجله .

ولقد اهتمت كل جيوش العالم فى ذلك الحين بتنمية التفكير العلمى المنظم فى عقول رجالها ، فأنشأت مثل تلك الكلية لتدريب ضباطها

---

(١) ضباط الأركان أو أركان الحرب Staff Officers صفة تطلق على الضباط الذين يعاونون القائد فى اصدار القرارات وشئون التخطيط عموما ، وذلك بأن يجمعوا المعلومات والبيانات المتعلقة بالموضوع ويحللوها ويخرجوا منها الاستنتاجات المختلفة عن طريق العمل أو الحل المتاحة والممكنة ويفاضلوا بينها ويضعوا تصورهم للحل أو البديل الأفضل ثم يعرضوا نتائج تفكيرهم على القائد الذى يتخذ القرار ولزيادة الايضاح يمكن أن نقول : « ان مهمة ضابط الأركان هى التفكير ، ومهمة القائد هى اصدار القرار » فاذا عين ضابط الأركان — بعد أن يمضى فترة فى عمله — فى وظائف القيادة فلا شك أنه سيكون صالحا لاصدار القرارات .

وقادتها على فن التفكير واصدار القرارات .

وقد أجمع العسكريون على أن « القدرة على اتخاذ قرار سليم » من الخصائص الحيوية للرجل العسكرى فى الحرب الحديثة سواء أكان قائدا أو جنديا .

واتخاذ القرار عملية عقلية يقدح فيها زناد الفكر ، وتدرس فيها المعطيات والعوامل والظروف المختلفة ، وتطرح فيها الحلول والبدائل ، وتفحص فحصا جيدا للمفاضلة بينها واختيار الحل أو البديل الأمثل .

ولقد انقضى العهد الذى كانت فيه القوة البدنية والشجاعة هما المقومات الأساسية للنجاح فى المعركة ، وأصبح التفكير العلمى المنظم هو المطلب الحيوى الأول للنجاح فى القيادة والقتال معا .

يقول الفيلد مارشال مونتجمرى (١) : « لقد اقتنعت بأنه لا يمكن لأى قائد فى القرن العشرين أن يصبح قائدا عظيما ، وممارسا ممتازا لفن الحرب (٢) اذا لم يقم قبل كل شىء بالدراسة والتفكير العلمى للحرب » .

ثم يركز مونتجمرى على موضوع التفكير العلمى المنظم فيقول بعد أن يستعرض المشكلات المعقدة للحرب الحديثة ومسئوليات القائد حيالها: « ينبغى أن يكون القائد مفكرا صافى الذهن تماما ، وأن يكون قادرا على استخلاص وفرز العناصر الجوهرية من بين أكداس من العوامل والظواهر الأقل أهمية والتى تتصل بكل مشكلة ، وهذه القدرة على استشفاف العناصر الجوهرية يجب ألا يصاحبها فقدان الرؤية وسوف يفشل القائد — فى الأغلب — اذا لم يكن ذهنه فى صفاء

---

(١) فى كتابه « الحرب عبر التاريخ » .

(٢) فن الحرب Mieitary Art هو الفن الذى يحتوى على جميع المسائل المتعلقة باعداد وادارة شئون الحرب من أعلى مستوى (قيادة وادارة تنظيم الخ) الى أقل مستوى (وهو القتال الفعلى فى الميدان) .

الثلج ، واذا لم يكن تفكيره منظما .

ويقول الجنرال جان بيريه فى كتاب له بعنوان « الذكاء والقيم المعنوية» ما يلى :

ان كل مشكلــة تتطلب عمليــة فكرية واسعة ، وتحليلا لكل مــا يتعلق بعدد معين من المعطيات الفنية والظروف الخاصة ... ثم يقــول : ان ممارسة القيــادة بطبيعتها عمل مزدوج يشمــل مرحلتين متميزتين تتطلبان مواقف فكرية متباينة وهما :

* مرحلة الدراسة والتفكير

* مرحلة القرار والتنفيذ .

ويحدد القائد العسكرى لفكره ثلاث طرق فكرية مختلفة :

١ ـ طريقة «العالم» الذى يمعن الفكر بالتجارب ويستخرج منهــا قواعد عــامة ويشترك فى وضــع النظريات والقوانين .

٢ ـ طريقة «الطبيب» الذى يحلل ويناقش ويزن المعطيات لحالة خاصة محددة .

٣ ـ طريقة «رجل العمل» الذى يستنتج ويقرر وينفذ .

وجملة القول ان القدرة على اتخاذ القرار السليم من أول مــا تطلبــه الحرب الحديثة فى الرجل العسكرى قائدا كان أو جنديا ، وان التفكير العلمى المنظم هو المدخل الصحيح الى القرار السليم، وان عملية التفكير لاتخاذ القرار أو لحل المشكلة يجب أن تسير على المنهج العلمى الــذى يقوم على العناصر التالية :

* تحــديد المشكلة تحديــدا صحيحا .

* دراسة وتحليل المعطيــات أو وضع الفروض عن العوامل المحددة للمشكلة ثم اختيار كل فرض منها .

* استــعراض البــدائل التى تسهم فى حل المشكلة (على ضوء المعطيات أو الفروض الصحيحة) .

* اختيار البديل الأمثل .

وهذا المنهج العلمى هو أحد الأسس الرئيسية التى قامت عليها أحــدث النظريات العلمية لحــل المشكلات الادارية وتسمى «بحوث العمليات» Operations Research

وهــى مجمــوعة من الأســاليب الرياضية التى تســتخدم فى تحليل

المشكلات والبحث عن الحلول المثلى لها . وتعرف بحوث العمليات (١) بأنها « استخدام الطريقة العلمية فى تحليل المشكلات الادارية وقد أصبحت لبحوث العمليات التى تقوم على أساس المنهج العلمى كما قدمنا — أجهزة متخصصة فى كل تنظيم حديث فى الحياة العسكرية والمدنية على السواء .

والواقع أن المنهج العلمى هو منهج اسلامى ، سبق به الاسلام منذ أربعة عشر قرنا . فالاسلام هو دين الفكر والعقل والعلم ، وقد ارتفع بالعقل وقدره حق التقدير وجعله ميزة للانسان استحق بها الخلافة فى الأرض . وبها احتمل الأمانة التى عجزت عن حملها الجبال والأرض والسموات « فأبين أن يحملنها وأشفقن منها وحملها الانسان » .

والعقل فى ميزان الاسلام هو التعبير الواقعى عن الرشد والأهلية لتحمل المسئوليات والتبعات والتكاليف كما أن له قيمته فى حركة الحضارات : انشاء واضافة وتطويرا، وحث الاسلام على التفكير والمشاهدة والتأمل والنظر فى ملكوت السموات والأرض لاستنباط الحقائق العلمية، والوصول الى معرفة نواميس الكون وهو ما يفهم من قول الله تعالى :

* « قل سيروا فى الأرض فانظروا كيف بدأ الخلق » (العنكبوت ٣٠)

* « قل انظروا ماذا فى السموات والأرض » (يونس ١٠١)

* « أفلم يسيروا فى الأرض فتكون لهم قلوب يعقلون بها أو آذان يسمعون بها » (الحج ٤٦)

* « أفلا ينظرون الى الابل كيف خلقت ، والى السماء كيف رفعت والى الجبال كيف نصبت والى الأرض كيف سطحت » (الغاشية ١٧ — ٢٠) .

---

(١) أنظر « بحوث العمليات » — د. على السلمى — مطبوعات المنظمة العربية للعلوم الادارية .

* « قل انما أعظكم بواحدة أن تقوموا لله مثنى وفرادى ثم تتفكروا » (سبأ ٤٦) فالقرآن الكريم يوجه الى اتباع المنهج العلمى فى مناحى الحياة ، ويأمر باستخدام العقل وسائر الحواس استخداما أساسه المشاهدة فالعين يجب أن ترى ، والأذن يجب أن تسمع ، والعقل يجب أن ينظر ويفكر .

وهذا هو منهج الاستقراء القائم على المشاهدة والبرهان الحسى والتفكير المنظم ، المبنى على الواقع وهو المنهج الذى قامت عليه الحضارة الحديثة كما يشهد بذلك التاريخ والمنصفون من علماء الغرب مثل جوستاف لوبون الذى قال :

«قام منهج العرب على التجربة والترصد ، وسارت أوروبا فى القرون الوسطى على درس الكتب والاقتصار على تكرار رأى العلم ، والفرق بين النهجين أساسى ، ولا يمكن تقدير قيمة العرب العلمية الا بتحقيق هذا الفرق ، واختبر العرب الأمور وجربوها ، وكانوا أول من أدرك أهمية هذا المنهاج فى العالم وظلوا عاملين به وحدهم زمنا طويلا . ونشأ عن منهاج العرب التجريبى وصولهم الى اكتشافات مهمة ، وسترى من مباحثنا فى أعمال العرب العلمية أنهم أنجزوا فى ثلاثة قرون أو أربعة قرون من الاكتشافات مايزيد على ماحققه الأغارقة فى زمن أطول من ذلك كثيرا . ولم يقتصر شأن العرب على ترقية العلوم بما اكتشفوه . فالعرب قد نشروها كذلك بما أقاموا من الجامعات وما ألفوا من الكتب فكان لهم الأثر البالغ فى أوروبا من هذه الناحية » .

ويقول الاستاذ الانجليزى بريفولت فى كتابه (بناء الانسانية) عن أصول الحضارة الغربية « أن الأوروبين درسوا عن العرب طرق البحث العلمى التجريبى ، وأنه لم يسبقهم اليها باحث أو مفكر . وقال أيضا « ليس لروجيه بيكون ولا فرانسيس بيكون الذى جاء بعده الحق فى أن ينسب اليهما الفضل فى ابتكار المنهج التجريبى ، فلم يكن روجيه بيكون الا رسولا من رسل

العلم والمنهج الاسلاميين الى أوربا المسيحية وهو نفسه لم يمل قط من التصريح بأن تعلم معاصريه اللغة العربية وعلوم العرب هو الطريق الوحيد للمعرفة الحقة » .

وكانت نتيجة حث الاسلام على العلم وتوجيه المسلمين نحو الكشف عن سنن الله الكونية أن اندفع المسلمون الى البحث فى جميع ميادين الحياة روحية كانت أو عقلية أو مادية : ونشأ عن ذلك الحضارة الاسلامية التى أنتجت أمثال جابر ابن حيان فى الكيمياء وابن الهيثم فى الطبيعيات وأبى بكر الرازى فى الطب ، وابن سينا فى الطب كذلك والفلسفة ، والغزالى فى الجانب الروحى ، وابن رشد فى الفلسفة العقلية ، وابن خلدون فى الاجتماع والتاريخ ، والخوارزمى فى الرياضيات وعشرات غيرهم فى مجالات العلوم الطبيعية والاجتماعية .

وقد استخدم هؤلاء منهج الاستقراء ، ولو قيض الله سبحانه للحضارة الاسلامية أن تسير فى طريقها دون عوائق لكان المسلمون هم الذين غزوا الفضاء ، ووصلوا الى القمر والى غيره مما سخره الله للانسان من كواكب .

ان المنهج التجريبى أو منهج الاستقراء يقوم على تتبع الجزيئات عن طريق التجربة فيما يمكن أن يخضع للتجربة ، وعن طريق الملاحظة فيما لا يتأتى أن يخضع للتجربة ، وعن طريق الافتراض (وفى هذه الحالة يبقى الافتراض مظنونا الى أن تثبته التجربة أو تنفيه) ــ كل ذلك يستهدف الوصول الى الحقائق العلمية والقوانين التى تحكمها .

وقد حدد الحسن بن الهيثم أصول المنهج الاستقرائى تحديدا دقيقا فقال :

« نبتدىء البحث باستقراء الموجودات ، وتصفح حال المبصرات وتميز خواص الجزئيات » فهو فى ذلك يدعو الى البدء بدراسة الحقائق الجزئية واستخدام الملاحظة العلمية المقصودة فى دراسة الحقائق تمهيدا لاكتشاف خواصها ومعرفة صفاتها والوصول الى القوانين التى تحكمها .

وقد أشار فى نص آخر الى

أهميـة التجـربة التى يسميهـا « بالاعتبار » فى دراسـة الظواهر تحت ظـروف مختلفـة ، ويوصى باستقراء أكبر عـدد ممكن من مفـردات الظـاهرة التى يعـرض الباحث لدراستها تفاديا للخطـأ فى نتائج الاستقراء ويطـالب الباحث بأن يكون موضـوعيا فى دراسته بعيـدا عن التحيزات الشـخصية فيقول : « ولنجعل غرضنا فى جميع مانستقريه وتتصفحه استعمال العدل لا اتباع الهوى ونتحرى فى سـائر ما نميزه وننتقده طلب الحق لا الميل مع الآراء » .

وجاء فى رسـالة اخوان الصـفا الدستور الذى وضعه العرب للبحث العلمى والفلسفى وهذا الدسـتور ينحصر فى تسعة أحكام كما يلى :

* السـؤل الأول (هل هو) يبحث عن وجدان الشىء أوعن عدمه والجواب نعم أو لا .
* السـؤول اثانى (ما هـو) يبحت عن حقيقة الشىء .
* السؤال الثالث (كم هـو) يبحث فى مقدار الشىء .
* السؤال الرابع (كيف هو) يبحث عن صفة الشىء .
* السؤال الخامس (أى شىء هـو) يبحث عن واحد من الجملة أو عن بعض من الكل .
* السؤال السادس (أين هو) يبحث عـن مكان الشىء أو عـن رتبته .
* السؤال السابع (متى هو) يبحث عن زمان كون الشىء .
* السؤال الثـامن (لم هو) يبحث عن علة الشىء المعلول .
* السؤال التاسع (من هـو) يبحث عن التعريف للشىء .

محمد جمال الدين محفوظ

الشـكوى الى الله :

الشكوى الى الله تعالى لا تنافى الصـبر ولا الرضـاء ، بل اعراض العبد عن الشكوى الى غيره من جهله بخالقه وعـدم رضائه وصبره بما ابتلاه الله تعالى به ، والله تعالى يمقت من يشكوه الى خلقه ، ويحب من يشكو ما به اليه . قبل لبعضهم كيف تشـتكى الى من لا تخفى عليه خافية فى الأرض ولا فى السماء . فقال :

قالوا أتشـكوا اليه مـا ليس يخفى عليـه
فقـلت ربى يـرضى ذل العبيـد لـديه

نبى الإسلام

كما يراه "لامرتين" شاعر فرنسا الكبير

التحرير

« لامرتين » نابغة من شعراء فرنسا بدأ اسمه يلمع عام ١٨٢٠ وفجأة قفز الى مصاف فحول الشعراء ، ثم انتخب فى المجمع العلمى الفرنسى . وبعد ما تجول فى الشرق عين نائبا فى مجلس النواب فكانت له فيه جولات خطابية موفقة .

ولما أسست الجمهورية الثانية كان عضوا فى الهيئة الحاكمة المؤقتة ووزيرا للخارجية . أما مؤلفاته ودواوينه فهى عديدة نذكر منها التأملات الجديدة ... موت سقراط ... رحلة الشرق ... الانسجام الشعرى ... جوسلين .

درس « لامرتين » حياة نبينا الكريم دراسة وافية ، وأدرك مافيها من عظمة وخلود ، وهذا هو الدافع الى أن يسجل ويقول :

« أترون محمدا كان أخا خداع وكذب .. كلا .. لم يكن خادعا ولا كاذبا بعد ما عرفنا تاريخه ودرسنا حياته ، فالكذب والخداع والتدليس صفات تتولد من نفاق العقيدة وليس للنفاق قوة العقيدة وليس للكذب قوة الصدق » .

وتناول حياته بالتحليل قائلا :

« ان حياة محمد وقوة تأمله وتفكيره وجهاده ووثبته على خرافات أمته وجاهلية شعبه وخزعبلات قبيلته ، وشهامته وجرأته وبأسه ، وثباته ثلاثة عشر عاما يدعو دعوته فى وسط أعدائه ، وتقبله سخرية الساخرين وهزأه بهزء الهازئين وحميته فى نشر رسالته ، وتوافره على السعى فى اظهار دعوته ، ووثوقه بالنجاح وايمانه بالفوز ورباطة جأشه فى

الهزائم ، وتطلعه الى اعلان كلمة الله وتأسيس العقيدة الاسلامية ، ونجاح دينه بعد موته . كل ذلك أدلة على أنه لم يكن يضمر خداعا أو يعيش على باطل . وهذا اليقين الذى ملأ روحه هو الذى وهبه القوة على أن يرد الى الحياة فكرة عظيمة وحجة قائمة ومبدأ مزدوجا ، وهو وحدانية الله وتجرد ذاته عن المادة . الأولى تدل على من هو الله ، والثانية تنفى ما ألصقه الوثنيون به . الأولى حطمت آلهة كاذبة ، والأخرى فتحت طريقا الى الفكر والتأمل »..

وفى موضع آخر يقول :

« لقد كان محمد فيلسوفا وخطيبا ومشرعا وقائدا وفاتح فكر وناشر عقيدة تتفق مع الذهن ومنشىء عشرين دولة فى الأرض ، وفاتح دولة فى السماء من الناحية الروحية، أى رجل قيس بجميع هذه المقاييس التي وضعت لوزن العظمة الانسانية كان أعظم منه ؟

ولو كان مقياس العظمة هو اصلاح شعب متدهور ، فمن ذا يتطاول الى مكان محمد ؟ .

لقد سما بأمة متدهورة ورفعها الى قمة المجد ، وجعلها مشعلا للمدنية وموردا للعلم والعرفان ..

لقد كان مقياس العظمة فى توحيد البشرية المفككة الأوصال فمن أجدر بهذه العظمة من محمد الذى جمع شمل العرب وجعلهم أمة عظيمة وامبراطورية شاسعة .

ولو كان مقياس العظمة هو اقامة حكم السماء على الأرض فمن ذا الذى ينافس محمدا وقد محا مظاهر الوثنية ليقيم عبادة الخالق وحده .

ولو قسمنا العظمة بالنصر الحربى والنفوذ والسلطان فمن يدانيه فى هذا المضمار ؟ لقد كان يتيما لا حول له ولا قوة ، فأصبح ملكا عظيما ومؤسسا لامبراطورية دامت ثلاثة عشر قرنا من الزمان — ولازالت — .

ولو كان مقياس العظمة هو الأثر الذى يخلده فى النفوس على مر الأجيال فها هو محمد يمجده أربعمائة مليون من الناس فى مختلف البقاع مع تباين أوطانهم وألوانهم وطبقاتهم .

نبى الاســلام

كما يراه المســتشرق الفرنسى اميل درمنغم

كتب المستشرق الفرنسى أميل در منغم كتابا عن حياة محمد فى شتى مراحلها نقطف منه تلك الفقرات التى جاءت بعنوان : « رسول الله » حيث قال :

تاريخ البشرية ما هو الا سلسلة من الايحاء والالهام ، اذ يسمع البشر بين وقت وآخر صيحة مدوية، واذا برجل يسير فى طريق الحق غير متوان ، عاملا على أن يوقظ الآخرين من نومهم العميق .

هكذا يقوم خلاص البشر على سلسلة من الأفعال الحرة الطليقة .

وهكذا نهض محمد ـ صلى الله عليه وسلم ـ يدعو قومه الى دين الواحد الأحد وهكذا نهض لينبه آسيا وأفريقيا ، وليجدد بلاد فارس الناعسه وليحث نصرانية الشرق التى أفسدتها التأملات الفاترة .

وشأن الأنبياء فى العالم كشأن قوى الطبيعة الهائلة النافعة ، كشأن الشمس والمطر كشأن عواصف الشتاء التى تهز الأرض وتثيرها لتتزين ببساط أخضر فى بضعة أيام . وأحسن شهادة لهؤلاء الأنبياء ما يورثونه من راحة العقول وطمأنينة القلوب وشد العزائم والصبر على الشدائد ، مع شفاء الأخلاق المريضة الواهية .

جاء نبى الاسلام يدعو العلماء ليفقهوا ما يقولون ، ويقوم ما يتيه فيه الحكماء من الطرق المعوجة ، فالناس حين يستمعون لكلامه الموحى اليه به يعود اليهم سابق اتصالهم بالسر المحيط بهم ، مهتدين الى مبدأ حى لا يجدون مثله فى نصائح الفلاسفة وأقطاب السياسة والاجتماع . ويكفى أن نشير أن نبى الاسلام ظهر فى وقت من أشد أوقات التاريخ ظلاما ، فى وقت كانت فيه الحضارات مضطربة متداعية .

وبين محمد ومن تقدمه من أنبياء بنى اسرائيل شبه قوى فكان هو

بمكه كأشعياء فى اسرائيل وكان وهو حاكم بالمدينة كيشوع فى كنعان . ـ وهـذا قيـاس مع الفارق ـ

والقـرآن هـو معجزة محمـد الوحيدة ، فأسلوبه المعجزة وقـوة أبحاثه التى لا تزال لغزا الى يومنا هـذا ، يثيران ساكن من يتلونه ، ولو لم يكونوا من الأتقياء العابدين . وكان محمد يتحدى الانس والجن بأن يأتوا بمثله . وكان هذا التحدى أقوى دليل على صـدق رسالته ، وهـذا لا يعنى الاشارة الى قيمـة أدبية خاصـة فى القرآن ، ما دام محمد كارها للشعراء ، محترزا من أن يكون أحـدهم ، وما دام هناك فـرق بين وحى الله ونفث الجـن ، ولا ريب فى أن كل آية منـه ، ولو أشـارت الى أدق حادثة فى حياته الخاصة تأتيه بما يهز الروح بأسرها من المعجزة العقلية .

ولا يستطيع أحـد أن يشك فى اخلاص محمد ، فحياة محمد مهما كانت وجهة النظر فيها شاهدة على اعتقاده صـدق الرسالة التى حمل أماتتهـا الثقيلة ببطولة ، وأن قوة ابداعـه وعبقريته الواسـعة وذكائه العظيم وبصره النافذ وقـدرته على ضبط نفسه وعزمه المكين ، وحـذره وحسن تدبيره وطراز عيشه مما يمنع ذلك النبى ، ذلـك المـوحى اليـه الموهوب أن يكون مبتلى بالصرع .

ولم يدر فى خلد محمد ثانية أن يجعل كلامه ملائما لذهنية معاصريه حتى يسهل اقناعهم واجتذابهم اليه . فاذا كان محمد قد استمال الناس اليه فلم يكن ذلك بما هو هين سهل بل بعرضه عليهم رسالته السـاطعة الحـادة كالسيف ، المنفصـلة عن نظراته الشخصية ..

عن على رضى الله عنه قال :

ياحملة العلم اعمـلوا به فانما العالم من علم فوافق علمه عمله ، وسيكون أقوام يحملون العلم لا يجـاوز تراقيهم ، يخالف علمهم عملهم ، وتخالف سريرتهم علانيتهم يجلسون حلقا حلقا فيباهى بعضهم بعضا حتى ان الرجل ليغضب على جليسه اذا جلس الى غيره ويدعه ، أولئك لا تصعد أعمالهم فى مجالسهم تلك الى الله عز وجل .

انهيار البناء العقلي لعلم الكلام والدعوة إلى التخطيط لعلم كلام جديد

للدكتور يحيى هاشم

المقال الأول :

تتوقف المعرفة بالله عند المتكلمين ـ أشاعرة ومعتزلة ومن تأثر بهم ـ على النظر العقلى ، حيث تنفرد الدلالة العقلية عندهم منهجيا باثبات حدوث العالم واثبات الصانع وكونه عالما قادرا متكلما مرسلا للرسل مظهرا للمعجزة على أيديهم .

هذه الموضوعات ـ وهى الموضوعات الأساسية فى العقيدة تنفرد فيها الدلالة العقلية، ولاتنضم اليها الدلالة السمعية ـ لأنها لما تثبت ـ الا على سبيل الموافقة، لا الاستدلال .

وهذه المعرفة العقلية تتوقف على العلوم الضرورية .

* * *

وهنا يحق لنا أن نتساءل عن مصدر هذه العلوم الضرورية .

حقا نحن لا نسأل عن دليل عليها، أو على صحتها ، ولكن هذا لا يمنعنا من السؤال عن مصدرها .

ولقد أغنانا المتكلمون فى هذا المقام حيث قرروا أن العلوم الانسانية علوم حادثة . وحيث قرروا أن الله خالق العلوم الضرورية ، بل قرروا أنه سبحانه وتعالى خالق العلوم النظرية . قال ذلك الأشاعرة ، بل قال بذلك المعتزلة أنفسهم ، بالرغم من مذهبهم فى خلق الأفعال حيث أسندوا خلقها الى الانسان .

واذن فمعرفة الله متوقفة على العلوم العقلية النظرية ، والعلوم النظرية متوقفة على العلوم الضرورية والعلوم الضرررية مخلوقة ومن ثم يتوقف الثقة فيها على الثقة فى خالقها ، وهو الله سبحانه وتعالى، اذن فمعرفة الله تعالى تتوقف على معرفة الله تعالى .

وهذا دور ظاهر .

وهناك دور آخر وقع فيه علم الكلام جملة عند الأشاعرة والمعتزلة على السواء .

وذلك فى كلامهم حول مصدر ايجاب النظر .

ان المعتزلة يوجبون النظر ايجابا عقليا على أساس الخوف من الضرر عند تركه .

والأشاعرة يوجبونه ايجابا شرعيا مستدلين على ذلك بالآيات الواردة فى الحث على النظر وترك التقليد .

وقد وجه كل من الطرفين الى الآخر تهمة الوقوع فى الدور فى هذا المجال .

فللأشاعرة يقال :

(يقول المكلف : لا أنظر ما لم يجب النظر ، ولا يجب النظر ما لم يثبت الشرع ، ولا يثبت الشرع ما لم أنظر) .

وللمعتزلة يقال أيضا :

(يقول المكلف : لا أنظر ما لم يجب النظر ، ولا يجب النظر ، ما لم أنظر) .

والنتيجة : أن البناء العقلى لعلم الكلام وقع فى الدور الذى أراد الهرب منه عندما لم يقبل أن تكون معرفة الله عن طريق السمع ، وذهب يقيم بنيانه العقلى لذلك .

وهو قد وقع فى واقعتين من الدور الباطل :

الواقعة الأولى : تبطل شرعية وجوده .

الواقعة الثانية : تبطل شرعية وجوبه .

***

ومع ذلك فاننا يجب أن نعترف لهذا العلم ــ فى صورته القديمة ــ بشجاعة التصدى لتيارات الالحاد الذى كان قائما فى عصر نشأته .

كما يجب أن نقرر أننا اليوم بازاء تيارات الحادية أكثر تنوعا وأشد ضراوة .

وتقف وراء تيارات الالحاد هذه منظمات ومؤسسات وقوى ، تتسم بالضراوة والحنكة ، والتنظيم الدقيق ، والعمل الدائب ،

والكراهية العميقة للاسلام بخاصة ولا أظننى مبالغا — قيد أنملة — فى تصوير هذا الواقع الذى يترصد عقائد المسلمين — فى عصرنا الراهن — من شتى الاتجاهات ، ومختلف الجيهات .

بل اعتقد ان هذا التصوير ينال تصديق جميع المسئولين عن حركة الفكر الاسلامى الحديث مهما تختلف مواقفهم من كيفية التصدى لهذا الخطر الداهم الذى يهدد عقائد المسلمين بجدية وعنف .

فاذا أردنا تصوير هؤلاء وجدنا أنفسنا ازاء موقفين ، الأول : ينادى بمنهج تربوى اسلامى يقوم على تربية المسلم على اساس التسليم المطلق بأصل الاصول فى العقيدة الاسلامية ، ومن ثم يصير المسلم الى التسليم بالاصول الاخرى ، وبالتفاصيل والجزئيات تسليما تبعيا لايقبل المناقشة ولا يحتملها ولا يصغى اليها ... ولاحاجة به بعد ذلك الى علم يقوم بعبء المناقشة والجدل .

الثانى : ينادى بالرجوع الى علم الكلام القديم والاستناد اليه فى محاربة أشكال الالحاد الحديث ، باعتباره العلم الذى قام بهذه المهمة فى الماضى ، ومن ثم كان قادرا على القيام بنفس المهمة فى الحاضر والمستقبل،وقديما أرجع الشهرستانى الشبهات التى حدثت فى مراحل الحياة الانسانية الى زمن موغل فى الماضى .. الى ابليس ، فلا جديد هناك ..

والذى أراه ان كلا الفريقين مغرق فى التفاؤل ، وان التصدى لتيارات الالحاد الحديث يحتاج الى يقظة أشد ، والى نظرة أعمق وأشمل .

ونناقش أصحاب الموقف الأول فنقول لهم ما قاله الامام أبو حنيفة رضى الله عنه فى هذا الشأن فى حوار بين العالم والمتعلم : (قال المتعلم : رأيت أقواما يقولون لاتدخلن هذه المداخل ، فان أصحاب نبى الله صلى الله عليه وسلم لم يدخلوا فى شيىء من هذه الأمور ، وقد يسعك ما وسعهم ... وجدت مثلهم كمثل

رجل فى نهر عظيم يكاد أن يغرق من قبل جهله بالمخاضة ، فيقول له آخر : أثبت مكانك ولا تطلبن المخاضة . قال العالم : قل لهم : بل يسعنى ما وسعهم لو كنت بمنزلتهم وليس بحضرتى مثل الذى بحضرتهم وقد ابتلينا بمن يطعن علينا ويستحل الدماء منا فلا يسعنا أن لا نعلم من المخطىء منا والمصيب وان لا نذب عن انفسنا وحرمنا ، فمثل اصحاب النبى صلى الله عليه وسلم كقوم ليس بحضرتهم من يقاتلون فلا يتكلفون السلاح ... مع ان الرجل اذا كف لسانه عن الكلام فيما اختلف فيه الناس وقد سمع ذلك لم يطق أن يكف قلبه .) ، وبقية النص يبين فيه الامام أبو حنيفة أن الرجل منا اذا كف نفسه ولم يبال أن يعرف من المخطىء ومن المصيب وسط الشبهات الحائمة والجدل الدائر وقع فى أمور ، منها الجهالة ومنها نزول الشبهة به كما نزلت بغيره لا يدرى كيف يخرج منها ، ومنها أنه لا يدرى من يحب فى الله ومن يبغض فى الله من هؤلاء ... ، أما اذا عرف الرجل الحق والعدل ، وامتنع عن أن يعرف ما به غيره من الباطل والجور فأن أبا حنيفة يصفه بأنه أجهل الأصناف كلها ويسخر منه اذ يمثل له بجماعة : (.. أربعة نفر يؤتون بثوب أبيض فيسألون جميعا عن لون ذلك الثوب فيقول واحد : هذا ثوب أحمر ، ويقول الآخر : أصفر ، ويقول الثالث أسود ويقول الرابع : أبيض فيقال له : ما تقول فى هؤلاء الثلاثة أصابوا أم أخطأوا ؟ فيقول : أما أنا فقد أعلم أن الثوب أبيض وعسى ان يكون هؤلاء قد أصابوا ...)

أما عن المنهج التربوى الذى ينادى به أصحاب هذا الاتجاه فانه ما نؤمن به وهو لاريب أساس يجب أن يسبق أية محاولة أخرى ، لكنه من الواضح أنه يستهدف تربية المسلم ، وليس الدفاع عنه ، ونحن اذا أخذنا بالناحية الايجابية وحدها فى تربية المسلم وتغافلنا عن النواحى السلبية التى لا بد من أن تتسرب اليه من أعداء دينه — وهم فى العصر الحاضر أطول باعا وأقوى أسلوبا وأحكم تدبيرا — نكون مثاليين الى درجة

لا يسمح بها الواقع الذى نعيشه ، بل انه لم يسمح بها واقع المسلمين فى عصر نشأة علم الكلام — فى القرنين الأول والثانى — وهم اذ ذاك أقرب منا الى عصر النبوة ونورها • ان نصرة الدين بالدفاع عنه فى كل مجال من مجالاته ضرورة نواجه بها أعداء الدين ، ونقطع الطريق على المسارب الخفية التى تتسلل الى المسلم الذى نحاول تربيته على الأساس « التسليمى » •

ان الظروف التى نشأ فيها علم الكلام القديم هى التى أجبرته أن يكون على ما كان عليه ، لقد غلب الجانب الجدلى على علم الكلام القديم ، وتلون فى جانبه ذاك بضرورات عصره ، ولم يكن ذلك راجعا الى طبيعة هذا العلم — فى صورته النظرية — بقدر رجوعه الى ما كان يموج فى البيئة الاسلامية من تحديات الفلسفات والعقائد المناوئة على اختلاف أنواعها ، فى صورها المستترة والمعلنة على السواء • لقد أرغمت هذه التحديات متكلمى الاسلام على توجيه أنظارهم الى المباحث التى يدور فيها الاحتكاك بين الاسلام وبين تلك العقائد • ولقد كان لهذا العلم فى هذا المجال هدف جليل يتمثل فى المحافظة على عقائد المسلمين ، وكان عليه أن يواجه فى هذا الموقف أعتى أعداء الاسلام وأخطرهم وأقواهم سلاحا وأشدهم تمكنا وأكثرهم تحالفا وأوسعهم تنوعا • وان المرء ليكاد يؤخذ من هول تصوره لما كان يمكن أن يحدث لو أن الهجوم العقدى الذى تعرض له المسلمون قديما على عتوه وجبروته وجد بين المسلمين فراغا أو التقى فيهم بالمواقف السلبية ، لقد قام علم الكلام القديم — اذ ذاك — بمسئوليته الايجابية ، بعبء الدفاع عن عقائد المسلمين وقد قام بذلك على خير وجه ممكن فيما أعتقد ، يحتم علينا — من الناحية الواقعية — اغضاء الطرف عما اضطر اليه أو علق به ، فى سبيل تمكنه من قيامه بهدفه الدفاعى الاسمى • انه عن طريق علم الكلام القديم دفع المسلمون الأوائل ثمن احتفاظهم بعقائدهم ونقلها الينا سليمة معافاة ، وان كان هذا الثمن اقتضاهم

ما حدث هناك من تفرق وجدل واعتماد كاذب على العقل النظرى ، لكنه على أية حال كان ثمنا محتوما لا بديل منه الا الاستسلام الكامل للغزو الفكرى العنيف الذى لم يكن يقنع بغير أن يجتث عقائدهم من جذورها .

انه اذا أخذنا على علم الكلام القديم انه لم يكن قاصرا على ما كان يجب أن يقصر نفسه عليه من استيحاء القرآن والسنة وحدهما ، فانه لا ينبغى أن نغفل عن العوامل الاخرى التى كانت هناك ، ولم يكن لعلم الكلام أن يغفلها أو يتجنبها ، ولو أمكنه — تعسفا — لما كان وفيا لحال — المجتمع الاسلامى — اذ ذاك — فكريا واعتقاديا ، ولا انفصل عن حياة المسلمين ، ولا انحرف المسلمون الى حال يستوردون فيها المذاهب من خارج ، ويضعون عليها أسماء محلية كما فعلت — وتفعل — المجتمعات فى أطوار تأخرها وانحلالها .. انه لو فعل — وتجنب العوامل التى تفعل فعلها فى الفكر السائر آنذاك — لصار الى علم يدرس بين جدران الفصول ، وانعزل عن المجتمع ، وفقد تأثيره القوى فيه .

كما هو حاله اليوم — وذلك المصير كان من شأنه أن يحفظ عليه نقاءه ، لكنه على وجه التأكيد كان من شأنه أن يقع به فى وهدة الجمود ، ويطوح به فى صحارى العزلة ، ويقعد به عن القيام بهدفه الذى لا يقوم به غيره ، ألا وهو شرح العقيدة والدفاع عنها بلغة من يخاطبهم من الناس .

انه لا مكان للكلام عن امكان استغناء المسلمين القدماء عن علم الكلام القديم والاستدلال على هذا الامكان باستغناء الصحابة عنه فى عصرهم وقد (كانت طاعتهم أجل ، وقلوبهم أسلم ، وصدورهم أطهر ، وعلمهم أوفر ..) كما يقول السيوطى رحمه الله ذلك ان الأمر لم يكن يدور حول هذه الصفات التى كانت للصحابة رضى الله عنهم بقدر ما كان ضرورة من ضروريات بيئة ثقافية ، وتطور علمى ، ومزيج معين من الأفكار والمعارف والأوضاع الحضارية ، خلا عنه عصر

الصحابة ، وحل فى عصر لاحق ..
فكان لابد من أن ينشأ علم الكلام وينمو ، ليقاوم العقائد والأفكار المعادية والمناوئة ، والتى وجدت مناخها المناسب فى آفاق النظام الاجتماعى الاسلامى نفسه .. حيث تطلع شمس المساواة ويتجلى نور التسامح ، ولم يكن هناك بديل لقيام هذا العلم الا بأن تغرب هذه الشمس وينطمس ذلك النور ، ويقع المجتمع فى هوة الاضطهاد الدينى ، وليس بذلك كان انتشار العقيدة الاسلامية نفسها ، ولا بذلك يكون استمرارها ويكفى أن نستعرض جهود خصم عنيد وقف للعقيدة الاسلامية فى مهدها كل مرصد ــ ألا وهو المسيحية ــ لكى نحس احساسا صادقا أن فى استمرار المسلمين على عقيدتهم بعد دخولهم فى معارك ضارية معه دليلا واقعيا على وفاء هذا العلم بالدور الذى كان مطلوبا منه اسلاميا .

ان الامام الغزالى وهو خير ناقد للفلسفة وعلم الكلام يترك لعلم الكلام منطقة عمل لا ينكرها عليه اذ يقول « والكلام من جملة الصناعات الواجبة على الكفاية حراسة لقلوب العوام عن تخيلات المبتدعة وانما حدث ذلك بحدوث البدع ، كما حدثت حاجة الانسان الى استئجار الحراس فى طريق الحج بحدوث ظلم العرب وقطعهم الطريق » .

هذه كلمة انصاف لعلم الكلام فى ماضيه ، فى عصر حيويته ، ولكنها لا تعنى استمراره على صورة ثابتة ، من الصور التى جمد عليها فى عصر معين فى مذهب معين ... فى مسائله ، وأدلته ، ومنهجه ، كما يريد أصحاب الموقف الثانى (١) .

وهل يعنى استمرار علم الطب ــ مثلا ــ استمرار صورته التى تركه عليها بقراط اوابن سينا ؟ فنظل نلوك نفس المسائل ، ونفس الادلة ، ونسلك نفس المنهج ؟ انه لايقول بذلك احد ــ بداهة ــ يريد للعلم استمرارا حقيقيا .

---

(١) تلك خلاصة ما اثبتناه فى رسالة الماجستير عن نشأة علم الكلام .

ان العلم لا « يستمر » اذا فقد حيويته .

المقال الثانى :

انه لكى « يستمر » العلم لابد من ان يشارك فى صنع الحياة ، أو توجيها يؤثر فيها ، ويتلقى عنها ، ويلتحم باحداثها . وهنا لابأس من ان تسقط عنه بعض مسائله وان تدخل اليه مسائل اخرى ، وان يستغنى عن بعض ادلته ، وان يستعمل ادلة مبتكرة وان يهمل منهجا ليسلك منهجا جديدا ، وان يهجر اسلوبا فى الصياغة ليقبل على اسلوب آخر .وعلم الكلام لايمكن ان « يستمر » الاعلى هذا النحو..

اننا نخدع انفسنا اذا توهمنا له «الاستمرار» لمجرد انه لايزال يدرس فى بعض الكليات او الاقسام الجامعية المتخصصة .

وعلم الكلام لابد أن « يستمر » لمواجهة تيارات الالحاد المعاصر .

ونحن نخدع انفسنا ــ مرة ثانية ــ اذا توهمنا له ــ فى صورته التى تدرس حاليا والتى جمد عليها منذ القرن الثامن الهجرى على اكثر تقدير ــ القدرة على مواجهة تلك التيارات ..

اننا نلاحظ مع الاسف الشديد ان الذين يواجهون هذه التيارات الآن هم احد فريقين : اما افراد من غيرالمتخصصين، من القادة السياسيين او من دعاة الاصلاح ، اومن الادباء او من العلماء المتخصصين فى غير العلوم الاسلامية، واما أفرادمن علماء الاسلام المتخصصين فى العلوم الاسلامية ولكنهم اذ يفعلون يقدمون بحوثهم تحت عناوين لاتنتمى الى علم معين من شجرة العلوم الاسلامية وصار يطلق على هؤلاء جميعا ــ اذ يفعلون ذلك ــ أسماء تعبر عن أزمة الفكر الاسلامى ازاء هذه التحديات ، يسمى بعضهم تارة « مفكر اسلامى » ، وتارة باحث اسلامى ، وتارة فيلسوف اسلامى ، وتارة مصلح اسلامى ، ولا يقال «فقيه» ، أو «متكلم» ، أو «حافظ» أو «مفسر» ... الخ . ومعنى هذا ان هناك فراغا فى ثبت العلوم الاسلامية ازاء تحديات العصر ، وان فرع التخصص فى شجرة العلوم الاسلامية الذى يواجه تيارات

الألحاد المعاصرة ـ على تنوعها وتشعبها وظهورها وتسترها لايمكن ان يتمثل فى علم الكلام فى أية صورة من صوره التاريخية الجامدة منذ قرون . اننا لاننكر ان البحث الدءوب فى تراثنا الكلامى يمكن ان يضع ايدينا على اسس فكرية صالحة للتنمية والاستثمار فى مواجهة بعض تيارات الالحاد المعاصر ، فى بعض القضايا التى تتعلق بحقيقة الوجود ، ـ والالوهية ، والنبوة على سبيل المثال ولكن يجب ان نقرر هنا انه لابدمن أن تراعى طريقة طرح هذه المسائل فى الثقافة المعاصرة ، وأسلوب معالجتها ، وان نعيد النظر فيما نجده صالحا فى علم الكلام ، لنصل به الى ان يكون متوافقا مع اهتمامات العصر وطريقة تناوله للامور .

ويكفى ان نضرب لذلك امثلة : من قضية وجود الشرفى العالم التى يطرحها العصر الحديث من زاوية يتأدى بها الملحدون الى انكار وجود الله ، ومن قضية وجود المادة ، واصل وجودها ، وهى قضية تطرح من زاوية تتعلق بالعقائد الدينية ، والاخلاق ، والاقتصاد على السواء . ومن قضية طبيعة العقل ، وطبيعة المعرفة ، ومناهج البحث وهى قضايا تنتهى الى نتائج تمس العقيدة أيضا ..

هذه امثلة لمسائل شتى يطرحها العصر الحديث من زوايا تختلف كثيرا عن الزوايا التى تناولها منها علم الكلام ، وكان له فيها اجمال حيث يقتضى العصر بالتفصيل ،أوكان له فيها تفصيل يكتفى فيه العصر بالاجمال ويظل العصر بعد ذلك غير قانع بما وقفت عنده أقلام الكاتبين فى القرن الثامن الهجرى .

على اننا يجب ان نقرر ايضا ان علم الكلام ـ كما نجده فى صورته الثابتة التى تدرس بالمعاهد والكليات ـ وجه اهتمامه الى دائرة من المسائل النظرية لم يجاوزها الى بحث كثير من المسائل العملية التى تتصل بالعقائد بطريق مباشر او غير مباشر، كما كان شأنه فى اوائل نشأته ، اذ يصوره لنا الفارابى فى تعريفه لهذا العلم بقوله (صناعة الكلام ملكة يقتدر بها الانسان على نصرة الآراء

والافعال المحدودة التى صرح بها واضع الملة وتزييف كل ماخالفها بالأقاويل) • اذ ذاك كان علم الكلام يعنى بكل ماصرح به فى الدين، ويراه جديرا بأن ينتصر له ، لان انكاره يعنى انكار الدين نفسه ، ومن ثم يؤدى الى المروق من عقيدة الاسلام وليس ثمة علم ينتصر للعقيدة غير علم الكلام •

بهذا المفهوم الواسع لعلم الكلام ـ الذى نرى انه ينبغى العودة اليه تمشيا مع أهداف هذا العلم ورسالته تضاف اليه مسائل حيرى تثيرها موجات الالحاد المعاصرة ، ويصبح علم الكلام مسئولا عنها •

هذا تطوير يجب ان يتم فى مسائل علم الكلام،لكى يقوى على مواجهة الالحاد المعاصر مواجهة فعالة شاملة

وهناك مشكلة المنهج ، التى يجب عليه ان يواصل بحثه لها وتطويره اياها ، لكى يتجنب الفوضى اوالاضطراب والتمزق والتناقض ، الأمر الذى كانت الفرق المتناحرة صورته المعبرة ، وكان منشؤه الأصيل ـ فيما أرى ـ غياب المنهج الواضح الصحيح ، الذى يبين العلاقة بين النص والعقل باعتبارهما ركيزتين ضروريتين لنشاط هذا العلم •

وخلاصة القول • •

اننى أجد أن المسلمين اليوم بحاجة الى قيام علم يقوم بمهمة حراسة العقائد الاسلامية والتمكين لها فى النفوس •

وان علم الكلام الذى نجد صورته الثابتة عند الايجى والتفنازانى لايمكنه ـ بصورته تلك ـ أن ينهض للقيام بهذه المهمة ، وسبب ذلك انه غريب على التيارات الثقافية والعلمية المعاصرة وانه انعزل عن المجتمع وانحصر الى قاعات الدرس بالمعاهد المتخصصة وصار يردد قضاياه الأصيلة دون أن يعنى بالتيارات الالحادية التى تموج فى حياة المسلمين فى العصر الحاضر •

وان علم الكلام يجب أن يخرج من صورته الثابتة ، ليتحقق له

الاستمرار ليتمكن من القيام بمهمته الخطيرة فى مواجهة تيارات الالحاد العصرية فى ميادينها المختلفة .

والسبيل الى ذلك ـ فى رأيى ـ ينبغى أن يبنى على تحديد علاقة هذا العلم بالجوانب الرئيسيةالتالية أولا ، والحضارة ثانيا ، وطالب العلم ثالثا ..

(١) جانب المنهج . من حيث الارتباط الذى ينبغى أن يقوم بينه وبين كل النص أولا وسيرة الرسول صلى الله عليه وسلم ثانيا ، والانسان ثالثا .

وفى هذا الجانب يجب أن نأخذ فى الاعتبار النقد الذى وجه الى علم الكلام القديم والذى استقر البحث فيه على :

١ ـ أن علم الكلام القديم وبخاصة عند المعتزلة والأشاعرةومن جرى جربهم لم يكن يذهب الى القرآن الكريم ليستدل به على العقائد الأساسية وانما يذهب اليه ليستشهد به على صحة مايذهب اليه أولا بالعقل النظرى المستقل .

٢ ـ أن ما استند اليه علم الكلام القديم من أن العقل النظرى المستقل يمكنه أن يصل الى اليقين غير صحيح .

ومن هنا فان هذا العقل ليس له أولوية على النص .

٣ ـ ان استناد علم الكلام الى العقل المستقل فى أصول العقائد ـ ـ مع اعتباره أن العلوم الضرورية والعقل مخلوقان لله ـ أوقعه فى الدور الباطل الذى ظن انه يهرب منه بهذا الاستناد .

٤ ـ أن مبدأ التسليم للنص تسليما مطلقا ابتداء .. ليس قاصرا على المسلمين سلفا ، وانما هو موجه الى الانسان من حيث هو ، وهذا ينفى عنه تهمة الدور الباطل التى أبعدت عنه علم الكلام القديم(١).

---

(١) تلك خلاصة ما أثبتناه فى رسالةالدكتوراه عن أصول علم الكلام فى القرآن الكريم .

واذا كان لابد من ملاحظة هذا النقد عند التخطيط لعلم الكلام الجديد فانه يوحى لنا بالخطوط الأساسية لما ينبغى أن يكون عليه منهج علم الكلام الجديد .

وهذه الخطوط يلتقى عندها الاسلام والفكر الانسانى المعاصر..

أولا ــ عدم المغالاة فى قدرة العقل ، واسقاط الفلسفة اليقينية واحلال البحث العلمى المنظم محلها.

ثانيا ــ تبسيط النظر فى العقيدة وتوحيد منهجه وجعله ملائما للمستويات الانسانية كلها .

ثالثا : الاعتراف بالانسان فى مجموع قواه النفسية المختلفة ارادية وعقلية ووجدانية ، وتوجيه الاعتقاد الى هذا المجموع .

رابعا : تمكين الانسان من الاعتقاد الذى يتجاوب مع النزعة العملية .

خامسا : البحث عن مصدر فوق الانسان ، ينقذ الانسان من الحيرة التى أنشبت أظفارها فى جميع الاتجاهات . وهذا يتحقق بالرجوع المباشر الى الأصول الشرعية للاعتقاد، فى الكتاب والسنة والسيرة النبوية.

سادسا : أن يفسح للنزعة العقلية المجال الملائم لنشاطها ــ كضرورة تحتمها الطبيعة الانسانية ــ على أن يلتزم فى ذلك بمبدأين :

١ ــ أنه ليس من حق العقل أن يرفض أصلا من أصول الدين يدخل فى دائرة الامكان الذهنى .

٢ ــ ألا يتخذ شىء مما وصل اليه العقل باجتهاده أصلا من أصول الدين ما لم يتأيد بنص صريح فى الدين .

(ب) جانب الحضارة والتاريخ والمجتمع : من حيث الارتباط الذى ينبغى أن يقوم بينه وبين كل من هؤلاء .

وفى هذا الجانب أرى أن تحتوى خطة علم الكلام على النقاط الآتية:

١ ــ توجيه العناية الى ما يدور فى البيئة من أفكار ونظريات وفلسفات ، والمشاركة فى صنعها ،

أو العمل على توجيهها اذا ما تبين أنها تمس أصول الدين .

٢ ـ توجيه العناية الى المسائل ذات الصبغة العملية اذا ما تبين انها تمس أصول الدين كذلك .

٣ ـ توجيه العناية الى قيادة التطور الحضارى للأمة الاسلامية باعتبار أن العقيدة الاسلامية هى أساس هذه الحضارة وعنوانها .

(جـ) جانب شخصية طالب هذا العلم ، من حيث مستواه الدينى والعقلى والنفسى والثقافى .

ومن هنا ينبغى أن يحتاط فى اختيار طالب علم الكلام ويوجه توجيها نفسيا وعقليا على مراحل مدروسة دراسة تربوية دقيقة تجعله على استعداد للخوض فى مسائله دون أن يتعرض لنوع من الاضطراب أو الشك ، والله الموفق .

د . يحيى هاشم

عددا شوال وذى القعدة ١٣٩٧ هـ

بمناسبة انعقاد المؤتمر الثامن لمجمع البحوث الاسلامية فى شهر أكتوبر القادم . فقد تقرر ادماج عددى شوال وذى القعدة فى العدد الخاص الذى يصدر بهذه المناسبة .

لماذا بكى السيد جيمس جينز

التحرير

يقول الدكتور عناية الله المشرقى:

كانت السماء تمطر بغزارة ٠٠ وخرجت من بيتى لقضاء حاجة فاذا بى أرى الفلكى المشهور السيد جيمس جينز الأستاذ فى جامعة كمبردج ذاهبا الى الكنيسة والانجيل والشمسية تحت ابطه ٠٠

فدنوت منه وسلمت عليه ٠ فلم يرد على ٠ فسلمت عليه مرة أخرى فسألنى :

ماذا تريد منى ؟ فقلت له : أريد سؤالك عن شيئين :

السؤال الأول :

لماذا لا تفتح مظلتك رغم نزول المطر ؟

فابتسم السيد جينز وفتح المظلة٠

السؤال الثانى :

لماذا تذهب الى الكنيسة وأنت العالم الأشهر ؟

وهنا توقف العالم الكبير لحظة٠٠ ثم قال لى :

نلتقى مساء لنناقش فى هذا الأمر٠

وذهبت اليه فى الموعد فسألنى على الفور آه ٠ ماذا كنت تقول فى الصباح ؟

ودون أن ينتظر ردى٠ بدأ يتكلم عن الكون ونظامه الدقيق وعن الكواكب ونظامها المحكم وعن المجرات وأبعادها اللامتناهية وطوفان أنوارها الباهرة ٠٠ونظرت الى العالم الكبير واذا به يبكى ٠ ويداه ترتعشان فى حركة لا ارادية ثم توقف برهة ٠٠

فقلت له هل تسمح لى أن أقرأ عليك آية من كتابنا المقدس ؟ ٠ ٠

فأجاب السيد جينز : بكل سرور تفضل فقرأت عليه قول الله عزوجل:

«ألم تر أن الله أنزل من السماء ماء ، فأخرجنا به ثمرات مختلفا ألوانها ، ومن الجبال جدد بيض ، وحمر مختلف ألوانها وغرابيب سود . ومن الناس والدواب والأنعام مختلف ألوانه كذلك » ..

انما يخشى الله من عباده العلماء..

وما كدت أتوقف عن القراءة حتى صرخ السيد جينز قائلا : مدهش . غريب . عجيب جدا من أنبأ محمدا بهذا ؟ هل هذه الآية فى القرآن حقيقة ؟ لو كان كما تقول فاكتب عنى . أكتب شهادة حق عنى أن القرآن موحى به من عند الله . لقد كان محمد أميا ولا يمكن أن يكشف هذا السر عن نفسه . ولكن الله هو الذى أخبره بهذا .

ان محمدا رسول الله ٩٠ حقا ..

« واذا سمعوا ما أنزل الى الرسول ترى أعينهم تفيض من الدمع مما عرفوا من الحق يقولون ربنا آمنا فاكتبنا مع الشاهدين .. » .

صدق الله العظيم

افضل الحياء :

أفضل الحياء المراقبة لله عز وجل ، والمراقبة فى ثلاثة أشياء :

مراقبة الله فى طاعته بالعمل ،

ومراقبة الله فى معصيته بالترك ،

ومراقبة الله فى الهم والخواطر لقول النبى صلى الله عليه وسلم :

« أعبد الله كأنك تراه فان لم تكن تراه فانه يراك » .

ومراقبة القلب لله عز وجل أشد تعبا على البدن من مكابدة قيام الليل ، وصيام النهار ، وانفاق المال فى سبيل الله .

أبوجعفر الوقشى

للدكتور ظهور أحمد أظهر

— ٢ —

هو أحمد بن عبدالرحمن بن أحمد أبو جعفر الوقشى من بيت القاضى أبى الوليد هشام بن أحمد الوقشى، ووزير الرئيس أبى اسحاق بن همشك وهو أحد الكفاة الأمجاد والدعاة الأنجاد. قام بأمر صاحبه ابن همشك أحسن قيام وكان ضابطا لأعمله مصلحا لأحواله .

وهو ابن أخي صاحبنا أبى الوليد الوقشى كما يرى ابن الأبار(١) وكما هو الظاهر من سلسلة نسبه .

وكان ابن همشك استخلفه على جيان سنة ٥٥٧ هـ حين لاذ بالفرار خوفا من جيش الموحدين فناب أحسن مناب وحل من صاحبه آثر محل ولم يزل بعد ذلك يحسن الضبط لبلاده ويظهر الكفاية فى كافة محاولاته، الى أن اعتنق صاحبه ابن همشك بالدعوة المهدية ونابذ صهره محمد بن سعد وذلك فى سنة ٥٦٢ هـ (٢) .

وعندما اشتدت المعاداة والمنابذة بين ابن همشك وبين ابن سعد وجه وزيره أبا جعفر هذا وافدا عنه الى الموحدين فى مراكش ومستصرخا على صهره وعدوه ابن سعد الذى كان قد وطىء أعماله ودوخها وتغلب على كثير من حصونه ومعاقله (٣).

---

(١) الحلة السيراء ص ٢٣٠ .

(٢) نفس المرجع والطباع ص ٣٩٣ .

(٣) نفس المرجع ص ٢٣١ .

ويبدو أن المساعدة الموحدية لصاحبه ابن همشك تأخرت كثيرا لأنا نراه قد وصل الى مراكش ويهنىء أمير المؤمنين يوسف بن عبد المؤمن بن على بمناسبة حلول عيد الفطر المبارك من قصيدة طويلة مطلعها (١) :

تحن اليكم وافدات المواسم .
فتهدى الى كفيكم ثغر الباسم

ثم نراه يموت بمالقة صادرا عن مراكش فى سنة ٥٧٤ هـ وكان صاحبه أبو اسحق بن همشك قد مات قبله بمكناسة فى سنة ٥٧٢ هـ (٢) .

وقد ذكر الشيخ أبو الربيع بن سالم أن أبا جعفر الوزير الوقشى كان يمر ببقيع مالقة فاستحسن ما رأى من زخرفة القبور به وأغراس الأشجار ذات النواوير والأزهار فى أثنائها فتمنى أن يدفن هنالك فوفت الأقدار بأمنيته ووافته منيته فدفن هنالك (٣)

وكان الوزير أبو جعفر متكبرا تياها معجبا بنفسه وقال له يوما بعض ندماء ملكه ، صاحب جيان بن همشك ، يا أبا جعفر ! أنت جملة محاسن وفيك الأدوات العلية التى هى أهل لكل فضيلة غير أنك قد قدحت فى ذلك كله بكثرة عجبك واذا مشيت على الأرض تشمئز منها . فقال له : كيف لا أشمئز من شىء أشترك معك فى الوطىء عليه فضحك من حضر من جوابه (٤).

وهو القائل فى الكبر والاعجاب بنفسه (٥) : (الطويل) :

اذا لم أعظم قدر نفسى وأننى
عليم بما حازته من عظم القدر
فغيرى معذور اذا لم يبرنى
ولا يكبر الانسان شىء سوى الكبر

وله فى هذا المعنى (٦) : (الطويل)

---

(١) نفس المرجع والطباع ص ٣٢٠ .
(٢) الحلة السيراء ص ٢٣٦
(٣) نفس المرجع .
(٤) نفح الطيب ٥١٤/٢ .
(٥) نفس المرجع .
(٦) نفس المرجع .

تكبر وان كنت الصـغير تظاهرا
وباعد أخا صدق متى ما اشتهى قربا
وكن تابعـا للهر فى حفظ أمره
ألست تراه عندما يبصر الكلبـا

وكانت تحته بنت ابن همشـك فطلقها ثم ندم على ما فعل(١) وكانت له بنت تزوجهـا ابن جبير الرحالة وماتت بسببه فدفنها بها وقال فيها(٢): (المتقارب) :

بسـبتة لى سـكن فى الثـرى
وخـل كريم اليهـا قد أتى
فلـو أسـتطيع ركبت الهـواء
فـزرت بهـا الحى والميتـا

وقد عده ابن الأبار من مفـاخر الأندلس وقال فيـه : « وللوقشي تحقق بالاحسان وتصرف فى أفانين البيان وكتابى المؤلف فى أدباء الشرق المترجم بايماض البرق مشـتمل على كثير من شعره (٣) .

وقال عنه الأستاذ الطباع (٤) والدارس لشعر أحمد هـذا يدرك رقة شاعريته وجمال عبارته وحنينه الى زوجته التى غادرت منزله والتى كانت الى الأمس القريب تملأ البيت اشراقا .

وكان شاعر الأندلس أبو عبد الله محمد بن غالب الرصافى البلنسى ، الذى كان يقال له ابن رومى الأندلسى لحسن اختراعه وتوليده ، قد مدح الوزير المتكبر أبا جعفر بقصـيدة أولها (٥) : (الكامل)

---

(١) الحلة السيراء ص ٢٣٠ .

(٢) التكملة ص ٥٣٢ ونفح الطيب ٧٩٣/١.

(٣) الحلة السيراء ص ٢٣٤٩ .

(٤) الطباع ص ٣٢١ .

(٥) المغرب ٣٤٥/٢ وهى طويلة روى منها ٣٢ بيتا وترجمة الرصافى فى المغرب ٣٤٢/٢ والمعجب ص ٢٨٦ والتكملة ص٢٣٧ وشـذرات الذهب ٢٤١/٤ . وهو منسوب الى رصـافة بلنسية لم يتكسب بالشعر وكان يعيش على صناعة احترفها وهى رفـاء الثياب ومن ثم عرف بالرصافى الرفاء وكان قد مدح أمير المؤمنين عبد المؤمن وتوفى سنة ٥٧٢ هـ .

لمحلك الترفيع والتعظيم
ولوجهك التقديس والتكريم

أبو الحسين الوقشى :

هو على بن أحمد بن عبد الرحمن بن أحمد أبو الحسين الوقشى ابن الوزير أبى جعفر الوقشى من العلماء الفضلاء والشيوخ المعدودين روى عنه سالم بن صالح وأبو عمرو بن سالم وكان آية الله فى الظرف وكيف لا ووالده الوزير أبو جعفر وصهره أبو الحسين بن جبير صاحب الرحلة وشيخه فى الموسيقى والتهذيب والظرف والتدريب أبو الحسن بن الحسن بن الحاسب شيخ هذه الطريقة وقد رزق أبو الحسين المذكور فيها ذوقا مع صوت بديع (١) .

وهو من لدات ابن سعيد المؤرخ الرحالة وكانا يحضران فى صباهما معا فى مرج الخز ويقرضان الشعر ويصنعانه ولهما قصة لطيفة مع المسن بن دويدة وكان معروفا بخفة الروح والمزاح والظرافة قد ذكرها المقرى مع شعرهما الذى قالا فى وصف اوز كانت تسبح فى الماء وتمرح فى المرج النضير مرج الخز(٢)

وكان ابن سعيد يختلف الى بيت أبى الحسين الوقشى ويرتاح الى لقائه ارتياح العليل الى شفائه وكان يتمتع بشعره وغنائه وموسيقاه الحلو (٣) .

وكان أبو الحسين الوقشى أديبا شاعرا ومغنيا مطربا فى نفس الوقت ومن شعره (٤) : (الطويل) .

حننت الى صوت النواعير سحرة
وأضحى فؤادى لا يقر ولا يهدا
وفاضت دموعى مثل فيض دموعها
أطارحها تلك الصبابة والوجدا
وزاد غرامى حين أكثر عاذلى
فقلت له أقصر ولا تقدح الزندا

---

(١) نفح الطيب ٢ /٥١٥ ، ٥١٦
(٢) النفح ٣٠٨/١ .
(٣) النفح ٥١٥/٢ – ٥١٧ .
(٤) نفس المرجع .

أهيم بهم فى كل واد صبابة
وازداد مع طول المعاد لهم ودا

مولد أبى الوليد الدقشى :

ان المصادر التى وصلت الينا ، والتى استطعنا أن نستفيد منها فى ترجمة الوقشى ، لا تصرح بالمكان الذى ولد به ، فقد ذكر ابن بشكوال (١) أنه من أهل طليطلة ، الا أن قوله هذا لا يفيد فى شىء عن مولده ، فقد يكون أنه كان قد هاجر اليها ، واستوطنها ، وأقام بها ، فوهم ابن بشكوال أنه طليطى (٢) وليس كذلك وانما مولد الوقشى ومسقط رأسه هى مدينة وقش التى كانت دار الوقشيين الكنانيين الفضلاء الأعيان (٣) منذ البداية ، ولم تزل دارهم الى الأجيال التى نشأت بعد أبى الوليد الوقشى رحمه الله • ومما يذهب بنا الى هذا الرأى أن :

١ ــ المصادر وكتب التاريخ والتراجم والجغرافية والبلدان قد نصت أكثرها على أن أبا الوليد الوقشى أصله من مدينة وقش •

٢ ــ أسرة الوقشى(٤) لم تزل تسكن وقش حتى بعد موته ، وكانوا يعرفون بهذه النسبة كابن أخيه الوزير أبى جعفر ، وابنه أبى الحسين ، اللذين قد مر ذكرهما •

ثم أن أبا الوليد لم يذكر كطليطلى الا قليلا نادرا ، وانما كان يعرف دائما بالوقشى وكانت هذه النسبة محبوبة اليه ، لأن وقش هى دار آبائه ، ومسقط رأسه ، بها ولد ، ونشأ ، وترعرع ، ثم خرج منها طالبا للعلم •

---

(١) الصلة ت ١٤٣٧ •

(٢) الا أن يريد أنه طليطلى وطنا لأن تليمذه القاضى صاعد أيضا يعده من أهل طليطلة طبقات الأمم ص ١١٤ •

(٣) النفح ١/١٨٥ •

(٤) النفح ١/١٨٥ والصلة ت ١٤٣٧ والبلدان ٥/٣٨١ (أندلس كاتاريخى جغرافية ص ٥٠٠ والروض المعطار ص ١٩٦ •

٣ — وأيضا استقضاؤه بمدينة طلبيرة ، وهى أقرب الى وقش ، يدل على أنه كان يحب أن يتولى هذا المنصب الجليل فى مكان قريب من مسقط رأسه ، ومسكن أسرته ، حتى يتمكن من زيارتهم ولقائهم متى أراد ، وهى سنة بشرية ، لأن كل انسان يحب العمل فى مكان قريب من أهله ، وأسرته .

وأما تاريخ مولده ، فان المصادر تكاد تجمع على أنه ولد فى مستهل القرن الخامس الهجرى ، سنة ثمان وأربعمائة(١)، وهو الزمن الذى شق فيه عصا الجماعة وافترقت الأمة ، وانبعثت الفتن ، وانقسمت الأندلس الاسلامية الى دويلات عرفت أصحابها بملوك الطوائف .

حياته :

حياة الوقشى ، وخاصة حياته الابتدائية ، لاتزال سرا غامضا ، لم يجله الباحثون ، ولم يوضحه المؤرخون ، والمعلومات ، التى حصلت لدينا عن حياته ، قليلة ضئيلة جدا (٢) ومن ترجم له من المؤلفين وكتبوا عن حياته من علماء الشرق والغرب ، لم يتغلغل فى التنقيب ، ولم يتقدم فى التحقيق ، وانما جرى المتأخر منهم مجرى المتقدم من غير تمحيص ولا بحث. وأجل ما يمكننا استخلاصه من كلام القوم ، المشارقة والمغاربة ، عن حياة الوقشى أننا نراه يتنقل من بلد الى آخر (٣) ، ويتحول فى البلاد الأندلسية لأغراض مختلفة . فمرة

---

(١) الصلة ت ٤٣٧ والسيوطى ص ٤٠٩ والارشاد ١٩/٢٨٦ ومعجم البلدان ٥/٣٨١ الضبى ص ٤٧٠ وهدية العارفين ٢/٥٠٩ والأعلام ٩/٨٠ .

(٢) ومن غريب الأمر أن الوقشى عاش طول الحياة فى عهد ملوك الطوائف وعاصرهم منذ البداية الى النهاية حتى رأى عهدهم قد زال ودويلاتهم قد دالت .

(٣) والظاهر من المعلومات القليلة عن حياته وحياة شيوخه ، أن الوقشى بدأ دراساته بطليطلة وذلك فى طفولته وعنفوان شبابه ثم سافر الى قرطبة قبل ٤٢٩ هـ ليسمع من الطلمنكى المتوفى ٤٢٩ هـ والشنتجيالى الذى عاد من المشرق سنة ٤٣٠ هـ وتوفى ٤٣٦ هـ ثم عاد الى طليطلة ثانيا فقضى حياته

نراه فى طليطلة كطالب عند علمائها الأعلام، ليتتلمذ لديهم ، ويأخذ منهم ويروى عنهم العلوم والآداب ، ويبذل مجهوداته فى التحصيل ،حتى يبرع فى كافة الفنون ، يتقنها ، ثم يجلس للاقراء ، والتدريس لها ، ويأتيه الطلاب من كل ناحيةللسماع منه ، والرواية عنه ، ثم نراه يتحول الى طلبيرة قاضيا لها ، ثم يستقيل، وينتقل الى بلنسية ، فيشتغل هناك بالتأليف والاقراء ، حتى يحاصرها العدو فيتولى قضاء المسلمين تلك المدة ، ثم نراه يفر فيمن فر مع دينه من بلنسية ، ويصل دانية ، وهناك يلبى دعوة ربه ، فيرتحل الى جوار رحمته .

وليس فى مقدرة باحث أن يحدد الوقت ، ويضبط التاريخ لهذه الأحداث ، الا أننا نستطيع أن نقسم حياته الى أربعة أطوار .

الطور الأول :

وهو عهد الطفولة ، ولا نعرف شيئا عن هذا الطور من أطوار حياته ، اذ لم يحدثنا التاريخ عن أبويه ، ولم تعرفنا المصادر ببيته ، وبيئته التى نشأ فيها وتأثر بها .

الطور الثانى :

وهو عهد شبابه ، وزمان الدراسة ، والطلب والتحصيل ، ولا نستطيع أن نحدد الوقت والتاريخ بالضبط والتقييد كما أننا لا نستطيع أن نجزم القول فى المدارس والمعاهد العلمية التىدرس بها ، وتعلم لأن التاريخ عاجز عن ذلك ، وكتب التراجم قد أهملت هذه الناحية من نواحى حياته . الا أننا قد عرفنا أسماء بعض الأساتذة الذين تلمذ لديهم الوقشى ، وأخذ منهم العلم ، واتصل بهم روايته ، وسنده فى العلوم والآداب ، ومنهم أبو عمر الطلمنكى ، وأبو عمرو

بها بين السماع والاسماع والدراسة والتدريس حيث رآه القاضى صاعد فى سنة ٤٣٨ هـ فأخذ منه وسمععنه. ثم رحل الى بلنسية لأسباب لازالةمجهولة وأقام بها حتى ٤٨٥ هـ ثم هاجر الى دانية حيث وافته منيته وذلك ٤٨٩ هـ .

السفاقسى ، وأبوعمر بن الحذاء ، وأبومحمد الشنتجيالى ، وأبو محمد الأنصارى رحمهم الله ، وسنذكرهم فى فصل مستقل من الفصول الآتية ، ونلم بتراجمهم الماما ، ان شاء الله .

اننا نرى أن الوقشى كان قدأتم معظم دراساته بطليطلة . ويدل على ذلك أن هؤلاء الأعلام المذكورين من أساتذته ، كان جلهم من علماء طليطلة الأفاضل القائمين بها بتدريس العلوم وروايتها ، فان أبا عمر بن الحذاء كان قاضى طليطلة وفقيهها ، وأبا محمد الأنصارى كان صاحب الصلاة والخطبة بجامعها ، وأبا عمرو السفاقسى كان ورد الأندلس، وطاف ببلادها نحو عامين ، وذلك من ٤٣٦ هـ الى ٤٣٨ هـ ، ومن بين المدن ، التى وردها السفاقسى فسمع الناس منه ، كانت مدينة طليطلة ، وكان الوقشى مقيما بها فى سنة ٤٣٨ هـ كما صرح به القاضى صاعد (١) ، فلابد أن يكون سماع الوقشى عن السفاقسى بطليطلة لا غير .

الطور الثالث :

وهو عهد القضاء بمدينة طلبيرة، ومن الصعب أن نعرف بالضبطمتى كان الوقشى استقضى بطلبيرة ، وما هى الأسباب التى جعلته يحوز بها على هذا المنصب الجليل ، الا أن نقدر ، على وجه الظن والتخمين ، أن ذلك كان بعد ثمان وثلاثين وأربعمائة ، وذلك فى عهد المأمون يحي بن ذى النون ، ملك طليطلة ، لأن الوقشى يسمع أبا عمر السفاقسى بطليطلة بين ٤٣٦ هـ و ٤٣٨ هـ ، ثم يراه القاضى صاعد ، ويأخذ منه ، سنة ٤٣٨ هـ وهو بطليطلة ، ولأن الوقشى فى ذلك الوقت كان قد تجاوز الثلاثين من عمره ، وبلغ من العلوم بحيث قضى له الجميع فى كل علم وفن ، وكان قد احتوى على فنون المعارف ، (٢)

(١) طبقات الأمم ص ١١٤

(٢) نفس المرجع والصلة ص ٥٩٢ والسيوطى ص ٤٠٩ ومعجم البلدان ٣٨١/٥ ،

وجمع لكليات العلوم ، فاشتهر كأستاذ كبير ، وعالم نابغة ، وفقيه ناجح ، ووصل صيته فى جميع أنحاء الأندلس ، وأصبح مرجعا فى العلوم والآداب ، وقبلة للطلاب الوافدين عليه من أقاصى البلاد ، وقد يكون ذلك سببا لاتصال حباله بالمأمون ابن ذى النون ، الذى كان قد جعله ، من خاصته ، وشاركه فى مجالس أنسه ، وأصبح أكيله وشريبه (١) . ثم اختاره لقضاء طليبرة فى عهده .

ولم يحدثنا التاريخ عن مدة قضائه بتلك المدينة ، الا أن بعضهم قد ذكر أن عبد الله بن فرحون ، المتوفى سنة ٤٨٧ هـ ، (بعد أن نيف على الثمانين من عمره) ، كان قد استقضى بطلبيرة بعد أبى الوليد الوقشى (٢) ، وهذا القول أيضا مجهول ، ولا يساعدنا فى تحديد الوقت ، ومعرفة التاريخ ، كما أننا لا نعرف الأسباب التى جعلته يستقيل عن منصب القضاء ، ويهاجر من طلبيرة الى بلنسية ، وقد يكون السبب فى ذلك موت ولى نعمته ، وأكيله وشريبه المأمون بن ذى النون ، لأن حفيده القادر ، الذى خلفه على عرش طليطلة ، لم يكن يتحلى بأوصاف يرضى بها الكرام(٣) ويحبها العلماء ، فيكونوا من أعوانه ، وأنصاره ، وولاته وقضاته وحاشيته ، وخاصة الأعلام النبلاء الأفاضل من أمثال أبى الوليد الوقشى رحمه الله . واذا صح هذا فمعنى ذلك أن الوقشى لم يزل على قضاء طلبيرة حتى ٤٦٨ هـ ؟

الطور الرابع :

وهو دور التدريس والتأليف ، وكذلك فان المصادر لا تصرح بشىء عن حياته التى قضاها بعد الانفصال عن منصبه وهجرته الى بلنسية والاقامة بها ، الا أننا نعتقد ، أن الوقشى رحمه الله كان قد عكف على القراءة ، والتأليف ، وكرس

---

(١) نفح الطيب ٢/٥١٥ .

(٢) الصلة ص ٢٨١ .

(٣) ابن عذارى ٣/٣٠٥ وأعمال الأعلام ص ١٧٩ .

حياته للاقــراء ، والتدريس بعــد الانصراف عن طلبــيرة ، وذلك لأن معظم طلابه وتلاميذه هم البلنسيون حتى أن عددهم يزيد من تلاميــذه الطليطليين ، فهــذا مما يمكن بــه الاستدلال على أن الوقشى أكثــر الرواية والاقراء ، وهو ببلنسية •

ثم ان المعلومات الضئيلة القليلة التى وصلت الينا عن حياته من طــريق كتب التراجم والتــاريخ تنص على اشتغاله بالتــأليف ، والتــدريس والروايــة ، فمــن ذلك ما ذكــره الضــبى ، أن أبــا عامــر الخطيب البلنسى ، من تلاميذ الوقشى ، كان قد روى عنه كتاب السيرة بسنده ، وروى عنه أبومحمد عبدالمنعم ابن محمد ، وعنه الضبى صاحب بغيــة الملتمس (١) • ومــن ذلك ما روى أنه كتب الى محمــد بن عثمان أبى عبد الله البكــرى الحجارى وذلك سنة ٤٨٥ هـ (٢) • ثم ان الوقشى ، كعالم ربانى ، صاحب التصانيف ، وذى العدد الضخم من التلاميــذ ، كان قد احتل مكانة كبيرة فى نفوس أهل بلنسية ، ممــا جعلهم يلجؤون اليه فى مصابهم ويجتمعون اليه فى أزمتهم الخطيرة وفى نكبتهم الكبيرة • ليتزعمهم وينقذهم منها (٣) •

ثم ان العــدو كان قــد حاصر بلنسية ، ودخلها بعد أخذ المواعيد وعقــد العقــود ، التى ما رعاها ، ونبذها نبــذا ، ودهى الاحتــلال الأجنبى أهل بلنسية من المسلمين ، فدهشــوا ، وبهتوا ، وكابدوا من الآلام وأصيبوا بالقتل ، والاضطهاد ، والارهــاب ، ونهب الأمــوال ، والأعراض ، والخوف والجوع ، فاستصرخوا بمــلوك الاســلام ، كالمستعين بن هود ، وقواد الجيش المرابطى ، الا أن الاغاثة قد تماطلت ، والنصرة قــد تأخرت ، وكانوا فى أشد حاجة الى من يتولى أمرهم ، ويقودهم ، وينقذهم مما أصابهم ،

---

(١) الضبى ص ٥٥ •

(٢) التكملة ص ١٥٧ •

(٣) ابن عذارى ٣١/٤ طبعة دار الثقافة بيروت والبلدان ٣٨١/٥ •

ولكن ليس من ينهض بذلك ، ولا من يتقدم اليه،غير صاحبنا الوقشي، ذلك الانسان النبيـل الشـجاع ، والعـالم الربانى ، فيتـولى أمـر المسلمين، ويلتزم قضاءهم ، ويتكلم نيابة عنهـم ، ويأخـذ لهم الأمان بشرط التوقف (١) .

وللوقشي قصيدة مؤثرة ، بكى فيها مصاب المسلمين من أهل بلنسية، على يد القمبيطور ، الا أن أصلها ، قد ضاع ، ولم يبق منها الا ترجمة بعض الأبيـات ، نقلت الى اللغـة الأسبانية ، ورددتها ألسنة العـامة ومنها ما معناه :

« اذا أنا مضيت يمينا هلكت بماء الفيضان ، واذا ذهبت يسارا،أكلنى السبع ، واذا مضيت أمامى ، غرقت فى البحـــر ، وان التفت خلفى ، أحرقتنى النار » (١) .

---

(١) كانت ثورة القاضي أبى أحمد جعفر بن عبد الله بن جحاف ، ضد القادر ابن ذى النون ، والقبض عليه ، وقتله ، نذيرا بمصاب بلنسية ، فقد كان القمبيطور ، استودع ابن ذى النون ، من الأطعمة ، والأموال ، التى حصلت له من الضرائب المفترضة على المسلمين ، فخاف ضياعها ، وطمع فى بلنسية ، فحاصرها ، ثم دخلها ، بعد عقد العقود ، وأخذ المواثيق ، الا أنه نقضها ، وأخلفها ، فأحرق القاضى ، وامتحن أهل بلنسية بالجوع والغلاء ، حتى عدمت الأقوات ، وأكلت الجلود ، وهلك الناس ، ولم يبق من ذلك الجم الا نذر يسير ، وتوالى اليبس ، واستحكم الوباء ، وبينما الرجل يمشى سقط ميتا ، ولم يبق ما يدب على أربع وعمد اللعين الى الضعفة من النساء والولدان من المســلمين ، فأزعجهم الى المحلة وقال :الحقـوا بأهل ملتكم ، فوقعن الى أيدى السودان ، وخدمة الدواب ، والسفلة ، من الباعة ، فغلبوا عليهن ، وفسقوا بهن . . . . ولمـا بلغ الأمر الى هذا القدر ، وابن هود يخاطب بالتسويف ، والمطل ، اجتمع الناس الى الفقيه ابن الوليد ، (كذا والصواب أبى الوليـد) ، الوقشي فى التكلم ، لابن جحاف ، فأخذ الأمان بشرط التوقف ، وارتفعت الحرب ، ولان السعر ، واستمرت بلنسية ، تحت حكم الأفرنج حتى أنقذها الله على يد الأمير مزدلى ، قائد المرابطين ، بعد ثمانية أعوام وشهر ، من ابن عذارى ٤/٣١ – ٤١ .

(١) الأعلام ٩/٨٠، ٨١ .

ولا يحدثنا التاريخ متى خــرج الوقشى من بلنسية ، وانما نراه ، وهو فى دانية على وشك الرحيل الى رحمة الله ولكنه لم يتوقف رحمه الله عن الرواية ، والتدريس ، فان لدينا أسماء من تلاميــذه الدانيين الذين أخذوا منه فى الأيام الأخيرة من عمره .

وفاته ومدفنه :

وتوفى أبوالوليد الوقشى ، على أصح الأقاويل ، يوم الثلاثاء ليـلة بقيت من جمادى الآخرة سنة تسع وثمانين وأربعمائة من الهجرةالنبوية وقد تجاوز الثمانين من عمره وقيل سنة ثمان وثمانين وأربعمائة (١) ، رحمه الله رحمة واسعة وجعل الجنة مثواه ومتعنا بما تركه من المعارف والآثار .

وقد بلــغ اهتمام الدانيين بــه وحبهم واحترامهم له الى أن دفنوه بازاء الجامع القــديم لدانية ويبدو أن قبره كان معروفا بين الناس الى مدة غير يسيرة فان كتب التراجم تذكر قبره فى كثير من المواضعوكان أبو مروان عبــد الملك بن محمــد الأيادى والد أبى العلاء ابن زهــر قد دفن عند قبر أبى الوليد الوقشى الا أن ابن الأبار يذكر أن هــذين القبــرين لم يكــونا يعــرفان فى عصره (١) .

د : ظهور أحمد أظهر

---

(١) قد انفرد بالقول الأخير القاضى عياض وعنــه ياقــوت فى البلدان ٣٨١/٥ وابن حجر فى لسان الميزان ١٩٣/٦ وعنهما صاحب أسماء المؤلفين اسماعيل باشا البغدادى ٥٠٩/٢ وأخــذ بالقول الأول ياقوت فى الارشــاد ٢٨٦/١٩ وابن بشكوال ت ١٤٣٧ والضبى ص ٤٧٠ والسيوطى البغية ص٤٠٩ والزركلى فى الاعلام ٨٠/٩ وبروكلمان ٦٧٩/١ .

(٢) ابن الأبار ص ٦٠٦ .

الذوق الصوفى للصوم

للأستاذ عبد الحفيظ فرغلى القرنى

جاء فى كتاب الكامل للمبرد « نظر الحسن البصرى الى الناس فى مصلى البصرة يضحكون ويلعبون فى يوم عيد ، فقال : ان الله جعل الصوم مضمارا لعباده ، ليستبقوا الى طاعته فسبق أقوام ففازوا وتخلف آخرون فخابوا ، ولعمرى لو كشف الغطاء لشغل محسن باحسانه ومسىء باساءته عن تجديد ثوب أو ترطيل شعر » وترطيل الشعر تليينه بالدهن وغيره •

وكلمة البصرى رضى الله عنه تلقى الضوء على الغاية من الصوم، تلك الغاية التى أدركها الصوفيون وعملوا لها ، فهو مضمار للناس، والمضمار فى اللغة الموضع تضمر فيه الخيل ، وهو غاية الفرس كما يقول القاموس • والهدف من تضمير الخيل اعدادها للفوز فى السباق ، فقد جعل الله الصوم وسيلة من وسائل الفوز فى الآخرة لما يترتب عليه من طيب الآثار •

ويعتبر الصوفية البصرى أصلا من أصولهم التى اليها يرجعون فى سلوكهم ، فهو أستاذ فى الزهد والورع والكلمة الطيبة والعمل الصالح المثمر ، وهم الى ذلك يعرجون •

والصوم عند الصوفية ليس بمعناه الفقهى المعروف فحسب ، وهو الامساك عن شهوة البطن والفرج ولكنه تصعيد الى أعلى حيث دعا النبى صلى الله عليه وسلم الى آدابه فى حديث جامع مانع هو « اذا صمت فليصم سمعك وبصرك ولسانك ويدك » ويفسر ذلك قوله صلى الله عليه وسلم « اذا صام أحدكم فلا يرفث ولا يفسق فان شتمه انسان فليقل : انى صائم •

ومعنى ذلك أن الصوفية نظروا فى الصوم الى الغاية منه ، والغاية منه ، لا تتحقق الا بما فرضوه على أنفسهم من جهاد للنفس عن شهواتها وكف لها عن رغباتها ، قال أبو نصر السراج فى اللمع : وصحة الصوم وحسن أدب الصائم فى صومه صحة مقاصده ومباينة شهواته وحفظ جوارحه وصفاء مطعمه ورعاية قلبه ودوام ذكره وقلة اهتمامه بالمضمون من رزقه وقلة ملاحظته لصومه ووجله من تقصيره والاستعانة بالله تعالى على تأديته فذلك أدب الصائم فى صومه •

ولو أمعنا النظر لأدركنا أن ذلك هو المفهوم الحقيقى للصوم كما شرعه الله سبحانه وتعالى ، وهو المفهوم الذى تدعو اليه الآية الكريمة « يا أيها الذين آمنوا كتب عليكم الصيام كما كتب على الذين من قبلكم لعلكم تتقون » والتقوى لا تتحقق الا بأداء الصوم على حقيقته وبآدابه التى كان يلتزم بها النبى صلى الله عليه وسلم فى صومه ويدعو اليها أصحابه رضوان الله عليهم •

نظر عامة الناس الى مظهر الصوم فأمسكوا عن الطعام والشراب ونظر الصوفية الحقيقيون الى الجوهر فهذبوا نفوسهم بالطاعة وقمعوها عن الشهوة وزينوا أرواحهم بالعبادة وجعلوا رمضان موسما من مواسم الخير تزداد فيه القلوب يقينا والنفوس تزكية والأرواح اشراقا والحياة أمنا وسعادة وأملا فى الله •

الرخصة فى الصوم :

ومن أجل ذلك لا ينظر الصوفى الى جانب الرخصة فى الصوم اطلاقا ولكنه ينظر الى قوله تعالى « وأن تصوموا خير لكم » فهو صائم فى مرضه وفى سفره مهما اشتد عليه المرض وقاسى من الشدائد • حدث الرواة عن السيدة نفيسة ابنه الامام حسن الأنور رضى الله عنهما أنها أصرت على الصيام فى خلال شهر رمضان الذى توفيت فيه على الرغم من شدة مرضها ونصيحة الخلصاء لها بالافطار ، ولما أكثروا عليها قالت وا عجباه منذ ثلاثين سنة

أسأل الله تعالى أن ألقاه وأنى صائمة، أفأفطر الآن ؟ هذا لا يكون .

ولم يقف الصوفية أنفسهم على صوم الفرض ولكنهم جعلوا حياتهم صوما دائما لا يكاد ينقطع الاقليلا، على أمل أن يلقوا الله عز وجل وهم صائمون فخلوف فم الصائم عند الله أطيب من ريح المسك ، وكان أدبهم فى صومهم ـ فيما يذكره الطوسى ـ ما روى عن النبى صلى الله عليه وسلم من قوله : الصوم جنة . ولم يقل جنة من أى شىء ، ففهموا من ذلك أن الصوم جنة فى الآخرة من النار لأن الصوم للصائم فى الدنيا جنة من سهام الأعداء الذين يدعونهم الى النار ، وهؤلاء هم الشيطان والنفس والهوى والدنيا والشهوات ومن اختار المداومة على الصيام اختار ذلك للاحتراز بالجنة من مكايد الأعداء لكيلا يجدوا فرصة فيظفروا به ويطرحوه فى النار .

اقسام الصوم :

وقد قسم الصوفية الصوم ثلاثة أقسام :

قسم هو صوم العموم وهم الذين يقفون عند حد الصوم الفقهى من كف البطن والفرج عن قضاء شهوتيهما .

وقسم هو صوم الخصوص ويقصد به كف السمع والبصر واللسان واليد والرجل وسائر الجوارح عن الآثار .

وقسم هو صوم خاصة الخاصة ومفهومه صوم القلب عن الهمم الدنية والأفكار الدنيوية وكفه عما سوى الله عز وجل كلية، وينتقض صوم هؤلاء بالفكر فيما سوى الله عز وجل واليوم الآخر وبالفكر فى الدنيا الا دنيا تراد للدين كما يقول الغزالى رضى الله عنه فى احيائه .

ومن وصاياهم الرائعة لمريديهم فى ذلك : صم عن الدنيا وليكن افطارك هو الموت . فقد استعملوا الصوم والافطار استعمالا رمزيا فالصوم عن الدنيا يشير الى العفة والزهد والايثار والافطار هو التحلل من ذلك ولا يكن الا بالموت ، ومعنى ذلك أن تكون حياة المريد زهدا

دائما وعفة متواصلة وايثارا مدى الحياة .

واذا كان صوم الصائم العادى عن الشهوات فصوم الخلصاء عما سوى الله وهم لذلك لا فطر لهم، فالفطر نهاية لأيام محدودة ، وهم موصولون دائما بالله فكيف يفطرون من ذلك ؟ واذا كان الفطر عيدا عند عامة الناس فعيد هؤلاء هو لقاء محبوبهم والائتناس به وقد عبر أحدهم عن ذلك بقوله :

اذا ما لم تكن عيدا
فما أفعل بالعيد ؟

وهؤلاء القوم قد وصلوا الى هذه الدرجة بالمكابدة الدائمة والجهاد الدائب لنفوسهم وشهواتهم، وتربية نفوسهم على تحمل المصاعب وصولا الى الغاية العليا والمطلب الأسمى ، وعلى قدر أهل العزم تأتى العزائم .

وهذا هو السر المقصود من فريضة الصوم فان لكل عبادة سرا ولكل حق حقيقة ، والفريضة ما لم تؤت بأدائها ثمرة أصبحت لا قيمة لها مصداقا لقوله عليه الصلاة والسلام « كم من صائم ليس له من صومه الا الجوع والعطش » ، وقد قال العلماء فيما يرويه الغزالى فى الاحياء: كم من صائم مفطر وكم من مفطر صائم ، والمفطر الصائم هو الذى يحفظ جوارحه من الآثام ويأكل ويشرب والصائم المفطر هو الذى يجوع ويعطش ويطلق جوارحه .

الصوم جهاد وصحة .

لقد اعتبر الصوفية الصوم مرحلة من مراحل الجهاد استعانوا به على قطع مفاوز الطريق ولذلك أكثروا منه ، وهم فى ذلك متأدبون بأدب رسول الله صلى الله عليه وسلم الذى كان يكثر من الصوم فى غير رمضان ويدعو اليه ، وهذا يعلمنا أن جميع ما اتخذه الصوفية من ألوان السلوك لم يبتدعوه ولكنهم ربطوه بسبب من أسباب السنة المطهرة التى اعتنوا بها عناية كبيرة.

وقد أصبح الصوم علامة مميزة للصوفى الحق لا يكاد يخلو منها أحد منهم . جاء فى كتاب اللمع قال قاضى دينور : سمعت رويما

يقول : اجتزت فى الهاجرة ببعض سكك بغداد فعطشت، فتقدمت الى باب دار فاستسقيت ، فاذا بجارية وقد فتحت الباب وخرجت ومعها كوز جديد ملآن من الماء المبرد فلما أردت أن أتناول من يدها قالت لى : ويحك صوفى يشرب بالنهار وضربت بالكوز على الأرض وانصرفت ، قال رويم : فلقد استحييت منها ونذرت أن لا أفطر أبدا .

لقد نبه النبى صلى الله عليه وسلم الى ضرر البطنة ، وقال فيما يروى عنه من أحاديث شريفة : المعدة بيت الداء والحمية رأس الدواء ، وما ملأ ابن آدم وعاء شرا من بطنه ، ونصح أصحابه بقوله : جوعوا تصحوا أو صوموا تصحوا ، وهو القائل صلوات الله وسلامه عليه : الصوم جنة أى وقاية من شر الدنيا وهو المرض والحرص والشره وغيرها من الآفات ، وشر الآخرة وهو العذاب .

ومن أعظم المهلكات للانسان بطنه ، وشهوتها هى التى أخرجت آدم من الجنة ، والنفس اذا شبعت طغت وتجبرت ولا يكسر حدتها الا الجوع ، هناك تصفو وتزكو وتطمئن استنادا الى الأثر الشريف: أفضلكم عند الله منزلة يوم القيامة أطولكم جوعا وتفكرا فى الله وسبحانه ، وأبغضكم عند الله عز وجل يوم القيامة كل نؤوم أكول شروب ، وفى الخبر المأثور أن النبى صلى الله عليه وسلم كان يجوع من غير عوز، أى أنه كان مختارا لذلك، وفيما ورد أيضا أن المقوقس عظيم مصر أهدى الى النبى صلى الله عليه وسلم فيما أهدى اليه طبيبا فرده ، وقال له : نحن قوم لا حاجة لنا بك لأننا لا نأكل حتى نجوع واذا أكلنا لا نشبع ، فعاد الى المقوقس يقول له : لقد بعثتنى الى رجل جمع الحكمة كلها فى كلمتين .

وللصوفية فى الاقلال من الطعام والشراب نوادر طيبة ، فبعضهم كان يرضى بأقل القليل حتى أثر عن أحدهم وهو سهل بن عبد الله التسترى رحمه الله أنه كان يأكل فى كل خمسة عشر يوما مرة ، فاذا

دخل رمضان لم يأكل فيه الا أكلة واحدة ، وكان يفطر على الماء القراح وحده .

وربما لا يكون فى هذه القصة مبالغة ، فمن المألوف أن الهموم والانفعالات تصرف الانسان عن الطعام والشراب ، ويحدث هذا كثيرا فى هموم الدنيا فما بالك اذا كان هم الانسان بربه وتفكره فى أمر آجلته ونهايته ؟ وقد يقابل الانسان وهو جائع صديقا أثيرا أو حبيبا غائبا فيلهيه ذلك عن طعامه وشرابه فترة قد تطول وتقصر ، فما بالك اذا كان فرح الانسان بربه وتيقنه من حسن ظنه بمشوبته وفوزه ؟

والحكمة الواردة على لسان المسيح عليه السلام : ليس بالخبز وحده يحيا الانسان ، ولكن بكل كلمة تخرج من فم الرب ما أصدقها حين يتمثلها الصوفى فى حقيقة نفسه مستأنسا بالله واثقا فيه فرحا به ، وحين يتمثل قبل ذلك قول المصطفى صلى الله عليه وسلم : انى أبيت عند ربى يطعمنى ويسقينى .

ان الصائم فى ضيافة الرحمن وما أروع هذه الضيافة حين يستشعرها صاحب اليقين الصادق حيث لا يروعه جوع ولا عطش ولا يؤذى جسمه حر ولا قر ، حدث السلم فى طبقاته فى ترجمة سمنون بن حمزة المحب قال : كنت ببيت المقدس وكان برد شديد وعلى جبة وكساء وأنا أجد البرد والثلج يسقط ، فاذا شاب مار فى الصحن عليه خرقتان ، فقلت : ياحبيبى لو استترت ببعض هذه الأروقة فيكنك من البرد ، فقال :

ويحسن ظنى أننى فى فنائه
وهل أحد فى كنه يجد القرا ؟

ولقد اعتاد كثير من الصوفية الصوم واستأنسوا به ووجدوا فيه لذة عجيبة حتى لقد كان بعضهم يقطع هذه اللذة خوف الركون اليها ولذلك أيضا أصل فى السنة هو قوله عليه الصلاة والسلام : أفضل الصيام صيام أخى داود عليه السلام كان يصوم يوما ويفطر يوما .

ومعنى أفضل الصيام — كما يفسره الطوسى — أشد الصيام لأنه

يقطع مألوف النفس فهى لا تركن الى صوم دائم أو افطار دائم ، والتربية الصوفية الحقيقية هى قطع دواعى النفس ومألوفاتها وعلائقها حتى لا تركن الى شىء سوى الله تعالى ولا يكون همها الا به ولا نظرها الا اليه حتى ولو كان هذا الشىء عبادة ، ومعرفة ذلك خبرة لا يدركها الا أصحابها ولقد صدق الله تعالى اذ يقول على لسان يوسف عليه السلام أو على لسان امرأة العزيز « ان النفس لا مارة بالسوء الا ما رحم ربى » وقد تستأنس النفس بالطاعة من الصلاة وصيام وصدقة لتحلو فى نظر الناس وهذا هو الرياء المقوت ، والصوفى الذكى الصادق هو الذى يقطع على نفسه طريقها فيؤدبها بما يصلح لها من ألوان التأديب والتهذيب حتى تستقيم له استقامة تامة .

رمضان فرصة للخير :

واذا كان هذا دأب الصوفية فى فهم الصوم عامة فما بالك اذا كان هذا الصوم فى رمضان وهذا الشهر الذى فرض الله صيامه وسن النبى صلى الله عليه وسلم قيامه وأنزل الله فيه القرآن الكريم هدى للناس وبينات ؟

انهم يعتبرون هذا الشهر فرصة طيبة يستكثرون فيها من الفضائل والخيرات ويلتزمون بما أمر به النبى صلى الله عليه وسلم من قرب وطاعات .

كان النبى صلى الله عليه وسلم أجود الناس وكان أجود ما يكون فى رمضان ، ومحققوا الصوفية حريصون على تحقيق هذا الأدب بما يقومون به من اطعام وبر وصدقة وتنافس فى الخير وتعاون فى البر والصوم بمفهومه اليسير اقلال من الطعام والشراب وليس تنافسا ــ كما نرى الآن ــ فى ابتكار ألوانه واختلاف أنواعه حتى أصبح رمضان المبارك موسم طعام لا موسم صيام وتحول من شهر يريح فيه الانسان أمعاءه الى شهر يتخمها فيه بكثرة ما يلقيه فيها من طعام وأكثره يظهره بخاصة فى هذه المناسبة ، وربما كان الصوفية الحقيقيون هم وحدهم

الحريصين على المحافظة على مفهوم الصوم الحقيقى فتخلو موائدهم من الطعام الذى تتلمظ بهالشفاه وتأكله العيون قبل البطـون واجتماعاتهم تهدف الى تغذية الروح قبل تغذية البدن ، وكثير منهم يكتفى بالتمرة أو التمرتين ، وبعضهم يكتفى بحبات من زبيب يوم أن لم يكن الزبيب من طعام المترفين . جاء فى رسـالة القشيرى : أمرنى أبوعبـد الله بن خفيف أن أقـدم له كل ليلة عشر حبـات زبيب لافطاره ، فأشـفقت عليه فى ليلة فحملت اليه خمس عشرة حبة فنظر الى وقال : من أمرك بهذا؟ وأكل عشر حبات وترك الباقى .

وليس فى هذه القصة مبالغة أيضـا فهى تلتقى مع ما يحدده أطباء الابدان لمرضـاهم من مقادير يحذرونهم من تجاوزها وصحة الروح مقدمة على صحة البدن عند العقلاء .

وربما لا يكون هنـاك مجـال للمقارنة بين حالنا اليوم وحال أولئك الذين أكرهوا نفوسـهم على القناعة بذلك النزر اليسير ، ولكنها تربية الارادة التى يصـل المريد بها الى جنة عرضها السموات والأرض ، بل ولعله لا ينظر الى هذه الجنة ولكنه ينظر الى صاحبها جل وعلا . ليس هناك مجال للمقارنة ، كما أنه ليس هناك اكراه أيضـا أن يلتزم الناس حال هؤلاء الذين اختـاروا الطريق الشاقة على الطريق الذلول ، ولكن الذى ينبغى أن يكون هو ضرورة تحرى الانسـان الحلال الطيب من الرزق واجتناب الاسراف فى الطعام والشراب عملا بقوله تعالى « كلوا واشربوا ولا تسرفوا » ، وارتيـاد الهدف الأسمى من الصوم الذى لن يتحقق الا اذا استشـعر الانسـان الجوع الذى يهذب ضراوة النفس ويكسر حدة الشـهوة ويعطف قلب الواجـد على البائس ويرقق قلب القوى على الضعيف ويكسو الصائم بكسـوة التقوى التى دعا اليها الله تعـالى .

الصوم ومعرفة الله :

ان الصـوفى فى مسيرته يستهدف غاية مثـلى هى التعـرف على الله والتـلذذ بقربه ، وهى غاية يهون بجانبها كل مطـالب الترف والتنعم

بملذات الحياة ، وماذا تكون هذه الملذات الفانية بجانب اللذة الباقية الخالدة التى ينالها من أدرك الغاية من خلقه وفهم الحكمة من وجوده كما بينها الله تعالى بقوله « وما خلقت الجن والانس الا ليعبدون » والعبادة الحقة لا تكون مع قلب متطلع وبطن مكتظ ونفس متشهية وعين متلهية • انها تكون مع الزهد فى الطيبات والعزوف عن الشهوات والبعد عن الملذات ، وحقا ذلك فقد قال الصادق المصدوق : حفت الجنة بالمكاره وحفت النار بالشهوات •

لقد استطاع الصوفية أن يروضوا نفوسهم فيملكوها قبل أن تملكهم ويخضعوها ولم تستطع أن تخضعهم فحملوها على الجادة وسلكوا بها سواء السبيل ، والصوم هو الوسيلة الفعالة لترويض النفوس وتربية الارادة وتصفية مرآة القلب فيبصر بعد ظلام وتتفجر فيه ينابيع الحكمة ويدرك ما لا يستطيع غيره أن يدركه قال أبوطالب المكى : البطن مثل المزهر — وهو العود المجوف — ذو الأوتار انما حسن صوته لخفته ورقته ولأنه أجوف غير ممتلىء ، وكذلك الجوف اذا خلا كان أعذب للتلاوة وأدوم للقيام وأقل للمنام •

وقال الشبلى : ما جعت لله يوما الا رأيت فى قلبى بابا مفتوحا من الحكمة والعبرة ما رأيته قط • وجاء فى الاحياء على لسان لقمان لابنه : يابنى اذا امتلأت المعدة نامت الفكرة وخرست الحكمة وقعدت الأعضاء عن العبادة ، ولأبى يزيد البسطامى تعبير طريف : الجوع سحاب فاذا جاع العبد أمطر القلب الحكمة •

هذا هو الصوم الذى فيه علاج لأمراض النفس حتى تصح فاذا صحت سلكت فى مدارج الكمال وقطعت مراتبها المترددة حتى تطمئن ومتى اطمأنت خاطبها الحق بقوله تعالى « يا أيتها النفس المطمئنة ارجعى الى ربك راضية مرضية فادخلى فى عبادى وادخلى جنتى » وما أقوى النفس حين تصح وما أقبحها حين تعتل •

فالنفس من خيرها فى خير عافية
والنفس من شرها فى مرتع وخم

فهم الصوفية للصوم قوة لا ضعف :

وتفهم الصوفية للصوم على هذا الأساس مظهر قوة لا مظهر ضعف ، ومظهر ايجابية لا سلبية ، لأن فيه احياء للروح واماتة للشهوة ، فاذا حييت الروح انطلقت فى مجالات الحياة تبنى وتعمر على هدى ونور ، ولقد دعا الله المؤمنين أن يستعينوا فى حياتهم ومواجهة شدائدها بالصبر والصلاة ، والصوم نصف الصبر كما أن الصبر نصف الايمان •

والاسلام فى حاجة الى رجال أحيوا أرواحهم وأماتوا شهواتهم ، لا تهمهم البطون النهمة ولا يشغلهم المتاع الزائل واللهو الباطل ، ولا يخطف أبصارهم البريق الخاطف ولا تأكل قلوبهم المادة الزاحفة والمدنية الزائفة ، هو فى حاجة الى شباب تربوا فى مدرسة الصوم على أساس من الفهم الصحيح حتى تعتدل الأوضاع المقلوبة وتصح النفوس العليلة ،ويعود رمضان كما شرعه الله موسما للخير يجود بنفحاته على المسلمين ، فتنتشى قلوبهم بعطره ، وتسعد أرواحهم ببره ، وتشدو ألحانهم على وتره وتهتف ألسنتهم بذكره ويعود رمضان كما كان وكما ينبغى أن يكون شهر الانتصارات فى كل ميدان ، يتنافس الناس فيه فى الخير لا فى غير ذلك من المتاع الفانى والمظهر الكاذب ، حينئذ ندرك روعة ما قاله البصرى ، ان الله جعل الصوم مضمارا لعباده يستبقوا الى طاعته فسبق أقوام ففازوا وتخلف آخرون فخابوا • فهل لنا أن نتدبر لنفوز ؟

عبد الحفيظ فرغلى القرنى

العدو الأول :

كان عبد الواحد بن زيد يحلف بالله لحرص المرء على الدنيا أخوف عندى من أعدى أعدائه . وكان يقول : ياأخوتاه لا تغبطوا حريصا على ثروته وسعيه فى مكسب ولا مال ، وانظروا له بعين المقت له فى اشتغاله اليوم بما يرديه غدا فى المعياد ثم يتكبر .

وكان يقول : الحرص حرصان : حرص فاجع وحرص نافع ، فأما النافع فحرص المرء على طاعة الله .

وأما الحرص الفاجع فحرص المرء على الدنيا .

أنكر أهل البدع حديث :

للأستاذ محمد نجيب المطيعى

(١) ((ان أحدكم يجمع خلقه فى بطن أمه أربعين يوما ثم يكون علقة مثل ذلك)) الحديث .

(٢) حديث ((أن فى الجنة بابا اسمه الريان أعد للصائمين)) .

لم يبق على هؤلاء الزمنى عقولا الا أن ينكروا الماء والهواء والفضاء والحجر والمدر والشجر ، والموت والحياة ، ولو كانت كارثتهم قد حاقت بأبصارهم أو أقدامهم أو آذانهم لهانت المصيبة ، وخفت البلوى .

اما أن تكون النكبة والمصيبة الحالقة قد وقعتا على بصائرهم وعقولهم فهذه ما لا حيلة لنا فيها ، ولكن هكذا قدر الله ما شاء فعل .

وكأن عقولهم الباطنة تحس بالحرمان من هذه النعمة العظمى لذلك تراهم يعادون الصانع الأعلى فى صنعه ، ويمارون على ارادته ، وكأنهم من فرط ما ابتلو به يطردون عن عقولهم شبح الايمان بما يؤمن به أهل القبلة ، وكأن كابوسا مخيفا يجثم على صدورهم ، وكأنهم من الذين قال الله فيهم (فلا يؤمنوا حتى يروا العذاب الأليم) .

قال صاحب ذلك الهذيان فيما سماه الجزء الثانى من المنشور المريب الذى فضحنا خبيثته وخبائثه فيما مضى من بحوث هى قرة أعين الموحدين ، وقذى أعين الضالين ، وما زال مصرا على باطله حتى ان كتابه بعد أن صادرته مشيخة الأزهر الشريف أتاحت له صحيفة يومية دأبت على اهتبال كل فرصة للنيل من

السنة اشباعا لنيات يعلم الله حقيقة ما تنطوى عليه أقول أتاحت له أن ينشر آراءه مرة أخرى متهما مجمع البحوث الاسلامية بأنه لم يقل رأيه فى الأحاديث التى ساقها موهما الناس أن البخارى فيه كذا وكذا مما سبق أن فندناه على هذه الصفحات الغراء وهى الناطقة باسم مجمع البحوث وقد صادر مجمع البحوث الكتاب • أليس فى المصادرة تعبير صارخ وبيان مجسم على تكذيب المجمع لكل كلمة فى هذا الكتاب الصادر عن نفس ظالمة مظلمة ؟!!

فاذا لم يكن قد قرأ ما كتبناه وما جاء فى تقرير مشيخة الأزهر فى أسباب المصادرة فلماذا يلوم المجمع على أمر هو المقصر فيه ، أليس المجمع الذى أتاح لهذا الضعيف أن يرد على شبهاته وترهاته ؟ واذا كان قد قرأها فذلك دليل على سوء النية وعلى أن الأمر لا يعدو اللجاج والمكابرة •

وقد تعرض صاحبنا هذا فيما أسماه الحديث رقم ٣٩ لحديث شريف تناوله بلهجة تهكمية قائلا :

القدر يجبر العبد الصالح على عمل الشر فى آخر حياته فيدخله النار • ويزعم أن ذلك فى المجلد ٢ كتاب ٢ ص ١٣٥ وينسب الى زيد ابن وهب يقول : حدثنا رسول الله قال : ان احدكم أهـ والحديث الذى يشير اليه بهذا التعليق السخيف ليس فى المجلد ، ولا فى الكتاب ٢ ولا زيد ابن وهب قال حدثنا رسول الله الخ•

وانما الحديث جاء فى صحيح البخارى فى كتاب بدء الخلق وفى كتاب الأنبياء وفى كتاب القدر وفى كتاب التوحيد هذه واحدة •

(أما الثانية) فان زيد بن وهب ليس صحابيا ياأيها الجرىء على الله الجرىء على الحق ، الجرىء على البخارى نعم ليس صحابيا حتى يقول حدثنا رسول الله • وانما بيت القصيد أن الاسناد اتصل برسول الله صلى الله عليه وسلم عن طريق (عبد الله) لأن صاحبنا يجهل التمييز بين العباد له ويحار فى تمييز عبد الله هنا اذا أبهم فعلق الحديث على مشجب زيد بن وهب حتى يتخلص

من معرة الجهل لمجرد أنه لا يعرف حتى الصحابة المعروفين للعامة ، فضلا عمن يتطاولون على مقامات العلماء وأئمة الاسلام .

(وأما الثالثة) فان عبد الله بن مسعود أو زيد بن وهب أو اى مسلم يروى عن النبى صلى الله عليه وسلم لا يمكن أن يخلو كلامه من الصلاة والسلام عليه صلى الله عليه وسلم فحذف الصلاة اساءة أدب متعمدة لأن الكتاب كما سبق أن نبهنا جاء خاليا من أوله الى آخره من أمرين فارهين عظيمين :

(الأول) : أنه لا يوجد فيه بدءا ولا أثناء ولا انتهاء بسم الله الرحمن الرحيم .

(الثانى) : أنه لا يوجد فيه من أوله الى آخره صلاة على النبى صلى الله عليه وسلم .

وكأنهما من الاسرائيليات التى أقحمت على الاسلام ، ويأبى ذكرهما صاحب الذكاء الخارق الأخرق فى اضمامة من الورق سماها كتابا تناهز الأربعمائة صفحة من العدوان على السنة الشريفة .

ولنأت على ذكر الحديث كما أورده البخارى رضى الله عنه فى كتبه التى ذكرناها آنفا قال رضى الله عنه وأرمد أعين شانئية .

حدثنا الحسن بن الربيع حدثنا أبو الأحوص بن سليم عن الأعمش عن زيد بن وهب قال عبد الله : حدثنا رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو الصادق المصدوق قال « ان أحدكم يجمع خلقه فى بطن أمه أربعين يوما ثم يكون علقة مثل ذلك ثم يكون مضغة مثل ذلك ثم يبعث الله ملكا فيؤمر بأربع كلمات ويقال له : اكتب عمله ورزقه وأجله وشقى أم سعيد ، ثم ينفخ فيه الروح ، فان الرجل منكم ليعمل حتى ما يكون بينه وبين الجنة الا ذراع فيسبق عليه كتابه فيعمل بعمل أهل النار، ويعمل حتى ما يكون بينه وبين النار الا ذراع فيسبق عليه الكتاب فيعمل بعمل أهل الجنة .

وقد أخرج مسلم هذا الحديث وغيره بمعناه عن حذيفة بن أسيد

وفيه (ثم تطوى الصحيفة فلا يزاد فيهاولا ينقص) وأخرج هذا الحديث غير الشيخين أبو داود والترمذى وابن ماجه •

وعند مسلم من حديث أبى هريرة (وان الرجل ليعمل الزمان الطويل بعمل أهل النار ، ثم يختم له بعمل أهل الجنة وهو مكتوب فى الكتاب الأول من أهل النار ، فاذا كان قبل موته تحول فعمل عمل أهل النار فمات فدخلها) •

وأخرج البخارى معناه كاملا من حديث أنس بن مالك عنه صلى الله عليه وآله وسلم •

وأخرج البخارى وأبو داود والنسائى من حديث عمران بن حصين قال : (قال رجل : يا رسول الله أيعرف أهل الجنة من أهل النار ؟ قال : نعم قال : فلم يعمل العاملون ؟ قال : كل ميسر لما خلق له ولما يسر له) •

على أن أصحاب هذه النغمات المتسقة مع المبيتين للاسلام بليل من دعاة التبشير والاستشراق والالحاد ليسوا شيئا غير مسبوق بمثيله فى تاريخ هذه الأمة ، فقد ظهرت معتزلة الخوارج ممثلة فى العجاردة (١) تقول بالقدر على مذهب المعتزلة وذلك انهم يزعمون أن الله سبحانه فوض الأعمال الى العباد ، وجعل لهم الاستطاعة الى كل ما كلفوا فهم يستطيعون الكفر والايمان جميعا ، وليس لله سبحانه وتعالى فى أعمال العباد مشيئة ، وليست أعمال العباد مخلوقة لله • وقد أجمعت الأمة على وجوب الدأب فى الأعمال الصالحة ،فان عمله أمارة على مايئول اليه أمره غالبا ، وربك يفعل مايشاء فالعبد ملكه يتصرف فيه بما يشاء لا يسأل عما يفعل •

وقد تناظر الاستاذ أبو اسحاق الاسفراينى والقاضى عبد الجبار

---

(١) مقالات الإسلاميين لأبى الحسن الأشعرى جـ ١ ص ١٧٧

فقال القاضى عبد الجبار فى ابتداء جلوسه للمناظرة :

سبحان المنزه عن الفحشاء .

فقال الاستاذ الاسفراينى مجيبا : سبحان من لا يقع فى ملكه الا ما يشاء .

فقال القاضى عبد الجبار : أفيشاء ربنا أن يعصى ؟

فقال الاستاذ أبو اسحاق : أيعصى ربنا قهرا ؟

فقال القاضى عبد الجبار : أفرأيت ان منعنى الهدى وقضى على بالردى أحسن الى أم أساء ؟

فقال الاستاذ أبو اسحاق : ان كان منعك ما هو لك فقد أساء ، وان منعك ما هو له فيختص برحمته من يشاء . فانقطع القاضى عبد الجبار .

ويقول الامام على كرم الله وجهه (الحمد لله الذى خلق الخلق وأعمالهم ، وقدر أرزاقهم وآجالهم ، من غير روية أجالها ولا تجربة استفادها ، ولا همامة نفس هم بها) ويقول الله تبارك وتعالى وهو أصل هذه القضية ودليلها (والله خلقكم وما تعملون) ويقول تعالى (ألا يعلم من خلق) ويقول تعالى (الله خالق كل شىء) وكما يقول الامام الغزالى :

ان انفراد الله باختراع حركات العباد لا يخرجها عن كونها مقدورة للعباد على سبيل الاكتساب بل الله تعالى خلق القدرة والمقدور جميعا ، وخلق الاختيار والمختار جميعا ، فأما القدرة فوصف للعبد وخلق للرب سبحانه ، وليست بكسب له ، وأما الحركة فخلق للرب تعالى ووصف للعبد وكسب له ، فانها خلقت مقدورة مقدرة وهى وصفه ، وكانت للحركة نسبة الى صفة أخرى تسمى قدرة ، فتسمى باعتبار تلك النسبة كسبا وكيف تكون جبرا محضا ، وهو بالضرورة يدرك التفرقة بين الحركة المقدورة والرعدة الضرورية ؟ أو كيف يكون خلقا للعبد وهو لا يحيط علما بتفاصيل أجزاء الحركات المكتسبة وأعدادها ، واذا بطل الطرفان لم يبق الا الاقتصاد فى الاعتقاد ، وهو أنها مقدورة بقدرة الله تعالى اختراعا ،

وبقدرة العبد على وجه آخر من التعلق يعبر عنه بالاكتساب ، وليس من ضرورة تعلق القدرة بالمقدور أن يكون بالاختراع فقط ، اذ قدرة الله تعالى فى الأزل قد كانت متعلقة بالعالم ، ولم يكن الاختراع حاصلا بها ، وهى عند الاختراع متعلقة به نوعا آخر من التعلق ، فيه يظهر أن تعلق القدرة ليس مخصوصا بحصول المقدور بها •

أما انكارهم أن يكون للجنة أبواب يدخل من كل باب منها طائفة غلبت على أعمالهم عبادة من العبادات أكثروا منها ، وقاموا بها واجبا وتطوعا ، وأحسنوا أداءها على أجمل وأتم ما ورد عن النبى صلى الله عليه وآله وسلم فيها ، فهذا من شنائعهم وقبائحهم النكر اذ أن أمور الغيب لا مصدر لها من أفانين العقول ، وخيالات المخبولين ولكنها لا تؤخذ الا من الله ورسوله الذى (ما ينطق عن الهوى ان هو الا وحى يوحى)•

وقد أفادنا صلى الله عليه وسلم بحديثه الصحيح أن فى الجنة بابا يسمى الريان يدخل منه الصائمون وقد فهم المسكين من هذا أن الذين يدخلون من هذا يشترط ألا يصلوا ولا يحجوا ولا يزكوا أرأيتم هذا النمط الذى يتعاطى به الحمقى دينهم •

ان الصوم الحق الذى تحتف به أمور من الفضائل العالية والأخلاق السامية مما يجعل أصحابه بحق من المتميزين بخصال من الخير هى من خصال أخص الخواص • يعد مثارا للتفكه والسخرية عندهم اذ هناك صوم العموم وصوم الخصوص وصوم خصوص الخصوص •

فالأول : مثل كف البطن والفرج والشهوات •

والثانى : مثل كف السمع والبصر واللسان واليد والرجل وسائر الجوارح عن الآثام •

والثالث : مثل صوم القلب عن الهمم الدنية ، والأفكار الدنيوية وكفه عما سوى الله عز وجل بالكلية•

وقد جاءت الأحاديث الكثيرة فى الحث على آداب الصوم فمن ذلك :

(من لم يدع قول الزور والعمل

به فليس لله حاجة ، فى أن يدع طعامه وشرابه) .

« أخرجه أحمد والبخارى وأبو داود والترمذى وابن ماجه عن أبى هريرة » .

(رب صائم ليس له من صيامه الا الجوع ورب قائم ليس له من قيامه الا السهر) .

« رواه ابن ماجه والنسائى وابن خزيمة » .

(الصيام جنة ، فاذا كان يوم صوم أحدكم فلا يرفث ولا يجهل وان أمرؤ شاتمه أو قاتله فليقل انى صائم انى صائم، والذى نفسى بيده لخلوف فم الصائم أطيب عند الله من ريح المسك) أخرجه النسائى عن عائشة .

وأحاديث أخرى مستفيضة فى فضل الصوم فلا غرو اذا جعل الله تبارك وتعالى له بابا من أبواب الجنة نسأل الله أن يجعل لنا حظا من دخول الريان .

محمد نجيب المطيعى

السعى لطلب العلم :

« ولقد كنت فى حلاوة طلبى العلم ، ألقى من الشدائد ماهو عندى أحلى من العسل ، لأجل ما أطلب وأرجو ، كنت فى زمن الصبا آخذ معى أرغفة يابسة ، فأخرج فى طلب الحديث وأقعد على نهر عيسى — فى بغداد — فلا أقدر على أكلها الا عند الماء فكلما أكلت لقمة شربت عليها ، وعين همتى لاترى الا لذة تحصيل العلم ، فأثمر ذلك عندى انى عرفت بكثرة سماعى لحديث رسول الله صلى الله عليه وسلم وأحواله وآدابه ، وأحوال أصحابه وتابعيهم » .

ابن الجوزى — صيد الخاطر

القرآن "الكتاب الإلهى المهيمن"

للأستاذ الشيخ معوض عوض إبراهيم

فضل القرآن الكريم على ماعرف الناس — منذ كانوا — من كلام ، كفضل الله تعالى على جميع خلقه • وكل ما لله تعالى من نعوت الجلال والكمال والجلال والعلم المحيط ، يتمثل فى القرآن الكريم كذلك على نحو لايمكن أن يشاركه فيه غيره ، أو فى شىء منه ، فهو كلام يرى فى ضوئه ما فى غيره من احسان واتقان، ويكون غيره بالنسبة له ، جلاء وتصديقا لقوله — جلت آلاؤه — « وفوق كل ذى علم عليم » يوسف آية ٧٦

والنظرة الأولى فى القرآن الكريم تتأدى بالمنصف — لامراء — الى أنه كتاب الله حقا فهو يعرض قضايا الأزل والأبد ، ويخاطب بذلك كله خطابا عاما لا يتقيد بالزمان الذى نزل فيه على نبينا صلوات الله وسلامه عليه ، ولا بالبقعة التى ارتضاها الله منزلا للوحى ، ومهدا للتوحيد ، ومنطلقا للشريعة الخاتمة الى ما وراءها من النازل • ومن بلغتهم من الناس بيضا وصفرا وحمرا ••

وكان عموم خطاب القرآن بالتكاليف الآلهية شاهدا ودليلا — من شواهد وأدلة — على أنه كلام الله لا كلام مصطفاه ، فالأمر باقام الصلاة ، وصيام رمضان مثلا ، يعطى المكلفين فى مختلف منازلهم فرصة الحركة الى ذلك على صورة تختلف فى الزمان من مكان عن مكان، وان لم تختلف قيد شعرة عن قوله صلوات الله عليه • « صلوا كما رأيتمونى أصلى » •

ما توافرت الاستطاعة ، وتيسر الامكان ، فالدين يسر ، ولا يكلف الله نفساً الا وسعها ، والمعصوم صلى الله عليه وسلم يقول « صل

قائما ، فان لم تستطع فجالسا فان لم تستطع فمضطجعا ...» الحديث .

ونحن نقرأ قول الله تعالى «وأوحى الى هذا القرآن لأنذركم به ومن بلغ » الأنعام آية ١٩ فنرى الآية — وأمثالها كثير فى كتاب الله — حجة ودليلا على عموم رسالة الاسلام ، والقرآن كتابه ، يحشد الله فيه ما يوائم هذا العموم من شئون الأفراد والجماعات ، مؤمنها وكافرها ، وبرها وفاجرها ، ومن الأمور التى يقتضيها حال أولئك فى منشطهم ومكرههم ، وعسرهم ويسرهم ، وعلى كل حال . ويكون ذلك على مقتضى ما أسلفنا من العموم والخطاب العام الذى يتسع للناس فى مختلف عصورهم ودورهم ، وان كان السبب فى بعض ذلك خاصا ، فان العبرة — كما قالوا — بعموم اللفظ ، لا بخصوص السبب .

والظاهرة الرائعة التى توقظ الانتباه ، وتثير الأحاسيس جميعا ، هى حديث القرآن عن القرآن ، من أجل أن يحكم المسلمون وثاقهم بكتاب استبانت مقاصده ، وظهرت غاياته ، وبدت ضرورة الأخذ به ، والنسج على منواله ، فى شتى شئون الحياة والأحياء ، فما يغنى عنه غيره فى ذلك مثقال ذرة ، ولا يسد مسده سواه قيد شعرة ، وان القرآن ليغنى عن كل كتاب ، ولا تكاد هذه الكتب سماويها ووضعيها تغنى الناس ساعة من نهار عن كتاب الله .

وأنعم نظرك فى واحدة من الآيات القرآنية التى يتحدث الله فيها عن القرآن وهى قوله تعالى : « شهر رمضان الذى أنزل فيه القرآن هدى للناس وبينات من الهدى والفرقان» البقرة آية ١٨٥ فانها تواجهك بطائفة من الحقائق التى تطيب بها الأنفس التى لم تفسدها الأهواء ، ولم تؤفها آفة عقلية أو نفسية مما يصيب أعداء الحق فى أعصار وأنصار ، وفى طليعة تلكم الحقائق أن انزال القرآن كان علامة كبرى على شرف القرآن ، اذ بدأ نزوله فى شهر اختصه الله بعبادة نسبها لنفسه جلت آلاؤه ..

« شهر رمضان الذى أنزل فيه القرآن » .

وكما أن ذلك شرف للقرآن ، فهو شرف للشهر الذى أنزل فيه ، وكان انزاله مبدأ اصطفاء رسول ، وابتداء رسالة ، وقيام أمة كانت خير أمة أخرجت للناس ، « انا أنزلناه فى ليلة القدر ... » ويالها من ليلة ..

وحقيقة أخرى هى أن القرآن هدى للناس ، وبينات من الهدى ، أى الكتب المنزلة والفرقان الذى يفرق بين الحق والباطل .

والله تعالى يصف القرآن فى عدد من الآيات بما وصفه به فى قوله « هدى للناس وبينات من الهدى والفرقان » فهو هدى للناس ، هدى فى نفسه لجميع الناس ، وأنه من جنس الكتب الآلهية مصدرا ونسبة ، ولكنه الجنس العالى على جميع الأجناس ، فانه آيات بينات من ذلك الهدى السماوى ، والوحى الالهى ، واذا كانت كتب الله فى نبعها الأول ، كلها هدى ــ وهى كذلك ــ فان القرآن ببيانه ــ فى أقل القليل ــ يفضلها جميعا ، وهل كان كتاب دانيال النبى ، الذى أنزله الله يهتدى به من يقرؤه عليهم ، الا ألغازا ورموزا لا تفهم مراداتها الآلهية الا بشق الأنفس ؟ !

والتوراة التى أنزلها الله ، فيها هدى ونور ، لم تتضح الأحكام فيها على النحو الذى تتراءى به فى القرآن ، وعلى حين كان يخفى على تلاميذ عيسى عليه السلام ما يشافههم به من المواعظ والأحكام ، كان القرآن .. ومازال وسيبقى ــ سهل التناول ، يسره الله بقوله ، وجعله بين الحكمة والحكم الى المدى الذى آمن به مرات فى سورة القمر فقال « ولقد يسرنا القرآن للذكر فهل من مدكر » .

وفى كل مرة تكررت فيه هذه الآية قدمت الجديد الناهض من فضل الله وهداه قال ابن كثير : « ولقد يسرنا القرآن للذكر » أى

سهلنا لفظه ، ويسرنا معناه لمن أراده ، ليتذكر الناس ، كما قال « كتاب أنزلناه اليك مبارك ليدبروا آياته وليتذكر أولوا الألباب » .

وقال « فانما يسرناه بلسانك لتبشر به المتقين وتنذر به قوما لدا » .

قال مجاهد : « ولقد يسرنا القرآن للذكر » يعنى هونا قراءته . وقال السدى : يسرنا تلاوته على الألسن ، وقال الضحاك عن ابن عباس : لولا أن الله يسره على لسان الآدميين ما استطاع أحد من الخلق أن يتكلم . عز وجل » .

ثم قال ابن كثير .. وقوله : « فهل من مدكر أى متذكر بهذا القرآن الذى قد يسر الله حفظه ومعناه ؟! » .

وحفظ القرآن قد تأذن الله به ، فهو محفوظ بنا وبغيرنا ، لكن اتضاح معانيه وظهور مغازيه واستعلان مضامينه ومطاويه هى المناط الذى امتاز به القرآن فيما امتاز به على الكتب السماوية جميعا ، ولنقرأ قوله تعالى :

« أولم يكفهم أنا أنزلنا عليك الكتاب يتلى عليهم ان فى ذلك لرحمة وذكرى لقوم يؤمنون » .

« بل هو آيات بينات فى صدور الذين أوتوا العلم » .

وليتسع أمام عينى المنصف مدى هيمنة القرآن على كتب الله تعالى يجتزىء مع ما تقدم بقوله تعالى : « قل فأتوا بالتوراة فاتلوها ان كنتم صادقين » آل عمران آية ٩٣ وقوله : « ان هذا القرآن يقص على بنى اسرائيل أكثر الذى هم فيه يختلفون » وهل يهدى القرآن ويقص الا وهو من الوضوح وصدق الدلالة الى الحد المعين على ذلك ؟(ومخاطبة الناس بما لا يفهمون فتنة لهم ومحنة لعقولهم ، وهى عذر لهم ناهض بعد أن قال الله تعالى : « ونزلنا عليك الكتاب تبيانا لكل شىء وهدى ورحمة وبشرى للمسلمين » النحل/ آية ٨٩

فلنمض مع القرآن متحدثا عن القرآن الكريم ، فأكرم به من

متحدث ، وأكرم به من حديث ، قال تعالى :

« وما كان هذا القرآن أن يفترى من دون الله ولكن تصديق الذى بين يديه وتفصيل الكتاب لا ريب فيه من رب العالمين » .

« وتمت كلمة ربك صدقا وعدلا لا مبدل لكلماته وهو السميع العليم » .

« وأوحى الى هذا القرآن لأنذركم به ومن بلغ » .

قال القرطى : من بلغه القرآن فكأنما رأى النبى صلى الله عليه وسلم (١) وكلمه (٢) »

« ومن أظلم ممن ذكر بآيات ربه فأعرض عنها ونسى ما قدمت يداه انا جعلنا على قلوبهم أكنة أن يفقهوه وفى آذانهم وقرا وان تدعهم الى الهدى فلن يهتدوا اذا أبدا » الكهف آية ٥٧

« ولقد صرفنا فى هذا القرآن ليذكروا .. » الاسراء آية ٤١

« واذا قرأت القرآن جعلنا بينك وبين الذين لا يؤمنون بالآخرة حجابا مستورا » الاسراء آية ٤٥

« واذا قرىء القرآن فاستمعوا له وأنصتوا لعلكم ترحمون » .

« فاذا قرأت القرآن فاستعذ بالله من الشيطان الرجيم » .

« ولقد آتيناك سبعا من المثانى والقرآن العظيم » الحجر آية ٨٧

« وقرآن الفجر ان قرآن الفجر كان مشهودا » الاسراء آية ٧٨

« ولا تعجل بالقرآن من قبل أن يقضى اليك وحيه » طه آية ١١٤

« وأمرت أن أكون من المسلمين وأن أتلو القرآن » .

« وقال الرسول يارب ان قومى اتخذوا هذا القرآن مهجورا » الفرقان آية ٣٠

---

(١) الطبرى جـ ١١ ص ٢٩١ دون قوله « وكلمه » ثم قرأ « ومن بلغ أئنكم لتشهدون .. »الآية .

(٢) نسبه ابن كثير الى ابن أبى حاتم ، وقال : زاد أبو خالد ــ وهو أحد رواة الخبر ــ « وكلمه » .

« أفلا يتدبرون القرآن ولو كان من عند غير الله لوجدوا فيه اختلافا كثيرا (٣) » النساء آية ٨٣

« أفلا يتدبرون القرآن أم على قلوب اقفالها » محمد آية ٢٤

« لو أنزلنا هذا القرآن على جبل لرأيته خاشعا متصدعا من خشية الله وتلك الأمثال نضربها للناس لعلهم يتفكرون » الحشر آية ٢١

ووراء هذه الآيات آيات تحدثت عن القرآن معروفا ، وآيات ذكر فيها القرآن بدون تعريف كقوله تعالى « وكذلك أنزلناه قرآنا عربيا وصرفنا فيه من الوعيد لعلهم يتقون أو يحدث لهم ذكرا » طه آية ١١٣

وآيات ورد القرآن فيها باسم « الكتاب » فى مثل قوله تعالى : « الم . ذلك الكتاب لا ريب فيه هدى للمتقين » البقرة / ١ — ٢

« والذين آتيناهم الكتاب يتلونه حق تلاوته أولئك يؤمنون به.. » .

وشارك القرآن التوراة فى اسم « الكتاب » قال تعالى مخاطبا أحبار يهود « أتأمرون الناس بالبر وتنسون أنفسكم وأنتم تتلون الكتاب أفلا تعقلون » البقرة آية ٤٤

وقال « ولقد آتينا موسى الكتاب وقفينا من بعده بالرسل » البقرة آية ٨٧

ومن أسماء القرآن فى القرآن كذلك « الذكر » قال تعالى « انا نحن نزلنا الذكر وانا له لحافظون » الحجر آية ٩

وان شاركت التوراة فى ذلك القرآن فى رأى للمفسرين أو أم الكتاب فى رأى آخرين تكلموا فى قوله تعالى : « ولقد كتبنا فى الزبور من بعد الذكر أن الأرض يرثها عبادى الصالحون » الأنبياء آية ١٠٥

---

(٣) فى الاختلاف الذى صان الله عنه كتابه معان هى : التناقض كما روى ابن الجوزى فى تفسيره عن ابن عباس وجماعة أو الكذب كما روى عن مقاتل وغيره أو اختلاف تفاوت من جهة بليغ من الكلام ومرذول أو لا بد للكلام اذا طال من مرذول وليس فى القرآن الا بليغ ذكره الماوردى فى جماعه ا هـ زاد المسير جـ ٢ ص ١٤٤ وما بعدها .

ومجرد ايراد الله هـذه الآية وفى سورة تحمل اسم « الأنبياء » شهادة على فضل القرآن كتاب الله على ما سواه من كتب الله جل علاه .

ولا أتجاوز هذا الحد لأخلص الى عدة الله تعالى بحفظ كتابه ، وافراد القرآن بهذه الخاصية على حين وكل غيره من كتبه تعالى الى أقوام لم يرعوا لله فيها عهدا ، وكان من أمرها ما كان ، قال الشيخ الدكتور محمد عبد الله دراز رحمه الله فى كتابه « النبأ العظيم »

وبقى القرآن محفوظا فى حرز حريز انجازا لوعد الله الذى تكفل بحفظه حيث يقول : « انا نحن نزلنا الذكر وانا له لحافظون » .

« ولم يصبه ما أصاب الكتب الماضية من التحريف والتبديل وانقطاع السند حيث لم يتكفل الله بحفظها ، بل وكلها الى حفظ الناس فقال تعالى :

« والربانيون والأحبار بما استحفظوا من كتاب الله » .

أى بما طلب اليهم حفظه .

وجلا الدكتور السر فى هذه التفرقة فقال :

« ان سائر الكتب السماوية جىء بها على التوقيت لا التأبيد ، وأن هذا القرآن جىء به مصدقا لما بين يديه من الكتب ومهيمنا عليها ، وكان جامعا لما فيها من الحقائق الثابتة ، زائدا عليها ما شاء الله زيادته ، وكان سادا مسدها ، ولم يكن شىء منها ليسد مسده ، فقضى الله أن يبقى حجة الى يوم القيامة ، واذا قضى الله أمرا يسر أسبابه وهو الحكيم العليم » .

والكلمات فيما استهدفت بيانه فيض محمد من نور ايمان فقيد الاسلام الشيخ دراز رحمه الله ، وهى برهان لا يدفعه شىء من براهين فى كلامه وفى غير كلامه على فضل القرآن العظيم .

ونضر الله وجه الامام ابن قيم الجوزية فقد قال فى مقدمة كتابه « الفوائد المشوقة الى علوم القرآن وعلم البيان » (١) .

(١) ص ٧ من الكتاب الذى نشرته دار نشر الكتب الاسلامية فى باكستان الطبعة الأولى رجب ١٣٩٤ هـ .

« وانما يعرف فضل القرآن من عرف كلام العرب ، فعرف علم اللغة وعلم العربية وعلم البيان ونظر فى أشعار العرب وخطبها ومقالاتها فى مواطن افتخارها ورسائلها وأراجيزها وأسجاعها ، فعلم منها تلوين الخطاب ومعدوله ، وفنون البلاغة وضروب الفصاحة وأجناس التجنيس ، وبدائع البديع ومحاسن الحكم والأمثال ، فاذا علم ذلك ونظر فى هذا الكتاب العزيز ، ورأى ما أودعه الله سبحانه فيه من البلاغة والفصاحة وفنون البيان ، فقد أوتى فيه العجب العجاب ، والقول الفصل اللباب ، والبلاغة الناصعة التى تحير الألباب ، وتغلق دونها الأبواب ، فكان خطابه للعرب بلسانهم (١) لتقوم به الحجة عليهم ومجاراته لهم فى ميدان الفصاحة ليسبل رداء عجزهم عليهم ، ويثبت أنه ليس من خطابهم لديهم ، فعجزت عن مجاراته فصحاؤهم ، وكلت عن النطق بمثله ألسنة بلغائهم ، وبرق فى رونق الجمال والجلال فى أعدل ميزان من المناسبة والاعتدال ، ولذلك يقع فى النفوس عند تلاوته وسماعه من الروعة ما يملأ القلوب هيبة ، والنفوس خشية ، وتستلذه الأسماع ، وتميل اليه بالحنين الطباع ، سواء كانت فاهمة لمعانيه أو غير فاهمة ، عالمة بما يحتويه أو غير عالمة ، كافرة بما جاء به أو مؤمنة » .

« ان الذين لا تأخذهم حقائق القرآن وحججه اليوم وغداً حتى تقوم الساعة قوم مرضى القلوب ، لقد كان تميم الدارمى رضى الله عنه يصلى ليلة عند المقام فى بيت الله الحرام ، وكان من سروات الناس وأماجدهم ، فبلغ فى قراءته قول الله تعالى : « أم حسب الذين اجترحوا السيئات أن نجعلهم كالذين آمنوا وعملوا الصالحات سواء محياهم ومماتهم ساء ما يحكمون»

(١) اشارة الى قوله تعالى : « وما أرسلنا من الرسول الا بلسان قومه ليبين لهم » الأشياء / «فانما يسرناه بلسانك لتبشر به المتقين وتنذر به قوما لدا » مريم .

فجعل يبكى ويردد الى الصباح «ساء ما يحكمون،ساء مايحكمون»

ولقد بلغها الفضيل بن عياض ففعلت به فعلها بتميم رضى الله عنهما ، وجعل يرددها ويبكى ويقول : « يا فضيل ، ليت شعرى من أى الفريقين أنت ؟ ! وقد ذكر الامام ابن قيم الجوزية فى آخر كتابه « الفوائد المشوقة الى علوم القرآن وعلم البيان ضروبا من اعجاز القرآن نورد منها هذا الوجه قال:

« ومنهم من قال اعجازه حصل بما فيه من نشاط القلوب الواعية وغير الواعية اليه ، واقبالها بوجه المودة عليه ، واستحلاء طعم عذوبة ألفاظه ومعانيه وهشاشتها بما يتردد عليها من مبشراته المبهجة ، ومحذراته المزعجة ، وآياته المغلقة ، وأخباره الموفقة مع كثرة قرعه للأسماع ، وصدعه بما يخالف الطباع ، ومع ذلك فالقلوب مقبلة على أذكاره ، راغبة فى تكراره ، شجية عند سماع مزماره ، يجد ذلك منهم البر والفاجر والمؤمن والكافر قال الله تعالى :

« الله نزل أحسن الحديث كتابا متشابها مثانى تقشعر منه جلود الذين يخشون ربهم ثم تلين جلودهم وقلوبهم الى ذكر الله ذلك هدى الله يهدى به من يشاء ومن يضلل الله فماله من هاد » الزمر آية ٢٣

وأورد ابن القيم رحمه الله خبر نصرانى مر بقارىء فوقف يبكى ، فقيل له : مم بكاؤك ؟ قال : الشجا والنظم .

ويوم كنا طلبة فى أوائل العقد الرابع الميلادى بمعهد طنطا الثانوى كنا نسكن قبالة رجل نصرانى،وكان يجمع افراد أسرته ليستمعوا الينا كلما قرأ واحد منا شيئا من القرآن الكريم ! فما عدا مما بدا ؟!

يقول الامام بن القيم فى كتابه الآنف الذكر ص ٢٥١ ..

وكم جهد أهل العناد فى ذلك ـ فى تحريف القرآن ـ فما قدروا له وما استطاعوا

وكم قصدوا تحريفه فأبى الله ذلك فأذعنوا له وأطاعوا .. قال :

« روى أن يهوديا تكلم فى مجلس المتوكل فأحسن الكلام وناظر فعلم

أنه من جملة الأعلام ، وما ضل فتحققوا أنه مسدد السهام ، فدعاه المتوكل الى الاسلام فأبى وأقام لفرط الاباء على مذهب الآباء ، بعد أن بذل له المتوكل ضروبا من الانعام ، وصنوفا من الرفعة والاكرام ، وراجعه فى ذلك مرة بعد أخرى فلم يزده ذلك الا طغيانا وكفرا ، فغاب عنه مدة ، ثم دخل الى مجلسه وهو يعلن الاسلام ، ويدين دينه ، فقال له المتوكل أسلمت ؟ قال : نعم .

قال : ما سبب اسلامك ؟ قال :

قطعت من عنقى قلادة التقليد ، وصرت من رتبة الاجتهاد الى مرتقى ما عليه من مزيد ، نظرت فى الأديان وطلبت الحق حيث كان ، فأخذت التوراة فنظرت فيها، وتدبرت معانيها وكتبتها بخطى وزدت فيها ونقصت ودخلت بها السوق وبعتها فلم ينكر أحد من اليهود شيئا !!

وأخذت الانجيل وزدت فيه ونقصت ودخلت به السوق وبعته فلم ينكر أحد من النصارى منه شيئا !!

وأخذت القرآن وقرأته وتأملته فاذا «انا نحن نزلنا الذكر وانا له لحافظون » فكتبت وزدت فيه ونقصت ، ودخلت به السوق وبعته، فنظر فيه المسلمون، فعرفوا المواضع التى زدت فيها ونقصت ، وردوا كل كلمة الى موضعها ، وكل حرف الى مكانه، فعلمت أنه الحق لتحقيق وصفه بأنه كلام الله الذى لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه تنزيل من حكيم حميد ، فآمنت وصدقت ما جاء به » .

وكم فى الأقوام من أمثال هؤلاء الذين نظروا فى القرآن بتجرد من أهوائهم فقادهم الى الحق الذى تبهر حجته ، ولا يزداد على كثرة التعامى عنه والكيد له ، الا ظهورا وجلالا .

يقول الدكتور محمد عبد الله دراز رحمه الله: سل التاريخ كم مرة تنكر الدهر لدول الاسلام ، وتسلط الكفار على المسلمين فأثخنوا فيهم القتل وأكرهوا أمما منهم على الكفر وأحرقوا الكتب ، وهدموا المساجد وصنعوا ما كان يكفى القليل منه

لضياع هذا القرآن ، كلا أو بعضا كما فعل بالكتب قبله لولا أن يد العناية تحرسه ، فبقى فى وسط هذه المعامع رافعا راياته وأعلامه ، حافظا آياته وأحكامه ، بل إسأل صحف الأخبار اليومية ، كم من القناطير المقنطرة من الذهب والفضة تنفق فى كل عام لمحو هذا القرآن ،وصد الناس عن الاسلام بالتضليل والبهتان والخداع والاغراء ثم لا يظفر أهلها من وراء ذلك الا بما قال الله تعالى :

«ان الذين كفروا ينفقون أموالهم ليصدوا عن سبيل الله فسينفقونها ثم تكون عليهم حسرة ثم يغلبون » الأنفال » آية ٣٦

ذلك بأن الذى يمسكه أن يزول هو الذى يمسك السموات والأرض أن تزولا ..»

.. وبعد فكم يظلم القرآن — وصحة نسبته الى الله لا يمارى فيما عاقل — من يقارن بينه وبين كتب لم يبق منها الا اسمها ، وأسماؤها هى ما تخلف منها بعد بختنصر بالنسبة للتوراة ، وحسب غيرها ما يعكسه تعددها — والحق لا يتعدد — وليراجع كل ذلك من شاء فى كتاب « الدين والعلم » للمشير التركى أحمد عزت باشا — وقد قال فى آخر كلامه عن التوراة والانجيل :

أما القرآن فمضبوط على النحو الذى أنزل على نبينا عليه الصلاة والسلام ، وأملاه وليس فى صحته أدنى شك ، ولا يمكن أن يقابله أحد الخصوم بالاعتراض ، واذا فالدين الاسلامى هو الدين الذى له سند صحيح »

وأورد ههنا قطوفا من أقوال علماء الغرب التى يرى المشير عزت رحمه الله أن تأييد الدفاع عن القرآن بها مجد ونافع وأشد تأثيرا فى اقناع المعارضين وافحامهم » .

قال المستشرق كاريل وهو من أساتذة كامبردج : «أن علوية القرآن فى حقيقته العالية ، فهو حافل بالعدل والاخلاص ، والدعوة التى بلغها محمد الى العالم حق وحقيقة » .

وليقول ديور أوكهارت مؤلف كتاب روح الشرق : « الاسلام وكتابه القرآن ــ يقدم براءة النجاة للتابعين ، وسجل أخلاق للمتبوعين»

ويقول العالم الانجليزى أمانويل كنج من محاضرة عن الاسلام القاها عام ١٩١٥ وفى كنيسة البر ستيان « اذا كان فى عالم الالهام أمر يدعى وحيا ، وكان للوحى وجود كامل ، فلن يشك فى أن القرآن كتاب منزل

وفى عدد ١٣ أبريل ١٩٢٢ من جريدة مير ايست :

« القرآن كتاب معجز وخليق بالاعجاب من حيث التنزيل والترتيب ان لسان القرآن مخالفا للساننا ، وآراءه تخالف أراءنا ، ولكن انكار قدره وقيمته وفضله وجماله من جهات كثيرة يكون حرمانا من العقل والمنطق »

ويقول مسديو فى كتابه « تاريخ بلاد العرب » : « القرآن جامع لكل أسس الأخلاق والفضيلة ، فالفضيلة والرذيلة ، والخير والشر وماهية الأشياء الحقيقية كلها مبينة فى القرآن فقد أوجبت آياته ان محمدا صلى الله عليه وسلم يحسب احتياجات الزمان وحوادث العهد »

وفى كتاب « حياة محمد » للفيلسوف الفرنسى الكس الوازون قال : خلف محمد للعالم كتابا هو آية البلاغة وسجل الأخلاق ، وكتاب مقدس ، وليس بين المسائل العلمية التى كشفت أخيرا أو المخترعات الحديثة مسألة تتعارض مع الأسس الاسلامية فالانسجام تام بين تعاليم القرآن والقوانين الطبيعية ..»

وانتهى من ابراز هذه النصوص بكلمة تميط اللسان عن الأحقاد الموروثة على القرآن والاسلام،والتى يسلط الحق عليها أنواره التى يقدح زنادها المنصفون من كل ملة ودين فلعلها تلقى التراب فى وجوه أقوام تعرفهم بسيماهم : قال المستشرق والفيلسوف الألمانى توجان يعقوب رايس المتوفى عام ١٧٧٤ «ما ان يتعلم

بعض الناس قليلا من اللغة العربية حتى يقوموا بمحاولة الاستهزاء بالقرآن ولو استمعوا الى قدرة القرآن المثيرة الفصيحة المؤثرة ، وأحسوا باللسان المحير للألباب ، الذى استخدمه الرسول حين أفهم أصحابه القرآن ، لوقعوا فى الحضرة الالهية ساجدين ... »

هذه بعض ملامح الكتاب المهيمن نلتقى على استكمالها ان شاء الله ، والله المستعان على كل خير

معوض عوض ابراهيم

الانسان فى القرآن والسنة :

الانسان مخلوق مكلف ..

والانسان مخلوق على صورة الخالق .. فالاسلام لا يعرف الخطيئة الموروثة ، ولا يعرف السقوط من طبيعة الى ما دونها ، فلا يحاسب أحدا بذنب أبيه ولا تزر وازرة وزر أخرى ، وليس مما يدين به المسلم أن يرتد النوع الانسانى الى ما دون طبيعته ، ولكن مما يؤمن به أن ارتفاع الانسان وهبوطه منوطان بالتكليف ، وقوامه الحرية والتبعة .

فهو بأمانة التكليف قابل للصعود الى قمة الخليفة ، وهو بالتكليف قابل للهبوط الى أسفل سافلين ، وهذه هى الأمانة التى رفعته مقاما فوق مقام الملائكة ، وهبطت به مقاما الى زمرة الشياطين :

« انا عرضنا الأمانة على السماوات والأرض والجبال فأبين أن يحملنها واشفقن منها وحملها الانسان » .

سورة الأحزاب

عباس العقاد : حقائق الاسلام وأباطيل خصومه

مع العقاد فى اللغة الشاعرة

الزمن فى اللغة العربية

للأستاذ السيد حسن قرون

— ٢ —

الزمن فى اللغة العربية

حين نقرأ ما كتبه العقاد عن الزمن فى اللغة الشاعرة يهولنا ما يعانيه كاتبنا من اللغويين الغربيين والمستشرقين عامة فى الدفاع عن لغته ، وأغلب ظنى أن مفكرى الغرب والمعنيين منهم بالمشرقيات دينا ولغة وحضارة ينظرون الى لغاتنا نظرتهم الى تخلفنا عنهم فى عصر الذرة أو عصر غزوهم لنا على وجه العموم ، ولغرورهم بقدرتهم الطاغية واستعمارهم للأمم ذوات الحضارات السابقةاعتقدوا —والوهم حليفهم— أنهم سادة فى اللغات كما هم سادة فى الحروب وعقد المعاهدات،وهكذا تكون نظرة الغالب نحو المغلوب ، والمغلوب قد تقيده حال غالبه فيظن القصور فى نفسه وعقله وعلمه وأدبه ولغته ويرى حسنا ما ليس بالحسن، وقد تنحل شخصيته فيخال ديانته سبب فى تخلفه ، ومن ثم ظهر بيننا أناس يدعون الى الأخذ عن الغرب كل شىء خيرا أو شرا ، ولا مانع من تحطيم التراث وتحطيم اللغة ، ويتغنى بحضارة سيده الغاصب . لكن العقاد لم يطغ عليه صخب ذلك الغالب ، ولم ير فى قوته الا أنها سحابة لابدأن تزول سواء كانت سحابة صيف أو سحابة شتاء ، وهو عرض لا جوهر لذلك حاجهم فحجهم ، وناظرهم فنظرهم ، والأمر هنا أمر حقائق لا يطمسها طاغ ولا خانع فماذا نقل عنهم ؟ وماذا كان رده عليهم ؟ يقول:

شاع بين اللغويين المختصين بدراسة تواريخ الالسنة فى الغرب أن اللغات السامية ناقصة فى دلالة الأفعال على الأزمنة ومنها اللغة

العربية على تفاوت بينها وبين الفروع الأخرى من الأرومة المشهورة باسم اللسان السامى أو لسان الساميين.
ويرد العقاد داحضا تلك الفرية .

« ربما ساغ هذا القول عن اللغة العربية فى عقول المتعجلين من مصدقيه لأنهم توهموا أن هذه اللغة نشأت على صحراء خاوية لا قيمة للوقت عند أهلها ، فلا جرم تخلو من التوقيت الدقيق فى تمييز الأفعال والأحداث لكنه وهم لا يثبت على نظرة محققة فى التاريخ ولا فى اللغة ولا نحسب أن لغة نفهمها أو نفهم عنها قد اشتملت على وسائل التمييز بين الأوقات كما اشتملت عليها اللغة العربية ، سواء نظرنا الى ضرورات سكانها أو نظرنا الى تصريف أفعالها وكلماتها ، فكل لحظة من لحظات النهار والليل قد كان لها شأنها فى حياة سكان البادية بين السفر والاقامة والحل والترحال ، فمنها ما هو صالح لبدء السير ، وما هو صالح للراحة القصيرة ، وما هو صالح للراحة الطويلة ، وما ليس يصلح لغير السكينة والاستقرار ؛ ولهذا وجدت كلمات البكرة والضحا، أو الغدوة والظهيرة ، والقائلة والعصر والأصيل والمغرب ، والعشاء والهزيع الأول من الليل ، والهزيع الأوسط ، والموهن والسحر ، والفجر والشروق وهذا التقسيم على هذا النحو يكاد ينحصر بالساعات على صعوبة التفرقة بين هذه الأوقات فى كثير من اللغات الأخرى بغير الجمل والتراكيب .

وكل موسم من مواسم السنة له شأنه فى المرعى والانتجاع وطلب الماء أو التجارة أو الأمان ولهذا وجدت أسماء المواسم والفصول جميعا ووجدت معها أسماء مختلفة للدلالة على الدورة حول الشمس فى مصطلح الفلكيين ؛ فهى السنة ، وهى العام وهى الحول ، ولكل منها موضعه فى التعبير . ووجدت فى اللغة كلمة اليوم والنهار والليل ، ولم تنقسم الى يوم وليل دون تفرقة بين معنى اليوم ومعنى النهار ، بل لهذا وجدت للأوقات كلمات مختلفة على حسب الطول والقصر فى المدة ؛ فالمدة شاملة لجميع المقادير من امتداد الزمن وتنطوى فيها اللحظة أو اللمحة للوقت القصير ، والبرهة والردح

للوقت القصير ، والفترة للمدة المعترضة بين وقتين ، بل وجد فيها الحين للزمن المقصود المعين ، والعهد للزمن المعهود المقترن بمناسباته والزمن للدلالة على جنس الوقت كيفما كان ، والدهر للمدة المحيطة بجميع الأزمنة والعهود والأحيان .

ثم يأخذ فى الحديث عن الأفعال وتقسيماتها ، وتلمح ذهن العقاد فى تنويهه بالفعل الماضى : « فان الزمن الماضى مهم عند أبناء البادية العربية فى كل عهد من عهوده ؛ لأنه مستودع المفاخر والأنساب والثارات والسوابق والذكريات ، وليس من المصادفة أن يسمى التاريخ هنا باسم الأيام ، وأن يعرف لكل يوم أثره فيما كان وما يكون ملحظ طريف من عقل حصيف يرتب عليه حكما وميزة اللغة العربية .

« فمن علامات التطور فى اللغة العربية أن الماضى فيها هو الأصل ويأتى الفعل المضارع بالتصريف ، وفى لغات أخرى من أرقى اللغات يشيع استعمال المضارع أولا ويأخذون منه الماضى باضافة حروف أو مقطع أو تغيير الصيغة . » ويسير فى منطقه الحاسم متحدثا عن المضارع الدال على الحال والاستقبال ثم الأمر « وصيغة الأمر تدل على فعل مطلوب فى المستقبل يقترن بالزمن عند حصوله أمرته ففعل ، وهذه المجاوبة بين طلب الفعل وحدوثه مألوفة فى اللغة العربية تتمثل فى أفعال المطاوعة التى لا نظير لها فى كثير من اللغات ، فاذا وقع الحدث فى الزمن فله صيغ متعددة تؤكد هذا التحقيق كما يقال أمرته فأتمر ، ورسمته فارتسم ، وقطعته فانقطع ، وكسرته فانكسر .

ويجعل من تطور اللغة الشاعرة أفعال الدعاء والرجاء ، فانها فى هذه اللغة غاية فى الدقة تحسب من قبيل التمييز المنطقى أو الفلسفى فى هذا الباب ، « فالمعنى غالب على اللفظ فى أفعال الدعاء والرجاء يقول القائل (صحبتك السلامة) و (حفظك الله) و (رعاك الله) ومن آية القصد فى اللغة ألا يحتاج الفعل هنا الى النقل من صيغة الماضى الى الحاضر لأن المعنى بالبداهة معلق بالاستقبال وفى بقائه على صيغة الماضى ما يشعر بقوة الأمل فى الاستجابة كأن ما

يرجي أن يكون قد كان ، وأصبح من المحقق المستجاب ، ولا شك أن هذا المعنى مقصود لأنه لم يأت عن عجز فى اللغة ، ولا يمتنع أن ينقله الى صيغة المضارع اذا شاء ... »

ويتحدث عن الشرط والنفى مسهبا ومقارنا وممثلا بأمثلة من اللغة العربية وأمثلة من اللغة الانجليزية ،ومرجحا لغـة العرب فى كل حين ، مع ذكر المقدمات والبراهين ، مستريحا الى ما وصل اليه قائلا : « ونحق لنا أن تقول : ان اللغة العربية لغة الزمن ؛ لأنها تحسن التعبير عنه ، ولغة الزمن لأنها قادرة على مسـايرة الزمن فى عصرنا هذا ، وفيما يلى من العصور.

الانتحال فى الشعر العربى

حين تعرض العقاد لقضية انتحال الشعر لم يذكـر كتاب «فى الشـعر الجاهلى » للدكتور طه حسين ولا المناقشات التىدارت حوله ولاالكتب التى ألفت حين صـدر هذا الكتاب، وانما جعل همه أصل الداء ، وأصل الداء المستشرقون فمنهم جـاءت العدوى لذلك كان عنوان بحثـه فى هذا المجال نقـد الشـعر العربى أخطاء المستشرقين فى نقد الشـعر القديم » ومن هذا العنوان نعرف أنه بصـدد معركـة حامية الوطيس مع هؤلاء المستشرقينالذين تصـدوا لنقد الشعرالعربى القديم وليسوامن دراسته التاريخية وذوقه البـلاغى وعجمه اللغوى على شيء ، وأنا أرى أن بحثه هـذا تأخـر عن موعـده ولا اخالـه لم يفطن لهذا التأخير ، لقد كان موقفـه حينـذاك موقف المعضد لحرية الفكر سواء كانت له أو عليه ،لكن القضية فى ذاتها بقيت فى ذهنه ليبرزها لنا فى هذا الكتاب « اللغة الشـاعرة » وليحسم الأمر وليضع الحقيقة فى مكانها ، ويكشف الداء ويشخصه ثم يضع الدواء وهو شاف لكل الآراء ، المستشرقون هم أصحاب القضية وهو مكلف من نفسه ومن توقيته ومن ثقافته للرد عليهم وبيان أخطائهم ، وفى عبارة ساخرة بـدأ قائلا : انتهى فى عصرنا دور الاستشراق فى خدمة اللغة العربيـة وبقى للمسـتشرقين دورهم الـذى ينتفع به أبناء الغرب الذين يعتمدون على اخوانهم فى لغـاتهم للعلم بما يحتاجون الى علمه عن اللغة العربية وما رأيه فى أقوالهم التى أخذ بها مفكرون منا ؟ يجيب : اذا صرفنا النظر عن عمـل الكثيرين منهم فى

دراسة اللغة لأغراض دينية أو سياسية فهم قبل كل شىء مؤرخون أو أصحاب احصاء وتسجيل ، لم يعهد فيهم أنهم حجة فى آداب بلادهم فهم أحرى ألا يكونوا عندنا حجة فى آدابنا العربية وبخاصة فى مسائل الذوق الفنى واختيار الشـعر والحـكم على الشعراء ،

وأول افتراءاتهم التى موهوها على السذج من أبناء العروبة قولهم ان لغـة قريش لم تكن السـائدة فى الجزيرة العربية قبل ظهور الاسلام فينظم بها الشعراء فى العصر الجاهلى المعلقات أو الشعر على وجه العموم، وأن لحمير من قحطان لغة غير لغـة الحجاز ، ومن هنا قالوا بانتحـال شعر المعلقـات والشـعر الجاهلى .

يقول العقاد: وليس الشائع بينهم أن يتوسعوا فى دراسة التاريخ العـام للبلاد الشرقية الى جانب دراسة اللغة، فيكثر من أجل ذلك أن يخطئوا فهم أطوار اللغة جهلا منهم بأطوار التاريخ، وبما يستلزمه من موضوعات الشعر والخطابة وغـيرها من التعبـيرات القومية ، ومثال ذلك أنهم — لغفلتهم عن الفارق بين أديان العرب الجاهليين وأديان الهند واليونان والفرس — حسبوا أن العرب قد كان لهم شعر دينى لابـد أن يكـون على مثال قصـائد الهند والفرس والأسـاطير اليونانية الشعرية ، ورتبوا على ذلك انكار الشعر العربى المنسـوب الى الجاهليين ؛ لأنه خلو من التعبير عن العادات والشعائر وما اليها . فماذا كان رده على هذا الافتراء ؟ القارىء لما كتبه العقاد يتبين له أنه اتخذ المحاور الآتية للرد والافحـام ١ — التاريخ الذى يجهله المستشرقون ٢ — أوزان العـروض الكاملـة التكـوين . ٣ — الهجرات العربية ٤ — الفروض الأدبية والرواية الأدبية ٦ — القرائن الأدبية .

وبادىء ذى بدء يصدم المستشرقين بتاريخ اليهود بيثرب ؛ لأن وجود اليهود فيها أصدق جواب على هذه الأوهام والافتراءات : لأنهم غرباء عن الجزيرة العربية دخلوها فى القرن الأول أو القرن الثانى للميلاد ، ولا يجوز الشك فى ذلك ، ولا القول بأنهم عرب تهـودوا — كما زعم بعض المؤرخين بلا علم ولا سند ، فان تصـديق هذا الزعم يلزمنا أن نفرض أن العرب الأميين تطـوعوا

للتحول الى اليهودية ، ثم تعلموا العبرية،وتفقهوا فىالتوراة لينقطعوا عن أسلافهم الأقوياء فى بلادهم ، وينضووا الى قوم مغلوبين فى بلادهم لا يسلمون لأحد من الأمم أنه أهل للدخول معهم فى عداد شعب الله المختار ، وهو من أعجب الفروض كما رأيت ، وليس فىهجرة اليهود من فلسطين الى الحجاز غرابة أو مناقضة للتاريخ بعد تشتتهم فى القرن الأول والثانى من الميلاد ومساكنهم وصناعاتهم تعطيكصحة هجرتهم فهم على الطريق بين تيماء ويثرب للتجارة والزراعة والاشتغال بمالم يشتغل به العربى ، وعاشوا فى يثرب وخيبر وفدك وتيماءووادى القرى ولم يجرءوا أن يزاحموا العدنانيين فى طرقهم التى يسلكونها للتجارة شمالا الى الشام وجنوبا الى اليمن ، ويناقش الرأيين : أهم يهود أم عرب تهودوا فيقول : هل هؤلاء عرب يكتبون ؟لوكانوا كذلك كانوا خلفاء أن يحفظوا فى صحفهم كلاما عربيا قبل الاسلام بثلاثة قرون يخالف العربية الموحدة فى عصر الاسلام — ان صح أن العربيةلم تكن موحدة أيام شعراء المعلقات —وبعض هؤلاء الشعراء لم يسبقوا الاسلام بأكثر من مائة عام . وكانوا خلقاء أن يحفظوا بالكتابة العبرية لهجة غير اللهجة الموحدة التى يشك المستشرقون فى سبقها للاسلام الى عصر أولئك الشعراء . أو كانوا خلقاء أن يعلمونا من كتابتهم شيئا يؤيد ذلك الشك نوعا من التأييد .

أما اذا كانوا يهودا على القول الراجح — بل القاطع — يهودا دخلوا الجزيرة العربية بلسان غير لسانها ، وتكلموا الآرامية ، أو الأدومية أو العبرة ثم تعلموا اللغة العربية الحجازية ، فهذا التوحيد الذى تم بين اللغة الحجازية وبين الآرامية أو الأدومية أو العبرية ليس بالمستغرب أن يتم بين لهجة العرب فىالجنوب — اليمن — ولهجة العرب فى الحجاز وسائر أطراف الجزيرة ، واتصلوا بالحجاز زمنا أطول جدا عن مقام اليهود المهاجرين منذ القرن الأول أو الثانى للميلاد ، ولم يصل الينا شىء من لغة اليهود الذين أقاموا بجنوب الجزيرة . أو اليهود الذين تحالف معهم ذو نواس فى نجران ،ولكن اليهود الذين وفدوا الى الحجاز بعد البعثة النبوية كان

منهم كتاب ومؤرخون مطلعون على تواريخ حمير وتواريخ أسلافهم العبرانيين ، وكان منهم كعب بن ماتع المسمى بكعب الأحبار ، وكان منهم منبه الصنعانى الذى قال ابن خلكان : انه رأى كتابا له عن ملوك حمير وأخبارهم فى مجلد واحد . ووصف هذا الكتاب بأنه مفيد ، وقد كان (كعب) و (منبه المغربيين) فى طلب النوادر فلم يذكرا زمنا شهداه أو شهده آباؤهما كانت فيه لغة قريش مجهولة فى اليمن وما جاورها .

ويستمر العقاد فى التفنيد وسوق الأدلة ليؤكد أن لغة قريش كانت السائدة فى الجزيرة العربية الى ما قبل عصر المعلقات بكثير من الأزمنة ومن أدلته وفود قبائل اليمن الى الحجاز وذهاب الولاة من الحجاز الى اليمن باذن النبى عليه السلام ، ومنهم معاذ بن جبل ، وعلى بن أبى طالب فلم نسمع أن الوافدين الى الحجاز أو الذاهبين الى اليمن نطقوا بكلام غير لغة قريش . وأقدم من البعثة المحمدية رحلة الصيف ورحلة الشتاء ، ألم يكن تفاهم بين القرشيين واليمنيين بلغة غير اللغة القرشية للأجيال التى سبقت البعثة ، ومن البعيد أن ينسى العربى حديث جيل أو جيلين قبله وقد كانت أخبارهم ورواياتهم كلها قائمة على الحفظ والاسناد من جيل الى جيل . « فاذا كانت لغة الحجاز شائعة عامة على مدى الذاكرة فى عصر البعثة المحمدية فلا أقل من ثلاثة أجيال تقدر لهذا الشيوع وهذا التعميم وترجع بنا هذه الأجيال الى أقدم الأوقات التى أسند اليها نظم المعلقات فلا نستغرب نظمها باللغة التى يفهمها العرب من الجنوب الى الشمال »

واذا بلغنا أوزان الشعر حكم العقاد وهو صادق أن أوزان العروض لاتخلق بين يوم وليلة ، وأن وزن قصيدة كعب بن زهير التى مدح بها الرسول ووزن قصيدة أبيه قد وجدا قبل عصر الشاعرين ، ونظمت فيها قصائد جيل أو جيلين على الأقل قبل ذلك التاريخ ، ولو أن هذه الأوزان وسعت شعرا غير شعر اللغة الحجازية لما غاب خبره ان غاب لفظه ومعناه ، ومن الجرأة المقوته أن نجزم بامتناع

الهجرة من الجنوب الى الشمال ، وأن نحتم على قبائل اليمن المقام فى بلادهم فلا يبرحوها الى بلاد أخرى والجزيرة العربية تموج بالهجرات من قديم الزمان من جهة الى أخرى ومن الجنوب الى الشمال ومن الشمال الى الجنوب ، ومعروف تاريخيا أن الأوس والخزرج فى يثرب وخزاعة فى مكة والغساسنة فى الشام نزحوا من الجنوب الى الشمال فكيف تكذب واقعا أو تفرض فروضا تجافى الواقع والتاريخ ؟ « وان من ينكر انتقال قوم من اليمن الى ما وراءها ينكر أمرا غير قابل للانكار فى الجزيرة العربية التى لم يثبت فيها تاريخ أثبت من تاريخ الرحلات ، فمادمنا نقدر بحكم البداهة أن اليمانيين وجدوا فى الجزيرة العربية وراء حدودهم وتكلموا كما يتكلم المقيسون فى جوارهم فقد زالت المشكلة ولم تكن هنالك مشكلة تزال » فالذين ينكرون نظم الشعر الجاهلى بلغة قريش متعسفون سواء أكانوا من المستشرقين أم من المستغربين ؟

فيقول : ان اعتساف التاريخ هنا لأهون فى رأينا من اعتساف الفروض الأدبية التى لا تقبل التصديق ، فما من قارىء للأدب يسيغ القول بوجود طائفة من (الرواة) يلفقون أشعار الجاهلية كما وصلت الينا ، ويفلحون فى ذلك التلفيق ، اذ معنى ذلك (أولا) أن هؤلاء الرواة بلغوا من الشاعرية ذروتها التى بلغها امرؤ القيس والنابغة وطرفة وعنترة وزهير وغيرهم من فحول الشعر فى الجاهلية ، ومعنى ذلك (ثانيا) أنهم مقتدرون على الأساليب على حسب الأمزجة والأعمار والملكات الأدبية ، فينظمون بمزاج الشاب طرفة ، ومزاج الشيخ زهير ، ومزاج العربيد الغزل امرىء القيس ، ومزاج الفارس المقدام عنترة بن شداد ، ويتحرون لكل واحد « مناسباته » النفسية والتاريخية ويجمعون له القصائد على نمط واحد فى الديوان الذى ينسب اليه ، ومعنى ذلك (ثالثا) أن هذه القدرة توجد عند الرواة ولا توجد عند أحد

وينتقل العقاد من تاريخ اليهود وتاريخ اليمن وصلتهم بلغة قريش الى الحديث عن رواة الشعر والانتحال

من الشعراء ، ثم يفرط الرواة فى سمعتها وهم على هذا العلم بقيمة الشعر الأصيل ، وما من ناقد

يسيغ هذا الفرض ببرهان فضلا عن اساغته بغير برهان ، وهذا المنطق يكلف العقل شططا ، لأنه يشككنا فى أمر لا يأتى اليه الشك من أى سبيل ، ولو كان المستشرقون تخلوا عن صناعة التسجيل وتعمقوا فى فهم الرويات لما حبسوا عقولهم فى تلك الترهات كما حبسوا — واهمين — سكان اليمن فى بلادهم ومنعوهم من الهجرة أو الرحيل . والأنكى من ذلك حرمانهم تذوق اللغة « ومنهم من لا يعرف أدب بلاده ولا يحسن الحكم عليه وهو أدب اللغة التى تلقفها فى حجر أمة ، فليست معرفته اللغة العربية كافلة له أن يحكم على آدابها واساليبها ومضامين الكلام فيها على تعدد الأمزجة والأذواق ، ومنهم علامة تصدى لوضع المعجمات الكبرى فى اللغة العربية فكتب فى مادة « أخذ » أنها تأتى بمعنى « النوم » لقوله تعالى « لا تأخذه سنة ولا نوم » ومنهم من يترجم أبا بكر بأبى العذراء لأنه والد الزوجة التى بنى عليها النبى عليه السلام وهى (عذراء) ومنهم من يترجم الصعيد بمعنى الميمونة أو مصر السعيدة قياسا على اليمن السعيدة ... » وأشنع ما وقع فيه المستشرقون أن يوازنوا بين آيات القرآن الكريم والشعر دون فهم للتاريخ ودون معرفة بالدخيل أو الأصيل . يقول العقاد : وقد تصدت منهم لهذا البحث الذى نحن فيه عن اللغة قبل نزول القرآن — طائفة تقتحم هذه المباحث وهى أجهل بآلاتها من عامة الأميين ، فالدكتور (سنكلر ثسديل) Thusdale صاحب كتاب (مصادر الاسلام) يروى شبهات الناقدين للقرآن الكريم ومنها هذه الأبيات :

دنت الساعة وانشق القمر
عن غزال صاد قلبى ونفر
أحور قد حرت فى أوصافه
ناعس الطرف بعينيه حور
مر يوم العيد فى زينته
فرمانى فتعاطى فعقر
بسهام من لحاظ فاتك
تركتنى كهشيم المحتظر

وتتخذ منها قرينة على اقتباس القرآن بعض الآيات من أشعار الجاهليين . ويضيف الدكتور

العلامة الى هذه الأبيات أبياتا أخرى كقول القائل :

أقبل والعشاق من خلفه
كأنهم من حدب ينسلون

وجاء يوم العيد فى زينته
لمثل ذا فليعمل العاملون

قال الدكتور : « ومن الحكايات المتداولة فى عصرنا الحاضر أنه لما كانت فاطمة بنت محمد تتلو هذه الآية وهى» «اقتربت الساعة وانشق القمر » سمعتها بنت امرىء القيس ، وقالت لها : ان هذه القطعة من قصائد أبى أخذها والدك وادعى أن الله أنزلها عليه ، ومع أنه يمكن ان تكون هذه الرواية كاذبة لأن امرأ القيس توفى سنة ٥٤٠م ولم يولد محمد الا فى سنة الفيل أى سنة ٥٧٠ م فلا ينكر أن هذه الأبيات المذكورة واردة فى سورة القمر وفى سورة الضحى وفى سورة الأنبياء وفى سورة الصافات ، وغاية الأمر أنه يوجد اختلاف طفيف فى اللفظ وليس فى المعنى . فورد فى القرآن « اقتربت » وفى القصيدة « دنت » ... ومن البين الواضح أنه يوجد مناسبة ومشابهة بين هذه الأبيات وبين تلك الآيات الواردة فى القرآن. فاذا ثبت أن هذه الأبيات هى لامرىء القيس حقيقة فحينئذ يصعب على المسلم توضيح كيفية ورودها فى القرآن : لأنه يتعذر على الانسان أن يعتقد أن أبيات شاعر وثنى كانت مسطورة فى اللوح المحفوظ قبل انشاء العالم ثم قال الدكتور يطالب العلماء المسلمين مع المعترضين والمشتبهين بأن يقيموا الدليل على أن هذه الآيات مأخوذة ومقتبسة من القرآن الكريم وأنها ليست من نظم امرىء القيس الذى توفى قبل مولد محمد بثلاثين سنة « ولكن يصعب علينا أن نصدق بأن ناظم هذه القصائد بلغ الى هذا الحد من التهتك والاستخفاف والجرأة فى أى زمن من الأزمان بعد تأسيس مملكة الاسلام التى كانت متسعة الأطراف والأكناف حتى يقتبس آيات من القرآن ويستعملها فى مثل هذا الموضوع » ثم يختم الدكتور كلامه فى هذه الشبهات مصطنعا الحذر والحيطة لئلا يثبت نظم هذه الأبيات بعد

الاسلام فتسقط الشبهة كلها فيقول : « ان هذه الأبيات ليست كل ما يعترض به المعترضون » لأن ما تقدم من الأسانيد كاف عندهم لتأييد هذه القضية » .

ويعلق العقاد على ما نقله عن هذا الدكتور العلامة قائلا: «وأيسر ما يبدو من جهل هؤلاء الخابطين فى أمر اللغة العربية قبل الاسلام وعلاقتها بلغة القرآن الكريم أنهم يحسبون أن علماء المسلمين يلقون فى بحث تلك الأبيات وصبا واصبا لينكروا نسبتها الى الجاهلية ، ولا يلهمهم الذوق الأدبى أن نظرة واحدة كافية لليقين بادحاض نسبتها الى امرىء القيس أو غيره من شعراء الجاهلية » .

والشىء الذى لم يقله العقاد أو ترنم عن قوله أن اقتباس آيات القرآن ووضعها كما هى كانت عادة الشعراء للخلفاء فى العصر العباسى والأول ، وأنا أعف عن ذكر الصلاة التى أقيمت خلف جارية ونظم فيها أبو نواس وأبو العتاهية شعرا فيه سورة الاخلاص ، فتظرف الشعراء وضعف الوازع الدينى فى نفوسهم يسولان لهم العبث بكل مقدس جليل ، وأى ناقد لبيب يرتضى أن يكون الشعر الذى ساقه الدكتور وجعل من الصعب على المسلم أن يدفع هذه الشبهة عن القرآن وأنه أخذ من شعر شاعر وثنى . انهم يشككون فى أن الشعر الجاهلى قاله شعراء الجاهلية ثم يشككون فى أن القرآن من عند الله ، وذلك بقصص مغرض كالذى حكى عن لقاء فاطمة رضى الله عنها وابنة امرىء القيس ، ولاأدرى فى أى كتاب تاريخى وردت تلك القصة ؟ لكن العقاد لا ينظر الى ما نظرت اليه وانما يأخذهم بعلمهم ويبين تلفيقهم فيضرب لهم المثل بخبير الخطوط الذى يعرف أنواع الكتابة حسب الكاتبين والذى ربما جاز عليه أمر الكلمة والكلمات ، ولكنه اذا حصل على تلك الكلمة مكتوبة عشر مرات أو عشرين مرة لم يكن من اليسير عليه أن ينخدع فيها كما ينخدع فى الكلمة المقررة بغير تكرار ، وعلى هذا المنوال يتميز الصحيح من الزائف فى الشعر

الأصيل والشـعر المدخول ، وقـد يجوز التزوير فى الشطرة الواحدة أو البيت الواحـد اذا امتنـعت المقارنة بينه وبين أمثاله من تلفيق صاحب التزوير أما المسـتحيل أو شـبه المسـتحيل فهو تزوير أدب كامل ينسب الى الجاهلية،ويصطبغ فى جملته بالصبغة التى تشمله على تباين القائلين والشـعراء ، ويقول عن التقارب بين الشـعر الجاهلى والشـعر الأموى انه دليل نسـبة الشـعر الى قائليه : « واذا قـل الفارق بين الشعر المخضرم والشعر الأموى الأول والشـعر الجاهلـى فتلك آية على صحة العلامات التى تميز الشعر الجاهلى وعلى صـحة القرابة بينه وبين الشعر الذى لم يفتـرق عنه افتراقا بعيدا بزمانـه وثقافة قائليه وبيئاتهم فى المعيشـة ومناسـبات التعبير ، فلا يتشـابه الشـعر الجاهلى والمخضرم ان لم يكن بينهما ميزان مشـترك ، مع انتمائه الىعشرات الشعراءالجاهليين والمخضرمين . ان الملامح التى تميز الفرزدق والأخطل وجرير لم يكن لها ثبوت أوضح وأقوى من ثبوت الفوارق التى تميز بينامرىءالقيس وعمـرو بن كلثـوم وزهير ، فمن يرى أن خلـق دواوين الفـرزدق والأخطل وجرير فى وسـع راوية واحد فقد سهل عليه أن ينسـب شعر الجاهليين جميعا الى راوية أو رواه ،ولكنه يذهب فىالحالين مذهبا لا سند له ولا سابقة من مثله فى آداب الأمم ، ولا نصـيب له من الذوق الأدبىغيرالنبو والاستغراب»

ويختم تفنيده لقضـية الانتحال بهذه الفقرة التى تومىء الى أنصار انتحال الشعرالجاهلى عندنا قائلا :

« على أن موازين النقد الأدبى الذى اشـتغل به هذا النفـر من المستشرقين لاتسـلم على هينة من جـراء أخطائهم ؛ لأنهم ضـللوا أناسـا من تلاميذهم فاتبعوهم فى أكثر الأخطـاء التى كانوا يقعون فيها من جراء عجزهم عن النفـاذ الى حقائق التاريخ وأسرار البلاغة العربية » والحمد لله أن الدكتور طه حسين قد رجع عن نظرية انتحال الشـعر الجاهلى التى سـجلها فى كتابه « فى الشعر الجاهلى » فقد

سمع منه رجوعه عنها غير واحد ، منهم الأستاذ (محمد أحمد الحوفى) والأستاذ (سعيد الافغانى) الذى نشره فى مجلة (العربى) العـدد (٢١٨) يناير ١٩٧٧ م وهذايؤيد رأى العقاد فيماذهب اليه من اثبات الشـعر الجاهلى وهـو من ثراث اللغة الشاعرة » فى موضعه فى نفوس طلابه ودارسيه •

السيد حسن قرون

المسلم بين يدى الله :

عبادة المسلم فى جميع فرائضها تتكفل له بالتنبيه الدائم الى هاتين الحقيقتين ..

انه فى صلاته يستقبل النهار ويتوسطه مرتين ثم يختمه ويستقبل الليل بالوقوف بين يدى الله كأنه يستهديه فى عمله ويؤدى اليه الحساب عن هذا العمل من ساعة اليقظة الى الساعة التى يستسلم فيها للرقاد أو ينطوى فيها تحت جنح الظلام ...

وان المسـلم فى صباحه ليـذكر حق الروح من شرابه وطعامه ، ويذكر أنه ذو ارادة تأخذ بيديها زمام جسـدها ولا تترك لهذا الجسد أن يأخذ بزمامها ويتصرف بهـا على هواه ، وأصح ما يكون الصيام الذى ينبه الضمير الى هذه الحقيقة أن يقدر المرء على ترك الشراب والطعام فترة من الزمن ، ولا يكون قصاراه منها أن يستبدل شرابا بشراب وطعاما بطعام ...

حقائق الاسلام وأباطيل خصومه

من مبادئ الإسلام فى الشورى

للدكتور شمس مرغنى

اذا كان رجال الفقه الدستورى يقسمون الديمقراطية فى الصورة المثالية الى **جوهر وشكل ، وأن** جوهرها الفلسفة والنظام اللذين يقومان الحكم على أساس رضاء الشعب ويجعلان من ارادة المحكومين القانون الواجب الاتباع ، أى الفلسفة **والنظام اللذين يرتبان حياة الناس ، بالشكل** الذى يسقط التناقض بين الفرد والجماعة بين الحرية والسلطة .

اذا كانت هذه هى النظرة المثالية للديمقراطية فأين مكان ديمقراطية الاسلام من هذا التقسيم ؟

فالذى يلقى نظرة متأنية على مبدأ الشورى ونظام الخلافة وفكرة البيعة فى الاسلام ينتهى الى أن ديمقراطية الاسلام جوهر وشكل حقيقة وأسلوب ، مضمون وصياغة فالمضمون ثابت لا يتغير لأنه وارد بالكتاب والسنة وهى حقيقة واحدة لا تتبدل ، الا أن الشىء الذى لا نزاع فيه أن **الجوهر لا يصل فى عالم التجريد المطلق ،** ولكنها لا بد لها من ممارسة عملية على أرض الواقع المتغير المتطور . وبالتالى لا شك أن الشكل الديمقراطى يتغير مع الزمن ، بل ولا بد أن يتعدل ، أسلوب الممارسة .

وجوهر ديمقراطية الاسلام ثبت بالقرآن والسنة وسوف نستخلصه **من الأصول النظرية أما الشكل** فسوف نستخلصه من أساليب اختيار الخليفة ونستنتجه من التطبيقات العملية للممارسه .

أولا ــ الجوهرة

أولا ــ يقرر القرآن الكريم المبدأ فى قوله تعالى :

ــ « فاعف عنهم واستغفر لهم وشاورهم فى الأمر » (آل عمران الآية ١٥١) .

ــ « وأمرهم شورى بينهم » (الشورى الآية ٣٨) .

ثانيا ــ السنة : يقول الرسول عليه الصلاة والسلام ماتشاور قوم قط الا هدوا لأشد أمورهم . وروى سهل ابن سعد الساعدى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم « ما شقى قط عبد بمشورة وما سعد باستغناء رأى » وجاء فى حديث شريف :

«اثنان خير من واحد، وثلاثة خير من اثنين ، وأربعة خير من ثلاثة فعليكم بالجماعة فان الله لن يجمع أمته الا على هدى ... » .

ثالثا ــ الفقه وقد روى عن ابى هريرة رضى الله عنه قال : « لم يكن أحد أكثر مشورة لأصحابه من رسول الله صلى الله عليه وسلم .

ويقول الامام ابن تيمية فى كتابه السياسة الشرعية « ان الله أمر نبيه بالشورى لتكون شرعة ملزمة لمن بعده وقد جعلها الله ثمة صفة ، للمؤمنين فى قوله :

« وما عند الله خير وأبقى للذين آمنوا وعلى ربهم يتوكلون الذين يجتنبون كبائر الاثم والفواحش واذا ما غضبوا هم يغفرون ، والذين استجابوا لربهم وأقاموا الصلاة وأمرهم شورى بينهم ومما رزقناهم ينفقون » .

وقال ابن عطية : والشورى من قواعد الشريعة وعزائم الأحكام ومن لا يستشر أهل العلم والدين فعزله واجب وهذا مما لا خلاف فيه وقد مدح الله المؤمنين بقوله تعالى : « وأمرهم شورى بينهم » .

فى ضوء ما تقدم يتضح أن الله تعالى الذى أمر بالشورى لم يبين تفصيلها على غرار ما قرره بالنسبة لكثير من المسائل الدينية ليكون حكام كل دولة فى سعة من وضع نظمها بما يلائم حالهم فهم الذين

يقررون نظام الانتخاب والشروط اللازمة فيمن ينتخب وكيفية قيامهم بواجبهم وغير ذلك بما تتحقق به الشورى كما أن الرسول عليه الصلاة والسلام أقام حكمه ، على مبدأ الشورى ، ولكنه لم يضع قاعدة أو نظاما لها لأن أمر الشورى يختلف باختلاف أحوال الأمة الاجتماعية، فى الزمان والمكان وذلك كى يسهل الاختبار حسبما تقتضيه الظروف ومتطلبات الزمان ولو وضع عليه السلام هذه القاعدة لاتخذها المسلمون دينا وفى ذلك تضييق عليهم .

وحذا حذوه خلفاؤه الراشدون فكان أمرهم شورى بينهم .

وليس الأمر بالشورى مقصورا على الحكام ولكنه موجه فى الوقت نفسه الى الجماعة بكاملها أى المجتمع فى علاقاته الرأسية والأفقية ملزم بتطبيق المشورة .

ضرورة المبدا

١ ـ فريضة :

ما أمر الله تعالى ـ رسوله بمشاورتهم لحاجة منه الى رأيهم بل هى فريضة فرضها عليهم فيقول عز وجل : « وشاورهم فى الأمر » وسند هذا أن النبى لا يصدر فى أعماله عن هوى ، وانما ينزل عليه الوحى بما شرعه الله لصالح الأمة وهذه هى الحقيقة التى تعبر عنها الاية الكريمة : « اذ بعث فيهم رسولا من أنفسهم يتلو عليهم آياته ويزكيهم ويعلمهم الكتابة والحكمة » يتلقى الرسول هذا الأمر ويعمل به كلما دعت الضرورة لكن الرسول بشر غير مخلد ومن ثم عندما يطبق أسلوب المشاورة فانما يضع سنة تتبع من بعده وموجهة الى الحكام جميعا فى مختلف العصور، وفى كل الأزمان وفى مختلف المجتمعات ، وعلى مختلف المستويات ولعل أوضح تعبير عن ماهية الموضوع الماثل فول الحسن رضى الله عنه « قد علم الله أنه ما به اليهم حاجة ولكنه أراد أن يستن به من بعده » .

٢ ـ أثر لاحترام العقل :

الشورى أثر طبيعى لاحترام الاسلام ، فدعوة الاسلام قامت على

مخاطبة العقل فلقد اكتفى الاسلام بخطاب العقل ، دون قهر ، حتى بالخوارق المعجزة التى صاحبت الأديان الأولى يقول الله تعالى : «لا اكراه فى الدين قد تبين الرشد من الغى » .

ثم حث فى آيات كثيرة من القرآن على النظر فى مظاهر الكون ،وفى خلق الله من حيوان ونبات وجماد يقول سبحانه :

« ان فى خلق السموات والأرض واختلاف الليل والنهار والفلك التى تجرى فى البحر بما ينفع الناس ، وما أنزل من السماء من ماء فأحيا به الأرض بعد موتها ، وبث فيها من كل دابة ، وتصريف الرياح والسحاب المسخر بين السماء والأرض لآيات لقوم يعقلون » .

هذا الدين الذى كرم العقل وأولاه العناية الفائقة جدير به أن يحترمه ولا يفرض عليه شىء فى دنياه ما لم يستخدمه ، ويجعله يفكر وبذلك يعلى الاسلام من شأن العقل البشرى ويرتفع بقيم أتباعه باطلاق أيديهم حرة من كل قيد فى شئون حياتهم التشريعية والتنظيمية .

وبذلك يفتح الاسلام أمام المسلمين أوسع أبواب التطور وأعظم منافذ الاجتهاد ويدير حياتهم على مرونة حية دائمة الحركة والنماء .

٣ ـ طريق لتقليل الخطأ :

الرأى الواحد مهما اتصف به صاحبه من ادراك وفهم وبعد نظر وخبرة وعلم ، وان رأى القلة الحاكمة مهما تجرد أفرادها من ميل الى الهوى يكون أكثر تعرضا للخطأ ومن ثم يكون أدنى الى احداث الضرر ولو لم يكن هذا الضرر مقصودا .

٤ ـ خاصية من خواص المجتمع الاسلامى :

فوق كل ما تقدم فان الشورى من لوازم الاسلام بل هى سمة من السمات البارزة للنظام الاسلامى والتى تميزه عن غيره من الأنظمة المعاصرة . ، فقد يضيق مجتمع الحقوق السياسية والبعض الآخر يوسع فيها ، أما النظام الاسلامى فلا يكون كذلك ، ولا يمكن أن يستمر ما لم يطبقها كجوهر ،وان

اختلفت الأشكال واتفق العلماء ـ وعلى رأسهم الغزالي ـ على أن اشتراك الأمة فى شئون الحكم ليس جائزا فقط،بل هو القاعدة الأساسية فى الاسلام ٠

وبالتالى لاتكون الدولة الاسلامية قائمة بواجبها ، اذا أهملت مبدأ الشورى فكان عليه الصلاة والسلام يستشير أصحابه ويصغى الى كل قول ويرجع الى آرائهم فى كثير من الأمور الدنيوية التى تحتاج الى رأى ولم يرد فيها نص ، وكان يقول لهم (أنتم أعلم بأمور دنياكم) ٠

مجال عمل المبدأ :

الشورى وان كانت فريضة ، الا أنها تجب فقط ، حيث لا نص من كتاب أو سنة أما ماورد فيه نص من كتاب أو سنة فلا شورى فيه ٠

فالشورى مقيدة بأن لا تخرج عن حدود ما جاء به الكتاب والسنة فاذا وضع الكتاب أو السنة فلا يقبل أن تخرج الشورى عنهما ، اقتداء بالنبى عليه الصلاة والسلام وهذا ما حدث فى عهد أبى بكر فى واقعة من منع الزكاة (١) ٠

وقت الشورى :

يلزم أن يؤخذ الرأى قبل العزم والتبين ، لقوله تعالى « فاذا عزمت فتوكل على الله » ٠

وشاور النبى صلى الله عليه وسلم أصحابه يوم أحد فى المقام والخروج، فرأوا « الخروج فلما لبس لأمته وعزم قالوا أقم ، فلم يمل اليهم بعد العزم وقال لا ينبغى لنبى يلبس لأمته فيضعها حتى يحكم الله ٠

وشاور النبى صلى الله عليه وسلم عليا وأسامة فيما رمى أهل الافك عائشة فسمع عنهما حتى نزل القرآن فجلد الرامين ولم يلتفت الى تنازعهم، ولكن حكم بما أقره الله ٠

والمشورة قبل اتخاذ القرار سبيل لاستجلاء الحقيقة ووضع الأمور فى نصابها الصحيح وأما اذا أتت بعد البدء فربما تؤدى الى البلبلة ولا تؤكد الاقدام ٠

د / شمس مرغنى

---

(١) صحيح البخارى ـ ج ٩ ـ ص ١١٩

أخطاء شائعة

للأستاذ عباس أبو السعود

٣٤١ – ويقولون لطعام يصنع من لباب(١) الدقيق سميط ، والفصيح أن يقال له : سميد ، وسميذ بالدال أو الذال فى آخره وزان قضيب ، وهو بالذال أفصح .

تقول : والدى لا يتناول فى عشائه الا السميد أو السميذ ، وهو يعمل من الحوارى أى الدقيق الأبيض .

أما السميط فله معنى لا يمت الى السميذ بأى صلة ، اذ تقول : سمط الجزار الجدى من بابى نصر وضرب سمطا اذا نحى عنه شعره بالماء الحار ، فالجدى سميط ومسموط .

٣٤٢ – وينكرون أن يقال للملح المدقوق مع الأبزار دقة بالضم وزان حجة ، والحق أنها عربية صحيحة ، تقول : لابد مع اللحم من الدقة ، وهى الملح المبزر ، والعرب يسمون الكزبرة دقة ، وينشدون :

باتت لهن ليلة دعسقة
طعم السرى فيها كطعم الدقة

وفى القاموس : الدقة هى التوابل من الأبزار والملح ، أو الملح المدقوق .

ومنه قولهم : ما لها دقة ، أو هى قليلة الدقة ، يعنون أنها غير مليحة .

ولها معنيان آخران : فهى حلى لأهل مكة ، وكذلك هى الجمال والحسن .

٣٤٣ – ويقولون : يمتاز فلان عن أصدقائه بحبه للأدب ، وهذا الشعر يمتاز على غيره بالاتقان وكلا التعبيرين خطأ ، والصواب أن يقال : يمتاز فلان من أصدقائه بكذا ، ويمتاز هذا الشعر من غيره بكذا ، لأن هذا الفعل لا تستعمل معه الا من سواء أكان ثلاثيا أم غير ثلاثى

(١) لباب الدقيق بالضم : خالصه .

(٢) ليلة دعسقة : طويلة .

تقول : مزت هذا الشيء من غيره ميزا من باب باع اذا فصلته من غيره وفرزته ، وذلك يكون فى المشتبهات كما فى قوله جل شأنه « ليميز الله الخبيث من الطيب » وفى المختلطات كما فى قولك : مزت أخى من سائر اخوانه بكرم الأخلاق اذا عزلتهعنهم وفصلته منهم ويقال : تميز هذا المصنع من غيره اذا فرزته ، وميزته تمييزا من غيره فانماز وامتاز ، وتميز ، واستماز ، قال الأخطل :

فان لم تغيرها قريش بملكها
يكن من قريش مستماز ومزحل (١)

ويقال : امتاز القوم اذا تميز بعضهم من بعض ، وتمايزوا اذا تفرقوا ومن المجاز قولك : فلان يكاد يتميز من الغيظ أى يتقطع ، ومنه قوله تعالى : « تكاد تميز من الغيظ » .

٣٤٤ ــ ويقولون: فلان متوعك، يعنون أنه متألم من علة أو تعب ، وهذا خطأ ، لأن التوعك لم يرد عن العرب ، وكذا ما اشتق منه .

والصواب أن يقال : هو وعك وزان ضجر ، ووعك بسكون العين وزان عدل وموعوك اسم مفعول من وعكه الشيء اذا آذاه وآلمه .

واذا أخذت الكلاب صيدافمرغته فى التراب قيل : وعكته وعكا فهو موعوك ، ومن المجاز قولك وعكته الحمى ، أو به وعكة الحمى ، وهى أذاها وموجعها فى البدن والوعكة أيضا المعركة والوقعة الشديدة .

والوعك بسكون العين : سكون الريح وشدة الحر كالوعكة ، تقول: نحن فى يوم وعك اذا كان شديد الحرارة ، قال الأخطل :

رعاها بصحراوين حتى تقيظت (٢)
وأقبل شهرا وقدة (٣) وعكان

٣٤٥ ــ ويقولون : علقت المرأة على وليدها حجابا يقيه السوء ، ويعصمه من العين ، وهذا غيرسليم لأن للحجاب معانى لا تمت بصلة الى المعنى الذى يبتغونه .

---

(١) المزحل وزان مقعد : المبعد ، تقول : مالى عنه مزحل ، أى لا أبتعد عنه ، وتقول زحل عن مكانه زحولا اذا تنحى عنه .

(٢) تقيظت : أقامت فى زمن القيظ . (٣) الوقدة: أشد الحر .

١ ـ فهو الستر ، تقول منه : ضرب الحجاب على النساء ، قال تعالى فى الشمس « فقال انى أحببت حب الخير عن ذكر ربى حتى توارت بالحجاب » وقال « واذا سألتموهن متاعا فاسألوهن من وراء حجاب » .

٢ ـ وهو الجلدة التى تحجب بين الفؤاد والبطن ومنه تقول : هتك الخوف حجاب قلبه .

٣ ـ وهو المانع كما فى قولهم : ما لدعوة المظلوم حجاب ، ولهذا الصالح دعوات تخرق الحجب حتى تبلغ العرش .

٤ ـ وهو الجبل، تقول لصديقك: انتظرنى فى ظل الحجاب أى فى ظل الجبل وأصل الحجاب جسم يحول بين جسدين وقد استعمل فى المعانى فقيل : العجز حجاب بين الانسان ومراده والمعصية حجاب بين العبد وربه ، ولتأدية المعنى المراد ينبغى أن تستعمل العبارات الآتية :

١ ـ علقت المرأة على وليدها تميمة ، وهى خرزة رقطاء تنظم فى سير وتعلق فى العنق جمعها تمائم تقول : تممت فلانة مولودها اذا علقت عليه تميمة وفى الحديث «من علق تميمة فلا أتم الله له » .

٢ ـ علقت الوالدة على ابنها عوذة ، أو معاذة ، أو تعويذا ومن هذا سميت سورتان فى القرآن بالمعوذتين ، لأنهما تعوذان قارئهما ، وتعصمانه من كل سوء .

٣ ـ رقت المرأة وليدها رقية بضم الراء فقالت باسم الله أرقيك ، والله يشفيك ، جمعها رقى كمدية ومدى ، قال كثير لعبد الملك بن مروان

وما زالت رقاك تسل ضغنى (١)
وتخرج من مكانها ضبابى (٢)

٣٤٦ ـ ويقولون : تعهد فلان الى أخيه بتقديم العون ، وهذا

---

(١) الضغن : الحقد

(٢) الضباب بالكسر : جمع ضب بالفتح وهو الدليل الداخل : شبه بالضب المعن فى جحره ، قال سابق البربرى :

ولاتك ذا وجهين يبدى بشاشة ... وفى صدره ضب من الغل كامن

خطأ ، لأن الباء لا تستعمل مع هذا الفعل ، والصواب أن يؤدى المعنى الذى يريدونه بالفعل الثلاثى فيقال: عهد اليه بكذا يعهد عهدا من باب فهم اذا قدمه اليه ، ومن هذا قوله تعالى « ألم أعهد اليكم يابنى آدم ألا تعبدوا الشيطان » أى بألا تعبدوه ،وقوله «وعهدنا الى ابراهيم واسماعيل أن طهرا بيتى للطائفين والعاكفين » أى بأن طهرا •

وعهد اليه عهدا اذا أوصاه ،ومنه العهد الذى يكتب للولاة ، والعهد الأمان والوصية تقول : بين فلان وصديقه عهد أى موثق ، وفى التنزيل « وأوفوا بالعهد ان العهد كان مسئولا » والعهد أيضا المعرفة والعلم ، تقول لمحدثك : الأمر كما عهدت أى كما عرفت ، وفلان قريب العهد بكذا أى قريب العلم به •

وكذلك هو اللقاء ، تقول عهدته بمكان كذا اذا لقيته فيه ، وعهدى به قريب أى لقائى به قريب أما التعهد فهو التردد الى الشىءوتفقده، وفعله متعد الى المفعول به دائما ، تقول تعهدت أمور أبى وأملاكه وتعهدت اليتامى ، وتعهدت ضيعتى اذا ترددت الى كل ذلك وأصلحته•

٣٤٧ ــ ويقولون : جريدة الأهرام أكثر الجرائد انتشارا ، وهذا غير سليم ، لأن كلمة جريدة لا تؤدى الا ثلاثة معان كل منها لا صلة له بالمعنى الذى أرادوه فى عبارتهم •

١ ــ فهى سعفة جردت من خوصها ، تقول : ضربت الخادم بجريدة أى بسعفة قشر خوصها ، جمعها جريد اسم جنس جمعى يفرق بينه وبين واحدة بالهاء كزهر وزهرة، ولوز ولوزة ، لا جرائد كما قالوا•

٢ ــ وهى الخيل الخالية من الرجالة ، تقول : جاءت جريدة من الخيل ، أى بفرسان لا رجالة معهم، والرجالة خلاف الفرسان واحدهم راجل ، ومما يدل على ذلك قوله تعالى « وأجلب عليهم بخيلك ورجلك » أى رجالتك •

٣ ــ وهى كرائم الشىء وخياره، تقول : تنق ابلا جريدة أى تخير من الابل كرائمها ولتأدية المعنى المبتغى

ينبغى لهم أن يقولوا : صحيفة الأهرام أكثر الصحائف انتشارا أو أكثر الصحف انتشارا ، ومن الجمع الأخير قوله سبحانه «ان هذا لفى الصحف الأولى صحف ابراهيم وموسى » والصحيفة الكتاب ، والقرطاس يكتب فيه ، وقد قالوا : صحائف الكتب خير من صحائف الذهب وللصحفى بالتحريك معنيان.

أحدهما : من يخطىء فى قراءة الصحف كما فى القاموس ، تقول : فلان صحفى ، وصحاف بتشديد الحاء ، وهو لحانة مصحف بصيغة اسم الفاعل ، والتصحيف الخطأ فى الصحيفة تقول . صحف الكلام فتصحف أى غيره فتغير حتى التبس.

والآخر : أخذ العلم من الصحيفة لا من المشايخ ، وذلك على سبيل النسب اليها كما قيل حنفى فى النسب الى حنيفة والمصحف بتثليث الميم ، والضم أشهر مأخوذ من أصحف بالضم أى جعلت فيه الصحف .

٣٤٨ ــ ويقولون : توفى الولد فأخذت أمه تنهنه عليه نهنهة أليمة ، يعنون تصوير ما حل بها من فزع ، وهذا التصوير يشوبه الفساد ، لأن النهنهة لها معنيان كل منها لا يمت بأى صلة الى المعنى الذى أرادوه فى عبارتهم .

أحدهما : الكف والمنع ، كما فى قولك : نهنهت ابنى عن كل عمل يشينه فتنهنه أى كففته عنه فكف ، وزجرته فانزجر وازدجر .

والآخر : أن العرب تسمى الثوب الرقيق النسج نهنهة ويجمعونه على نهاية فيقال : تزين النساء بالنهانة.

ولتأدية المعنى المبتغى كان عليهم أن يقولوا : توفى الولد فتملك أمه الجزع ، وأخذت تنوح عليه نواحا يقطع نياط القلوب ، واغرورقت مدامعها بدموع غزار استبكت كل من رآها على هذه الحال .

٣٤٩ ــ ويقولون : هاجم الجيش الأعداء فى عقر دورهم ، وهذا خطأ ، لأنه لم يرد فاعل من الهجوم ، والفصيح أن يقال : هجم الجيش على الأعداء يهجم هجوما من باب دخل اذا أتاهم بغتة ، وقد يأتى متعديا للمفعول فيقال : هجمتك على الأعداء وأهجمتك ، وهجمنا عليهم الخيل ، ويقال : أهجم القوم ابلهم اذا أراحوها ، واهجم ناقتك

واهجمها أى أحلبها وارحمها ، وركبتهم الظهيرة فأهجموا أى استراحوا ، وأهجم الله تعالى المرض عن فلان فهجم أى أقلع وفتر ، ومن المجاز قولك هجم عليهم البيت اذا سقط وهجمته فهو مهجوم ، وهجم الحر أو البرد أو المطر ، وجاءنى ضيف ، فلما هجم الليل ارتحل ، وأتانى زائر آخر بعد هجمة من الليل، أى ثابتات على الأثافى ، والقدير فى هجمة الشتاء أى فى شدة برده ، وهجمت الرجل هجما أى طردته ، وهجم فلان اذا سكت وأطرق فهو هاجم .

٣٥٠ ــ ويقولون : هذا الرجل كثير اللجوء الى الله ، يعنون أنه كثير اللياذ والاحتصان بالله ، وهذا خطأ ، لأن اللجوء مصدر أنشأته العامة ، وفعله ليس من باب دخل ، وانما هو من بابى نفع وفرح ، تقول : لجأ يلجأ لجأ بزنة نفع ، ولجىء يلجأ لجأ بالتحريك وزان فرح وهو حسن اللجأ الى الله ،كما أنه ملجأ القوم ولجؤهم .

ويقال : ألجأ فلان أمره الى الله أى أسنده اليه ، وألجأته ولجأته أى بالمزيد بالهمز وبالمزيد بالتضعيف أى أحرجته واضطررته .

وأكثر الأفعال تأدية للمعنى الذى يبتغونه ما كان بزنة افتعل ، تقول: التجأ فلان الى الله يلتجىء التجاء فالله ملتجأ اليه .

ويقال أيضا فى هذا المعنى : التحد الى الله اذا التجأ اليه واستتر به ، فالله ملتحد بصيغة اسم المفعول ، وفى التنزيل « لامبدل لكلمات الله ولن تجد من دونه ملتحدا » أى لن تجد من غير الله ملتجأ تلتجىء اليه .

٣٥١ ــ ويقولون لما يطهى فيه الطعام (حلة) والصواب أن يسمى قدرا ، وهى أنثى جمعها قدور كما فى قوله تعالى « وقدور راسيات » أى ثابتات على الأثافى ، والقدير ما يطبخ فى القدر ، أو يسمى مرجلا وهو القدر من الحجارة أو من النحاس ، مذكر جمعه مراجل ، تقول ارتجل المطاهى اذا طبخ فى المرجل .

أو يسمى كفتا بفتح الكاف وكسرها ، وهى القدر الصغيرة .

أما الحلة فهى الزنبيل الكبير من القصب ، وحلة الشيء بالفتح ويكسر جهته وقصده •

وأما الحلة بكسر الحاء فهم القوم الحالون فى مكان ، قال :

لقد كان فى شيبان لو كنت عالما

قباب وحى حلة ودراهم

ومواعين الطعام الجفنة بالفتح وهى أعظم القصاع ، جمعها جفان ، قال تعالى « وجفان كالجواب » تليها القصعة وهى تشبع العشرة ، والصحفة تشبع الخمسة ، والمتكلة بكسر الميم تشبع الرجلين أو الثلاثة ، والصحيفة بالتصغير تشبع الرجل ، والمقراة بالكسر الصحفة ويقرى فيها الضيفان •

٣٥٢ ويقولون للشحم الرقيق الذى يغشى الكرش والأمعاء (طرب) وزان بقل ، والفصيح أن يقال له ثرب بالثاء بدلا من الطاء ، جمعه ثروب بالضم ، وأثرب وجمع الجمع أثارب •

٣٥٣ ــ ويقولون لطعام يتخذ من الدقيق الأبيض النقى على شكل خيوط مختلفة الحجم والطول (مكرونة) والصواب أن يقال له اطربة بكسر كل من الهمزة والراء وسكون ما بينهما •

٣٥٤ ــ ويقولون فى نسب الانسان الى حرمى مكة والمدينة : فلان حرمى بفتحتين والصواب كما ورد عن العرب أن يقال : فلان حرمى ، والأنثى حرمية بكسر الحاء فيهما ، نعم يقال : ثوب حرمى ومنازل حرمية بالفتح فيهما على القياس ، أى أن هناك فرقا بين الانسان وغيره فى النسب الى الحرم ، فان كان المنسوب انسانا كان النسب بكسر الحاء ، وان كان غيره كان بفتحها •

قال الأعشى :

لا تأوين لحرمى مررت به

يوما وان ألقى الحرمى فى النار

وقال أبو ذؤيب :

لهن نشيج بالنشيل كأنها

ضرائر حرمى تفاحش نمارها •

وقال النابغة :

من قول حرمية قالت وقد ظعنوا

هل فى مخفيكم من يشترى أدما ؟

٣٥٥ ـ ويزعمون أن الحية لا تطلق الا على الأنثى ،والحق أنها تطلق أيضا على الذكر فيقال حية أنثى وحية ذكر ومن المجاز قولك لمن يحمى حوزته : هوحية الوادى ، ولمن اتسموا بالدهاء والمكر ، هم حيات الأرض ، وللانسان الشهم : هو حية ذكر ، وللمتوقد ذكاء : رأسه رأس حية ، وتقول : أكلت حياتنا حيات الأعداء اذا قتلت فرسانكم فرسانهم •

وفى اللغة ألفاظ كثيرة مختومة بتاء التأنيث ، تطلق على المذكر كما تطلق على المؤنث منها الدجاجة فهى تطلق على الديك والفرخة ،والسخلة تقع على الخروف والنعجة ، ومثل ذلك الحمامة والنحلة والبومة والجرادة والبقرة وتجمع كل هذه الأسماء بحذف التاء ماعدا الحية فانها تجمع على حيات ، وحيوات ، ويقال لذكر الحيات حيوت وزان تنور •

٣٥٦ ـ ويقولون : غافل الرجل عدوه فقتله ، يعنون أنه انتهزغفلته وهذا خطأ لأن المفاعلة من هذا الفعل لم ترد عن العرب ، والفصيح أن يقال : تغفله فقتله ، أى ترقب غفوله • وتقول : تغفلته عن كذا اذا تخدعته عنه على غفلة منه قال :

حبذا ليلة تغفلت عنها
زمتى فانتزعتها من يديه

وأغفلت الشىء تركته على ذكر منه ، وتغافل الرجل أرى من نفسه غفلة وليست به ومن الثلاثى تقول : غفلت عن الشىء أغفل غفولا من باب قعد ، ومنه قوله تعالى « ود الذين كفروا لو تغفلون عن أسلحتكم » وله ثلاثة مصادر : غفول بالضم ، وغفلة بالفتح ، وغفل بفتحتين ، ومن هذا قول الشاعر :

اذا نحن فى غفل وأكثر همنا
صرف النوى وفراقنا الجيران

والغفلة غيبة الشىء عن بال الانسان وعدم تذكره له ، وقد استعملت فى تركه اهمالا واعراضا كما فى قوله تعالى : « اقترب للناس حسابهم وهم فى غفلة معرضون » •

والمغفل بصيغة اسم المفعول من لا فطنة له ، والشيء الغفل بضم فسكون ما لا علامة فيه تقول :فلاة غفل اذا لم يكن فيها علم ، جمعها فلوات أغفال ، وسار السياح فى أغفال الأرض ، ونعم أغفال اذا لم يكن عليها سمات وعلامات ، وكتاب غفل اذا لم يسم واضعه قال :

انى امرؤ ارسم القصائد للعدا
ان القصائد شرها أغفالها

ويقال فلان غفل لمن لم يجرب الأمور ولمن لا يرجى خيره ولا يخشى شره •

٣٥٧ ـ ويقولون لثمر النخل اذا أرطب قبل أن يبسر بلح (رامخ) وهذه كلمة عامية •

والفصيح أن يقال له رمخ بكسر ففتح وزان عنب ، واحدته رمخة ، أو يقال له رمخ بضم ففتح وزان غرف ، واحدته بهاء •

تقول : أرمخت النخلة اذا أثمرت الرمخ ، وأرمخ الرجل اذا ذل ولان ، وأرمخت الدابة اذا أخذت فى السن أو سمنت •

والبسر بضم الباء واحدته بسرة ، وأوله طلع ، ثم خلال ، ثم بلح ، ثم بسر ثم رطب ، ثم تمر •

والتمر من تمر النخل كالزبيب من العنب ، واحدته تمرة ، وجمعه تمور وتمران بضمهما ، والتمار بتشديد الميم بائعه ، والتمرى بياء النسب محبه ، والشيء المتمور المزود تمرا •

تقول : تمرت القوم من باب ضرب وأتمرتهم اذا أطعمتهم التمر ، وأتمروا اذا كثر تمرهم وتمرنى فلان أطعمنى التمر وعن أبى الجراح : ما نعجز عن ضيف فى بدونا ان ذبحنا له والا تمرناه ولبناه ، قال :

اذا نحن لم نقر المضاف ذبيحة
تمرناه تمرا أو لبناه راغيا

أى أطعمناه لبنا له رغوة •

عباس ابو السعود

علم مقارنة الأديان
ونصيبه بين علومنا المعاصرة

للمستشار محمد عزت اسماعيل الطهطاوى

من العجيب بل من المؤسف أن التبشير النصرانى يعم كل أرجاء المعمورة ولم يكتف بذلك بل اقتحم من البلاد الاسلامية ما كان يعد من معاقل الاسلام وقلاعه كأندونيسيا التى يحاول أن يجتذبها للمسيحية بما تحويه من ملايين البشر وكذلك الدول الافريقية والتى غالبية سكانها تدين بالوثنية ودخول تلك الملايين الى المسيحية ليس خطرا ضدنا من الناحية الدينية فحسب ولكنه خطر سياسى واقتصادى أيضا فان المسيحية التى ينشرها هؤلاء المبشرون ليست المسيحية السمحة التى جاء بها المسيح عيسى عليه السلام بل هى ما يسمى (بالمسيحية السياسية) التى ترمى أولا الى ربط دول آسيا وأفريقيا بعجلة الغرب عن طريق نشر الدين المسيحى ـ وترمى ثانيا الى خلق جملة من الأفكار المسيحية يدفع بها أولئك المبشرون الى أن تقف ليس أمام المسلمين فحسب ولكن أمام الفكر الاسلامى فى جميع الميادين السياسية والاقتصادية والدولية •

ولئن كان الاستعمار السياسى قد انتهى فى تلك البلاد الا أنه ليحاول أن يستعيد نفوذه بطريق المبشرين ومن والاهم فى اعتناق تلك المسيحية السياسية من السكان الأصليين والمبشرون وقد علموا أن الاسلام يناقش العقائد عموما وقد ناقش عقيدتهم وعارضها فى القرآن الكريم وكشف ما بها من باطل وأن معتنقها من الكافرين قال تعالى :

(لقد كفر الذين قالوا ان الله ثالث ثلاثة) سورة المائدة آية ٧٣

(لقد كفر الذين قالوا ان الله هو المسيح ابن مريم) سورة المائدة آية ٧٢

(قل هــو الله أحد الله الصـمد لم يلد ولم يولد • ولم يكن له كفوا أحد) سورة الاخلاص • لذلك فان المبشرين يحقـدون على الاسـلام ويؤلفـون الكتب والرسـائل التى تتعـرض كثيرا بالغمز عـلى الديانة الأسلامية ويهاجمون القرآن الكريم كما يهاجمون رسول الاسلام محمدا صلى الله عليه وسلم •

ودراسة علم مقارنة الأديان يكشف للباحثين مـدى التناقض والزيف فى العقائد غير الاسلامية ومدى مايتجلى فى القرآن الكريم من حق واضـح فى مجال العقيـدة والشريعة وبناء الحياة على أقدم الأصول وأرسـخ الدعائم وما يتضمنه من منهج كامل لكل جانب من جوانب الحياة الروحية والعقلية والاجتماعية والسياسية •

يقول الله تعالى فى كتابه العزيز : (فان كنت فى شـك مما أنزلنـا اليك فاسأل الذين يقرأون الكتـاب من قبلك لقد جاءك الحق من ربك فلا تكونن من الممترين) سورة يونس آية ٩٤ هذه الآية الكـريمة تشـير بوضوح الى أنه بمقارنة الاسـلام بغيره من الأديان خصوصا الكتابية منها فان الباحث سيجد فى الاسـلام الحق الذى يميزه ويفضـله على أى دين سبقه •

ونستخلص من ذلك أن علم مقارنة الأديان من العلوم الاسـلامية التى يجب على علماء الاسلام عدم اغفالها فى دراساتهم ومؤلفـاتهم وكتاباتهم حتى يتبين الحق للدارس وللقارىء لمـا يمتاز به الاسلام من قوة الحجة وسلامة القصد أمام أعداء الاسلام وكثير ماهم •

ومما تجدر الاشارة اليه أن هذا العلم يعتبر ثغرا من ثغور الاسـلام يجب على المسلمين عامة وأولى الأمر منهم خاصة سواء فى الدين والدنيا النهوض به وجعله مادة أسـاسية فى معاهـدهم وجامعاتهم فمـا اعتنق الاسلام واحد ممن يعتد به الا بعـد أن سلك هذا الطريق ودرس ذلـك العلم ولنضرب على ذلـك المثالـين

الآتيين أحدهما من الشرق والآخر من الغرب •

١ ــ فأما الذى من الشرق فهو من دعا نفسه بعد اسلامه محمد فؤاد الهاشمى وقد كان واحدا من رجال الدين المسيحى ويقول عن نفسه انه بعد أن أكمل دراسته اللاهوتية تحول الى البحث فى الدين الاسلامى ــ ولم يكن قصده من ذلك البحث فى الاسلام بل استخراج العيوب وتلمس الأخطاء والوقوف على المتناقضات التى أوحى بها أهله من النصارى وأساتذته من الكهنة ــ ولكن ما كاد يطرق الباب ويمسك بأول الخيط حتى دخل باب المقارنة بين الاسلام وما سبقه من الأديان وخرج من تلك المقارنة وقد استولى عليه سحر الحقيقة الناصعة والمبادىء الوضاءة والتعاليم الصريحة للاسلام لا اعوجاج فيها ولا التواء ولا سلطان لكاهن ولا طغيان لأحبار ــ بل وجد لكل سؤال جوابا شافيا ــ ووجد فصل الخطاب بينما لم يستطع أى دين سابق أن يعطى فى ذلك الجواب ــ وجد أن ــ ما زعموه فى الاسلام عيوبا كانت مزايا له ــ وما ظنوه متناقضات كان حكما وأحكاما ما فصات لأولى الألباب وأن ما عابوه على الاسلام كان علاجا للبشرية التى طالما ترددت فى بيداء الظلمات حتى أخرجها ــ الاسلام من الظلمات الى النور وهدى الناس باذن ربهم الى صراط مستقيم صراط الذين أنعم الله عليهم من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين وحسن أولئك رفيقا غير المغضوب عليهم ولا الضالين الذين ضلوا وأضلوا ودخلوا بالناس أبوابا من الكفر والشرك والالحاد •

٢ ــ والمثال الثانى من الغرب وهو (فيدور ايفان جفر نور) فنزويلى الجنسية من مواليد مدينة كلاكاس بأمريكا الجنوبية يقول عن نفسه أنه كان مسيحيا كاثوليكيا درس فى المدارس الكاثوليكية بمدينة نيويورك ولكنها تركت انطباعا مسيئا فى نفسه ــ ثم درس البوذية والهندوكية وبعض الديانات الوثنية لكنه لم يجد فيها راحته ــ ولما أراد الاطلاع على

الاسلام لم يسهل عليه ذلك فى بادىء الأمر لأن المؤسسات اليهودية بأمريكا والتى كانت تتحكم فى وسائل الاعلام من صحافة وسينما ومسرح وكل شىء أبعدت عن مجالها كل ما يشير الى الاسلام من قريب أو بعيد خصوصا بعد أن تحول الى الاسلام قسم دراسى بأكمله — ولما اطلع على بعض ما كتبه المنصفون عن الاسلام وقرأ ترجمة أمينة لمعانى القرآن الكريم فوجد تعبيرا دقيقا عن أعماق نفسه بصورة مطابقة لفطرته التى تذكرها وهو يتدبر فى معانيه ووجد فيه تلبية لكل حاجاته الروحية لذلك فقد قرر أن يعتنق الاسلام وتسمى باسم فارض رحمة الله •

ومن العجيب حاليا فى بلادنا الاسلامية •

أنه اذا الف أحد المتخصصين بحثا أو كتابا فى علم مقارنة الأديان نجد المسئولين فى وزارات الاعلام يقفون أمام نشره بمقولة الخشية من تفتيت الوحدة الوطنية — وان منع نشر مثل هذه الأبحاث والكتب داعية من دواعى الأمن — ولكن هذه حجة واهية — وتبرير مدحوض طبقا لما ذكره الله سبحانه وتعالى فى كتابه الكريم :

(وعد الله الذين آمنوا منكم وعملوا الصالحات ليستخلفنهم فى الأرض كما استخلف الذين من قبلهم — وليمكنن لهم دينهم الذى ارتضى لهم — وليبدلنهم من بعد خوفهم أمنا يعبدوننى — لا يشركون بى شيئا — ومن كفر بعد ذلك فأولئك هم الفاسقون) (سورة التوبة آية آية ٥٥)

وليس التمكين بغير جهد مبذول ولا بغير دعوة مستمرة الى الله والى نشر دينه الاسلام سواء باللسان أو بالقلم ومنه البحث والكتابة فى ذلك العلم • علم مقارنة الأديان — فان ذلك فوق أنه أداء واجب دينى هو السبيل لسيادة الأمن والسلام فى بلاد الاسلام •

محمد عزت اسماعيل الطهطاوى

مذكرات فلاح مصرى فى بلد شيوعى

للدكتور عبد الودود شلبى

فى عهد « الأخطبوط الدموى » الذى كان يسمى بمراكز القوى كتب على شعب مصر المسلم ، أن يرضخ فى هذه الفترة الكئيبة لمفاهيم لا عهد له بها فى تاريخه ، ولا سابقة له بها فى ماضيه أو حاضره .

لقد تصدر الأمر — فى ذلك العهد — أناس مسخوا «وحوشا مفترسة » ولكنها وحوش من نوع يثيره لون الدم ... دم الانسان البرىء الحر ،ودم القيم والفضائل التى أريقت هنا على أرض مصر .

ولأن الظالمين بعضهم أولياء بعض ، فقد آثر هؤلاء أن يغلقوا على مصر كل الأبواب الا بابا واحدا ينفتح على الشرق . الشرق بمعناها « الأيديولوجى » البحت ، والشرق بمعناها الدموى الذى يهون فيه الانسان حتى الموت .

كان الطلبة يوجهون الى تلك الجامعات التى يتعلم فيها الطالب « صناعة الحقد » ويجردون فيها من كل مكرمة عرفها الانسان منذ قام الانسان على هذه الأرض .

وكان العلماء والمفكرون ورجال السياسة والاقتصاد يرحلون الى هذه « الاصقاع » ليتعودوا فيها على حياة «الصقيع والبرد» ويتلقون فيها أصول « الحكم » أو « النظرية » التى لاتعرف غير «الابادة والقتل» .

حتى الفلاحون ... الفلاحون الذين درجوا منذ آلاف السنين فوق هذه الأرض الطيبة يزرعونها «بالحب» و«الحب» لم يسلموا من هذا التشويه والمسخ ، ولم يدعوهم فى القرى الآمنة ... قانعين بما قسمه الله لهم من رزق متواسين فيما بينهم بالاخاء والحب .

هؤلاء الفلاحون ساقوهم الى متاهات الضياع « الأيديولوجى » المتزمت وشحنوهم بالطائرات الى هناك فى محاولة للتغيير أو التدمير المبيت •

كيف كان يحدث هذا ؟ • ان أحدا فى مصر لم يكن يتصور ما كان يحدث فى ذلك العهد •• كنا نقرأ • ونسمع • ونهمس • ولكن القراءة فى هذه الأيام كانت جزءا من الأخبار « المصنوعة » فى معاهد « الكذب » • • والهمس فى هذه الفترة من الزمان كان حلما من أحلام اليقظة فى مواجهة الموت والخوف •

لقد زارنى فى مكتبى الأستاذ أحمد موسى سالم وأهدانى كتابا من تأليفه اسمه « سباق المستقبل بين الدين والشيوعية » تسلمته شاكرا وان كنت فى الواقع لم أعره اهتماما لم أعر الكتاب لا الكاتب وأستغفر الله من هذا اللبس •••

لقد كتب الكثيرون عن الشيوعية وعن الصراع أو الخلاف بينها وبين الدين ، وقرأت أكثر هذه الكتب • ورأيت أننى اكتفيت بما كتب ، وقنعت بما قرىء ، ولم يعد يثيرنى الحديث عن هذه القضية بعد أن تعرت الشيوعية فى مهدها وانفضحت وبعد أن عرف الناس أنها أى « الشيوعية » زفرة حاقد على البشرية منذ أن وجدت •

غير أن هذا الكتاب جذبنى أنه ليس كتابا من تلك الكتب التى ترص فيها المعلومات قالبا الى جوار قالب ان هذا الكتاب فيض تجربة حقيقية ونبض قلب مؤمن بالقيم والأخلاق المصرية • وكان « مسرح » هذه التجارب أو « اليوميات » فى ألمانيا الشيوعية أى الشرقية •

فى أول لقاء مع الرفاق كما يقول الأستاذ أحمد سالم : قدموا لنا الخمر امتنعنا •• فقال الرفيق « شيرلنج » رئيس اتحاد الفلاحين فى ألمانيا الشرقية — :

« عندما كنت فى القاهرة صادف ذلك شهر الصوم عندكم • وعندما لاحظت فى حفل استقبالى أن أمين الفلاحين لا يشرب الخمر سألته ؟ فقال لى : نحن فى رمضان •• ولذلك نحن نمتنع عن الخمر تماما •• »

ثم توجه نحوى بالكلام عن طريق المترجم وقال : واليوم أنا متأكـد أنكم لستم فى رمضان •• فلماذا الامتناع عن الخمر اذن • ؟

وقلت أرد عليه ــ :

انه بالنسبة للخمر ياسيد شيرلنج فان كل الشهور عندنا رمضان •• اننا نمتنع عنها فى كل الشهور •• أى اننا نمتنع عنها دائما •• ونحن لا نمتنع عن الخمر ابتداء بسبب الالتزام بأمر الدين • فهناك قبل أن نرجع الى الأمر الدينى أسباب كثيرة تفرض علينا أن نمتنع عن الخمر •

فقال شيرلنج تعجبا وغير مصدق: حسنا ما هى هذه الأسباب •؟ قلت: أولا : لقد سرق الانجليز أرضنا الزراعية بوسائل غير أخلاقية : منها أنهم نشروا « الخمارات » التى يملكها الأجانب فى القرى • لقد نشروها كجزء من خطة استعمارية تتسرب بها الأراضى التى فى يد صغار الفلاحين الذين سكروا بأثمان أرضهم الى أيدى « أصحاب الخمارات » الأجانب •

ثانيا: نحن نحتاج اليوم الى ترميم أخلاقنا التى حاول هدمها المستعمر ولا يكون ذلك بشرب الخمر •

وثالثا: فان الناس عندكم يشربون الخمر بأمر الطقس وأحكامه ، بينما فى بلادنا يأمرنا الطقس بالعكس •

ورابعا : فاننى أعتقد انكم مع اباحتكم للخمر تمنعونها فى بعض الأحوال فأنتم تعلمون أن الخمر تطلق الألسنة بما يقال ، وما لا ينبغى أن يقال ؟ ومعنى هذا أنه حتى أنتم؟ ؟ يا أصدقاء الخمر لا تستطيعون أن تبيحوها اباحة مطلقة ؟

***

كان أول القصيدة « كفرا » كما يقول المثل ، غير أننا سنرى من خلال اليوميات التى سجلها المؤلف : أن « الكفر » كان قاسما مشتركا فى كل حفل أقاموه ، وفى كل مكان ذهبوا اليه وفى كل حوار أو مناقشة دارت بينهم وبين الرفاق الشيوعيين فى ألمانيا ، أو بين « العرب » الذين سافروا لنفس المهمة من آسيا أو افريقيا ؟ ؟

يقول المؤلف ـ :

منـذ اليـوم الأول من اقامتنا بمدرسة الهندسـة الزراعية فى قرية « تونينشنتال » علمنا بوجود وفود عربية من سوريا ومن السـودان • وكانت فرحتنا عارمة بوجود الأشقاء من السودان ومن سوريا •• لكن لم نكد نلتقى بالوفد السودانى المكون من عشرة أعضاء ـ نصفهم مع رئيس الوفـد : شيوعيون ـ حتى تبخرت أكثر آمالنـا •• من أول لحظة نظـر رئيس الوفد الشيوعى السودانى الى الفلاحين المسـلمين نظرة طبقية •• وسمح لنفسه بتوزيع منشور يحمل عنـوان « وثيقة » ادانة هاجم فيه « الدين » تحت ستار مهاجمة الحكام •وكان أعجب شيء أن رئيس الوفد ـ الشاب الشيوعى ـ خفيف الرأس يتكلم معنـا ومع غيرنا كرئيس دولة وكان « رئيس الـدولة » هذا كما تكشـف لنا بعـد امتحـان طبيعته وهـز معـلوماته صـورة غـريبة من فهم المـاركسـية فهما صـوفيا « انجـذابيا » بنفـس مقـاييس دراويش « التعايشية » الذين يهاجمهم مع رفاقـه : صـورة يرى فيهـا أن المـاركسـية هى «الطريقة» وأن الحزب هو «القطب» المعصوم • وأن تعاليم الحزب هى « الأوراد » وأن أعضـاء الحزب هم « دراويش » المـاركسـية المنتظرون للجنة والنعيم هنا على الأرض جنة مليئة بالخمـر والنسـاء والسـيارات والمصايف والمأكولات والهرمونات والسـعادة المعلبة ؟؟ الخ ••

وهكـذا كـان رئيسـس الوفـد « السـودانى الشيوعى » الذى لا يعرف شيئا صادقا عن الاسـلام أو شيئا له قيمته عن الماركسية : كلما رجع من زيارة مدينـة أو قرية أو دكان يقول مفتخرا « لقد رأينـا أشياء عظيمة جـدا وأعجبنا بها » هـذا بينما كان المسـتوى الـدراسى للوفـد السـودانى فى مجموعه يتدهور يوما بعد يوم ؟ ؟

يقول المؤلف ـ :

فى الأيام الأولى وبكل الشوق ، الى أشقاء أعزاء : التقينا بأعضاءالوفد السورى ، ومن البداية وفى لون من اسـتعراض القـوة : تكلم أحـد المتفلسفين من أعضاء هذا الوفد • تكلم « منجعصا » على مقعده كأنه نصـف « امبراطور » ثم لم يلبث

عندما حمى الكلام — ان أخذ يقف ويقفز ويجلس فى مثل حركات راقصى « الدبكة » أو لاعبى « السيرك » وقد انتابه شبه هذيان هستيرى وهو يسأل — يسألنا نحن الفلاحين المسلمين القادمين من مصر — :

قال البعثى الفيلسوف :

ما هو الرباط بين الاشتراكية اذا كنتم أخذتم بها — وبين الدين ؟ وما هو المعنى لحركة « ثورة » ان لم تكن تغييرا للواقع ، واستئصالا لكل الماضى من جذوره ؟ أو لماذا — وهو المهم — لم تأخذ مصر بمنهج البعث الذى يجمع مع دعوة القومية خطا أيديولوجيا يتقدم به المجتمع على أساس غير دينى ؟

قلنا له — بكل هدوء ، انك مع الكلام الجميل قد تركت التعرض للقضية الأساسية التى تحمل لكل العرب جميع الاجابات عن كل الأسئلة ! ؟

فقال — وهو ينتفض فى مكانه ويقترب بمقعده : حدثونى اذن ما هى هذه القضية الأساسية ؟ وحملق فينا بعينيه كالممسوس أو الشارب ! ؟ قلت له : ان الحقيقة التى لايزال يطرحها علينا التاريخ المسجل : أن كلمة «عربى» لاتعنى مجرد الانتماء القومى للأمة المصرية وانما تعنى بجانب هذا الانتماء القومى التاريخى « نظرية شاملة » فى تفسير الحياة وبناء المجتمع ، وصياغة المستقبل ، وهى نظرية تنبع بطبيعتها فى عقل العربى وفكره ولغته : على أساس الدين وايمانا بحقائق الدين ! ؟

واذا كنتم (أيها البعثيون) تريدون اليوم ، ولأول مرة منذ آلاف السنين أن تفصلوا بنظريات (غير علمية) من كلمة (عربى) وما تدل عليه من احتوائها على نظرية شاملة للحياة وما بعد الحياة لها أساس دينى فقولوا لنا اذن : ماهو معنى كلمة « عربى » بمفهومكم البعثى أو بأى مفهوم آخر ؟

فاغمض الفيلسوف عينيه ... ثم فتحها .. ولم يتكلم !!

وقد حضر بعض الطلبة الألمان وشاهدوا هذا الحوار الساخن بين الأشقاء العرب ، وان كانوا بالطبع لم يفهموا منه كلمة واحدة ، وكأنما أدرك أحدهم فى لحظات الصمت والوجوم أننا وصلنا الى مرحلة

حرجة فأراد أن يجدد النشاط . فطلب من المترجم أن يسأل أعضاء الوفد المصرى هذا السؤال ـ :

هل صحيح أنكم تأكلون لحم الجمل ، وتحرمون لحم الخنزير ؟

وضحكنا كثيرا لهذه المفاجأة . وقال أحد أعضاء الوفد ـ ونحن نتهيأ للانصراف ـ : نعم نحن نفعل ذلك ، لأن هناك حكمة قديمة تقول ان طباع كل شعب تتحدد بطباع الحيوان الذى يأكله !؟ ولم يكد الحوار الساخن ينتهى بيننا وبين مجموعة الوفد السورى « البعثى » حتى كانت الأخبار . وربما كانت التسجيلات الصوتية الكاملة قد وصلت الى ادارة المدرسة « التى كنا نقيم فيها » .

وقد أصبح واضحا أن الفرسان الثلاثة من المترجمين العرب ـ الماركسيين بالضرورة ـ والذين اختارتهم ادارة المدرسة للقيام بالترجمة من العربية الى الألمانية والعكس ـ هؤلاء المترجمون العرب ـ اسما ـ الماركسيون الشيوعيون ـ حقيقة ـ كانوا عيونا مفتحة علينا تراقب أقوالنا وتحاول النفاذ الى أعماق أفكارنا من الداخل لتنقل الى المسئولين « الشيوعيين » صورة تقريبية لها !!

يقول المؤلف ـ :

كنت لا أثق شخصيا فى المترجم « على السودانى » الذى كان يتطوع بنشر الدعوة الى الالحاد ويناقش بوصفه مسلما « سابقا » فى بعض معانى آيات القرآن التى لم يكن يفهمها الا بالمقلوب .

وكثيرا ما كان وجهه يتورم حنقا عندما يوضع جهله بمعانى القرآن أمام مرآة صافية تعكس له هذا الجهل وتؤكد عجزه التام عن التطاول على القرآن أو على بنائه المتين وبيانه المبين !؟

أما المترجم السورى اسماعيل السراج ، فانه لم يكن ليمتنع ـ ومعه المترجمة السورية الشركسية « نيفين » عن تقديم المعلومات المتاحة عنا الى ادارة المدرسة بانتظام ونشاط ، فقد كان هذا واجبهما الأساسى ؟

وهكذا لم نستغرب ــ بعد لقائنا مع البعثيين السوريين ــ هذه الاشاعة التى تقول : لم لا تكون مصر قد أرسلت الينا عددا من المثقفين داخل الجلاليب كـ «بالون» أخبار ؟

لقد خرجت هذه الاشاعة وظلت تتحرك حتى وصلت الى عدد من المثقفين الماركسيين العرب الذين يدرسون فى جامعتى «مارتن لوثر» و« كارل ماركس»وكان من حظنا أن نعلم بوجود هذه الاشاعة ، وعندما توقعنا أن يكون رد الفعل « هجمة مباغتة » من بعض هؤلاء تأخذ شكل الزيارة الودية ؟

ولم يلبث هذا التوقع أن تحقق، لقد هبطوا كما يهبط المظليون المحترفون على قلعة حصينة لاقتحامها من الداخل . وبدأ الحوار وانهالت الأسئلة ولم يكن هذا الحوار ولا تلك الأسئلة الا هجوما على الدين وتقليلا من شأنه فى قلوب المؤمنين ! ؟

كانت القاعدة التى انطلقت منها هذه « الصواريخ » الصبيانية تركز أساسا على التهوين من شأن الدين، وأن الخلاف بين الدين والاشتراكية راسخ ومتين ، ومن نماذج هذه الأسئلة التى وجهها الماركسيون ــ:

اذا لم يكن التطبيق العربى للاشتراكية مرحلة من مراحل التحول السلمى الى الماركسية ،فلماذا هذه الحالة من عدم الوفاق بين الثورة وبين الجماعات التى تدعو الى الدين ؟

وهل تعتقدون حقا: أنه من الممكن تنظير الاسلام ليقف نظريا فى مواجهة الماركسية والرأسمالية ؟ ثم انفجر سؤال عثر عليه أحدهم فى «المخزن» فقال : لقد انتهت أوربا من قضية وجود « الله » فهل ترى أن العرب لا يزالون ــ مع الاشتراكية ــ يحتاجون الى وجود الله ! ؟

يقول المؤلف ــ :

قلت ــ وأنا أطيل النظر الى وجه السائل المتقع ــ :

هل تأذنون لى أن أسألكم سؤلا واحدا ؟ قالوا مرحبين :

نعم ، نعم ؟

قلت : ان المبدأ الأول فى الجدول الماركسى يؤكد أن هنـاك « تعلقا فعالا » بين أجزاء الواقع المختلفـة فالفرد ليس الا معنى مجردا ؛ لأنه ذو علاقة بالفعـل الذى تقـوم به الكائنات المحيطة به ، فهل لازلتم تعتقدون فى هذا المبدأ ؟

قال : نعم ، نعم ؟

قلت لهم : لاتعجبوا اذا قلت أن القرآن يقرر هـذا المبـدأ ، وأن العرب قبل الاسلام تحدثوا عن هذا المبدأ ، وعلينا الآن أن نجرب معـا تطبيقه على الانسـان الأوربى من حيث هذا « الحيز الحقيقى الذى يراه من العالم والواقع » أى عن المـادة وحركتها ، هذا الحيز الذى يعكس مثاليات المـادة عن طريق الحواس ،والمخ على فكر الانسان، هذا الحيـز المـادى الذى يشـبه « العينة » التى ينقلها العـالم الى معمله ليحللها ويستخرج القـوانين العلمية منها . أقول : ان الانسان الأوربى لايرى ــ فى الحقيقة ــ فى مثل مناخ أوربا المعتم القابض بالبرودة أكثر من « حيـز مادى » فاقـد الدلالة على أجزاء الواقع بفعالياتها مع نفسها ، وداخل نفس الانسان . ان أجزاء هذا الواقع ناقصة ومبهمة ومتباعدة فى المشهد الطبيعى المغلق الذى يراه الاوربى من حركة العالم؛ لهذا تضاربت أفكار فلاسفة أوربا أمثال «ديكارت وهيجل وماركس» لأن العينات التى فحصوها بالتفكير من أجل تفسير الوجود كانت ناقصة ، ومضللة ! ؟

ان « كارل ماركس » كان لا يرى أكثر ــ من غرفته التى يملأها دخان (غليونه) أو عشرات السنتيمترات خارج نافذته ،أو مدى رؤيته لموضع أقدامه ، وهو يسير فى الطريق منكس الرأس داخل معطفه ،بينما الانسان العربى الذى آمن بالله ــ كان ومنذ آلاف السنين ــ يعيش ويرى من خلال حركته المنتظمة والمندمجة فى الواقع والمعبرة عن الواقع : قطاعا كاملا من هذا الوجود المنسق ، يجمـع بين السماء والأرض ! ؟

لقد أتيح لهـذا الانسـان أن يعرف « الله » ويؤمن به وأن يسميه باسمه « الله » الذى لا يعنى لهذه الاشارة اليه فى الغيب أى تجسـيد

بشري ونحن العرب المسلمين لا نعترض على أفكار الشعوب ولا نعترض على « الماركسية » والرأسمالية » في بلادهم وانما نعترض على محاولات فرض ذلك علينا نحن المؤمنين بالله ورسوله ! ؟

ويقول الأستاذ أحمد موسى سالم:

كان التناقض الذى عمد الألمان « الشيوعيون » الى تفجيره بيننا وبين الأخوة السودانيين قد تهيأ له المناخ المناسب أخيرا لينفجر ، وكان ذلك ـ بالضبط ـ عندما أعد الاخوة السودانيين لندوتهم التى أقاموها بعد ندوتنا فى قرية « تاوندورف » القريبة من « هندروف » تميزت الندوة التى ساعد الألمان على اخراجها بالدعاية السوقية للماركسية، فتصدرت المنصة صور :لينين ،وماركس، واولبرخت رئيس « المانيا الشرقية » السابق وكأن السودان ـ كما أراد أن يظهره هؤلاء الأدعياء المجذبون ـ هو: رغم أنفه: عضو فى الكتلة الشرقية، وكانت فرصة لنا أن نسمع ـ فى كلمة رئيس الوفد السودانى ـ «سماريت» كل ما اتفقت عليه ـ ضد الاسلام ـ أراء الصابئة من الماركسيين العرب المختلى الشعور داخل مجتمعاتهم الباطنية، وفى دهاليزهم المعتمة، وراء حدود الوطن الأم عندما يحتضنهم الحزب الماركسى بوساوسه ! ؟

لقد بدأ « سماريت » هذيانه بالكلام عن موقع السودان جغرافيا وسط تسع دول ليضعف من انتمائه الطبيعى للأمة العربية ، وهاجم عندئذ مصر والمصريين ، والجيش المصرى ، ومن هذه النقطة قفز الرفيق « سماريت » وهو يتلوى كما يتلوى نسناس « الجابون » المعلق بفرع شجرة مهشم فى غابة الأكاذيب والأوهام ـ قفز الى قصة التخلف « الفظيع » الذى جلبه الاسلام على كل من الرجال والنساء فى السودان ، ولم يكن غريبا ! ؟ ـ وان كان اسفافا أن يظل هذا المعتوه المسخر فى حديث المظالم التى ألحقها الاسلام بالمرأة حين أصبح الرجال به « قوامون على النساء »

وحين لم يساوها بالرجل فى الميراث، ثم عندما زعم : أن بعض الرجعيين يتكلمون الآن فى الوطن العربى عن تحرير المرأة ، والحقيقة أنهم أعداؤها ـ أى أن التحرير فى نظره

انما هو تجرع العرب لدكتاتورية العمال ، وبروتوكولات ماركس التى أباحت له أن يسكر كل ليلة ، وأن يهت بعد ذلك بجسده ولونه على من تقع له ، أويقع لها ، من المتحررات الماركسيات الممزقات نفسيا وانسانيا بمقياس أى مجتمع حر ! ؟

كان من الحتم أن نتصدى له ، وان نداقع - رغم أنفه المتورم - عن الرجل السودانى والمرأة السودانية اللذين حملا السلاح فى وجه الاستعمار ، وشرحنا أمام الألمان كيف أن بين السودانيات كثيرات جدا من البطلات والشهيدات ، وأن تحميل الاسلام أوزار الاستعمار ليس الا تدليسا مخجلا ، بل هو جريمة يجب ألا تتورط فيها الماركسية ، والا يأخذها الألمان الماركسيون مأخذ الجد ؟

ومن أجل هذا ، وبعد احراج رئيس الوفد السودانى احراجا مهينا تلقيت الدعوة الى لقاء وندوة مع لجنة السيدات فى « تاوندورف » بكثير من الترحاب ، واعتبرنا أن هذا اللقاء الذى سيتم ولاشك بوصفنا مسلمين مع عدد من قيادات النساء الالمانيات بوصفهن ماركسيات سيتيح لنا القاء بعض الضوء على حقائق الموقف الانسانى الفريد الذى وقفه الاسلام من تأكيد مساواة المرأة انسانيا بالرجل مع تقديمها عليه فى الرعاية ، ومع اتاحة الحرية لها فى نفسها وقلبها ومالها فى حدود هذه الشريعة التى لا تزال قادرة على تجديد عطائها الانسانى للرجل والمرأة فى هذا العصر ؟

عندما وصلنا الى مكان الندوة أجلسونا على منصة مشرفة على القاعة ، وكان اخواننا من السودانيين الشيوعيين والاشتراكيين على جنب منا ينتظرون ما يكون ، بينما وقف المترجم السودانى الى جانبى ينتظر اطلاق القذيفة الأولى ليبدأ عمله الرسمى ؟

ولم تلبث الطلقة الأولى أن وصلت الينا تزغرد فوق رؤسنا من خندق النساء حاملة الينا هذا السؤال المصبوب فى أخبث قوالب الدهاء ! والسؤال هو - :

لماذا لم تحضروا زوجاتكم معكم؟

وكان الجواب ــ :

لقد كان من أحب شيء لنا ولزوجاتنا أن نصحبهن معنا الى بلادكم الجميلة ، ولكن موعد حضورنا صادف زراعة القمح المبكر فى بلادنا كثيرا عن بلادكم ،ونساؤنا لا يضيعن فرصة زراعة الأرض اذا غاب أزواجهن فى رحلة كهذه نقطعها الى بلادكم لنتعلم ! ؟

وقوبل هذا الاعتذار بالموافقة الجماعية من السيدات ودار الهمس والضحك والابتسام بينهن ، وجاء السؤال الثانى سريعا ــ :

هل صحيح أن الاسلام يحبس المرأة فى البيت أو يمنعها من التعليم والعمل ، ولا يسوى بينها وبين الرجل فى الميراث ؟

وقد أجاب المؤلف عن ذلك اجابة توضح موقف الاسلام من هذه القضية وكيف أعطى المرأة حقوقا لم تكن معروفة عند العرب ولا فى حضارة الرومان والهند أو فى أوربا عندما كان رجال الكنيسة يعتبرونها فاقدة الانسانية بالنسبة للرجل وتستحق اللعنة وأن الشيطان لا يظهر الا فى صورتها ! ؟

ثم شرح المؤلف الحكمة من تعدد الزوجات ،وانه حلال بشرط العدل والمساواة بين الزوجات وبين فضيلة هذا الأمر فى بناء الأمم وتقويتها والاسباب الداعية اليه من واقع الحياة ومشكلاتها الخ ، الخ .

وجاء سؤال من سيدة صغيرة السن فى لهجة أقرب الى التحدى :

قالت : هل لا يزال نظام الحريم سائدا فى مصر ؟

يقول المؤلف ــ :

فقلت : انه سائد الآن تماما فى أوربا تحت عنوان التحرر ووراء واجهات محلات بيع المتعة والشذوذ وأما الحريم الذى نسبه الأوربيون الى المسلمين ، فأصله أوربى وأن المسلمين لم يعرفوا «الحريم» الا على أيدى الشعوب الآرية التى دخلت فى الاسلام وفى جوفها كثير من معتقداتها الاباحية القديمة ! ؟

وقالت سائلة أخرى — :

أنتم لا تشربون الخمر فهل نساؤكم لا يشربنها أيضا ؟

قلت : اننى أكتفى بالرد على هذا السؤال بأن أنفى تهمة شرب الخمر عن نسائنا فى الريف وأن أكتفى فى ايضاح الأسباب بقول تشيكوف فى سياق قصته «الفلاحون» وهو يصف حالة الفلاح الروسى التعسة أيام القيصرية — :

« كان الفلاح الروسى يقاسى من الجوع والجهل والمرض والفودكا» !؟

* * *

اننى لا استعرض هذا الكتاب وانما أقوم بدور « المصور » الذى يلتقط صورة من هنا وصورة من هناك ليجعل من هذه الصور «صورة جديدة » يحدد ملامح هذه النظريات التى ابتلى بها المسلمون فى فترة حالكة من تاريخهم المعاصر .

فالشيوعيون عادة يلجأون الى التحايل والخداع (تكتيكيا) حين يصطدمون بجدار العقيدة الدينية التى تقف حجر عثرة فى طريق زحفهم الدموى الى السلطة ، ومن ثم ، يتظاهرون بالتدين — تظاهرا — من الظاهر فاذا ما خلا لهم الجو ، وسقطت الأقنعة الزائفة التى يتقنعون بها ظهروا على حقيقتهم البشعة ! أناسا تجردوا من القيم والفضائل ولم يكن «سماريت» الشيوعى السودانى الا نموذجا مشابها لهذا التضليل بالباطل

يقال هذا الكلام نفسه عن البعثيين الذين أتقنوا هذا الدور الذى يمثله الشيوعيون فى وقتنا الحاضر .. فهم هنا فى الوطن «الأم» يظهرون غير حقيقتهم الكامنة فى الباطن .. فاذا ما أتيحت الفرصة لاظهار خبيئتهم فعلوا ما فعله الشيوعيون من غير حياء وبدون ساتر ... ؟

والمأساة تكمن هنا فى انخداع الشعوب بالأشكال والمظاهر ، وفى استهوائها بمعسول القول وأفانين الحيل والتآمر ! ؟

ان الشيوعية تنحسر فى أقطارها انحسار المد فى الظلام الداهم ، و — البعث — تحول الى «موت» على أيدى الرفاق المتناحرين فى مختلف العواصم!

لقد زرت برلين الشرقية مرتين .. ولم أنس ذلك اليوم الذى ركبت فيه الطائرة من لندن ..قضيت ليلة فى برلين الغربية ، وفى الصباح توجهت قاصدا برلين الأخرى مرورا بالبوابة الشـهيرة وعبـورا للخيط الرفيق الفاصل بين المدينة الممزقة .. وعند نقطة الحراسة قدمت جواز سـفرى الى الجنود المقيمين بهذه النقطة .. كانوا خليطـا من الألمـان الغربيين والأمريكيين والفرنسـيين والانجليز قلت لهـم : انى متوجـه الى برلين الشرقية ... لم أكد أكمل عبارتى التى اسـتأذنتهم بها فى العبور الى الجانب الآخـر ، حتى قالوا جميعا وفى صوت واحد ، ودون النظر فى جواز السفر GO,GO اذهب اذهب ، ولو كانـوا مسلمين لقالوا : أنتم السابقون ،ونحن اللاحقون ،وانا لله وانا اليه راجعون !!

عبرت الخيط الفاصل بين الشرق والغرب ، وان شئت فقل : بين الحياة والموت ،وهل هى مبالغة منى؟لنرى أو لا : ماذا حدث فى أول لقاء مع الأصدقاء الشيوعيين ، أمسكوا جواز السفر ... نصف سـاعة كاملة ، يراجعون فيها الصفحات والكلمات :

تعجبت اننى مصرى ... والزعماء والقادة يتحدثون عن الصداقة المتينة والعلاقات الوثيقة بين برلين والقاهرة فاذا كانت هذه معاملة أبناء الشعوب الصديقة !؟ فكيف لو كنت قادما من من تونس أو السعودية !!

أخـذت الجـواز وانطلقت الى مكتب ثان ..

ماذا تحمل من كتب أو مطبوعات أو صحف .. نصف ساعة أخـرى فى «استجواب» نازى شيوعى ! ثم انطلقت الى مكتب ثالث ؟

ماذا تحـمل من نقـود ؟ مارك ألمانى «غربى» ؟ استرلينى ؟ دولار ؟

قلت : معى بعض الدولارات !؟

وبلوعـة الظـامىء المشرف على الموت قالت المرأة العجوز ـــ :

Giveme, Giveme,

أعطنى أعطنى ؟ ؟

وأعطيتها ما معى لاستبدالها بعملة رديئة لاوزن لها فى الجيب أو القلب !!

وانطلقت .. أبحث عن سيارة لم أجد .. مشيت وأخذت أمشى حتى تعبت ، سألت رجلا : أن يرشدنى الى سيارة تحملنى الى المطار قال.. هناك فى وسط المدينة يمكن أن تجد ما طلبت ، وبعد ساعة من المشى وجدت سيارة حملتنى الى المطار ، لقد كنت عائدا الى بيروت على متن « انترفلوج » .. ولم تكد السيارة تتحرك حتى توقفت أمام نقطة حراسة ونزلت ؟

أين جواز سفرك ؟فحصوا الجواز وانطلقت السيارة ؟ ثم توقفت أمام نقطة ثانية .. وثالثة .. الكل يسأل! عن جواز السفر .!

أخيرا .. وصلت الى المطار ، وأى مطار !؟ ان تسميته بالمطار فيه كثير من التجاوز .. سكة حديد القاهرة أجمل منه فى نظرى ألف مرة !؟

وللأمانة والحق . كان ذلك فى سنة ١٩٧٠ ربما يكون ذلك قد تغير فانى لم أره بعد ذلك .. ولم أفكر فى رؤيته أبدا !

أخذت مكانى فوق أحد المقاعد، مقاعد محطات السكة الحديد فى الريف لا القاهرة ! بحثت عن شىء آكله ، لا شىء .. بعد ساعة حضرت «عجوز» وأخذت مكانها فى كشك تبيع فيه الحلوى ..

اشتريت قطعة من « الشيكولاته» ولم تكد أن تلمس فمى حتى وضعتها على المقعد بجوارى .. كانت مرة .. وتسميتها ــ « الحلوى » من باب «عموم البلوى» !!

أهذه هى ألمانيا «الديمقراطية» الشعبية .. الشيوعية ؟ ألا فلتذهب الى الجحيم كل هذه الشعارات الزائفة ..

د . عبد الودود شلبى

باب الفتوى

للأستاذ محمود رسلان

تحديد بدء الصيام

السؤال

هل يمكن الاعتماد فى بدء الصيام وانتهائه على حساب الفلكيين ؟ فيتوحد بدء الصيام وانتهاؤه فى الأقطار الاسلامية ؟ مع العلم بأن الحساب يفيد العلم القطعى بأوائل الشهور العربية ، ويمنع الخلاف الذى يثار بين البلاد العربية بسبب اختلاف الرؤية ؟

الجواب

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على أشرف المرسلين سيدنا محمد وعلى آله وصحبه ومن اتبعهم باحسان الى يوم الدين .

أما بعد : فقد اطلعت اللجنة على هذا الاقتراح ، وتفيد بأنها تقدر لصاحب الاقتراح الغرض النبيل الذى يرمى اليه بمقترحه . ولكنها ترى أن التعويل على الحساب فى اثبات بدء الشهر ونهايته لا يحقق الغرض المقصود الذى ينشده لأن الحساب مرتبط بمطلع القمر ، ومطالع القمر تختلف باختلاف الأقطار .

فاذا كانت الأقطار تختلف فى الرؤية بسبب اختلاف المطالع ، فكذلك الحساب يختلف هذا الاختلاف لارتباطه بالمطالع . فلا يتحقق المعنى المقصود بالتعويل على الحساب كما يقترحه حضرة السائل .

واللجنة ترى أن اعتماد الرؤية على الوجه الذى اتفق عليه جمهور الفقهاء وأئمة المذاهب هو طريق يتحقق به المقصود من توحيد المسلمين فى الصوم والافطار .

وان هذا الذى اتفق عليه الجمهور هو ما يفيده حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم الوارد فى الرؤية . أما الوجه المشار اليه فهو أن القول

الصحيح الراجح فى مذاهب الحنفية والمالكية والحنابلة أنه اذا ثبتت رؤية الهلال فى اقليم وجب على أهل الأقاليم الأخرى أن يعملوا بها فى صومهم وافطارهم متى بلغهم نبأ ثبوتها من طريق موثوق به •

وهذا هو ما نشرح به كتب هذه المذاهب •

أما الحديث فقد رواه البخارى ومسلم وأصحاب السنن ، وهو قول الرسول صلى الله عليه وسلم :

«صوموا لرؤيته وأفطروا لرؤيته» • وهو خطاب عام يوجب على جميع المسلمين أن يصوموا اذا تحققت رؤية الهلال فى قطر يعتبر ثبوتا له بالنظر الى جميع الأقطار ، فانه ليس المعنى أن وجوب الصوم يتوقف على رؤية كل من يجب عليه — وانما المعنى — كما قلنا — أنه يجب الصوم على جميع المسلمين متى تحققت الرؤية ولو من بعضهم •

واذا كان الحال كذلك ، فان الطريق لتوحيد وقت الصوم فى جميع الأقطار أن يبلغ أهل القطر الذى ثبتت فيه الرؤية سائر الأقطار ، فيجب عليهم جميعا أن يصوموا بناء على هذا التبليغ •

هذا مع ملاحظة أن الرؤية التى يناط بها حكم الصوم والفطر كما تكون بالعين المجردة تكون بواسطة ما جد من الوسائل العلمية الحديثة •

وتوافر وسائل الرؤية هذه مع الوسائل الحديثة لتبليغ الأنباء الى الأقطار المتباعدة يسهل أمر تبليغ الرؤية من أى قطر الى سائر الأقطار •

وبهذا علم الجواب والله أعلم •

أنظر الجزء التاسع من مجلة الأزهر غرة رمضان سنة١٣٧٢هالمجلد الرابع والعشرون ص ١١٠١ ، ١١٠٢

السؤال

ما حكم صيام أهل القطبين ؟ وكيف يصومون رمضان اذا كانت السنة نصفها نهارا ونصفها ليلا ؟ •

الجواب

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على أشرف المرسلين سيدنا

محمد وعلى آله وصحبه أجمعين أما بعد :

فقد فرض الله على المؤمنين صوم شهر هلالى من السنة ، وبين أنه شهر رمضان وقال عليه الصلاة والسلام : الشهر هكذا وهكذا وأشار بأصبعه العشر وحبس الابهام فى الثالثة » وهذا يدل على أن الشهر اما ثلاثون يوما أو تسعة وعشرون يوما ، ولاريب أن بيان الشهر فى السنة على هذا الوجه الذى عرف وتناقله الناس جيلا بعد جيل انما كان بما يناسب حال البلاد المعتدلة التى تتجلى أوقاتها المحددة فى اليوم والليلة ، ويتجلى رمضانها فى السنة وهى القسم الأعظم من الكرة الأرضية .

ولم يكن معروفا للناس فى وقت التشريع أن فى الكرة الأرضية جهات تكون السنة فيها يوما وليلة نصفها نهار ونصفها ليل، وجهات أخرى يطول نهارها حتى لايكون ليلها ألا جزءا يسيرا ويطول ليلها حتى لايكون نهارها الا جزءا يسيرا .

فرض يجب استبعاده

ولاريب أن الجرى فى هذه الجهات على بيان الأوقات الذى عرف للصلاة والصوم يؤدى الى أن يصلى المسلم فى يومه وليلته وهو « سنة كاملة » خمس صلوات فقط موزعة على خمس أوقات من السنة كلها ، ويؤدى كذلك فى بعض الجهات الى أن تكون الصلوات المفروضة أربعا أو أقل على حسب طول النهار وقصره وكذلك يؤدى الى أن يكلف المسلم فى تلك الجهات صوم رمضان ولا رمضان عنده ، وفى بعضها يؤدى الى صوم ثلاث وعشرين ساعة من أربع وعشرين ساعة وكل هذا تكليف تأباه الحكمة من أحكم الحاكمين والرحمة من أرحم الراحمين .

واذن يجب استبعاد هذا الفرض .

هل يمكن اعفاء أهل القطبين من الصلاة والصوم ؟

ويدور أمر هذه الأقاليم بعد ذلك بين فرضين أخريين لاثالث لهما :أما اعفاؤهم — كما ذهب اليه بعض الناظرين — من الصلاة والصوم ؛ لعدم الوقت وعدم القدرة والامكان

وعدم الفائدة المرجوة من التكليف، وهو فيما نرى فرض يأباه عموم النصوص التى جاءت بتكليف الصلاة ، فالصوم لجميع المؤمنين دون فرق بين قطر وقطر .

مواقيتهم حسب أقرب البلاد المعتدلة اليهم :

واذن لا يبقى طريقا لقيامهم بواجبهم الدينى على وجه مقدورلهم ميسور ومحقق للفائدة المرجوة من التكليف ، سوى أن يقدروا أيامهم ولياليهم وأشهرهم بحساب أوقات أقرب البلاد المعتدلة اليهم ، أى حساب البلاد القريبة منهم التى تتميز فيها الأوقات ويتسع كل من ليلها ونهارها لما فرض من صوم وصلاة على الوجه الذى يحقق حكمة التكليف دون مشقة أو ارهاق .

ولاريب أن أهل هذه الجهات لابد أن يكونوا قد اتخذوا طريقا لتقدير الأيام والأشهر فيما يختص بحياتهم العامة من أعمال وعقود .

واذن فمن السهل أن يتخذوا فى تحديد أوقات عبادتهم ماعرف فى أقرب البلاد المعتدلة اليهم . وبهذا يستطيعون أداء فروضهم الدينية من صلاة وصوم على وجه محدد كامل لاعسر فيه ولاارهاق : « يريد الله بكم اليسر ولا يريد بكم العسر ولتكملوا العدة ولتكبروا الله على ما هداكم ولعلكم تشكرون » والله أعلم .

انظر الشيخ محمود شلتوت كتاب الفتاوى ص ١٣٢ ـ ١٣٤ .

السؤال

ما حكم من مات وعليه قضاء رمضان أو بعضه ؟ .

الجواب

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على المبعوث رحمة للعالمين وبعد : فى هذه الحالة أمران : الأمر الأول : أن يكون معذورا فى تفويت الأداء ودام عذره الى الموت كمن اتصل مرضه أو سفره أو اغماؤه ، أو حيضها أو نفاسها أو حملها أو ارضاعها ونحو ذلك بالموت لم يجب شىء على ورثته ولا فى تركته لاصيام

ولا اطعام وهذا لاخلاف فيه عندنا (أى الشافعية) •

الأمر الثانى : أن يتمكن من قضائه سواء فاته بعذر أم بغيره ، ولا يقضيه حتى يموت ، ففيه قولان مشهوران : (أشهرهما وأصحهما) عند المصنف والجمهور •• أنه يجب فى تركته لكل يوم مد من طعام ولا يصح صيام وليه عنه ، قال القاضى أبو الطيب فى المجرد : هذا هو المنصوص للشافعى فى كتبه الجديدة وأكثر القديمة •

والثانى : وهو القديم : وهو الصحيح عند جماعة من محققى أصحابنا وهو المختار ، أنه يجوز لوليه أن يصوم عنه ويصح ذلك ويجزئه عن الاطعام وتبرأ به ذمة الميت ، ولكن لا يلزم الولى الصوم بل هو الى خيرته ، فاذا قلنا بالقديم فأمر الولى أجنبيا فصام عن الميت بأجرة أو بغيرها جاز بلا خلاف كالحج ولوصام الأجنبى مستقلا به من غيراذن الولى فوجهانمشهوران: أصحهما : لايجزئه ••• وقال صاحب الحاوى : مذهب الشافعى فى القديم والجديد أنه يطعم عنه ، ولا يصام عنه وقيل فى القديم يصوم عنه وليه ، وتأولوا الحديث الوارد : « من مات وعليه صوم صام عنه وليه » ان صح على أن المراد الاطعام أى يفعل عنه ما يقوم مقام الصيام وهو الاطعام ، وفرقوا بينه وبين الحج بأن الحج تدخله النيابة فى الحياة ولا تدخل الصوم النيابة فى الحياة بلا خلاف هذا هو المشهور عند الأصحاب •

القول الثانى : وهو القديم أنه يجوز لوليه أن يصوم عنه ولايلزمه ذلك ، وعلى هذا القول لو أطعم عنه جاز ، فهو على القديم مخير بين الصيام والاطعام واستدلوا له بالأحاديث الصحيحة منها ، حديث عائشة عن النبى صلى الله عليه وسلم «من مات وعليه صيام صام عنه وليه» رواه البخارى ومسلم •

وعن ابن عباس قال : « جاء رجل الى النبى صلى الله عليه وسلم فقال : يارسول اللهانأمىماتت وعليهاصوم شهر أفأقضيه عنها ؟ فقال : لو كان

على أمك دين أكنت قاضيه عنها؟ قال : نعم ، قال : فدين الله أحق أن يقضى » •

وعن ابن عباس أيضا قال :«جاءت امرأة الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالت : يارسول الله ان أمى ماتت وعليها صوم نذر ، فأصوم عنها ؟ قال : أفرأيت لو كان على أمك دين فقضيتيه أكان يؤدى ذلك عنها؟ قالت : نعم ، قال : فصومى عن أمك » رواه مسلم ورواه البخارى بمعناه •

وعن بريدة قال : « بينا أنا جالس عند النبى صلى الله عليه وسلم اذ أتته امرأة فقالت : يارسول الله انى تصدقت على أمى بجارية وانها ماتت فقال : وجب أجرك وردها عليك الميراث قالت : يارسول الله انه كان عليها صوم شهر أفأصوم عنها ؟ قال : صومى عنها ، قالت انها لم تحج قط أفأحج عنها ؟ قال:حجى عنها » رواه مسلم •

وعن ابن عباس « أن امرأة ركبت البحر فنذرت ان الله نجاها أن تصوم شهرا فنجاها الله سبحانه وتعالى فلم تصم حتى ماتت فجاءت بنتها أو أختها الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فأمرها أن تصوم عنها » رواه أبو داود وغيره باسناد صحيح رجاله رجال الصحيحين والله أعلم •

انظر المجموع ج ٦ ص ٣٣٨ — ٣٣٩ ــ للأستاذ محمد نجيب المطيعى •

محمود محمد رسلان

ليس فى القرآن الكريم أمر واجب على الانسان أكثر من واجب العقل والتفكير ، وليس فيه نعى على قوم اشد من النعى على الذين لا يعقلون ولا يتفكرون •• فرعاية الضرورات نص صريح ، والأمر بالتعقل والتفكير نص صريح ، ومن قال بغير ذلك فهو الذى يجتهد برأى من عندم يخالف صريح النصوص ••

حقائق الاسلام وأباطيل خصومه .

أخبار العالم الإسلامى

للأستاذ ابراهيم حامد النويهى

مصر

● يبدأ انعقاد المؤتمر الثامن لمجمع البحوث الاسلامية بالأزهر فى الثانى من ذى القعدة ١٣٩٧هـ الموافق ١٥ من أكتوبر ١٩٧٧ م .

وسيكون انعقاد المؤتمر على فترتين :

الأولى لمدة أسبوع وتبدأ من تاريخ انعقاد المؤتمر ..

والثانية لمدة ثلاثة أسابيع وتبدأ بعد انتهاء الفترة الأولى ..

يحضر المؤتمر وفود من كبار العلماء والمفكرين الاسلاميين الذين يمثلون حوالى ٥٠ دولة من مختلف أنحاء العالم .

وتدور بحوث العلماء فى هذا المؤتمر حول الاسلام وقضايا العصر من النواحى التشريعية والعقدية والاجتماعية .

ويتناول المؤتمر فى اجتماعاته مناقشة كثير من المشكلات والقضايا الاسلامية المعاصرة التى تتعلق بالحدود والمعاملات والعقيدة والتيارات المنحرفة ووسائل الاعلام والتربية وذلك كله فى ضوء الاسلام .

● التقت الهيئات والجمعيات الاسلامية فى مؤتمرهم الأول الذى عقد بالقاهرة مؤخرا تحت رعاية فضيلة الامام الأكبر الدكتور عبد الحليم محمود شيخ الأزهر، وبرياسة صاحب الفضيلة الأستاذ الكبير الشيخ حسنين محمد مخلوف المفتى الأسبق لمصر .

وشهده فضيلة الشيخ محمد متولى الشعراوى وزير الأوقاف ووزير الدولة لشئون الأزهر .

واستمع أعضاء المؤتمر الذى حضره ممثلون عن ١٦ جمعية وهيئة اسلامية الى البحوث العلمية المقدمة

من بعض الاعضاء فى تطبيق أحكام الشريعة الاسلامية ، وبعد الدراسة والمناقشة أصدر المؤتمر القررات الآتية :

١ ـ كل تشريع أو حكم يخالف ما جاء به الاسلام يقع باطلا ، ويجب على المسلمين رده والاحتكام الى شريعة الله ، التى لا يتحقق ايمانهم الا بالاحتكام اليها .

٢ ـ الأمر بتطبيق الشريعة الاسلامية نزل به الوحى الالهى ، فليس لأحد أن يبدى رأيا فى وجوب ذلك ، ولا تقبل مشورة بالتمهل أو التدرج أو التأجيل فى تنفيذه .

٣ ـ التسويف فى اقرار القوانين الاسلامية معصية الله ورسوله واتباع لغير سبيل المؤمنين ، وخروج على اجماعهم ومضيعة لمصالح الأمة جمعاء وعلى الهيئة التشريعية أن تبرىء ذمتها أمام الله والناس بسرعة اقرار مشروعات القوانين الاسلامية المقدمة اليها .

٤ ـ تطبيق الشريعة الاسلامية هو الحل الوحيد لجميع مشاكل الأمة اقتصاديا واجتماعيا وسياسيا وعسكريا وعلميا وثقافيا .

٥ ـ تطبيق الشريعة الاسلامية خير ضمان للوحدة الوطنية .

٦ ـ ينظر المؤتمر بعين التقدير والأمل الى ما صرح به السيد رئيس الجمهورية من عزمه على تطهير أجهزة الاعلام من الملحدين ، ويناشد سرعة تنفيذ هذا فى كل مراكز التوجيه والتربية ومواقع التأثير فى مرافق الدولة حرصا على سلامة الأمة وقوة بنيانها .

٧ ـ يناشد المؤتمر السيد رئيس الجمهورية اصدار أوامره بتطهير وسائل الاعلام من الموبقات الأخلاقية التى تحرج صدور المؤمنين وتستهين وتتجرأ على حدود الله وتدمير كيان الأمة .

٨ ـ يناشد المؤتمر السيد رئيس الجمهورية أن يراعى عند الترشيح للمناصب القيادية فى الدولة اختيار المعروفين بالخلق والدين .

٩ - يقرر المؤتمر وجوب تربية النشء فى جميع مراحل التعليم الى نهاية الدراسة الجامعية تربية دينية تكون الضمير الدينى ، وتغرس فى نفوسهم مكارم الأخلاق ، وتكسبهم الصلابة ضد كل زيغ أو انحراف، ليكون الشباب مسلما فى جوهره ومظهره .

١٠ - يجب ادراج حفظة القرآن من الفئات المستثناة من شرط المجموع عند الالتحاق بالجامعات والمعاهد العليا ودور التعليم المختلفة، كما يجب معاملة حفظة القرآن الكريم من المجندين معاملة حملة المؤهلات.

١١ - يوصى المؤتمر بتقوية محطة اذاعة القرآن الكريم حتى تغطى أنحاءالعالم ، مع النهوض بها وتحويلها الى اذاعة جامعة .

١٢ - تكون اللجنة التنفيذية للمؤتمر فى حالة انعقاد دائم لمتابعة الجهود فى تنفيذ هذه القرارات التى تعبر عن اجماع الأمة على ضرورة تطبيق الشريعة الاسلامية ، وتدعو الهيئات والجماعات المشتركة فى المؤتمر الى الاجتماع كلما دعت الضرورة الى هذا .

● تهتم مشيخة الأزهر هذه الأيام بصفة خاصة بالدعوة ومناهج الدراسة ، وقد أصدر فضيلة الامام الأكبر الدكتور عبد الحليم محمود شيخ الازهر قرارا بتشكيل لجان متخصصة لذلك .

وتعمل اللجان الآن لتقديم دراساتها ومقترحاتها بشأن النهوض بالدعوة وتقويم مناهج الدراسة بالمعاهد الأزهرية لمعرفةمدى ملاءمتها من حيث الكم والكيف للطلاب ، وذلك للنهوض بالتعليم وفق مبادىء الشريعة الاسلامية .

● أصدر فضيلة الشيخ محمد متولى الشعراوى وزير الأوقاف ووزير الدولة لشئون الأزهر قرارا بتعيين فضيلة الدكتور عبد المنعم النمر وكيل وزارة لشئون المعاهد الأزهرية ..

وندعوا الله له بالتوفيق والسداد .

السعودية

● تبرعت رابطة العالم بعشرة آلاف دولار سنويا للجمعية الجديدة

التى تم تشكيلها من المسلمين الجدد فى سراواك •

كماتبرع معالى الشيخ محمد على الحركان أمين عام رابطة العالم الاسلامى للجمعية المذكورة بصفة شخصية بمبلغ الفى دولار ••

● وقع معالى الشيخ عبدالوهاب عبد الواسع وزير الحج والأوقاف مع احدى الشركات الوطنية عقدا بمبلغ ١٥ مليون ريال لفرش الحرم المكى بالسجاد خلال ثمانية أشهر من تاريخ العقد ••

● بلغ عدد المبعوثين من جامعة الرياض الى بلاد مختلفة للحصول على درجتى الماجستير والدكتوراه ٤٥٠ مبعوثا منهم ٣٥٠ فى أمريكا و ١٠٠ فى أوربا ومصر واليابان ••

الكويت

● زار وفد من طلبة كلية الشريعة بجامعة الكويت مقر رابطة العالم الاسلامى ، واجتمع بمعالى الأمين العام للرابطة الشيخ محمد على الحركان ، وتحدث معاليه اليهم عن دور الشباب المسلم فى هذا العصر وواجباته تجاه دينه وأمته وحياته••

اليابان

●أشهر تسعة من اليابانيين اسلامهم على يد فضيلة الشيخ محمد على الحركان أمين عام رابطة العالم الاسلامى ، وذلك بمسجد العاصمة طوكيو ••

ماليزيا

● أشهر حاكم مقاطعة سيراواك الجديدة بماليزيا اسلامه هو وعائلته وعدد كبير من مواطنى المقاطعة يزيد على ألفى شخص ، وقد أقيم — بهذه المناسبة — حفل كبير حضره كبار علماء الدين ورئيس سيراواك•

والأزهر يهنىء حاكم المقاطعة والاخوة الذين أسلموا ويدعو لهم بدوام التوفيق والسداد فى نور الاسلام وفى ظل كتابه الكريم وهدى نبيه الأمين •

● أقام مركز الدراسات الاسلامية بكلنتن بماليزيا احتفالا بمرور عشر سنوات على انشائه •

وحضره وفود من العلماء والمفكرين من مختلف دول العالم ومثل الأزهر فيه فضيلة الدكتور عبد الجليل

شلبى الأمين العام لمجمع البحوث الاسلامية ، وفضيلة الدكتور عبدالودود شلبى مدير مجلة الأزهر.

باكستان

● أصدرت باكستان قانونا منعت بموجبه كل أنواع المسكرات التى كانت تمارس فى البلاد طوال السنوات السابقة وذلك استجابة لطلب الشعب الباكستانى المسلم بتحريم المسكرات ولعب الميسر ..

واننا ندعو الله العلى القدير أن يوفق العالم الاسلامى كله الى اتخاذ مثل هذه الخطوة بتحريم هذه المنكرات ليستقيم أمر المسلمين دينيا واقتصاديا واجتماعيا ..

لندن

● عقد فى لندن مؤخرا المؤتمر الاقتصادى للدول الاسلامية الذى نظمه المجلس الاسلامى الأوربى ..

وافتتح المؤتمر فضيلة الامام الأكبر الدكتور عبد الحليم محمود شيخ الأزهر.

وحضره فضيلة الشيخ محمد متولى الشعراوى وزير الأوقاف ووزير الدولة لشئون الأزهر كما حضره وفود من مختلف دول العالم.

وقد بحث المؤتمر خلال جلساته التى استمرت ستة أيام كثيرا من القضايا المعاصرة التى تواجه تطورات الدول الاسلامية، والمتعلقة بمستقبل النظام الاقتصادى فى العالم الاسلامى.

ابراهيم حامد النويهى

حق الامام :

الامام فى الاسلام هو وكيل الأمة فى اقامة حدود الله. فحقه مرادف لحق الأمة ما قام بهذه الأمانة . لأنه يتولى الامامة لايتاء كل ذى حق حقه ، ويملك الأمر وتجب له الطاعة فيما تدعو مصلحة الأمة فيه الى تشريع جديد وطاعة مقرونة بطاعة الله ورسوله :

«أطيعوا الله واطيعوا الرسول وأولى الأمر منكم» سورة النساء ... وليس للامام أن يعطل حدا من حدود الله ، وليس له أن يقيم حدا منها فى غير موضعه ...

حقائق الاسلام وأباطيل خصومه

كتاب الشهر:

غزوة بدر الكبرى

المعركة الحاسمة الأولى للإسلام

اللواء الركن: محمود شيت خطاب

الموقف العام

بسم الله الرحمن الرحيم

١ ـ المسلمون :

ازداد عدد المسلمين فى المدينة المنورة وازدادوا قوة وتماسكا ، ولكن حالتهم الاقتصادية كانت متردية ، لأن أكثر المهاجرين فروا بأنفسهم وعقيدتهم من مكة المكرمة، وتركوا أموالهم هناك، ولأن الأنصار شاركوا المهاجرين فى أرزاقهم القليلة، فلا عجب اذا رأينا المسلمين يفكرون جديا فى استخلاص أموالهم من قريش •

٢ ـ المشركون ويهود والمنافقون :

أصبح للمشركين ثأر عند المسلمين فى قتل عمرو بن الحضرمى ، فلابد من الأخذ بهذا الثأر حتى تعود لقريش وحلفائها كرامتهم وهيبتهم عند العرب •

كما أن الطريق التجارية الحيوية بين الشام ومكة أصبحت تحت رحمة المسلمين وحلفائهم ، ومعنى ذلك موت تجارة قريش وتردى مركزها الاقتصادى ، كما أن انتشار نفوذ المسلمين وازدياد قوتهم يوما بعد يوم ، لا يتفق مع احتكار قريش للسيادة على العرب •

تلك هى العوامل المهمة التى جعلت قريشا تفكر جديا فى انتهاز أول فرصة للقضاء على الدين الجديد • وكان يهود فى المدينة يثيرون الحرب الباردة على المسلمين ويحاولون خلق المشاكل لهم ويقومون بواجب (الرتل الخامس) لقريش على المسلمين ، ويحرضون أعداء المسلمين على المسلمين ، ويعاونهم بصورة مباشرة وغير مباشرة المنافقون فى الحرب الباردة وخلق المشاكل والتجسس •

قوات الطرفين

١ ـ المسلمون :

بلغت قوة المسلمين (٣٠٥) رجلا من المهاجرين والأنصار بقيادة الرسول صلى الله عليه وسلم، وكان

معهم فرسان فقط وسبعون بعيرا يتعاقب الرجلان والثلاثة والأربعة على البعير الواحد •

٢ ـ المشركون :

بلغت قوة المشركين (٩٥٠) رجلا أكثرهم من قريش ، معهم مائتا فرس يقودونها وعدد كبير من الابل لركوبهم وحمل أمتعتهم ، وكانت هذه القوة بقيادة عدد من رجالات قريش •

أهداف الطرفين

١ ـ المسلمون :

(أ) الاستيلاء على القافلة التجارية لقريش بقيادة أبى سفيان ابن حرب التى كان يحميها حرس بين ثلاثين الى أربعين رجلا •

(ب) البقاء فى (بدر) بعد افلات القافلة حتى يتسامع المشركون بقوة المسلمين فيهابوهم ويتركوا لهم حرية نشر الدعوة لدينهم •

٢ ـ المشركون :

(أ) حماية القافلة التجارية القادمة من الشام •

(ب) عند افلات القافلة تضاربت الآراء فى قتال المسلمين أو العودة، فتغلب رأى القائلين بالقتال ، للأخذ بثأر عمرو بن الحضرمى ، وللقضاء على قوات المسلمين، ولتعرف العرب قوة قريش وسطوتها ، ولتضع حدا لتهديد المسلمين طريق الشام ـ مكة التجارية •

قبل المعركة

١ ـ المسلمون :

(أ) خرج أبو سفيان بن حرب فى أوائل الخريف من السنة الثانية الهجرية فى تجارة كبيرة الى الشام، وقد أراد المسلمون اعتراضها فى غزوة (العشيرة) عند ذهابها الى الشام ، ولكنها تملصت منهم •

وتحين المسلمون عودتها من الشام ، فبعث الرسول صلى الله عليه وسلم طلحة بن عبيد الله وسعيد ابن زيد ينتظرانها ، حتى اذا وصلا (الحوراء) على طريق الشام ـ مكة مكثا هناك ، فلما مرت القافلة بهم ، أسرعا الى المسلمين يخبران النبى صلى الله عليه وسلم بأمرها •

ندب الرسول صلى الله عليه وسلم المسلمين للخروج ، وقال لهم : « هذه عير قريش فاخرجوا اليها لعل الله ينفلكموها » .

وخف قسم من الناس وثقل قسم منهم ، لأنهم لم يظنوا أن الرسول صلى الله عليه وسلم سيخوض معركة حاسمة على المشركين ، بل ظنوا أن الغزوة ستكون عبارة عن مناوشات طفيفة ، كما حدث فى السرايا والغزوات السابقة . وأراد جماعة لم يسلموا أن ينضموا الى المسلمين طمعا فى الغنيمة ، فأبى النبى صلى الله عليه وسلم هذا الانضمام أو يؤمنوا بالله ورسوله .

(ب) تحركت قوات المسلمين فى المدينة المنورة لثمان خلون من شهر رمضان فى السنة الثانية الهجرية بالترتيبات التالية :

أولا : دورية استطلاعية أمامية للحصول على المعلومات عن اتجاهات القافلة التجارية ونيات قريش .

ثانيا : القسم الأكبر مؤلف من كتيبتين : كتيبة المهاجرين ورايتها مع على بن أبى طالب وعمير بن هاشم ، وكتيبة الأنصار ورايتها مع سعد بن معاذ ، وهاتان الرايتان سوداوان .

ثالثا : مؤخرة بامرة قيس بن صعصعة .

رابعا : راية المسلمين العامة بيضاء مع مصعب بن عمير بن هاشم .

(جـ) سلكت قوات المسلمين طريق القوافل بين المدينة و (بدر) البالغ طوله حوالى (١٦٠) كيلو مترا ، وقد قسم الرسول صلى الله عليه وسلم الابل المتيسرة وعددها سبعون بعيرا على أصحابه ، وكان من نصيبه مع على بن أبى طالب ومرثد بن أبى مرثد الغنوى بعير واحد يتعاقبونه تماما كما يفعل أى فرد من قواته .

قال شريكا الرسول صلى الله عليه وسلم فى البعير : «نحن نمشى عنك» فقال : « ما أنتما بأقوى منى ، ولا أنا بأغنى عن الأجر منكما » ، وأراد بذلك المساواة مع أى فرد فى قواته

(د) انطلق المسلمون مسرعين خوفا من افلات قافلة أبى سفيان بن

حرب منهم ، وبثوا عيونهم يتعرفون الأخبار ، فلما وصلوا قريبا من (الصفراء) بعث الرسول صلى الله عليه وسلم دورية استطلاعية قوتها رجلان الى (بدر) للحصول على المعلومات عن قريش وقافلتها ، فلما وصل المسلمون (وادى ذفران) جاءهم الخبر بخروج قريش من مكة لنجدة قافلتهم .

(هـ) أخبر الرسول صلى الله عليه وسلم أصحابه بما بلغه من أمر قريش طالبا مشورتهم ، فأدلى أبو بكر وعمر رضى الله عنهما برأييهما ، ثم قام المقداد بن عمرو رضى الله عنه فقال: « يا رسول الله لا نقول اذهب أنت وربك فقاتلا انا هاهنا قاعدون، ولكن اذهب أنت وربك فقاتلا انا معكما مقاتلون ، فو الذى بعثك بالحق لو سرت بنا الى (برك الغماد) لجالدنا معك من دونه حتى تبلغه » .

وسكت الناس فقال الرسول صلى الله عليه وسلم : « أشيروا على أيها الناس » ، وكان يريد بكلمته هذه الأنصار الذين بايعوه يوم (العقبة) على أن يمنعوه مما يمنعون منه أبناءهم ونساءهم ولم يبايعوه على صد اعتداء خارج مدينتهم ، فكان الرسول صلى الله عليه وسلم يخشى ألا تكون الأنصار ترى عليها نصرة الا ممن يهاجمه فى المدينة المنورة .

فلما أحس الأنصار أن الرسول صلى الله عليه وسلم يريد سماع رأيهم ، قام سعد بن معاذ وقال : « لكأنك تريدنا يا رسول الله » ؟ فقال : « أجل » !

قال سعد : « لقد آمنا بك وصدقناك وشهدنا أن ما جئت به هو الحق ، وأعطيناك على ذلك عهودنا ومواثيقنا على السمع والطاعة ، فامض لما أردت فنحن معك ، فوالذى بعثك لو استعرضت بنا هذا البحر فخضته لخضناه معك ماتخلف منا رجل واحد ، وما نكره أن تلقى بنا عدونا غدا : انا لصبر فى الحرب صدق فى اللقاء ، لعل الله يريك منا ما تقر به عينك ، فسر بنا على بركة الله » .

وارتحلوا جميعا حتى اذا كانوا على مقربة من (بدر) انطلق الرسول

صلى الله عليه وسلم أمام قواته وبصحبته أبو بكر الصديق رضى الله عنه ، حتى وقف على شيخ من العرب فسأله عن قريش وعن محمد وأصحابه وما بلغه عنهم، قال الشيخ: « لا أخبركما حتى تخبرانى : ممن أنتما » ؟

قال النبى صلى الله عليه وسلم : « اذا أخبرتنا أخبرناك » .

علم الرسول صلى الله عليه وسلم من شيخ العرب هذا ، أن عير قريش قريبة منه ، فقال لشيخ العرب : «نحن من ماء» ، ثم انصرف وصاحبه عنه والشيخ يقول : « ما من ماء ؟ أمن ماء العراق » ؟ وهكذا لم يخبره الرسول صلى الله عليه وسلم عن هويته حتى لا تعلم قريش بمواضع المسلمين .

(و) أرسل الرسول صلى الله عليه وسلم دوريتى استطلاع غرضهما الحصول على معلومات عن قوة قريش ومواضعها .

الدورية الأولى مؤلفة من على بن أبى طالب والزبير بن العوام وسعد ابن أبى وقاص رضى الله عنهم فى نفر من أصحابه ، استطاعت الوصول الى ماء (بدر) ، وعادت ومعها غلامان لقريش ، فاستنطقهما الرسول صلى الله عليه وسلم ، وعلم منهما أن قريشا وراء الكثيب (بالعدوة القصوى) ولما أجابا : « بأنهما لا يعرفان عدد رجال قريش » ، سألهما : « كم ينحرون يوميا » ؟ فأجابا : « يوما تسعا ويوما عشرا » ، فاستنبط الرسول صلى الله عليه وسلم من ذلك أنهم بين التسعمائة والألف ، وعرف من الغلامين كذلك أن أشراف قريش جميعا خرجوا لمنعه .

والدورية الثانية مؤلفة من رجلين من المسلمين وصلا ماء (بدر) ، فسمعا جارية تطالب صاحبتها بدين عليها والثانية تجيبها : « انما تأتى العير غدا أو بعد غد ، فاعمل لهم ثم أقضيك الذى لك » ، فعاد الرجلان فأخبرا الرسول صلى الله عليه وسلم بما سمعا .

(ز) تأهب المسلمون لخوض المعركة وعسكروا فى أدنى ماء من

(بدر) فجاء الحباب بن المنذر الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال : « أرأيت هذا المنزل ، أمنزلا أنزلكه الله ليس لنا أن نتقدمه ولا نتأخر عنه ، أم هو الرأى والحرب والمكيدة » ؟ !

قال : « بل هو الحرب والرأى والمكيدة » .

قال الحباب : « يارسول الله ! فان هذا ليس بمنزل ، فانهض بالناس حتى نأتى أدنى ماء من القوم ، فنعسكر فيه ، ثم نغور ما وراءه من الآبار ، ثم نبنى عليه حوضا فنملأه ماء ، ثم نقاتل القوم ، فنشرب ولا يشربون » .

نفذ الرسول صلى الله عليه وسلم هذا الرأى ، فما حل نصف الليل حتى تحول المسلمون الى معسكرهم الجديد ، وامتلكوا مواقع الماء ، وأعلن الرسول صلى الله عليه وسلم لأصحابه : « أنه بشر مثلهم ، وأن الأمر شورى بينهم ، وأنه لا يقطع برأى دونهم ، وأنه فى حاجة الى حسن مشورة صاحب المشورة الحسنة منهم » ...

وأنجزوا بناء الحوض وملأوه ماء ، ثم غوروا المياه الأخرى ، وتم ذلك ليلا ، ثم أخذوا قسطهم من الراحة بقية الليل ، ليكونوا أقوياء فى الصراع الوشيك .

٢ — المشركون :

علم أبو سفيان بن حرب بخروج الرسول صلى الله عليه وسلم لاعتراض قافلته حين رحلته الى الشام ، فخاف أن يعترضه المسلمون حين عودته .

لقد كانت القافلة حوالى ألف بعير موقرة بالأموال ، اذ لم يبق أحد من قريش رجالا ونساء لم يساهم فيها بحظ حسب امكاناته الاقتصادية حتى قوم ما تحمله القافلة بخمسين ألفا من الدنانير .

ولما تأكد أبو سفيان بن حرب من خروج الرسول صلى الله عليه وسلم وأصحابه للتعرض بقافلته العزلاء الامن ثلاثين أو أربعين رجلا، استأجر ضمضم بن عمرو الغفارى

فبعثه مسرعا الى مكة ليستنفر قريشا الى أموالهم ، ويخبرهم أن محمدا قد عرض لها فى أصحابه .

وصل ضمضم الى مكة ، فقطع اذن بعيره ، وجدع أنفه وحول رحله ، ووقف هو عليه وقد شق قميصه من قبل ومن دبر ، وجعل يصيح : « يامعشر قريش ! اللطيمة اللطيمة ! أموالكم مع أبى سفيان قد عرض لها محمد فى أصحابه ... لا أرى أن تدركوها .

الغوث الغوث ... » .

ولم تكن قريش فى حاجة الى من يستنفرها ، فقد كان لكل فرد منها فى العير نصيب .

ولما فرغت قريش من جهازها وأجمعت المسير ، ذكرت ما كان بينها وبين بنى (كنانة) من الحرب والحزازات ، فخشوا أن تضربهم (كنانة) من الخلف ، وكان هذا المحذور يقعدهم عن الخروج لولا أن جاء مالك بن جشعم المدلجى وكان من أشراف بنى كنانة ، فقال : « أنا جار لكم من أن تأتيكم كنانة من خلفكم بشىء تكرهونه » ..

اذ ذاك قررت قريش الخروج خاضعة لرأى دعاة الحرب وعلى رأسهم أبو جهل ، أشد الناس عداوة للمسلمين ، وعامر بن الحضرمى أخو عمرو بن الحضرمى الذى قتله المسلمون فى غزوة (نخلة) والذى يحرص على الأخذ بثأره .

ولم يتخلف من أشراف قريش غير أبى لهب الذى أرسل مكانه رجلا آخر ، كما حشد هؤلاء كل القادرين على حمل السلاح من قريش وحلفائهم .

وسبق أبو سفيان قافلته للحصول على المعلومات عن قوة المسلمين ومواضعهم ، فلما ورد ماء (بدر) وجد عليه مجدى بن عمرو ، فسأله : « هل رأى أحدا من المسلمين » ؟ فأجاب مجدى : « لم أر الا راكبين أناخا الى هذا التل » ، وأشار الى حيث أناخ الرجلان من المسلمين .

فحص أبو سفيان بن حرب مناخهما ، فوجد فى روث بعيريهما نوى عرفه فى علائف (يثرب) ، فأدرك

أن الرجلين من أصحاب النبى صلى الله عليه وسلم ، وأن جيشه منه قريب فرجع الى القافلة ليغير طريقها نحو الساحل ، تاركا (بدرا) الى يساره وأسرع فى مسيره حتى بعدت المسافة بين القافلة وبين قوات المسلمين ، وأرسل أبو سفيان الى قريش يطلب منهم أن يعودوا أدراجهم الى مكة لنجاة قافلتهم من المسلمين .

وأرسلت قريش عمير بن وهج الجمحى ليستطلع لهم قوة المسلمين فرجع اليهم ليخبرهم : أنهم ثلاثمائة رجل يزيدون قليلا أو ينقصون ، ولا كمين لهم ولا مدد ، ولكنهم قوم ليس لهم منعة ولا ملجأ الا سيوفهم ، فلا يموت منهم رجل قبل أن يقتل رجلا مثله .

وتضاربت آراء قريش ، منهم من يريد الرجوع ومن هؤلاء بنو زهرة الذين رجعوا فعلا ؛ ومنهم من يريد البقاء ، ومعنى ذلك الاصطدام بالمسلمين .

قال أبو جهل زعيم الذين أرادوا البقاء لقتال المسلمين «والله لا نرجع حتى نرد (بدرا) ، فنقيم عليه ثلاثة أيام ننحر الجذور ونطعم الطعام ونسقى الخمر وتعزف علينا القيان ، وتسمع بنا العرب وبمسيرنا وجمعنا فلا يزالون يهابوننا أبدا بعدها » .

وقصد حكيم بن حزام عتبة بن ربيعة فقال : « ياأبا الوليد ! انك كبير قريش وسيدها والمطاع فيها هل لك الى أن لا تزال تذكر فيها بخير الى آخر الدهر » ؟

قال عتبة : « وماذا ياحكيم » ؟

قال حكيم : « ترجع بالناس وتحمل أمر حليفك عمرو بن الحضرمى » .

قال عتبة : « قد فعلت . أنت على بذلك ، انما هو حليفى فعلى عقله وما أصيب من حاله ، فأت ابن الحنظلية — يقصد أباجهل — فانى لا أخشى أن يشجر — أى يخالف بين الناس ويحملهم على عدم الوفاق — أمر الناس غيره » .

قال حكيم : « فانطلقت حتى جئت أبا جهل ، فوجدته نثل درعا — أى أخرج درعه — من جرابها ، يهنئها — أى يتفقدها ويعدها للقتال — فقلت : يا أبا الحكم ! ان عتبة أرسلنى اليك بكذا وكذا » .

قال أبو جهل : « انتفخ والله سحره - يقصد أن عتبة جبن - حين رأى محمدا صلى الله عليه وسلم وأصحابه - كلا والله لا نرجع حتى يحكم الله بيننا وبين محمد ، وما بعتبة ما قال ، ولكنه قد رأى أن محمدا وأصحابه أكلة جزور ؛ وفيهم ابنه تخوفكم عليه » .

وبعث أبو جهل الى عامر ابن الحضرمى فقال : « هذا حليفك يريد أن يرجع بالناس ، وقد رأيت ثأرك بعينيك، فقم فانشد خفرتك»؛ فقام عامر بن الحضرمى فاكتشف ، ثم صرخ:« واعمراه ! واعمراه!» .

ولما علم عتبة بقول أبى جهل « انتفخ والله سحره » قال : « سيعلم مصفر أسته - أى الجبان - من انتفخ سحره ، أنا أم هو » !

ولم يبق مفر ولا مهرب من القتال .

١ - أنجز المسلمون قبل بدء القتال ما يلى :

(ا) انتخب الرسول صلى الله عليه وسلم موضعا مشرفا على منطقة القتال فى (بدر) وبنى فيه مقره - العريشى - وأمن حراسة هذا المقر .

(ب) جرى ترتيب المقاتلين فى صفوف ، وساوى الرسول صلى الله عليه وسلم بين الصفوف بعد أن شجع أصحابه وحرضهم على الصبر فى القتال .

وأمر الرسول صلى الله عليه وسلم أصحابه أن يصدوا هجمات المشركين وهم مرابطون فى مواقعهم وقال لهم « اذا اكتنفكم القوم ، فانضحوهم بالنبل ، ولا تحملوا عليهم حتى تؤذنوا » .

(ج) كانت كلمة التعارف بين المسلمين وشعارهم فى القتال أحد .. أحد .

٢ - دخل المسلمون المعركة بالأسلوب الآنف الذكر : مقر قيادة كامل ، وسيطرة لقائد واحد ، وأسلوب جديد فى القتال لم تعرفه العرب من قبل ، هو أسلوب الصف .

٣ - أما المشركون فقد مارسوا أسلوب قتال (الكر والفر) بدون

قيادة منظمة ولا سيطرة ، بحيث جرى قتالهم كأفراد لا كمجموعة موحدة .

٤ ـ بدأ المشركون الهجوم أولا، اذ هجم الأسود بن عبد الأسد على الحوض الذى بناه المسلمون قائلا : « أعاهد الله لأشربن من حوضهم أو لأهدمنه أو لأموتن دونه » فتصدى له حمزة بن عبد المطلب رضى الله عنه فضربه بالسيف ضربة أطارت نصف ساقه ، ومع ذلك حبا الى الحوض لاقتحامه ، وتبعه حمزة يقاتله حتى قتله فيه .

٥ ـ برز من المشركين عتبة وشيبة ابنا ربيعة والوليد بن عتبة ، فخرج اليهم فتية من الأنصار ، ولكن الرسول صلى الله عليه وسلم أعادهم وطلب خروج عبيدة بن الحارث وحمزة ابن عبد المطلب وعلى بن أبى طالب، لأنهم من أهله فهو يؤثرهم بالخطر على غيرهم ، ولأن شجاعتهم وممارستهم للقتال معروفة ، لذلك فان نجاحهم مضمون على رجالات قريش ، مما يرفع معنويات المسلمين ويضعضع معنويات المشركين .

بارز عبيدة عتبة ، وبارز على الوليد ، وبارز حمزة شيبة . فأما حمزة فلم يمهل شيبة أن قتله وكذلك فعل على ، وأما عبيدة وعتبة فقد جرح كلاهما الآخر ، فكر على وحمزة بأسيافهما على عتبة ، فأجهزوا عليه واحتملا صاحبهما .

٦ ـ استشاط المشركون غضبا لهذه البداية السيئة ، فأمطروا المسلمين وابلا من سهامهم وهاجمهم فرسانهم ، الا أن صفوف المسلمين بقيت ثابتة فى مواضعها ، تصوب نبالها على المشركين متوخية اصابة ساداتهم بالدرجة الأولى ؛ ولم يفطن المشركون لأسلوب المسلمين الجديد فى القتال ، مما جعل رجالات المشركين تتهاوى عليها بوابل نبال المسلمين المصوبة تصويبا دقيقا والمسيطر عليها .

٧ ـ ونزل الرسول صلى الله عليه وسلم بنفسه يقود صفوف المسلمين ، وأخذت هذه الصفوف تقترب رويدا رويدا من فلول المشركين التى فقدت قادتها .. حتى تبعثرت قوات المشركين .

وحينذاك فقط أصدر الرسول صلى الله عليه وسلم أمره لقواته : « شدوا » ، ومعنى ذلك القيام بالمطاردة وبدأت مطاردة المسلمين لفلول المشركين ، وأخذوا يجمعون الغنائم والأسرى .

٨ ـ ابتدأت معركة (بدر) صباح يوم الجمعة ١٧ رمضان من السنة الثانية الهجرية ، وانتهت مساءه ، وبقى المسلمون ثلاثة أيام فى (بدر) بعد المعركة .. ثم غادروها عائدين الى المدينة المنورة .

خسائر الطرفين

١ ـ المسلمون :

استشهد أربعة عشر مسلما : ستة من المهاجرين وثمانية من الأنصار .

٢ ـ المشركون :

قتل سبعون رجلا وأسر سبعون أيضا .

أسباب انتصار المسلمين

١ ـ قيادة موحدة :

كان الرسول صلى الله عليه وسلم هو القائد العام للمسلمين فى معركة (بدر) ، وكان المسلمون يعملون يدا واحدة تحت قيادته : يوجههم فى الوقت الحاسم للمحل الحاسم للقيام بعمل حاسم ، وهذا هو واجب القائد الكفء .

وكان ضبط المسلمين فى تنفيذ أوامر قائدهم مثالا رائعا للضبط الحقيقى المتين ، واذا كان الضبط أساس الجندية ، واذا كان الجيش المتميز هو الذى يتحلى بضبط متميز فقد كان جيش المسلمين جيشا متميزا بكل ما تحمل هذه الكلمة من معان .

ان معنى الضبط ، هو اطاعة الأوامر وتنفيذها بحرص وأمانة واخلاص وعن طيبة خاطر .

وقد كان المسلمون ينفذون أوامر قائدهم بحرص شديد وأمانة نادرة واخلاص عجيب وبشوق وطيبة خاطر عظيمين ، ومن حقهم أن يفعلوا ذلك لأن قائدهم يتحلى بصفات القائد المثالى .

صبر فى الشدائد ، وشجاعة نادرة فى المواقف الحرجة ، ومساواة لنفسه بأصحابه ، واستشارتهم فى كل عمل حاسم وأخذه بالمشورة وتطبيقها .

رأى الخطر محدقا بأصحابه قبل المعركة ، لأنهم قليلون وقريش تفوقهم عددا وعدة ... فقابل ذلك بالصبر والتوكل على الله وشجع أصحابه على الصبر فى القتال .

وعندما اشتدت المعركة نزل يخوضها بنفسه ، وحسبك شهادة على بن أبى طالب سيد الشجعان حيث يقول : « انا كنا اذا اشتد الخطب واحمرت الحدق ، اتقينا برسول الله صلى الله عليه وسلم فما يكون أحد أقرب الى العدو منه ، ولقد رأيتنى يوم (بدر) ونحن نلوذ برسول الله صلى الله عليه وسلم وهو أقربنا الى العدو) .

ولم يؤثر نفسه بمال أو راحة على أصحابه ، وقد رأيت كيف ساوى نفسه مع أصحابه حتى فى اعتقاب الابل والمشى على الأقدام .

وشاور أصحابه حين بلغه خبر خروج قريش، وسمع رأى المهاجرين والأنصار فى لقاء المشركين ، وقبل مشورة أحد أصحابه فى تبديل معسكره فى (بدر) حين نزل بأدنى ماء منها ، فانتقل بالمسلمين الى حيث أشار الحباب ، وغور القلب وبنى حوضا على القليب الذى أتاه ، واستشار المسلمين فى أمر الأسرى بعد المعركة ، وعمل بالرأى الذى أبداه أبو بكر الصديق رضى الله عنه ومشايعوه .

تلك مزايا القائد المثالى فى كل زمان ومكان .

ولابد للقائد من مقر يسيطر منه على المعركة ، فبنى العريش فوق رابية مشرفة على ساحة المعركة ،وكان لمقره حرس بامرة آمر مسئول .

كل ذلك جعل المسلمين يقاتلون كرجل واحد ، لغاية واحدة ، بقيادة قائد واحد وهذا عامل من عوامل النصر فى كل حرب : (ان تنصروا الله ينصركم ويثبت أقدامكم) .

أما المشركون فلم يكن لهم قائد عام : كان أكثر سراة قريش مع قوات المشركين ، ولكن البارزين من هؤلاء على ما يظهر هما رجلان : عتبة بن ربيعة وأبو جهل ، وقد رأيت كيف أنهما لم يكونا على رأى

واحد ولم يكن لهما هدف واحد ، بل انهما كانا أقرب الى العداوة منهما الى الاخاء .

لذلك فقد طغت الأثرة الفردية على المصلحة العامة أثناء القتال ، وحاول كل رجل من رجالات قريش أن يظهر نفسه بطلا لتتحدث العرب عنه ، دون أن يكترث بأثر ذلك فى نتائج المعركة .

٢ ــ تعبئة جديدة :

طبق الرسول صلى الله عليه وسلم فى (مسير الاقتراب) من المدينة المنورة الى (بدر) تشكيلا لايختلف بتاتا عن التعبئة الحديثة فى حرب الصحراء .

كانت له مقدمة وقسم أكبر ومؤخرة ، واستفاد فى دوريات الاستطلاع للحصول على المعلومات وتلك هى الأساليب الصحيحة لتشكيلات مسير الاقتراب فى حرب الصحراء حتى فى العصر الحاضر .

أما فى المعركة ، فقدقاتل المسلمون بأسلوب : (الصفوف) ، بينما قاتل المشركون بأسلوب : (الكر والفر) .

ولابد لنا فى بيان الفرق بين الأسلوبين ، لمعرفة عامل من أهم عوامل انتصار المسلمين . القتال بأسلوب : (الكر والفر) ، هو أن يهجم المقاتلون بكل قوتهم على العدو : النشابة منهم والذين يقاتلون بالسيوف ويطعنون بالرماح ، مشاة وفرسانا ، فان ثبت لهم العدو أو أحسوا بالضعف نكصوا ، ثم أعادوا تنظيمهم وكروا ، وهكذا يكرون ويفرون حتى يكتب لهم النصر أو الفشل .

والقتال بأسلوب : (الصفوف) ، يكون بترتيب المقاتلين صفين أو ثلاثة صفوف أو أكثر على حسب عددهم ، وتكون الصفوف الأمامية من المسلحين بالرماح لصد هجمات الفرسان ، وتكون الصفوف المتعاقبة الأخرى من المسلحين بالنبال لتسديدها على المهاجمين من الأعداء .

وتبقى الصفوف فى مواضعها بسيطرة قائدها . الى أن يفقد زخم المهاجمين بالكر والفر شدته ... عند ذاك تتقدم الصفوف متعاقبة للزحف على العدو .

يظهر من ذلك أن أسلوب (الصفوف) يتميز على أسلوب (الكر والفر) بأنه يؤمن ترتيب القوات بالعمق ، فتبقى دائما بيد القائد قوة احتياطية يعالج بها المواقف التى ليست بالحسبان ، كأن يصد هجوما مضادا للعدو ، أو يضرب كمينا لم يتوقعه ، أو أن يحمى الأجنحة التى يهددها العدو بفرسانه أو بمشاته ، ثم يستثمر الفوز بالاحتياط فى الصفوف الخلفية عند الحاجة .

ان أسلوب (الصفوف) يؤمن السيطرة على القوة بكاملها ، يؤمن احتياطيا للطوارىء ، ويصلح للدفاع والهجوم فى وقت واحد ؛ اما أسلوب (الكر والفر) ، فيجعل القائد يفقد السيطرة على قواته ، ولا يؤمن له أى احتياط للطوارىء .

ان تطبيق الرسول صلى الله عليه وسلم لأسلوب (الصفوف) فى معركة (بدر) ، عامل مهم من عوامل انتصاره على المشركين ؛ والتاريخ العسكرى يحدثنا بأن سر انتصار القادة العظام هو أنهم طبقوا أساوبا جديدا فى القتال غير معروف أوقاتلوا بأسلحة جديدة غير معروفة .

استعرض الرسول صلى الله عليه وسلم أصحابه قبل القتال ، فعندما رآهم يتزاحمون ويدنو بعضهم من بعض جعلهم صفوفا وأخذ يعدل صفوفه .

وبعد ذلك خطبهم حاثا لهم على الجهاد ، وأمرهم أن يصدوا هجوم العدو وهم مرابطون فى مواقعهم ، وذلك بتسديد النبال الى صدور العدو ، كما أمرهم ألا يحملوا الا بأمر منه .

فلما تهاوت رجال قريش وضعفه زخم هجومهم ، أصدر الى المسلمين أمره بالهجوم ؛ ثم بالمطاردة بعد انهزام المشركين .

لقد سيطر الرسول صلى الله عليه وسلم على (الصفوف) فى دفاعها وهجومها ومطاردتها ، حتى لم يتقدم أحد للمبارزة الا بأمر منه ، ولم يقم المسلمون بأى عمل حربى الا بأمر منه أيضا .

وبذلك أمن السيطرة على قواته والاحتياط اللازم لها .. تماما كما فى الحرب الحديثة .

لقد طبق الرسول صلى الله عليه وسلم فى (بدر) أسلوبا جديدا فى القتال فانتصر .

٣ ـ عقيدة راسخة :

رأيت كيف كان جواب المهاجرين والأنصار للرسول صلى الله عليه وسلم حين استشارهم فى قتال قريش .

لقد علم المسلمون بأن قريشا تفوقهم فى العدد والعدد ، وأن عدد قوات قريش ثلاثة أمثال عدد المسلمين ومع ذلك عزموا على الثبات الى النهاية كما علموا أن قافلة قريش فاتتهم ، فلم يبق هناك كسب مادى يرجونه ، ومع ذلك صمموا على القتال .

لقد كانت للمسلمين أهداف معينة يعرفونها ويؤمنون بها ، هي أن تترك الحرية الكاملة لهم لنشر دعوتهم وحمايتهم ، حتى تكون كلمة الله هي العليا .

فما هي أهداف قريش من حربها الا أن تنحر الجزور وتطعم الطعام وتشرب الخمر وتعزف القيان ، فتسمع العرب بمسيرها ، فيهابونها أبدا بعدها كما قال أحد زعمائهم وهو أبو جهل ! !

وهل نستطيع تسمية ذلك أهدافا ، أم ذلك طيش وغرور وعصبية جاهلية ؟ !

فى هذه المعركة التقى الآباء بالأبناء والاخوة بالاخوة .

خالفت بينهم المبادىء ، ففصلت بينهم السيوف .

كان أبو بكر الصديق رضى الله عنه مع المسلمين ، وكان ابنه عبد الرحمن مع المشركين . وكان عتبة بن ربيعه مع قريش ، وكان ولده أبو حذيفة مع المسلمين .

وعندما استشار الرسول صلى الله عليه وسلم عمر بن الخطاب رضى الله عنه فى مصير الأسرى ، قال عمر : (أرى أن تمكنى من فلان ـ قريب عمر ـ فأضرب عنقه ، وتمكن

عليا من عقيل بن أبى طالب فيضرب عنقه ، وتمكن حمزه من فلان أخيه فيضرب عنقــه ، حتى يعلم الله أنه ليست فى قلوبنا هوادة للمشركين ، وهــؤلاء صناديدهم وأئمتهــم وقادتهم » .

فما الذى يدفع لمثل هذا القول الاعقيدة راسخة وايمان عظيم ،وهل يســتطيع الذين لا عقيــدة لهم ، ولاتحمل صدورهم الأهواءالجاهلية وعصبية الأنانية ، وحب الظهور ، أنْ يقاتلوا ببســالة وشــجاعة كما يقــاتل أمثال هؤلاء من أصــحاب اليقين الثابت ، والعقيدة الراسخة ؟

٤ ــ معنويات عالية :

شجع الرســول صــلى الله عليه وسلم أصحابه قبل القتال وأثناءه ، وقوى عزائمهم ومعنوياتهم ، حتى لايكترثوا بتفوق قريش عليهم بالعدد والعدد ، ولم تكن معنويات الكبار الذين مارسوا الحرب وعرفوها من المسلمين هى العالية فحسب ، انمــا كانت معنويات الأحــداث الصغار الذين لم يماسوا حربا ولاقتالا عالية أيضا .

قال عبد الرحمن بن عوف رضى الله عنــه : « انى لفى الصــف يوم (بــدر) : اذا التفت فاذا عن يمينى وعن يسارى فتيان حديثا السن ، فكأنى لم آمن بمكانهما ، اذ قال لى أحدهما سرا من صــاحبه : ياعم ! أرنى أبا جهل . فقلت : ياابن أخى ، ما تصنع به ؟ قال عاهــدت الله ان رأيتــه أن أقتله أو أموت دونــه

« وقال لى الآخر سرا من صاحبه مثله ، فأشرت لهما اليه ، فشــدا عليه مثــل الصقرين : فضرباه حتى قتلاه » ، وقد استشهد هذان البطلان فى (بدر) ، وهما ابنا عفراء : عوف ابن الحارث الخزرجى الأنصــارى ومعــوذ بن الحــارث الخــزرجى الأنصارى .

فاذا كانت معنويات الفتيــــان الأحــداث بهذا المســتوى الرفيع ، فكيف تكون معنويات الرجال ؟

لقد أثبتت كل الحروب فى كل أدوار التــاريخ ، أن التســليح والتنظيم الجيدين والقوة العددية غير كافيــة

لنيل النصر ما لم يتحل المقاتلون بالمعنويات العالية .

لقد كان تنظيم وتسليح الايطاليين فى الحرب العالمية الثانية متميزين كما كان عددهم ضخما ، فلم يغن عنهم كل ذلك ، لأن معنوياتهم كانت منهارة !

لذلك كانوا عبئا ثقيلا على حلفائهم الألمان فى كل معركة اشتركوا فيها معهم ، بل كان الحلفاء يعتبرون المناطق التى تشغلها القوات الايطالية فراغا عسكريا لا يكترث به !!

ان المعنويات العالية التى كان يتحلى بها المسلمون فى (بدر) ، من أهم أسباب نصرهم فى تلك المعركة الحاسمة .

لقد كانت معركة (بدر) صراعا حاسما بين عقيدتين ... فانتصرت العقيدة التى تستحق البقاء على العقيدة التى تستحق الفناء ...

دروس من بدر

١ ـ الاستطلاع :

استفاد الطرفان من دوريات الاستطلاع فى الحصول على المعلومات ، ليحولوا دون مباغتتهم وكان حصول الطرفين على المعلومات عن القوات ومواقعها عن الأرض جيدا مفيدا .

ولقد ظهرت لنا فائدة استنطاق الأسرى الذى أجراه الرسول صلى الله عليه وسلم مع غلامى قريش قبل المعركة فى معرفة عدد قوات قريش ، كما كان استنتاج أبى سفيان بن حرب من فحصه روث ركائب المسلمين اللذين استطلعا موقع (بدر) ومعرفته هويتهما رائعا حقا .

ان تشبث الطرفين بالحصول على المعلومات ، حرم الطرفين من: (مبدأ المباغتة) فى الزمان والمكان ، فلم يستفد أحد الطرفين فى هذا المبدأ الحيوى فى هاتين الناحيتين أو فى احداهما على الأقل فى هذه المعركة.

٢ ـ القيادة :

برزت مزايا الرسول صلى الله عليه وسلم فى القيادة بمعركة (بدر) : الشجاعة ، وضبط الأعصاب ، وعقد المؤتمرات الحربية قبل وأثناء وبعد المعركة ، ومساواة أصحابه مع نفسه

بكل شيء ، كما طبق الرسول القائد عليه أفضل الصلاة والسلام لأول مرة شروط انتخاب المقر الملائم للمعركة وأمن حراسته •

٣ ـ الضبط والمعنويات والعقيدة :

ظهر بوضوح أثر الضبط المتين والمعنويات العالية والعقيدة الراسخة فى انتصار المسلمين على قريش ، وستبقى هذه المزايا حيوية لكل انتصار فى كل حرب •

٤ ـ القضايا التعبوية :

(أ) فى مسير الاقتراب :

كانت ترتيبات المسلمين فى مسير الاقتراب ملائمة جدا : مقدمة وقسم أكبر ومؤخرة ، وراية لكل من المهاجرين والأنصار وراية عامة للقوات كلها •

كما كانت دوريات الاستطلاع أمام رتل المسلمين تحول دون مباغتتهم وتزودهم بالمعلومات عن قريش •

ان ترتيبات المسلمين التعبوية فى مسير الاقتراب تشابه تماما ترتيبات القوات النظامية الحديثة فى مسير الاقتراب فى حرب الصحراء •

(ب) فى القتال :

استخدم المسلمون لأول مرة (أسلوب الصف) فى قتالهم قريشا، بينما جمدت قريش على أسلوب (الكر والفر) ، وبذلك استطاع الرسول صلى الله عليه وسلم السيطرة على قواته والاحتفاظ باحتياط للطوارىء •

لقد باغت الرسول صلى الله عليه وسلم قريشا (بالأسلوب) فى قتاله بأسلوب (الصف) والمباغتة بالأسلوب من مزايا القائد المتميز !

لقد كان أسلوب (الصف) فى القتال أسلوبا جديدا على العرب ، بينما كان أسلوب (الكر والفر) أسلوبا باليا استعملته العرب فى حروبها منذ أقدم الازمان •

(ج) كلمة التعارف :

كانت كلمة التعارف فى القتال بين المسلمين : (أحد •• أحد) ، وبذلك استطاعوا أن يتعارفوا فى المعركة •• وهذا الأسلوب متبع فى المعارك الحديثة •

ان ظروف المعركة ليست ظروفا اعتيادية ، ومن الضرورى ان يكون هناك أسلوب واضح للتعارف بين المقاتلين ، خاصة وأن المسلمين والمشركين حينذاك كانوا يتشابهون

فى المظهر الخارجى : فى الأشكال والثبات وفى التسليح والتنظيم ، مما يزيد أهمية كلمة التعارف ويجعل لها قيمه أعظم مما لو كان الطرفان المتحاربان يختلفان فى أشكالهم وألسنتهم وتسليحهم وتنظيمهم .

٥ ـ القضايا الادارية :

(أ) الأرزاق :

كان المشركون ينحرون بين تسعة من الابل وعشرة من الابل يوميا لتأمين الطعام الحار للمقاتلين ، وكانت هذه الابل تقدم من سراة قريش ؛ أما المسلمون فقد كانوا يكتفون غالبا بالتمر والسويق ، لأن حالتهم الاقتصادية كانت ضعيفة حينذاك .

(ب) الماء :

بنى المسلمون حوضا للماء فى (بدر) وملاؤه بالماء واستفادوا منه يوم القتال، أما بقية آبار (بدر) ومياهها فقد غوروها لئلا يستفيد منها المشركون .

أما المشركون فكانوا محرومين من الماء يوم القتال ، مما جعل شجعانهم يحاولون اقتحام حوض المسلمين ، فلا يستطيعون الى ذلك سبيلا .

لقد كان لنقص الماء عند المشركين يوم القتال أثر كبير فى اندحارهم .

(ج) الغنائم :

جمع الرسول صلى الله عليه وسلم غنائم المعركة وقسمها بالتساوى بين المسلمين من أهل (بدر) ومن عاونهم على احراز النصر : جعل للفارس سهمين يستعين بالسهم الزائد على علف فرسه واعداده للحرب.وجعل للراجل سهما واحدا ، وجعل لورثة من استشهد ببدر حصته ، وجعل حصته لمن تخلف فى المدينة المنورة فلم يشهد (بدرا) .

لأنه كان قائما بعمل للمسلمين ، وبقى فى المدينة بأمر الرسول صلى الله عليه وسلم ، ولمن حرضه حين الخروج الى بدر وتخلف لعذر قبله الرسول صلى الله عليه وسلم .

ان النصر فى الحرب لا يحرزه المقاتلون فقط،بل يتعاون على احرازه المقاتلون فى الخطوط الأمامية والعاملون فى الخلف لتهيئة أسباب النصر للمقاتلين ، لذلك لم ينس الرسول صلى الله عليه وسلم العاملين

فى الخلف بأمره وبمشورته وبتوجيهه حين قسم الغنائم بين الناس .

(و) الأسرى :

أولا ــ أمر الرسول صلى الله عليه وسلم بقتل أسيرين لشدة عداوتهما للمسلمين ، اذ اعتبرهما مجرمى حرب لا أسيرين اعتياديين

لقد كانا عنيفين فى عداوتهما للمسلمين حريصين على التنكيل بهم، شديدين فى ايذاء المستضعفين منهم ، وكانا من ألد خصوم الدعوة .

ثانيا ــ أما الأسرى الباقون وعددهم ثمانية وستون فقد وزعهم الرسول صلى الله عليه وسلم على صحابته قائلا: «استوصوابالأسارى خيرا » ... ثم فادى أغنياءالأسرى بالمال ،فكان الواحد منهم يدفع ما بين الألف درهم الى الأربعة آلاف .

أما فقراء الأسرى ، فأطلق سراح بعضهم دون مقابل ، كما كلف المتعلمين منهم بتعليم أطفال المسلمين القراءةوالكتابة،ثم أطلق سراحهم بعد تعليم هؤلاء الأطفال .

(هـ) القتلى والجرحى :

حفر المسلمون قليبا دفنوا فيه قتلى المشركين ، وهذا ما يطابق تعاليم الحرب الحديثة فى وجوب دفن قتلى الأعداء .

كما عنى المسلمون بجرحى المشركين عنايتهم بجرحاهم ، فضمدوا جراحاتهم أسوة بجرحى المسلمين .

(و) التهذيب :

استفاد المسلمون من الأسرى، المتعلمين لتعليم أبنائهم القراءة والكتابة ، فكان هؤلاء الأبناء النواة الأولى لكتاب الوحى والقراء وحملة الثقافة الأسلامية فيما بعد.

الخاتمة

١ ــ كانت غزوة (بدر) الكبرى من أعظم المعارك الحاسمة فى تاريخ الحرب ، وأعظم معركة حاسمة فى فى تاريخ المسلمين ، بالرغم من قلة الذين شهدوها من المسلمين .

ولا تقاس المعارك بعدد الذين شهدوها ولا بعددهم ، بل تقاس بنتائجها على المتحاربين من الطرفين.

وقد كانت نتائج غزوة (بدر) الكبرى ، باهرة جدا ، لأنها رفعت معنويات المسلمين وشدت أزرهم وجعلت لهم مكانة عالية بين قريش وسائر أعداء الأسلام ، يحسبون لهم ألف حساب .

كما أن هذه الغزوة كانت تجربة عملية للعقيدة الاسلامية ، فانتصرت العقيدة السليمة على العقيدةالفاسدة

٢ ـ وقد أنزل الله الملائكةلمعاونة المسلمين ، فاختلف المفسرون فىنوع تلك المعاونة ، فقال قسم منهم بأنها كانت معنوية ، وقال قسم آخر بأنها كانت مادية .

وأرى أنها كانت مادية ومعنوية على حد سواء ، والله ينزل ملائكته فى كل معركة يخوضها المسلمون الصادقون ، والنصر من عند إلله وحده ، يحبو به أولياءه الصادقين وصدق الله العظيم : (وماالنصر الا من عند الله) .

٣ ـ وقد زعم أعداء الأسلام ، أن النبى صلى الله عليه وسلم وأصحابة خرجوا من أجل الاستيلاء على قافلة قريش الثقلة بالأموال ، لذلك كان خروجهم لأغراض اقتصادية !

ولو كان الأمر كذلك لعاد النبى صلى الله عليه وسلم أدراجه الى المدينة المنورة بعد علمه بنجاة قافلة قريش ، ولما تقبل معركة حاسمة تجاه تفوق العدد عليه ماديا ومعنويا

انطريق ـ مكة ـ تبوك ـ الشام ، هو الطريق الحيوى لتجارة قريش ، وتهديد هذا الطريق من المسلمين كان لغرض فرض الحصار الاقتصادى على قريش مما يؤثر فى تجارتها ـ وهى قبيلة رزقها على التجارة ـ أسوأ الأثر .

وهناك فرق عظيم بين فرض الحصار الاقتصادى ، وبين الربح المادى ، اذ لم يكن المسلمون يهتمون بالناحية المادية ، بل كانوا يهتمون باعلاء كلمة الله .

٤ ـ لقد كان فضل الله على المسلمين عظيما فى احراز النصر يوم (بدر) ، ولو هزم المسلمون لتبدل

الحال غير الحال . وقد أدرك النبى صلى الله عليه وسلم أهمية النصر فى هـذه الغزوة الحاسمة ، لذلك دعا ربه قائلا : « اللهم ان تهلك هذه العصابة لا تعبد أبدا » ، لهذا كان مولد النصر فى (بدر) هو مولد الدولة الاسلامية .

وقد زرت مقبرة شهداء يوم(بدر) قبل شهرين ، فوقفت أمام الـذين ضحوا بحياتهم رخيصة من أجـل الاسلام عقيدة وتشريعا ومثلا عليا مترضيا عنهم مترحما عليهم ، مكبرا تضحيتهم مقدرا فضلهم .

فمن أراد أن يعيش على الأرض فى الجنة ، بمافيها من جلال وجمال ، فلا يبخل على نفسه بزيارة مقبـرة الشـهداء البدريين الأبرار عليهم رضوان الله .

وهذه قائمة باسمائهم ، تذكـر المسلمين فى كل زمان ومـكان ، بأروع الأمثلة على تقبل الاسـلام بما فيه من تضحية بالأموال والأنفس والفداء .

رضى الله عن شهداء غزوة (بدر) الأبـرار ، ورضى الله عن الـذين شهدوا (بدرا) من المؤمنين الأخيار .

وصلى الله على سـيد القادات وقـائد السادات ، رجل الرجـال وبطل الأبطال ، امام المجاهـدين وقائـد الغر المحجلين ، وعلى آله وأصحابه أجمعين .

شهداء المسلمين فى بدر رضى الله عنهم

المهاجرون :

١ ــ عبيدة بن الحارث بن عبد المطلب بن عبد مناف .

٢ ــ عمير بن أبى وقاص أخو سعد بن أبى وقاص ، قتل يومئذ وله ستة عشر عاما .

٣ ــ ذو الشمالين بن عمرو بن نضلة الخزاعى ، حليف بنى زهرة .

٤ ــ عاقل بن البكير الليثى ، حليف بنى عدى بن كعب .

٥ ــ مهجع مولى عمر بن الخطاب

٦ ــ صفوان بن بيضاء ، من بنى الحارث بن فهر .

الأنصار :

(أ) الأوس :

٧ ــ سعد بن خيثمة بن عمر بن عوف .

٨ ــ مبشر بن عبد المنذر ين زنبر

(ب) من الخزرج :

٩ ــ يزيد بن الحارث بن فسحم ابن الحارث بن الخزرج .

١٠ ــ عمير بن الحمام (من بنى سلمة) .

١١ ــ رافع بن المعلى (من بنى حبيب بن عبد حارثة) .

١٢ ــ حارثة بن سراقة (من بنى النجار) الخزرجى الأنصارى .

١٣ ــ عوف بن عفراء (من بنى النجار) الخزرجى الأنصارى .

١٤ ــ معوذ بن عفراء (من بنى النجار) الخزرجى الأنصارى .

الفهرس

طبع بالهيئة العامة لشئون المطابع الأميرية

رئيس مجلس الادارة

محمد حمدى السعيد

رقم الإيداع بدار الكتب ١٩٧٧/١٦٧

الهيئة العامة لشئون المطابع الأميرية

١٠٠٠٢-١٩٧٧/٨٨٢١

ENGLISH SECTION

quering Mekka; in Belal climbing up the Ka'aba for the Azan ; in the methods of preaching the rights of women, neighbours, the rights of Moslems towards each other, the behaviour of warriors, etc.

Historical facts are distorted in all of the above scenes. I liken the film-makers' attempts to produce the film to men who try to destroy rock by butting it with their heads. This has been the case with all films that have touched upon religion.

I would like to make clear that I did not write the above out of religious fanaticism or merely out of a desire to oppose a work that has made a lot of money, for the film may have had good intentions.

When I went to see the film I was influenced by friends who had already seen the film. They liked the scenes showing the cruelty of Quraish unbelievers in torturing the moslems and then triumph of religion and its expansion over the world. These views are superficial emotions which cannot affect the essence of being, since they do not comply with the essence and nature of reality. Emotion is the exact opposite of the stability of solid reality which is not subject to change.

I maintain that the film concealed the true nature of Islam instead of revealing it. It gave only a distorted view of its premises, teachings and subsequent expansion, and neglected the important aspects relating to the appearance of the Prophet with the predictions of both Jewish and Christian religious leaders, and the fact that it assures the other divine religions and helps Moslems feel confident of their teachings and prophets :

"The Messenger believes in what was sent down to him from his Lord and the believers; each believes in God and his Angels, and his books and his messengers; we make no division between any of his messengers, They say, "we hear, we obey".

Life in Quraishi society was governed by moral laws and traditions, full of meaning and manners.

That is why the negative aspect of the film is much stronger than the emotions experienced by the viewers who did not know the greatness and majesty, which was concealed and even damaged by the film.

The film will be classified by its title amongst films and not amongst Messages. I have dealt with the title as such, which resulted in the style of this article and although I quoted verses from the Quran, I did so in the context of the title and not the film itself.

H. K.

a hero who appeared in obscure circumstances and created huge happenings. The story then leaps to universal effects and ends suddenly with the hero disappearing with his companions right at the moment when the picture is at its peak. The lights are turned off suddenly in the theatre leaving the audience in darkness and confusion similar to what they encountered at the beginning of the film.

I feel now that there is a lot to say. Let us leave the limited world of the cinema and concentrate on the unlimited world of religion and ideals directed at the uplifting of man's intelligence through God, coupled with the use of science and action. God created all for man's sake, for him to use and enjoy his mind and talents in discovering the secrets of being.

This, however, would take us away from the subject of this article, the film "The Message" which has brought huge profit for its makers and immense loss for its viewers, so I will restrict myself to the impression the film made on me, and make the following points :

1. The film proved one thing- that religion is not too huge a subject for the cinema to tackle, but that film industry showed its total inability to cover even the simplest aspects of the subject.

2. Zealous followers of religion, either moslems, Christians or jews, should try to prevent any attempt by film-makers to touch upon religious prophets and their apostles who carry the message from generation to generation. Religious zeal should be strengthened to the point that it would frighten those who lower the values of religion to the level of musical stories. The divine religions- Islam, Christianity and Judaism - should be defended from mockery.

3. The historical characters shown in the film are falsified. Hamza, Belal and Ali for examples were, in reality, different from the film characters. They were known for their good manners and their humility and for lowering their voices in the presence of the Prophet. They were free from the convulsive tensions shown in the film. The Prophet himself described them as seated in his court calm, loving and respectful. They wouldn't even look in each other's face from respect.

There are other scenes in the film rejected by moslems for their inconsistency with historical facts. Such scenes appear in the confrontation between the moslems and the Quraishi at Hudaibiya and on con-

Anyone with the Message of Islam must realise that these preparations are non-existent in the film. The absence of this important element makes the film pointless because the Message was cut off from its natural premises, premises which would have prepared the viewer to accept a Message that comes otherwise as such a surpise.

Islam is not the only message on Earth ; it is essentially no different from other Divine messages. Viewers would want to know the relationship between Islam and their own religion. They would look for the natural course of events that resulted in the Message of Islam. A simple fact about faith is that a Divine message would not appear without it being needed, and when it had the points of agreement with preceding messages would probably be seen in a new light.

In short, the viewers, followers of Divine messages, longed to see a systematic display of religious unity, using selected quotations from Divine religious teachings which do not differ, and also the purposes behind these teachings. The purposes of creation are reversed by earthly event which lead to discord and disunity.

God created man in Adam and created woman from him. He could have created her separately but His supreme will was aimed at the unity of a human being.

What is the purpose of creation ? It is explained by the Message of Islam :

"Oh People ! We created you from one male and one female.

And We made you into nations and tribes.

So that you may become acquainted. . . . ."

Acquaintance is the result of one reality, *i.e.* the absolute equality of of being.

Differences between men result from their "action", the good and evil which are the two lines of behaviour and existence. Good leads to deserved dignity until the day man leaves for the land of eternal, unchanging, uncomprehended bliss.

Evil, however, leads its followers to personal and public tragedy known well to the present generation, for standards today have been shaken and extinguished.

Funerals are held for virtue, either in grief by those who have understood it, or with obscene music played happily for its collapse.

The realities which all religions agree upon should have been used as a prologue to the film, thus preparing the audience for what comes next.

The film starts, however, with a surprise as if it told the legend of

' THE MESSAGE '

I saw the film 'The Message' on a London screen and I think it is my duty to give the impression the film made on me, together with my remarks :

The film deals with historical, religious and revolutionary facts which are beyond the potential of the cinema.

The subject is too great, miraculously great, to be so confined. No-one can limit a full sun to a frame or even to many frames, in order for the naked eyeto garasp its immensity or even to come anywhere near its real magnitude.

The same applies to all God's creations, available for the human intelligence to discover their dimensions and the great realities that exist therein. No mind can approach these dimensions for they reach to eternity :

"say : If the sea was ink for my Lord's words,
It would have exhausted before
My Lord's words have exhausted.
Even if another sea was brought to the aid...

The beginnings of the Islamic Message are in the Divine preparations for its existence, in the Worlds that include the times and places and the sempiternal generations ; preparations through Divine Messages that preceded Islam, with all the accepance and refusal, resistance and support, reward and punishment, ebb and flow that they encountered, and with the designation of places, times and peoples for these Messages.

This is a necessary prologue that should prcede the survey of the film. It is necessary to realize the close links and interaction between those earlier Messages and the conclusion that)was the Message of Islam. This aspect of Islam is greater than all the speculative and technical facilities available to the cinema. The cinema is unable to transmit this, thus giving a false vision of the reality of these historic sequences that resulted in the Message of Islam.

This film is offered to a generation confused by the rebellion of materialistic mind against a spirit disposed to a belief in God, a confusion resulting in the restlessness and instability of modern man.

These essential preparations are impossible in a film treatment : consequently it fails in its attempt to describe the absolute being that God has created in such a precise form. All man can do is watch its mysteries submissively and remain content with the glory of its symbols.

And if God is the Creator, the Master, and the Sovereign then who would be a greater rebel the man who uses God's creation against His injunction - who makes his mind think against God, harbours in his heart thoughts against Him, and uses his various faculties against the Sovereign's Will. If a servant betrays his master you denounce him as faithless. If an officer becomes disloyal to the state you dub him as traitor and renegade. If a person cheats his benefactor you have no hesitation in condemning him as ingrate. But what match can this betrayal, this ingratitude, and this rebellion have to the one which the disbeliever commits by his "Kufr" ? After all, who is the real mainspring of all power and authority ? Who gave man command over the resources ? Who elevated people to positions of high authority and power ? All that a man has and all that he uses for the benefit of others is a bestowal of God ? The greatest obligation that man owes on this earth is to his parents. But who has implanted the love of children in the parent's hearts ? Who endowed the mothr lilith the will and power to nurture, nourish, and feed her children ? Who inspired the parents with the passion to spend everything in their possession for the well-being of their children ? A little reflection would reveal that God is the greatest benefactor of man. He is his Creator Lord, Nourisher, Sustainer, as well as his real King and Sovereign.

(to be Continued

reality, approach the true perspectives of knowledge ? How can the vistas of truth and knowledge be opened to such a man ? How can one who has made the wrong beginning reach the right destination ? He will fail find the clue to Reality. The Right Path will remain concealed for him and whatever be his endeavours in scinces and arts, he will never be able yo avail himself of the lights of truth and wisdom. He would be groping in the dark, and stumbling in the gloom of ignorance.

Not only that ; "Kufr" is also tyranny, nay, the worst of tyrannies. And what is "tyranny" ? It is an act of cruel and unjust use of any force or power. If you force a thing to act unjustly or to act against its true nature, its real will and its inherent attitude, - that is tyranny, root and branch.

We have seen that all that is in the universe is obedient to God, the Creator,. To obey, to live in accordance with His Will and His Law or (to put is more precisely) "to be a Muslim" is ingrained in their very nature. God has given man power over these things, but it is incumbent in the very nature of these things that they should be be used bar the bulfelment of His Will and not otherwise. But one who disobeys God and resorts to "Kufr" is the person who peroetrates the greatesti njustice, for he uses all these powers of body and mind to rabel against the course of nature and becomes an unwilling instrument in the drama of disobedience. He forces hishead to bow down befor deities other than Gos and cherishes in his heart the love, reverence, and fear of other powers in utter disregard to the instinctive surge of these organs. He uses hisown polders and all those things upon which he has authority against the explicit Will of God and thus establishes a reign of tryanny. Can there be any greater injustice, tryanny, and cruelty than that exhibited by this man who exploits and misuses everything under the sun and unscrupulously forces them to a course which affronts nature and justice ?

"Kufr" is not mere tyranny ; it is, to say the least, sheer rebellion, ingratitude, and infidelity. After all, what is the reality of man ? What is his power and authority ? Is he himself the Creator of his mind, his heart, his soul, and other organs of his body - or have they been createdby God ? Has he himself created the universe and all that is within her - or has it been created by God ? Who has harnessed all the powers and energies for the service of man - or God ? If everything has been created by God and God alone, then to whom do they belong ? Who is their real owner ? Who is their reightful sovereign ? verily, it is God and none else.

The Nature of 'Kufr' :

In contrast to the man described above, there is the man who, although born Muslim and unconsciously remaining one throughout his life, does not exercies his faculties of reason, intellect, and intuition for recogising his Lord and Creator and misuses his freedom of choice by choosing to deny Him, Such a man becomes an unbeliever-in the language of Islam 'Kafir'.

'Kufr' literally means 'to cover' or to 'conceal'. The man who denies God . is called 'Kafir' (concealer) because he conceals by his disbelief what is inherent in his nature and embalmed in his own soul-for, indeed, his nature is instinctively imbueld with 'Islam'. His whole body, every sinew and every fiber, functions in obedience to thet instinct. Each and every particle of existence living or lifeless-functions in accordance with (slam' and is fulfilling the duty that has been assigned to it. But the vision of this man has been blurred, his intellect has been befogged, and he is unable to see the manifest. His own nature has become concealed from his eyes and he thinks and acts in utter diregard of it. The reality becomes estranged from him and he gropes in the dark such is the nature of 'Kufr'.

'Kufr' is a form of ignorance, rather it is ignorance, pure and simple, What ignorance can be greater than to be ignorant of God, the Creator, the Lord of the universe ? A man observes the vast panorama of nature, the superb mechanism that is ceassaselessly working, the grand design that is manifest is every nook and corner of the creation-he observes this vast machine, but he does not know who is its Maker and Director. He looks to his own body, the wonderful organism that works in the most superb way, and uses it to achieve his own ends but is unable to comprehend the Force that brought it into existence, the Engineer Who designed and produced this machine, the Creator Who made the unique living being out of lifeless stuff : carbon, calcium, sodium, and the like. He witnesses a superb plan in the universe-but fails to see the Planner behind it. He sees great beauty and harmony in its working-but not the Creator of this all. He observes wonderful design in nature-but not the Designer. In the universe all round him he observes the choicest demonstrations of skill in science and wisdom, mathematics and engineering, design and purpose, but he blinds himself to the Being Who brought all this vast incomprehensible universe into existence How can a man, who has blinded himself to this great and significant

think and form judgments to choose and reject, and to adopt and spurn. He is free to adopt whatever course of life he chooses. He can embrace any faith, adopt any way of life and formulate his living accrding to whatever ideologies he likes. He may preparre his own code of conduct or accept one formulated by others. Hehas been bestowed with "free-will" and can chalk out his own course of behaviour. In this latter aspect, he, unlike the other creatures, has been given freedom of thought, choice, and action.

Both these aspects distinctly co-exist in man's life.

In the first he, like all other creatures, is a born Muslim, invaribly obeys the injunctions of God, and is bound to remain so. As far as the second aspect is concerned, he is free to become or not become a Muslim. Here he has been given the freedom of choice and it is the way a person exercises this freedom which divides mankind into two groups ; believers and non-believers. An individual who chooses to acknowledge his Creator, accpets Him as his real Master, honestly and scrupulously submits to His laws and injunctions and follows the code. He has revealed unto man for his indivdual and social life thereby, becomes a prfect Muslim. He has, so to say, achieved completeness in his Islam by consciously deciding to obey God in the domain in which he was endowed with freedom and choice. Now his entire life has become one of submission to God and there is no conflict in his personality. He is a perfect Muslim and his Islam is complete-for his submission of his entire self to the will of Allah is Islam and nothing but Islam.

He had now consciously submitted to Him Whom had already been unconsciously obeying. He has now willingly offered obedience to the Master Whom he already owed the Master Whom he already owed obedience unintentionally. His knowledge is now real for he has acknowledged the Being Who endowed him with the power to learn and to know. Now his reason and judgment are set on an even keel-for he has rightly decided to obey the Being Who bestowed upon him the faculty of thinking and judging. His tongue also is truthful for it expresses with conviction its confession of the Lord Who gsve it the faculty of speech. Now the whole of his existence is an embodiment of truth for, in all spheres of life, he voluntarily as well as involuntarily obeys the laws of the same One God-the lord of the Universe. Now he is at peace with the whole universe for he worships Him Whom the whole universe worships. Such a man is God's vicegerent on earth. The whole world is for him and he is for God.

own laws. Matter, energy, and life - all obey their laws and grow and change and live and die in accordance with those laws. Even in the human world the laws of nature are quite manifest. Man's birth, grwoth, and life are all regulated by a set of biological laws. He dervies sustenance from nature in accordance with an unalterable law. All the organs of his body from the small tissues to the heart and the brain are governed by the laws prescribed for them. In short, ours is a law-governed universe and everything in it is following the course that has been ordained forit.

This powerful, all-pervasive law which governs all that comprises the universe, from the tiniest specks of dust to the magnificent galaxies in high heavens, is the law of God, the Creator and Ruler of the universe. As the entire creation obeys the law of God, the whole universe, therefore, literally follows the religion of Islam for islam signifies nothing but obedience and submission to Allah, the Lord of the universe. Thesun, the moon, the earth, and all other heavenly bodies are thus "Muslim". So is the case with air, water, and heat, stones, trees and animals. Everything in the universeis "Muslim for it obeys God by submission to His laws.Even a man who refuses to beleve in God, or offers his worship to someone other than Allah has perforce to be a "Muslim as far as his bodily existence is concerned. For his entire, life, from the embryonic stage to the body's dissolution into dust after death, and every tissue of his muscle and every limb of his body follow the course prescribed for each by God's law. His very tongue which, on account of his ignorance advocates the denial of God or professes multiple deities, is in its very nature a "Muslim". His head which he wantonly bows to others besides Allah is a born Muslim. His heart wherein, through lack of true knowledge, he cherishes love and reverence for others is "Muslim" by intuition. These are all obedient to the Divine Law, and their functions and movements are governed by the injunctions of that law alone.

This, in short, is the real position of man and the universe. Let us now examine the problem in a different light. Man is so constituted that there are two aspects of his life : two distinct spheres of his activity. One is the sphere in which he finds himself totally regulated by the Divine Law. He cannot budge an inch or move a step away from it. Nor can he evade it in any way or form. In fact, like other creatures, he is completely caught in the grip of the law of nature and is bound to follow it. But there is another sphere of his activity as well. He has been endowed with reason and intellect. He has the power to

THE MEANING OF ISLAM

By

Moulana Abul A'ala Maududi

Every religion of the world has been named either after the name of its founder or after the conmunity nity and nation in which that religion took its birth. For instance, Christianity takes its appellation from the name of its prophet Jesus Christ; Buddhism from its founder Gautama Buddha; Zoroastrianism from its founder Zoroaster; and Judaism, the religion of the Jews, from the name of the tribe Judah (of the country of Judea) wherein it took its birth. Similar is the case with other religions. But not so with Islam. This religion enjoys the unique distinction of having no such association with any particular person or people. The word "Islam" does not convey any such relationship - for it does not belong to any particular person, people or country. It is neither the product of any human mind nor is it confined to any particular communtiy. It is a universal religion and its objective is to create and cultivate in man the quality and attitude of "Islam".

"Islam", as a matter of fact, is an attributive title. Whosoever possesses this attribute, may belong to any race, community, country, or clan, is a Muslim. According to the Quran (the Holy Book of the Muslims), among every people and in all ages there have been good and righteous people who possesses this attribute - and all of them were and are Muslims.

This automatically brings us to the question : What does Islam mean ? And who is a Muslim ?

Islam - What does it mean ?

"Islam" is an Arabic word and conotes submission, surrender, and obedience. As a religion, Islam stands for complete submission and obedience to Allah - and that is why it is called "Islam".

Everyone can see that the universe we live in is an orderly universe. There is law and order among all the units that comprise this universe. Everything is assigned a place in a grand scheme which is working in a magnificant and superb way. The sun, the moon, the stars and in fact all the heavenly bodies are knit together in a splendid system. They follow an unalterable law and do not make even the slightest deviation from their ordained course. The earth rotates on its own axis and in its revolution round the sun scrupulously follows the path laid down for it. Similarly, everything in the world, from the little wirling electron to the mighty nebulae, invariably follows its

or detestable thing ; abandoning slander and lying and keeping out of hearing every hateful thing. Explaining the very purpose of the fasting the Prophet states : "He who renounces not falsehood in speech and work, God needs not from him to leave his food and drink".

Not the deepest devotion can develop that sense of the nearness to God and of His presence everywhere, which fasting does. The Divine presence which may be a matter of faith to others, becomes a reality for him, and this made possible by the spiritual discipline underlying fasting. He touches neither food nor drink simply because he believes that it is the commandment of God, that he should not do so. In the inner recesses of his house there is no one to see him if he pours down his dry and burning throat a glass of water, yet there has developed in him the sense of the Presence of God to such an extent that he would not put a drop of it on his tongue. Not only whenever a new temptation comes before his he overcomes it because just there is an inner voice "God is with me and He sees me". Thus a new consciousness of a higher life, a life above that which is maintained by eating and drinking has been awakened in him, and this the highest value established through fasting.

---

organs of the body are so made that rest only increases their capacity of work. The better the capacity of the digestive organs, the healthier is the physical growth of man.

The exercise of abstaining from everything that is not allowed, sterngthens the moral side of his life. Fasting accustoms him to face the hardships of life, and increase his powers of resistance. The man who can face the hardships of life, is able to live at times without his usual comforts and can be fit for a healthy social life in all times and climes.

Moral medicine has stated that after the increase that has taken place in the variety of dishes, that a man eats and the diversification of the ways of cookery he should fast completely for certain period. Some opinions have called for fasting a day in every week, others have limited fasting to a week in every month but it has been found that the best of these opinions agreed upon is fasting for a month every year.

It has been discovered lately that increase of uric acid in the body causes many dangerous diseases to all systems of the body. Fasting effectively restricts the increase of uric acid. It is also notable that fasting leads to the decrease of the harmful activity of intestinak microbes and restricts their secretion ot poisons. Doctors always advise their patients to lessen the amount of food and try to reduce their weight. Fasting, as it causes the reduction of the quantity of water in the body, blood, and skin may be considered one of the important factors in the cure of skin diseases.

Some of the world health resorts, in Germany and Switzerland and in other countries have been obliged to prescribe treatment by fasting. In this way science calls for fasting. Medical studies have proved that fasting may be considered as a protection and a form of treatment. It is a protection against diabetes because it helps to prevent increase in weight. So modern science calls for fasting and clarifies the fact that the good of fasting is not limited to the perfection of the moral character of the man, but it is also one of the most important means of perfection of the individual character. Fasting is one of the means which creates honesty in man's life. The hungry man who sees food and dares not get near it, finds himself thirsty and leaves water which is near him untouched. It also creates honesty in man, for he fasts with no censorship but his conscience after God, then fasting is an effective means to cultivate honesty and to check the whims of the soul, and to lessen his agitation. And so the Quran calls for fasting to implant many good manners needed by man in life and called for by all educational means and scientific ways just as overlooking every unlawful

and there is a great mass movement in the Muslim world. This is due to the specification of a particular month for this institution.

Referring to the object of fasting the Holy Quran says :

« يا أيها الذين آمنوا كتب عليكم الصيام كما كتب على الذين من قبلكم لعلكم تتقون » (البقرة : ١٨٣)

It means : "O ye who believe ! Fasting is prescribed for you, even as it was prescribed for those before you, that ye may ward off evil". (2 : 183)

« ... وأن تصوموا خير لكم ان كنتم تعلمون » (البقرة : ١٨٤)

It means. " .... and that ye fast is better for you if ye did but know".

It is evident that the Holy Quran enjoins fasting with the object of making man ascent the spiritual heights. In addition to its spiritual and moral values, fasting as prescribed in Islam has also effective social values. The appearance of the moon of Ramadan is a signal for a mass movement towards equality which is not limited to one section or country but affects the Muslims everywhere.

Also this month brings together the Muslims, rich and poor, big and small, in great numbers in the mosques and other places to perform prayers. When they stand shoulder to shoulder, seeking the pleasure of Almighty God, they realise the terms of a healthy social relations and equality. Another aspect of social development of man by fasting is that he is thus taught to conquer his desires, specially his physical desires ; he takes his food at regular intervals and that is no doubt a desirable rule of life, but fasting for one month teaches him the lesson that, instead of being the slave of his life. The man who is able to rule his desires, to make them work as he likes, in whom will-power is so developed that he can command himself.

The rich and the poor, the high and the low, the master and the servant, the ruler and the ruled, the black and the white, go through a similar experience for a whole month, When the rich are made to feel the pangs of hunger like the poor and go without food for a day, this course undoubtedly awakens sympathy for the poor in the hearts of the rich and thus a great social barrier that exists between the two classes will be removed. It is for this reason that the helping of the poor is especially enjoined in the month of Ramadan.

In addition to its social values fasting has many physical values. The rest given to the digestive organs for a whole month only gives them additional strength.

MAJALLATU'L AZHAR

(AL-AZHAR MAGAZINE)

MANAGER : Dr. ABDUL WADOOD SHALABY

RAMADAN 1397	ENGLISH SECTION	AUGUST 1977

WHY THE MONTH OF RAMADAN IS CHOSEN FOR FASTING ?

By

Dr. Mohiaddin Alwaye

It is well-known that the revelation of the Holy Quran first began in the month of Ramadan. As the month which witnessed the beginning of Great Divine message, Ramadan was considered to be the most suitable month for the spiritual discipline of the Muslim Community. It will be seen from the words of the injunction that laid down in the Holy Quran relating to fasting in the month of Ramadan, that the choice of this particular month for this institution is for evident reasons. The Holy Quran says :

« شهر رمضان الذى أنزل فيه القرآن هدى للناس وبينات من الهدى والفرقان فمن شهد منكم الشهر فليصمه . »

(البقرة : ١٨٥)

It means : "The month of Ramadan is that in which the Quran was revealed, a Guidance to the people and clear proofs of Guidance and the Distinction; therefore whoever of you witnesses this month, he shall fast therein." (2 : 185)

The institution of fasting in Islam came after the institution of prayer. It was made obligatory and the month of Ramadan was chosen for this purpose. The practice of fasting has been recognised in all relaigions, though the forms and motives vary. Islam introduced a new meaning to fasting, as it is made a spiritual, moral and physical discipline of the highest order. On the other hand it is due to the choice of a particular month, with its advent the whole Muslim world is moved by one current from one end to the other. When they witness the tiny creasent of Ramadan they change the course of their daily lives,

مدير التحرير
والإدارة
الدكتور
عبد الودود شلبي

مجلة الأزهر

مجلة شهرية جامعة
تصدر عن مجمع البحوث الإسلامية بالأزهر
فى أول كل شهر عربى

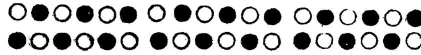
العنوان
إدارة الأزهر
بالقاهرة
ت { ٩٠٥٩١٤
٩٠٥٥٠٦

الجزء الثامن ـ السنة التاسعة والأربعون ـ شوال/ذو القعدة سنة ١٣٩٧ هـ
أكتوبر / نوفمبر ١٩٧٧ م



بسم الله الرحمن الرحيم

مؤتمر علماء المسلمين فى رحاب الأزهر



للإمام الأكبر الدكتور عبد الحليم محمود
شيخ الأزهر

ينعقد المؤتمر الثامن لمجمع البحوث الإسلامية ـ بعد غيبة... فى رحاب الأزهر .

والأزهر اذ يفتح ذراعيه الحانيتين، ليضم اليه علماء المسلمين من جميع أنحاء العالم الاسلامى . يؤكد بذلك رسالته الخالصة لدين الله، ويجدد العزم على مواصلة السير فى طريقه التاريخى ..

لقد مكث الأزهر ألف عام ولايزال يقوم على المحافظة على اللغة العربية والدين الاسلامى .

ولقد حفظ اللغة العربية، ووقف فى وجه كل النزاعات التى أرادت

بها شرا ، انه وقف فى وجه الدعوة الى العامية .

ووقف فى وجه الدعوة الى الكتابة بالحروف اللاتينية .

وانى لأعلن هنا فى غير لبس أو غموض أن كل دولة اسلامية اتخذت الحروف اللاتينية لكتابتها انما فعلت ما يغضب الله ورسوله ، وما يمقته الله ورسوله والذين يبوءون باثم ذلك هم المنفذون والراضون بالتنفيذ .

وأنه يجب على المؤمنين وجوبا دينيا أن يعارضوا ذلك وان يثوروا ضده ، وأن يضعوا الحروف العربية ـ حروف القرآن ـ محل تلك الحروف ...

وقام الأزهر طيلة قرون على الحفاظ ، على العقيدة الاسلامية .

ووقف فى وجه هذا الغزو الفكرى الآتى من الشرق أو من الغرب .

ان للأمة الاسلامية رسالة هى رسالة الله الى العالم : آخر الرسالات طبعها الرحمة لكل عوالم الله فى الأرض وفى السماء ، ومن مبادئها العلم وتزكية النفس « يعلمهم الكتاب والحكمة ويزكيهم » .

وهذه الرسالة ـ نقية صافية ـ هى المبرر لوجود الأمة الاسلامية :

فاذا ما نجح الغزو الفكرى فى الخروج بهذه الرسالة عن طابعها الربانى فانه لا يوجد ما يبرر وجود أمة الاسلام .

ولقد قام الأزهر طيلة قرون فى وجه الزحف الفكرى ليعلن للناس رسالة الله آخر الرسالات صافية نقية .

ومن هنا كان المسلمون ـ فى مشارق الأرض ومغاربها ـ يدينون للأزهر بالفضل يدينون جميعا له بالفضل فى عقيدتهم ، وتدين له الدول العربية بالفضل فى الدين واللغة .

وكان الأزهر وما زال مقدسا عند هذه الشعوب ، واذا سار شيخ الأزهر فيها امتدت اليه الأعين ، وأصغت اليه الأذن ، وهفت اليه الأفئدة ، وغمره الناس بحبهم وتقديسهم .

وكذلك يفعلون مع المشايخ المتخرجين من الأزهر ، والذين يلبسون الزى الأزهرى .

وهذه المكانة للأزهر يعترف بها المستعمرون والمبشرون ، يقول أحدهم : ان العمامة البيضاء فى افريقيا السوداء أخطر علينا من القنبلة الذرية .

لا يتأتى لنا الاستقرار فى هذه البلاد ما دام الأزهر موجودا .

والواقع أن هناك عوامل كثيرة تحاول النزول بالأزهر عن مكانته ومن أهم هذه العوامل هذا الاستعمار وهذا التبشير : ونتبين مما سبق أنه كان لا بد فى نظر أعداء الاسلام من هدم الأزهر .

وبدأت عوامل الهدم :

بدأت السخرية بعلماء الأزهر ، سواء أكان ذلك فى المراحل الأولى من التعليم أو فى المراحل النهائية ، أو من المتخرجين والعلماء ، بدأ ذلك فى التمثيليات ، وفى الأفلام ، وفى الصحف ، وفى المجلات .

وكان المثل الصارخ هو تلك القصة التى كتبها أحد كبار الكتاب بفرنسا واتخذ من قسيس فيها مجالا لسخريته وتهكمه ، فاذا بالتليفزيون يخرجها أياما متوالية متخذا فيها « شيخا » مجالا لتهكمه وسخريته ، ولم يجد المخرج أو المشرف من يقول له : ان هذا انحراف ولم يعاقبه أحد ولم يسىء اليه انسان .

وهذه الأقلام المأجورة التى تكتب هنا وهناك عن التشكيك فى الدين وفى القيم الأخلاقية وفى الهجوم على التشريع الالهى !! انها لا تجد من يقول لها : انك أقلام مأجورة ، وان أقل ما يمكن فى أمثال أصحابك أن يزجوا فى السجن لتخرس فيهم الألسن .

ان لكل بلد مقدسات ، ومن مقدسات أمريكا مثلا النظام الرأسمالى ومن مقدسات روسيا النظام الشيوعى ، وهذه المقدسات لا تمس .

أليست العقيدة من المقدسات التى لا تمس ؟

ان المنحرفين عقديا ، والمنحرفين أخلاقيا ، والمنحرفين اجتماعيا على

اختلاف ألوانهم يسرحون ويمرحون كيفما شاءوا فى الأقطار العربية والاسلامية ، فلا يجدون من يردعهم .

وتتكاتف الأقلام «المأجورة» ، والأقلام المستوردة أو المنحرفة ، ووسائل الاعلام فى العمل على التشكيك فى العقيدة والقيم الأخلاقية والتشريع الربانى ، ونشر التحلل الأخلاقى بكل الطرق .

وهذه الآراء المستوردة التى تتنافى مع الدين ومع الفضيلة ، والتى يروجها اليهود فى كل مكان : هل تجد من يقف فى وجهها .

ان قراءة كتاب « بروتوكولات حكماء صهيون » مفيد كل الافادة لمعرفة المخطط الخبيث الذى يقوم بتنفيذه اليهود .

انهم يتبنون كل فكرة منحرفة ، وكل رأى ضال ، ويحاولون عن طريق الصحافة والكتب والاذاعة الترويج لكل منحل ، واذاعة كل فاسد .

لقد تعاهدوا فى مواثيقهم على نشر آراء طائفة معينة من الذين اتخذوا مهنة ابليس فى العمل على افساد العالم ، والترويج لها .

انهم يقولون :

نحن الذين رتبنا نجاح كارل ماركس .

لقد رتبوا نجاحه لأنه يفسد على الناس النظام الطبيعى والربانى فى الاقتصاد عن طريق المذهب الشيوعى ، وهو مذهب يتنافى مع الطبيعة ومع الأديان .

وهو — من أجل معارضة الأديان له — يدعو الى ازالة الدين ، ويقولون عنه :

انه أفيون الشعوب .

لما قيل له : ولكن لابد من بديل عن الدين لأن الناس لايعيشون بغير عقيدة قال : ان البديل للدين هو المسرح ، ألهوهم بالمسرح ، انشروا المسرح فى كل مكان فيجد فيه الناس البديل عن الدين ، ثم ان الشيوعية عقيدة .

وأخذت معاول الهدم الشيوعية تنال من الدين فى كل مكان تسود فيه الشيوعية وهى لا تنال من الدين بأسلوب فيه هوادة ورأفة ، وانما تنال من الدين ومن رجال الدين بأسلوب عنيف قاس .

انها مجازر تقام ، ودماء تسفح ، وسجون تملأ ، وتفنن فى التعذيب ، أما الخراب فانه ثمرة كل ذلك .

وكارل ماركس يهودى ، ويقول اليهود فى بروتوكلاتهم :

نحن الذين رتبنا نجاح داروف .

وداروف هوصاحب نظرية التطور أو النشوء والارتقاء ، أو كما يقول التعبير الشعبى الانسان أصله قرد .

وهى نظرية تتنافى مع كل الأديان التى ارتقت بالانسان معبرة عن الحقيقة الكريمة : الانسانية أصلها آدم : خلقه الله بيديه ، وسواه ونفخ فيه من روحه ، وبدأ اقامته بالجنة .

وفرق هائل بين النظرتين :

ونظرية داروف لم تثبت ، وهى فى كل يوم تزداد ضعفا وتوشك الأوساط العلمية أن تلفظها نهائيا .

ان الانسانية متطورة فى العلوم المادية المكتسبة ، وهذه حقيقة لا جدال فيها : لقد تطورت من الابرة الى ماكينة الخياطة ، هذه الماكينة التى تطورت هى الأخرى من حال الى حال .

وتطورت فى وسائل طهى الطعام .

وتطورت وما زالت فى جميع أدوات الطب والآلات الهندسية .

ولكن الفكر — عقيدة وأخلاقا وتشريعا — والذهن ، والذكاء ، والعقل : ان كل ذلك لا تطور فيه ، والف عن الانسانية الحالية علومها المادية وما اكتسبته من من ثقافة حسية متوالية مرتب بعضها على بعض ، تجدها هى الانسانية التى كانت قبل التاريخ فكرا وعقلا وذكاء

هذا هو الواقع ، أما اذا قلت ان الانسانية متطورة عقلا وذكاء وذهنا ، فانك تكون قد هدمت كل القيم الفاضلة بجرة قلم ، وذلك انه مادامت الانسانية — فكرا وعقلا وذكاء وذهنا — متطورة ، فان كل

قيمها الفاضلة الحالية نسبية متطورة معها ، فلا يتأتى الحديث عن حق فى العقيدة ، أو عن حق فى الأخلاق ، أو عن حق فى التشريع ، أو عن حق فى نظام المجتمع ، وتنهار بذلك الأخلاق والأديان ، والقيم والمثل ، ولايصبح للانسانية الا الشهوات والغرائز .

اذا أخضعت القيم العليا للنسبية وللتطور فلا قيم ، وثمرة نظرية دارون أو خرافة دارون انما هى هدم القيم العليا .

ومن أجل ذلك رتب اليهود نجاحها .

ويقول اليهود :

نحن الذين رتبنا نجاح فرويد .

وفرويد هو العالم اليهودى المزيف ، ونظريته أكبر مثل على التزييف الذى يتحالف فيه المزيف مع الشيطان ليفسدا الانسانية فى النظرة الى فضائلها ومثلها ومكارم الأخلاق فيها .

انه يعزو — يا للسخافة — كل عمل وكل سعى الى باعث من الغريزة الجنسية ، وليس سعى الانسانية الا نوعا من ارضاء هذه الغريزة .

ورتب اليهود نجاحه ليحطوا بالانسانية من مثل عليا وقيم ومكارم أخلاق الى غريزة هى الغريزة الجنسية .

الرحمة : الرأفة ، العطف على اليتيم والمسكين ، الشعور بضرورة العدالة ، الانصاف ، تزكية النفس ، المروءة ، كل ذلك فى أساسه — انما هو الغريزة الجنسية .

وليس بغريب أن يقول فرويد اليهودى ذلك ، وليس بغريب أن يرتب اليهود نجاحه من أجل ذلك ، لأن فى ترتيب نجاحه هدما بمعاول من فولاذ لكل المثل الدينية الكريمة .

ويقول اليهود : نحن الذين رتبنا نجاح نيتشه .

ونيتشه هو المنكر للأديان وللألوهية والأخلاق ، وهو يجدد دعوة أبيقور بالاستمتاع على أية وسيلة كان الاستمتاع .

انه يقـول : اذا كان استمتاعك فى أن تسيل الدماء أنهـارا ، وأن تمشى على رءوس بنى البشر فلتفعل .

وهو الذى يقول : ان ما تعارف عليه الناس من أخلاق وفضائل انما هو ضعف فى الطبيعة .

ومن سخرية المقادير أن هتلر طبق على اليهود نظـريات نيتشه فأقاموا الدنيـا وأقعدوها صريخا وولولة واستغاثة ، وكان ما فعله هتلر هو نوع من ثمرة دعايتهم لنيتشه ، فلقد طبق عليهم نظريات من رتبوا نجاحه .

ان اليهود رتبوا نجاح هؤلاء ، ورتبوا نجاح كل مفسد ، ونشروا كل موبقـــة ، ودعـوا الى كل انحـــراف ، وفعـلوا ذلك عن تخطيط ، هو افســاد الانسانيــة ليسودوا من وراء ذلك ، ويتمكنوا ، ويسيطروا على العــالم .

ووقف الأزهر فى وجه كل ذلك ، وقف كالطود الراســخ يدافع عن الذاتيــة الاســلامية ، ويحاول فى صمود لا يلين أن ينفى عن الذاتيــة الاسلامية الدخيل والغزو الفكرى ، وما لانت قناته يوما ما .

وكان لا بد من النيــل منه فى أسلوب متستر ، أو فى أســلوب سافــر ـ ودأب الذين اســتجابوا للانحــراف على النيــل منه مرارا وتكرارا .

وهــذا الدأب الملح جعل بعض الطيبين ينساقون ـ عن غير شعور ـ الى نقـــد الأزهر ـ متســترين أو معلنين ، وأصبحت مصيبة الأزهر بهم هم الآخرون كبيرة .

والذى أحب أن أقوله عن ملاحظة دقيقة هو أن كل شــخص يحاول النيل من الأزهر انما فى قلبه دغل ، وفى نفسه شر ، ســواء أكان من المنحرفين بالفعل ، أو من « الطيبين المنفعلين » الذين خدعهم كثرة نقــد المنحرفين فساروا وراءهم .

وأحب أن أعلنها سافرة وأقول : اذا تكاتف المبطـلون على النيــل من الأزهــــر فى الاذاعــة أو فى التليفزيون أو فى الصــحف أو فى

سيره فى نهضته ، فانه يجب أن يتكاتف الخيرون على أن ينصروه مجاهدين بذلك فى سبيل الله ، فاذا لم يفعلوا ذلك فهم آثمون ، آثمون فرادى ، وآثمون جماعات ...

ما هو الأزهر ؟

انه الممثل للاسلام ، القائم على نشره ..

انه رمز الاسلام .

ولقد وجد الأزهر — بحق — فى مصر خير موئل ، وفى رئيسها المؤمن محمد أنور السادات خير نصير .

انه ليقول عن الأزهر : « لولا الأزهر ما انتشر الاسلام شرقا وغربا » .

وفى رحاب الأزهر العريق نقول لعلماء المسلمين من أنحاء العالم :

« أهلا بكم ومرحبا » .

د . عبد الحليم محمود

شيخ الأزهر

« يأيها الذين آمنوا لم تقولون ما لا تفعلون . كبر مقتا عند الله أن تقولوا ما لا تفعلون . ان الله يحب الذين يقاتلون فى سبيله صفا كأنهم بنيان مرصوص » .

« قرآن كريم »



نبــذة
عــن
فضيلة الامام الأكبر
الدكتور عبد الحليم محمود
شـيخ الأزهر

بسم الله الرحمن الرحيم ـ الحمـد لله رب العالمين ، والصلاة والسلام على خير المرسلين سيدنا محمد وعلى آله وصحبه ومن اتبع هديه الى يوم الدين ..

الاسـم : عبد الحليم محمود على

محل الميلاد : ناحية بلبيس ـ محافظة الشرقية

تاريخ الميلاد : مايو سنة ١٩١٠ م

- حفظ القرآن فى القرية التى نشأ بها .
- التحق بالأزهر الى أن أتم الدراسـة به ونال الشـهادة العالمية سنة ١٩٣٢ م .
- سافر الى فرنسا فى العام نفسه على نفقته الخاصة وأخذ فىالدراسـة بجامعة باريس (جامعة السـوربون) درس فيها علم النفس ، وعلم الاجتماع ، وتاريخ الأديان ، وحصل فى كل مادة من هذه المواد على شـهادة عليـا من الجامعة واستكمل دراسة الليسانس .

- في سنة ١٩٣٧ م التحق بالبعثة الأزهرية بباريس فدرس الدكتوراه وكانت في موضوع التصوف الاسلامي (أستاذ السائرين المحاسبي) ونوقشت سنة ١٩٤٠ م مناقشة علنية ونالت درجة الامتياز بمرتبة الشرف الأولى ..
- في سنة ١٩٤٠ م عاد الى مصر وعين مدرسا لعلم النفس بكلية اللغة العربية ــ جامعة الأزهر .
- في سنة ١٩٥١ م نقل أستاذا للفلسفة بكلية أصول الدين ــ جامعة الأزهر .
- في سنة ١٩٦٤ م عين عميدا لكلية أصول الدين ــ جامعه الأزهر وفي هذه السنة عين عضوا بمجمع البحوث الاسلامية .
- في سنة ١٩٦٨ م عين أمينا عاما لمجمع البحوث الاسلامية بالأزهر .
- في سنة ١٩٧٠ م عين وكيلا للأزهر .
- في سنة ١٩٧١ م عين وزيرا للأوقاف وشئون الأزهر .
- في سنة ١٩٧٣ م عين شيخا للأزهر .
- مثل الأزهر في مهرجان الامام الغزالي الذى عقد بدمشق سنة ١٩٦١ م .
- سافر الى تونس أستاذا زائرا لجامعة الزيتونة ثلاث مرات اسغرقت كل منها ثلاثة شهور .
- سافر الى ليبيا أستاذا زائرا للجامعة الاسلامية ثلاث مرات استغرقت كل منها شهرا .
- سافر الى الفلبين أستاذا زائرا لجامعة ببنداناوا .

- سافر الى اندونيسيا أستاذا زائرا لجامعة جاكرتا .
- سافر الى باكستان أستاذا زائرا لجامعة كابول .
- سافر الى السودان أستاذا زائرا لجامعة الخرطوم .
- سافر الى ماليزيا أستاذا زائرا للمركز الاسلامى لالقاء محاضرات دينية وتنظيم شئون المسلمين بها .
- سافر الى قطر بدعوة من حكومتها لوضع قواعد بناء التعليم الدينى والقاء المحاضرات بها .
- سافر الى الكويت بدعوة من حكومتها لالقاء محاضرات دينية فى شهر رمضان المعظم .
- سافر الى العراق بدعوة من حكومتها لتنظيم وزارة الأوقاف العراقية ودراسة المؤسسات الدينية ووضع تقرير لاصلاحها ومكث هناك شهرا .
- سافر الى دولة الامارات العربية لافتتاح الموسم الثقافى لعام ١٩٧٤ م والقاء المحاضرات الدينية وذلك بدعوة من حكومتها . .
- سافر الى ماليزيا بدعوة من حكومتها فى سنة ١٩٧٤ م لحضور اشهار اسلام عدد كبير من المواطنين الماليزيين يبلغ عددهم (٤٠٠٠) اربعة آلاف مواطن .
- سافر الى يوغوسلافيا فى ١٣ مايو سنة ١٩٧٥ م .
- سافر الى الهند فى ٢٦ أكتوبر سنة ١٩٧٥ م .
- حضر مؤتمر السيرة بباكستان فى فبراير سنة ١٩٧٦ م .
- سافر الى لندن لحضور مهرجان العالم الاسلامى فى ٣٠ مارس سنة ١٩٧٦ م .

- سافر الى مكة المكرمة لحضور مؤتمر رسالة المسجد فى ١٦ ابريل سنة ١٩٧٦ م .
- سافر الى اندونيسيا فى ١٣ أغسطس سنة ١٩٧٦ م بدعوة من حكومتها .

مصنفاته :

كتب فضيلة الأستاذ الدكتور الامام الأكبر ــ ولا يزال يكتب ــ مصنفات عديدة أمدت المكتبة العربية بثروة ضخمة وذخائر قيمة ولم تصرفه أعباء الوزارة ولا اعباء المشيخة عن البحث والدراسة والتصنيف ويمكن تقسيم آثاره الى أقسام ثلاثة :

الأول منها :

ما كتبه بالفرنسية أو نقله عنها من آثار .

والثانى :

ما حققه ونشره من التراث الاسلامى القديم الخالد مع ما أضافه اليه من الهوامش والتعقيبات القيمة الموضحة .

والثالث :

ما ألفه فى موضوعات علمية عديدة معروفة للقاصى والدانى .

الدعوة الإسلامية

مناهجها .. ووسائلها

للأستاذ العلامة أبو الحسن الندوى

ان الدعوة الاسلامية يجب أن تكون جامعة بين تحريك الايمان فى نفوس المخاطبين والمجتمع الاسلامى واثارة الشعور الدينى ، وبين اكمال الوعى وتنميته وتربيته فان المتتبع لأحوال العالم الاسلامى اليوم وواقع الأقطار الاسلامية وحكوماتها وشعوبها يعرف أن تمسك هذه الشعوب والجماهير بالاسلام وحبها له هو الحاجز السميك والسد المنيع لكثير من القيادات التى خضعت للحضارة الغربية وقيمها ومفاهيمها وفلسفاتها ونظمها وآمنت بها ايمانا كايمان المتدينين بالديانات والمؤمنين بالشرائع السماوية وفقدت الثقة بصلاحية الاسلام لمسايرة العصر الحديث وتطوراته وأحداثه وكرسالة خالدة عالمية .

ان الاسلام يعوق هذه القيادات عن نبذ الاسلام نبذا كليا ، واعلان الحرب عليه وقد لجأ بعض هذه القيادات فى ساعات عصيبة الى اثارة هذا الايمان والحماس الدينى واستخدامهما لكسب المعركة أو الانتصار على العدو حين رأت أن لا ملجأ من الله الا اليه والى ايمان هذه الشعوب السليمة المؤمنة . فرفعت هتافات التكبير (الجهاد والشهادة فى سبيل الله) ومحاربة العدو الكافر المهاجم كما فعلت الجزائر فى حربها مع الفرنسيين وباكستان فى حرب ١٩٦٥ م وجربت فائدة هذا الايمان وقوة هذه العاطفة .

فأصبح ايمان هذه الشعوب وتمسكها بالاسلام وتحمسها له هو السور القوى العالى الذى يعتمد عليه فى بقاء هذه البلاد وكثير من

القيادات والحكومات الاسـلامية فى حظيرة الاسلام ، فاذا تهدم هذا السور — لا سمح الله بذلك — أو تسوره دعاة الكفر واللادينية أو تيار الردة الفكرية والحضارية فالخطر كل الخطر على الاسلام فى هذه البلاد ولا يمنع هؤلاء القادة المحاربين للاسلام ، والمضمرين له العداء والحقد شىء أن يخلعوا العذارويطرحوا الحشمة والتكليف ويجردوا هذه الأقطار العريقة فى الاسلام من كل ما يمت الىالاسلام بصلة فان الشىء الوحيد الذى يخافون معرته ويحسبون له حسابا هو ثورة هذه الشعوب على هذه القيادات بدافع الايمان والحماس الاسلامى فيفقدهم ذلك مايتمتعون به من كراسى الحكم ومركز القيادة فاذا زال الحاجز لم يقف فى وجههم شىء ..

اذن فيجب على دعاة الاسلام والعاملين فىمجال الدعوة الاسلامية الاحتفاظ بهذه البقية الباقية من الايمان فى نفوس الشعوب والجماهير والمحافظة على الجمرة الايمانية من أن تنطفىء .

ولا يصح الاقتصار على تحريك الايمان واثارة العاطفة الدينية فى نفوس الشعوب والجماهير بل يجب أن تضم اليه تنمية الوعى الصحيح وتربيته والفهم للحقائق والقضايا والتمييز بين الصديق والعدو وعدم الانخداع بالشعارات والمظاهر فقد رأينا ان الشعوب التى يضعف فيها هذا الوعى أو تحرمه بتسلط عليها رغم تمسكها بالاسلام وحبها له ، قائد منافق أو زعيم ماكر أو عدو جبار ، فيصفق له الشعب بكلحرارة ويسير فىّ ركابها فيسوقها بالعصا سوق الراعى لقطعان من الغنم التى لا تعقل ولا تملك من أمرها شيئا ولا يمنعها تمسكها بالاسلام وحبها له من أن تكون فريسة سهلة أولقمة سائغة للقيادات اللادينية أو المؤامرات ضد الاسلام .

وقد كان ما يمتاز به المجتمع الاسلامى الأول المثالى أن الصحابة رضى الله عنهم بفضل التربية النبوية الدقيقة الشاملة التى تجمع بين الدين المتين الذى لا مغمز فيه والايمان القوى الذى لا يعتريه

وهن ، وبين الوعى الناضج الكامل كانوا لا يخدعون ولا ينخدعون ، ولا يسبغون شيئا ينافى الاسـلام وينافى العقل والذى يضرهم ويجنى عليهم أو يوقعهم فى خطر أوتهلكة. فقد بلغوا من الرشـد واستكملوا الحصـافة والنضج . فلا يؤخذون على غرة ولا يقعون فى شرك ينصبه العـدو المـاكر . يخطئون ولكن لا يصرون ، ولا تتكرر منهم غلطات وتورطات ، وقـد جاء فى حديث صحيح (لا يلدغ المؤمن من جحر مرتين) بخلاف الشـعوب الفاقدة الوعى ، فهى تلدغ مرة بعد مرة ، وذلك لأن الرسول ــ صلى الله عليه وسـلم ــ أخذهم بتربية وتعاليم أمنوا بها عن الوقوع فى الشباك ــ وامتنعوا بها عن قبول ما لا يتفق مع تعاليم الاسلام وآدابه والفطرة السليمة والعقول المستقيمة . فكان مجتمعـا نموذجيا مثاليـا فى كل شىء . .

أعرض لكم ــ على سبيل المثال:

مثالين من هذا العقـل الحصيف والوعى الكامل .

المثال الأول :

ان النبى صلى الله عليه وسلم قال مرة (انصر أخاك ظالما أو مظلوما)

وهو مثل جاهلى قديم وعرف من أعراف العرب الأولين ، تمسـك به العرب فى جاهليتهم كما قال العلامة الحـافظ ابن حجر فى شرح هـذا الحـديث فى كتـابه الجليل فتـح البارى ، فكان المتوقع المعقول أن يتلقاه الصحابة ــ وقد نشـأوا فى الجاهلية وعاشـوا فى الجـزيرة اما بالقبول واما بالسكوت .

وقد صدر هذا الكلام من النبى المعصوم الذى لا ينطق عن الهوى (ان هو الا وحى يوحى) وقـد عرفوا بحبهم لنبيهم صلى الله عليـه وسلم وفداؤهم له بالنفس والنفيس وكان حبـا لا نظـير له فى تاريخ الديانات والرسـالات وفى تاريخ الحب والطاعة العالمى وكان تفسيرا للحديث المشهور (لا يؤمن أحدكم حتى أكون أحب اليـه من أهـله وولده والناس أجمعين) وجاء فى بعض الروايات (من نفسه) ولكن كل ذلك لم يمنعهم عن التسـاؤل أو الاسـتيضاح فان ظاهر الكلام

كان ينافى مافهموه من تعليم الاسلام وما شاهدوه من تربية الرسول وأخلاقه وما آمنوا به من مبدأ الانصاف والمساواة . وقوله تعالى: (يأيها الذين آمنوا كونوا قوامين بالقسط شهداء لله ، ولو على أنفسكم أو الوالدين والأقربين) وقوله تعالى : (ولايجرمنكم شنآن قوم على ألا تعدلوا اعدلوا هو أقرب للتقوى) . فقالوا : يا رسول الله : هذا نصرته مظلوما فكيف أنصره ظالما ؟ هنالك فسره رسول الله صلى الله عليه وسلم تفسيرا يتفق مع تعاليمه السابقة الدائمة فقال: (تمنعه من الظلم فذاك نصرك اياه) هناك اقتنع الصحابة رضى الله عنهم وشفيت صدورهم ، فازدادوا ايمانا على ايمان ، وهو مثال بليغ رائع من أمثلة الوعى الايمانى العقلى الذى كان شعارا لصحابة الرسول صلى الله عليه وسلم والصدر الأول .

المثال الثانى :

ان الرسول صلى الله عليه وسلم أرسل سرية وأمر الصحابة بطاعة الأمير ، وقد كان فى هذه السرية ما لم يرض الأمير . وشك فى انقيادهم له فأمر بالحطب فجمع ، وأمر بالنار فأشعلت ، ثم قال : خضوها ، فامتنع الصحابة رضى الله عنهم عن طاعته فى ذلك لأنه (لا طاعة لمخلوق فى معصية الخالق) وقالوا انما فررنا من النار ، ولما رجع الى المدينة شكا الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فصوب فعلهم وقال (لو دخلوا فيها لم يزالوا فيها ، وقال : لا طاعة فى معصية الله ، انما الطاعة فى المعروف) .

وكان نتيجة ضعف بعض الشعوب المسلمة القوية فى ايمانها الغنية فى مظاهرها الايمانية ومراكزها الدينية وثروتها العلمية انها كانت فريسة سهلة للهتافات الجاهلية والنعرات القومية أو العصبيات اللغوية والثقافية ولعبة القيادات الداهية والمؤامرات الأجنبية وذهبت ضحية سذاجتها وضعفها فى الوعى الدينى والعقل الايمانى ، كما وقع فى باكستان الشرقية فى ١٩٧١م قامت فيها مجزرة هائلة وماذلك الا بسحر دعوات العصبية اللغوية والعصبية

الوطنية على هذا الشعب المسلم ، المؤمن الذى كان له تاريخ مجيد فى البطولات الاسلامية وخدمة الاسلام والعلم ، ونهض فيه علماء كبار ودعاة الى الله ، وغصت بلادها بالمساجد والمدارس، وكانت عاصفة هوجاء هبت ثم ركدت ، ونار حامية التهبت ، ثم انطفأت ، ولكنها زلزلت أركان الاسلام فى هذه المنطقة وأضعفت الكيان الاسلامى، وكانت حجة لأعداء الاسلام الذين يقولون : ان الاسلام لا يستطيع أن يقاوم العصبيات القومية ولا يقتلع جذورها من نفوس أتباعه .

وواجب ثالث : مقدس من واجبات العاملين فى مجال الدعوة الاسلامية هو صيانة الحقائق الدينية والمفاهيم الاسلامية من التحريف واخضاعها للتصورات العصرية الغربية أو المصطلحات السياسية والاقتصادية التى نشأت فى أجواء خاصة وبيئات مختلفة ، ولها خلفيات وعوامل وتاريخ . وهى خاضعة دائما للتطوروالتغيير فيجب أن نغار على هذه الحقائق الدينية والمصطلحات الاسلامية غيرتنا على المقدسات وعلىالأعراض والكرامات بل أكثر منها وأشد ، لأنها حصون الاسلام المنيعة واخضاعها للتصورات الحديثة أو تفسيرها بالمصطلحات الأجنبية اساءة لا احسان ، واضعاف لا تقوية كما يتصور كثير من الناس ، فاذا قلنا : الحج مؤتمر اسلامى عالمى لم ننصف الحج ، ولم ننصف لمن نخاطبه ونريد أن نفهمه حقيقة الحج وروحه ولما شرع له ولم ننصح لكليهما وأن روح الحج وسر تشريعه غير ما تعقد له المؤتمرات صباح مساء ، ولوكان الحج مؤتمرا اسلاميا عالميا لكان له شأن ونظام غير هذا النظام وجو غير هذا الجو، ولكان النداء له مقصورا على طبقات مثقفة واعية فقط وعلى قادة الرأى وزعماء المسلمين .

كذلك حقيقة العبادة وحقيقة الصلاة وحقيقة الزكاة والصوم ، فلا يجوز العبث بهذه المصطلحات والتجنىعليها، واخضاعها للفلسفات

الجديدة وتفسيرها بالشيء الذى لا ثقة به ولا قرار له ، وقد استخدمت هذه الاستراتيجية الدعائية الباطنية فى القرن الخامس الهجرى فما بعده ، ففسروا المصطلحات الدينية بما شاءوا وشاءت أهواؤهم ومصالحهم وتفننوا فيه وأتوا بالعجب العجاب وحققوا به غرضهم من ازالة الثقة بهذه الكلمات المتواترة التى هى أسوار الشريعة الاسلامية وحصونها وشعائرها ونشر الفوضى فى المجتمع الاسلامى والجماهير المسلمة واذا فقدت هذه الكلمات التى توارثت فهمها الأجيال المسلمة وتواتر فى المسلمين وأصبح فيها مساغ لكل داع الى نحلة جديدة ورأى شاذ ، وقول طريف ، فقد أصبحت قلعة الاسلام مفتوحة لكل مهاجم ولكل منافق ، وزالت الثقة بالقرآن والحديث واللغة العربية وجاز لكل قائل أن يقول ما شاء ويدعو الى ما شاء .

ان مفاهيم هذه الكلمات معينة وهذه فتنة لا تساويها فتنة وخطر لا يكافئه خطر — على اتساعها وبلاغتها وعمقها وكثرة معانيها — وان الأمة توارثت هذه المفاهيم المعينة كما توارثت أشكال الصلاة والصوم والحج ونظمها الظاهرة ، وتناقلتها وحافظت عليها من غير أقل انقطاع أو أقصر فترة وانه معنى قوله تعالى : (انا نحن نزلنا الذكر وانا له لحافظون) و (اليوم أكملت لكم دينكم وأتممت عليكم نعمتى ورضيت لكم الاسلام دينا) وهو معنى الحديث المشهور الذى صح معناه لا تجتمع أمتى على الضلالة . وقد أثبت شيخ الاسلام ابن تيمية أن سنة واحدة من السنن الكثيرة لم ترتفع من هذه الأمة بشكل كلى ، وانها لا تزال طائفة من أمتى ظاهرة على الحق ..

والكلمات هى الوسيلة الوحيدة لنقل المعانى والحقائق من جيل الى جيل ، ومن عصر الى عصر ، ومن انسان الى انسان ، فاذا وقع الشك فى مدلول هذه الكلمات ومصداقها أو صار التلاعب بها هينا اضطربت دعائم الدين وتزلزلت أركانه ، وهذا

يعم التاريخ والشعر والأدب — لذلك كانت الفوضى اللغوية أشد خطرا وأكثر ضررا من الفوضى السياسية .

وليست قضية الأسماء والمصطلحات من البساطة بالمكان الذى يتصوره كثير من الناس فانها تؤثر فى النفس تأثيرا خاصا وتثير معانى وأحاسيس ذات الصلة بالماضى وذات الصلة بالعقائد والأعراف، أحيانا ، ولذلك كره الرسول صلى الله عليه وسلم أن يقال (العتمة) مكان — العشاء ويوم (العروبة) بدل الجمعة واستبدال كلمة يثرب بمدينة الرسول أو بالمدينة ولها أمثلة أخرى فى الشريعة الاسلامية.

وكذلك أحذركم أيها الاخوان مما لوحظ من بعض الكتاب من الضغط على أن هذه الأركان الدينية وفرائض الاسلام كالصلاة والزكاة والصيام والحج وسائل لا غايات . انما شرعت لاقامة الحكم الاسلامى وتنظيم المجتمع المسلم وتقويته ، وأحذركم من كل ما يحط من شأن روح العبادة والصلة بين العبد وربه وامتثال الأمر . ومن التوسع فى بيان فوائدها الخلقية والاجتماعية والسياسية والاقتصادية أحيانا توسعا يخيل للمخاطب أو القارىء أنها أساليب تربوية أو عسكرية أو تنظيمية قيمتها ما يعود منها على المجتمع من قوة ونظام — أو صحة بدنية وفوائد طبية ، فإن اضرار هذا الأسلوب من التفكير أو التفسير أنه يفقد هذه العبادات قيمتها وقوتها وهو امتثال امر الله وطلب رضاه بذلك ، والايمان والاحتساب والقرب عند الله تعالى. وهى خسارة عظيمة لا تعوض بأى فائدة وفراغ لا يملأ بأى شيء فى الدنيا .

والضرر الثانى انه لو توصل أحد المشرعين أو الحكماء المربين الى أساليب أخرى قد تكون أنفع أو يخيل أنها أنفع لتحقيق هذه الأغراض الاجتماعية أو التنظيمية أو الطبية لاستغنى كثير من الذين آمنوا بهذه الفوائد عن الأركان والعبادات الشرعية وتمسكوا بهذه

الأساليب أو التجارب الجديدة وبذلك يكون الدين دائما معرضا للخطر ولعبة للعابثين والمحرفين .

وهذا لا ينافى الغوص فى أعماق هذه الأركان والأحكام والحقائق الدينية والكشف عن أسرارها وفوائدها الاجتماعية ، وقد أفاض علماء الاسلام قديما وحديثا فى بيان مقاصد الشريعة الاسلامية وأسرار العبادات والفرائض والأحكام الشرعية ، وألفوا كتبا مستقلة ، وكتبوا بحوثا جليلة كالغزالى ، والخطابى ، وعز الدين بن عبد السلام وابن قيم الجوزية ، وأحمد بن عبد الرحمن الدهلوى ، ولكن كل ذلك من غير تحريف لحقيقة هذه العبادات والأحكام والغاية الأولى التى شرعت لها وهى امتثال الأمر والنهى الالهى والتقرب اليه بذلك الايمان والاحتساب فيها ومن غير اخضاع لها للفلسفات العجمية أو الأجنبية فى عصرهم ومن غير خضوع بسحرها وبريقها .

وأحذركم ثانية أيها الشباب من كل ما يقلل من شناعة الوثنية العقائدية والشرك الجلى من عبادة غير الله والسجود له وتقديم النذور والقرابين واشراكه فى صفات الله من قدرة وعلم وتصرف واماتة واحياء ، واسعادواشقاء ، وأحذركم من الاكتفاء بالتركيز على شناعة الخضوع للحكومات والنظم الانسانية والتشريعات البشرية وتحويل حق التشريع للانسان ، ان ذلك هو وحده عبادة الطاغوت والشرك ، وان الوثنية الأولى وعبادة غير الله قد فقدت أهميتها وانما كانت لها الأهمية فى العصر القديم العصر البدائى ، وانه لايقبل عليها الآن الا الرجل الجاهل الذى لا ثقافة له فضلا عنأن هذه الوثنية والشرك الجلى لا يزال له شيوع وانتشار . ودولة وصولة يجريه كل انسان فى كل زمان ومكان ، فانها الغاية التىبعث لها الأنبياء ، وأنزلت لها الكتب السماوية ، وقامت لها سوق الجنة والنار ، وكانت دعوة جميع الأنبياء تنطلق من هذه النقطة وكأن جهودهم مركزة على محاربة هذه الجاهلية والقرآنمملوء بذلك لا يقبل تأويلا .

وان كل ما يقلل من أهمية محاربة الشرك الجلى وعبادة غير الله سواء كانوا أشخاصا أو أرواحا أو ضرائح ومشاهد والعناية بمحاربة النظم والتشريعات والحكومات فحسب احباط لجهود الأنبياء واتجاه بهذا الدين عن منهجه القديم السماوى الى المنهج الجديد السياسى وهو تحريف لا محالة ، هذا من غير أن أقلل من قيمة التركيز على أن التشريع لله وحده وله الحكم والأمر وحده ، وأن من يدعو الى طاعة نفسه الطاعة المطلقة العمياء منافس للرب وطاغوت ، وانه يجب أن يدعى الى التشريع الالهى والى اقامة الحكم الاسلامى القائم على منهاج الكتاب والسنة ومنهاج الخلافة الراشدة وأن لا يدخر وسعا فى ذلك ، ولكن من غير أن يكون ذلك على حساب الدعوة الى التوحيد والدين الخالص ومحاربة الوثنية والشرك فانهما لا تزال فى الدرجة الأولى وهى أكثر انتشارا وأعظم خطرا فى الدنيا والآخرة ، فقد قال الله تعالى : (ان الله لا يغفر ان يشرك به ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء) و (من يشرك بالله فقد افترى اثما عظيما) ، وقد قال (فاجتنبوا الرجس من الأوثان واجتنبوا قول الزور ، حنفاء لله غير مشركين به ومن يشرك بالله فكأنما خر من السماء ، فتخطفه الطير أو تهوى به الريح فى مكان سحيق) .

مكونات الداعية الى الله :

وأما ما يتصل بصفات العاملين فى مجال الدعوة الاسلامية وجنود الدعوة الى الله فاننى أركز فى هذا الحديث الموجز على نقطة واحدة وهو أنه يجب أن يكون الدعاة ممتازين عن الدهماء والجماهير ودعاة النظم الجديدة والفلسفات السياسية والاقتصادية بقوة ــ ايمانهم وحرارة قلوبهم وزهدهم فى زخارف الدنيا وفضول العيش ونهامة المادة ومرض التكاثر ، فانهم لا يستطيعون أن يؤثروا فيمن يخاطبونهم ويحملوهم على ايثار الدين على الدنيا والآجلة على العاجلة وتلبية نداء الضمير والايمان على نداء المعدة والنفس والشهوات وأشعال مجامر قلوبهم التى أنطفأت أو كادت تنطفىء

الا اذا شعر الناس بشىء لا يجدونه فى قلوبهم وحياتهم فان الناس مازالوا ولا يزالون مفطورين على الاجلال لشىء لا يجدونه عندهم ، فالضعيف مفطور على احترام القوى ، والفقير مفطور على احترام الغنى ، والأمى مفطـور على احترام العالم ، حتى اللئيم مفطور على احترام الكريم ، أما اذا رأى النـاس علماء ، ودعاة لا يقلون عنهم فى حب المادة والجرى وراءهـا والتنافس فى الوظـائف والمناصب والاكثار من الثراء والرخاء والتوسـع فى المطـاعم والمشارب وخفض العيش ولين الحياة فانهم لا يرون لهم فضلا عليهم وحقا فى الدعوة الى الله وايثـار الآخرة على الدنيا والتمرد على الشهوات والتماسـك أمام المغريات ، وقد قيل (ان فاقـد الشىء لا يعطيـه) وكذلك القلب الخاوى لا يملأ قلبا آخر بالايمان والحنـان ، وان المـوت لا ينشىء الحياة وان البرودة لا تعطى الحرارة وأن الرماد الذى لا تكمن فيه جمرة لا يلهب القلوب الخامدة ، ولا يحيى النفـوس الميتة ، والكشاف لا ينير الطريق اذا كانت قد نفذت شحنته ، فلابد أن تشحن القـلوب بشـحنة جديدة واذا كانت بطـارية من غير شحنة كانت أقل غناء وقيمة من عصا يحملها الانسـان فقيمة البطـارية الشحنة وقيمة الشحنة النور ، فاذا لم تكن شـحنة أو كانت شـحنة ولا نور فالعصا خير منه .

أسألكم أيها الأخوان ، أليس هذا العصر هو العصر الذى انتشر فيـه العلم وكثرت فيه وسـائل الاعلام والتربيـة وازدهرت فيه الخطـابة والكتابة وبلغت حد الشعر والسحر ، وعمت الجامعـات فى كل مكـان وتدفق السـيل من المطبـوعات والمنشورات من المطابع ودور النشر ونبغ فيها علماء وباحثـون ووعاظ ومرشـدون ، فلماذا فقـد العلماء والموجهون التأثير فى النفوس والقلوب فى صد تيار المادية والاسـتغلال والجشع والنهامة للمال ، هذه البلاد العربية بما فيهـا البلاد المقدسـة أصبحت مصـداقا لمـا أخبر بـه الرسول صلى الله عليه وسـلم فى احدى خطبه قبل وفاته (ما الفقر

أخشى عليكم ، ولكن أخاف أن تبسط عليكم الدنيا كما بسطت على من كان قبلكم فتنافسوها كما تنافسوها فتهلككم كما أهلكتهم) .

وأخوف ما نخاف أن نجتاح هذه البلاد الموجة العارمة من التكاثر فى الأموال واستغلال حاجة الناس وضعفهم والانتهازية وهى الموجة التى لاتعرف الرحمةوالهوادة ومكارم الأخلاق التى عرف بها العرب فى العصر الجاهلى وربما يعود ذلك خطرا كبيرا على الحج ومركزه ، ويمكن أن يشكل محنة للوافدين اليه فيضطر الدعاة فى صد هذه الموجة الى مكافحة خلقية وحملة دعوية تربوية تنظم لاصلاح الحال وايقاظ الضمير واثارة الغيرة الاسلامية والشعور النبيل وتنطلق من المنابر والصحف والاذاعة ووسائل الاعلام وتجند لها الطاقات والألسن والأقلام .

وسمة الدعوات الحية المخلصة التى تقتبس النور من مشكاة النبوة وتسير على نهجها انها تجس نبض المجتمع جسا صحيحا أمينا وتهتدى الى الداء الحقيقى ومواضع الضعف فى جسم هذا المجتمع وتضع أصبعها عليها ، وتضرب الوتر الحساس من غير محاباة أو مداهنة ، ولا تكترث بألم هذا المجتمع أو مرضه كما فعل شعيب فى دعوته فوجه دعوته بعد الدعوة الى التوحيد — الى ايفاء الكيل والوزن بالقسطاس المستقيم ، وشنع على التطفيف اذ كان ذلك عيب المجتمع الذى بعث فيه وسمته البارزة ، وكذلك فعل غيره من الأنبياء . .

وهذه كانت سنة الدعاة الى الله من المخلصين الربانيين فى تاريخ الاسلام فكانوا ينتقدون المجتمع فى الصميم ويصيبون المحز ، ولذلك كان وقع كلامهم فى النفوس عظيما وعميقا . وما كان يسع المجتمع أن يتغافل عنهم أو يمر بهم مرا سريعا أو يسلى نفسه بأنه انما يعنون غيره من المجتمعات التى سبقت أو المجتمعات التى لم تخلق بعد وهذا كان شأن الحسن البصرى فى مواعظه اذ كان دائما يشير الى النفاق الذى كان داء المجتمع الاسلامى وهو فى أوج مجده ورخائه ويذم حب الدنيا وطول الأمل وهذا كان شأن الشيخ عبد القادر الجيلانى فيدعو

الى التوحيد الخالص وقطع الرجاء والخوف من غير الله وانه لا يضر ولا ينفع سواه لأن الناس كانوا قد ربطوا مصيرهم بالخلفاء والأمراء وأصحاب الحول والطول والأمر والنهي في العاصمة ، وهذا كان شأن ابن الجوزى فى مواعظه الساحرة ومجالسه المزدحمة فانه كان يشنع على الحياة اللاهية الماجنة التى كان يحياها كثير من الناس فى بغداد وعلى الذنوب والمعاصي التي كانت ترتكب جهارا والمنكرات التى شاعت ، فكان مئات وآلاف من الناس يتوبون ويقلعون عن الذنوب وكان نشيج يعلو وقلوب ترق وعيون تدمع ، وموجة من الانابة والرقة تكتسح الجموع الحاشدة لأنه كان يمس القلوب ويصور الواقع ولا يكتفى بالكلام العام والوعظ التقليدى .

وهنا أنقل اليكم قطعة من كتابنا (رجال الفكر والدعوة فى الاسلام) والمؤلف يتحدث عن الامام أحمد بن حنبل وزهده .

(وقد رأينا الزهد والتجديد مترافقين فى تاريخ الاسلام فلا نعرف أحدا ممن قلب التيار وغير مجرى التاريخ ونفخ روحا جديدة فى المجتمع الاسلامى أو فتح عهدا جديدا فى تاريخ الاسلام وخلف تراثا خالدا فى العلم والفكر والدين وظل قرونا يؤثر فى الأفكار والآراء ويسيطر علي العلم والأدب الا وله نزعة فى الزهد وتغلب على الشهوات وسيطرة على المادة ورجالها ولعل السر فى ذلك أن الزهد يكسب الانسان قوة المقاومة والاعتداد بالشخصية والعقيدة والاستهانة برجال المادة وبصرعى الشهوات وأسرى المعدة ولذلك ترى كثيرا من العبقريين والنوابغ فى الأمم كانوا زهادا فى الحياة متمردين على الشهوات وبعيدين عن الملوك والأمراء والأغنياء فى زمانهم ، ولأن الزهد يثير فى النفس كوامن القوة يشعل المواهب ويلهب الروح وبالعكس ان الدعة والرخاوة تبلد الحس وتنيم النفس وتميت القلب .

وهناك تعليلات أخرى يوافق عليها علم النفس وعلم الأخلاق ولا أطيل

بذكرها واقتصر على هذه الملاحظة التاريخيـــة وألح على أن منصب التجديد والبحث الجـديد يتطلب لا محالة زهـدا وترفعا عن المطامع وسفاسف الأمـور ويأبى الاندفاع الى التيارات ويتنافس مـع الحياة الوادعة الرخية والعيشة الباذخـة الثرية ، انما هـو خلافة للرسـول الأعظم صلى الله عليه وسلم وقـد قيـل له « ولا تمـدن عينيك الى ما متعنا به أزواجا منهم زهرة الحياة الدنيا لنفتنهم فيه ورزق ربك خير وأبقى » وأمر بأن يقول لأزواجـه « ان كنتن تردن الحيـاة الدنيـا وزينتها فتعالين أمتعكن وأسرحكن سراحا جميلا » وهذه سنة الله فيمن يختاره لهذا الأمر العظيم ومن يرشح نفسه ويمنيها بهذا المنصب الخطير (ولن تجد لسنة الله تحويلا) ..

ومن أبرز سـمات الدعوة التى يقوم بهـا الأنبياء وخلفاؤهم انهـا تقوم على الايمان بالآخرة والتحذير من عقابهـا والترغيب فى نعمـائها وثوابها ويكون مناط العمل فيهـا الايمان والاحتساب والأجر والثواب لا على الاغراء بالفـوائد الدنيوية والجاه والمنصب والمـال والملك فانه أساس ضعيف منهـار ولا يتفق مع طبيعة دعـوات الأنبياء ، والمساومة فيـه سهلة وقـد يملك أعداؤهم وخصـومهم والقـادة السياسيون مثله أو أكثر منه . ومن رضع بلبان هـذه المطامع لم يمكن فطامه عنها ولا يصح الاعتماد عليه وانما يبنون دعـوتهم على رضـا الله وثوابه وما أعده لعباده المؤمنين وما وعدهم بـه على لسـان أنبيـائه من نعيم لا يزول ولا يحـول والصـحف السـماوية ــ غير صحف العهـد القديم التوراة ــ مملوءة بالحديث عن الآخـرة والاهتمام بها والبناء عليها ، وقد جعل الاسلام الايمان بها عقيدة أساسية وشرطا لصـحة الايمـان والنجاة ، وقـد جاء فى القرآن صريحا (تلك الدار الآخرة نجعلهـا للذين لا يريدون علوا فى الأرض ولافسادا والعاقبة للمتقين) .

وهنـا أسـتعير لنفسى من نفسى ما قلته فى احـدى المحاضرات التى ألقيتها فى سنة ١٣٨٢هـ تحت عنوان

(النبوة والأنبياء فى ضوء القرآن) وأختم به هـذا الحديث قلت وأنا أتحدث عن الفرق بين منهج الدعوات النبوية وبين الدعوات الاصلاحية :

« ولم تكن دعـوة الأنبياء الى الايمان بالآخرة أو الاشـادة بهـا كضرورة خلقية أو كحاجة اصلاحية لايقوم بغيرها مجتمع فاضل ومدنية صالحة عن المجتمع الاسلامى وهذا وان كان يستحق التقدير والاعجاب ولكنـه يختلف عن منهج الأنبيـاء وسيرتهم ومنهج خلفائهم اختـلافا واضحا والفـرق بينهمـا ان الأول منهج الأنبياء ، ايمان ووجدان وشـعور وعاطفة وعقيدة تملك على الانسان مشاعره وتفكيره وتصرفاته .

والثانى اعتراف وتقدير وقانون مرسـوم وان الأولين يتكلمون عن الآخرة باندفاع وتلذذ ويدعون اليها بحماسة وقوة ، وآخرون يتكلمون عنها بقدر الضرورة الخلقية والحاجة الاجتماعية وبدافع من الاصـلاح والتنظيم الخلقى ، وشـتان ما بين الوجـدان والعاطفة وبين الخضوع للمنطق والمصالح الاجتماعية ..

أبو الحسن الندوى

مسئولية علماء الاسلام :

علماء الاسلام يحملون وزر ما نحن فيه ، واثم ما أصيب به الاسلام ... يحملون أوزار المستعمرين الغافلة عن الاسلام والخارجة عليه .

وعلماء الاسلام أهل لأن ينسب لهم هذا ، لأنهم يظاهرون الاسـتعمار أو يسكتون عليه ، ولأنهم يظاهرون الحـكومات الاسلامية حينا ويسكتون عليها حينا ، ولأنهم تركوا جماهير المسلمين جاهلة بأهم أحـكام الاسـلام ، غافلة عمـا يراد بالاسلام .

عبد القادر عودة : الاسلام بين جهل أبنائه وعجز علمائه .

الخط البيانى 

لمسيرة الإسلام

للمفكر الإسلامى فضيلة الشيخ محمد الغزالى

الرسم البيانى لمسيرة الاسلام فى العالم متموج مضطرب ، قد يسمو فيصل الى القمة وقد يهبط حتى يمس القاع . وليس ذلك مستغربا عندما نلاحظ السنن الكونية التى تحكم دنيانا ، فانهذه السنن تقلب الناس بين السراء والضراء « وتلك الأيام نداولها بين الناس » ولا أريد الآن الحديث عما عرض للمسلمين فى تاريخهم الممتد من نصر أوهزيمة ، وانما أريد التوقف طويلا لأتعرف على عوامل الصعود والهبوط فى حياتنا العامة ، وسأكتفى هنا بملحظ واحد أريد تجليته ولفت الأنظار اليه .

ان اضطراب المستوى الثقافى والسياسى لأمتنا لا يسأل عنه جيل واحد ، فنحن المسلمين الذين يسوءنا ما يلقاه الاسلام اليوم من حظوظ سيئة وما نلقاه نحن من متاعب ثقيلة انما نجنى تفريط أناس سبقونا ونحصد ما غرسوا !! .

وما نبديه من مقاومة ونكنه من ثبات ومصابرة ربما تراخت آثاره فلم يظفر بها الا أولادنا أو أحفادنا ، كأنها رصيد مدخر لهم تكشف عنه الأيام فى ابانه ،! ..

وما نبغى بهذا الكلام دفاعا عن أنفسنا ، ولاغمطا لغيرنا ، وانما نريد ابراز وحدة الكيان الاجتماعى للأمة وتماسك أحوالها وان تغايرت القرون ، ان الحق الذى نعمل لاستقراره لابد أن يستقر ، والباطل الذى نكدح لبواره لابد أن يبور .. ولكن متى ؟ ليس ذلك الينا ، ولا توقيته فى مقدورنا ، اننا نحيا فى ضوء ايمان قدمه لنا سلف صالح ، فلماذا نستكثر أن تحيا الأحلاف

المقبلة فى ضوء ما نقدم من كفاح ؟ وأن يطوينا الليل لتنعم هى بتباشير الصباح ؟ لعل ذلك الذى نقرره هو سر الأمر الحاسم فى قول الله لنبيه « فاصبر ان وعد الله حق ، فاما نرينك بعض الذى نعدهم أو نتوفينك فالينا يرجعون » .

على المجاهدين المسلمين أن يعملوا ، ولذتهم ليست فى اقتطاف الثمر العاجل ، وانما لذتهم فى الشعور بتوفيق الله والأمل فى رضاه ..

وندع هذه الخاطرة فى قصة الثواب والعقاب الى ما هو أهم فى مسيرة الأمة الاسلامية نفسها ، ان حاضر المسلمين ومستقبلهم تقرره أنصبتهم من اليقين والخلق والكفاءة على قيادة الحياة باسم الله،نعم،وفرة هذه الأنصبة هوالذى يرجح كفتنا، ويدعم جانبنا ويسوق النصر سوقا الينا ، شئنا أم أبينا !! شئنا أم أبينا؟ ان هذا تعبير غريب ، لكن غرابته تذهب عندما نقرأ قوله تعالى فى مفتتح الحديث عن انتصار « بدر » «كما أخرجك ربك من بيتك بالحق وان فريقا من المؤمنين لكارهون ، يجادلونك فى الحق بعد ما تبين كأنما يساقون الى الموت وهم ينظرون» . ان القدر ساق التمكين سوقا الى القلة المؤمنة فى صحراء الجزيرة لأنها أجدر به وأولى .. ان من مصلحة الدنيا أن يقع هذا التحول ، وأن ينتزع زمام التوجيه من أيدى الوثنيين ليوضع فى أيدى المؤمنين الذين ترشحوا له بمواهبهم ومكاسبهم المعنوية أكثر مما ترشحوا له بدعاواهم وأمانيهم العاجلة !!..

ويظهر ذلك جليا فى فتح مكة ، فان المعاهدة التى التزمها المسلمون كانت تؤخر هذا الفتح عشر سنين ولكن الوثنية الحاكمة هى التى سعت الى حتفها بظلفها ، فغدرت وعبثت واستقدمت المسلمين بعد سنتين ليتسلموا مقاليد الأمور فى أم القرى.. ان المسلمين فى هذه الأيام الغابرة لم يكونوا مشغولين بالتطلع واستعجال السيادة ، بل كانوا مشغولين بتزكية أنفسهم وتنميتها بما يرضى الله ، كانوا مشغولين بمضاعفة أنصبتهم من التقوى والأدب والأمل والعمل بما يجعلهم

أئمة خير وبر ، فكانت العقبى لهم ، وأقبلت الدنيا عليهم ، وما كانوا فيها يؤملون ، ولا لها يعملون .. ومضت السنن الكونية فى عملها العتيد الخالد فغربت الشمس عن « المدائن » و « القسطنطينة » لتشرق فى « مكة » و « المدينة ».. وانتقلت عواصم الحضارة الى جزيرة العرب ، أترى ذلك تم عن محاباة أو مصادفة ؟ كلا ان المصلحة العليا للانسانية هى التى اقتضت ذلك ، ان التقاليد السياسية لعمر فى المدينة المنورة كانت أشرف ألف مرة مما عرف الفرس والرومان ، كان المسلمون يومئذ فلاسفة فى حقوق الانسان كما كانوا فلاسفة فى حقوق الرحمن ، أما خصومهم فكانوا قطعانا من الأميين تتخلف بهم الحياة ويسود وجهها ..

فلندرك ــ نحن المسلمين المعاصرين ــ هذه الحقائق ، ان التاريخ ليس سجل معارك حربية منتصرة أو منكسرة ، قدر ما هو سجل مستويات عقائد وأخلاق وقدرة على تطويع الحياة للقيم الرفيعة .. وآباؤنا الأوائل نماذج عملية لذلك كله .. وطبيعى أن يحفل تراث النبوة بما يشرح الخط البيانى لسير المسلمين ، وأن يحذر من الفتن الكثيرة التى تملأ الطريق ، والفتن فى حياة الأفراد والجماعات شىء لابد منه ، ومواجهتها باليقظة والرشد حق على كل مؤمن ، وقد وقر فى بعض الأذهان أن الفتن حكر على الفصل الأخير من رواية الانسانية ، وأن المسلمين سوف يواجهون آخر الزمان جزرا لامد معه وأدواء لا أدوية لها ، وهذا جهل كبير ، والواقع أن أحاديث الفتن لايجوز أن يقرأها العامة ، ولا أرى أن يقرأها الا اخصائيون فى علل المجتمعات وأطوار الأمم وأسرار التاريخ ..

ان الحديث عن غربة الاسلام ليس حديثا عن مستقبل دين كما يتوهم البعض ، ولكنه حديث عن عرض يعرو الدين حينا ثم يذهب بذهاب أسبابه ، وقد يعود مثنى وثلاث ويذهب كذلك لأن معنى الحديث الوارد هو أن الخط البيانى لسير الاسلام لن يأخذ طريقه صعدا مع موجة الفتح الأول ، بل سيتراجع وينحرف وتغلب الفتن ، ثم ينتصر

الايمان وينجح رجاله مرة أخرى فى استعادة سيطرتهم وتفوقهم ويبدأ الاسلام صفحة جديدة ، لا تبقى جدتها طويلا ، بل تناوشها الفتن تريد طيها ، ويبقى الصراع الأبدى بين الحق والباطل الى قيام الساعة ، ونستطيع أن نؤكد أن البعث يجيىء وللحق أنصار شداد وألوية مرفوعة وكتائب تحميه وتقرر هيبته وتستبقى كتابه العزيز ، ان هذا ما ينضح به قوله تعالى : « وقال الذين أوتوا العلم والايمان لقد لبثتم فى كتاب الله الى يوم البعث .. فهذا يوم البعث ولكنكم كنتم لا تعلمون » لقد مرت بالمسلمين قرون أربعة عشر، فيها قرون حية ، وأخرى هامدة ، فيها أيام مزهرة بالعلم وأخرى مظلمة بالجهل ، وامتددنا حتى أدبنا الجبابرة ، وانكمشنا حتى استنسر بأرضنا البغاث ، ليكن ، فتلك طبيعة الحياة الدنيا .. والدرس الذى لا يجوز أن يغيب عنا أننا ما فقدنا الصدارة قط ونحن أوفياء لربنا ونبينا . « ذلك أن لم يكن ربك مهلك القرى بظلم وأهلها غافلون » .. !!

ومن قدرنا نحن مسلمى القرن الرابع عشر أن تسقط الخلافة الاسلامية فى أوائل هذا القرن ، وما هذه أول مرة تسقط فيها الخلافة ، لقد ديست فى بغداد على أيدى الهمج فى القرن السابع .. وسقوط الخلافة الاسلامية حدث شنيع ، ولكنه مهما قبح دون سقوط الثقافة الاسلامية .. !!

لقد بقى العلم الاسلامى يضع فى العقول النور ويضع فى القلوب اليقين ، وكافح العلماء حتى صنعوا أجيالا أشرف وأزكى وعادت الخلافة مرة أخرى ترفع علم التوحيد فى المشارق والمغارب.. وخصوم الاسلام فى هذا العصر مستميتون أن يسقطوا معاقل الثقافة الاسلامية وأن يردموا منابعها أو يلوثوها ما استطاعوا ، وذلك حتى لا تعود للاسلام وحدته الكبرى ودولته الجامعة ومن ثم فان الجهاد العلمى الآن فريضة محكمة ، ان الثقافة الحارسة لتراثنا كفاح أدبى هائل النتائج ، بل انه الكفاح الذى يوزن فيه مداد العلماء بدماء الشهداء !!

أذكر أن الحاج أمين الحسينى مفتى

فلسطين ــ طيب الله ثراه ــ قال لى : عندما أسقط الحلفاء الخلافة فى أعقاب الحرب العالمية الأولى ، قررت جميع القوى التى شاركت فى ذلك أن تنتقل الى القاهرة كى تضرب ضربتها الأخيرة بوصف القاهرة هى العاصمة الثقافية للعالم الاسلامى ..

لكن موطن الأزهر قاومت ولا تزال . ونرجو أن تظل راية الثقافة الاسلامية مرتفعة فى مصر ، وشتى عواصم الاسلام ، وانى اذ أقرر هذه المقاومة لا أريد الترويج لخدعة كبيرة يفهم منها أن التعليم الدينى بخير ، وأن الثقافة الاسلامية فى أمان ، العكس هو الصحيح ، والمسلمون يعانون أزمة ضروسا فى الدعاة والمربين ، والفقهاء والمفتين ، والميدان الاسلامى من عشرين سنة ينتقص كما وكيفا ، وهنا مكمن الخطر .. لقد قلت : ان الهزائم العسكرية عرض يزول ! أما الهزائم الثقافية فجرح مميت ! والثقافة الصحيحة هى التى تبنى الانسان المسلم والمجتمع المسلم على قواعدهما الركينة من كتاب الله وسنة رسوله ، وعبقرية البناء الصحيح المتين هى التى استبقت صرح الاسلام الى يوم الناس هذا ..

انه أمام التمزيق المتعمد للرقعة الاسلامية الكبرى لابد من ثقافة تؤكد وحدتنا العاطفية والفكرية . وأمام المغالاة بالقشور والرسوم والمخاتلة بالصور الشائهة نريد ثقافة تنشىء العقل المسلم والضمير المسلم والسلوك المسلم ، وأمام العجز الشائن فى شئون الدنيا نريد ثقافة تجعل عبادة الله سواء فى المسجد والمصنع .. لقد ضاقت نفسى بلفيف من الناس يدعون الاسلام ولا جهد لهم الا استفزاز الأقوياء وتلقى الضربات .. أما العمل الصامت الذكى لخدمة الاسلام وأمته فقلما يحسنون ، وما كان ذلك دأب سلفنا الذين امتلئوا أمانات وكفايات من أخمص القدم الى ذؤابة الرأس : اقتحمتهم العيون أول ماخرجوا من الصحراء ، فلما اشتبكوا مع أبناء الحضارات المدبرة فى فارس والروم جثم التاريخ بين أيديهم يسجل ويروى .

محمد الغزالى



لماذا استعبدنا ؟

للأستاذ العلامة أبو الأعلى المودودى

ان الاستعباد الذى ابتلينا به فى القرن الماضى انما كان نتيجة محتومة لانحطاطنا الدينى والخلقى والفكرى الذى تردينا فيه من قرون عديدة ، اذ كان قد بلغ بنا الأمر من الضعف والتقهقر والانحطاط ، حيث لم يعد من الممكن أن يقر لنا قرار أو أن نثبت على أقدامنا بأنفسنا ، ففى مثل هذا الوضع كان من المحتوم أن تحل بنا نازلة من النوازل ، فها هى ذى قد نزلت فى صورة الاستعمار البريطانى وفقا لقانون الطبيعة .

حالتنا الدينيـة : ولنكون على حقيقة من الأمر يجب علينا أن نستعرض ، قبل كل شيء ، ما كانت عليه حالة بلادنا من الناحية الدينية فى القرن الماضى ، فان أهم شيء لدينا هو الدين ، ولا غرو فهوملاك حياتنا وهو الذى يربط بين قلوبنا وأرواحنا ويجعلنا أمة واحدة ، وهو الذى لا يمكن أن نقوم ونظل قائمين فى الدنيا الا به .

فالذى يشهد به تاريخنا الماضى ان الاسلام ما انتشر فى هذه البلاد نتيجة لمساع مبذولة منظمة . بل اننا اذا استثنينا الأيام الأولى من الفتح الاسلامى فى السند والقرن الذى بعده . لا نكاد نعثر فى عصر من العصور على قوة منظمة بذلت جهودها فى نشر الاسلام وتعميم دعوته فى هذه البلاد بجانب ، وسهرت على تدعيم أركانه واستحكام عراه حيث انتشر فى جانب آخر . وغاية ما كان من الأمر ان جاء الى قرية من القرى أومدينة من المدن رجل مسلم من أهل العلم والمعرفة فدخلت طائفة من الناس فى

الاسلام على يده ، وجاء اليها تاجر من التجار المسلمين فأسلم عدد من الناس بسبب الاختلاط به ، أو نزل بها رجل ورع من أنزه المسلمين سيرة وخلقا وعشرة ، فتأثر الناس بسمو أخلاقه وصفاء حياته ، فقبلوا الاسلام ودخلوا فى كنفه ، الا أن هؤلاء الافراد المنفردين لم يكن بأيديهم من الوسائل ما يساعدهم على العناية بتعليم الذين أسلموا على أيديهم وتربيتهم وتلقينهم مبادىء الدين وأصوله ، ولا كان يهم الحكومات المسلمة وقتئذ أن تعنى بتعليم هؤلاء المهتدين وتربيتهم حيثما انتشر الاسلام ودخل الناس فى حظيرته بمساعى هؤلاء الأفراد المنفردين ..

فكان من جراء هذه الغفلة ان ظل عامتنا سادرين فى الجهل والجاهلية منذ أول أمرهم . أما المعاهد التعليمية فما استفاد منها فى معظم الأحوال الا الطبقات العليا أو الوسطى ، ومازال الدهماء فى جهل تام بتعاليم الاسلام محرومين من آثاره الاصلاحية الى حد عظيم ، وقد سبب كل ذلك ان كان الناس من غير المسلمين يدخلون فى دين الله شعوبا وقبائل . الا أن كثيرا من الوسوم الباطلة والعادات الجاهلية مما كانوا عليه قبل اسلامهم ، لاتزال متفشية بهم الى يومنا هذا ، بل لم تتغير افكارهم ومعتقداتهم تغيرا تاما ، ولا يزال يوجد فيهم الى الآن ، كثير من عقائد المشركين وأوهامهم التى ورثوها عن اديان آبائهم الكافرين . وأقصى ماحدث فيهم من الفرق بعد اسلامهم ان أخرجوا من تاريخ الاسلام آلهة لهم جديدة مكان الآلهة التى كانوا يعبدونها من قبل ، واختاروا لاعمالهم الوثنية القديمة أسماء جديدة من المصطلحات الاسلامية ، وكأن العمل على ماكان عليه من قبل وانما تغير قشره ولونه الظاهرى .

فان أردتم الشاهد على ما أقول ، فسرحوا النظر فى ماعليه حالة الناس الدينيه فى أى بقعة من بقاع بلادكم ، ثم ارجعوا الى التاريخ وابحثوا عن الدين الذى كان الناس يدينونه فى هذه البقعة قبل أن يأتيهم الاسلام . فستعلمون انه توجد هناك كثير من

العقائد والاعمال التى تشبه عقائد الدين المنقرض وأعماله الا انها فى شكل آخر ولون غير لونه . فالبقاع التى كانت فيها الديانة البوذية قبل الاسلام مثلا . كان الناس يعبدون فيها آثار بوذا . فهنا سن من أسنانه ، وهناك عظم من أعظمه ، وثمة شىء آخر من أشيائه يعبده الناس ويتبركون به ، وانكم لتجدون اليوم ان الناس فى هذه البقاع يعاملون مثل هذه المعاملة شعرا من اشعار النبى صلى الله عليه وسلم أو اثرا من آثار قدمه أو يتبركون بآثار بعض صالحى المسلمين وعابديهم . وكذلك اذا استعرضتم كثيرا من الرسوم والعادات المتفشية اليوم ببعض القبائل المتوغلة فى اسلامها ، ثم نظرتم فى مايروج فى البطون غير المسلمة لهذه القبائل نفسها من الرسوم والتقاليد . فقليلا ماتجدون فارقا بين هذه وتلك . أفليس ذلك مما يشهد شهادة ناطقة بأن الذين كان بيدهم زمام أمر المسلمين وشؤونهم الاجتماعية فى القرون السالفة ، قصروا فى أداء واجبهم ايما تقصير ، اذ لم يمدوا يد التعاون والمساعدة الى الذين بذلوا جهودهم فى نشر الاسلام بجهودهم الفردية ، فقد انجذب مئات الملايين من الناس الى حظيرة الاسلام متأثرين بدعوته . ولكن الذين كانوا سدنة لبيت الاسلام متولين أموره . لم يعنوا فى قليل ولا كثير ، بتعليمهم وتربيتهم وتزكية حياتهم واصلاح فكرهم . فلم يكتب لهم أن يتمتعوا ببركات الاسلام ونعم التوحيد حق التمتع ويقوا أنفسهم المضار التى هى نتيجة لازمة للشرك والجاهلية ثم ارجعوا ببصركم الى ما كان عليه علماؤنا ومشايخنا فى هذه القرون الماضية . فمما لامجال فيه للريب والمكابرة انكان فيهم نفر أسدوا الى الدين خدمات جلية كانت نافعة بالأمس ولا تزال نافعة الى اليوم . الا أن المشاغل التى شغلت معظم علمائنا والهتهم عن الجد فى أمر الدين الحقيقى . كانت من قبل ان كانوا يتناظرون فى المسائل التافهة غير المهمة ويجسمونها فى نظر الناس ويوارون عنهم المسائل الهامة الجليلة . ويجعلون الخلاف اساسا لفرق مستقلة . ويجعلون التحزب والتفرق

مضمارا للمجادلات والمخاصمات • ويقتلون اعمارهم فى تعليم علوم المعقولات اليونانية وتعلمها • اما الكتاب والسنة فلم يكن لهم ولوع بدراستهما ولم يؤتوا حظا من معارفها • ولذلك لم يتمكنوا من تعميم معارف القرآن والسنة وترغيب الناس فى ارتياد مناهلها • وأما ان كان لهم بعض شغف بالفقة • فانما ذلك الى حد يعينهم على مجادلاتهم ومناقشاتهم فى الجزئيات والفروع • انهم لم يلتفتوا ولو ادنى التفات الى التفقة فى الدين بمعناه الشامل ولذا فحيثما كان لهم نفوذ أو تأثير ضاقت وجهة نظر الناس فى الدين •

فلا عجب اذا كنا قد ورثنا اليوم هذا الزرع الأخضر من المجادلات والمناظرات والتحزبات والفتن المستمرة •

وان تعجب ، فعجب من حال الصوفية ، فانكم اذا سرحتم النظر فيهم ، لاتجدون من بينهم من عملوا بالتصوف الاسلامى الحقيق وعلموه الناس الا عددا يسيرا ، أما معظمهم فكانوا يدعون الناس ويرشدونهم الى تصوف كان مزاجا من الفلسفات الاشراقية والريداتية والمانوية والزراد شتية وكانت طرق الرهبان والاحبار والاشراقيين والرواقيين اختلطت به اختلاطا ، حتى لم تبق له علاقة بعقائد الاسلام وأعماله الخالصة الا قليلا ولقد كان عباد الله يرجعون اليهم مستهدين الى الله وهم يهدونهم الى طرق معوجة وسبل زائفة ، ثم لما خلف من بعدهم خلف ، ورثوا ، فى ما ورثوا عن اسلافهم ، مريديهم وأتباعهم ، ولم يبقوا مما كان بينهم من العلائق الا على علاقة النذور والهدايا دون الارشاد والوعظ والتربية وأكثر ما سعت له هذه الدوائر ، ولا تزال تسعى له ، هو الايتسرب قبس من العلم الصحيح بالدين الى حيث لمشيختهم النفوذ والتأثير • فانهم يعرفون كل المعرفة انه لن يدوم لسحرهم ودجلهم تأثير فى الناس الا مادامـوا ـ جاهلين بدينهم •

الحالة الخلقية :

هذا ما كانت عليه حالتنا الدينية التى كانت لها يد ، وأى يد فى دفعنا

الى درك الاستعباد فى القرن التاسع عشر ، ولا تزال هذه الحالة ، بما فيها من الرذائل والسيئات ، مسيطرة علينا حتى بعد تبلج صبح الاستقلال والحرية اليوم .

واذا نظرنا من الوجهة الخلقية ، كان الانحطاط والتدهور الخلقى المستمر قد بلغ بطبقتنا الوسطى — وهى قوام كل أمة وعماد أمرها كما لا يخفى — مبلغا جعل من رجالها عمالا مستأجرين من فطرتهم ان يخدموا كل من استأجرهم ثم استعملهم واستخدمهم فى ما شاء ولأى غرض شاء . فكان مئات الألوف من رجالنا مستعدين ليكونوا جنودا مستأجرين يستخدمهم من شاء ويوقد بهم نار الحرب على من أحب ، وكذلك كان ألوف بل مئات ألوف من شبابنا مستعدين ليكترى منهم كل متغلب فاتح أيديهم وقواهم الذهنية بأجرة بخسة أو وافرة ، ثم يسير بها ادارة ملكه ، بل يستعملها فى مداوراته الدبلوماسية السياسية ، فاستغل ضعفنا الخلقى هذا كل عدو من أعدائنا من المرهتة أو السيك أو الفرنسيين والهولنديين ، وأخيرا فتح الانكليز بلادنا ودوخوها بسيوف رجالنا وتحكموا فى اعناقنا بأيدينا واذهاننا ، ومما يدمى العين ويفجع القلب ان وعينا الخلقى كان قد — انطفأت جذوته حيث بدأنا نفتخر بأعمالنا بدلا من أن نشعر بقبح صنيعها وسوء مصيرها وقد عدها أحد كبار شعرائنا من مفاخر أسرته ومآثرها وقال مامعناه ان الجندية مهنة آبائه وأجداده كابرا عن كابر ، والحال أن تعاطى المرء الجندية كمهنة ، عار عليه وعلى ذويه — بدل أن يكون مفخرة أو محمدة ، فأين يكون من المروءة والانسانية من لا يكاد يفرق بين الحق والباطل ولا يميز صديقه من عدوه ؟ وكل من ملأ بطنه خبزا وكسا جسده ثوبا استعد للقتال معه والذود عن حياضه ، من غير ان يهمه فى قليل ولا كثير ، من يقاتله ولمن يظهر بأسه وشجاعته ؟ فالذين كانوا على مثل هذه الحال من الأخلاق ، كان — وينبغى أن يكون — من المستحيل أن يوجد فيهم نوع من

الأمانة والاستقامة والولاء الثابت المنبعث من قرارة الأنفس وأعماق الصدور واذا كان من السهل عليهم أن يبيعوا أنفسهم لأعداء دينهم وأمتهم ويساوموهم فيها ، فماذا عسى ان يكون من السبب لأن يبقى فيهم ضمير حي قوى طاهر ، وما لهم الا يسموا الارتشاء والغبن منحة ربانية وفضلا من الله ، ومالهم الا يكونوا انتهازيين يرتقبون فرص التمتع والانتفاع ويستسلموا لكل قوة تظهر بمظهر الغلبة والعلو ؟ ومالهم الا يتخلقوا بأن يأتوا كل شيء يريده منهم من يسخوا عليهم براتبهم غير آبهين لايمانهم وضمائرهم ؟ ومن هنا لكم ان تقدروا ان الصفات التى تظهرها بمظهرها اليوم أغلبية رجال الطبقة الموظفة منا ، ليست بضعف اتفاقى نشأ فيهم بين عشية وضحاها بل لها أصول راسخة وجذور مستحكمة فى تاريخنا الماضى . الا أنه مما يدعو الى الاسف ان هذا الضعف الذى كان أعداؤنا يستغلونه بالأمس ترى اليوم زعماءنا القوميين يستخدمونه لاغراضهم ، ممن كان المرجو منهم ان يكونوا أساة لأدواء الامة بدلا من ان يستغلوها لاغراضهم .

وكذلك كان علماؤنا يشاركون الطبقة الوسطى فى أمراضها الخلقية التى تقدم ذكرها آنفا ، ولا شك ان كان فيهم رجال من ذوى الأخلاق الفاضلة والطباع المستقيمة كما كان أمثالهم فى الطبقة المتوسطة ، الذين عرفوا واجبهم حق المعرفة وبذلوا فى أدائه مهجهم ولم تستطع قوة من قوى العالم أن تساومهم فى دينهم الا أن معظمهم كانوا من الجهالة الخلقية على مثل ما كان عليه رجال طبقتنا الوسطى . فكانوا ينالون الرواتب والجرايات من الحكومات، وكان شعارهم أن يتعلقوا بأذيال أمير من الأمراء ، أو ملك من الملوك أو رجل من حواشيهم ، ويعبروا الدين ويؤولوا أحكامه وقوانينه كما يرضاه ويشتهيه ، ويقدموا أهواءهم الشخصية ومصالحهم الذاتية على الدين ومقتضياته ، ويستعملوا سلاح الدين تضييقا على دعاة الحق وارضاء لسادتهم وأولياء

رزقهم وكان ديدنهم أن يتهاونوا فى شأن المسائل الأساسية والمهمات الخطيرة ويشددوا فى الفروع والجزئيات التافهة ، ومن هنا كان شعورهم الدينى مرهفا غاية الارهاف لعامة الناس والذين لا نفوذ لهم و لاسلطان ، فكانوا لا يكادون يصفحون عنهم فى التهاون فى الأمور المستحبة وكم أوقدوا من نيران الخصومات والشقاق بين الأمة لأجل أمثال تلك المسائل الفرعية التافهة .

أما الأغنياء وأرباب الجاه والثروة ممن يملكون النفوذ والسلطة ، فظلوا لهم سواء كانوا من المسلمين أوغيرهم ، رمزا للمجاملة والمصالحة ، وأخرجوا لهم الرخص والتسهيلات لا فى الفروع والجزئيات فحسب ، بل فى المبادىء والأصول أيضا .

أما أغنياؤنا فما كان ليهمهم فى الدنيا ويشغل بالهم الا شيئان : البطن والفرج فلم يكن بعدهما شىء فى الدنيا يستحق الالتفات والأهمية فى نظرهم ، بل كانت كل مجهوداتهم مرتكزة حولهما منحصرة فى سبيل خدمتهما ، وما كانت أموال الأمة وثروتها تنفق الا فى سبيل ترقية مهن وصناعات وحرف تقوم بنوع من الخدمة لهذين . فاذا بذل غنى من الأغنياء ثروته وقوته فى غاية أسمى وغرض أشرف ، حاول سائر الأغنياء مجتمعين اسقاطه والتنديد بمنزلته ولم يتحرجوا فى المؤامرة مع أعداء الأمة لاحباط مسعاه المحمود والتغلب على أمره .

الحالة الفكرية والعلمية :

ثم اذا استعرضنا ما كانت عليه حالتنا الفكرية والعلمية فى هذه القرون ، ظهر أن باب التحقيق والاجتهاد العلمى كان موصدا عندنا الى ما تركه لنا أوائلنا وأسلافنا والفكرة التى سادت وكانت لها جذور متأصلة فى نظام تعليمنا أن كل شىء قد تم على يد أسلافنا ، هو آخر لبنة فى بناء العلم والتحقيق ، لا يضاف ولا يمكن أن يضاف اليه بعدها شىء أبدا ، وان أعظم خدمة يمكن اسداؤها الى الأمة هى أن يذيل ما كتبه الأولون بحواش وشروح . يؤلفونها ويشتغلون بتدريسها ، فلا نكاد نعثر فى هذه

القرون على أثر فكرة مبتكرة واختراع مبتدع واكتشاف جديد ، وبذلك طرأ علينا جمود فكرى وغشى أجواءنا العقلية سحابة سوداء من العقم والتبلد ، فالظاهر ان كل أمة ابتليت بمثل هذه الحال لا يمكن أن تطول بها الحرية ولابد أن تغلب على أمرها أمة حية قوية كانت قد أحدثت اليقظة والنشاط فى أبنائها ، وكان الشعور بالواجب يسود رجالها على حسب ما يفهمون من واجبهم وكان الولاء المستقل الخالص موجودا فى علمائها وزعمائها وأولى الأمر منها ، وكان أهل العلم من أبنائها مخترعين للقوى الجديدة ومستخدمين اياها فى مختلف نواحى الحياة وشؤونها ، وكانوا مستمرين فى التقدم الى الرقى والعلا فى مختلف شعب المدنية والحضارة ..

فاذا وجدت فى الأرض مثل هذه الأمة الحية ، فالى متى كان من الممكن أن تبقى مالكة زمام الأمر متصرفة فى أمور البلاد أمة قد ضربت عليها عوامل الجمود والانحلال الخلقى وتغلغلت فى عروقها الجاهلية ؟ فما كانت هذه الكارثة التى ابتلينا بها حادثة مفاجئة بل ان قانون الفطرة هو الذى اقتضى ألا نحيا الا تحت نير أمة من أمم أوربا الراقية ..

العلامة ابو الأعلى المودودى

نداء :

يا علماء الاسلام ان عزتكم من عزة الاسلام ، وقوتكم من قوة الاسلام ، فان شئتم أن تشعروا بالعزة والقوة فاعملوا لعزة الاسلام ولقوة الاسلام .

يا علماء الاسلام ليس من الاسلام فى شيء أن تمسكوا السنتكم عن بيان حكم الله ، وتغضوا أبصاركم عن أعداء الله حتى ينتهكوا حرمات الله .

الاسلام بين جهل أبنائه وعجز علمائه

ما الذى سيكون عليه المسلمون
فى مستهل القرن الواحد والعشرين

للأستاذ أحمد حسين

يجب أن نفرق بين الاسلام والمسلمين ، فالاسلام مذ نزلت تعاليمه الى الدنيا ، وهى فى صعود وانتشار مستمرين ، لم يتوقفا لحظة واحدة ، فسر نهضة أوروبا فى القرون الأربعة الماضية كامن فى تطبيق تعاليم الاسلام ، ولن تجد مبدأ تعتز به أوروبا وتعتبره من مقومات نهضتها ، ألا وهو بعض تعاليم الاسلام .

خذ على سبيل المثال ما دعت اليه الثورة الفرنسية ، مما أسموه « حرية واخاء ومساواة » فليس ذلك الا بعض تعاليم الاسلام .

يقول سيدنا عمر بن الخطاب : « متى استعبدتم الناس وقد ولدتهم أمهاتهم أحرارا » .

وأحسب انه لا يمكن تأصيل الحرية بأروع من ذلك ، وأما عن المساواة فيقول رسول الله صلى الله عليه وسلم : « المسلمون سواسية كأسنان المشط » .

وعن الاخاء يقول القرآن الكريم بصريح اللفظ : « انما المؤمنون اخوة »

واذا اعتزت أوروبا بنظمها التى تقوم على الشورى ، فالشورى هى نظام الحكم الاسلامى واذا قام المجتمع الأوروبى عند ازدهاره على الأمانة وصدق المعاملة ، والنظافة وحسن السلوك وعلى طلب العلم والعمل ، فكل هذه مبادىء وتعاليم اسلامية ، عندما اتبعها المسلمون عزوا وسادوا فلما ان

هجروها بعد ان كانت أوروبا قد نقلتها عنهم ، فقد تأخروا وفشلوا ، حيث نجح الأوربيون وعزوا وسادوا ، فيجب أن نفرق دائما بين تعاليم الاسلام والمسلمين ، فحيث التعاليم تثبت فاعليتها فى كل وقت وآن ، فحظ المسلمين يتراوح بين الضعة والرفعة ، بين الذل والعزة بمقدار اقترابهم أو ابتعادهم عن روح الاسلام وتعاليمه ، فاذا نظرت اليوم لمستقبل المسلمين بعين التفاؤل ، فذلك بمقدار ما بدأوا يقتربون من روح الاسلام وتعاليمه ، وذلك فى الوقت الذى بدأت فيه أوروبا تبتعد عن هذه المبادىء والروح ، ولنبدأ منذ البداية .

وكان ٦ أكتوبر هو البداية :

وكان ٦ أكتوبر ١٩٧٣ أو بالأحرى العاشر من رمضان عام ١٣٩٣ هو نقطة التحول فى تاريخ المسلمين ، ان كل ما سبقه مما سوف أشير اليه لم يكن الا تمهيدا لما حدث فى العاشر من رمضان وسوف تثبت الأيام البعيدة المقبلة ان هذه المعركة كانت هى نقطة التحول الحقيقى فى حياة مسلمى القرن العشرين وبدء النهضة الكبرى التى سوف تتحقق باذن الله فى مطلع القرن الواحد والعشرين ، ولا يتصور متصور اننى أبالغ أو أسرف فى اظهار خطورة هذه المعركة .

لقد كان اليهود الصهاينة قد نجحوا فى استقطاب آخر ما توصلت اليه ذروة ما وصلت اليه أوروبا وأمريكا ، ليس فقط من حيث التفوق الآلى وعلم بناء الأسلحة ، ولكن فيما يزعمون أنه تفوق حضارى فى الفكر ، والنظم وأساليب الحياة ، حتى قال قائلهم : ان الفجوة الحضارية بيننا وبين العرب جد كبيرة ، قد تصل الى قرن من الزمان ، ولم يصدق اليهود أنفسهم وحسب فى هذه المزاعم ، بل صدقها العالم كله ، وأكاد أن أقول ، وصدقها العرب أنفسهم ، والعرب هم جيش الطليعة للعالم الاسلامى كله .

وفى ست ساعات عندما نجحت الجيوش المصرية فى عبور قناة السويس ، كان ذلك كله ينهار ، وتبدأ الصفحة الجديدة المشرقة للمسلمين ، فهؤلاء الذين عبروا القناة كانت صيحتهم الأولى « الله أكبر » وهى نفس الصيحة التى أطلقها أجدادهم من قبل فحققوا أعظم الانتصارات التىأذهلت الدنيا ولا تزال تذهلها ، بعد أن ذكرهم بالماضى هذا الذى حدث فى العاشر من رمضان ، فقد أجمع الكافة على أن عبور قناة السويس فى مواجهة التحصينات الاسرائيلية، يشبه أن يكون مستحيلا ، فلما ان تحقق بهذه البساطة ، وعلمت الدنيا ان ذلك قد تم تحت شعار « الله أكبر » أدركوا ان ذلك يعنى « بعث المسلمين »

ارادة القتال :

ان أعظم قوة سلح بها الاسلام معتنقيه عندما أمرهم بالقتال دفاعا عن أنفسهم ، هى ان موتهم فى سبيل هذه الغاية سيكون حياة لا تعلوها حياة .

« ولا تحسبن الذين قتلوا فى سبيل الله أمواتا بل أحياء عند ربهم يرزقون » .

وبمقدار ما تمتلىء صدور المسلمين بهذا الايمان ، يكون التفوق ويكون الانتصار ويكون العز .

وعادت الروح :

ومن الواضح ان هذه الروح ، روح عدم الخوف من الموت ما دام فى سبيل الله ، قد بدأت تعود الى المسلمين بعد أن كانوا فقدوها ردحا كبيرا من الزمان ، فحصل العرب بخاصة والمسلمين بعامة على استقلالهم وسيادتهم ، وقام المسلمون فى كل مكان يعلنون عن شخصيتهم وجدراتهم بالحياة الكريمة باعتبارهم مسلمين ، وليس تحت اسم آخر ، ويتم ذلك بأساليب مختلفة حسب ظروف، كل مجتمع ، ابتداء من الزنوج فى الولايات المتحدة الأمريكية حتى مسلمى قبرص ولبنان والفيلبين

وارتريا ، والجامع فى كل هذه الحركات ، ان روح القتال وارادته قد عادت الى المسلمين (فيمن عادت اليهم من الشعوب المقهورة) وذلك فى الوقت الذى بدأ فيه الأوربيون والأمريكان ، يفقدون هذه الروح ويتكالبون على ما يتصورونه متعا وملذات فى هذه الدنيا ، وهكذا وضعوا أقدامهم على سلم التدهور الى ما لا نهاية فزالت امبراطوريات، وانسحبت الولايات المتحدة بكل جبروتها ، انسحابا شائنا أمام فيتنام، وراحت أوروبا الشرقية والغربية تتقاربان ، خوفا من أن يتقاتلا ، والمهم ان الحياة المادية وحب الحياة أصبح هو الهدف النهائى لنشاط الأوروبيين والأمريكان فى الوقت الذى شرع فيه المسلمون لا يخافون الموت كما قدمنا .

المادة فى خدمة المسلمين :

واذ كان النفط (البترول) قد أصبح هو جوهر الحضارة المادية الحديثة ، فقد شاءت ارادة الله أن يجعل منابع هذا البترول ، أو بالأحرى (القسم الأكبر منه) فى أيدى المسلمين ، حتى ماكان موجودا منه فى حوزة (الاتحاد السوفييتى) فهو واقع فى مناطق المسلمين والبديل المقترح لتوفير الطاقة بعد نفاد البترول هو لأشعة الشمس ، وأحسب أن نصيب العالم الاسلامى من هذا المصدر الجديد للطاقة لا يحده حد .

وهكذا تدل الدلائل على أن الروح المعنوية والركائز المادية ، تتحول الى العالم الاسلامى فهو سائر فى طريق النهضة على وجه القطع واليقين ، فى الوقت الذى بدأ فيه المجتمع المادى بشقيه ، يتجه نحو الانحدار وقديما قال الشاعر:

لكل شىء اذا ما تم نقصان
فلا يغر بطيب العيش انسان

واجب المسلمين :

ويكون السؤال : وما هو واجب المسلمين فى هذه المرحلة ؟ والجواب يتلخص فى كلمة واحدة ، وهى « التربية » ونعنى بها التربية الاسلامية السليمة ، والتى تكون

المسلم الصالح ، والمسلم الصالح : من سلم الناس من يده ومن لسانه ، ومن عاملهم على اختلاف ألوانهم وأجناسهم ومعتقداتهم بالحب والاخوة والرحمة ، واقرأوا ان شئتم قول الله تعالى :

« يأيها النـاس انا خلقناكم من ذكر وأنثى وجعلناكم شعوبا وقبائل لتعارفوا • ان أكرمكم عند الله أتقاكم » •

وقوله تعالى :

« يأيها الناس اتقوا ربكم الذى خلقكم من نفس واحدة وخلق منها زوجها وبث منهما رجالا كثيرا ونساء واتقوا الله الذى تساءلون به والأرحام ان الله كان عليكم رقيبا » •

وصدق الله العظيم اذ يقول :

« وما أرسلناك الا رحمة للعالمين » •

احمد حسين

يا علماء الاسلام :

يا علماء الاسلام : ليس من الاسلام فى شىء أن تقوموا فى المعاهد لتعلموا طلبتها احكام الاسلام فى حين أن الحكومات لاتقيم هذه الأحكام .

يا علماء الاسلام ليس من الاسلام أن تقفوا على المنابر لتعلموا الناس محاسن الاخلاق وأداء العبادات ، وتتركوهم جهالا بما يوجه الإسلام فى الحكم والتشريع ، والقضاء ، وفى الاجتماع والاقتصاد ، فى معاملة الأعداء والأصدقاء .

لماذا لا تبينون للناس ووظيفتكم البيان ؟

لماذا لا تبينون للناس حكم الاسلام فى الاحتلال ، ومن يوالونه ويراءونه ، ويحاربونه ويمقتونه ؟

الاسلام بين جهل ابنائه وعجز علمائه

احمد حسين فى سطور

- والده ريفى من كفر البطيخ ، أما والدته فمن سمنود.
- ولد هو فى القاهرة فى ٨ مارس ١٩١١ وان كان لا يفتأ يصرح أنه ولد قبل هذا التاريخ .
- تلقى علومه فى كتاب الحى بطولون ثم التحق بمدرسة الجمعية الخيرية الاسلامية الابتدائية وانتقل منها الى مدرسة محمد على الأميرية ، حيث ألف فى هذه الفترة جمعية « نصر الدين الاسلامى » .
- تلقى تعليمه الثانوى فى المدرسة الخديوية وانخرط فى نشاطها المدرسى وكان التمثيل هو النشاط المسيطر ، فقدم لهم مسرحية « أبو مسلم الخراسانى » . كما اشرف على اصدار مجلة المدرسة .
- التحق عام ١٩٢٩ بكلية الحقوق .
- دعا عام ١٩٣١ الى تصنيع مصر بجهود الشعب ، مما اطلق عليه فى حينه « مشروع القرش » .
- أسس عام ١٩٣٣ جمعية مصر الفتاة التى تحولت بعد الحرب العالمية الثانية الى الحزب الاشتراكى ، وكانت التعاليم الاسلامية هى نبراسه دائما ، فدعا عام ١٩٣٨ الى تطبيق أحكام الشريعة واتهم ونفر من أعضاء جماعته، فيما أشتهر آنذاك باسم « تحطيم الحانات » .

- كان له دور كبير في محاربة الملك السابق وكل فساد وطغيان مما جعل حكام ذلك الزمان يعملون على التخلص منه فانتهزوا فرصة حريق القاهرة في يناير ١٩٥٢ لكي يعتبروه مسئولا عن هذا العمل .
- كان لقيام الثورة في ٢٣ يوليو ١٩٥٢ الفضل في انقاذه من حبل المشنقة .
- هاجر من مصر عام ١٩٥٥ ولكنه لم يلبث أن عاد اليها ، فلما أن خاب أمله مرة أخرى اعتزل الحياة وأوى الى بيته عام ١٩٦٠.
- وفي بيته تفرغ للمطالعة والتأليف فأصدر ثلاثة من ألمع كتبه .
  - الطاقة الانسانية
  - الأمة الانسانية
  - نبي الانسانية
- جاوزت مؤلفاته الأربعين كتابا أحدها يقع في ألفي صحيفة وهو موسوعة « تاريخ مصر » .
- ولكن عمله الأكبر والذي يعتبره تتويجا لحياته كلها هو تفسيره للقرآن الكريم .
- أصيب بالشلل الكامل الذي أعجزه عن الحركة تماما ، فيما خلا الكتابة وهو ما يجعله يقول : ما بقي الله يحفظ لي عقلي ، ويقدرني على الكتابة ، فسوف أكتب لنهضة المسلمين .
- يعتز باللقب الذي اطلقته عليه « مجلة الأزهر » من أنه « الكاتب الاسلامي » .

موقف المسلمين من الفانشاسيلا بأندونيسيا



للدكتور محمد ناصر
رئيس الوزراء الأندونيسى الأسبق

انني أود أن أوجه ندائى لدعاة المبادىء الخمسة ، فهذه المبادىء التى تريدونها موجودة فى الاسلام، ولكنها ليست مجرد نظرية عقيم ؛ بل انها بانتسابها الى الاسلام تصبح قيما حيوية لها مرتكز واقعى وواضح معا .

انكم اذ تقبلون الاسلام فلسفة للدولة فلستم مظلومين فى حقكم سواء باعتباركم دعاة للمبادىء الخمسة أو متدينين ، بل تجدون لكم فلسفة دولة حيوية واضحة المعالم مدعمة بالقوة والكيان .

فلو قبلتم الاسلام أساسا للدولة فلن يزول واحد من هذه المبادىء الخمسة ، ففى الاسلام قواعد ونظم بحيث تجد نظرية تلك المبادىء الخمسة مرتكزا حقيقيا وروحا محركة .

ولدعاة الاقتصاد الاشتراكى أقول انكم ستجدون فى الاسلام منهاجا تقدميا للاقتصاد وعدالة اجتماعية رائعة .

الاسلام عقيدة ...

انها عقيدة يعيش فى رحابها السواد الأعظم من أبناء الشعب الأندونيسى ، وليس هذا فحسب ، فالاسلام فكرة فهو ليس مجرد دين كالمفهوم فى المقابل الانكليزى بكلمة Religion والذى لا وظيفة له سوى تنظيم العلاقات بين الانسان وربه ، فالاسلام يشمل عنصرين ، عنصر العلاقة بين الانسان وبنى نوعه وبالتالى عنصر العبادات وعنصر المعاملات .

وهذا العنصر الأخير أى عنصر المعاملات يشمل حياة الفرد والأسرة والدولة . فحين يجابهنا أمر من أمور الدولة كالدستور مثلا فلا مناص من الرجوع الى تعاليم الاسلام المتمثلة فى عنصر المعاملات .

ورب سائل يتساءل : كيف يمكن للاسلام أن ينظم دولة حديثة من شأنها أن تجد حلا لآلاف من المشاكل المعقدة ؟

ولدحض هذه الشبهات أود أن أقول انه لاحاجة بنا لأن نتساءل كيف يمكننا أن نضع ميزانية للدولة أو أن نتصرف فى أمور العملات والصرافة أو تنظيم حركات المرور بحيث تتفق وتعاليم الاسلام .

أن الاسلام لم يضع أسسا لأمثال هذه الأمور الفرعية أو التفصيلية التى يمكن أن تتغير بتغير الزمان وبقدر حاجة الانسان . فهو لم يضع الا الأسس الرئيسية التى تتفق ونوازع الانسان الفطرية ، هذه الأسس أو القواعد الصالحة لكل زمان ومكان .

للاسلام قواعد،من أهم ما تتميز به أنها تنظر الى كل ما يتعلق بصلات الانسان بربه ، أى مايتعلق بالعبادات ، على أنه حرام الا ما أمر به الله ، وتنظر الى كل ما يتعلق بالمعاملات أو الصلات بين الانسان والانسان على أنه حلال الا ما نهى عنه الله ، وهذا فى اصطلاح القانون الاسلامى ما يطلق عليه « البراءة الاصلية » .

الاسلام يضع لنا قواعد أساسية لتنظيم الحياةالدنيوية ، وهو فى الوقت نفسه ينظم حدودها حتى يبين للناس ماهو حلال وماهو حرام وما يجوز وما لايجوز ، وكل هذا وضعه الاسلام لضمان سلامة الانسانوسعادته فرديا أو اجتماعية .

والى جانب هذه القواعد والحدود منح الاسلام للانسان مجالا واسعا لاستخدام عقله واجتهاده فى تنظيم الأمور فى كل نواحى الحياة وفقا لتقدم العقل البشرى ومطالب الزمان والمكان .

ولا تتدخل العقيدة فى مثل هذه الأمور الا فى حالة وجود تعارض بينه وبين حدود العدالة والانسانية وغيرها من القيم الروحية .

لاشك أننا سنجد هذه القواعد واحدا واحدا كلما حاولنا أن نبحث فى أمر من الأمور التى نريد النص عليها فى الدستور كالحقوق الأساسية وشكل الدولة ومبدأ الاجتماع والاقتصاد وغيرها من الأمور .

بقى الآن أن نتساءل هل تسمى الدولة الاسلامية كما ذكرتها آنفا دولة ثيوقراطية ؟

ان الثيوقراطية كما هى معروفة نظام لدولة تكون السلطة فيها رهبانية وتتزعمها طائفة من رجال الدين يزعمون أنهم وكلاء الله على الأرض . أما الاسلام فلا يعرف هذا النظام أى لا رهبانية فى الاسلام . فالدولة ــ الاسلامية اذن ليست ثيوقراطية .

انها دولة ديمقراطية .

ولكنها ليست علمانية أو لا دينية ، كما ذكرت لكم سابقا .

انها دولة ديمقراطية اسلامية (كما يفهمها الاسلام لا كما يفهمها دعاة الديمقراطية اليوم) . فاذا كان لنا أن نضع لهذه الدولة اسما فلن نجد لها اسما أوفق من : « الدولة الديمقراطية الالهية » Theiseic Democracy

اننى آمل أن يجد الحزب الذى أمثله فرصة سواء فى جلسات اللجنة التحضيرية أو اللجان الفرعية الأخرى لسرد مقدمات عن القواعد التى ذكرتها لكم .

سأحاول الآن أن أمهد لكم بعض مقدمات عن القواعد الاسلامية فى خطوطها الرئيسية .

نحن نقول ان ثمة قيما عليا تعيش فى نفس الشعب الأندونيسى من بينها روح التعاون ، واذا لم نقل ان الاسلام هو أول من وضع تلك القيم فلا أقل من أن تعترف أن له أكبر الفضل فى تهذيبها .

والحق أن الاسلام منذ ظهوره أعلن وظيفته المتمثلة فى قول الرسول صلى الله عليه وسلم : « انما بعثت لأتمم مكارم الأخلاق » وتلك القيم الروحية التى أتمها الرسول ليست الا امتدادا للقيم التى وضعها الله على يد أنبيائه السابقين .

ونحن اليوم حين نحاول وضع دستور لدولتنا نريد بذلك أن نحافظ على القيم الموجودة .

فلو جعل الاسلام أساسا للدولة فمن البدهى أن ندرس كل القيم الموجودة والمتغلغلة فى نفس الشعب .

فنحن مثلا نرى أن فينا روح التعاون ، وهذا مثل بسيط أوردناه هنا لنعرف مدى محافظة الاسلام على القيم الروحية . فالاسلام ينادى بوجوب المحافظة على تلك الروح لأنها كانت ضمن تعاليم الاسلام ، فها هو القرآن يحض الناس على التعاون وينادى « وتعاونوا على البر والتقوى » وهذه هى الناحية الايجابية .

ومتى بدت ظواهر سلبية بين مجتمعنا نجد الاسلام ينادى مرة أخرى : « ولا تعاونوا على الاثم والعدوان » .

وهناك مثل آخر . فروح الديمقراطية مثلا سائدة بيننا .

فاسلام يقرر وجوب المحافظة على تلك الروح وزرع بذورها فى حياة الأفراد والجماعات ، لأن من ضمن تعاليم الاسلام أن يؤخذ كل أمر بالشور . فالاسلام ينادى بلسان القرآن : « وشاورهم فى الأمر » وهذا مبدأ من مبادىء الاسلام ، أو بعبارة أصح هو أمر من أوامره لابد من اتباعه .

ومتى قلنا ان مبدأ الديمقراطية أو مبدأ الشورى ركيزة من ركائز دولتنا فقد نادى الاسلام بذلك كما نفذه رسول الله وصحبه فى الفترة التى كانت لا تزال فيها شعوب العالم غارقة فى لجج من بحار الاستبداد والاقطاعية والظلم والجور ، ومن السهل الوقوف على تلك الأمثال لمن يريد أن يبحث ويدرس كتب الاسلام .

هناك روح أخرى سائدة فى مجتمعنا وهى روح الوطنية ومعلوم أن حب الوطن هو فطرة فطر الله الناس عليها .

والاسلام ينادى أيضا بضرورة المحافظة على هذه الروح

« وجعلناكم شعوبا وقبائل لتعارفوا » .

ان هذا هو اقرار بمبدأ القومية، بل انه أكثر من ذلك لا يدعو الى محو القبلية ، فقد أراد الله بجعل الناس شعوبا وقبائل أن يتعارفوا ويتعاونوا فيما بينهم .

لقد ذكرت لكم أن هذا المبدأ ، مبدأ القومية ، غريزة فى نفس الانسان ، والاسلام حين يضع تعاليمه وشرائعه يراعى فى الوقت نفسه شمول الجوانب النفسية دون أن يكبت شيئا من النوازع الفطرية ، فلا غرو اذن أن تكون تلك الآية التى ذكرتها لكم آنفا اعلانا واضحا بأن الله ما خلق الناس وجعلهم شعوبا وقبائل الا لأغراض سامية تتلخص فى وجوب التعاون . فالاسلام اذن يحافظ على أمثال هذه التعاليم العليا كحب الوطن الذى طبعت غريزة الانسان عليه . وهذا هو ناحيته الايجابية.

على أنه الى جانب ذلك يرى الاسلام وجود ناحيته السلبية ألا وهى الوطنية أو القومية المتطرفة ، التى من شأنها أن تزرع فى النفوس بذور الكبرياء وتخلق العصبية الجنسية الممقوتة . فيشعر الناس أنهم أرفع وأسمى من الشعوب الأخرى .

ولم يكن هذا مجرد نداء بنصرة المظلوم بالمفهوم العادى فحسب ، بل ان الاسلام يدعو الى حمل السلاح وتضحية النفس للدفاع عن الضعفاء والمظلومين وتخليصهم من براثن الاستعباد وقيود العبودية بعد أن كانوا لا يجدون من الوسائل للمقاومة سوى أن يقولوا :

« ربنا أخرجنا من هذه القرية الظالم أهلها ... » اذا كنا اليوم نسمع دائما عبارات تهدف الى محاربة الاستعباد والاستغلال البشرى ، فان الاسلام قد وضع ، منذ أكثر من ثلاثة عشر قرنا ، أسسا وقواعد لحماية الضعيف ونصرة المظلوم ومحاربة الظلم والطغيان ، وكانت الأوامر كما جاءت فى الآية السابقة من الصراحة والقوة مايمكنها من تحريك القلوب المؤمنة لتعمل على تنفيذها ، وقد يضحى المؤمن ويجازف بحياته فى سبيل ذلك .

فمن المستحيل أبدا أن يرضى بالعبودية شعب مؤمن ، أيا كان نوعها ، وسواء على نفسه أم غيره .

ان هذه الأوامر الالهية تنحصر فى كلمة « الجهاد » وهذه الكلمة قد شاعت كثيرا بين الشعب الأندونيسى وخاصة فى الوقت الذى ساهم فيه المسلمون بنصيب وافر فى كفاحنا المقدس لحماية استقلال (١) أراضينا فى تاريخنا القريب . وأنا أعتقد أنه ليس بين زعمائنا من يجهل تأثير هذه الكلمة فى نفوس الشعب الأندونيسى وكان من جراء ذلك أن وجدنا أن زعماءنا سواء أكانوا ممن يؤمنون بتلك الكلمة أم لم يكونوا قد جعلوا منها حافزا قويا يدفع الأندونيسيين الى صيانة استقلال البلاد فى تلك المعركة التحريرية . ولقد شاهدنا ولمسنا نتيجة ذلك التأثير . ولابد من الاعتراف بأنه ما كان لهذه الكلمة أن تؤثر ذلك التأثير لو لم تكن لها جذور سابقة فى أعماق الشعب ، هذا الشعب الذى طالما تأثر بتعاليم الاسلام وأثر فيه العلماء بقول الله تعالى :

« وجاهدوا فى سبيل الله » .

فلهذا جاءت الآية مصرحة : « وجعلناكم شعوبا وقبائل لتعارفوا » على أنها لم تقف عند هذا الحد فحسب ، بل شاءت أن تزيل بذور التفرقة والعنصرية وتبين درجة السمو والكمال فجاءت الآية متممة : « ان أكرمكم عند الله أتقاكم ، ان الله عليم خبير » .

ان ثمة روحا أخرى سائدة فى مجتمعنا وهى روح الحرية . وقد بدت هذه الروح جلية واضحة بعد أن نلنا استقلال البلاد وسيادتها . وهذه الروح هى الأخرى غريزة فى نفس الانسان نتيجة لغريزة حب الوطن .

تعالوا نستعرض روح حب الحرية الكامنة فى نفسية شعبنا قبل الاستقلال . لقد كان هذا الشعب يرزح تحت وطأة الاستعمار الهولندى منذ أكثر من ثلاثة قرون

---

(١) أنظر « بين يدى الكتاب » فى المقدمة .

ونصف قرن . وسترى ان الاسلام يحافظ على هذه الروح ويشعل جذوة الحماس فى كل ركن من أركان الأرض فى سبيل المحافظة على الحرية والسيادة . فاذا وجد شعب تحطمت معنوياته ورضى بالاستعباد والظلم وجدنا أن الاسلام ينفث فيه روح المقاومة والثورة والكفاح ضد الاستعمار والعبودية مخاطبا بقول الله تعالى:

« أذن للذين يقاتلون بأنهم ظلموا وان الله على نصرهم لقدير » .

اننا لو أردنا أن نحصى كل القيم الموجودة فى نفسية شعبنا لوجدنا أن تلك القيم تجد فى رحاب الاسلام دافعا يحفزنا للمحافظة عليها . فنحن مثلا شعب مفطور على حب نصرة المظلوم ، فهل نجد من التعاليم ما هو أصرح مما جاء به الاسلام على لسان القرآن الكريم :

« وما لكم لا تقاتلون فى سبيل الله والمستضعفين من الرجال والنساء والولدان الذين يقولون ربنا أخرجنا من هذه القرية الظالم أهلها واجعل لنا من لدنك وليا واجعل لنا من لدنك نصيرا » .

أود أن أسرد لكم مثلا آخر وأقول ان شعبنا يقدس الايثار ويمقت الأنانية ، ونحن نجد الاسلام ينادى بالمحافظة على هذه الروح ليجد جميع طبقات الشعب قسطهم من حياة الرفاهية ، وفى حالة وجود أفراد مستغلين يدفعهم الطمع والشراهة الى الأثرة والأنانية واحتكار الثروة لمصالحهم الذاتية دون مراعاة المصلحة العامة فى مثل هذه الحالة نجد الاسلام ينادى بمحاربة هذه الرأسمالية وتنص الآية مصرحة :

« والذين يكنزون الذهب والفضة ولا ينفقونها فى سبيل الله فبشرهم بعذاب أليم » .

الاسلام يقرز مبدأ الملكية لأن الانسان مفطور على حب التملك . ولكن الاسلام فى الوقت نفسه يفرض واجبات على أرباب الثروة :

وأعنى أن الاسلام قد صرح بضرورة الانتفاع ببعض الثروة لصالح الفقراء والمساكين، فلايمكن جمع الثروة ومداولتها بين طائفة معينة أو لاشباع غريزة الذاتية ، بل لابد من استثمار الأموال لرفع مستوى الحياة لدى سواد الشعب .

ان المؤمن ينظر الى أمثال هذه الأوامر الالهية كنور يقتبس منه ويهتدى به ، وحينما تصل الى مسامعه العبارة المشهورة اليوم « الملكية لها وظيفة اجتماعية » فهو يحس فى قرارة نفسه بما فى هذه العبارة من معان عميقة هى أكثر من مجرد قانون ، لأن الاسلام قد دفعه من قبل الى ذلك الاعتقاد .

وأخيرا فان شعبنا مفطور على حب التسامح ، والاسلام كذلك قد نادى بالمحافظة على هذه الروح ويتجلى ذلك فى قوله تعالى : « لا اكراه فى الدين قد تبين الرشد من الغى » .

ثم جاء الاسلام بما هو أبعد من ذلك فنص على وجوب الدفاع عن الأديان . وليس التسامح الذى يبديه الاسلام مجرد تسامح سلبى، بل هو التسامح الذى يفرض على المسلم التضحية بنفسه لنصرة حرية التدين وليس ذلك بالنسبة للاسلام فقط بل للأديان السماوية كلها :

« ولولا دفع الله الناس بعضهم ببعض لهدمت صوامع وبيع وصلوات ومساجد يذكر فيها اسم الله كثيرا » .

نحن نعرف ان حب الانسان لدينه قد يجره فى بعض الأحيان الى التعصب ، وفى سبيل الحيلولة دون انتشار هذا التعصب فقد خاطب الرسول أهل الكتاب على لسان القرآن الكريم :

« وأمرت لأعدل بينكم ، الله ربنا وربكم ، لنا أعمالنا ولكم أعمالكم، لاحجة بيننا وبينكم، الله يجمع بيننا واليه المصير » . وهكذا نجد ان الاسلام قد وضع أساسا راسخا فى بناء القيم العليا، والتسامح الايجابى ، بل وضع مسئولية على

عاتق المسلم فى الدفاع عن حرية التدين .

وقد يتساءل أحدكم أى سبيل نختاره للمحافظة على روح التسامح الدينى فى دولة كأندونيسيا تجتمع فيها عدة أديان . وللجواب عليه أقول : انه لاسبيل الا بالمحافظة على ما ذكره القرآن من روح التسامح، هى الروح التى احتلت مكانة مرموقة ووجدت سبيلها فى نفوس معظم الشعب الأندونيسى .

هذه الروح يحس بها المسلم وكأنها روح قدسية ونور يقتبس منه فى الحياة ، وهذه الروح أقدر وأحرص على صون حرية الأديان من مبدأ « الايمان بالله » ذلك المبدأ الأول من المبادىء الخمسة المنصوص عليها فى الدستور المؤقت القائم والذى لا ينظر اليه المسلم أكثر من مجرد كلمات جوفاء مسطورة .

وما أكثر القيم العليا الموجودة فى أعماق نفوس الشعب الأندونيسى والتى هى فى اعتقادنا صادرة عن تعاليم الاسلام الذى يعتنقه السواد الأعظم من شعب أندونيسيا وما ذكرته لكم آنفا ليس الا بعضا منها .

د. محمد ناصر

« شهد الله أنه لا اله الا هو والملائكة وأولوا العلم قائما بالقسط لا اله الا هو العزيز الحكيم » .

« يأيها الذين آمنوا ان تطيعوا الذين كفروا يردوكم على أعقابكم فتنقلبوا خاسرين. بل الله مولاكم وهو خير الناصرين» .

قرآن كريم

 حاضر المسلمين ومستقبلهم بين الآلام والآمال

للواء الركن : محمود شيت خطاب

— ١ —

التقيت بالمشير اللورد مونتكومرى لورد (العلمين) فى كلية الدراسات العسكرية العليا بانكلترا سنة ١٩٥٤ م وكان يلقى محاضرات عن معركة (العلمين) على طلاب الكلية ، وكانت الكلية تدعو الأساتذة والمحاضرين فى أمسيات ترفيهية : يخالطون الطلاب وهم من جنسيات مختلفة قدموا من أرجاء العالم ، ليكتشفوا قابلياتهم فى أوقات الهزل ، كما يكتشفون قابلياتهم فى أوقات الجد .

وكان مونتكومرى متدينا ملتزما بتعاليم دينه أشد الالتزام ، فكان عميد الكلية يجمع حوله المتدينين من الضباط الطلاب ، وما أقلهم وأندرهم ، يناقشهم فى القضايا الدينية ؛ لا يكاد يخرج عن نطاقها أبدا ، ويبدى اشمئزازه من انحراف الناس عن الدين وعن مقومات الخلق الكريم .

وحدثته عن سمات قيادة النبى صلى الله عليه وسلم ، وعن العسكرية الاسلامية استنادا الى نصوص القرآن الكريم والسنة المطهرة ، وعن تعاليم الاسلام التى تأمر بالعلم وتنهى عن الجهل ، وتحث على التمسك بأهداب الفضيلة والمثل العليا أخلاقا وسلوكا ومعاملة .

وكان من الواضح أن أفكاره عن الاسلام كانت ضحلة ومشوهة ، وأن دراساته عن هذا الدين اقتصرت على كتب محددة قليلة ، تتسم بالانحراف والتحيز ، وتناصب العداء للاسلام ، وتتحدث عن المسلمين لا عن الاسلام .

وأبدى المشير رغبته فى قراءة مؤلفات عن الاسلام بقلم مؤلفين مسلمين فزودته بما تيسر من الكتب الاسلامية باللغة الانكليزية ، ألفها علماء من الباكستان والهند ، جزاهم الله عن الاسلام والمسلمين خيرا .

ولم يخف مونتكومرى شدة استغرابه من تناقض ما قرأه عن الاسلام فى مؤلفات أعداء الاسلام الذين يخفون نياتهم المغرضة بشعارات براقة كالتظاهر بالعلم والبحث العلمى والدراسة التاريخية وعدم التعصب ــ وبين الحقائق التى حدثته عنها فى المجال الاسلامى ، ولكنه تساءل : اذا كانت العسكرية الاسلامية بالشكل الباهر الذى ذكرت ، فلماذا أصبح المسلمون ضعفاء مستعبدين ؟ ! واذا كانت تعاليم الاسلام بناءة بالصورة التى وصفت ، فلماذا أصبح المسلمون مفككين متخلفين ؟ ! » .

وقلت له : « هل يطبق كل المسيحيين تعاليم السيد المسيح عليه السلام ؟ فهل نلوم تلك التعاليم ، أم أن اللوم ينصب على المنحرفين ؟ ! » .

وتنهد مونتكومرى ، وشن حملة شعواء على المعرضين عن المسيحية ، واتهمهم بالتخريب والانحلال والتفسخ ؛ وأنحى باللائمة على الحكومة والأبوين والأساتذة والمعلمين .

والحق أن أسوأ دعاية للاسلام هم المسلمون ، فلم يتركوا أمرا نهى عنه الاسلام الا ارتكبوه ، ولم يغادروا شيئا أمر به الاسلام الا تخلوا عنه ؛ فالاسلام كالمهند البتار بيد الرعديد الجبان ، ولا تثريب على السيف الصمصام ، ولكن على الساعد الخائر الذليل .

وليس مونتكومرى وحده يتهم الاسلام بالتقصير من جراء تقصير المسلمين ، لأنه يجهل تعاليل الاسلام . كل أعداء الاسلام والذين يجهلونه يتهمونه بالتقصير ، دون أن يحرك المسلمون ساكنا ، ويدافعوا عن دينهم بتطبيقه أفرادا وجماعات نصا وروحا ولايدافعون عنه بالأقوال دون الأفعال .

ولست بصدد ما عاناه الاسلام من آلام فى ماضيه القريب والبعيد، لأن ذلك يحتاج الى جهد شاق ووقت طويل ، ولأن ذلك يخرج عن نطاق منهاج هذا البحث .

يكفى أن أذكر أن التحديات التى صاولها الاسلام وتغلب عليها، تكفى أن تسحق أى دين آخر، ولكن قوة الاسلام الذاتية التى هى (تطعيم) حقيقى للنفس المسلمة ، حمت المسلمين من الانهيار وصانتهم من الردة .

ويمكن تلخيص الآلام التى يعايشها المسلمون فى حاضرهم ومستقبلهم باتجاهين :آلام من أعداء الاسلام فى الخارج وتحديات العصر، وآلام من المسلمين أنفسهم فى الداخل .

وهدف أعداء المسلمين هو أن يتخلى المسلمون عن دينهم ليصبحوا مسلمين جغرافيين أسماؤهم اسلامية، وبلادهم اسلامية وبيئتهم اسلامية ، ولكنهم يعيشون حياة غير اسلامية.

ولابد لكل فرد من ضوابط روحية ومثل عليا تجعله متماسكا لا يهون ، وما يقال عن الفرد يقال عن المجتمع ، وحين تمسك المسلمون بدينهم عزوا بهذا الدين وسادوا . وحين تخلوا عن دينهم ذلوا وأصبحوا غثاء كغثاء السيل .

وأعداء الاسلام والمسلمين يعرفون هذه الحقيقة ، لذلك فهم لا يجتمعون على شىء اجتماعهم على محاربة الاسلام .

كما يعرفون أن الاسلام قوة قاهرة ، فهم يخشون هذا الدين ، ويتعاونون على اضعافه .

وسر ثبات الاسلام أمام التيارات الجارفة التى تعرض لها سابقا ويتعرض لها اليوم وسيتعرض لها غدا يكمن فى القرآن الكريم لغة وعقيدة وتشريعا ومثلا عليا .

وكل مسلم حق مدعو فى الحاضر والمستقبل أن يستقتل دفاعا عن القرآن الكريم بما يستطيع من قوة، وأن يحذر مكايد أعداء الاسلام فى محاولاتهم السرية والعلنية للقضاء

على أثره وتأثيره فى العقول والقلوب معا ، لأن بقاء الاسلام قويا شامخا رهن ببقاء القرآن الكريم قويا شامخا .

تفنن أعداء الاسلام بمحاولاتهم فى اضعاف العربية لغة القرآن الكريم ، فدعوا الى الكتابة بالحروف اللاتينية ، والتخاطب والكتابة بالعامية ، وأشاعوا أن العربية أصعب اللغات ، وزعموا أن العربية لغة أدبية لا علمية ، وأنها لا تستطيع مجارات العلوم ، وفرض المستعمرون لغتهم على الدراسات العلمية ، وقلصوا من تدريس القرآن فى المدارس والمعاهد ، وهونوا من شأن معلمى العربية ومدرسيها وأساتذتها ، وهدف كل ذلك محاصرة القرآن الكريم وعزله .

ان الاذاعات المرئية ، والمسموعة فى البلاد العربية بخاصة والأقطار الأسلامية بعامة ، تعمل عملها التخريبى فى هذا المجال ، فمن النادر ان تسمع مذيعا يضبط النطق العربى صرفا ونحوا ، وأكثر المذيعين يخاطبون المستمعين والمشاهدين باللهجة العامية ، ومزج بعضهم هذه اللهجة بلكنة أجنبية .

ومن المهم جدا أن أذكر المسئولين الكبار ، بأنهم مسئولون عن القاء خطبتهم بالعربية الفصحى ، لأنهم قدوة لشعوبهم ، وعدم التزامهم بالفصحى وايثار العامية عليها يؤثر فى تلك الشعوب أسوأ تأثير ، لأنهم يقلدون المسئولين الكبار ، والناس على دين ملوكهم .

وأعداء الأسلام يستهدفون اشاعة العامية لقتل الفصحى قتلا ، أفيتطوع كبار المسئولين لتحقيق هدف حيوى لأولئك الأعداء ، والمفروض أن يحبطوا أهداف الأعداء خدمة للغة القرآن ؟ .

وتفنن أعداء الأسلام بمحاولاتهم فى التشكيك بالعقيدة الاسلامية ، فتزعزعت عقيدة قسم من المسلمين ، وتشوشت عقيدة قسم آخر ، وثبت على عقيدتهم آخرون .

والهدف من نسف العقيدة ، هو اقتصار الأنسان على المادة من دون

الروح والعقيدة هى الروح ، والمادة الى فناء ، والروح الى بقاء ، والذى لا عقيــدة له لا يقاتل ولايضــحى ولا ينتصر أبدا ، وبذلك يسهل على أعداء الاسلام السيطرة على المسلمين بسـهولة ويسر .

وتفنن أعداء الاسلام بمحاولاتهم لاحلال القانــون الوضــعى مكان شريعة الله ، فانتشــرت الســرقة ، وشــاع الفسق والفجور وتفككت أواصر العــائلة ، وانصرف الشباب عن الزواج .

ان تطبيق الشريعة الأســلامية يجعل من ضمير المسلم رقيبا عليه ، لأنه تنفيذ لأوامر الله ، وقــد كان الأمام على بن أبى طالب كرم الله وجهه يعمل قاضيا لعمر بن الخطاب ، فقضى سنتين لم يراجعه خصمان .

والشــريعة الغــراء هى لحمــاية الفضــيلة ، والمحافظة على النفس والدين والمال والعرض ، وصيــانة المجتمع الاسلامى .

وقد سبقت الشريعة الأســلامية القــوانين الوضعيــة فى كثير من مبادئها ، فهل من المعقول أن نستبدل الذى هو أدنى بالذى هو خير ، وهل من المعقول أن نطبق قوانين نابليون الذى جعل من حرم الأزهر اسطبلا لخيوله ؟ !

ان الشريعة الاســلامية غائبة عن المجتمع الأسلامى بشكل أو بآخر ، فلا بد من عودتها الى مكانها اللائق بها بين المسلمين .

وتفنن أعداء الأسلام بمحاولاتهم الغاء المثل العليا الاسلامية ، فنجحوا بذلك أعظم النجاح .

ولايزال نجاحهم فى مد عارم ، ولايعــرف غير الله أيــن ســيصل المسلمون فى محاكاة الأجانب بمباذلهم ، فقد بلغوا فى هذا المجال حدا مخيفا .

وقد قيل الكثير عن أثر الاستعمار فى المســلمين ، ولكننــى أرى أن أخطر آثار الاستعمار فى المسلمين ، هو اختيار المســتعمر كل منخوب جنســيا وكل منخــوب جيبيــا ، وتوليتهم المناصب المرموقة واغداق الأموال والجاه عليهم ، وتحكيمهم فى رقاب الناس ، فقلدهم المسلمون من ضعاف النفوس ليتولوا المناصب الرفيعة ، لأنهم وجــدوا الســبيل

الوحيد للتقدم والغنى هو فى التخلى عن المثل العليا الاسلامية ، فساءت الحال وتردت الاحوال .

واذا كان للمستعمر عذره فى اختيار الامعات والتافهين والمنخوبين فما عذر ولاة أمور المسلمين فى اختيار أمثال هولاء ؟

وقد كان عمربن الخطاب رضى الله عنه يقول لجيوشهم المتوجهة للفتح : « أخوف ما أخاف عليكم ذنوبكم ، فهى أشد عليكم من عدوكم » ، وقد غرق المسلمون اليوم بالذنوب ، فمن أين يأتيهم النصر ؟ .

واذا كان المستعمر قد فتح الحانات وأقام المراقص وأباح الزنا، وشجع على الميسر ، وغمر بلاد المسلمين بالفسق والفجور ، فما عذر المسئولين المسلمين فى سكوتهم عن هذه المصائب وابقائها على حالها التى كانت عليه أيام الاستعمار ؟ .

ان الأمة بمثلها العليا بأخلاقها المحاربة ، بفضائلها ومزاياها ، ولاقيمة لأية أمة تتخلى عن مثلها العليا وأخلاقها وفضائلها .

والدول تبدأ بالمثل العليا التى توصلها الى مراقى السؤدد والمجد ، وتنتهى بالترف الذى يوصلها الى الحضيض والمذلة ، والمسلمون بدأوا بالترف أولا والغوا مصادرهم الثرة بالمثل العليا .

— ٣ —

وأعداء المسلمين كثيرون ، ولا توجد أمة أكثر أعداء من المسلمين ولا أشد عداوة من أعدائهم .

وعلى رأس أعداء المسلمين خمسة أعداء ، أذكرهم للتنبيه لا للحصر .

العدو الأول هو الاستعمار بشكليه القديم والجديد : القديم الذى يعتمد على القوة والسيطرة والاستعباد لنهب الموارد والخامات، والجديد الذى يعتمد على السيطرة الاقتصادية والاحلاف لنهب الموارد والخامات أيضا .

والاستعمار القديم هو خمسة أنواع : استعمار سياسى،واستعمار

اقتصادي ، واستعمار عسكرى ، واستعمار اجتماعى ، واستعمار فكرى •

وأخطر أنواع الاستعمار على الأطلاق ، هو الاستعمار الفكرى أو الغزو الفكرى ، وقد تخلص المسلمون من الاستعمار العسكرى والسياسى والاقتصادي والاجتماعى ، ولا يزال الاستعمار الفكرى يطبق عليهم من كل جانب •

ومادام الاستعمار الفكرى ينيخ بكلكله من المسلمين ، فهم لن يتخلصوا من الاستعمار أبدا ، لأنه خرج من الباب ودخل من الشباك •

ان المسلمين يعيشون اليوم ضمن نطاق الحضارة الغربية ، وهى حضارة مسيحية كما هو معلوم •

وللمسلمين حضارة اسلامية عريقة ، مستمدة من دينهم الحنيف ، فلمصلحة من يستبدلون حضارة مستوردة بحضارتهم ؟ •

وأرجو أن يكون ما أردته مفهوما ، فقد اقتبسنا من الحضارة الغربية قشورها ومظاهرها ، وهذه القشور والمظاهر قد تناسب غير المسلمين ، ولكنها لا تناسب المسلمين ، لأنها تناقض تعاليم دينهم • ومن المؤسف حقا أن أصحاب المثل العليا من الغربيين ، يشكون مر الشكوى من قشور ومظاهر حضارتهم ، ويرون فى التمسك بها مؤشرا واضحا على قرب تفسخهم وانحلالهم • والذين اقتبسوها من المسلمين ، هم كالذين يحاولون بناء الهرم من القمة : لايفعلون شئيا الا الحاق الضرر بحاضرهم ومستقبلهم • أما ما يفيد العقل والعلم من الحضارة الغربية ، فمن الضرورى اقتباسه واتقانه ، فالحضارة ـ كل حضارة عالمية والمسلمون الأولون لهم قسط وافر فى اقامتها ، والاسلام يأمر بالعلم وينهى عن الجهل ، ولكنه يأمر بالعلم الذى يفيد لا بالذى يخرب ، ونقل الحضارة الغربية بكل ما فيها ، من خير وشر وبناء وهدم وتعمير وتخريب ، كما بشر به بعض المسلمين ودعا اليه ، مرفوض رفضا باتا ، والمطلوب هو نقل الخير والبناء

والتعمير لا نقل الشر والهدم والتخريب •

وجريمة الاستعمار أنه استقدم قشور حضارته ومظاهرها الى ديار المسلمين ، وشجع على المنكر والفحشاء ، وبوأ الأشرار والمخربين الذين نقلوا الشر والهدم والتخريب أعلى المناصب ، وحكمهم فى رقاب أبناء جلدتهم ، كأنه كان يلقى فى روع المسلمين بأن الذى يسير فى ركابه يحظى بالسلطة والجاه والمال ، والذى لا يطاوعه يحظى بالحرمان والعوز والفاقة ، وبذلك جعل العملة الرديئة تسيطر على العملة الصالحة•

ولم تكن ديار المسلمين تعرف البغاء العلنى والحانات والملاهى ودور الميسر وصالات الرقص ومصارف الربا والقوانين الوضعية قبل الاستعمار ، كما لم تعرف أدباء المخدع والرقوق السينمائية الخليعة والسخرية بالدين والتراث والعربية الفصحى ونشر العامية على نطاق واسع فى أجهزة الاعلام ، وتقويض المدارس والمعاهد والجامعات الدينية التى تعلم الدين والعربية ، واضطهاد رجال الدين والعربية والحط من مكانتهم وكفايتهم ، واستعباد المرأة باسم تحريرها •

تلك هى قشور الحضارة الغربية ومظاهرها التى يجب أن يرفضها المسلمون ويتخلوا عنها ، وتلك هى مخلفات الاستعمار وآثاره فىالبلاد الاسلامية ، واذاكانهدفالاستعمار من اشاعتها تمييع المسلمين وجعلهم أمة لا تقاتل عن دينها وأرضها وعرضها ، فلماذا يبقى عليها أصحاب السلطان المسلمون بعد أن تخلصوا من براثن المستعمرين ؟

ان المسئولين المسلمين الذين يحرصون على الحفاظ علىمخلفات الاستعمار وآثاره ، خلافا لمصلحة الاسلام والمسلمين، لابد أنيكونوا عملاء للمستعمرين أو خلائفه أو أيتامه ، والا فكيف يستطيع عاقل منصف أن يسوغ سكوت هؤلاء

المسئولين عن تدمير دينهم وتخريب شعوبهم .

وأنا أضع هذه الحقائق أمام المسئولين علنا ، فلينظر أولئك النفر كيف يصنعون !

— ٤ —

والعدو الثانى من أعداء المسلمين هو العدو الصهيونى وركيزته فى الأرض المقدسة والصهيونية العالمية .

هذا العدو له أطماع توسعية استيطانية فى البلاد العربية ، وتوسعه المعلن : (من النيل الى الفرات) ، وتظاهره بالسلام كذب وغش وخداع ، فهو اذا أراد الحرب تظاهر بالسلام ، وليس هناك فرق بين يهود والصهاينة ، فكل يهودى صهيونى ، لأن الصهيونية منطلقها دينى عنصرى ، وليس هناك فرق بين يهودى (تقدمى) ويهودى (رجعى) ، فلم يتخلف عن جيش (الهاكاناه) فى حروب العدو الصهيونى كلها تقدمى صهيونى واحد ، ولم تفرق صواريخ هذا العدو بين عربى تقدمى وعربى رجعى ، بل اكتسحت الجميع فى كل حرب صهيونية ، وتصنيف الصهاينة الى تقدميين ورجعيين نابع من خيال الذين يريدون تفتيت همم العرب والمسلمين المجاهدين ، فقد يكون فى الصهاينة أحزاب عديدة تختلف محليا بالكلام ، ولكنها صف واحد فى العمل لا تختلف أيام الحرب .

والعدو الصهيونى يستهدف تحطيم الدين والمثل العليا فى كل مكان ، وبخاصة فى البلاد العربية والاسلامية ، وكل اتجاه لهذا التحطيم وراءه الصهيونية العالمية .

والجديد فى الأمر ، أن الصهاينة يدعمون الارساليات التبشيرية فى افريقية وبلاد المسلمين ، لا حبا بنشر المسيحية ولكن كرها بالاسلام فالذى يتنصر من غير المسلمين يكون ولاؤه للدولة الاستعمارية التى نصرته ، والذى يعتنق الاسلام يكون ولاؤه للعرب والمسلمين الذين يحاربون الصهيونية ويطمعون فى انقاذ الأرض المقدسة منهم .

لقد كان من جملة مقررات المؤتمر الصهيوني الأول الذي عقد فى مدينة (بازل) بسويسرا ، احياء التوراة لغة وعقيدة وتشريعا ، وقد عقد هذا المؤتمر سنة ١٨٩٧م كما هو معلوم

فهل من الصدق أن تظهر فى نفس الوقت الدعوة الى العامية وكتابة العربية بالحروف اللاتينية ومحاربة القرآن الكريم لغة وعقيدة وتشريعا ومثلا عليا ؟ !

لقد كتب (هرتزل) فى مذكراته أنه كان وراء التشنيع على السلطان عبد الحميد ــ رحمه الله وعزله،وان الكتب التى صدرت للأساءة بسمعة السلطان مولت من الصهاينة ، لأنه رفض عرض (هرتزل) لتخصيص جزء من أرض فلسطين ليكون وطنا قوميا لليهود •

وقد ظهرت هذه الحقائق بعد أربعين سنة من موت السلطان عبد الحميد ، وستظهر حقائق مذهلة عن تمويل الصهاينة للأصوات الناشزة المريبة التى دعت الى محاربة القرآن الكريم •

والا فكيف نعلل تبنى محاربة القرآن الكريم من أجانب غير مسلمين أكثرهم يهود أوعملاء ليهود ومن عرب مسلمين كلهم لم يدخلوا مسجدا ولم يؤدوا صلاة ، ومعظمهم لهم صلة بالماسونية التى هى اليد الخفية للعدو الصهيونى ؟!

ان الصهيونية العالمية سخرت الاستعمار لمحاربة القرآن لغة وعقيدة وتشريعا ومثلا عليا ، وسخرت الماسونيين من المسلمين لهذا الغرض ولست بحاجة الى فضح الأجانب من غير المسلمين ، ولكننى أدعو المخلصين من مفكرى المسلمين أن يفضحوا الذين تعاونوا مع الصهيونية والاستعمار فى هذا المجال ، فلا تزال أسماء قسم منهم تحاط بهالة من الاكبار والتقدير ، وهى هالة من صنع الصهيونية والاستعمار والماسونية مافى ذلك أدنى شك •

— ٥ —

والعدو الثالث من أعداء المسلمين هى المبادىء الوافدة الهدامة التى تناقض الاسلام •

فالذين يؤمنون بأن الدين أفيون الشعوب ، وهم الشيوعيون

والملحدون والوجوديون ، لا مكان لهم بين المسلمين .

والذين يعطلون الجهاد وهو ركن من أركان الاسلام ،فى ظروف أصبح فيها الجهاد فرضا عينيا ، ويؤمنون بنبى أو أنبياء ظهروا بعد خاتم المرسلين والنبيين عليه الصلاة والسلام ، كالقاديانية ، والبابية ، والبهائية ،ليس لهم مكان فى الاسلام .

والذين يعملون على اعادة بناء هيكل سليمان على أنقاض المسجد الأقصى تحقيقا لأحلام يهود والصهاينة ، كالماسونية بأسمائها المتعددة ونعوتها المختلفة ، ليس لهم مكان بين المسلمين .

والذين يحرفون ما أنزل الله ولا يلتزمون التزاما قاطعا بالكتاب والسنة ، فيبتدعون ولا يتبعون حتى ولو طاروا فى الهواء ومشوا فوق الماء ، كالنحل الاسلامية المنحرفة ، ليس لهم مكان بين المسلمين .

ان كل جماعة أو جمعية أو نحلة أو طائفة أو مذهب ، تخالف ما جاء به كتاب الله وسنة رسوله الكريم عليه أفضل الصلاة والسلام، لا مكان لها بين المسلمين ، فحسبنا كتاب الله وسنة نبيه المصطفى عليه الصلاة والسلام ، فالله أكمل لنا دينه وأتم على المسلمين نعمته ، ورضى لهم الاسلام دينا .

والعدو الرابع هو التبشير الذى ورث أحقاد الحروب الصليبية — تلك الحروب التى لم تكن من أجل الدين المسيحى من بعيد أو قريب ، بل كانت للاستعمار والاستغلال واستثمار الموارد ، كما قرر ذلك مؤرخو النصرانية أنفسهم ، اذ لو كانت من أجل الدين المسيحى لما ارتكب الصليبيون المجازر الهائلة التى تناقض مبادىء المسيحية .

كما أن هذا التبشير هو الممهد للاستعمار الغربى الحديث، والمحرض عليه والعامل تحت لوائه حتى فى مجال التجسس والمخابرات ، كما ثبت ذلك بما لا يدع مجالا للشك .

ولما ذهب الاستعمار الى غير رجعة باذن الله ، بقى التبشير ركيزة من ركائزه ، وحاملا لأهدافه التخريبية، وداعيا لحضارته المسيحية، ومروجا لمبادئه .

ان صلة الاستعمار بالتبشير معروفة جدا ولا تحتاج الى دليل ، فلا عجب أن تموله المصارف الأجنبية والشركات الاحتكارية والدول التى لا تقيم وزنا للمسيحية فى بلادها والعدو الصهيونى الذى لا علاقة له بالمسيحية .

ووسائل الارساليات التبشيرية لاستقطاب من حولهم من الناس هى : المدرسة والمعهد والجامعة ، والدواء والطبيب والمستشفى ، والطعام والكساء والمسكن .

وقد كان لذلك كله تأثير هائل فى تنصير غير المسلمين والمسلمين أيضا، وحسبنا أن نعلم أن لبعض الارساليات التبشيرية مطارات خاصة بها وطائرات ، بالاضافة الى وسائط النقل الأخرى، وتحت تصرفها أموال طائلة وامكانات مادية ومعنوية ضخمة .

كما أن المبشرين مدربون تدريبا عاليا ومتعلمون ويحسنون اللغات المحلية ، ومستعدون للعمل فى المناطق النائية البعيدة عن الحضارة والعمران فى أقسى الظروف والأحوال .

وقد علمت من مصادر موثوقة أن قسما من الارساليات تدرب المرتزقة من الرجال على فنون القتال، بحجة حماية تلك الارساليات محليا ، وليس لذلك أى معنى الا العمل على الانفصال .

على المسلمين أن يحذروا المبشرين، وأن يسعوا الى توعية اخوانهم حذرا من الوقوع فى أحابيلهم .

كما عليهم أن يكافحوا الارساليات التبشيرية بنفس وسائلها :التعليم ، والطبابة ، والطعام ، والكساء ، والمسكن ، وهذا يحتاج الى المال الذى يجب أن تبذله الدول الاسلامية الغنية بسخاء وأن تبذله الجماعات الاسلامية الغنية ولأفراد الأغنياء بسخاء .

كما يجب أن يتفق المسلمون حكومات وشعوبا على تشكيل هيئة

عليا للدعوة ، تنسق شئون الدعوة والدعاة ، وتعمل على اعداد الدعاة وتمولهم وتخطط للدعوة .

ولعل من أهم واجبات الهيئة العليا للدعوة ، ارسال الدعاة المخلصين واقامة معاهد وجامعات لتخريج الدعاة القادرين المخلصين ، وايجاد الموارد المالية الكافية للدعوة .

ان خطر الارساليات التبشيرية قد استشرى ــ وبخاصة فى افريقية وأندونيسيا ودول جنوب شرقى آسيا،ومن جملة هذا الخطر تنصير عدد غير قليل من المسلمين !

فلابد أن يستيقظ المسلمون قبل فوات الأوان .

ــ ٦ ــ

والعدو الخامس والأخير للمسلمين ، هو العلوم التطبيقية الحديثة (التكنولوجيا) ، وهوعدو (مزعوم) بالنسبة للاسلام ، ولكنه انتشر فى الغرب باعتبار أن (الدين) يناقض العلم ، فاقتبس (المريبون) من المسلمين ــ وأنا أعنى ما أقول ــ ونقلوه نقلا عن الغرب ليطبقوه على الاسلام من غير تحقيق ولاتمحيص، أو تنفيذا لمخططات أعداء الاسلام من الأجانب الذين تعمدوا زج الاسلام فى معركة ليس من دعاتها وليس طرفا فيها .

فقد بدأ التعصب يلازم فكرة (الدين) فى أوروبا ويتحالف معه يدا بيد ، وأصبح دم الانسان يراق فى الحروب الدينية ، وأخذت السلطات الدينية تضيق على الحريات السياسية، فأصبح لا مكان لحرية الفكر فى كل بلد دينى يسيطر عليه الكهنة ورجال الدين ، بزعم أن هذه هى تعاليم المسيحية ، التى تعتبر تعطيل الفكر أساسا من أسس اعتناق المسيحية ، وعند تعميد المسيحيين بصورة خاصة .

لقد كانت معارضة الدين منصبة أساسا على المسيحية التى اغتصبت من الناس حرية الفكر والعمل ، وكان الصراع بين المسيحية والعلم صراعا دمويا ، وسيقت أعداد لا تحصى من البشر الى ساحات

الاعـدام بتهمـة عدم تأييـد الكنيسة(١) .

وهكذا أصبح الدين والعلم نقيضين لا يجتمعان فى أوروبا ، فاما أن يخضع الانسان للدين وحده ، أو للعلم وحده ، ولا يمكن أن يخضع لهما معا ، لأن (الدين) ظل عدوا قويا للعلم .

وقد أساء المفكرون الغربيون (الفهم) وأساء بعضهم (النية) ، عندما ظنوا أن بعض صور المسيحية ، وبعبارة أدق صور الكنيسة ، هى النموذج الدينى الصحيح لسائر الأديان ، واستخلصوا من ذلك أن الدين ليس شيئا سوى التعصب ويؤدى اليه ، وبالتالى قرروا أنه ليس ثمة حاجة الى الدين ـ أى دين بالطبع ـ فى العالم المتمدين .

وكلما بذلت جهود بعد ذلك لاحياء الدين ، فانها كانت توصم بالمذهبية والتعصب .

وحاول الغربيون الوجوديون والماديون ويهود ومن لف لفهم من أعداء الاسلام ، أن يلقوا بهذا الافتراء ، على الاسلام أيضا كما ألقوه على المسيحية ، وكلما عقدت ندوة من ندوات البحث الجامعى حول طبيعة الفكر الاسلامى وخصائصه وحول قيام دولة اسلامية ، فانهم يبادرون بدلا من مناقشة المشكلة الحقيقية الى اقحام فكرة التعصب الدينى !

ولا يمكن أن نتنظر من أعداء الاسلام غير ذلك ، فالاسلام يختلف

---

(١) كتاب جون وليام دراير ـ تاريخ النهضة الفكرية فى أوروبا ـ الجزء الأول ـ المجلد الأول ـ حيث صرح بأن محاكم التفتيش الكاثوليكية عاقبت فى المدة من عام ١٤٨١ ـ ١٨٠٨ حوالى (٣٤٠٫٠٠٠) شخص أعدم من بينهم حوالى (٣٢٫٠٠٠) شخص حرقا .

وقد ذكر كنيث ووكر احصائية رهيبة عن البلاد التى عاشت فى سنوات الصراع الأولى ، فيقول : انه خلال القرون الحادى عشر والثانى عشر والثالث عشر الميلادية ، أعدم (٣٠٫٠٠٠) شخص بتهمة البدعة والخروج على تعاليم الكنيسة فى مدينة مدريد وحدها ، إنظر كنيث ووكر فى كتابه : تشخيص الانسان ـ صحيفة (٢١٠) .

عن المسيحية واليهودية ، وقد ظهر كتاب باللغة الفرنسية لمؤلف فرنسى، يثبت هذا الاختلاف بشكل جازم حاسم (٢) ، فالقرآن يدعو الى العلم ويمجد العلماء وينهى عن الجهل ويذم الجهال ، وحديث النبى صلى الله عليه وسلم يأ... بالعلم ويحث عليه ، وينهى عن الجهل ويستهجنه ، وكان السلف الصالح من العلماء يعتبرون العلم من أجل العبادات •

وخطورة الأمر ، تكمن فى نقل كلمة (الدين) من المسيحية واليهودية ، وتعميمها على سائر الأديان ، وجاء هذا الخطأ الفاحش من ترجمة كلمة (Religion) الانكليزية الى كلمة (دين) ، والاسلام ليس دينا فحسب ، بل هو بالاضافة الى أنه دين مذهب للحياة أيضا (way of life) فيشمل القضايا الروحية والمادية ، وليس دينا يشمل القضايا الروحية فقط أو القضايا المادية فقط ، فهو يهتم بالدنيا كما يهتم بالآخرة •

ولست بحاجة الى اثبات أن الاسلام لا يناقض العلم بل يؤيده، ولا ينهى عنه ، بل يأمر به ، ولا يستهجنه بل يمجده • فهو دين العلم والعقل والفكر والحضارة •

ولا ألوم الغربيين الأجانب الذين ظنوا أن الاسلام يناقض العلم عن جهل بحقائق الاسلام أو بسوء نية وسوء قصد وعن تخطيط تخريبى ، ولكن ألوم المسلمين الذين يعتبرون أنفسهم مثقفين ثم ينقلون افتراءات الغربيين والأجانب الذين وصموا دينهم بالتناقض مع العلم ونشروه فى مقالاتهم ومؤلفاتهم وألقوه محاضرات فى مدارسهم ومعاهدهم وكلياتهم ، فسمموا أفكار الشباب المسلم بأفكار بعيدة عن الحق والصواب والواقع •

واذا كان الغربيون والأجانب قد عادوا الى الصواب ، فما أحرى

(2) La Bible, Le Coran, et la sciençe par naurice Bucaille, Ed. Sogress, Paris, 1976

المسلمين مفكرين وشبابا أن يعودوا الى الحق ، فالحق أحق أن يتبع ، والحق يعلو ولا يعلى عليه .

— ٧ —

ولعل آلام الاسلام من أعدائه فى الخارج أخف وطأة وأقل خطرا من آلامه فى الداخل ، تلك الآلام التى تصيبه وتصوب اليه من المسلمين أنفسهم .

وصدق الشاعر :

وظلم ذوى القربى أشد مضاضة
على الحر من وقع الحسام المهند

العدو الداخلى الأول للاسلام ، هم المسلمون الجغرافيون الذين ينتسبون للاسلام ويعملون على تشويه سمعته .

ان أكثر الناس لا يدققون فى المبادىء ليروا الصالح منهاوالطالح، بل يدققون فى أصحاب المبادىء ، ثم يحكمون على المبادىء لها أو عليها بالنسبة لما لمسوه من تصرفات معتنقيها .

وغير المسلمين فى كل مكان ، يرون المسلمين متفرقين ، متخلفين ، غمرتهم الأنانية وحب الذات ، يتناقضون فى تمسكهم بالدين وأخلاقهم وسلوكهم ومعاملاتهم تناقضا كاملا مع تعاليم دينهم الحنيف!

فلماذا يلوم المسلمون غير المسلمين فى الحكم على الاسلام بغير الحق والعدل ؟ !

ان المسلمين هم الملومون ، وعليهم أن يلوموا أنفسهم قبل أن يلوموا غيرهم .

والعدو الداخلى الثانى للاسلام، هو عدم التخطيط للدعوة وعدم اعداد الدعاة وعدم وجود هيئة اسلامية عليا على النطاق الاسلامى للدعوة والدعاة .

ان المسلمين مقصرون فى هذا الميدان ، تقصيرا فاضحا ، وفى الوقت الذى ينفق فيه أغنياؤهم دولا وجماعات وأفرادا أموالهم اسرافا وتبذيرا ، يبخلون على الدعوة والدعاة بالقليل وبالأقل من القليل من المال .

والله سبحانه وتعالى سيسألهم عما أنفقوا فى سبيل الشيطان يوم لا ينفع

مال ولا بنون الا من أتى الله بقلب سليم •

والعدو الداخلى الثالث للاسلام، هم الذين يأمرون بالبر وينسون أنفسهم ، فأكثرهم بواد والشباب بواد ، لأنهم لا يطبقون على أنفسهم ما يقولون ، ويقتصرون على ترديد تعاليم الاسلام فى العبادات من صلاة وزكاة وصوم وحج ، ولا يركزون كثيرا على وضع الحلول لتحديات العصر ، وعلى مناقشة الاسلام والحياة ، ولا يهتمون كثيرا بالاسلام الحركى كقضايا الجهاد والحكم •

ان المسلمين اليوم بحاجة ماسة الى قادة حرب كخالد بن الوليد والمثنى بن حارثة الشيبانى وموسى ابن نصير وطارق بن زياد وقتيبة بن مسلم ومحمد بن القاسم ، يقودون المسلمين الى النصر •

ولكنهم أكثر حاجة الى قادة فكر كالأئمة الأربعة المجتهدين فى الدين والعز بن عبد السلام وابن تيمية وأضرابهم من العلماء المجاهدين الذين ضربوا لمن حولهم أروع الأمثال •

والعدو الداخلى الرابع هى أجهزة الاعلام الاسلامية التى تحب أن تشيع الفاحشة فى الذين آمنوا •

ان الصحف والمجلات تعج بالصور الخليعة ، والكتب والروايات تعج بأدب المخدع ، والاذاعة المسموعة تعج بما لا يفيد المسلمين ، والاذاعة المرئية تعج بالتمثيليات الماجنة ، والمخربين باسم الفن يحظون بالاكبار والتقدير ، والمفكرين الاسلاميين يحظون بالاهمال والاضطهاد •

لقد رأيت تمثيلية فى اذاعة عربية مسموعة ، يحرض فيها والد كريمته على البغاء من أجل المال ، فهل مثل هذه التمثيلية نابعة من واقع المجتمع الاسلامى ؟

ومصر هى رائدة السينما العربية، والمعروف أن الذين أسسوا هذه السينما هم يهود ، كما جاء ذلك فى كتاب (اليهود والحركة الصهيونية

فى مصر (١٨٩٧ ــ ١٩٤٧)) [١] ، فقد ورد فيه : « أن عائلة موصيرى الصهيونيـة أسست شركة للسينما عام ١٩١٥ باسم (جوزى فيلم) ؛ ومنـذ عام ١٩٢٩ احتكرت هـذه الشركة استيراد الأفـلام الخـام وبيعها ، وكذلك طبع الترجمة على الأفـلام الأجنبيـة التى كـانت تسـتوردها ، ثم توسعت الشركة بعـد ذلك وأقامت (اسـتوديو) للانتاج السينمائى » [٢] •

وقد ظهر أن رواد ممثلى السينما المصرية من المـاسونيين [٣] !

فمـا عسى أن ينتظـر العـرب والمسـلمون من سـينما أنشـأها الصـهاينة وممثلوها الرواد من المـاسونيين ؟ !

فـلا يدهش أحـد من الدعاية الضخمة التى واكبت هذه السينما وممثليها،والتركيز على ابراز العاملين فيها مدحا وثناء ومكانة وثراء بدون حساب •

ان الصهيونية والمـاسونية وراء هذه الدعاية ، تلك الدعاية المحمومة التى رفعت السينما والعاملين فيهـا الى أعلى المـكانات وجعلت منهـا ومنهـم أبرز الشـخصيات • وفى الوقت الذى يموت فيه الشيوخ : عبـد الرحمن تـاج ومحيى الدين عبد الحميد وأبو زهرة والسـايس والسنهورى من أعضـاء مجمـع البحوث الاسلامية ومجمع اللغـة العربيـة فى القـاهرة ، فلا يعرف بموتهم أحد ، ويشيعهم الى مثواهم الأخير ما لا يزيد على عـدد أصابع

---

(١) اليهود والحركة الصهيونية فى مصر (١٨٩٧ ــ ١٩٤٧) ــ أحمد محمد غنيم وأحمد أبو كف ــ كتاب الهلال ــ العدد ٢١٩ ــ القاهرة ــ ١٩٦٩

(٢) نفس المصدر ص (٥٢ ــ ٥٣) •

(٣) أنظر مقال الماسونية ــ الشيخ أحمد الشرباصى ــ مجلة الهلال ــ العدد (٦) ــ يونية ١٩٧٧ ــ ص (٢٨ ــ ٣٩) والمطلوب مراجعة التصاوير المنشورة فى هذا المقال والشرح الموجود أسفل كل تصوير ، للاطلاع على أسماء هؤلاء الرواد ، وماخفى كان أعظم •

اليدين ، يموج الأثير بنعى الممثلين والفنانين ويشيعهم عشرات الألوف من الرجال والنساء وينتحر لموت بعضهم بضع فتيات !!

أهذا أمر طبيعى ؟ ! أم وراء الأكمة ما وراءها !!

وهل المسلمون اليوم أمة تنشىء الحياة وتبنى ــ كما يقول الشاعر ــ أم هى أمة تقضى على الحياة وتهدم !! والا فكيف نرضى أن يموت قادة الفكر الاسلامى الذين قضوا حياتهم فى بناء العقول والقلوب على هدى وبصيرة وهم أحياء ، وأن يمجد قادة الفسق الذين قضوا حياتهم فى هدم العقول والقلوب تحقيقا لأهداف الاستعمار والصهيونية وربيبتها الماسونية ؟ !

ومن جهة أخرى ــ وأقولها بكل صراحة وأمانة ــ فان السينما المصرية ألحقت أبلغ الأذى بالمصريين والعرب، كما ألحقت ظلما أسوأ السمعة بالمصريين خارج مصر ، فالذين يشاهدون الأفلام المصرية التى من أبرز عناصرها الرقص والخمرة والحب الداعر يتساءلون : أهذا هو المجتمع المصرى ؟ !

وليس كل المشاهدين يعرفون حقيقة المجتمع المصرى الملتزم بالمثل العليا والدين ، وطالما جادلت الذين يتهمون هذا المجتمع ظلما اظهارا للحقيقة ، ولكن أين لى من مجادلة كل المشاهدين .

يجب أن يضع المسئولون حدا لاستهتار السينما والتمثيليات المصرية بالأخلاق والفضيلة من أجل أبناء مصر وسمعة مصر ــ على الأقل !

ان هذا التسيب فى أجهزة الاعلام ــ ليس فى مصر وحدها بل فى البلاد العربية والاسلامية ، لا يخدم أحدا غير أعداء الاسلام والصهيونية العالمية ، فلابد من وضع حد حاسم لهذا التسيب الشنيع .

ومن المفيد أن أتطرق الى الصحف والمجلات الاسلامية باعتبارها جزءا من الاعلام الاسلامى الذى يفترض

فيه الأمانة والاستقامة والعلم الأصيل .

لقد وجدت أن أكثر هذه الصحف والمجلات تولد قوية ، ثم تضعف بالتدريج حتى تموت من الهزال .

وليس لهذا الضعف علاقة بالناحية المالية ، فالمال والحمد لله كثير ، بل العكس هو الصحيح لأنها تدفع مكافآت مجزية تجعل المرتزقة يتكالبون عليها بشتى الوسائل والأساليب .

ومن المؤسف حقا ، أن قسما من رؤساء التحرير ، يلتزمون بالواجبات نحو (الشلل) ولا يلتزمون بمتطلبات العلم الحق ، فهم ينشرون ما يكتبه أفراد شللهم من أجل نفعهم ماديا بالمكافآت المجزية .

والعلم اذا كان لوجه الله ينفع ، واذا كان لوجه المال لا ينفع ، والعلم عبادة فلا ينبغي أن يصبح تجارة .

والذى أتمناه على الله أن ينشر ما ينفع الناس ، لا ما ينفع الكتاب وحدهم .

كما أتمنى على الله أن تنشر المقالات والبحوث الجديدة ذات الفائدة للقراء من أجل فائدتها لا من أجل الاحسان الى كتابها أو من أجل شهرتهم أو من أجل سلطانهم .

ومن الصحف والمجلات الاسلامية ما صدر من أجل (الدعوة) ، وبمرور الزمن أصبح من أجل (الدعاية) .

وما كان لله بقى واتصل ، وما كان لغيره زال واندثر .

والعدو الداخلى الرابع ، هى المدارس والمعاهد والجامعات فى ديار المسلمين ، ففيها انحراف واضح فى بعض مناهجها وفيها انحراف واضح فى قسم من معلميها ومدرسيها وأساتذتها .

اهمال تعليم القرآن الكريم والحديث النبوى الشريف والتراث الاسلامى الخالد ، والاستعاضة عنها بأقوال الزعماء ، والرؤساء وذوى

السلطان ، يضر الفكر ولا يفيد المسئولين •

وتلقين نظريات لم تثبت ، سخرية بالعقول والأفهام •

وتعليم مفتريات وأضاليل ، مثل : العلم والدين متناقضان ، لا يصح فى بلد اسلامى ، لأن الذين لفقوها لا يريدون الاسلام بل يريدون غيره من الأديان •

وتشويه التاريخ الاسلامى بأفكار لا صحة لها ، كالقول بأن الفتح الاسلامى كان لأسباب اقتصادية ، اضطهاد للحق والعلم •

وتعليل سير رجالات الاسلام وفق مناهج المبادىء الوافدة ، مثل أبى بكر كان اتجاهه وسطا ، وعمر يسارا ، وعثمان يمينا ، وعلى يسارا •• وأبى ذر الغفارى يسارا • هراء سخيف يترفع عنه الغبى المنصف ، فكيف بالذكى المثقف •

واذا كان الانحراف فى المناهج مرذولا ، فان الانحراف بالمعلمين والمدرسين والأساتذة أشد شناعة وأعظم بلاء

لقد رأيت أستاذا يشرف على طالب فى الدراسات العليا ، يكتب الرسالة لطالبه لقاء هدايا ومال !

ورأيت مسئولين عن التعليم كبارا وصغارا ، يغدقون الدرجات استجابة للوساطات •

فما أجدرنا أن نعيد النظر فى مناهجنا ، ونعيد النظر فى اعداد المسئولين عن التعليم ، ونحترم العلم من أجل العلم وحده لا من أجل شىء آخر •

وما أجدرنا أن نهتم بالكيفية فى التعليم لا بالكمية ، فان المثقفين فى البلد بازدياد مستمر ، ولكن الثقافة الأصيلة بانحسار مستمر ، وهذا واضح وضوحا كبيرا كوضوح الشمس فى رابعة النهار •

— ٨ —

والعدو الداخلى الخامس للاسلام ، هما الأب والأم بالنسبة لأولادهما •

والمفروض أن يكون الأب والأم أسوة حسنة للأولاد ، وذلك

بالتمسك بأهداب الدين الحنيف والخلق القويم والمعاملة الحسنة والجد فى أداء الواجب .

ان أكثر الآباء والأمهات بعيدون عن الدين ، وأكثرهم يخالفون تعاليم الدين علنا ، وقد رأيت من يحتسى الخمرة فى داره أو فى ناديه بحضور أبنائه ، وبعضهم يصطحب أولاده الى النوادى البعيدة عن الاحتشام ، فيشجعهم على الرقص ومرافقة أصدقاء السوء .

وقد قرأت فى صحيفة عربية ، أن أسرة رافقت أولادها الى حفلة راقصة فى ناد معروف ، فشاركت ابنتها فى سباق للرقص ، فلما فازت الابنة بالجائزة وهى قنينة من الويسكى ، هلل لها الأب وفرحت بفوزها الأم !!

وهناك من يتساهل مع الأبناء بارتداء الثياب الفاضحة وارخاء الشعر ، والسهر ليلا مع الأصدقاء فى أماكن بعيدة عن الحياء .

وهناك من يعلم بصلة ابنته المراهقة بشاب مراهق ، وابنه المراهق بفتاة مراهقة ، فلا يحرك ساكنا !

والخيانة الزوجية شائعة ، والخلاف الزوجى ناشب ، والطلاق فى غير سبب مشروع كثير .

وكل هذا لا يجعل من الأب والأم قدوة حسنة للأطفال ، ويخلق عقدا نفسية فى الأبناء ، ويؤدى الى ضياع الصلة الأسرية المقدسة .

ولو كان الأب والأم يصليان ، ويصحبان ابنهما الى المسجد ، ويلتزمان بالحشمة والوقار ، لتبدل حال الأولاد الى أحسن حال .

كما أن غياب الأب فى عمله معظم الوقت ، وغياب الوالدة أيضا ، لا يحقق التربية السليمة ، وأخشى ما أخشاه أن تكون تربية الذرية (تربية الخدم) من جراء غياب الأم بخاصة للحصول على دراهم معدودات ... فيكون الجيل القادم جيل الخدم لا جيل الأمهات !

ان الدين غائب عن الوالدين فى أكثر الأحيان ، فلا يلومن أحد الأبناء على ابتعادهم عن الدين .

وربما يكتشف الأولاد أن الأب يسرق ويرتشي ويغش ويعاقر الخمرة، ولذلك كله أثر بالغ فى سلوك الأبناء .

وربما يكتشف الأولاد ، أن الأب والأم لا يحرصان على أداء واجباتهما فى مواقع عملها ، ويعتبران التهرب من أداء الواجب بأمانة واخلاص شطارة ، وهذا يؤثر فى الأبناء أسوأ التأثير ويترك فى نفوسهم أسوأ الأثر .

ان الأب والأم هما المدرسة الأولى للأبناء ، وهما المسئولان عن التربية السليمة غير المنحرفة ، فلا يلقين التبعة أحد على أجهزة التعليم ، فقد لا يجدون فى تلك الأجهزة من يسدد خطاهم ، وقد يجدون فيها من يحرفهم عن الطريق السوى .. وهذا هو الواقع المرير ، فلا يعلل الأبوان النفس بالأمانى تهربا من واجبهما التربوى المقدس .

وقد سمعت من يجد ابنته الكاسية العارية تفعل الأفاعيل ، فيقول : الدنيا هكذا !! أو يلقى باللوم على الدولة ، فاذا انحرف الناس ، أو أهملت الدولة ، فهل يبقى الوالدان متفرجين !

ان على الوالدين أن يثبتا وجودهما فى تربية الأولاد ، والذى لا يسيطر على أبنائه من أجل سعادتهم وخيرهم خائن وجبان : خائن لأنه ضيع الأمانة ، وجبان لأنه يخشى من لا يجب أن يخشاه ، فالولد هو الذى يجب أن يخشى والديه .

وقبل ثلاث سنوات أجرت صحيفة عربية استفتاء فى الجامعة مؤداه : هل يقبل الطلاب على الزواج بالزميلات ؟

وكان جواب خمسة وتسعين بالمئة من الطلاب : لا !!!

وعلى البنات المستهترات أن يفهمن معنى نتيجة هذا الاستفتاء ، فالطالب مستعد أن يصادق كل فتاة ، ولكنه غير مستعد أن يتزوج بكل فتاة .

وأجهزة التعليم مسئولة عن التربية السليمة ، والدولة مسئولة

أيضا ، ولكن ذلك لا يعفى الأبوين من المسئولية .

— ٩ —

ان آلام المسلمين فى حاضرهم تقطع نياط القلب ، ولكن المؤمن لا ينبغى أن ييأس من رحمة الله .

وقد مررت بايجاز شديد بتلك الآلام ، وهدفى أن أوقظ النيام ، وأنذر وأحذر بين يدى عذاب شديد ، وأقرر وأذكر ، لعل الذكرى تنفع المؤمنين .

وقد آن لى أن أبشر بالآمال تقوية للمعنويات التى بدونها تستشرى الآلام .

ان الله سبحانه وتعالى ، قد تكفل بحفظ القرآن الكريم لغة وعقيدة وتشريعا ومثلا عليا ، وهو أصدق القائلين : (انا نحن نزلنا الذكر وانا له لحافظون) .

وهذا القرآن يتلى بين المسلمين صباح مساء ، يجمع الأمة ، ويوحد الصفوف ، ويقوى العزائم ، ويشتد أثره وتأثيره كلما بعد المدى وطال الشوط .

وقد وجد دزرائيلى رئيس وزراء الامبراطورية البريطانية الأسبق ، يوم كانت امبراطورية لا تغيب عن أملاكها الشمس ، وجد هذا القرآن هو الذى يشد من أزر المسلمين ، ويستثير هممهم ، وهو الحافز الأعظم لثوراتهم على الاستعمار والاستعباد ، فقال فى مجلس العموم البريطانى وبيده نسخة من المصحف الشريف : « لابقاء لنا فى ديار المسلمين الا اذا مزقنا هذا القرآن »

ومضى دزرائيلى ، وانهارت الامبراطورية البريطانية وبقى القرآن ثابتا قويا شامخا .

وطبع العدو الاسرائيلى عددا ضخما من المصحف العزيز ، بعد أن حذف بعض آياته ، ووزع كميات هائلة من هذا المصحف المحرف فى أرجاء افريقية النائية بين مسلمين لا يتقنون العربية ، فكشف الأميون غير العرب التحريف فورا ، وفضحوا المحرفين .

وبذل المستعمرون المال الوافر ، ومن بعدهم بذلت الصهيونية العالمية كثيرا من المال ، من أجل زعزعة القرآن الكريم عن مركزه العظيم ، ولكنهم باءوا بالاخفاق الكامل .

ان المصاولة بين أعداء الاسلام والكتاب العزيز ، ليست بين قوتين متكافئتين ، لأنها مصاولة بين ارادة

بشر من البشر وارادة الله خالق البشر .

والأمل الأكبر للمسلمين فى كل مكان ، وبكل زمان ، هو كتاب العربية الأول ، وكتاب الاسلام الأول : القرآن المجيد ، الذى لولاه لأصبح المسلمون خبرا من الأخبار

والأمل الكبير للمسلمين ، هو الاسلام عقيدة وتشريعا ومثلا عليا بما فيه من طاقات كامنة ، يبلى الزمان ولا تبلى ، وتتجدد على الأيام مقدمة الحلول الناجعة لمشاكل المسلمين فى الحاضر والمستقبل ، كما قدمت لهم الحلول الناجعة فى الماضى القريب والبعيد .

ان أهم أصل من أصول الاسلام هو الاعتقاد بالله، فالاسلام يصف الله تعالى بأوصاف ــ كما ورد فى القرآن الكريم ــ بأنه ليس اله قبيلة، ولا اله أمة وحدها ، ولا اله الناس وحدهم بل هو اله كل شىء (رب العالمين)(١).

وكل شىء فى الوجود مخلوق له وخاضع لأمره : (لله ما فى السموات وما فى الأرض) (٢) .

وكل شىء من مظاهر الكون خلقه الله ، وقد أحاط علمه بكل شىء وأحاطت قدرته بكل شىء ، وهو اله واحد ، وليس هناك من يشاركه فى ألوهيته .

وليس لأى مخلوق ولا لأية طائفة سلطان على الناس فى عقائدهم ولا فى أى صفة من صفات الربوبية: (اتخذوا أحبارهم ورهبانهم أربابا من دون الله) (٣) ، ولا يرضى الاسلام عن أى نوع من التعدد ولا أى رمز يشعر بالتعدد .

وقد اختار الله أفرادا من خلقه واتصل بهم بالوحى ، ومن هؤلاء المختارين : ابراهيم وموسى وعيسى ومحمد صلوات الله وتسليمه عليهم جميعا .

---

(١) سورة الفاتحة (١) .

(٢) سورة البقرة (٢٨٤) .

(٣) سورة التوبة (٣١) .

وهناك وراء هذه الحياة حياة أخرى يوم القيامة واليوم الآخر . ويوم الحساب ويوم الدين ، وهذا اليوم هو يوم المثوبة على العمل الصالح ، والعقوبة على العمل السيىء ، وكل عمل أتاه الانسان يسجل عليه وقد جعل للمثوبة والعقوبة دارين : دار المثوبة وهى الجنة ، ودار العقوبة وهى النار .

ثم ان وراء هذا العالم المادى عالم آخر روحى فيه نوعان من الأرواح : نوع خير يطيع الله ما أمره ويجذب الناس الى الخير ويسمى الملائكة ، ونوع شرير يستغوى النفوس الى الشر ويسمى الشياطين .

هذه العقيدة جعلت من ضمير كل مسلم رقيبا عليه يراقب تصرفاته آناء الليل والنهار ، فأصبح المجتمع الاسلامى من أرقى المجتمعات حين كان المسلمون متمسكين بعقيدتهم السامية .

أما تطبيق الشريعة الاسلامية ، فقد جعل المرأة المسلمة تسافر من المدينة المنورة الى الكوفة ، ليس معها الا الله ، آمنة مطمئنة على نفسها وما لها وعرضها .

ولو طبقها المسلمون كما ينبغى ، لما وجدنا فى المجتمع الاسلامى سارقا ، ولا زانيا ، ولا معاقرا ، للخمر ، ولا ظالما لأهله ، ولامحتكرا ، ولا راشيا أو مرتشيا أو رائشا ، ولا مفسدا فى الأرض ، فالشريعة الاسلامية كفيلة بوضع حد لكل انحراف ، وصدق الله العظيم : (ولكم فى القصاص حياة يا أولى الألباب لعلكم تتقون) (١) .

وهناك دراسات فى الفقه المقارن ، أثبتت بشكل قاطع تميز الشريعة الاسلامية على القانون الوضعى ، ولا تزال قوانين الميراث فى الدول المتقدمة تحرم البنت من الميراث وتقتصر على الذكر ، وقد تحصر الميراث فى الذكر الأكبر ، كما لاتزال تحرم المرأة من استقلالها المالى .

أما فسوق القانون الوضعى ، فحدث عنه ولا حرج ، فهو يبيح

---

(١) سورة البقرة الآية (١٧٩) .

الخليلات ولا يبيح تعدد الزوجات، ويعتبر الزنا بالرضى بعد البلوغ مباحا . وحين سمح بالطلاق فى قوانين وضعية حديثة ، اعتبروه تشريعا (تقدميا) ! !

وبعد تطبيق القوانين الوضعية التى حملها المستعمر معه وفرضها فرضا على المسلمين ، انتشر الزنا وتفككت الأسر وشاع الطلاق وفشت السرقة وضاع الأمن وكثر الغش وعمت الرشوة وزاد البلاء .

وتطبيق الشريعة الاسلامية كفيل بوضع حد للفساد والافساد ، والشر والانحراف ، والظلم والعدوان .

أما الالتزام بالمثل القرآنية العليا فى الأخلاق ، فيجعل من المجتمع الاسلامى نموذجا لأرقى المجتمعات الأخرى .

والأخلاق القرآنية لا مثيل لها ، وقد وصفت عائشة أم المؤمنين رضى الله عنها النبى صلى الله عليه وسلم فقالت : « كان خلقه القرآن » .

وأثنى الله فى كتابه العزيز على نبيه المصطفى عليه أفضل الصلاة والسلام فقال : (وانك لعلى خلق عظيم)(١) لنقتدى به فى أخلاقياته .

وقال عليه أفضل الصلاة والسلام: « بعثت لأتمم مكارم الأخلاق » .

لقد أمر الاسلام بالتمسك بالخلق الكريم: آداب اللياقة : (واذا حييتم بتحية فحيوا بأحسن منها أو ردوها) (٢) ، (يأيها الذين آمنوا لا تدخلوا بيوتا غير بيوتكم حتى تستأنسوا وتسلموا على أهلها)(٣)، وفاء بالوعد ، وصبرا على الشدائد، وعدلا بين الناس ، وعفوا عند المقدرة .

---

(١) الآية الكريمة فى سورة القلم (٤) .

(٢) الآية الكريمة من سورة النساء (٨٦) .

(٣) الآية الكريمة من سورة النور (٢٧) .

— ١٠ —

ومن الآمال الكبيرة للمسلمين هو اتجاه الاسلام الى العقل والحث على استعماله فى أمور الدنيا ومظاهر الكون وملكوت الله ، ولا يأمر الاسلام بتعطيل العقل والحجر عليه.

وكما يتجه الاسلام الى العقل ، يتجه بنفس القوة الى العلم ويأمر به ويحث عليه .

وقد وردت آيات كثيرة جدا فى القرآن الكريم ، تحدد مسار الاسلام نحو هذين الاتجاهين ، مما يجعل الاسلام دين الحاضر والمستقبل ليس بالنسبة للمسلمين فحسب ، بل بالنسبة للبشرية كلها.

ومادام العصر الحاضر متجها بكل قوة نحو العقل والعلم لتحقيق مستقبل أفضل ، فان الاسلام سيفرض نفسه بطاقاته العقلية والعلمية على الحاضر والمستقبل ، وهذا ما توقعه مفكرو الغرب وفلاسفته للاسلام ، من أمثال برنارد شو .

ومن الآمال الكبيرة للمسلمين هو التوازن العجيب الذى يحققه الاسلام فى مجال السلام والجهاد.

فالاسلام دين سلام ، ولكنه سلام الأقوياء لا سلام الضعفاء ، فهو يأمر بالسلام ولكنه ينهى عن الاستسلام .

وقد جمع الاسلام تعاليمه فى السلام والحرب فى آيات متعاقبة ، فقال تعالى:(وأعدوا لهم ما استطعتم من قوة ومن رباط الخيل ترهبون به عدو الله وعدوكم وآخرين من دونهم لا تعلمونهم الله يعلمهم ، وما تنفقوا من شىء فى سبيل الله يوف اليكم وأنتم لا تظلمون) (١)،وهذا الاعداد للذين يريدون الاعتداء على حرمة الاسلام وديار المسلمين .

ولكنه تلى هذه الآية بقوله تعالى: (وان جنحوا للسلم فاجنح لها وتوكل على الله ، انه هو السميع العليم (٢) .

---

(١) الآية الكريمة من سورة الأنفال (٦٠) .

(٢) الآية الكريمة من سورة الأنفال (٦١) .

وأضاف الى أمره الحاسم بالسلام شرطا لا مثيل له فى أنظمة السلام والحرب العالمية ، فنص على وجوب القبول بالسلام حتى فى حالة العلم بنيات العدو من عرض السلام : لا من أجل اقراره ، بل من أجل الخداع ، فقال تعالى : (وان يريدوا أن يخدعوك ، فان حسبك الله هو الذى أيدك بنصره وبالمؤمنين) (١) ، ولا أعلم نظاما فى العالم كله يأمر أتباعه بالسلام حتى فى حالة المخادعة والمراوغة التى يمارسها أعداء المسلمين .

هذا التوازن العجيب بين متطلبات السلام والحرب ، يجعل من الاسلام دينا عمليا ، يسعى لخير الناس أجمعين ولا يقتصر على خير المسلمين وحدهم .

ومزايا الاسلام الأخرى ، لا تعد ولا تحصى ، فهو دين المساواة ، يكرم بنى آدم ، ويؤمن بالعدالة وسيادة القانون ، ولا يكره أحدا على اعتناقه ، ولا يؤمن بأن الغاية تسوغ الواسطة .

والهدف من قيام الدولة الاسلامية ، هو نشر الفضيلة ومنع الرذيلة ، وصدق الله العظيم : (الذين ان مكناهم فى الأرض ، أقاموا الصلاة وآتوا الزكاة وأمروا بالمعروف ونهوا عن المنكر ، ولله عاقبة الأمور) (٢) .

لقد انتصر المسلمون الأولون ، لأنهم اعتزوا بالفصحى لغة ، وتمسكوا بالعقيدة الاسلامية قولا وعملا ، وطبقوا الشريعة تطبيقا جازما ، والتزموا بالمثل العليا الاسلامية التزاما صارما .

فلما تخلى أحفادهم عن القرآن : لغة ، وعقيدة ، وتشريعا ومثلا عليا : تداعت عليهم الأمم ، وفقدوا مكانتهم القيادية فى العالم .

---

(١) الآية الكريمة من سورة الأنفال (٦٢)

(٢) الآية الكريمة من سورة الحج (٤١)

ولا مجال لهم أن يستعيدوا سيرتهم الأولى ، ما لم يعودوا الى دينهم الحنيف ، فقد انتصر الآباء بالاسلام ، ولن ينتصر الأبناء بغيره .

وقد طال الليل وانقطع السرى ، وأنا واثق من بزوغ الفجر ، ولكننى لست واثقا فى أية ساعة من الليل نحن !

والله أكبر كبيرا ، والحمد لله كثيرا ، وسبحان الله بكرة وأصيلا ، وصلى الله على سيدى ومولاى رسول الله ، وعلى آله وأصحابه أجمعين .

اللواء الركن : محمود شيت خطاب

محاربة الأهواء والشهوات :

قال الله تعالى : « وإذا أردنا أن نهلك قرية أمرنا مترفيها ففسقوا فيها فحق عليها القول فدمرناها تدميرا » سورة الفتح ٢٩

ان فى المسلمين بحمد الله صالحين مؤمنين ، ولكن غمرهم الذين افسدوا المجتمع الاسلامى وجعلوه مجتمعا لاهيا لاعبا . فان لم يكن كذلك كان خانعا مستسلما ، ولا يغير ولا يبدل ، وهو يرى التغيير فى أحكام الله تعالى والتبديل فيها ، ولا يعلن استنكاره ، وان استنكر فبقلبه ، وهو أضعف الايمان ، وبذلك صار المسلمون قوما بورا ، اذ رأوا الباطل ، ولم يعلنوا استنكاره والظلم ولم يقاوموه ، والنبى صلى الله عليه وسلم يقول :

« لتأمرن بالمعروف ولتنهون عن المنكر، ولتأخذن على يد الظالم . ولتأطرن على الحق أطرا ، أو ليضربن الله — تعالى — قلوب بعضكم ببعض ، ثم تدعون فلا يستجاب لكم » .

المرحوم أبو زهرة : الدعوة الى الاسلام من بحوث المؤتمر السابع



اللواء الركن محمود شيت خطاب
فى سـطور

١ ــ ولد فى مدينة الموصل بالعراق سنة ١٩١٩ من أبوين عربيين فى عائلة معروفة بالموصل منذ سبعمائة سنة بالعلم والدين .

٢ ــ تخرج فى الكلية العسكرية فى أول سنة ١٩٣٨ ، فأصبح ضابطا فى سلاح الفرسان .

٣ ــ شهد ثورة سنة ١٩٤١ العراقية على الانكليز ، وجرح فى القتال جروحا بليغة ، وليس فى جسمه عقدة الا وفيها شظية غائرة أو طلقة ، ولكن الله سلم .

٤ ــ تخرج فى كلية الأركان العراقية فى النصف الاول من سنة ١٩٤٨ ، فتطوع للحرب فى فلسطين ، وتسلم منصب ضابط ركن القوات المرابطة فى مدينة (جنين) وبقى فى الديار المقدسة سنة كاملة ، ولا يزال الفلسطينيون يذكرون له خدماته فى فلسطين .

٥ ــ تخرج فى أربع وعشرين مدرسة وكلية عسكرية بامتياز ، وفى سنة ١٩٥٦ تخرج فى كلية الدراسات العليا العسكرية بانكلترا ، وكان الأول على جميع أقرانه الضباط وعددهم مئة ضابط بريطانى وأمريكى وفرنسى ونرويجى وعربى ، وهو أول عربى برز فى دراسات عسكرية عليا على المستوى العالمى ، مما لفت أنظار أجهزة الاعلام الأجنبية فى حينه ، فنوهت بهذا الامتياز تنويها طويلا .

٦ ــ اعتقل فى شهر مارس ١٩٥٩ أيام المد الشيوعى فى عهد قاسم العراق ، ومكث فى السجن سنة ونصف السنة .

٧ ــ تولى الوزارة سبع مرات بعد القضاء على عهد قاسم العراق ، كما تولى أعلى المناصب القيادية وواجبات الأركان فى الجيش العراقى .

٨ ــ عضو فى المجمع العلمى العراقى ومجمع اللغة العربية بالقاهرة ومجمع اللغة العربية بدمشق والمجلس التأسيسى لرابطة العالم الاسلامى بمكة المكرمة ومجمع البحوث الاسلامية بالأزهر الشريف ، ورئيس لجنة توحيد المصطلحات العسكرية للجيوش العربية ، ورئيس لجنة معجم القرآن الكريم فى الأزهر .

٩ ــ درس فى أكثر الكليات العسكرية وكليات الأركان والاكاديميات العسكرية العربية وفى الكليات والجامعات العربية والاسلامية ، وشهد معظم المؤتمرات الاسلامية واللغوية فى البلاد العربية والاسلامية .

١٠ ــ ألف أربعة وتسعين كتابا فى : الفنون العسكرية ، والعسكرية الاسلامية، واللغة العسكرية ، والدعوة الاسلامية ، وله بحوث مستفيضة فى جميع مجلات المجامع العلمية واللغوية وبحوث كثيرة فى جميع المجلات العربية والاسلامية وفى مختلف الصحف والمجلات الاخرى .

١١ ــ يفضل المناصب العلمية على المناصب الرسمية ، وما عند الله على ما عند الناس .

١٢ ــ يعتبر رائد الدراسات التاريخية العسكرية فى الدول العربية والأسلامية ، فهو أول من ألف دراسات عسكرية تاريخية اسلامية منذ سنة ١٩٥٨ : الرسول القائد ، والفاروق القائد ، وخالد بن الوليد ، وقادة فتح العراق والجزيرة ، وقادة فتح فارس ، وقادة فتح الشام ومصر ، وقادة فتح المغرب العربى ، وغيرها ، فأصبحت لمعارك المسلمين وقادة الفتح الاسلامى مكانة فى الكليات العسكرية وكليات الأركان ، والاكاديميات العسكرية ، وانتشر التأليف فى هذا المجال ، ونشرت البحوث فى المجلات العسكرية ، وجرى تدريسها فى

المدارس العسكرية والكليات العسكرية ، ولم تكن هذه الدراسات معروفة من قبل ، بل كانت مقتصرة على المعارك الاجنبية وقادة الأجانب .

كما يعتبر رائد اللغة العسكرية والداعى لتوحيد المصطلحات العسكرية فى الجيوش العربية ، فنفذ دعوته وأخرج المعجمات العسكرية الموحدة التى وحدت اللغة العسكرية العربية ، وكانت متناقضة غير موحدة .

يهوى الدراسات العسكرية ، وتستهويه العسكرية ، وهو الذى توقع أن تنشب الحرب بين العرب والعدو الاسرائيلى يوم ١٩٦٧/٦/٥ وحث المسئولين على الحذر ، فلما لم يجد تجاوبا نشر توقعه فى الصحف العراقية يوم ١٩٦٧/٦/١ ، ثم نشرت توقعاته فى كتابه : الأيام الحاسمة قبل معركة المصير وبعده .

كما توقع عبور قوات العدو الاسرائيلى الى الضفة الغربية من القناة بخطابه العلنى يوم ١٧ رمضان بمناسبة الاحتفال بغزوة بدر الكبرى ، ونشر خطابه فى الصحف ، فتحقق ماتوقعه بعد خمسة أيام من القاء خطابه وبعد أربعة أيام من نشره .

وهو أول من ألف ودرس فى : العسكرية الاسلامية ، فألقى محاضراته فى معهد الدراسات العربية العليا بالقاهرة سنة ١٩٦٧ بعد النكسة ، وكانت المعلومات عن العدو الاسرائيلى بين العرب والمسلمين مشوشة مضطربه ، فكشف عسكرية العدو وفضح نياته التوسعية الاستيطانية فى البلاد العربية .

١٣ ـ ينصرف بكل طاقاته فى الوقت الحاضر الى الدراسات العسكرية التاريخية الاسلامية ، واللغة العسكرية العربية ، والعسكرية الاسرائيلية ، والدعوة الى الله ، وينشر مؤلفاته وأبحاثه التى لم يسبق اليها لسد ثغرات فى المكتبة العسكرية الاسلامية لغة وتاريخا وفنونا ، وقد آثر هذا الانصراف على أعلى المناصب وأرفع الرتب .

وأمله فى الله أن يحقق على يديه نصرا حاسما للعرب والمسلمين على العدو الأسرائيلى ، وهذا هو أمله الوحيد الذى يعيش من أجل تحقيقه .

هذا المؤتمر



للدكتور عبد الجليل شلبى
الأمين العام لمجمع البحوث الإسلامية



هـذا هـو المؤتمر الثـامن من المؤتمرات الاسـلامية العـامة التى يقيمهـا مجمعنا • مجمع البحوث الاسلامية بالأزهر الشريف • وكان آخرمؤتمر ـ وهوالمؤتمر السابع ـ قد عقد فى سنة ١٩٧٢م • ثم حالت ظروف عدة دون توالى عقد مؤتمرات سنوية ، حتى تهيأ لنا هذا العام ـ بعون الله تعالى وفضله ـ أن نعقد هذا المؤتمر وبعد خمسة أعوام من الركود ، ولايتحمل اخوانى وزملائى الذين قاموا بأمانة المجمع خلال هذه الفترة شيئا من اللوم ولا يوصفون بشىء من التقصير ، فهذا ما اقتضته طبيعة الأمور ، ونسأل الله تعالى أن يمدنا بعونه ، وأن يمنحنا القـوة على تذليل ما أمامنا من صعاب •

ولاريب أن هذا المجمع ومؤتمراته مما ترنو اليه أعين المسلمين فى شتى بقاع الأرض وتهفو قلوبهم ، وذلك لانتمائه الى الأزهر الشريف ، معقل الاسلام ومنارة اشعاعه • اذ هـو الهيئة الاسلامية الكبرى التى يرجع اليها المسلمون فى كل ما يعرض لهم من مشكلات ، وهو دار الثقـافة الاسلامية بمختلف فروعها وألوانها ،

وهو حصن اللغة العربية والقائم على درسـها واحياء تراثها ونشرها فى مختلف البقاع •

وهو القـائم على رعاية القرآن الكريم والعناية بكل ما يتعلق به ، يعنى بتحفيظه ويعد قراءه ، ويشرف على صحة طبعه ، ويدرس رواياته ووجـوه قرءاته ، ثم يبحث أنواع تفسيره ويبين ما يحوى من قوانين وأحـكام ، واليـه الاتجاه الأول

والمرجع الأخير فى شرح غوامضه وتوضيح مشكلاته ، وترجيح ما يرى من مذاهبه .

والأزهر قبل كل شيء وبعده معهد الفقه الاسلامى ، يدرسه طلابه ويبحث غوامضه شيوخه ، ويلائم بينه وبين مشكلات العصر من تعمقوا بحثه فى جامعته .

وهذه الجوانب الفكرية كلها تلقى أعباءها على مجمع البحوث ، فهوالصلة بين الأزهر والناس، وبين الباحثين فيه ومن يتطلع اليهم من العالم الخارجى ، فالمجمع هوالثمرة النهائية لجهود الأزهر ، وهو الأكاديمية المتخصصة العليا لكل ما فيه من دراسات ، ولاشك أن عبئه من أشقى الأعباء ، والمسئولية الملقاة على كاهله من أدق وأصعب المسئوليات .

وهذا المجمع ــ وان كان هيئة أزهرية بحتة ــ لا يستقل وحده برسالته ، ولا يستبد ــ دون الاستعانة بذوى الفكر ــ بالفتيا فى مشاكل الاسلام ، بل هو يستعين بذوى العلم وأصحاب الثقافات ، ويتقبل آراء من يبدون آراءهم فى أى موضوع من مواضيع الاسلام، سواء أكانوا من أعضاء المجمع أو غير عضائه كما أن أعضاءه ينتمون الى عدد من الأقطار، وهذه التوسعة فى محيط المجمع فضلا عن أنها تكسبه عالمية تكسب قراراته وتوصياته صفة الاجماع الشرعى ، فى كل ما لا يخالف فيه أحد من علماء المسلمين ، أو يعارضه أحد من ذوى الرأى فى تشريع الاسلام .

ويعرض المجمع آراءه وأعماله فى كتب ونشرات توزع بالمجان ويتحمل من أجلها نفقات باهظة ثقيلة على قلة ما لديه من ذخيرة ومال ــ و « مجلة الأزهر » هى مجلته التى تتحدث بلسانه ، ومرآته التى تعكس ألوان نشاطه ، وهى أيضا ليست وقفا عليه ولا مغلقة دون من لا ينتمون اليه ، بل هى مفتحة الصفحات لكل صاحب فكر اسلامى ، وكل ذى رأى ودراسة فيه ، وهى تستكتب ذوى الأقلام والبحوث الاسلامية أيا كانت ديارهم وأماكنهم ، فهى منبر عام لعلماء

المسلمين وسجل لتيارات الفكر الاسلامى ومرآة لآراء المفكرين الاسلاميين فى مختلف الأماكن والبقاع .

وفى هذين العامين الأخيرين استطاعت هذه المجلة على ضعف ميزانيتها المالية وكثرة ما يوزع بالمجان منها أن تضاعف حجمها وتزيد كميات المطبوع منها وأن تستكتب بعض ذوى الشهرة فى البحوث ، فزاد الاقبال عليها . واستتبع ذلك زيادة فى النفقات وما يباع منها يباع بثمن زهيد ، ويتحمل المجمع هذا العبء المالى رغبة منه فى نشر كلمة الاسلام ، واعلانا لصوت القرآن بين الناس .

والى جانب الرأى المكتوب يقوم المجمع باعلان الرأى والفكر المسموع ، وذلك بواسطة مبعوثيه العديدين ، فلاتكاد الآن تخلو قارة من مبعوثين أزهريين يعلمون الاسلام ويعرفون به عقيدة وشريعة وتاريخا ، هذا الى جانب رسالة الوعظ والارشاد التى لاتقتصر على النشاط الداخلى فى مصر ، بل تبذل نشاطا آخر فى البلاد العربية وغير العربية .

ورسالة الوعظ فى البلاد النائية ، واتصال المجمع بعدد من البلاد غير الاسلامية بواسطة أعضائه ومندوبى مؤتمراته مما يؤكد عالمية وعموم الرسالة التى يقوم بها .

ويأتى هذا المؤتمر بعد أن فتحت مصر صفحة جديدة فى تطورها التاريخى ، فهو أول مؤتمر يعقد بعد معركة العبور ، وهى معركة استردت بها الدول العربية ، واسترجعت فى نفوس الناس هيبتها ، وكانت هذه المعركة ذات سمات ، اسلامية لم تتسم بها معركة أخرى فى العصر الحديث مما أكد أن نصر الجيش المصرى فيها نصر للاسلام والمسلمين ، وقد بعث فى نفوس المسلمين ثقة جديدة وأملا أقوى فى عون الله تعالى ونصره الدين الذى ارتضاه ، كما أنه عمق الشعور بواجب الجهاد لاعلاء كلمة الاسلام ، ونشر نور القرآن .

هذا التطور الجديد فى عدد من المظاهر والأوضاع الاجتماعية يلقى على مجمع البحوث الاسلامية وعلى هذا المؤتمر مسئوليات جديدة ضخاما ، ولكنه لا يستقل وحده بعبء هذه المسئوليات ، بل على المجمع اعلانها وتوضيحها ، وعلى كل فرد مسلم وكل جماعة ودولة اسلامية أن تسهم بحظها فى النهوض بهذا العبء ابراء الى الله تعالى ، وقياما بما فرض على كل مسلم من الدعوة لدينه .

وأبرز ما يواجهه المسلمون الآن أمران متقابلان كل منهما يتطلب جهدا ويطالب كل مسلم أن يكون له فى كل منهما عملا ايجابيا .

أمامنا — أولا — المذهب الماركسى المادى الذى يعادى فكرة الدين وينكر وجود الله . هذا المذهب يهجم بعنف على الاسلام ويركز طاقة قوية لاضعافه ، فهو يحاربه فى أكثر من ميدان ، ويعد لحربه أسلحة منوعة كثيرة ، وله من وجوه النشاط وأفانين الكيد للدعوة الاسلامية ما جد للحروب الحديثة من أدوات مستحدثة وتجسس خفى . ونفاق خادع وتضليل ماكر عميق . وقد نجحت هذه الدعاية فى السنوات الأخيرة ، وجهرت بما لم تكن تجهر به من قبل، كما أنها أصبحت راسخة القدم فى الشرق الأوسط ينفق عليها بسخاء ويغرى دعاتها بشتى الحوافز والمغريات ، ولم تعد مصر وحدها هى الهدف الأول لسهام هؤلاء المهاجمين الماديين ، بل أصبحت دائرة اللهب تحف بقلب الاسلام ومبعث ضيائه . وهو الأراضى الحجازية المقدسة ، وعمل التخطيط الماركسى الآن كعمل التخطيط الصهيونى من قبل استيقظت الصهيونية والناس نيام ، وعملت والمسلمون مستريحون ، ثم استفاقوا فاذا خطر يهدد العالم الاسلامى كله، وأخطبوط ضخم تضطرب أطرافه فى الشرق والغرب جميعا ، والماركسية أتيحت لها ظروف خاصة هيأت لقرارها وانتشارها ، وتكون لها الآن أنصار يلتحفون الاسلام ويبطنون الالحاد، ويطعنون الاسلام ويدعون أنهم يدافعون عنه ، وهكذا يدسون السم فى الدسم ، ويقدمون الداء

القاتل فى قارورة الدواء ، وما لم يكشف المسلمون هذا الزيف ويميطوا اللثام عن هذا الخداع فان ضحاياهم فى هذا الموقف هى ضحاياهم مع أبناء صهيون .

ولا ريب ان مجمع البحوث هو أول هيئة تتحمل عبء الدفاع عن الاسلام ازاء هذا الهجوم ، وأعضاؤه فى البلاد العديدة ومندوبو مؤتمراته يتقاسمون هذه المسئولية كل بقدر ما يستطيع ، وبقدر ما تهيىء له ظروفه وبيئته .

هذا أحد الموقفين .

والموقف الثانى هوازدياد المراكز الاسلامية وكثرتها فى البلاد النائية وعلى الأخص البلاد الأوروبية ، وهى حركة واتت بها الظروف وتطورات الأحداث ، وحسب المسلمين أن يكون للاسلام مركز فى روما وعلى مقربة من الفاتيكان ، ومركز فى أسبانيا التى لم تكن تسمح لمذهب غير المذهب الكاثوليكى أن يستقربها أو يمارس فى أراضيها ، وهناك مراكز فى هولندا وبلجيكا والنرويج .. وفى استراليا الآن بضعة مساجد .. وهناك غير هذه مراكز أخرى .. وكل هذه المراكز تتجه الى مجمعنا هذا لطلب الامدادات المادية والعلمية ، ولكن كما ان المجمع لم يكن مستقلا فى شئونه العلمية لا يمكن أيضا أن يتحمل وحده الاضطلاع بكل هذه الأعباء .

وأمام المؤتمرين فى هذا المؤتمر نضع هذه الخطوط العريضة ، ونسأل الله تعالى أن يعين كلا منا ــ كل فرد وكل جماعة وكل أمة ــ على القيام بما يجب أن يقوم به ازاء دعوة الاسلام ، وتلبية لكلمة الجهاد .

« يأيها الذين آمنوا استجيبوا لله وللرسول اذا دعاكم لما يحييكم » .

« وجاهدوا فى الله حق جهاده هو اجتباكم » .

« ولينصرن الله من ينصره ان الله لقوى عزيز » .

د : عبد الجليل شلبى



الشريعة والتطور

للدكتور : محمد سعاد جلال

كلما استجدت فى أمم العالم الاسلامى ـ كاليوم ـ دعوة صارخة لاثبات منهاج اصلاحى تطورى يستهدف الملائمة بين حياتهم المعاصرة ومقتضيات العصر المتطورة ذات الطابع الحضارى والعلمى المتفوق كما يستهدف الحفاظ المصر على جوهر تراثهم وفكرهم الأصيل الذى هو ركيزة حياتهم ، والمعين لملامح شخصيتهم التاريخية ، تصايحت أصوات الفقهاء المسلمين فى المطالبة بأن تمتد أحكام الشريعة الاسلامية الى كيان هذا المنهج ، وتمثيل الأساس من عناصر بنيانه .

والحق أن هذه الصيحات دعوات معبرة عن واقع لابد من رعايته ، ويضمحل أى منهج اصلاحى لأمم العالم الاسلامى بغير الاستجابة لها .

ولكن السؤال الذى يجرى على السنة بعض الناس دائما ـ ازاء هذا المطلب ، وما علاقة الشريعة بالتطور وكيف يمكن أن تتطور الشريعة ؟

وهذا السؤال هو ما أحاول الاجابة عنه فى هذا البحث .

ان الشريعة الاسلامية شريعة ذات طبيعة كلية شمولية ، وتقدمية كما قال تعالى « ولا يأتونك بمثل الا جئناك بالحق وأحسن تفسيرا » فدلت الآية على أنه ما من شىء من أمثلة الحياة الواقعية فى اختلاف العصور والبيئات يجىء على ألسنة الناس وتقديرهم الا كان فى القرآن شفاء وكفاية له ، بل ما هو أعظم منه وما هو أحسن فى بيان طريق جلب المصالح ودفع المضار .

وكما قال تعالى : « ما فرطنا فى الكتاب من شىء » : والمقصود فى هذا أن الكتاب الكريم ٠ وهو القرآن العظيم ، فى أحد وجهى التفسير المقدم عند الجمهور يتضمن من القواعد الكلية ، والمبادىء العامة الخاصة بتقرير المصالح ، وتنظيم أحوال الناس العامة والخاصة مايوفى على تمام الحاجة ، وبلوغ كمال المقصود لهم ٠ وليس معناه أن يتعرض لما هو زائد على ذلك من وظيفة القرآن ٠

فالشريعة الاسلامية مستعدة دائما أن تعطى جوابا عن كل سؤال ينشأ عن التفاعلات الاجتماعية ، ويقدم دائما حلولا أساسية ومقبولة للمشاكل التى يتعرض لها وجود الانسان فى هذه الحياة الدنيا ٠ وكما قال تعالى : « ونزلنا عليك الكتاب تبيانا لكل شىء وهدى ورحمة وبشرى للمسلمين » : وغير ذلك من الآيات الدالة على كلية الشريعة ، وعلى شمولها لكل المصالح ووفاء أحكامها بكل الأحداث والنوازل التى تقع للمكلفين فى كل الأزمان ، والأحوال ، والبيئات ، ولذلك أجمع المسلمون على القول بأن الشريعة صالحة لكل زمان ومكان ٠

والدليل الواقعى على ذلك أنه فى وقت ازدهار القوة الاسلامية ، والدولة الاسلامية والسياسية الاسلامية والعلم الاسلامى فى وقت امتداد أطراف الدول الاسلامية من حدود الصين الى بلاد العرب كانت الشريعة الاسلامية مطبقة وكان الفقهاء المسلمون يعطون أجوبة كافية ، وحلولا كاملة عن المشاكل الانسانية ، والعمرانية التى كانت تثار فى ذلك الملك العريض ٠

بينا الآن علاقة الشريعة بالتطور ، وأن من وظيفة الشريعة ملاحقة هذا التطور فى الأنفس ٠ والآفاق بسداد مقتضياته ، وتغطية مطالبه فى كل وقت ٠

ثم ننتقل الى الركن الثانى : وهو ما يتعرض كثير من الناس للسؤال عنه ٠ وهو تقدمية الشريعة ٠ هل هذه الشريعة الاسلامية التى ننادى

بتحكيمها فى شئون حياتنا . هل هى شريعة تقدمية ؟ هذا ما سنحاول مرة ثانية الاجابة عنه : ذلك أن هذه الشريعة تعتمد على الأصول الآتية:

تعتمد على الايمان بالتطور .

وتعتمد على الايمان بالعلم ،

وتعتمد على الايمان بالعقل ،

وكذلك تمتاز هذه الشريعة فى أدواتها التشريعية بالمرونة الكافية .

١ ـ أما أنها شريعة تتساوق مع مقتضيات التطور من الوقائع والأفكار فلبيان ذلك يلزمنا أن نعرف مدلول التطور ما هو ؟

ان التطور عبارة عن انتقال العلاقات الاجتماعية القائمة بين الناس فى زمن من شكل مستنفد متخلف لم يعد صالحا لسداد احتياجات المجتمع ، ولا ملائما لاستمرار بقاء الانسان فى هذا الزمن الى شكل آخر يكون أصح وفاء فى التعبير عن فكر الانسان وأكثر اقتدارا على تحقيق احتياجاته وأشواق نفسه فى زمن آخر :

والانسان ، أو المجتمعات الانسانية منذ انبثق وجودها عن الغيب يتدرج فى سلسلة من الأطوار المتصاعدة الى الكمال غير المحدود فى أشكال الأوضاع الاجتماعية ، وصور الحياة الانسانية ، ومثل الحضارة : وكل طور من هذه الأطوار تعبر عن علاقات انسانه طائفة من القوانين التى يشترط صحة آدائها فى خدمة مصالحه ، ومعاملاته ، وتبلى هذه القوانين لتصبح كالثوب الخلق . اذ انتقل المجتمع الى طور أعلى فى سلم الترقى والتطور فيحتاج هذا المجتمع حينئذ الى أداة قانونية جديدة صالحة للتعبير عن علاقاته الجديدة .

وانما يقع التطور ويتحرك وفقا لقوانين اجتماعية ثابتة تحكم المجتمعات البشرية فى سيرها وتفاعلاتها على طريق التاريخ ، على مثال القوانين التى تحكم عوارض المادة وتفاعلاتها .

وهذا هو تعريف التطور ومعناه:

والاسلام يعترف بهذه النواميس ، ويقرر أن للكون نواميس تحكمها: والقرآن الكريم يقرر ذلك فى كثير

من آياته : يقول تبارك وتعالى : « سنة من قد أرسلنا قبلك من رسلنا ، ولا تجد لسنتنا تحويلا » ويقول : « سنة الله فى الذين خلوا من قبل وكان أمر الله قدرا مقدورا » . ويقول : « سنة الله فى الذين خلوا من قبل ، ولن تجد لسنة الله تبديلا » . ويتكلم القرآن عن السنة بمعنى القانون الاجتماعى ، وعن كون هذه المجتمعات لا تسير جزافا ، ولا تتحرك عبثا ، وانما ترتد فى سيرها وترتكز فى حركاتها وتفاعلاتها على هذه النواميس المركوزة فى طبيعة الكون . لضمان انتظامه ، واطراد حكم المنطق فى أحوال سيره . فاذا كان القرآن الكريم يقرر هذه النواميس فهو بالتالى يقرر الاعتراف العلمى بالظواهر الاجتماعية من حيث هى محمولة عليها وهذا ما عرفه علماؤنا ــ رضى الله عنهم ــ وقرره فقهاؤنا الذين كانوا يضعون أحكام الفقه أو يطبقونها .

ولا ننسى فى هذا المقام أن الرجل الذى يضاف اليه السبق لوضع علم الاجتماع أو علم العمران ــ والذى عرف عنه أنه أول من لاحظ أن المجتمعات البشرية انما تسير على سنة التطور هو الامام ابن خلدون ــ رضى الله عنه ــ وقد كان فقيها ومحدثا وقاضيا : وأن فقهاءنا من أمثال ابن خلدون الذى سبق (أغوستكوست و ماركس) فى معرفة تطور المجتمعات البشرية على أساس قوانين مضبوطة : أقول: انه ليس من المعقول أن يكون فقهاؤنا هؤلاء ــ وهم فقهاء شريعة لا يلاحظون ذلك فى طبيعة الشريعة ، ولا فى عمليات التشريع عندما تواجه الأحداث والطوارىء الجديدة وحين يتعين عليها أن تضع لهذه الأحداث، والطوارىء الجديدة أحكاما مناسبة لها .

وعندنا فقيه كبير هو الامام (شمس الدين بن القيم) عرض لهذه المسألة فى كتابه (اعلام الموقعين) فقال : فصل فى تغيير الفتوى بتغير الأزمنة ، والأمكنة ، والاحوال ، والنيات ، والعوائد ثم يعقب على ذلك فيقول: وهذا فصل عظيم الخطر جدا بسبب أن الجهل به أوقع المسلمين فى خطأ عظيم حيث

أوجب الحرج والمشقة ، ومالاسبيل اليه ، ونسب ذلك الى الشريعة الباهرة التى هى فى أعلى درجات المصالح والتى لا تأتى بمثله . فالشريعة عدل كلها . ورحمة كلها ، ومصلحة كلها ، وحكمة كلها ، فاذا خرجت المسألة الفقهية من العدل الى الجور ، ومن المصلحة الى المفسدة ، ومن الرحمة الى ضدها ومن الحكمة الى العبث ، فليست من الشريعة فى شىء وان دخلت فيها بالتأويل .

وكما يقرر ابن‌خلدون — أيضا — فى المقدمة اذ يقول : (ان أحوال العالم والأمم وعوائدهم ونحلهم لا تبقى على وتيرة واحدة ولا على منهاج مستمر . وانما هو اختلاف على الأيام والأزمنة ، وانتقال من حال الى حال وكما يكون ذلك فى الأشخاص والأوقات ، والامصار ، فكذلك يقع فى الآفاق ، والاقطار ، والأزمنة ، والدول) هذا هو نص ابن خلدون فى المقدمة ، وهو يؤكد بذلك طبيعة التغير الاجتماعى الذى نكرر القول أن ابن خلدون سبق به فلاسفة الاجتماع ، والاقتصاد الذين جاءوا من بعده يتحدثون عن تغيير المجتمعات على أساس القوانين الاجتماعية التى تعمل فى تحريك المجتمعات ، وتطويرها ويبدو لى فى هذا المقام عندما أحاول أن أشخص شخصية الاسلام وأحددها ، أن الاسلام — اذا صح هذا التعبير — ذو شخصية مزدوجة ، فله شخصية (ميتافيزيقية) غيبية ، أساسها الايمان بالله وملائكته ، وكتبه ، ورسله ، واليوم الآخر ، وكون الله عالما بالكليات ،والجزئيات ،وللاسلام شخصية مادية واقعية تتمثل فى ايمانه بالعلم وأحكام العقل والاعتراف بالنواميس الكونية فى الأنفس ، والآفاق وبناء الأحكام عليها ومن هنا تكون شخصية الاسلام المادية التى تتساوق من خلالها مع أبعد وأعلى مراحل التقدم البشرى والحضارى وقد قرر شيخ الاسلام ابن القيم رضى الله عنه هذا المعنى بهذه الكلمة الجليلة الرائعة قال : «ان شرع الله لا يتناقض مع قدرة الله»

ويقصد أن أحكام الشريعة لا يمكن أن تقع مناقضة لمقتضيات أحكام القدر : أى المقتضيات الطبيعية والنواميس القائمة فى الطبيعة والفطرة فانهم يسمون أفعال الطبيعة وآثارها الصادرة عنها بحكم نواميسها المركوزة فيها من حيث هى مفعولة بتقدير الله ــ أصالة ــ قدرا . وتفسير ذلك بلغة الفكر المعاصر أن الله الذى وضع الطبيعة ووضع لها نواميسها وأحكامها،لا يشرع للناس من التكاليف المطالبين بها ما يتنافى مع مقتضيات أحكام الطبيعة التى فطرهم عليها ، ومن ثم كان الاسلام دين الفطرة ــ كما نص القرآن .

٢ ــ ايمان الاسلام بالعقل :

انتقل بعد ذلك الى ايمان الاسلام بالعقل . ان القرآن هو متن الاسلام يتحدث عن العقل فيذكر العقل بمسمياته الأثيرة فى الذكر عند العرب فيذكره باسم الأفئدة ، والألباب ، والبصائر كما يذكره باللفظ المشتق منه فى قوله «ومايعقلها الا العالمون» وانه ليذكر ذلك فى نحو ثمانين موضعا فى القرآن ، ويربط بين العقل ، والدين ، والحياة والسلوك ، والنظر فى ملكوت السماوات والأرض . وبناء على ذلك قرر علماؤنا ــ رضى الله عنهم ــ وفى مقدمتهم صاحب « الموافقات » . أن هذه الشريعة الاسلامية لا تنافى أدلتها قضايا العقول : بل تكون مطابقة لها غير نابية عنها .

وضع الشاطبى هذه المسألة فى الموافقات : اذ يقول : الأدلة الشرعية لاتنافى قضايا العقول ويقيم على ذلك من الأدلة ما نورد بعضه :

أولا : أنها لو نافتها لكان التكليف بمقتضاها تكليفا بما لا يطاق ــ وذلك من جهة التكليف بتصديق ما لا يصدقه العقل ولا يتصوره ، بل يتصور خلافه ، ويصدقه .

فاذا كان كذلك امتنع على العقل التصديق ضرورة ــ وقد فرضنا ورود التكليف المنافى التصديق ــ وهو معنى تكليف ما لا يطاق وهو باطل ــ حسبما هو مذكور فى الأصول .

ثانيا : أن مورد التكليف هو العقل ــ وذلك ثابت قطعا بالاستقراء التام حتى اذا فقد العقل ارتفع التكليف رأسا وعد فاقده كالبهيمة المهملة ، وهذا واضح فى اعتبار تصديق العقل بالأدلة فى لزوم التكليف . فلو جاءت التكاليف على خلاف مقتضى العقل ، وخوطب بها المكلف لكان لزوم التكليف على العاقل أشد من لزومه على المعتوه ، والصبى ، والنائم ، اذ لا عقل لهؤلاء يصدق أو لا يصدق ؛ بخلاف العاقل الذى يأتيه ما لا يمكن تصديقه به .

ولما كان التكليف ساقطا عن هؤلاء لزم أن يكون ساقطا عن العقلاء أيضا وذلك مناف لوضع الشريعة فكان ما يؤدى اليه باطلا .

ثالثا : أنه لو كان الأمر كذلك لكان الكفار أول من رد الشريعة به لأنهم كانوا فى غاية الحرص على رد ما جاء به رسول الله ــ صلى الله عليه وسلم ، حتى كانوا يفترون عليه وعليها . فتارة يقولون ساحر وتارة يقولون مجنون ، وتارة يكذبونه ، كما كانوا يقولون فى القرآن سحر ، شعر ، وافتراء ، وانما يعلمه بشر ، وأساطير الأولين، بل كان أولى ما يقولون أن هذا لا يعقل ، أو هو مخالف للعقول أو ما أشبه ذلك ، فلما لم يكن من ذلك شىء دل على أنهم عقلوا ما فيه ، وعرفوا جريانه على مقتضى العقول الا أنهم أبوا اتباعه لأمور أخرى حتى كان من أمرهم ما كان ــ ولم يعترضه أحد بهذا المدعى ، فكان قاطعا فى نفيه عنه (١) .

وبناء على ذلك فانا اذا وجدنا فى الشريعة الاسلامية فى وقت من الأوقات أو فى بيئة من البيئات ما يتنافى مع مقتضيات أحكام العقل فانه لابد أن يكون خارجا عن أصول الشريعة وكيانها ــ وهو ترديد لما قاله ابن القيم « كل مسألة خرجت من العدل الى الجور . ومن الرحمة الى ضدها ومن المصلحة الى المفسدة ، ومن الحكمة الى العبث فليست من الشريعة ، وان ادخلت فى الشريعة بالتأويل: لأن خروج مثل هذه المسائل من أجناسها الى أضدادها ينافى قضايا العقول ، ومن هنا لم تكن من الشريعة » .

---

(١) الموافقات حـ ٣ ص ٢٨

وهكذا نعلم أن أحكام الشريعة الاسلامية تقع مطابقة للعقول غير متنافية مع أحكامها ، فهى ممتدة البقاء والعمل مع بقاء العقل وعمل أحكامه .

يبقى علينا أن ننظر بعد ذلك فى علاقة الشريعة الاسلامية بالعلم ولا أحب أن يخفى علينا — ونحن نسوق هذا البيان ، أننا بصدد بيان أصول التقدم — كما يذكرها المفكرون التقدميون عامة ، فان أصول التقدم معروفة ومتفق عليها . ألا وهى : الايمان بالعلم ، والعقل ، والتطور :

تكلمنا عن التطور ، تكلمنا عن العقل ، وتتكلم الآن عن العلم :

٣ — أما العلم فله المكان الأعظم فى اعتبار القرآن الكريم ، وفى بناء **الشريعة الاسلامية ، وفى تمثيله لحقيقة الاسلام من حيث أن هذه** الحقيقة الصلبة ترفض الجهل والخرافة دائما ، ولا تصنع ذاتها الا من العلم ، والحق ، والبرهان .

ولا يهولنكم القول : اذا قلنا ان كلمة العلم ومشتقاتها ذكرت فى القرآن نحو ثمانين وثمانمائة مرة :

وفى خلال هذا العدد الضخم من استعمال كلمة العلم فى آيات كثيرة ذكر العلم بجميع معانيه التى تخطر على البال : ذكر بمعنى الخير ، وبمعنى الشعور ، وبمعنى الملكة ، وبمعنى اليقين ، وبمعنى الظن ، وبمعنى العلم التجريدى المستشف لأسرار الكائنات ، كما قال تعالى : «ألم تر أن الله أنزل من السماء ماء فأخرجنا به ثمرات مختلفا ألوانها ، ومن الجبال جدد بيض وحمر مختلف الوانها وغرابيب سود ، ومن الناس والدواب والأنعام مختلف الوانه كذلك انما يخشى الله من عباده العلماء » .

ففى ذكر الحديث عن الثمرات وألوانها والجدد البيض والحمر وهى الطرق بين الجبال — وما شاكل ذلك — هو فى الحقيقة دعوة للنظر فى العلوم الخاصة بطبقات الأرض والنبات ، والحيوان بما يقتضيه صحة هذا النظر من الملاحظة ثم التجربة ، ثم « التقنية » ، لأن قصر النظر فى الكائنات التى دعا القرآن للنظر فيها عن ثمرات هذا النظر

العملية ابطال للنظر العلمى واضاعة لمعنى الدعوة اليه . ثم قال تعالى : «انما يخشى الله من عباده العلماء» .

أى هؤلاء العارفين بأسرار الطبيعة . فان فى أسرار الطبيعة ما يقتضى العلم باثبات وجود الله تعالى — وعلى قدر صحة البرهان فى اثبات وجود الله تعالى يكون اليقين ثم تكون الخشية من رب العالمين .

على أنه لا يفوتنا فى هذا المقام أن نتذكر أن الاسلام فى أيام سلطانه السياسى العظيم ، ودولته الباهرة أفسح للعلم مجالا كبيرا جدا وكان هذا الافساح وسيلة لتقدم البشرية كلها وفى هذا يقول (محمد اقبال) فى كتابه (تجديد الفكر الدينى): ان القرآن الكريم عندما دعا علماء المسلمين والمسلمين عامة الى النظر فى ملكوت السماوات والأرض ، والى ملاحظة الأشياء والكائنات : الحيوان والنبات ، وما شاكل ذلك وهى تنمو رويدا رويدا ، وتتنوع أنواعها . انما فعل ذلك ليدل المسلمين على مبدأ الملاحظة ، ثم مبدأ التجربة اللذين كانا أساسا جذريا للعلم الأوربى .

وفى زيادة تصور لهذا المعنى يقول تعالى : « وهو الذى أنزل من السماء ماء فأخرجنا به نبات كل شىء فأخرجنا منه خضرا نخرج منه حبا متراكبا ومن النخل من طلعها قنوات دانية ، وجنات من أعناب والزيتون والرمان مشتبها وغير متشابه » ثم قال : « انظروا الى ثمره اذا أثمر ، وينعه . ان فى ذلكم لآيات لقوم يؤمنون » .

وبهذا الأمر بالنظر الى تنوع النبات ومراحل نموه والى نضجه وايناعه .

وانما يلفت القرآن بذلك أدراك العقل الى أن تنوع هذه الأنواع مما يجب ملاحظته واستنتاج الحقائق الكونية منه وهذا هو العلم بمعناه الحديث المعاصر .

٤ — المرونة فى التشريع الاسلامى — أنتقل بعد ذلك الى المرونة فى التشريع الاسلامى فأقول : ان مناطها أمران :

الأمر الأول: اثبات حق الاجتهاد .

والأمر الثانى : مجال الاجتهاد .

ومعلوم أن أصول الشريعة الاسلامية : الكتاب ، والسنة ، والاجماع ، والقياس .

أما القياس فهو عملية من عمليات الاجتهاد ، ويبقى الاجتهاد مسلطا على الكتاب ، وعلى السنة ، وعلى الاجماع : ويقول الامام (الغزالى) محل الاجتهاد ما ليس بنص قاطع ، ولا اجماع ثابت : وبناء على ذلك فهناك نسبة ضخمة وغير محصورة من الأحكام الشرعية تخضع لعملية الاجتهاد ، أى تخضع لامكان تطور الشريعة : اذ كان الاجتهاد هو أداة تطوير أحكام الشريعة : الأداة الوحيدة .

أما الاجماع الثابت : وهو المنقول الينا بدليل قطعى بعد ما صح ثبوته فى نفسه مستجمعا شرائطه : وهو الاجماع (النطقى) المتفق عليه ـ دون الاجماع «السكوتى» المختلف فيه ، أما هذا الاجماع فانه لا يشمل الا مسائل محصورة من الفقه لا يمنع استمرار ثباتها من امكانيات تطور الشريعة .

ومع ذلك فليس من المتفق عليه عند علماء المسلمين أن الاجماع بمنأى عن سلطان الاجتهاد ، فقد نص (فخر الاسلام البزدوى) على أن حكم الاجماع يجوز نسخه اذا تبدلت المصلحة الداعية لانعقاده، فلو فرضنا أن السلف أجمعوا على حكم فانه يجوز بعد اجماعهم بعصر أو عصرين أو ثلاثة عصور أن يوجد من فقهاء المسلمين بواسطة الاجتهاد اجماع آخر ينسخ ، ويلغى هذا الاجماع من أجل تبدل المصلحة . وهذه نظرة عميقة جدا من فخر الاسلام « البزدوى » فهو قدر أن الاجماع لا يكون سلطة ملزمة للمسلمين فى جميع العصور ، ولو تنافى ذلك مع مصلحتهم المتجددة فرأى أن الاجماع يجوز نسخه باجماع آخر عند تبدل المصلحة .

واذن فقد اتسع مجال العمل الاجتهادى بعد ذلك اتساعا كبيرا

ولم يبق أمامنا الا شيء واحد قليل جدا من مادة الشريعة هو الذى يبقى معصوما عن تدخل سلطة الاجتهاد فيه ــ وهو « النص القاطع » فلننظر فى القرآن ولننظر فى السنة أين النص القاطع فى القرآن ، وأين النص القاطع فى السنة ؟ .

انا اذا نظرنا الى السنة فنستطيع أن نقول ان السنة لاتكاد توجد فيها نصوص قطعية ، لأن القطع لا يكون الا فى الحديث (المتواتر) والقطع يتعين أن يكون من جهة الثبوت أى السند ومن جهة الدلالة : وذلك بدلالة اللفظ على معنى لا تحتمل معنى غيره .

فهل فى السنة أحاديث متواترة ؟ وكم يكون عدد هذه الأحاديث المتواترة التى تفيد القطع فى الأحكام ، ان من يقول بأن فى السنة أحاديث متواترة لا يستطيع أن يثبت من هذه الأحاديث الا قليلا بل ان صاحب (مسلم الثبوت) فى أصول الفقه ، يقول : ان من علماء الأصول من ينكر أن فى السنة حديثا متواترا ، وبعد افتراض أن فى السنة عددا قليلا من الأحاديث المتواترة وهو الرأى الذى نرجحه ونأخذ به ، فلا نملك القول بأن هذه الأحاديث وان كانت قطعية الثبوت ــ هى قطعية الدلالة ، فربما طرقها الظن من جهة الدلالة ، فانتفت قطعيتها من هذه الجهة وهنا تصبح السنة كلها مجالا للاجتهاد ، وامكان تطوير الأحكام .

ولم يبق أمامنا حتى الآن الا النظر فى القرآن الكريم : وهو قطعى الثبوت قطعا باجماع الأمة على نقله الينا بطريق التواتر قطعا ، لكن يتطرق الظن الى دلالاته فدلالات القرآن على معانيه تنقسم الى قسمين :

دلالات قطعية : كدلالة الخاص على معناه ، كلفظ ثمانين فى قوله تعالى : « فاجلدوهم ثمانين جلدة » فان دلالة هذا اللفظ الخاص على معناه دلالة قطعية ، لأنها لا تحتمل الا المعنى الواحد الذى دلت عليه ، ولا تحتمل معنى غيره .

ودلالات ظنية يحتمل فيها لفظ القرآن أكثر من معنى كلفظ المشترك وكلفظ العام عند الشافعى ومثال الأول « ثلاثة قروء » فان القرء يكون معناه (الحيض) ومعناه (الطهر) ومثال الثانى قوله « .. وأحل لكم ما وراء ذلكم » فقد دخله التخصيص بحديث رسول الله صلى الله عليه وسلم « لا تنكح المرأة على عمتها ولاتنكح المرأة على خالتها » .

والدلالات القطعية فى القرآن المتعلقة بباب الأحكام قليلة جدا لا يمكن أن تمثل عاملا من عوامل جمود الشريعة وصدودها عن قبول التطور .

يظهر لنا من هذا العرض الذى قدمناه لكم ، وبحسب تقديرى أن نحو ٩٨٪ من مواد بناء الشريعة هو محل اجتهاد . أى أنه محل لعملية يمكن بواسطتها تطوير الأحكام الشرعية لكى تلائم مواجهة النوازل والوقائع المستحدثة التى تنشأ عن مقتضيات التطور الاجتماعى الحتمى الحاصل فى حياة البشر .

وذلك هو الطريق الوحيد لاستبقاء حياةالشريعة ، واستمرارها فى الناس ، والعدول عن هذا الطريق يعطل الشريعة عنالاستعمال بعضا أو كلا لأنه يجعلها فى الموضع الذى يناقض مصالح الناس ، وأسباب حياتهم . ومنطق الفطرة قاض بايثار الناس استبقاء أسباب حياتهم وأنفسهم ومصالحهم على ما يعارض ذلك من الأحكام ، التى تسلبهم ضروراتهم وتدخل عليهم المشقة والحرج .

د. محمد سعاد جلال

«ان ينصركم الله فلا غالب لكم وان يخذلكم فمن ذا الذى ينصركم من بعده وعلى الله فليتوكل المؤمنون »

قرآن كريم



د. محمد سعاد جلال

حصل على شهادة الدكتوراه من جامعة الأزهر فى الفقة والاصول سنة ١٩٤٧ ثم اشتغل بعد فترة قضاها فى المعاهد الأزهرية بتدريس الفقة والاصول مدرسا فأستاذا فى كلية الشريعة بالأزهر ، واستاذا زائرا بجامعة دمشق . وأخيرا بجامعة أم درمان الأسلامية بالسودان .

ويعمل الى جانب ذلك محررا اسلاميا بصحيفة الجمهورية القاهرية : يكتب مقالا يوميا فى تفسير القرآن . وبيان السنة على مدى سبعة عشر عاما ولايزال .

ومحررا بمجلة منبر الأسلام الشهرية يكتب كل شهر مقالا فى أصول الفقة بانتظام .

وقد استدعى لالقاء أحاديث دينية صباحية ومسائية فى الأذاعة المصرية بانتظام لنحو ثلاث عشرة سنة .

عضو فى نقابة الصحفيين وعضو فى المجلس الأعلى للشئون الاسلامية ؟

وثيقة تبشيرية ..!!

لفضيلة الشيخ عبد الله المحمود

لقد كان تفكيرى متجها ـ قبل تقديم هـذه الوثيقة ـ الى تقرير خـاص أعـددته عن دول الخليج واماراته بعـد أن رحل الاستعمار الغاشم • تقرير نستعرض فيه معـا حال هـذه الامارات والدول التى عمل الاستعمار طويلا على افسـاد عقيدتها ودينهـا بأساليبه الشريرة الخبيثة ومحاولاته الهدامة المخربة، ومؤامراته الخفية والظاهرة ، ولكنى رأيت ـ بعد الحصول على وثيقـة تبشيرية خطيرة ـ ارجاء هذا التقرير لفرصة مقبلة وبخاصـة أن الخليج عاد الى أهله واشتد أزر الاصلاح فى كل أنحائه •

وقامت وزارات متخصصـة فى العمل لرفع راية الاسلام واعـلاء كلمته •

وقبل قراءة ما جاء فى هذه الوثيقة أرى من الضرورى الاشارة الى هذه النقاط الآتية :

أولا : ان هـذه الوثيقـة تمثل جانبا واحدا من جوانب النشـاط التبشيرى المتعدد الهيئات والمذاهب، فهى تتناول ما تقـوم به الطائفـة الانجيلكانيـة ، أى طائفـة البروتستانت وهى طائفـة تعتمـد بالدرجة الأولى على النفوذ الأمريكى والبريطـانى فى العـالم كله • أما ما يقوم به الكاثوليك من نشـاط تبشيرى فشأنه أخطر من ذلك ألف مرة ويكفى أن الفـاتيكان يخطط بـدهاء « لكثلكة أندونيسيا التى يركز عليها فى الوقت الحاضر بحشود من المبشرين والأطبـاء ومعـلمى المدارس والمساعدات الاجتمـاعية المختلفة كما سمعت ذلك من الدكتور محمد ناصر الرئيس الأسبق للوزارة فى أندونيسيا •

ثانيا : يلاحظ فى هذه الوثيقة أنها تعتبر الأزهر الشريف عقبة كؤودا فى العالم الاسلامى ، وفى جمهورية مصرالعربية بصفة خاصة.

ثالثا : كما هى عادة التبشير فى تزييف الحقائق والباس الباطل ثوب الحق تزعم هذه الوثيقة أن أحد علماء الأزهر قد ارتد عن دينه فى لبنان وأصبح مبشرا ، وأن كتب التبشير تجد رواجا فى المملكة العربية السعودية.وهى أكاذيب لها سابقة فى مصر والعالم الاسلامى كله . فقد سمعنا ذات يوم أن شخصا يدعى « **الشيخ كامل منصور** » **وهو من خريجى الأزهر فى مصر** قد تحول عن دينه وأخذ يبشر بالثالوث فى أحدى كنائس الطائفة الانجيليكانية وهى كنيسة كانت **ملحقة باحدى المدارس الأمريكية** فى منطقة الأزبكية . وهى فرية مكذوبة ، الغرض منها توهين الروح المعنوية عند ضعاف الايمان وصغار النفوس ، وايهام الناس أن مسلمين **قد ارتدوا عن دينهم وصاروا مسيحيين** .

رابعا : يلاحظ فى هذه الوثيقةأن العمل التبشيرى يستغل دائما المآسى الانسانية والتخلف الاقتصادى فيتسرب من خلالها الى تضليل الناس كما يحدث الآن فى بنجالاديش واليمن الجنوبية وبين اللاجئين الفلسطينيين من الضفة الغربية .

خامسا : أن التبشير له مخطط وهدف يسعى اليهما فى النهاية هذا المخطط والهدف هو القضاء على الاسلام والسيطرة على معاقله الرئيسية وان التركيز على منطقة الخليج هدفه الزحف الى مكة .

ونحن نعتقد ونؤمن ايمانا لا يخالطه شك أن هذا كله أضغاث أحلام لأن الله سبحانه نزل ذكره وهو له حافظ الى أن تقوم الساعة.

« ان الذين كفروا ينفقون أموالهم ليصدوا عن سبيل الله فسينفقونها ثم تكون عليهم حسرة ثم يغلبون والذين كفروا الى جهنم يحشرون ».

لقد حصلنا على هذه الوثيقة بنصها الانجليزى من لندن وقام بترجمتها بعض الغيورين من أبناء

الاسلام الى اللغة العربية وهـذه الوثيقة عبارة عن تقرير القى فى مؤتمر عقد عام ١٩٦٩ فى يوم الجمعـة الثانى من مـايو الى يوم الخميس الثامن من مايو سنة ١٩٦٩ وكان مكان هذا المؤتمر فى « هـيرن بى كورت » فى بريطانيا •

فماذا يقول هذا التقرير ؟

تحدث السيد باكنجهام للمؤتمر عن نشـاط الزمالة المختلطة مع (١٦٠٠٠ طالب مسلم) أن الزمالة المختلطة يقوم بها مجموعة مؤلفـة من ١٣٠ طالبا بريطانيا أخذوا على عاتقهم أن يكونوا أصدقاء لطلاب مسـلمين يدعونهم الى بيـوتهم ويستقبلونهم عند وصولهم لبريطانيا ويدعونهم الى تناول طعام العشـاء فى بيوتهم كل يوم جمعة مساء •

وان المخطط قـد وضـع على منشورات بسيطة تسهل قراءتها من قبل هؤلاء الطلاب لأن المنشورات الموجودة طويلة وليس لدى الطلاب وقت لقراءتها •• وقـد اكد السيد باكنجهام ان من المهم فى بداية الأمر أن نكسب ثقة الطـلاب المسـلمين وألا نتحدث اليهم عن المسيحية لئلا يشمئزوا ، وأكد أيضا انه يجب على هؤلاء الطلاب أن يعيشوا مع عائلات مسيحية كى يندمجوا معهم ويصبحوا جزءا من العائلة •

الجزائر :

يوجد فى الجزائر عـدة جمعيات مسيحية تبشيرية تعمل فى الخفـاء كأطباء ومدرسين وممرضات • وهم موظفون لدى الحـكومة الجزائرية وفى مدينة طوغورت تعمل الآنسـة (مارى ديفيز) كقـابلة قانونيـة وتوجد أيضا مديرة مدرسة حكومية فى مدينـة طوغورت وهى مبشرة فرنسـية تدعى الآنسـة (جاكاين يونس) •

والعمل قـد تم بين « توارك » بواسطة الجمعية التبشيرية العامة فى الشرق الأوسط مع السيد اسحاق وزوجته لعمل برامج اذاعية ودورات تعليميـة بالمواصلة لتعليم الانجيـل وهى موجهة يوميا الى شمال افريقيا من مرسيليا • وهناك تجاوب شديد فى اواسط الجزائر حيث أن ٢٥٪ من الطلبات تأتى من أواسط الجزائر وهناك طلبات تقدم من طلاب يطلبون الدراسة بالمراسلة •

لن الطالب يزار من قبل مبشر مثل السيد « كوينون » من جمعية تبشيرية فى شمال افريقيا .. وهناك طلبات تأتى فى كل شهر يقدر عددها بـ(١٢٦٠) طلبا جديدا للالتحاق بمدرسة تعليم الانجيل بالراديو وهناك مواطنون جزائريون يقومون بتدريس الانجيل..ان حكام بعض المقاطعات قد انقلبوا الى مسيحيين وهناك رجل عربى اسمه « توفيق الخورى » وهو احد الاشخاص الذين يذيعون البرامج الدينية المسيحية من مرسيليا . ومن الذين يعملون فى الجزائر الدكتور «دافيز والسيد» « روجيه نيوكون » والآنسة كنت .

مراكش (المغرب) :

ان الجمعية التبشيرية لشمال افريقيا تقيم مستشفى فى شمل افريقيا باسم الثالوث التذكارى وأن الحكومة المراكشية تسعى لاستلامه لتحويله الى مستشفى حكومى ومدير المستشفى يدعى « حنا » ويسعى للحصول على اذن له بفتح عيادة خاصة وان احدى الاطباء الذين يعملون فى المستشفى يدعى « وليم كامل » يأمل أن يحصل على اذن عمل فى اية منطقة كانت بعد ان سحب منه اذن العمل السابق فى مراكش علما بأن جميع البرامج الاذاعية من مرسيليا تصل لمراكش

زنجبار :

تعانى الجمعية التبشيرية صعوبات سياسية وخاصة فى ادخال الانجيل الى المنطقة ومن الملاحظ ـ انه من السهل قلب الاسماعيليين الى مسيحيين

نيجيريا :

ان احد فروع جمعية التبشير السودانية الداخلية تعمل فى نيجيريا واستطاعت ان تقلب خلال عام ١٩٥٣ ـ ١٩٥٨ من ٢٧ الف الى ٥٢ الف مسلم وان تطبع نسخا من الانجيل ومازال العمل مستمرا لاصدار الانجيل من النسخ القديمة فى مدينة « هوسا » .

ان السيد « بطرس تورنو » من الجمعية داخل السوادن يعمل مع الانسة « سكورت » فى مستشفى الجذام فى شمال نيجيريا وهى مؤسسة حكومية ، وهم يعملون بجد ونشاط بين القبائل ويبلغ عدد سكانها ٥ر٢ مليون نسمة واستطاعوا ان يقلبوا ستة اشخاص فقط وعدد المرضى ٢٥٠ مريضا منهم ٢٠٠ مريض مسلمين .

ان مايكودوى « هــو نيجيرى مسيحى تدرب فى الجمعية التبشيرية السودانية ويعمل فى بحيرة تشـاد مع الدكتور « افيـد كارلين » بين المسلمين ، والعقبة الـكبرى التى تواجـه المبشرين هنـاك تأتى من شيوخ الازهر .

أثيوبيا :

هناك ثلاثة جميعيات تبشيرية فى اثيوبيـا ، جمعية البحر الأحمـر وجمعية الشرق الاوســط وجمعية السودان الداخلية التبشيرية .

١ ــ جمعيــة البحـر الاحمـر التبشـيرية : هـذه الجمعية تمتلك مستشفى فى « اريتريا » فى المقاطعة الشمالية قرب العاصمة « اسمرا » حيث هى مكتظة بالاثيوبيين الذين درسوا فى الكلية الاثيوبية للتبشير بالدين المسيحى . ان هؤلاء المواطنين يعملون غالبا مضمدين فى المستشفى . واذا نجح احدهم يستطيع ان يعمل مبشرا مسيحيا وان الآنسة « جوان ماسون » والدكتور جراهام مارتين كلاهما يعملان كمبشرين فى نفس المستشـفى ان جمعيـــة البحـر الأحمر تشعر أن هناك خطرا كبيرا من ان تصبح المنطقة مسلمة بكاملها والسـبب يعـود الى عدم فعالية الكنيســة القبطيــة والتعـامل مع جمهورية اليمـن والمملكة العربية السـعودية والتزاوج بين البنـات الأثيوبيات المسـيحيات وهؤلاء العرب التجار المسلمين ومع هـذا فان لجمعية البحر الأحمر مستشفى يعمل فيه ممرضـات « مارجرى برتس وجريس واندفلت يقومون بتعليم الدين المسيحى لثمانين طفلا مسلما ، والآن يعـدون مشـروعا لفتح مركز لمكـافحة السـل لان معالجته تأخذ وقتـا طويلا وتكون لهم فرصة سانحة ووقت كاف لكى يقوموا بالتبشير بالدين المسـيحى وهم يعملون بجد ونشاط لقلب أكبر عدد ممكن من الشـباب فى حـالة استحالة وصول التبشير الى الآباء والأمهات .

٢ ــ الجمعية التبشيرية السودانية الداخلية : تعمـل على التبشير بين القبـائل الرحـل فى ارتيريا حيث يؤسسون المستشفيات التى تدار من قبل مضمدين مبشرين اثيوبيين .. وان الآنسة «روير» تقوم على ادارته

وفى اسمرا يقومون بتدريب مدرسات فى كلية يوجد فيها ٦٠٠ طالبة مسلمة حيث تدار من قبل السيد بال وزوجته حيث يسمح بتدريس الدين المسيحى . وفى « كرين » « تقوم الآنسة » مان جالبد » « بارثيدج » بتدريس الدين المسيحى فى مدرسة التمريض والتضميد واعداد المضمدين المبشرين ..

—

باكستان :

سمعت حديثا عن مسلم انقلب مسيحا اسمه « اسلام خان » من جمعية تبشيرية فى لاهور حيث قال آن الآوان لدخول التبشير الى باكستان ان الأبواب مازالت مغلقة فى وجهنا لكن الاوضاع السياسية سوف تفتحها ان الفائدة المرجوة من استعمال المستشفيات والمدارس هى الواسطة الوحيدة لنقل المسيحية .

دبى :

ان السيد « كمال » يعمل مبشرا فى دبى حيث صرح قائلا واكد ان دبى يجب ان تكون باب الدخول الى مكة . وان الخليج هو الطريق الأمثل للتوغل الى قلب الجزيرة العربية .

جمهورية اليمن الديمقراطية الشعبية

ان حاجة اليمن الى المساعدة الصحية ماسة ولا سيما من أى مصدر كان حتى أنهم سمحوا للجمعيات التبشيرية بفتح عدة مستشفيات قدر امكانهم حيث ان الوعظ بالدين المسيحى يقام يوميا فى كل قاعدة ومن الذين يعملون بالتبشير الآنسة « فيفن رينة » والدكتور « بطرس داله » وزوجته « مرغريت » كما يجب أن نستغل الظروف الاقتصادية فى الوصول الى غايتنا بسرعة .

استراليا :

هناك جهود لقلب الالبانيين المسلمين الى مسيحيين .

أفغانستان :

ان عدد سكان افغانستان (٢٠ مليون) وغير مسموح بالتبشير رغم هذا هناك ثلاثون مبشرا موجودون تحت اسم خبراء متعاقدين مع الحكومة .

لبنان :

ألقت الآنسة « ستمرز » محاضرة عن لبنان وهى مدرسة فى المدرسة

الانكليكانية فى بيروت . ان لبنان هو مركز نشاط التبشير فى كل الشرق الاوسط ويوجد فيه راديو صوت الانجليل .

ان الجمعية الانكليكانية لكى تستغل الاوضاع السياسية لنشر التعاليم المسيحية فانها تعمل بجد هذه الايام ، كما ، يجب الاستفادة من العمل الفدائى الفلسطينى .. ان الجمعية اللبنانية التبشيرية الانكليكانية تعمل بين الدروز حتى انهم كونوا جمعية الصداقة المسيحية لمساعدة المسلمين المرتدين الى المسيحية بايجاد وظائف لهم اذا لزم الامر . وقد استطاعوا قلب الشيخ نور الدين اشرافى خريج الأزهر ولديه شهادة ماجستير فى الفنون .

صور :

يوجد فى « صور » مدرسة بنات عدد تلميذاتها (٤٥٠ بنتا) أكثرهن مسلمات والمديرة لبنانية مسيحية اسمها « كلين عبود » ومن المدارس المبشرات « باربرعبود » ان احد الشيوخ من البدو تزوج مفتشة مدرسة انقلبت بنتها الى مسيحية وأخذت هذه المفتشة فى افتتاح مدرسة لتعليم البنات المسلمات ومن مواد برامجها الوعظ المسيحى ويقوم به « خورى » يحضر من بعلبك وان لهذه السيدة أخ ارتد عن الاسلام واصبح مسيحيا وافتتح مدرسة للاولاد رغم ذلك ان الحكومة اللبنانية لاتعلم عن هذه المواضيع شيئا ، ان التعليم المسيحى تغلغل حتى الى مشاغل الخياطة والاعمال اليدوية . ان الجامعة المسيحية التبشيرية مركزها الرئيسى لبنان ـ وتتصل بدورها بالمركز الرئسى فى بريطانيا . ومن العرب الذين يعملون مع التبشير السادة : قابيل سويد موسى الملاجى .. ان منشوراتهم تجد رواجا فى سوريا واليمن والمملكة العربية السعودية فقد نشروا (٨١) كتابا مترجما ويوزع الاف من نسخ الانجيل كل شهر وجميع المستخدمين وعمال الطباعة مسلمون ارتدوا .. ان مدرسة هنرى مارين فى بيروت يعمل

فيها القسيس « جويس » لكى تمتد يده الى جميع المسلمين فى شمال افريقيا ..

جمهورية مصر العربية :

لقد قال السيد « كبنو » للمؤتمرين أنه مازال بعض المبشرين من جنسيات أخرى فى مصر وبخاصة فى ملجأ ليليان ترامشر للايتام فى اسيوط مصر العليا . وهناك بعض المصريين أطلقوا على أنفسهم أصدقاء المسيحية والمقصد من ذلك الوصول الى الطلاب الصغار فى القاهرة .

وهناك مجموعة مشابهة مؤلفة من المسيحيين المصريين تقوم باعمال فى النشاط الاجتماعى . ولا زلنا نعتبر الازهر وشيوخه أكبر عقبة تفسد خططنا . وهم اعداؤنا الحقيقيون فى كل مكان فى اسيا او افريقيا .

ايران :

يوجد فى اصفهان مستشفيات انكليكانية وفى شيراز وطهران بواسطة امريكا ، كما ان السيد « كوانت هنايك » قد طرد مؤخرا لأنه تسبب فى ارتداد أحد أبناء الشيوخ فى مشهد .. وان بعض الجمعيات التبشيرية تعمل للتغلغل فى صفوف الجيش الايرانى .

سنغافورة :

« سام ليوب وملت فتيدلى » يعملان هناك فى محاولة لقلب المسلمين .

أندونيسيا :

ان الكنيسة الانكليكانية يعمل فيها السيد « مارتين داتتكون » وهناك مشروع لتحويل أندونيسيا الى دولة مسيحية . ولا بد من التعاون مع الكاثوليك لاتمام هذه الخطة .

فلسطين المحتلة :

يوجد المستشفى الانكليكانى فى الناصرية وان شبه جزيرة سيناء قد فتحت أبوابها على مصراعيها للتبشير المسيحى تحت الاحتلال الاسرائيلى واسرائيل تساعدنا كثيرا وتفضل التعاون معنا أكثر من أى مذهب مسيحى .

مالاديفا :

ان التبشير قد أخذ بانتشار فى هذه الجزيرة التى يسكنها مسلمون مائة فى المائة .

جنوب تايلاند :

ان القوات المتحركة قد أوجدت كنيسة مؤخرا فى الفترة ما بين ٨ نيسان حتى ٢٨ آيار ١٩٦٧ وذلك فى اقليم فطانى الذى يتكون سكانه من المسلمين .

أمريكا وكندا :

ان التبشير الانكليكانى قائم بين السوريين واللبنانيين . كما أن العمل من قبل اتحاد الطلاب العالمى قائم بين المغتربين من جميع المسلمين .

روسيا البيضاء :

ان العمل الانكليكانى قائم فى تركستان بين المسلمين .

جمهورية الصين الشعبية :

لقد قضى مبرما على المسيحيين فى المقاطعات فى الشمال الغربى وان المسلمين يجرى قلبهم الى مسيحيين .

بلغاريا :

ان العمل التبشيرى قائم على قدم وساق رغم أنه لم يكشف النقاب عن الأشخاص الذين يعملون هناك .. ويعيش فى بلغاريا أكثر من مليون من المسلمين .

اليونان ويوغوسلافيا :

نفس الشىء .

ألبانيا :

ان المخطط بالعمل التبشيرى قد وضع ولكن لم يعمل به بعد .

شرق أفريقيا :

ان الاتصال بهؤلاء المسلمين بدأ منذ أيام الاستعمار الأولى ويبذل التبشير جهودا جبارة وسط هذه الأغلبية من المسلمين .

ألمانيا الغربية :

ان التبشير الانكليكانى قائم بين الأتراك العمال وخاصة على يد السيد « كوزمادس » ففى ألمانيا الغربية مئات الألوف من العمال المسلمين . من ايران وتركيا وألبانيا .

الأردن :

أفادت الآنســة « تيزسوف » أن التشجيع على الاتصال قائم ولاسيما بين اللاجئين الفلسطينيين وخاصــة النازحين من غزة والفرصــة متاحة للتبشير وسط اللاجئين المسلمين .

فرنسا :

أن « كريســتون فرمير » يقوم بالتبشير بين ثلاثمائة ألف مسلم من العمال القادمين من شمال أفريقيا .

بريطانيا :

يوجد مخططات لكى يتم الاتصال بالمسلمين الباكستانيين المهـاجرين ويعملون كعمال بواسطة الآنســة « روثفــورد » التى تقــوم يدور الاتصال بين المسلمين القادمين من بلاد الكومنولث .

* * *

أصحاب الفضيلة والسماحة علماء الاسلام .

هــذا هــو نص التقرير الذى ترجمناه عن أصــله الانجليزى مع حــذف التوقيعات التى وردت فى نهايته .

والذى أريد أن أقرره وأقوله :

أولا : ان التبشير يهــدف الى غاية خطيرة تتمثل فى هذه الهجمات الشرسة التى يقوم بهــا فى العــالم الاسلامى كله . وأن هذه الهجمات قد خطط لهــا من زمن بعيد على نحو ما ورد فى كتاب « الغارة على العالم الاسلامى » الذى ظهر وطبع منذ خمسين سنة .

ثانيا : أن تقصــير المسلمين تجاه اخوانهم المنكــوبين ، وتخليهم عن واجبهم تجــاه ما يتعرضون له من المحــن والنكبــات يتيح لهــؤلاء المخربين الفرص لضرب الاسلام فى معــاقله والتشــكيك فى الرابطــة الاسلامية بين شعوبه .

ثالثا : اننــا نستطيع بالتعــاون المنتظم بين الشــعوب الاســلامية والجماعات الاســلامية العاملة فى هذه الشعوب أن تفسد هذه الخطط وتكشف هــذه المؤامرات ولا يتم ذلك الا بالعطاء والبذل ، والتضحية بالقليل من الأموال والمساعدات .

رابعا : اننا لا ننكر أن لمصر والمملكة العربية السعودية والكويت ودولة الامارات مواقف نبيلة تجاه المنكوبين والمسلمين فى شتى بقاع العالم ولكن هذا المؤتمر يستطيع أن يخطط لعمل اسلامى موحد يتم بمقتضاه دراسة الأحوال • وتقديم المساعدات والتصدى لكل المحاولات الهدامة ضد الاسلام والعالم الاسلامى •

خامسا : أن الدعوات التى تنطلق هنا وهناك داعية الى التفاهم بين المسلمين وغيرهم من أصحاب العقائد والديانات لن يكتب لها النجاح مالم يتوقف أصحاب هذه العقائد عن حملاتهم المسعورة ضد الاسلام وشعوبه ويقدموا الدليل الواضح على صدق هذه الدعوة بالتفاهم والحب لا بالبغضاء والكراهية وسوء النية والتناقض الواضح بين أقوالهم المعلنة وأعمالهم الخفية •

سادسا : ان الأزهر كما يتضح من هذا التقرير خطر كبير على أعداء الاسلام فى كل الدنيا • فعلينا أن نعمل لتقويته واعلاء شأنه واحاطته بكل انواع الرعاية والاعزاز والمساعدة •

سابعا : لابد من الاسراع فى انشاء صندوق خاص للدعوة الاسلامية تتجمع فيه كل أنواع التبرعات والزكوات والمساعدات ـ حكومية أو شعبية وأن يكون لهذا الصندوق مجلس ادارة تمثل فيه كل الشعوب الاسلامية وتتكون له فروع فى كل الأقطار القادرة على الاسهام فى هذه القضية المقدسة •

شريح القاضى :

قال شريح القاضى : قال لى عمر : اقضى بما استبان لك من كتاب الله فان لم تعلم كل كتاب الله فاقض بما استبان لك من قضاء رسول الله صلى الله عليه وسلم فان لم تعلم كل أقضية رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فاجتهد رأيك •

وثيقة تبشيرية ...

سـماحة الشيخ عبد الله بن على المحمود
فى سطور

- من مواليد الشارقة سنة ١٣٣٥هـ .

- كان والده من كبار العلماء ، وقد تكفل بتعليم الكثير من الطلاب على نفقته الخاصة وارسالهم الى مختلف الاقطار الاسلامية كمصر ، والعراق والسعودية فقد كان ولده من كبار تجار اللؤلؤ فى الخليج كله .

وقد ورث الشيخ عبد الله عن والده مروءته وعلمه. ودينه وبيته فى مدينة الشـارقة ملتقى العلماء والأدباء وزعماء المسلمين فى العالم كله .

- اشتغل فترة بالقضـاء . ثم اختير مديـرا للأوقـاف والشئون الاسلامية فرئيسا لمركز الدعوة الاسلامية . وعضوا بالمجلس التأسيسى لرابطة العالم الاسلامى .

- اشترك فى كثير من المؤتمـرات الاسـلامية فى العـالم الاسلامى وفى أوربا وأمريكا .

- من مؤلفاته : الأسرة السعيدة ، وحقوق الانسـان من الاسلام والمذاهب المعاصرة .



مناهج التعليم الإسلامى

تاريخها، وعوامل انحرافها، وطرق إصلاحها



للدكتور أحمد شلبى

ان الحديث عن مناهج التعليم الاسلامى يدفعنا أن نقف وقفة قصيرة مع موقف الاسلام من العلم والمعرفة ، فقد رفع القرآن الكريم شأن العلم ووضعه فى مكانة سامية جليلة ، وأكبر دليل على ذلك أن أول سورتين نزلتا من الذكر الحكيم تقرران قيمة الكلمة المقروءة والكلمة المكتوبة ، والسورة الأولى التى تتكلم عن الكلمة المقروءة هى سورة اقرأ ، قال تعالى : اقرأ باسم ربك الذى خلق .. » والسورة الثانية التى نزلت بعد سورة اقرأ بناء على رأى الأكثرين (السيوطى : الاتقان فى علوم القرآن ج ٢ ص ٤٢) هى سورة « ن » التى مطلعها : « ن والقلم وما يسطرون » وعلى هذا فالآيات الأولى تتكلم عن القراءة والآيات الثانية تتكلم عن الكتابة.

وبعد ذلك تجىء من القرآن الكريم آيات كثيرة ، تثبت جلال العلم ، ومكانة العلماء ومنها قوله تعالى :

ـ شهد الله أنه لا اله الا هو والملائكة وأولوا العلم قائما بالقسط (سورة آل عمران الآية ١٨) .

ـ هل يستوى الذين يعلمون والذين لا يعلمون . (سورة الزمر الآية التاسعة) .

ـ يرفع الله الذين آمنوا منكم والذين أوتوا العلم درجات .(سورة المجادلة الآية ١١) .

ويقول صلوات الله عليه فى هذا المجال :

ـ اطلب العلم من المهد الى اللحد .

ـ من عظم العالم فقد عظمنى .

ـ يوزن يوم القيامة مداد العلماء بدم الشهداء .

وقد أعلن الاسلام لأول مرة فى تاريخ البشرية أن العلم حق للجميع، فقد كان العلم قبل الاسلام خاصا بالكهنة ، ولا حق لسواهم فى طلبه، فارتفع هذا التخصيص بالآية الكريمة :

« فلولا نفر من كل فرقة منهم طائفة ليتفقهوا فى الدين ، ولينذروا قومهم اذا رجعوا اليهم » (سورة التوبة الآية ١٢٣) •

فأصبح المسلمون جميعا بين معلم ومتعلم •

السلوك والعلوم :

واهتم الاسلام اهتماما كبيرا بالتربية الاسلامية ، وكان مفهوم التربية واسعا عند المسلمين ، فشمل العناية بالسلوك ، كما شمل العناية بالعلوم •

وفى المجالين جميعا اهتمت التربية الاسلامية بمراحل العمر ، فاهتم المفكرون المسلمون برياضة الطفل وبالوسائل التى تتخذ لغرس الفكر السليم سلوكيا وعلميا فى قلب الطفل الذى يمثل جوهرة نقية ساذجة ينقش عليها المعلمون أفكارهم وثقافتهم •

واهتمت التربية الاسلامية بالشبان سلوكا وعلما كذلك ، فعنيت بالمبادىء السليمة وبالقدوة الحسنة ، كما عنيت بمناهج العلم للشبان ، وعنيت كذلك بتوجيه التلاميذ حسب مواهبهم ، وبتكافؤ الفرص فى التعليم عند المسلمين ، وبعدد التلاميذ فى الفصل ، وبالرحلات لطلب العلم والمعرفة وبتعليم المرأة •

وفى جميع الأعمار عنيت التربية الاسلامية بالتعاون بين البيت والمدرسة لتكوين خير العناصر لخدمة الأسرة والمجتمع والانسانية•

تلك موضوعات مهمة عنيت بها التربية الاسلامية عناية كبيرة ، وقد تدارست هذه الموضوعات فى كتابى «تاريخ التربية الاسلامية» ووضحت أن اتباع هذا النهج أبرز أجيالا من القادة وصفوة من المفكرين •

وحدثت بعد ذلك أحداث تراخى بسببها التمسك بقيم التربية الاسلامية ، فاتجة بعض المثقفين المسلمين الى الانحراف عندما جهلوا الطريق القويم ، ووقف آخرون حيارى متشككين •

لماذا حدث التراخى فى التمسك بالقيم الاسلامية ؟

ولماذا عجزت معاهد العلم الاسلامية عن حسن التوجيه ؟

فى اعتقادى أن مناهج الدراسات الاسلامية هى المسئولة عن هذه النتائج ولو أصلحنا هذه المناهج لكان من الممكن أن نستعيد الزمام وأن نملأ الفراغ فى نفوس الشبان، وعلى هذا فينبغى أن نقف وقفة ندرس فيها تاريخ المناهج الاسلامية لنرى كيف كانت فى صدر الاسلام، وكيف انحرفت والى أى مدى كان هذا الانحراف .

تاريخ المناهج الاسلامية :

دراسة المناهج الاسلامية ترينا التحول الكبير الذى حدث عبر القرون السابقة ، وكيف أن هذا التحول كان شديد الضرر بالدراسات الاسلامية فمثلا اذا رجعنا الى مطلع الاسلام وجدنا علم مقارنة الأديان يقف فى القمة من المناهج الاسلامية، وذلك تبعا لقوله تعالى « وجادلهم بالتى هى أحسن » (سورة العنكبوت الآية ٤٦) والمجادلة بالحسنى هى عرض قضايا الأديان ومناقشتها لنصل بذلك الى الهداية .

ولم يكتف القرآن الكريم بالحث على مقارنة الأديان ، بل جاءت بعض آياته وهى نماذج واضحة لهذه المقارنة مثل قوله تعالى :

ـ أفمن يخلق كمن لا يخلق ؟ (سورة النحل الآية ١٧) .

ـ لو كان فيهما آلهة الا الله لفسدتا (سورة الأنبياء الآية ٢٢) .

والذى يدرس التاريخ الاسلامى يشاهد حلقات مجادلة وحلقات عرض للقضايا الدينية كان الاسلام يحقق فيها النصر المؤزر .

ومن أجل هذا اهتم العلماء المسلمون منذ العصور الاسلامية الأولى بهذا العلم كالنوبختى (٢٠٢ هـ) والمسعودى (٣٤٦هـ) والمستحى (٤٢٠ هـ) والبغدادى (٤٢٩ هـ) وابن حزم (٤٥٦ هـ) والشهرستانى (٥٤٨ هـ) وغيرهم .

وطالما دخل الآلاف الاسلام عن طريق هذا العلم ، وعن طريق عرض قضاياه المهمة مثل : قضية الألوهية

ـ قضية النبوات والمعجزات ـ قضية الكتاب المقدس ـ قضية التشريع ـ قضية الرهبنة ـ قضية المرأة •

ومن العلوم الاسلامية التى كانت تلاقى عناية كبيرة فى المناهج فى صدر الاسلام : علم الحضارة الاسلامية ـ والحضارة الاسلامية هى من أسنى العلوم الاسلامية لأنها تبرز ما قدمه الاسلام للجنس البشرى ، وقد ذبل هذا العلم ، ولم يبق منه الا واجهة شاحبة ، والحضارة الاسلامية فى معناها الأصيل ينضوى تحتها ثلاثة أنواع هى :

حضارة الخلق :

وهى الحضارة الاسلامية الأصيلة التى جاء بها الاسلام ولم تكن معروفة قبل الاسلام ، كرأى الاسلام فى السياسة وفى الاقتصاد ، وفى التربية والحياة الاجتماعية والسلم والحرب وغيرها •

حضارة البعث :

وهى الحضارة التى كانت موجودة قبل الاسلام ثم ذبلت وماتت وأحياها المسلمون وطوروها ، وابتكروا فى مجالاتها ، وهى الحضارة التجريبية فى علوم الطب والرياضة والفلك والزراعة والموسيقى وغيرها :

حضارة التاريخ

وهى الحضارة التى تقدمها دولة من الدول الاسلامية لشعبها أو له ولغيره من الشعوب فى مجال الاقتصاد (الزراعة والتجارة والصناعة) وفى مجال الصحة والتعليم والأمن الداخلى والأمن من العدوان الخارجى •

وعندما نتتبع المعلمين الأول فى الاسلام نجد كثيرا من الاهتمام يوجه للحضارة الاسلامية وطبيعى أن الرسول كان المعلم الأول وأحاديثه الشريفة ومواقفه المتعددة تعتبر خير دليل على اهتمامه بموضوعات الحضارة التى تبرز ما قدمه الاسلام للمجتمع البشرى، ففى المجال السياسى يتجه الرسول بدقة الى تنفيذ قوله تعالى :

ـ وشاورهم فى الأمر •
(سورة آل عمران الآية ١٥٩)•
ـ وأمرهم شورى بينهم •
(سورة الشورى الآية ٣٨) •

فيستشير فى غزوة بدر وينزل على رأى الحباب بن المنذر عندما أيدته الأغلبية فى اختيار مكان الموقعة ، وفى غزوة الآحزاب ينزل على رأى سعد بن معاذ وأهل المدينة ، ويرجع عن رأيه هو فى المصالحة مع المهاجمين من أهل الطائف ، وتدلنا الروايات التاريخية أنه كان يكثر من استشارته لأصحابه حتى قال أبو هريرة : ما رأيت أحدا قط كان أكثر مشاورة لأصحابه من رسول الله صلى الله عليه وسلم •

وكان أبو بكر وعمر فى مقدمة الصحابة الذين كان يعتمد عليهم ، وقد روى أنه قال : « وايم الله لو أنكما تنفقان على أمر ما خالفتكما فيه » •

ومن أجل هذا اتخذ الخلفاء الراشدون مجالس للشورى بعد الرسول وساروا على نهجه بكل دقة وعناية •

وفى المجال الاقتصادى يقف المعلم الأول موقفا رائعا حين يقول:

ـ ما آمن بى رجل بات شبعان وجاره جائع وهو يعلم •

ـ أيما أهل عرصة أصبح فيهم أمرؤ جائعا فقد برئت منهم ذمة الله•

ـ من كان له فضل زاد فليعد به على من لا زاد له •

ومثل هذا يقال عن مواقف الرسول فى الموضوعات الحضارية الأخرى كموقفه من السلم والحرب وموقفه من التربية ، وموقفه من الرق ، وموقفه من الحياة الاجتماعية وقد شرحنا ذلك بافاضة فى موسوعة النظم والحضارة الاسلامية بأجزائها المختلفة •

وكانت مواقف الرسول هى النهج الذى اتبعته الصفوة الأولى من المعلمين فى الاسلام ، والذى يتتبع مصعب بن عمير وعلى بن أبى طالب، ومعاذ بن أبى جبل وغيرهم من المعلمين الذين أوفدهم الرسول الى المناطق المختلفة ، يرى أن هؤلاء المعلمين كانوا يتبعون هذا النهج بكل دقة ، ويضيفون اليه قراءة القرآن الكريم واقراره ، كما يضيفون تعليم العبادات التى كانت قد نزلت التعليمات بها •

ومن الجدير بنا أن نوضح أن تعليم الصلاة مثلا كان يتم بكثير من اليسر اتباعا للنهج الذى سلكه الرسول عندما صلى أمام المسلمين، وقال لهم: صلوا كما رأيتمونى أصلى ومثل هذا يقال عن الصيام وهو النهج الذى لا يزال متبعا حتى العهد الحاضر ، فان أجيال الصبيان يتعلمون الصوم والصلاة من ذويهم دون تعقيد ، ويعيشون على ذلك حياتهم حتى اذا اتجهت ثقافتهم الى الدراسات الدينية ، فهم لا يجدون فى التفاصيل التى يدرسونها مايستدعى اجراء أى تعديل ذى بال فيما تلقوه من ذويهم وهم صبيان.

ويعتبر من معالم الحضارة الاسلامية انشاء بيت الحكمة ببغداد فى عهد هارون الرشيد ، ويعتبر هذا المعهد أهم مجمع علمى شيد منذ انشاء جامعة الاسكندرية فى النصف الأول من القرن الثالث ق.م وفى بيت الحكمة ترجمت أمهات الكتب من اللغات المختلفة ، وفى موضوعات متباينة الى اللغة العربية وجلس العلماء أمام هذه الكتب جلسات فكرية رائعة ، ذات مراحل متعددة ، ففى المرحلة الأولى أكملوا ما كان قد طرأ عليها من نقص ، وفى المرحلة الثانية شرحوها ثم علقوا عليها، وفى المرحلة الثالثة تدارسوها، وقدموا أفكارها للطلاب، ثم وصلوا بعد ذلك الى قمة المراحل عندما ألفوا وابتكروا فى هذه الموضوعات، فوضعوا فى الطب والرياضة والموسيقى والزراعة والبيطرة والأدوية وغيرها مؤلفات قيمة كانت عماد الفكر فى تلك العصور ، وهى التى نقلت الى أوربا فوضعت أساس عصر النهضة ، وفى بيت الحكمة ازدهر ما أسميناه من قبل من حضارة البعث.

وبجانب مقارنة الأديان والحضارة الاسلامية كانت هناك العلوم الاسلامية الأخرى كالفقه الاسلامى الذى يشرح التشريعات الاسلامية فى شئون العبادات والمعاملات ليستطيع المسلم أن يعبد الله كما يريد الله ، وليتعامل مع البشر معاملة تتفق مع التشريع الاسلامى ، وكان هناك تفسير القرآن الكريم لايضاح ما قد

يغمض على الانسان من آيات الكتاب الحكيم ، وهناك دراسة أحاديث الرسول للانتفاع بما بها من فكر وخلق ، وهناك علوم اللغة التى تساعد على فهم كتاب الله وسنة رسوله والتى كتب بها أعظم التراث الاسلامى .

وكان طالب الطب والهندسة والزراعة وغيرها من العلوم المدنية يعرف قدرا كافيا من العلوم الاسلامية ، وكان ذلك ضروريا له ، وكانت هذه العلوم تعلم فى المساجد مع العلوم الاسلامية ، يروى السيوطى (حسن المحاضرة : ج ٢ : ١٣٨) أن دروسا مختلفة رتبت فى الجامع الطولونى وقد شملت التفسير والحديث والفقه والقراءات والطب والميقات ، ويقول عبد اللطيف البغدادى (ابن أبى أصيبعة : عيون الأنباء ٢ : ٢٠٧) ان درسا فى الطب كان يلقى فى الأزهر فى منتصف النهار من كل يوم .

ومن أجل هذا وُجد بين المفكرين المسلمين من نبغ فى العلوم الدينية والعلوم العملية جميعا كابن مسكويه الذى كان طبيبا وفيلسوفا ومؤرخا وباحثا فى الأديان ، وابن سينا الذى كان حجة فى الفلسفة والطب والفلك والرياضة وابن رشد الطبيب الفقيه الفيلسوف ، والكندى الذى عرف الطب والجغرافيا والفلك والرياضيات والموسيقى وغيرها .

* * *

تلك صورة سريعة للمرحلة الأولى للمناهج الاسلامية ، وهى مرحلة أثمرت وأينعت وحملت الفكر الاسلامى عبر الآفاق الى ملايين الناس وقدمت الهداية الى جموع غفيرة من جموع المجتمع البشرى .

ثم حدث بعد ذلك تحول خطير فى المناهج كان سيىء النتائج الى أبعد الحدود فبسبب الحروب خفت علم مقارنة الأديان لأن الصليبيين زحفوا على الشرق للقضاء على الاسلام والمسلمين ، وأحس المسلمون أن الصليبيين لا يعرفون التسامح الدينى ، ولا الجدال بالحسنى ، وأنهم يستحلون دماء

المسلمين بدون ذنب أو جريرة ، فراح المسلمون يواجهون الصراع بالصراع ، وبالتالى خفت صوت المجادلة بالحسنى ، ومقارنة الأديان ، لأن هذا العلم يوجه اهتماما كبيرا لغير المسلمين ، ويدعوهم لهذه المجادلة ، ثم بدأ يختفى من كل المعاهد الاسلامية ويسدل عليه الستار .

وحوالى نفس التاريخ أو قبله بدأت الحضارة الاسلامية فى الذبول والاختفاء ، فقد ظهر فى العالم الاسلامى مجموعة من الخلفاء والملوك لايحبون الشورى ويميلون للاستبداد ، ولا يريدون أن تحدد سلطاتهم ، أو تنتقص سطوتهم ، بل راح هؤلاء يتحدون كل من يذيع من الحضارة الاسلامية ما يناقض اتجاهاتهم ، وظهر كذلك الغنى الفاحش ، وتركزت الثروات فى أيد قليلة ، وكان الأغنياء هم أصحاب السلطان ، فاتجه هؤلاء الى محاربة الاتجاهات الاسلامية الاقتصادية ، وبالتالى تعطيل جانب مهم من جوانب الحضارة الاسلامية .

وحشدت الغوانى والرقيقات فى قصور السادة ، وبالتالى اختفت الاتجاهات الاسلامية عن تحرير الرقيق ، تلك الاتجاهات التى انبعثت من قوله تعالى « حتى اذا أثخنتموهم فشدوا الوثاق فاما منا بعد واما فداء » (سورة محمد الآية الرابعة) ومن قوله عليه السلام « شر الناس من باع الناس » وعاد الثأر يفرض سلطانه، وأخذت الحروب تأكل الناس وتدمر الزرع والصرع على غير ما علم الاسلام .

وبينما كانت مقارنة الأديان والحضارة الاسلامية تذبل وتختفى كانت دراسة الفقه والتفسير والأخلاق وعلوم اللغة العربية وغيرها تنحرف عن الجادة انحرافا واضحا ، فقد اتجهت هذه الدراسات الى الفروض وبعدت عن روح الاسلام ، وحسبك أن تراجع ماكتبه الفقهاء عن باب الزكاة وهو من أهم أبواب الفقه صلة بالناحية الاجتماعية ، فانهم يتحدثون عن الابل والبقر والغنم

أحاديث فياضة تلك التى أوشكت أن تختفى حتى من الجزيرة العربية ، ولا يتحدثون قط عن أرباح الصناعات والعمائر مع ما تفيضه على أصحابها من ثروة ،بل ان من الفقهاء من راح يرسم الحيل والسبل للناس ليتخلصوا من دفع الزكاة ، كأن يرسم للمالك أن يهدى لابنه أو زوجته ماله قبل أن يحول الحول ثم يستوهبه اياه وبذلك يبدأ حول جديد ...

وفى باب الصوم تجد حشدا من الفروض والخرافات كقول الفقهاء لو أدخل الصائم خيطا فى جوفه قبل الامساك وبقى الآخر خارج الجوف فانه يفطر اذا شد الخيط وأخرجه ، ويفطر كذلك اذا ابتلع الخيط .

وهناك صراع بين المذاهب الفقهية وصل لدرجة الضرب والتدمير ، وحسبك أن تقرأ فى معجم البلدان لياقوت لترى أنه فى مواضع كثيرة يقول : وقد ضربت هذه البلدة بسبب الخلاف بين الشافعية والحنفية .

وأصبح الرمى بالكفر والزندقة شيئا يسيرا ، فاذا حدث اختلاف فى الرأى كان من أيسر الأمور أن يسلبك خصمك الايمان وهو أعز ماتحرص عليه .

وفى تفسير القرآن الكريم وجدت الاسرائيليات مرتعا خصبا فى كثير من الكتب ، اذا أحس أعداء الاسلام بعجزهم عن التغيير فى القرآن الكريم الذى تعهد الله بحفظه فراحوا يسكبون انحرافاتهم فى تفسيره .

والأخلاق التى عنى الأمام الغزالى بدراستها راح مفكرو عهد الظلام يجعلونها فلسفات وألغازاً .

وعلوم اللغة العربية عانت الكثير من الشطط والانحرافات فقواعد اللغة العربية عنيت بأبعد الأبواب عن الواقع كالترخيم وتابع المنادى، وظهر فى علوم البلاغة علم اسمه البيان وهو فى الحق غموض وظلام، أما البلاغة فتدرسها فى كتب السعد والسكاكى فتجدها ألغازا وأحاجى .

ولم يقف البلاء عند اختفاء مقارنة الأديان والحضارة الاسلامية، وانحراف علم التفسير وعلم الفقه وعلوم اللغة العربية ، بل زاد بلاء المناهج بظهور علوم قيل انها اسلامية وهى فى الحق ليست كذلك كالفلسفة الملحدة ، وكالتوحيد الذى يقول عنه العارفون : انه لا توحيد فيه ، وكالمنطق الذى لا منطق له .

وقد انحدرت كل هذه الانحرافات من عصور الظلام الى العصر الحاضر ، وأصبحت مناهج التعليم الاسلامى لا تعرف غير ذلك التراث ، وقد يتجه بعض المفكرين للاصلاح ، ولكن صيحته سرعان ما تخبو لأن العقول اتجهت للوضع الراهن الذى انحدر من عصور الظلام .

اصلاح المناهج الاسلامية :

من أجل هذا كان ألزم ما يوجهه المفكر المسلم هو اصلاح مناهج التعليم الاسلامى ، وقد ارتفعت صيحات الاصلاح ولكن كانت هناك قوى مضادة استطاعت أن تنحو بالاصلاح منحى يجعله عديم الجدوى ومن ذلك فيما أرى القانون رقم ١٠٣ لسنة ١٩٦١ الذى قيل انه اتجاه لاصلاح الأزهر ، ولكنه كان بعيدا عن الاصلاح المنشود ، لأنه اهتم بفتح كليات عملية تابعة للأزهر وأصلح المرتبات ... ولكن الكليات الأزهرية التى بنى الأزهر عليها مجده وهى كلية الشريعة وكلية أصول الدين وكلية اللغة العربية بقيت حيث كانت دون أن تمتد لها أى محاولة للاصلاح ، وقد عشت فى الأزهر طالبا ووقفت فيه أستاذا فأنا عريق الصلة بمناهجه وطلابه من مطلع الثلاثينات حتى الآن ، ومن أخطر عيوب هذا القانون أنه فتح الباب لنوابغ الطلاب بالقسم الثانوى بالأزهر ليلتحقوا بالكليات العملية كالطب والهندسة ، وتدفق هؤلاء على هذه الكليات ، ولم يبق للكليات الأزهرية الأصيلة أى نصيب من النابغين ، وقنعت هذه الكليات بالفتات .

بل انى أريد أن أقول ان الدراسات الاسلامية التى تقدم

لطلاب الكليات العمليــة دراسات لا تستهوى الطلاب بهــذه الكليات لأنها نمــوذج من الدراسات التى سبق أن انتقدناها •

وعندما تتطلع الى تعديل مناهج الدراسة الاســلامية تتطلع بادىء ذى بدء الى الأزهــر ، فالأزهر هو ذلك المنــار العملاق الذى تتآسى به جميع المعــاهد والكليــات الاســلامية ، وتقتبس منه مناهجه وأســماء كليــاته وأقسام هــذه الكليات ، بل تستعير الروح والفكر عندما تستعير علماءه للتدريس بها ، وقلما نجد جامعة اســلامية فى أى مكان لا يتولى التدريس بها علماء من أبناء الأزهر ، سواء كانوا من أبناء مصر أو وافدين تعلمــوا فى معاهد الأزهر وكلياته •

من أجل هذا نناشد كل المصلحين والمفــكرين الى أن يتجهــوا الى اصلاح مناهج الدراسة الاسلامية ، فذلك هو السبيل الذى يقودنا الى الخير ويحمى أبناءنا من الانحراف •

وتجديد المناهج الاسلامية يمكن أن يكون من عدة نواح بأن تضاف علوم جديدة للمنهــاج كمقــارنة الأديان والحضــارة الاســلامية فى مفهومها الجديد ، وكالفقه المقــارن الذى يعــرفنا مــكانة التشريــع الاســلامى بالنســبة للتشريعات الأخــرى ، وكدراسة الالتزام فى الأدب والتــاريخ ••• ويمكن أن يكون التجديد من ناحيــة اضافة فلســفة الفكر فلا يدرس الفقــه الاســلامى وحــده ، وانما تدرس أهدافه ، ويمكن أن يكون التطوير بحذف بعض الفروع التى لم يعــد الفكر الحــديث يتطلبها كالفروض المبالغ فيها التى أوردتها كتب الفقه فى باب الطلاق أو الطهارة أو حذف ما ازدحمت به كتب التفســير من اسرائيليات ، ويمكن أن يكون من ناحية الأسلوب بأن تعاد كتابة هذه الدراسات بأسلوب العصر وصفائه•

وفى ايجــاز دقيق أقرر : أن من الضرورى أن نحــدث تغييرا شاملا فى المناهج الاسلامية ، ويمكن أن

نقترح لذلك ما يسمى « ورقة عمل » تشمل :

١ ـ ادخال بعض العلوم مثل مقارنة الأديان والحضارة الاسلامية على أن تعنى لجان متخصصة بايضاح محتويات هذين العلمين ، فان أخطر ما يخافه الغيورون على الاسلام أن نعيد أسماء هذه المواد ولا نعيد محتوياتها الحقيقية، ولو فعلنا ذلك ـ وهو للأسف ما شاهدته فى بعض المعاهد ـ يكون الضرر أكثر من النفع ، لما يحمله هذا العمل من الخداع وقلة الفائدة .

٢ ـ تعديل الخط الدراسى لبعض العلوم كالتاريخ الاسلامى فهذه المادة كان يدرس تحتها تاريخ بعض البلاد العربية ، ولم تكن تشمل كل البلاد العربية فعمان واليمن ودول الخليج لم تكن الدراسة تمتد لها ، وجميع البلاد الاسلامية غير العربية فى افريقية وآسيا لم تكن تدرس ضمن هذه المادة ، وكذلك نرى ضرورة الامتداد بالتاريخ الاسلامى ليشمل كل العالم الاسلامى من مطلع الاسلام حتى الآن مع تنقيح التاريخ الاسلامى لابعاد ما دخل عليه من شطط وانحراف وضحناه بافاضة فى موسوعة التاريخ الاسلامى .

٣ ـ اعادة النظر فى خطة بعض العلوم كالفقه الاسلامى .

٤ ـ تطهير بعض العلوم مما دخلها من اسرائيليات وانحرافات .

٥ ـ اعادة كتابة الدراسات الاسلامية بأسلوب العصر ومناهجه .

٦ ـ حذف المواد التى قيل : انها اسلامية وهى ليست كذلك .

ذلك مجمل القول فيما يتعلق بالمناهج الاسلامية فى الجامعات والكليات المتخصصة فى الدراسات الاسلامية ، أما الكليات والمعاهد الغير متخصصة فى هذه الدراسات بالعالم الاسلامى فيتحتم تزويدها بما يرفع مدارك طلابها فى الاتجاهات

الاسلامية ، فليس من العدل أن يترك الطبيب والمهندس والمحاسب بالبضاعة القليلة التى تعلمها عن الاسلام قبل الجامعة ولذلك أرى أن تتدارك ذلك بالطريقتين التاليتين :

أولا ــ تدرس الحضارةالاسلامية بشكل مجمل فى جميع الكليات ، وتكون دراستها للمسلمين وغير المسلمين ، وقد كنا ندرس الحضارة الاسلامية فى جامعة لندن وجامعة كمبردج ، مع أن الطلاب كانوا يتبعون ديانات مختلفة .

ثانيا ــ تدرس جوانب من الحضارة الاسلامية مفصلة فى الكليات والمعاهد التى تدرس فروع الفكر المختلفة ، وذلك كما يلى :

(أ) يصبح النهج الاسلامى فى شئون السياسة والحكم مادة مهمة فى كليات العلوم السياسية ، ومن العيب أن ندرس المذاهب المختلفة بهذه الكليات بما فى ذلك المذاهب الهدامة ، وأن يتجاهل الأساتذة ويجهل الطلاب ما قدمه الاسلام من فكر رائع فى مجال السياسة ذلك الفكر الذى أقام ويمكن أن يقيم حكما على أسمى الأسس وأنفعها للمجتمع الانسانى .

(ب) يصبح المنهج الاقتصادى الاسلامى مادة رئيسية بكل كليات التجارة والاقتصاد ، ومن العيب أن تدرس النظريات الاقتصادية حتى تلك التى اتضح فشلها ، وتتجاهل النهج الاسلامى الذى قام على أساسه يوما ما مجتمع سليم متعاون ناجح .

(جـ) أن تصبح التربية الاسلامية مادة رئيسية بكل كليات التربية ومعاهدها ويكفى ذلك الزمن الذى مر وكانت العناية فيه توجه لدراسة التربية الاغريقية والانجليزية .... دون أن نتعرف على التربية الاسلامية التى أقامت عالما من المعرفة فى وقت كان الآخرون لا يكتبون أسماءهم .

(د) أن تصبح الحياة الاجتماعية فى التفكير الاسلامى مادة رئيسية بكل معاهد الخدمة الاجتماعية ،

فان ذلك سيقدم للطالب والطالبة ثروة هائلة فى مجال تخصصه عن الأسرة والمجتمع •

(هـ) يصبح الجهاد والنظم العسكرية فى التفكير الاسلامى مادة مهمة فى كل الكليات العسكرية بالعالم الاسلامى ، فهذه الدراسة ستقدم للطالب المسلم نهجا رائعا يضمن له خير الدنيا والآخرة فى مجال الحروب من نواحى الاعداد لها ، وخوضها وتنظيم نتائجها •

(و) تصبح النظم القضائية فى الاسلام بما فى ذلك الحسبة والنظر فى المظالم مادة رئيسية فى كليات الحقوق والقانون والشرطة ، ولاشك أن الفكر الاسلامى فى هذا المجال وضع أسسا سامية لا يزال العالم يقتبس منها الى اليوم •

(ز) تصبح الحضارة الاسلامية مادة أولى فى المعاهد التى تعد الدبلوماسيين المسلمين ورجال الاعلام ، وتعد موظفى العلاقات العامة حتى يستطيع هذا وذاك فى هذه المناصب الخطيرة أن يعرف بالاسلام ويتحدث عنه كلما جاءت مناسبة •

(ح) وقد لعب المسلمون دورا هائلا فى حضارة البعث التى أشرنا اليها فقد أنقذوا تراث الحضارات القديمة ، وكان هذا التراث على وشك أن يضيع فى ظلام العصور الوسطى ، ثم ترجموا هذا التراث الى اللغة العربية ، وراحوا يتدارسونه ويضيفون اليه ويبتكرون حوله ابتكارات عظيمة فى مختلف العلوم ، وعلى هذا يبدو واضحا لكل باحث فى الطب والعلوم والرياضة والفلك والموسيقى والجغرافيا دور المسلمين فى هذه العلوم ، وكيف كان الغرب والعالم كله تلاميذ للمسلمين فيها •

كما يرى من يطلع على الجزء الأول من « موسوعة النظم والحضارة الاسلامية » التى كتبتها فى ثمانية أجزاء •

ومن أجل هذا ينبغى أن يتعرف الطلاب فى الكليات العلمية بالبلاد الاسلامية على جهود المسلمين فى

هذه الدراسات ، وأن يتعرفوا على الأسماء اللامعة التى يمكن القول أن الطلاب الغربيين يعرفون عنها أكثر مما يعرف الطلاب الشرقيون ، مثل :

١ ـ فى الطب والصيدلة : الرازى ، على بن العباس ، الزهراوى ، ابن رشد ، ابن سينا ، ابن زهر .

٢ ـ فى العلوم : جابر بن حيان ، الرازى ، الكندى ، ابن الهيثم .

٣ ـ فى الرياضة : عمر الخيام ، الخوارزمى ، الخازن ، جابر .

٤ ـ فى الفلك : الغزازى ، البيرونى ، البتانى .

٥ ـ فى الموسيقى : سعيد ابن مسجح ، ابن محرز ، الموصلى ، اخوان الصفا ، ابن باجة ، الطوسى .

٦ ـ فى الجغرافيا : المقدسى ، الاصطخرى ، الزرقالى ، الادريسى .

تلك اقتراحات سريعة لتعديل مناهج التعليم الاسلامى ، واعتقادى أن المناهج السليمة ستفرض نفسها يوما ، وكل ما أرجوه أن نبذل الجهد للاسراع بذلك ، وكل من يسهم فى هذا العمل العظيم سيسهم فى خدمة البشرية التى لن تجد غير الاسلام هاديا ودليلا .

وبالله التوفيق .

د : أحمد شلبى



دكتور احمد شلبى

- تلقى دراساته فى الأزهر وفى كلية دار العلوم بجامعة القاهرة وفى جامعة لندن وجامعة كمبردج حيث حصل على درجة الدكتوراة .
- زار الولايات المتحدة الأمريكية كما زار أكثر دول أوربا وآسيا وافريقية ، ومثل مصر فى عدة مؤتمرات دولية .
- درس مجموعة من اللغات الأجنبية ويجيد الانجليزية والاندونيسية .
- يشغل الآن وظيفة أستاذ ورئيس قسم التاريخ الاسلامى والحضارة الاسلامية بكلية دار العلوم بجامعة القاهرة، وقد حاضر ـ منتدبا وزائرا ومُعارا ـ فى جامعات الأزهر وعين شمس وأندونيسيا والسودان وماليزيا والمملكة العربية السعودية وليبيا ، وفى معهد الدراسات الاسلامية ، ومعهد البحوث والداسات العربية ، ومعهد الدراسات الدبلوماسية .
- مؤلفاته تبلغ ستة وأربعين مؤلفا ظهرت الطبعة العاشرة من بعضها وترجمت الى عدة لغات وأهم هذه المؤلفات :

١ ـ موسوعة التاريخ الاسلامى فى عشرة أجزاء .

٢ ـ موسوعة الحضارة الاسلامية فى ثمانية أجزاء .

٣ ـ مقارنة الأديان فى أربعة أجزاء .

٤ ـ رحلة حياة : مشاهد وتجارب مثيرة وهادفة .

٥ ـ ثورة ٢٣ يوليو من يوم الى يوم .

ISLAM : Belif — Legeslation — Morals — History of Moslim Education

من تراثنا الحديث :

متى نكون أمة صالحة ؟

للأستاذ العلامة محب الدين الخطيب

نكون أمة صالحة يوم نلتفت ذات اليمين فنرى لبلادنا جحافل من الجيوش المنظمة مجهزة بأحدث الأسلحة وأسرعها ، مصنوعة بأيدينا وفى مصانعنا وتحت سماواتنا .

ونلتفت الى سواحلنا فنرى لنا فى مياهها أساطيل حربية وتجارية تملأ قلوب الأمم ايمانا بصلاحنا ، واستسلاما لهيبتنا .

ونلتفت الى جماركنا فنراها منهمكة بالتصدير ، لا بالاستيراد .

ونلتفت الى جامعاتنا فنراها تعمل على تكوين علماء عاملين فى جميع ضروب المعرفة: من تحقيق لتاريخنا، تتجلى لنا به نفوس السلف كما هى ظاهرة نقية ، عاملة ناصبة دائبة على الخير ، مقيمة للحق ، ناهضة بالمثل العليا ، مكونة للانسانية الخيرة المتواضعة المتعاونة ، وتتجلى لنا به عوامل الشر التى طرأت على ذلك الماضى الطيب فعبثت بسننه الفطرية ، واكتفت من حقائقها بقشورها وألفاظها ، وحولتها عن اتجاهاتها الى غير ما كانت ترمى اليه .

ومن تنظيم وتنقيح لمبادئنا التشريعية ، وأحكامنا القضائية والفقهية ، يتبين منه للناس أن أمم الأرض مجتمعة من بدء الخلق الى أن تقوم الساعة ،لم تتوخ فى أحكامها ما توخاه الاسلام وشريعته وفقهاؤه من تحرى الحق والعدل والخير ، غير متأثرين بأهواء أحد من الناس .

ومن استنباط واستخراج لأسرار الله فى الكون ، وقوى الخليقة الكامنة فى عنصرها ، وتحويلها الى خير الانسانية وسعادة الخلائق .

ولنلتفت الى ما أنعم الله به علينا من تربة وأنهار وينابيع ومناجم ونقود ومتاع فنشكره عليها بحسن استعمالها واستغلالها واستنتاجها حتى لا ندع قطرة من ماء، ولا شبرا من أرض، ولا ذا قيمة من ركاز أو معدن الا حولناه — بالتدريج، وبلا فتور — الى قوة نافعة للناس، مؤيدة للخير، ذابة عن الحق.

نفعل ذلك كله بأخلاق فاضلة، ونفوس عفيفة، وجهود دائبة نشيطة، وقلوب وعقول متجهة الى الله متوخية مرضاته، عاملة لطاعته.

يومئذ نكون أمة صالحة، ويومئذ نكافأ من الله على هذا الصلاح بأن يؤهلنا لنكون خلفاءه على الأرض.

ولكن متى يكون هذا، ومن ذا الذى يفعله، وكيف يفعله؟

اليابانيون — قبل غلطتهم الأخيرة — حاولوا بعضه فى ستين أو سبعين سنة، وكان العامل فى وجوده روح عامة سرت فيهم، وارادة ملأت نفوسهم، واندفاع فردى وجماعى الى العلم والعمل التمسوا فيه طرقهما، يختار كل واحد ما ترتاح اليه نفسه، ويوافق مشربه، وما تطيقه مواهبه، ويلتئم مع ظروفه، وكان الواحد منهم اذا ارتاحت نفسه الى باب من أبواب العلم، أو ضرب من ضروب العمل، ورآه فوق طاقته وأوسع من نطاق ظروفه، بحث له عن أعيان من أشباهه ونظرائه فتعاونوا مجتمعين، على ما ينوءون به منفردين فكان تعاونهم عليه باخلاص وانصاف ومحبة وصدق فى السر والعلانية. ومن هنا نشأت المصانع الضخمة، والشركات البحرية التى ملأت آفاق المحيط سفينا، وبهذا وجدت صحفهم اليومية الكبرى التى تدار بآلات من صناعة بلادهم أقاموا لها أضخم المبانى. وببركة هذا التعاون وجدت شركات النشر التى أخرجت للناس دوائر المعارف المتقنة، والمعاجم الكبرى، وسلاسل المصنفات العجيبة فى شتى العلوم وصنوف المعرفة..

ومما زادهم توفيقا ونجاحا فى هذه النهضة الجدية اخلاص العمال والعاملات وقناعتهما. فبينما كانت

أوربا وأمريكا تتخبطان فى أنانيات أصحاب الأعمال والعمال وتناحرهما، كانت اليابان فى راحة من هذا الفساد باقبال العمال على أعمالهم مخلصين للمصنع كأنهم أصحابه ، بل أكثر مما يفعل أصحابه لو كانت أيديهم فى مكان أيدى العمال ، فاتسعت بذلك الصناعات ، ولم تبق تحت سماء اليابان يد واحدة بلا عمل من نساء أو رجال ، فهى بلاد لم تعرف التسول ، ولم تعرف التعطل ، وكانت أوروبا وأمريكا تحسدانها على هذا التعاون بين العمال وأصحاب الأعمال ، وعلى قلة تكاليف الصناعات ، حتى أغرقت اليابان الدنيا كلها بصناعاتها ؟ وغزت بها بلاد أوروبا وأمريكا بالرغم من الحواجز الجمركية القاسية الجائرة التى أقيمت فى وجهها ، بل كانت اليابان تعمد الى صميم ما انفردت به أمة من أمم أوروبا ، فتقلده ، وتصنعه بربع تكاليفه ، وتبيعه فى البلاد التى كانت تصنعه ! فكانت هذه المباراة الصناعية حربا قبل الحرب وقتالا بلا سلاح . وكاد اليابانيون أن يدخلوا الى مصر وغيرها قبل الحرب الأخيرة سيارة صغيرة بمقعدين أو ثلاثة يستطيع المرء منا أن يشتريها بعشرين أو ثلاثين جنيها فيستغنى بها صغار الموظفين بل العمال عن ركوب الترام ، لولا أن اليد الاستعمارية حملت الجمارك على صد هذه الحملة الاقتصادية بأسلحة تشريعية حالت بين مصنع السيارات اليابانى ومستهلكى مصنوعاته فى الخارج .

ولو أن اليابانيين اقتبسوا من الاسلام طريقته الحكيمة فى الاتصال بالأمم ، كما اقتبسوا من أوربا وأمريكا طريقتهما القويمة فى الصناعات وعلومها ، وبنوا على ذلك تعاونهم مع الصين وأندونيسيا وبورما والفلبين وسائر المشرق ، لاتقوا بذلك الكارثة التى وقعوا بها أخيرا فأرجعتهم الى الوراء ستين أو سبعين سنة — ولكنهم برحمة من الله لأمم المشرق — تعلقوا بمبادىء الاستعمار الأوربى ، فاصطدموا به الصدمة التى أتاحت لأندونيسيا هذه النهضة المباركة التى ستؤتى أكلها بعون الله طيبا نافعا بعد خمسين أو ستين سنة بما لا يكاد قارىء هذه

السطور أن يصدقه لو أردت أن أصف ما أرجو وقوعه .

أيها العرب ، أيها المسلمون ، ان الأمم لن تعيش بعد اليوم الا مرتفعة الرأس بالسيادة أو منكسة الرأس بالعبودية . .

وللسيادة أعباء لابد من حملها .

وللسيادة طرق لابد من سلوكها .

وللسيادة أخلاق لابد من التخلق بها .

وللسيادة علوم لابد من الحصول عليها .

وللسيادة عمل دائر دائب مستمر يتحطم الكسالى والمهملون تحت عجلاته وبين دواليبه .

أول عناصر السيادة للعربى والمسلم أن يعرف حقيقة العروبة وسجاياها التى أهلتها لحمل رسالة الاسلام الأولى على خير الوجوه وأنجحها ، وأن يعرف رسالة الاسلام ومهمته فى الأرض كما يفهمه أهله الأولون .

ان سجايا العروبة أخلاق هذبها الاسلام وقام على أركانها فكانت له السيادة وكانت للانسانية به المثل العليا مشادة فى تصرفات أهله ومعاملاتهم ، بعد أن كانت خيالا وهميا وأملا ميئوسا من تحقيقه . أما رسالة الاسلام ومهمته فهى تكوين الأمة (الصالحة) وتعميم صلاحها فى الأمم ، حتى يعم الانسانية كلها .

أصاب سلفنا الأول مراد الاسلام من (الصلاح) و(الفقه) فاتصفوا بهما مدة الخلفاء الراشدين ، وفى زمن التابعين لهم باحسان ، وكانوا بذلك خلفاء الله على الأرض ، على معظم الأرض التى كانت معروفة يومئذ فى آسيا ، وأفريقية ، وأوربا ثم أخطأ الذين بعدهم فهم (الصلاح) و (الفقه) بمعناهما الاسلامى ، فحصروهما فى أشياء وأبعدوهما عن أشياء فانقطعت السلسلة ، وانفرط العقد ، وخرجوا عن طريقة الاسلام فى تكوين (الأمة الصالحة) ..

الأمة الصالحة هى التى تتكون من أفراد صالحين . وصلاح الأفراد يشمل أمور الدنيا وأمور الآخرة .

لأن الاسلام جاء للسعادتين فيهما معا ، والدنيا فى الاسلام مزرعة الآخرة ، والأمة التى تهمل اصلاح دنياها يوشك أن تكون أكثر اهمالا لما يصلح أخراها •

(والفقه) أحكام اسلامية استنبطناها من الهداية المحمدية بصريح النص أو بالقياس عليه أو بالاجماع على أنه يوافقه أو أنه غير معارض له ، وأعجب ما أعجب له أن يتقيد المسلم بالحكم الشرعى المستنبط من النص فيما يتعلق بالأخلاق الفردية والبيئية ، والتوجيهات الاجتماعية ، والأمور التى تتصل بكيان الأمة والدولة • وأعجب من ذلك كله أن ننعت بالصلاح الرجل الذى يتقيد بأحكام الشريعة فى الوضوء والتيمم ومناسك الحج ، ويخالف أكثر سنن الاسلام وهدايته فيما يتعلق بالأخلاق الاجتماعية وروابط الأمة واتجاهات الدولة ،فاذا فرط فى هذه الأمور الأخرى ، وداجى ، وقطع ما أمر الله به أن يوصل وكتم ما أخذ الله على العلماء أن يجهروا به ، كان ذلك فى نظرهم هينا ، وهو عند الله عظيم •

ان الأمة الاسلامية الصالحة التى يتعاون جميع أفرادها كل واحد من الذى هو فيه — على استكمال جميع أسباب القوة والسعادة والخير باتخاذ أسبابه ، والوقوف على دخائل العلوم المؤدية اليه ، والعمل لتحقيقه بأمانة واخلاص وقناعة واتقان ، وأن يوفق كل فرد فى الأمة بين مصلحته الشخصية والمصلحة العامة التى تتمثل بها قوة الأمة وكرامتها وسيادتها •

أنا من خمسين سنة الى الآن أتتبع نصوص الاسلام ، وأطيل النظر فى عقائده وقواعده وسننه ، وفى فهم الصحابة والتابعين لها ، ثم فى الألاعيب التى اخترعها الزنادقة والدجالون والجهلة لتحويلها عن أهدافها •

وقد تكون فى قلبى اليقين بأنه ليس فى عقائد الاسلام عقيدة ، ولا

فى عباداته عبادة ، ولا فى مبادئه وسننه مبدأ أو سنة ،ولا فى نصوصه وتوجيهاته نص أو توجيه ، الا وله أثر عملى فى تكوين (الفرد الصالح) و (البيت الصالح) و (الأمة الصالحة) وما اخر الاسلام المسلمين ، ولكن المسلمين عطلوا دينهم وشوهوا جماله ، فلم يسيئوا اليه لأن الله تولى حفظه لمن يريد أن ينتفع به ، وانما أساءوا الى أنفسهم والى جماعاتهم وأوطانهم والى ذراريهم (والجزاء من جنس العمل)•

الايمان الاسلامى يتعلق بما هو حق من أمر الغيب ، كما يتناول ما هو خير من حياة الشهود ، ولذلك تشعب ايماننا الى بضع وسبعين شعبة : منها الحياء ، ومنها السعى الحلال والكدح المنتج ، ومنها الصدق ، ومنها التعاون على الخير ومنها الاعتدال ومنها مقاومة البغى ومنها الأمانه ، ومنها العزة بالحق ، ومنها التواضع فيما لا ينافى الكرامة ومنها النصح للجميع،ومنها الاقتصاد فى كل ما لا تمس اليه الحاجة الضرورية ــ حتى الماء الذى يتوضأ به المتعبد وهو على النيل يجب أن لايسرف فيه ، لا خوفا على النيل أن ينقص ، بل خوفا على النفس الاسلامية أن تتعود السرف والتبذير ــ كل ذلك وما أشبهه (مما تكون به الأمة الصالحة) معدود فى الاسلام من شعب الايمان به ، بل ان أدنى ما فى الايمان الاسلامى وأقل ما نحصيه من مزايا ، أن المؤمن ينبغى أن يميط الأذى عن طريق الناس أى عن طريق من يعرف ومن لا يعرف من أبناء السبيل ، وقد يكون فيهم صديق الانسان وعدوه ••

والايمان الاسلامى ــ الذى يعود المؤمن به أن يميط الأذى عن طريق الناس ــ انما يؤدب النفس الاسلامية بأدب الاحسان فى كل شىء ، عملا بقول رسول الله صلى الله عليه وسلم فى حديث شداد بن أوس ان الله كتب الاحسان على كل شىء ثم ضرب صلى الله عليه وسلم المثل للاحسان حتى عند قتل من وجب

قتله ، وعند ذبح الحيوان الذى استباحت الانسانية ذبحه فقال «فاذا قتلتم فاحسنوا القتلة ، واذا ذبحتم فأحسنوا الذبحة وليحد أحدكم شفرته، وليريح ذبيحته» • رواه الامام أحمد بسند صحيح • وهكذا المعانى التى أشرت آنفا الى أنها من شعب الايمان الاسلامى قد ورد فى كل منها النص ودل عليه الهدى، وأصبح ذلك كله فى مدلول الايمان عند المسلمين •

فالأمة الاسلامية التى تتأدب بهذا الأدب ، وتلتمس علم أسرار الكون ومكنونات الخليقة لتعمل بهما وتعتمد عليهما فى تكوين قوتها وتوسيع صناعاتها ، لا تحتاج لأكثر من خمسين سنة حتى تكون أمة صالحة ، ويومئذ يستخلفها الله على الأرض كما استخلف سلفها الأول عندما سار فى نفس الطريق • أما اذا عاندت هذا التوجيه الاسلامى — ولو بالمكر والرياء — وأرادت حبس الاسلام فى الجامع ، ولم تأذن له بدخول القلب ، والعقل ، والمنزل ، والمتجر ، والمصنع ، والمحكمة ، وديوان الحكم ونظام الدولة ، فانها لا تسىء بذلك الى الاسلام ، وانما تسىء الى نفسها •

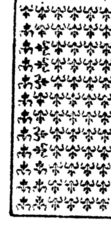
ولعلك تسألنى : ومن الذى يفعل ذلك ، ومن هو المسئول عنه ؟ ولعلك بسؤالك هذا تريد أن ترمى الخشبة عن كتفك قائلا : انها من واجب ولاة أمر المسلمين •

وأنا أجيبك على سؤالك بأن المسئول عن تحقيق هذه الأمنية كل من آمن بها من الأفراد والجماعات ولو لم يكن فى المسلمين غيرى وغيرك لوجب علينا أن نبدأ به من أنفسنا وندعو اليه كل من يصغى الى دعوتنا وأن نحتال على أهل القابلية من الأصفياء الأذكياء من أبنائنا وبناتنا ، فنبث هذا الايمان الاسلامى فى قلوبهم ومتى كثر هؤلاء وصاروا شيئا يذكر ، أكرمهم الله حينئذ بالولاة الصالحين (وكما تكونوا يولى عليكم) • أما أن تكون أنت

راعيا غير صالح على نفسك : وعلى نقودك،وعلى العمل الذى تعيش منه، وعلى زوجك ، وأولادك الذين فى أمانتك ، وعلى ما علمك الله من فقه وحكمة ومعرفة ، وعلى ما هداك اليه على لسان أكمل رسله من فضائل وحقائق وتوجيهات ، ثم تريد أن تكون أمتك صالحة وأنت غير صالح فهذا مخالف لسنن الله فى خلقه !

ولعلك اذا وليت كرسى الحكم تكون شرا من الذى تشكوه . فلنكن أنا وأنت صالحين بالمعنى الاسلامى للصلاح . ولنتعاون على تعميم هذا المعنى والدعوة اليه الى أن تكون الأمة كلها من أهله ، فيكافئنا الله بالدولة الصالحة ، ويجعلنا خلفاءه على الأرض . .

محب الدين الخطيب



مشروعات للدعوة الإسلامية

والدعوة إلى عقد مؤتمر إسلامى عالمى من أجلها

للدكتور يحيى هاشم

فى اعتقادى أن مهمة الداعية ــ لا تقتصر على الجانب العلاجى لنفوس الضالين ، وانما هى ــ فى المقام الأول ــ مهمة بنائية ،مهمة بناء الفرد وبناء المجتمع .

ان الداعية الذى نعده لهذا البناء أشبه بالمهندس أكثر منه شبها بالطبيب المعالج ، ولا يمكن أن تتصور أن يعد المهندس على أعلى المستويات العلمية أو التدريبية ، ثم يساق بعد ذلك الى عمله دون أن يجد مشروعا مدروسا يعمل فى نطاقه ، من وضع هيئة مختصة ، وباشراف « مصنع » مختص .

اذا سلمنا بذلك كان من المستحيل أن يقوم الداعية بمهمته البنائية فى العصر الحديث مالم يوضع أمامه مشروع محدد ، وخطة محددة .

وفى اعتقادى أيضا أنه مهما يكن من اجادة تكوين الداعية الى الاسلام سلوكيا وثقافيا ، بل مهما يكن من توفير الامكانات المادية له ، فان الفشل الذريع سيكون من نصيب المجموعة الكبرى من الدعاة ، وان نبغ فى وسطهم أفراد معدودون ، وسنظل ندور فى حلقة مفرغة من السخط لفشل الأكثرية الساحقة ، والانبهار لنجاح الأفراد الشواذ .

والسبب الأساسى لذلك فى رأيى هو فى غياب « مشروعات الدعوة » القائمة على التخطيط العلمى المركزى .

ان الأمر الذى لا شك فيه هو أن الداعية فى العصر الحديث يلاقى أوضاعا حضارية مستحدثة ، لم يكن لها نظير فى تاريخ الدعوة الاسلامية ،

تحتم عليه أن يعمل فى نطاق تخطيط مدروس ، تضعه هيئة مركزية ، ويسفر عن مشروعات محددة ، وهكذا يعمل الدعاة المحدثون ، الذين يعملون لحساب جهات غير اسلامية ، وهذا ماتفرضه طبيعة العصر ، الذى يتميز بأوضاع حضارية جديدة ، منها على سبيل المثال لاالحصر : الانفتاح الثقافى للمجتمعات،وكثرة السكان ، وشدة الزحام ، وعمق الاختلاط ، وسهولة الاتصالات ، وهى أمور من شأنها أن تقلل ـ الى أبعد حد ـ من الفرد ، ومستوى الجماعة .

أما عن المشروعات فانها ينبغى أن تكون على مستويين : مستوى الفرد ، ومستوى الجماعة .

وعلى مستوى الفرد يكون هناك مشروعات مختلفة ، : لبناء الطالب ، والعامل ، والموظف ، والفلاح والجندى ، والابن ، والأب والأم ، وربما توضع مشروعات لتقسيمات داخلية أكثر تحديدا وعلى مستوى المجتمعات يلاحظ التنوع الاجتماعى الذى يعمل الداعية فى نطاقه،فتختلف المشروعات باختلاف هذه المجتمعات ، ومن ثم يكون هناك مشروع لبناء المجتمع الواقع تحت ظروف اقتصاديةمتقدمة وآخر لبناء المجتمع الواقع تحت ظروف اقتصادية متخلفة ، وآخر لبناء مجتمع الأقلية الاسلامية ، ومجتمع الأقليات العنصرية ، وربما يوضع تقسيم أكثر تحديدا ، فمثلا مشروع لجماعة النادى ، وجماعة المواصلات ، وجماعة الشارع ،.. وهكذا .

أما عن التخطيط :

ففى اعتقادى أنه أصبح من الضرورى أن توضع لكل تخصص من تخصصات الدعاة خطة عمل تتلاءم مع الاقليم ، تبين فيها :أولا « مداخل » الدعوة فى هذا الاقليم، ثانيا : وسائلها المحلية ، ثالثا : غايتها المرحلية .

ولتوضيح ذلك أقول :

أما من ناحية المداخل ، فبالاضافة الى المدخل الرئيسى للدعوةالاسلامية بصفة عامة ، وهو اسلام النفس لله تختلف المداخل الفرعية باختلاف

البيئات والأقاليم ، وهنا ينبغى على الدعوة أن ترتكز على قيمة معينة من قيم الدين الاسلامى ، تكون مدخلا الى القيم الأخرى ٠

وعلى سبيل المثال المطروح للبحث قد يكون المدخل فى البلاد المتقدمة سياسيا « مفهوم الحرية » فى الاسلام وكونه أصلح المفاهيم وأقواها على حل مشاكل الحرية ٠ وقد يكون المدخل فى البلاد المتخلفة « مفهوم التقدم » فى الاسلام وارتكازه على العلم والعمل والعدالة وقد يكون المدخل فى البلاد التى ظهرت عليها آفات الرفاهية المادية « مفهوم الآخرة » فى الاسلام وارتباطه بالعمل الدنيوى ،وارتكازه على الأخلاق ، وقد يكون المدخل بالنسبة لمجتمعات التفرقة العنصرية أو الطائفية « مفهوم الحقوق الانسانية » فى الاسلام ٠٠وهكذا٠

وبالنسبة للأفراد يجب أنيكون الداعية على علم بما يصلح مدخلا الى فرد ولايصلح مدخلا لآخر ، وقد تكون البداية بالنسبة لفرد هى النظرة الصوفية ، وقد تكون هى النظرة العلمية ، وقد تكون بالنسبة لثالث قيمة أخلاقبة معينة ، وهكذا كان يفعل رسول الله صلى الله عليه وسلم فى تصديه لهداية الأفراد كما نعلم جميعا ٠

وعلى هذا النحو أيضا تبين فى الخطة الوسائل المحلية المتوفرة فى الاقليم ، والتى يعد الداعىللتعامل معها ، ويوجه لاستغلالها ، وهذه الوسائل قد تكون الخطابة فى اقليم ، والصحافة أو السينما أو المسرح أو القصة فى اقليم آخر ، وقد تكون التجمعات الطلابية أو العمالية ، أو تجمعات الموظفين ، أو أماكن الاستشفاء أو النوادى ٠

وقد تكون مجموعة مترابطة من هذه الوسائل ، يوجه الداعى للتعامل معها جميعا ، أو التنسيق بينها أو التركيز على الوسيلة الأهم منها ٠

وعلى هذا النحو كذلك تبين فى الخطة الغايات المرحلية التى تدعو اليها الحاجة الملحة فى اقليم بذاته،

فقد تكون هذه الغاية هي ــ بجانب الغايات البنائية التى قدمنا الكلام عنها ــ مقاومة التبشير فى اقليم ، ومقاومة الشيوعية ، أو التأخر الاقتصادى ، أو التحلل الأخلاقى ، أو الانكباب على متع الدنيا فى اقاليم آخر .

وقد نختلف فى بعض الأمثلة التى ضربناها ولكن الأمر الذى أرجو ألا نختلف عليه هو أن وضع خطة تفصيلية على هذا النحو أو غيره فى يد الداعية أصبح هو حجر الزاوية فى عمله ، وهو مقياس نجاحه أو فشله ، وهو ضمان صيانته من التشتت ، أو التضارب ، أو الفشل ، وهذه كلها أدواء خطيرة يعانى منها الدعاة أشد المعاناة .

وهذه الخطة لم تعد ضرورية للداعية كفرد مسئول عن عمله فحسب ، ولكنها تعتبر ــ فى اعتقادى ــ البداية فى التخطيط لانشاء أجهزة الدعوة بما فيها كلية الدعوة نفسها .

واننى لأجزم بأننا بدون هذه المشروعات وهذه الخطط ، سيظل موقفنا من الداعية قاسيا أشد القسوة ، وسيظل ينطبق علينا المثل القائل :

ألقاه فى اليم مكتوفا وقال له
اياك اياك أن تبتل بالماء

واننى لأرجو أن تلقى هذه الخواطر نوعا من الاقتناع المبدئى بها على أقل تقدير ، ومن ثم أجرؤ على أن أدعو الى صدور توصية من المؤتمر بتأليف لجنة تحضيرية لدراسة وضع مشروعات للدعوة الاسلامية المعاصرة ، والاتصال بالجهات المعنية فى العالم الاسلامى ، وتلقى دراساتها وآرائها ومقترحاتها ، والعمل على عقد مؤتمر اسلامى عالمى لاصدار قراراته بهذه المشروعات .

والله الموفق .

دكتور يحيى هاشم



يحيى هاشم حسن فرغل

١ - ولد بالقاهرة فى ٤ فبراير ١٩٣٣ ، لوالده الشيخ حسن محمد فرغل أستاذ التوحيد والمنطق بكلية اصول الدين ، ووجهه والده للدراسة بالأزهر .

٢ - حصل على الشهادة العالية من كلية أصول الدين عام ١٩٥٨ وكان ترتيبه الثانى .

وحصل على اجازة التدريس من كلية اللغة العربية عام ١٩٥٩ ثم عين مدرسا بالمعاهد الأزهرية للعلوم الشرعية والعربية ، حيث تسلم عمله بمعهد أسيوط فى أواخر عام ١٩٥٩ ، ثم تنقل بين معاهد الأزهر ، الى أن اختاره الدكتور محمود حب الله للعمل بالأمانة العامة لمجمع البحوث الاسلامية عام ١٩٦٤ وفى عام ١٩٦٩ عين مديرا للسكرتارية الفنية لمجمع البحوث الاسلامية ، وظل كذلك الى أن عين مدرسا مساعدا بقسم العقيدة والفلسفة بكلية أصول الدين عام ١٩٧١

وكانت أهم أعماله بالمجمع المشاركة فى ادارة مؤتمرات المجمع السبعة التى عقدت ما بين عام ١٩٦٤ -١٩٧٢ .

وحصل على درجة الماجستير بتقدير ممتاز فى العقيدة والفلسفة من كلية أصول الدين بالقاهرة عام ١٩٧١ عن رسالته فى نشأة علم الكلام .

وقد طبع مجمع البحوث الاسلامية هذه الرسالة فى مجلدين عام ١٩٧٢ احدهما بعنوان « نشأة الآراء والمذاهب والفرق الكلامية فى الاسلام » وثانيهما بعنوان « عوامل وأهداف نشأة علم الكلام فى الاسلام » .

وفى عام ١٩٧٣ انتدب مديرا لمكتب شيخ الأزهر ، ثم انتدب مستشارا خاصا لفضيلة الامام الأكبر لشئون مجمع البحوث الاسلامية .

وفى عام ١٩٧٦ حصل على الدكتوراه بتقدير ممتاز فى العقيدة والفلسفة من كلية أصول الدين بالقاهرة عن رسالته فى « أصول علم الكلام فى القرآن » ، وقد توصل فى رسالته الى استنباط منهج جديد لبناء العقيدة الاسلامية قائم على الكتاب والسنة ، ومؤيد بأقوال أئمة الفكر الاسلامى .

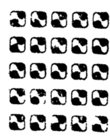
ثم عين فى ديسمبر ١٩٧٦ مدرسا للعقيدة والفلسفة بكلية أصول الدين بالقاهرة .

وفى منتصف أغسطس ١٩٧٧ تم انتدابه مرة أخرى مديرا عاما لمكتب شيخ الازهر .

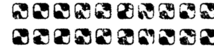
له من المؤلفات المنشورة :

رسالة الماجستير فى نشأة علم الكلام :

رسالة الدكتوراه بعنوان « الأسس المنهجية لبناء العقيدة الاسلامية » مجموعة مقالات فى الشئون الاسلامية ، بمجلة الأزهر ، والوعى الاسلامى بالكويت ، والتضامن الاسلامى بالسعودية ، ومنار الاسلام بأبى ظبى .



مستقبل العمل للدعوة الإسلامية



للدكتور رؤوف شلبي

تعاليم الاسلام هى تعاليم التفاؤل والثقة فى الله فيما يتعلق بالطمأنينة الى المستقبل الأفضل : « فان مع العسر يسرا ، ان مع العسر يسرا »، « ومن يتق الله يجعل له مخرجا ويرزقه من حيث لا يحتسب » ، ويوم أن يهيأ المناخ الطبيعى لهذه التعاليم يوم أن تعيش الانسانية فوق هذه البطحاء وهى أكمل ما تكون سعادة وأتم ما تكون أمنا وأسمى ما يكون الود والاجتماع .

ولقد عانى المسلمون كثيرا منذ أن خرج الاسلام من أوربا واقتحمت الدول المنبثقة عن خروج الاسلام من الأندلس موانى الدول الاسلامية فى العالم كله تحت ظل ما سمى بالكشوف الجغرافية ثم كانت الثقافات التى خلفها الزحفان :

الزحف العسكرى الصليبى زهاء قرنين من الزمان ـ١٠٩٧ ـ ١٢٩١م والذى انتهى بمثالية المعارك العسكرية الاسلامية التى خاضها القائد العربى المسلم ـ صلاح الدين الأيوبى ـ والمظفر بيبرس والزحف الفكرى المتشابك من الحضارة الأوربية ابان زهو أوربا بنهضتها وتخلف العالم الاسلامى والبريق الكاذب للالحاد الماركسى الذى أعلن شعار المطرقة والسندال .

كانت الثقافات التى خلفها هذان الزحفان تشكل عبئا ثقيلا على الحركة الاسلامية خلال القرنين التاسع عشر والعشرين والذى يرقب حركة الزحف العسكرى الأوربى يشعر أن الليل الذى عاشه المجتمع الاسلامى فى هذه الحقبة من الزمن كان ليلا غاسقا طويلا لا ينتظر له آخر حتى كانت معركة حطين التى أذنت بأفول الليل الكئيب الدامس الطويل وجاءت بعدها

معارك المظفر بيبرس التى اجهزت نهائيا على المعسكر الغازى الصليبى عام ١٢٩١ م ويتفاءل المراقبون لهذا الزحف ويتأكدون أن كل ليل شات على الحركة الاسلامية سوف يعقبه صبح أبلج للشمس فيه وهج ونور وبهاء .

والذين يبحرون مع مراكب الكشوف الجغرافية ويرون أساطيل البرتغال وقد رست فى الميناء الاسلامى بملاكا عام ١٥١١ م وأنها ذبحت التجار العرب والمسلمين بينما أبقت على الجاليات غير الاسلامية الأخرى .

ويشاهد الاسطول الاسبانىوهو يحاول فى أربع موجات عسكرية احتلال الممالك الاسلامية فى جزر الفلبين منذ عام ١٥٢١م والذى يقرأ أحداث الشركة الهولندية التى استولت على مقاليد الاقتصاد والسياسة فى اندونيسيا عام ١٦٠١ م يقرر أن القرون السحيقة التى غلف فيها الاستعمار بلاد الاسلام بطبقات كثيفة من التخلف والجهل والأمراض لم يصدق أن نهارا ساطعا يتنسم فيه المسلمون فى هذه البلاد حريتهم واستقلالهم والسيطرة على مقاليد بلادهم .

لقد كانت التيارات الفكرية والاجتماعية التى انبثقت عن الوان الزحف الأوربى الاستعمارى على البلاد الاسلامية ليلا كئيبا ولكن النظرة المتفائلة يمكن أن تخترق سحب القرون المظلمة لتجد بارقة الأمل فى مستقبل زاهر ان شاء الله.

ولقد كان من آثار التيارات التى خلفها الاستعمار فى البلاد الاسلامية ارتباط منهج الاصلاح .

لقد وجد المسلمون أنفسهم أمام حضارة باهرة ووجدوا أنفسهم فى تخلف فكرى واجتماعى وسياسى بالغ الامتهان فمن أين يبدأ الاصلاح؟ وكيف يكون منهجه ؟

هنا يطفح التاريخ للعالم الاسلامى بعديد من النظريات والوسائل والأهداف ...

لقد بدأ السيد أحمد خان ١٨١٧ م بدلهى . اذ كانت الدولة

المغولية تتمتع بجزء من المجد الاسلامى وكان هو من أسرة تتصل بالأسرة المغولية وقد اشتهر بالأناة والحذر مع الاقدام واصدار الرأى فى الوقت المناسب تماما ورأى أن مبدأ الاصلاح يتم من التربية ووسيلة ذلك فى الأخذ بالتعليم الحديث وأخذ بالعقل فى تطبيق نظريته فأرسل أبناءه الى الجامعة الانجليزية لأنه كان يرى أن برنامج الاصلاح انما يتم بالدين المستنير وذلك لايكون الا عن طريق العلم وعن هذا الطريق يفسر الاسلام تفسيرا يطابق ما وصلت اليه المدنية الحديثة وقد جاء على لسانه فى مجلة « تهذيب الاخلاق » « لابد أن يرغب المسلمون فى قبول هذه الحضارة الغربية بكمالها حتى لا تعود الأمم المتحضرة تزدريهم » .

وكان السبب فى هذا المشوار غير الصحيح من وجهة نظر الذاتية الاسلامية أن السيد أحمد خان قد تأثر بعدة عوامل :

١ ـ أنه شاهد انهيار الحكومة الاسلامية المنقولة التى كانت هى الصورة الشاحبة للأمبراطورية الاسلامية .

٢ ـ أنه عاصر اخفاق الثورة الكبرى عام ١٨٥٧م واطلع على اسبابها التى أثرت فيه تأثيرا بالغا .

٣ ـ أنه رأى هو أن الشعب الذى كان من قبل صاحب الأمر والنهى .

٤ ـ أنه صادق الانجليز وانخدع بطلاء مدنيتهم فأعجب بهم .

ومن هنا يحكم عليه العلامة أبو الحسن الندوى : أنه ليس هو صاحب الخطة المنهجية المنشودة التى تحتاج اليها عودة الروح للعمل الاسلامى .

وتولد من هذا المشوار اتجاه جديد مضاد هو مناهضة الفكرة التى دعا اليها السيد أحمد خان واتخذ هذا اللون من المواجهة أسلوب الأدب والفكاهة ولذلك سرى تيار هذه الفكرة فى جميع الأوساط الهندية ورددە الأدباء وتلقفوه . مما جعله يعد عاملا من عوامل التأثير فى الاتجاهات

الاجتماعية الجديدة ، حتى كانت الحرب العالمية الأولى ١٩١٤ ــ ١٩١٨ م ــ ونهضة زعماء العمل الاسلامى بالهند محمد على ، وشوكت على ، وابو الكلام آزاد وقرروا مقاطعة الحكومة الانجليزية فكان ذلك أمضى سلاح سلمى استخدمته الحركة الاسلامية وانطلقت موجة عنيفة من السخط الشديد اكتسحت البلاد تحمل معها الدعوة الى مقاطعة البضائع الأجنبية والتنحى عن مظاهر الحضارة المستعمرة والتمسك بالبساطة وأساليب الحياة الخاصة الوطنية .

وكانت قمة الموج العاتى فى تحطيم صنم الحضارة الأوربية كأمل وأمنية للمسلمين المفكر الجليل محمد اقبال ١٨٧٧ ــ ١٩٣٨ م فقد أبرز جوانب الضعف فى هذه الحضارة والفساد الذى عجنت فيه والتلوث الذى يصيب به القلب والفرد والمجتمع والضمير والفكر ومن مأثوراته :

ان شعار هذه الحضارة هو الغارة على الانسانية والفتك بافراد النوع البشرى .

انها حضارة شابة ولكنها محتضرة تعانى سكرات الموت وان لم تمت حتف أنفها فستنتحر بخنجرها ولاغرابة فى ذلك فان كل وكر يقوم على غصن ضعيف ليس له استقرار .

وانتهت حركة العمل الاسلامى فى هذا الجزء من العالم بمولد دولة باكستان الاسلامية ، ولكنه مولد جاء فى غير موعده فعانى الوليد منذ مولده لعدم وجود المناخ الطبيعى لنمو الدولة الاسلامية الحديثة ولكنها مازالت تصارع من أجل أن يكون الاسلام هو الحكم الشامل فى كل المجالات ..[1]

● جمال الدين الأفغانى ١٨٣٩ م ــ ١٨٩٧ م لقد عاش المعلم الأكبر فى بلاد فارس والأفغان وهى فى حالة ليس بعدها حالة من

---

(١) وقع انقلاب فى باكستان يوم الثلاثاء ١٨ من رجب سنة ١٣٩٧ هـ ، ٥ يولية سنة ١٩٧٧ م وصرح زعيم الانقلاب الجنرال ضياء الحق أنه يؤيد الحكم بالاسلام .

التنازع والبغضاء وكانت الحكومة البريطانية الهندية تستغل هذا الخلاف فتغرى احداهما بالأخرى فعرف المعلم الأكبر جمال الدين سياسة التمزيق التى تنشرها الحكومات العدوة ضد المسلمين فوضع خطته على أساس التوفيق بين الأمم الاسلامية فنادى بفكرة : الجامعه الاسلامية ، ولقد كان يشق عليه كثيرا أن يرى العالم الاسلامى متحدا على الخلاف مختلفا على الاتحاد مطاوعا للاستعمار فعزم على حسم الخلاف وايصاد الأبواب على المستعمر والمستغل وابواق الفتنة ... وذلك هو مفهوم الجامعة الاسلامية عند جمال الدين الأفغانى ، وكان ذلك فى نظره لا يتأتى الا باضعاف نفوذ بريطانيا فى الأقطار الاسلامية ، ولهذا السبب نفسه لم تتركه القوى الاستعمارية ليحقق مايريده ..

وانتهى السيد جمال الدين الأفغانى وما تزال فكرته عن الجامعة الاسلامية أملا لما تحن الأحوال لتحقيقها بعد .

● وكان الشيخ محمد عبده ــ ١٨٤٩ م ــ ١٩٠٥ م ــ الذى يئس من التعامل مع السياسة فتوجه الى الاصلاح عن طريق التربية وركز على رسالة التعليم فوجه جهوده كلها لرفع الحجر عن العقول وظن أن اجازة الاجتهاد وتفسير أمور الدين تفسيرا يطابق العلم الحديث الأوربى كافية لتحقيق الاصلاح ، وترك الشيخ محمد عبده منهجه وقد أثر بفكره فى مجموعة من الثقافة الاسلامية يختلف فيها المقدرون لرسالة الاصلاح ، ولكنه على كل حال لم يرفع الحجر عن العقول بالقدر الذى يجعل هذه الوسيلة بديل الاصلاح الاجتماعى عن طريق العمل السياسى الذى فشل فيه جمال الدين وكان الشيخ محمد عبده يمقته ويحذر منه ، ولكن الشيخ محمد عبده أثر الى حد كبير فى الاتجاهات الثقافية فى انحاء العالم الاسلامى ، فكان انتعاشا فى فترة لم يتوقع فيها للجسد المفلوج أن يتحرك .

● والوهابية النجدية بالحجاز كان لها دور فى ايقاظ المجتمع العربى

الذى تاه وسط عوامل سياسية واجتماعية عطلته عن رسالته الأولى، وتتركز دعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب ـ ١٧٠٣ م ـ ١٧٩١ م ـ على عدم الغلو مستدلا بالحديث الشريف : «اياكم والغلو فانما أهلك من كان قبلكم الغلو ، » .

وقوله صلى الله عليه وسلم : « هلك المتنطعون ، هلك المتنطعون، هلك المتنطعون » .

وملخص أهداف الدعوه الوهابية هى صرف الناس عن البدع الضالة والخرافات والأوهام التى لا أصل لها من الدين .

وكان الشيخ محمد بن عبد الوهاب يظن أن المهم فى الاصلاح هو أن ينصرف المسلمون عن الجهل الذى يوقعهم فى البدع والخرافات.

ومازالت الوهابية تتجاذبها قوتان بعد يقظة الشرق الاسلامى : قوة الاتباع الذى تعصبوا له ، وقوة السلبيين الذين يرونها حركة سياسية انتهى زمانها .

● السنوسية وهى أخوة فى الله قام بالدعوة اليها السيد محمد ابن على السنوسى الخطابى المولود سنة ١٧٨٧ م . بالجزائر وهى حركة تجديد للسرابطين الذين كانوا من عهد الأندلس ، ولذا فقد كان الشيخ السنوس خبيرا بأحوال السياسة ولذا فقد ساهمت الحركة السنوسية فى مقاومة الاستعمار الايطالى واليها يرجع الفضل فى تحرير ليبيا ومقاومة الايطاليين ومايزال لهذه الطريقة أثرها الطيب فى المغرب والسودان وليبيا وان سلطانها الروحى لينبسط الى جوف الصحراء الغربية الأقصى ويهدى أبناءها الى سبيل التعمير والاصلاح مع حسن القوامة .

● المحمدية بأندونيسيا : لم يترك المسلمون الاستعمار الهولندى يمتص خيرات أندونيسيا ويعبث فيها فسادا بل جاهد المسلمون فى اندونيسيا جهادا مريرا طوال عدة قرون لاخراج المستعمر من بلاد اندونيسيا فقامت عدة منظمات لهذا الغرض منها :

شركة اسلام التى أسسها الحاج سمنهودى عام ١٩٠٥ م ثم تطورت

برياسة الحاج عمر سعيد شكرو أمينوتو الى حزب سياسى تجارى يتخذ التجارة له وسيلة لمقاومة الاستعمار الهولندى

كما قام الحزب الماشومى الذى يتألف من مجموعة المنظمات السياسة الاسلامية لمواجهة الحركة الشيوعية والالحادية بعد الاستقلال، ولكن سوكارنو (الشيوعى) استطاع بألاعيبه أن يفتت هذه الجهة الاسلامية القوية بما عرف عنه من دهاء ولولبية •

فلم يبق فى مجال خدمة الدعوة الا المحمدية التى أسسها كياى محمد دحلان عام ١٩١٢ م وبقيت الى اليوم تعمل فى حقل التربية فلديها ٢٤٩٥ مدرسة ، و ١٠ جامعات ، و ٣ معاهد عليا •

كما تعمل فى حقل الخدمة الاجتماعية فلديها ٥ مستشفيات عامة كبيرة ، ٨٦ مستشفى فرعى صغير ، ٢٧١ عيادة للولادة ، ٣٠٩ ملجأ صحى ، ٦ صدليات ، ٥ مدارس للتمريض ، ٩٠ دارا للأيتام•

بالاضافة الى مجموعة المعاهد الاسلامية الكثيرة جدا فى انحاء جزر أندونيسيا والجامعات الاسلامية الحكومية التى تبلغ ٢٥ جامعة اسلامية •

● انتهاء دور الرجل الأبيض بنوعيه :لقد انكمش الأسد البريطانى ودخل حديقة الحيوانات فى عاصمة بريطانيا يئن من مشكلاته الاقتصادية واضطراباته الدينية فى ايرلاندة •

وتقلص ذلك الظل الكئيب الذى سيطر على بحار العالم وأرضه وسمائه وخيراته ردحا طويلا من الزمن وفشلت جميع نظريات الحكم الاستعمارى الأوربى وانتهت سيادة الرجل الأبيض فى أوربا على بلاد الاسلام نهائيا بعد استقلال جيبوتى العربية الاسلامية فى يونيو عام ١٩٧٧ م وكذلك انتهى دور الدب الأبيض الروسى فقد بان للعيان أن الدعوة الى العدل الاجتماعى بريق كذاب وسراب ضليل،فلم يسلم النظام من حيث هو نظرية من النقد والتعديل والالحاد فيه لقد ألغى

الحزب الشيوعى الفرنسى والايطالى مبدأ الصراع بين الطبقات لان الزمن المعاصر كفيل بحل مشكلات العدل الاجتماعى بعيدا عن الصراع الطبقى الذى لم يتحقق به شىءسوى اراقة الدماء والرشا والاعتقالات والخيانات وضياع الذمم وتعطيل الأعمال .

كما أن روسيا ذاتها مازالت تعدل فى دستورها فحديثا طرد بريجنيف بودجورنى واستولى على رياسة الدولة والحزب معا ، وهذا مؤشر خطير يدل على عدم استقرار النظام بعد ستين عاما من التطبيق مما جعل الكاتب الروسى « كريك » يتنبأ بانتهاء النظام الروسى عام ١٩٨٤م فى كتابه : (هل يعيش الاتحاد السوفيتى حتى عام١٩٨٤) وبسبب هذا الكتاب دخل السجن ثم طرد الى هولندا ...

وصيانة روسيا لحلفائها فى العالم العربى واستخدامها سياسة البديل فى العلاقات مع رؤساء الدول ونكرانها للمعاهدات ، وتثاقلها عن النصرة فى ساعة الأزمات وغدرها بالمواثيق ، جعل نظامها فى أعين البصراء بعواقب الأمور غير محترم ولا يستحق التبعية بله النفور والابتعاد عنه .

والموازنة بين بلاد قسمها الشيوعيون الى قسمين مثل ألمانيا وكوريا جعل من القسم الشيوعى مباءة ظلم وفقر وتخلف ومن القسم المقابل حركة ونشاطا وازدهارا وحقوق الانسان المعطلة فى روسيا وضياع قيمة الانسان ومعناه فى طيات ذلك النظام جعلت الناس يفكون العصابة السوداء من فوق بصائرهم ليروا سوأة الكذابين فى الكرملين ، لاسيما فى عالمنا العربى وبخاصة ابان حرب العبور المظفرة فى ١٠رمضان ١٣٩٣هـ حيث ظهرت نوايا الدب الأبيض أنه لا يريد منا الا الهزيمة لنبقى له راكعين — ولاقدر الله —

لقد انتهى دور الرجل الأبيض بنوعيه سياسيا واجتماعيا وانتهى كذلك دينيا فليس عنده شىء يصح من الاعتقاد يرضى به عقل مستنير

ولافطرة سليمة باقيـــة على نقائهـــا وصفائها •

لقد قـال الحــاج عمــر بونجو رئيس جمهـورية الجابون : لقـد أسلمت وجهى لله والله وحده أعلم بهذا •••

ان السؤال الذى أريد أن أطرحه علـى الجميــع هــو : من هــم البروتستنت ؟ ولماذا أطلــق عليهم هذا الاسم الذى يعنى : المعترضين أو المحتجين ؟

لقــد كانوا من الكاثوليـك ، والســؤال الآن : لماذا يحتجون ؟ وعلام يعترضــون ؟ اننى لم أطلب مطلقا أن أكــون مسيحيا ، لقــد أصبحت مسيحيا دون ارادتى ،لقد عمدت منــذ طفولتى لأن هناك فى أفريقيا بعض الآباء الذين يعمــدون أطفالهم منــذ ولادتهــم وكان من الأفضــل بالنسبة لهؤلاء الآباء أن ينتظروا حتى يبلــغ هؤلاء الأطفال سن الرشد حتى يختــار كل منهــم بارادته الحــرة الدين الذى يناسب فطرته •

اننى آسف اذ أقــول ان هــذا الأســلوب الذى يتبعه بعض الآباء يدفع أطفالهم فيما بعد الى الوصول الى حالــة من التمزق تدفعهم الى الأختيار بين أكثر من طريقة : اما أن يتجه الفــرد الى عبــادة الله دون الانتماء الى أى دين، واما أن يلحد ، واما أن يكون دينه المتعة واللذة، واما أن يغير دينه وينضم الى الدين الذى يتخذ منه طريقه الى الله وهذا مافعلته •

اننى وجدت فى الاسلام كل هذه المعانى : الصلة المباشرة بين الانسان وربــه بعيدا عن حــدود المكــان ووساطة الكهنوت ، اننى كمســلم لست بحاجة الى كنيسة أو محراب أو معبد أو جامع لأختلى بنفسى مع الله ، ان الأرض كلهــا مسجدى ، لقــد كنت مسيحيا طيبــا ولكننى وصلت مع الكاثوليك الى المرحلة التى كان على أن أقول فيها : اننى آسف ••• وداعا (١) •

---

(١) مجلة أكتوبر العدد رقم ٣٦ - يوليو سنة ١٩٧٧ م ص ١٢

اذن انتهى دور الرجل الأبيض عقديا وبقيت للاسلام عقيدته الصافية الشاملة ويكفى أن يرى المسلم مستقلا بعبادته عن الهيكل والصنم والوثن والصورة والدموع وأنه لا مسافة بين الروح والجسد فالعقيدة الاسلامية توحد الانسان وتجعله كلا مستقلا بدنياه وآخرته على السواء وروحه وجسده معا، وحسب المرء أن يرضى مطالبه الروحية ولايخالف عقائد دينه ولايجد مع ذلك ما يصطدم مع العقل ولامايرثه بالضرورة قبل الولادة من الخطيئة ، وحسبه كذلك أن يجد فى العالم كله أخوة يرفع الله فيهم الذين آمنوا، والذين أوتوا العلم درجات ، والمسلمون تتكافأ دماؤهم ويسعى بذمتهم أدناهم ، وليس منهم من بات شبعان وجاره جوعان وهو يعلم .

ولقد أحس بهذه العقيدة الصافية التى تخاطب الفطرة الانسانية السليمة كثير من المثقفين فى أوربا وآسيا ، فآمن مسيو اتين دينيه الفرنسى ، وآمن القسيس أنطونيوس مواقر باندونيسيا كما آمن به رئيس جمهورية الجابون الحاج عمر بونجو ... وماذلك الابعض من فيض جاذبية هذه العقيدة لو وجد الناس لها الطريق الواضح ، وهذا هو واجب الأمة التى ظهر فيها هذا الدين واختار الله منها خاتم الأنبياء والمرسلين وقد حباها الله من القوى مايجعلها أمينة على تبليغ هذه الرسالة .

واذا كانت القوى الاستعمارية والصهيونية قد استطاعت تشويه الحركة الاسلامية باسقاط الخلافة الاسلامية على يد أتاتورك الذى تربى فى الحقل الماسونى فان تركيا المعاصرة لم تبلغ شأوا فى التحضر الغربى الذى شاءه لها الزعيم العلمانى أتاتورك ولم تبلغ شأوا فى قوميتها الخاصة فراحت تعود الى تاريخها الاسلامى وتصرخ بالعودة الى رحاب الاسلام الحنيف ولقد صدق اتين دينيه الفرنسى يوم أن قال : هل مصطفى كمال على حق فيما قام به وأقدم عليه ، وبالأخص فى أخذه بالحركة التجديدية الى ذلك الحد البعيد ؟ وهل الأمة التركية والشريعة الاسلامية سينالها من وراء هذه الحركة قوة أو ضعف ؟

تلك أسئلة لاشك أن المستقبل وحده هو الذى يحمل لنا الاجابة عليها ، والعلم عند الله وفوق كل ذى علم عليم •

ولقد شهد التاريخ بصدق أن الأمة التركية قد أصابها الخواء بسبب ذلك الاصلاح الاتاتوركى •

ولاشك أن فشل هذه المناهج كلها :

● منهج أوربا الاستعمارى القديم فى بلاد الشرق العربى ،

وبلاد الاسلام فى جنوب شرق آسيا ، وفى أفريقيا •

● ومنهج الدب الأبيض الروسى الخائن الغادر القائم على امتصاص دماء الشعوب دون احترام للانسان مطلقا •

● ومنهج العلمانية التى ناءت بها حياة الشعب التركى المسلم •

لا شك أن فشل هذه المناهج مع انعدام عقيدة أخرى تستطيع أن تقوى على مواجهة العقيدة الاسلامية يجعل أمة العرب قادرة على أن تضع امكانياتها من أجل نشر لواء الاسلام الحنيف •

وامكانياتنا العربية استراتيجيا فى البحر الأبيض والبحر الأحمر تستطيع ان تلعب دورا أساسيا فى العمل للاسلام لا سيما اذا أضيف اليها امكانيات العالم الاسلامى من سبانج باندونيسيا الى الخليج العربى الفارسى وموانيه ومضايقه حتى باب المندب اذ أن التطويق للموانى الاسلامية كان هو الهدف الأساسى لحركة الكشوف الجغرافية قديما وقد استغلت تلك الاستراتيجية حديثا فى العمل لخدمة الاسلام ، ولعل أبسط وسيلة لتحقيق هذه الرغبة هو أن يجتمع الرأى فى مجلس التضامن الاسلامى الذى يعقده وزراء خارجية الدول الاسلامية على رسم خطة لاستخدام هذه الاستراتيجية لخدمة الاسلام حسب المناسبات والأحوال السياسية التى يمكن ترقبها لتحقيق هذا الغرض• وامكانيات العرب اقتصاديا كثيرة•

● فالجزائر غنية بالمعادن لا سيما الغاز الطبيعى الذى يشكل ١٠٪ من

احتياطى العالم وبها مناجم للفوسفات والرصاص والنحاس والزئبق ، والحديد .

● ودولة الامارات العربية غنية بمصادر الثروة النفطية فتصدر منه يوميا أكثر من مليونى برميل من النفط الخام .

وتوجد فى أبى ظبى منطقة خصبة لزراعة الخضروات والفواكه .

●دولة البحرين وهى ميناء مهم لبناء السفن وصيد الأسماك ، كما يوجد بها الغاز الطبيعى ، وتقوم فيها صناعة الألمونيوم .

●ودولة مصر العربية وهى دولة زراعية تصدر القطن والأرز والبصل وبها مناجم للنحاس ، والحديد والنفط وبها صناعات الأسمدة والفوسفات والألمونيوم ...

وبها قناة السويس أهم القنوات الموصلة بين القارات الثلاث:أوروبا، وآسيا ، وافريقيا .

● الأردن : تشكل الزراعة بها ٢٠٪ من الدخل القومى وبها مناجم للفوسفات وتقوم فيها صناعات للبتروليات ، والأسمنت والجلد والحديد ، والورق .

ومن محاصيلها الزراعية : الخضروات ، والعنب ، والزيتون ، والفواكه الأخرى .

● دولة الكويت : ويقوم اقتصادها على النفط فقد بلغ احتياطى النفط فى نهاية ديسمبر سنة ١٩٦٨ م ما مقداره ١٠٤ مليون طن وبها صناعات الأسمنت والكهرباء ، والغاز ... والأسمدة الكيماوية .

● ليبيا : ويبلغ الانتاج السنوى للنفط الخام بها ألف مليون برميل وبها مناجم للملح ويبلغ انتاجه سنويا ١٦ ألف طن .

وبالاضافة الى صناعات الغزل وزيت الزيتون والاسمنت والجلود والورق والسجاد وصيد الأسماك .

● موريتانيا : الثروة الحيوانية هى حجر الأساس ، وأهم محاصيلها الزراعية الدخان والأرز .

ويبلغ انتاجها من الحديد سنويا ستين مليون طن .

كما تصدر النحاس ، والصمغ العربى والفوسفات ، والجص والملح .

● المملكة المغربية : وبها من المعادن : الفوسفات والفحم والنفط الخام والحديد ، والزنك والمنجنيز ، والفضة ، الكوبلت وهى غنية بالأسماك وتملك أسطولا ضخما لصيد الأسماك يضم ٣٤٠٠ سفينة .

● عمان : بها محاصيل زراعية مثل : الليمون ، والمانجو ، والموز والحنطة والبصل .

كما يوجد بها نفط يصدر الى ماليزيا وأوربا وأمريكا .

● قطر : يمثل البترول فيها ثلاثة أرباع الدخل القومى وقد بلغ دخل قطر من النفط الخام ٣٥٠ مليون دولار سنويا .

ويوجد بها الغاز الطبيعى وتقوم بها عدة صناعات للأسمنت والأسمدة الكيماوية ، وبها بعض المحاصيل الزراعية المحلية مثل الخضروات والحبوب .

● السعودية : وهى أغنى أقطار العالم الاسلامى بالنفط اذ بلغ دخل النفط الخام فى سنة ١٩٧٣ ـ ٤١٧ بليون دولار وبها مشروعات للزراعة ، والصوف والاسمنت والحديد والجلود والنحاس ، والرخام .

وتستطيع السعودية أن تلعب دورا هاما فى العمل الاسلامى ليس فقط فى نشاط رابطة العالم الاسلامى المشكور ، ولا فى الجامعات الكثيرة بل فى وقاية استغلال أموالها ضد الحركة الاسلامية فهناك مجموعة من المهندسين غير المسلمين يحصلون على أجور باهظة جدا من العمل فى الرياض ثم يستغل هذا المال ضد الدعوة الاسلامية ونشر مبادىء الأديان الأخرى .

واذا كانت هذه امكانيات العالم العربى فان امكانيات الوطن الاسلامى لا تقل عن ذلك ، فاذا أضيف امكانيات بلاد العالم الاسلامى

فى جنوب شرق آسيا الى امكانيات العالم العربى ونظم ذلك فى سوق اسلامية مشتركة ، أمكن أن نضمن للعمل الاسلامى حركة طبيعية وقدرة ذاتية على التمدد دون مضاعفات او تخلخل .

وتدل الاحصائيات على أن امكانيات بقية أقطار العالم الاسلامى كما يلى :

● أفغانستان : تعتمد على الزراعة وتربية الماشية فى اقتصادها القومى ويوجد بها مصادر غنية للمعادن ، كما توجد بها مصانع لغزل القطن والصوف ، والمنسوجات والجلود ، والرخام والزجاج والأثاث والبيوت الجاهزة .

● أندونيسيا : ويتوفر فيها : المطاط ، والشاى والبن ، وجوز الهند والتبغ والفلفل وبها بترول وصل فى عام ١٩٧١ الى ٣٢٦ مليون برميل ويوجد بها الخشب .

وبها معادن النيكل ، والفضة والحديد ، بركسايت كما يوجد بها صناعات السكر والأسمدة الكيماوية والورق واطارات السيارات والأدوات الكهربائية . والبطاريات .

● ماليزيا : غنية بالمطاط والقصدير وجوز الهند ، والشاى والنرجيل ، وبها ثروة حيوانية تبلغ ٥٧٦ ألف رأس من الأغنام والأبقار .

وبها صناعات الخشب ، والحديد والاسمنت ، والفواكه المعلبة .

● ايران : بلغ انتاجها من البترول عام ١٩٧١ حوالى ١٦٥٧ مليون برميل بما يعادل ٩٪ من انتاج العالم

ويوجد بها ١٠٪ من احتياطى الغاز فى العالم ، وبها مناجم للحديد والفحم والنحاس .

وهى غنية بالزراعة .

واذا نظرنا الى مجموع الصادر والوارد للدول الاسلامية العربية أمكننا أن نلاحظ مسألتين :

الأولى : أن البلاد العربية والاسلامية تشكل وحدة اقتصادية متكاملة يمكن أن تستغنى عن بقية العالم الصناعى الآخر ففى أكثر الدول اما فائض عن حاجتها أو ما

يكفيها فاذا احتاجت بعض البلاد الى تنمية فى بعض المجالات فان البلاد الأخرى يمكن أن تمدها بالفائض على شكل استثمارات اسلامية شريطة أن يضمن العاملون فى الحقل السياسى أن يكون ذلك التنسيق من أجل بناء الذاتية الاسلامية لمجموع الدول .

الثانية : أن أكثر الصادرات من المعادن الأساسية للدول الأوربية والدول الصناعية الأخرى مصدره البلاد العربية والاسلامية فان الله تعالى قد منح الأمم الاسلامية احتياطيا من البترول الخام يمثل ٦٣ ٪ من احتياطى العالم وانتاج البترول فى البلاد الاسلامية يمثل ٤٨٪ من انتاج العالم .

ومعنى هذا أن الدول الاسلامية والعربية تستطيع أن تلعب دورا هاما بما عندها من هذه الضروريات للعمل الاقتصادى والصناعى فى هذه الدول وتستطيع أن تخدم الدعوة الاسلامية من خلالها قوتها الاقتصادية فالعصر الحديث لغته لغة اقتصاد فعندما عبر الجيش المصرى قناة السويس وأعلن الملك فيصل حرب البترول قامت دراسات فى انجلترا واليابان للغة العربية بقصد التقرب من الدول التى تملك عصب الصناعات فى بلادهم وقد تطور هذا الاتجاه حتى افتتح فى بريطانيا قريبا مركزا عربيا بريطانيا مهمته زيادة التفاهم بين العرب والانجليز ، وصارت المحلات التجارية تكتب اعلاناتها باللغة العربية .

فلو أن الأمة العربية خطت هذه الخطوة وهى قادرة وجديرة بذلك لأمكن الحصول على :

١ ــ اقتصاد متكامل متناسق .

٢ ــ استثمارات مأمونة العواقب فى البلدان الاسلامية .

٣ ــ رفع التخلف الصناعى من بلدان الأمة الاسلامية .

٤ ــ ضمان سير العمل الاسلامى فى الدعوة بعد خيبة مناهج الدب الأبيض ، والاستعمار الاقتصادى والفكر الحديث .

فاذا أضيف الى استخدام هــذه القــوى الاقتصــادية تنســيق بين العاملين فى الحقل الاسلامى فيتأسس مجلس أعلى للتنسيق للعمل الاسلامى تكون مهمته :

١ ــ حصر حاجات الدعوة وتبويب أولوياتها .

٢ ــ تنويع وظائف الدول العاملة فى حقل الدعوة .

٣ ــ تمويل صندوق الدعوة .

٤ ــ الاشراف على مؤســسات العمل الاسلامى فى البلاد الاسلامية بحيث يتم بذلك الاشراف حسن سير عمل الدعاة ومدهم بما يلزمهم من الامكانيات .

فاننا نثــق فى مســتقبل مشرق للدعوة الى الله على بصيرة تؤتى فيها الحكمة ثمارها الطيبة، وتبلغ الموعظة الحسنة فيها الى المشاعر الكريمة ، ويقع عنــدئذ الجــدال هادئًا هادفا ويومها :

« فمن شاء فليؤمن ، ومن شــاء فليكفر » .

فقد تبين الرشد من الغى والله الهادى الى سواء السبيل .

دكتور رؤوف شلبى



دكتور رءوف شلبى

من مواليد الشرقية فى ١٩٣٠/٩/٢٣

تعلم بالأزهر حتى نال العالية التربوية عام ١٩٥٨
ثم حصل على العالمية مع اجازة التدريس عام ١٩٦٠
وحصل على ماجستير فى الدعوة الاسلامية عام ١٩٧٠
وحصل على الأستاذية (الدكتوراه) فى الدعوة الاسلامية مع مرتبة الشرف الأولى عام ١٩٧٣

- عمل بالتدريس فى معهد طهطا بمحافظة سوهاج عام ١٩٦٢/١٩٦٠م
- نقل سكرتيرا علميا للدكتور الأمين العام لمجمع البحوث الاسلامية ١٩٦٤/١٩٦٢ م
- بعث من الأزهر الى اندونيسيا وعمل مدرسا بكلية أصول الدين بسومطرة ١٩٦٨/١٩٦٤
- منح درجة الدكتوراة الفخرية فى الدعوة الاسلامية من كلية أصول الدين بسطومطرة عام ١٩٦٨ م .
- بعث من الأزهر الى ماليزيا عام ١٩٧٠

وأسس مركزا للبحوث الاسلامية وتولى ادارته حتى مايو ١٩٧٣

- عين مدرسا بكلية أصول الدين بجامعة الأزهر فى ١٩٧٣/٦/٣٠م
- أسندت اليه أعمال رئيس قسم الدعوة بكلية أصول الدين بالقرار رقم ٢٦١ بتاريخ ١٩٧٥/٤/٢٢

● اشترك فى اللجنة التى ألفها الامام الأكبر شـيخ الأزهر للنظر فى انشاء كلية الدعوة الاسلامية .

وعند بدء العمل فى كلية الدعوة الاسلامية بطنطا نقل بدرجته من قسم الدعوة فى كلية أصول الدين ليعمل مدرسا بكليـة الدعوة الاسلامية .

● فى ٦ يوليو سنة ١٩٧٧ عين استاذا مساعدا بكلية الدعوة الاسلامية بطنطا بناء على المـادة ١٦٠ من اللائحة التنفيذية للأزهر .

● اختاره فضيلة الامام الأكبر مستشارا خاصـا لفضيلته عام ١٩٧٧

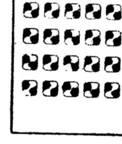
● دعى أستاذا زائرا لجامعة أم درمان الاسـلامية مرتين الأولى فى عام ١٩٧٦ م والثانية فى عام ١٩٧٧ م

● أهم مؤلفاته :

ـ الدعوة الاسلامية فى عهدها المكى مناهجها وغاياتها .
ـ بشائر النبوة الخاتمة .
ـ يا أهل الكتاب تعالوا الى كلمة سواء .
ـ الاسلام فى أرخبيل المـلايو ومنهج الدعوة اليه .
ـ المسلمون فى جزر الفلبين .
ـ الجهاد فى سبيل الله .
ـ التضليل المـاركسى .
ـ استوصوا بالنساء خيرا .
ـ السنة الاسلامية بين اثبات الفاهمين ورفض الجاهلين.
ـ منهج القرآن الكريم فى اثبات العقيدة الاسلامية .
ـ أضواء على المسيحية .
ـ أصول المجتمع الاسلامى فى سورة الحجرات .

وله عدة كتب باللغة المالوية منها :

١ ـ فى ساحة قصر الامام الغزالى .
٢ ـ أضواء على عقيدة المسيحيين .
٣ ـ أصول العمل الاقتصادى فى الاسلام .
٤ ـ الذاتية الاسلامية .
٥ ـ خصائص الاسلام .



إلى أين نحن سائرون؟

للدكتور علي العماري

زرت قطرا شقيقا بعد غيبة استمرت سبعة عشر عاما وفى أثناء زيارتى دعيت الى ندوة أدبية أقامها طلاب جامعة اسلامية ، وبعد أن فرغ المتكلمون والمتكلمات من القاء خطبهم وقصائدهم طلب الى أن أضيف كلمة الى ما قالوه ، وكان العجب قد بلغ منى مبلغه فكان أول ما ابتدأت به بعد حمد الله ، والثناء عليه أن قلت : لا أدرى فى أى بلد أنا الآن ، وانى لأشك كثيرا أن أكون فى هذا البلد الذى عشت فيه سنوات قبل سبعة عشر عاما ، وفى هذا القطر الذى كانت سمته الأولى التدين العميق المحافظ كل المحافظة على التعاليم الاسلامية ، والتقاليد العربية النبيلة .

لقد سمعت الليلة تسع قصائد ، منها قصيدة واحدة وطنية ، والثمانية — ومنها قصيدة لطالبة — فى الغزل ، وأمامى فى الندوة طلاب وطالبات ، وقد رأيت الاستحسان أكثر ما يكون للأبيات التى تستحيى العذارى أن يسمعنها فى خدورهن !

وقلت : لقد عشت هنا خمس سنوات متتابعات ، ولا أذكر أنى رأيت فى هذه السنوات امرأة أو فتاة مكشوفة الوجه ، كما لا أذكر أنى رأيت واحدة تستعمل فى تنقلاتها وسائل النقل العامة .

نعم ، كان اختلاط بين الطلبة والطالبات فى احدى جامعاتكم ، ولكنها كانت تحت سيطرة الاستعمار الأوربى كما كانت الطالبات تجلسن فى الصف الأول ، وعليهن الملاءات اللاتى لا تظهر شيئا من أجسادهن ، واذا تكلمت الفتاة مع أستاذها أو مع زميلتها تكلمت بغاية الحياء والأدب ، ولم أسمع أن طالبة تكلمت

مع زميل لها ، فضلا عن أن تختلط به ، أو ترفع الكلفة بينها وبينه .

ولم تكن هـذه الظـاهرة التى شاهدتها فى الندوة بين طلبة وطالبات الجامعة فقط ، بل رأيتها فى الشارع، وفى المنتديات ، وفى المدارس الثانوية التى أتيحت لى زيارتهـا ، وفى المجتمعـات بعـامة وفى وسـائل المواصلات ، وفى وسـائل الاعلام من اذاعة وتليفزيون وصـحافة . كلها كانت على طراز غير ما رأيتـه وسمعته وشاهدته منذ سبعة عشر عاما .

وأذكر أنى بعـد أن انتهيت من القاء كلمتى فى الندوة همس فى أذنى أحد قادة الرأى السياسى — وكان ذا فكر أحمر — قائلا : هذه احدى ثمرات الحضـارة والتقدم ، وهى سنة التطور ، ولا يمكن لأحد أن يقف فى وجه التيار ، ولا أذكر بماذا أجبته ، ولكنى — فيما أرجح — تلطفت معـه ، وأفهمتـه برفق أن الجمود خير من هذا التقدم .

وبعد سنتين زرت قطرا اسلاميا آخر بعد غيبة عنه استمرت أربعـة عشر عاما ، فوجدت فيه تغيرا كبيرا، لا أقصد فى العمران فذلك أمر طبيعى ولكن فى الحياة الاجتماعية والدينية .

أذكر أنه حدث فى المرة الأولى وكنت أسكن فى الطابق الثـانى فى بعض منازل المدينـة أن دق علينـا الباب رجل لا نعرفه فلما سألته عن مقصده قال فى لهجة آمرة خشنة - خفضوا صوت المذياع ، وأذكر أنى على مدى السنتين اللتين أقمتهمـا هناك لم أر (سيجارة) فى يد أحد الا أن يكون فى الخفاء ، فلما كنت فى المـرة الثانيـة هالنى أن رأيت (تليفزيونا) فى ميدان عام قريب من أحد المساجد الكبرى ، وقد تحلق الشـباب — بل بعض الشيوخ — حوله ، وهو يذيع الأفلام والأغانى المصرية ، وقلمـا ركبت عربة من العربات الا رأيت فيها (الراديو) أو (المسجل) والسائق يستمع الى هذا أو ذاك طوال سـيره حتى فى شوارع المدينة .

ورأيت الرجال والشبان يدخنون فى الشوارع علانية لا يخشون لائما،

ولا يخافون ممن لا يزال صميم عملهم الأمر بالمعروف ، والنهى عن المنكر •

الى أشياء كثيرة تحولت الى أسوأ •

وانما ذكرت هذين المثلين لأعطى صورة وان تكن غير خافية على من يرصد التحول الاجتماعى فى الأقطار الاسلامية •

وقد أردت بذلك أيضا أن أضرب المثلين بقطرين شقيقين عرف منهما التمسك بالأخلاق والتقاليد الاسلامية •

وبدهى أن الأقطار الاسلامية التى سبقت فيما يسمونه الحضارة كان شوطها أبعد فى التحلل من سلطان الفضائل •

ولو أن الحكام والمصلحين والدعاة الاسلاميين تركوا أمور المسلمين تتقاذفها هذه الأمواج الجارفة النابعة من تدبير بعض المفسدين منا حينا ، والوافدة علينا من دول لا تؤمن الا بالمادة أحيانا كثيرة • أقول : لو أنهم تركوا هذه الأمواج تمد مدها فى حياتنا الاجتماعية والدينية لما عز علينا أن نؤكد أننا بعد سنوات قد تقصر وقد تطول سنفقد أهم خصائص هذه الأمة الاسلامية•

ثم ، لننظر فى حاضرنا هل يبشر بمستقبل نرضاه لأمتنا أو ينذر بعواصف مدمرة تطيح بكل ما بقى لنا من أخلاق ، وتقاليد صالحة ؟

وأبادر فأقول : ان الظواهر كلها تدل على أننا سنشهد ثباتا واصرارا على عقيدة التوحيد عند المؤمنين بالله ، وسنشهد تحولا الى الأفضل عند من لا يؤمنون •

فقد بدأ يظهر جليا أن موجة الالحاد ستنحسر ، ولذلك أسباب كثيرة ، منها افلاس المذهب الشيوعى فى دعوة بنى البشر الى طرح فكرة الخالق ، ومنها التقدم العلمى الذى سيطالع الناس كل يوم بجديد تلفت الأذهان الى أن هذا الكون البديع النظام ، الدقيق التركيب لا يمكن أن توجده المصادفة أو الطبيعة ، بل لا بد أن يكون عمل قوة عظيمة

ابتدعته ، وستظل ترعاه وتحفظه من التفكك والتحلل والانهيار ٠

ومن هذه الأسباب أن الملحدين سيملون الحادهم ، وسيعرفون أنه لم يأت لهم بشيء يسعدهم ، فليس فيه طمأنينة النفس وسكينتها ، كما هو حال المؤمنين ، وليس فيه نفع مادى ، أو كسب أدبى ، وانما هو اضطراب فكرى ، واختلال عاطفى، ولا يبعد أن يجول فى خواطر الكثيرين منهم المعنى الذى ضمنه أبو العلاء المعرى هذين البيتين من لزومياته :

قال المعلم والطبيب كلاهما
لا تحشر الأجساد قلت : اليكما
ان صح قولكما فلست بخاسر
أو صح قولى فالخسار عليكما

فهذه المجاراة الجدلية من المعرى بالغة الدقة ، فهو مؤمن بحشر الأجساد وهذان اللذان يذكرهما ينكرانه ، فيلزمهما الحجة من طريق لا يستطيعان المراء فيها ٠

فالمؤمن بعقيدة من عقائد الدين قامت عليها الأدلة الواضحة الحاسمة لا يضيره ألا تصح هذه العقيدة ، فانها ان صحت فقد نجا ، وان لم تصح فلا عليه ، فقد اعتمد على الدليل فبرئت بذلك ذمته ، أما المنكر لها فانه يخسر خسرانا مبينا حين تظهر صحة هذه العقيدة ٠

وكلما تقدمت البشرية فى الرقى العقلى والفكرى ظهر لها البون البعيد بين الايمان والالحاد ، وهى تتقدم ــ ولا شك ــ فلا غرو أن تتوقع سيادة عقيدة التوحيد ، وانحسار الموجةالالحادية فىالمستقبل القريب ٠

ومن أسباب ذلك ــ ولا شك ــ ارتفاع نسبة المتعلمين فى الدول الاسلامية ، وهو ما تبشر به العناية الواضحة بالتعليم فى كل قطر من أقطار المسلمين ٠

وقد بدأنا نشهد ذلك فى الجيل الجديد ، فمثلا الاسرائيليات التى حفلت بها بعض كتب التفسير قل ايمان الناس بها ، والأحاديث التى وضعها الوضاع ليفرقوا بعض المؤمنين فى أباطيل أزيح الستار عن

كثير منها ، والتهويمات التى تنسب زورا الى بعض المخلصين من رجال التصوف تطرقت اليها الشكوك ، والتعصب الدينى المقيت لفكرة أو عقيدة سيخفف العلم وتقدم العقل البشرى من غلوائها .

* * *

هذا فيما يتعلق بالعقيدة .

أما فى غيرها فان حاضر الأمة الاسلامية فيما يتعلق بالتعليم الدينى وبالتقاليد الاسلامية يعكر علينا صفو الأمل فى مستقبل أفضل فى هاتين الناحيتين .

أما التعليم فلا يزال قاصرا عن تخريج الشاب المسلم حق الاسلام ، سواء فى مدارسنا أو معاهدنا ، كما أن جامعاتنا الاسلامية ــ فيما أعتقد ــ عاجزة فى الوقت الحاضر عن تخريج العالم الذى يرجع اليه الناس فى أمور دينهم ، وعن تخريج الداعية الحق الذى يهب نفسه لتهذيب الشباب تهذيبا دينيا ناجحا .

والتعليم الدينى سواء فى معاهد الأزهر أو فى المعاهد والمدارس التى تحذو حذوه فى الأقطار الاسلامية الأخرى قد زحمته المواد الأخرى ، وهو ــ أيضا ــ تثقيف علمى أكثر منه تهذيب أخلاقى .

ومع هذا القصور فى مناهج التعليم الدينى يخرج الشاب الى المجتمع فيجد فى كل خطوة يخطوها ما يبعده عن القيم الدينية الصحيحة، فوسائل الاعلام كلها من اذاعة مسموعة ومرئية ، ومن صحافة يومية وأسبوعية ، فيها من المغريات على التحلل أكثر مما فيها من المرغبات فى التماسك والحفاظ ، وليس شىء من ذلك فى حاجة الى ضرب الأمثلة ، أو ايراد الأدلة ، فكل من له بصر يعرف ــ وعن يقين ــ مدى ما تبذره المجلات المتحللة ، والتمثيليات العارية ، والكلمات المكشوفة من بذور الغواية والاضلال فى نفوس الشباب .

حتى الشاب الذى تسوقه الأقدار الى الانضواء تحت لواء جماعة دينية ، أو جماعة تتاجر بالتصوف ، هذا الشاب يفقد ايمانه بعد زمن

— يطول أو يقصر — فى جدوى هذا الانتماء ، ويظل هذا الشباب الذى لم ينل من التعليم الدينى ما يقيمه على الجادة ، والشباب الذى ظن أنه يجد فى بعض الجماعات ما يروى ظمأه الى التدين ، يظل هؤلاء وهؤلاء فى حيرة قد تؤدى بكثير منهم الى الانحراف ، والتمرد على المبادىء الدينية السمحة .

ولقد أدركنا كثيرا من شيوخنا ، والواحد منهم موسوعة علمية ، وأسوة حسنة ، وقدوة طيبة لكل من يخالطهم ، وهو شديد الحرص على أن يعطى عطاء وفيرا دون أن ينتظر على ذلك جزاء الا من الله تعالى .

ونحن نجد الآن المتخصص فى دراسة اللغة العربية مثلا يعتذر عن الفتوى لأنه — فيمايزعم — لايحسن الا اللغة العربية ، مع أنه قضى زمنا طويلا من عمره يدرس فى الأزهر ، ونجد المتخصص فى الفقه والأصول لا يعرف من اللغة العربية ما يعينه على فهم النصوص الدينية فهما صحيحا ، وحسبه أنه عرف أصول المسائل وفروعها فى الفقه ، ومثل هؤلاء لا يرجى منهم أن يضيفوا جديدا يستنبطونه من كتاب الله ، أو من سنة رسوله .

وطبيعى أنى لاأنكر ما للتخصص من فضل على العلم ، ولكنى أعتقد أن العالم الدينى لا يستطيع أن يقوم بواجبه الا اذا كان على المام واسع بكل العلوم التى تعينه على الفهم الصحيح لكتاب الله ، وسنة رسوله .

فهل يوجد فى المستقبل هذا العالم ؟

انى لأشك كثيرا أن تكون مناهج جامعاتنا الاسلامية ، وطريقة سير الدراسات فيها صالحة لأن تنجب لنا أمثال هؤلاء العلماء .

وأما التقاليد الاسلامية فمأساتها أعمق ايلاما للنفوس المؤمنة من مأساة التعليم ، فنظرة فاحصة واعية الى المجتمعات الاسلامية تؤكد للناظر — مع الأسف الشديد — أنها تبتعد يوما بعد يوم عن تقاليدها السليمة ، ويرجع ذلك — فيما

أرى ـ الى أسباب كثيرة لعل من أهمها الضائقة المالية التى يعيش فيها كثير من أفراد هذه المجتمعات ، والغنى الواسع الذى يعيش فيه آخرون ، فكلاهما الفقر المفرط ، والغنى المفرط يبعث على تنكب الطريق السوى •

والعاصم لهؤلاء وهؤلاء هو التدين الصحيح ، وليس الشيوعية التى من شأنها أن تفقر الغنى ، ولا تغنى الفقير •

ومن أسباب هذا التحلل من قيمنا الاسلامية أن الدوافع الى الفساد أقوى من الصوارف عنه •

وقد أشرت فيما سبق الى وسائل الاعلام ، وأشير هنا ـ وبتأكيد شديد ـ الى قوانين العقوبات التى تحكمنا فهى شديدة القصور ، ولا صلاح لمجتمعاتنا الا بتطبيق نصوص الشريعةالاسلامية ، وليست هذه النصوص ـ كما يتوهم بعضنا ـ مقصورة علىتطبيق حدود السرقة والقتل والزنى وشرب الخمر، بل انها تتناول جوانب كثيرة من حياة المجتمع ، ففى ظل الشريعة الاسلامية لا يمكن أن تقوم أوكار الفساد التى تعمل جهارا ، وفى ظل الشريعة الاسلامية لا يمكن أن يدخل على الناس فى بيوتهم هذه التمثيليات التى لا هدف لها الا الكسب المادى ، وربما كان لبعضها هدف أبعد ، هو افساد الناشئة •

وفى ظل الشريعة الاسلامية لا تستطيع المرأة أن تسير عارية فى الطرقات، ولا مبتذلةعلى الشواطىء، وفى ظل الشريعة الاسلامية لا يمكن احتكار أقوات الناس ، واتاحة الفرص للقادرين أن يأكلوا ويتمتعوا ، وللفقراء أن يموتوا جوعا •

وانى لأنتهز هذه الفرصة لأدعو المشتغلين بالفقه منا الى أن ينظروا بعقول مفتوحة ، وآفاق واسعة الى ما أعرضه عليهم •

لقد ذهب زياد بن أبيه واليا على العراق من قبل معاوية بن أبى سفيان ، وكان الفساد قد بلغ

أشـــده ، حتى انهم كانوا يخطفون النساء ، ويعتدون عليهن ، فخطبهم خطبته المشهورة بالبتراء ، وكان مما جاء فيها : (وقد أحدثتم أحداثا وأحدثنا لكل ذنب عقــوبة : فمن غرق قوما غرقناه ، ومن أحرق قوما أحــرقناه ، ومن نقب بيتا نقبنا عن قلبه ، ومن نبش قبرا دفناه فيه حيا) .

انى لأعرف أنه لا اجتهــاد مع النص ، ولكن ألا يمكن ــ وفى نطاق الشريعة الاسلامية ــ أن تشــدد العقوبات على بعض الجــرائم التى يرتكبها أفراد أو جمــاعات فتقضى على أمن المجتمع وسلامته .

ان هــذه صيحة انذار لكل من وضعته الأقــدار فى مكان الهيمنة على اصلاح المجتمع الاســلامى ، والبعد به عن مخــاطر الانزلاق فى مهاوى الرذيلة ، والتردى فى دركات التخلف والانحطاط .

ولست فى حاجة الى أنبــه دعاة الاصــلاح ، وقادة الرأى الى قول الشــاعر ــ وان كان فى غير هــذا الغرض ــ :

أرى خــلل الرمــاد وميض نار
ويوشــك أن يكون له ضرام
فان لم يطفهــا عقــلاء قــوم
(فان الحــرب أولهــا الكلام)

د. على محمد حسن العمارى

الأمـــة الإسلاميـة

فى طريقها الى النمو والازدهار

للأستاذ على عبد العظيم

وجه الاسلام اتباعه منذ نشأته الى الجمع بين السبحات الروحية والمنافع المادية فالعبادات الاسلامية كلها مرتبطة بطهارة الأرواح كما هى مرتبطة بالعناية بالأجسام ، واذا كانت الصلاة قائمة على الاتصال الروحى بفاطر الأرض والسموات ، فانها لايمكن أن تتم الا بعد طهارة الجسم والثوب والمكان ، وقد قرن الله أداءها بالسعى فى مناكب الأرض طلبا للرزق ، قال تعالى : « فاذا قضيت الصلاة فانتشروا فى الأرض وابتغوا من فضل الله » والصيام طهارة للأرواح كما هو علاج للابدان ، والزكاة طهارة للنفوس وطهارة ونماء للأموال واطمئنان وسكينة فى الأرواح ، قال تعالى (خذ من أموالهم صدقة تطهرهم وتزكيهم بها وصل عليهم ان صلاتك سكن لهم) والحج هجرة روحية تتبعها منافع مادية قال تعالى : (وأذن فى الناس بالحج يأتوك رجالا وعلى كل ضامر يأتين من كل فج عميق ، ليشهدوا منافع لهم ويذكروا اسم الله فى أيام معلومات ... « وقال سبحانه ـ بعد أن ذكر مناسك الحج ـ : « ليس عليكم جناح أن تبتغوا فضلا من ربكم » .

ونحن نعلم أن الشريعة اليهودية مقسمة بالأقواط فى الطابع المادى ، كما نعلم أن الشريعة النصرانية مقسمة بالأقواط فى الطابع الروحى ، ولكن الشريعة الاسلامية جمعت بين المادة والروح ، وبين العلم والعمل ، وبين الدنيا والآخرة وبين الأرض والسماء ، قال تعالى : « وكذلك جعلناكم أمة وسطا لتكونوا شهداء على الناس ويكون الرسول عليكم شهيدا » .

والعمل فى الاسلام عبادة ، والله تعالى يقول « وقل اعملوا فسيرى الله

عملكم ورسوله والمؤمنون » وقال صلى الله عليه وسلم : « ما أكل أحد طعاما قط خيرا من أن يأكل من عمل يده » وأخبرنا صلى الله عليه وسلم أن من الذنوب ذنوبا لاتكفرها صلاة ولاصيام ولا صدقة وانما يكفرها السعى فى سبيل الرزق •

***

وقد نبهنا القرآن الكريم فى أكثر من آية الى أن الله سخر لنا ما فى الأرض ليدفعنا دفعا الى استغلاله والى الانتفاع به فى شئون الحياة المادية والى اتخاذه وسيلة للجهاد فى سبيل الله ، قال تعالى : « هو الذى خلق لكم ما فى الأرض جميعا » وقال سبحانه « وسخر لكم ما فى السموات وما فى الأرض جميعا منه » وكما سخر الله لنا البر سخر لنا البحر لننتفع بما فيه من خيرات « وهو الذى سخر البحر لتأكلوا منه لحما طريا وتستخرجوا منه حلية تلبسونها وترى الفلك مواخر فيه ولتبتغوا من فضله ولعلكم تشكرون » والعرب مجموعة من القبائل البدوية ولكن القرآن الكريم ينبههم الى البحار وماتزخر به من لحم طرى ومن لؤلؤ ومرجان ، وما يسبح على لجاتها من سفن تنتقل على سطحها كالجبال قال تعالى: «ومن آياته الجوار فى البحر كالاعلام » وقال سبحانه « وله الجوار المنشآت فى البحر كالاعلام » والرسول صلى الله عليه وسلم يحض على الجهاد فوق أمواج البحار فيقول « غزوة فى البحر خير من عشر غزوات فى البر » رواه الحاكم وابن ما جه والرسول صلى الله عليه وسلم لم يتسع عمره للغزو فى البحر ، ولكنه كان يقود أمة وينشىء دولة ولهذا أمر بتعلم الأبناء السباحة فقال: «علموا أبناءكم السباحة والرماية » رواه البيهقى وابن منده •

ونحن نعلم أن السيطرة على البحار هى سبيل السيادة العالمية ، وقد أشار القرآن الكريم فى كثير من آياته البينات الى الضرب فى مناكب الأرض للدراسة والاستفادة ، قال سبحانه : « أفلم يسيروا فى الأرض فتكون لهم قلوب يعقلون بها أو آذان يسمعون بها» وقال تعالى« ولقد ذرأنا لجهنم كثيرا من الجن والانس لهم قلوب لا يفقهون بها ولهم أعين لا يبصرون

بهـا ولهم آذان لا يسمعون أولئك كالأنعام بل هم أضـل أولئك هم الغافلون » •

***

وهكذا أقام الاسـلام دولة قـوية فتية ودفعها دفعا قويا الى انشـاء حضـارة روحية وحضـارة مادية لم يشهد لهما العالم مثيلا الا فى دولة الاسلام : ومن العجيب أن الاسلام أقام هذه الدولة من أنقـاض قبائل متفرقة متناحرة ، مغرقة فى التخلف والجهـالة والفقـر وما كان يخطر على بال انسان أن تقوم بين هـذه القبائل دولة متماسكة قوية كالجسد الواحـد أو البنيان المرصـوص ، ولكن الايمـان يصنع المعجزات ، والله تعـالى يقـول « وألف بين قلـوبهم لو انفقت ما فى الأرض جميعا ما ألفت بين قلوبهم ولكن الله ألف بينهم انه عزيز حكيم » وكان من فضل الله عليهم أن بعث فيهم القائد الأمين والمعلم الأكبر والقدوة المثالية والرائد الأعلى للبشرية جميعـا ، محمد بن عبد الله صلى الله عليه وسلم: «هو الذى بعث فى الأميين رسولا منهم يتلـو عليهم آياته ويزكيهم ويعلمهم الكتاب والحكمة وان كانوا من قبل لفى ضلال مبين » •

وكان منهجه صلوات الله وسلامه عليه فى انشاء هذه الأمة المثالية يقوم على الأسس التالية :

١ ـ العلم العميق القائم على التفكر والتـدبر فى ملكـوت السـموات والأرض قال تعالى: «أفلم ينظروا فى ملكوت السموات والأرض وما خلق الله من شىء » وقال سبحانه : «وفى الأرض آيات للموقنين وفى أنفسهم أفـلا تبصرون » وكانت أول أيـة قرآنية قرعت أسـماع البشر تنـوه بالقراءة والقلم والعلم « اقرأ باسم ربك الذى خلق • خلق الأنسان من علق • اقرأ وربك الأكرم • الذى علم بالقـلم • علم الانسان ما لم يعلم » قال صلى الله عليه وسلم : « فضل العالم على العابد سبعون درجة ما بين كل درجتـين كما بين السـماء والأرض » رواه أبو يعلى فى مسنده وقال عليه الصلاة والسلام: « من سلك طريقا يلتمس فيه علما سهل الله له به طريقا الى الجنـة » رواه مسلم •

٢ ـ الايمان الصادق الذى يصل المؤمن بربه فيعبده ويستعين به ويراقبه ويطلب هدايته وتوفيقه عالما أن الهداية من الله وحده : « ومن يهد الله فما له من مضل » قال تعالى : « ان الذين آمنوا وعملوا الصالحات يهديهم ربهم بايمانهم » وقال سبحانه : « ومن يؤمن بالله يهد قلبه » وقال عز وجل : « ان الذين لا يؤمنون بآيات الله لا يهديهم الله ولهم عذاب أليم » ولقد علم المؤمنون علما يقينيا أنه من يتق الله يهده : « ومن يتق الله يجعل له من أمره يسرا » قال تعالى: «يأيها الذين آمنوا اتقوا الله وآمنوا برسوله يؤتكم كفلين من رحمته ويجعل لكم نورا تمشون به » وقد علم الجميع أن لا سبيل الى النور الا من الله وحده : « ومن لم يجعل الله له نورا فما له من نور » وهكذا تأسست دولة العلم والايمان وقامت عمليا على أقوى الأركان .

٣ ـ ان الأخلاق هى قوام الأمم وأساس تماسكها وقوتها وازدهارها والتربية الأخلاقية تقوم على دعامتين رئيسيتين هما : رمز اسمى ترتبط به قلوب الأمة ، وقدوة عملية مثالية تقود الى هذا الرمز الكريم أما الرمز السامى فى الاسلام فهو عبادة الله سبحانه وتعالى فانه ما خلقنا الا لعبادته قال تعالى : « وماخلقت الجن والانس الا ليعبدون » ولهذا لا يكمل ايمان المؤمن الا اذا كان الله ورسوله أحب اليه مما سواهما قال تعالى : «قل ان كان آباؤكم وأبناؤكم واخوانكم وأزواجكم وعشيرتكم وأموال اقترفتموها وتجارة تخشون كسادها ومساكن ترضونها أحب اليكم من الله ورسوله وجهاد فى سبيله فتربصوا حتى يأتى الله بأمره والله لا يهدى القوم الفاسقين » .

ومحبة الله ورسوله تسرى كالتيار الكهربائى فى قلوب المؤمنين فتربطهم جميعا بمحبة الله فيصبحون وحدة متماسكة مترابطة كل الترابط فى السراء والضراء روى الشيخان عن النبى صلى الله عليه وسلم : « ثلاث من كن فيه وجد حلاوة الايمان فى قلبه : أن يكون الله ورسوله أحب اليه مما سواهما ، وأن يحب المرء لا يحبه الا لله ، وأن يكره أن يعود

فى الكفر كما يكره أن يقذف فى النار » وقال صلوات الله وسلامه عليه : « لا يؤمن أحدكم حتى يحب لأخيه ما يحب لنفسه ، رواه الشيخان والترمذى والنسائى وغيرهم، هذا هو الرمز الأعلى للايمان ، أما القدوة المثالية السامية التى تقودنا الى هذا الرمز العظيم فهى شخصيا الرسول صلى الله عليه وسلم الذى قال الله فيه : « وانك لعلى خلق عظيم» وقال عليه الصلاة والسلام : « انما بعثت لأتمم مكارم الأخلاق»، رواه البخارى فى الأدب والحاكم فى المستدرك وغيرهما •

٤ ـ الجهاد فى سبيل الله ويكون بقتال أعداء الاسلام والتضحية بالنفوس والأموال فى هذا المجال طلبا للشهادة أو النصر قال تعالى : « ان الله اشترى من المؤمنين أنفسهم وأموالهم بأن لهم الجنة » ويكون باللسان والقلم أيضا للأمر بالمعروف والنهى عن المنكر والتواصى بالحق والتواصى بالصبر مع احتمال ما يتعرض له الداعية من أذى فى سبيل دعوته ، كما يكون الجهاد بالقلب أيضا ومعناه المقاطعة الجماعية للطغاة والعصاة المنحرفين عن سبيل الله وبهذا الجهاد أصبح المسلمون « خير أمة أخرجت للناس » •

٥ ـ الحرص على عزة النفس وكرامتها فمن فقد عزته فانه يفقد كرامته البشرية التى أعلنها الله فى كتابه الكريم حيث يقول « ولقد كرمنا بنى آدم وحملناهم فى البر والبحر ورزقناهم من الطيبات وفضلناهم على كثير ممن خلقنا تفضيلا » والله تعالى يقول: «ولله العزة ولرسوله وللمؤمنين «والرسول صلى الله عليه وسلم يقول: « اطلبوا الحوائج بعزة الأنفس فان الأمور تجرى بالمقادير» وقد ورد فى الأثر : « من أعطى الذلة من نفسه طائعا غير مكره فليس منا » ووصف الله عباده الذين يحبهم ويحبونه بأنهم « أذلة على المؤمنين أعزة على الكافرين » •

٦ ـ الحرص على القوة وقد وصف الله المؤمنين بأنهم «أشداء على الكفار رحماء بينهم » ودعا المجاهدين فى سبيله الى اعداد وسائل القوة المعنوية والمادية حيث قال سبحانه: « وأعدوا لهم ما استطعتم من قوة

عدو الله وعدوكم .. » ومن وسائل القوة المال والسلاح والتدريب الكامل على استعماله واتخاذ وسائل الدعاية القوية فى سبيل احقاق الحق وابطال الباطل وكان الرسول صلى الله عليه وسلم يعنى بالدعوة الاسلامية عن طريق القرآن الكريم وعن طريق الخطابة وعن طريق الشعر وكان العرب مفتونين بالشعر وهو عندهم يؤدى دور الصحافة والاذاعة لدينا الآن وكان النبى صلى الله عليه وسلم يقول لحسان بن ثابت زعيم شعراء المسلمين فى عصره: « قل فوالله للسانك أشد عليهم من وقع السهام فى غلس الظلام » فكان حسان يخرج لسانه فيضرب به أرنبة أنفه ويقول : « والله لو وضعته على شعر لحلقه أو على صخر لفلقه » كما كان صلوات الله وسلامه عليه يعنى بالتدريب الدائم على أساليب القتال وبخاصة الرماية ويقول فى ذلك : « ألا ان القوة هى الرمى ألا ان القوة هى الرمى ألا ان القوة هى الرمى » ويقول « المؤمن القوى خير وأحب الى الله من المؤمن الضعيف وفى كل خير » .

٧ ــ الحرص على اختيار الرجل المناسب للمكان المناسب دون مجاملة او محاباة وقد حدد القرآن الكريم شرطين أساسيين لولاية المناصب المهمة هما الأمانة المطلقة والعلم الغزير بما يليه الوالى من أعمال ، ويتجلى هذا فى قول يوسف عليه السلام لملك مصر : اجعلنى على خزائن الأرض انى حفيظ عليم » وكل منصب له علم يناسبه فالقائد الحربى ينبغى أن يكون عليما بأساليب القتال خبيرا بأنواع السلاح والتدريب عليه ملما بطبيعة الارض التى يحارب عليها ، عارفا بقوة أعدائه وأساليبهم فى القتال . والوالى ينبغى أن يكون خبيرا بأساليب الادارة والسياسة وشئون الرعية والقاضى يكون عالما بالقانون وطبائع النفوس ... وقد طبق الرسول صلى الله عليه وسلم هذا المبدأ تطبيقا حازما ولما سأله أبو ذر أن يعهد اليه بولاية عمل قال له : « يا أبا ذر انك ضعيف وانها أمانة وانها يوم القيامة خزى وندامة ، الا من أخذها بحقها وأدى الذى عليه فيها » رواه مسلم وروى أحمد والحاكم عن يزيد ابن أبى سفيان قال : قال لى أبو بكر حين بعثنى الى الشام : يا يزيد ان لك قرابة عسيت أن تؤثرهم بالامارة

وذلك أكثر ما أخاف عليك بعد ماقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «من ولى من أمر المسلمين شيئا فأمر عليهم أحدا محاباة فعليه لعنة الله لا يقبل الله منه صرفا ولا عدلا حتى يدخله جهنم» .

٨ - عنى الرسول صلى الله عليه وسلم عناية تامة باختيار حاشيته وبطانته المحيطين به والواقع أن أخطر نكبة تصيب الحاكم انما تأتيه من قبل حاشيته وبطانته فانه يسمع بآذانهم ويرى بأعينهم ويصدر عن رأيهم وبعض رجال الحاشية يتقنون النفاق والتزلف للحكام طلبا لمنافعهم الخاصة وترويجا للباطل ودفعا للحق ولقد تنبه عبد الملك بن مروان لهذا حينما جاءه أعرابى وقال له : لك عندى نصيحة فاخلنى فأمر باخلاء مجلسة ثم قال له : لى عليك ثلاث قبل أن تتكلم : لا تكذب على فسينكشف كذبك لامحالة وحينئذ أجعلك عبرة لكل معتبر ولا تمدحنى فأنا أعلم بعيوبى منك ولا تغتب عندى أحدا حتى تستعد لمواجهته وان شئت أعفيتك ، قال أعفنى يا أمير المؤمنين، والقرآن الكريم ينهانا عن موالاة الظالمين قال تعالى : « ولا تركنوا الى الذين ظلموا فتمسكم النار وما لكم من دون الله من أولياء ثم لا تنصرون » . وروى البخارى عن النبى صلى الله عليه وسلم أنه قال : « ما بعث الله من نبى ولا استخلف من خليفة الا كانت له بطانتان بطانة تأمره بالمعروف وتحضه عليه وبطانة تأمره بالشر ، وتحضه عليه والمعصوم من عصمه الله » . وروى أبو داود باسناد جيد عن النبى صلى الله عليه وسلم قوله : « اذا أراد الله بالأمير خيرا جعل له وزير صدق ان نسى ذكره وان ذكر أعانه واذا أراد به غير ذلك جعل له وزير سوء ان نسى لم يذكره وان ذكر لم يعنه » .

هذه المامة وجيزة بأهم الدعائم القوية التى قامت عليها الأمة الاسلامية فى ضوء القرآن الكريم وسيرة النبى العظيم والحديث الشريف .

* * *

وفى ضوء الاسلام وعلى هديه استطاع المسلمون أن يكونوا أعزاء بعد الذل أقوياء بعد الضعف علماء بعد الجهل وأصبحوا القوة الأولى فى العالم زهاء ألف عام بل استطاعت دولة واحدة من دول الاسلام هى مصر الاسلامية أن تقف فى وجه دول

أوربا وغزواتها الصليبية نحو مائتى عام صدتها فيها عن حوزة الاسلام وانتصرت عليها أعظم انتصار، واستطاعت مصر الاسلامية أيضا أن تقف فى وجه قارة آسيا بأكملها محتشدة فى غزوات التتار وتكسرت أمواج هذه الغزوات البربرية على تخوم مصر التى اعتزت بالعلم والايمان ، ولما ضعفت قوة الايمان فى نفوس الشعوب الاسلامية تفرق شملهم وتمزق جمعهم وسقطوا دولة بعد دولة تحت وطأة الاستعمار الغربى العنيف .

* * *

ولكن الأمة الاسلامية تيقظت من سباتها العميق واستطاعت أن تسترد استقلالها من براثن الاستعمار وهى الآن فى سبيلها الى أن تسترد مكانتها المجيدة فى موكب المدنية والعمران واعتقد أن القرن الخامس عشر الهجرى « الحادى والعشرين الميلادى » سيشهد هذا البعث الجديد، ولا أقول هذا رجما بالغيب ولا تعلقا بالأحلام أو الأوهام وانما استند فى رأيى على الأدلة المادية والبراهين العقلية التى ترتكز على أن اتحاد العرب هو نواة الاتحاد للأمة الاسلامية . والعرب الآن فى طريقهم الى الوحدة للأسباب الآتية :

أولا : الوحدة الجغرافية المتكاملة فالأمة العربية واحدة متصلة جغرافيا وهى تقع فى ملتقى القارات الكبرى الثلاث وتمتاز بأنها متصلة بدول أفريقيا و آسيا و أوربا اتصالا وثيقا وهى أكثر من ثلثى سكان العالم كما أنها تسيطر على أهم طرق التجارة العالمية بين الشرق والغرب وتقع على شواطىء بحار تعد أغنى بحار العالم بالثروة المائية وجوها صالح لانتاج معظم حاصلات العالم الزراعية فاذا استطاعت استغلال هذا الموقع الفريد أصبحت فى مقدمة دول الحضارة والعمران .

ثانيا : الوحدة الاجتماعية فى الجنس واللغة والتاريخ والعادات والتقاليد والبلاد العربية وهى مهبط الديانات السماوية وبخاصة الاسلام الذى الغى الحدود الفاصلة بين شعوبه وجعل منهم وحدة متماسكة قال صلى الله عليه وسلم « المؤمن للمؤمن كالبنيان يشد بعضه بعضا » « رواه الشيخان وغيرهما وروى مسلم وأحمد عن النبى صلى الله عليه وسلم » مثل المؤمنين فى توادهم وتراحمهم وتعاطفهم مثل

الجسد اذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الأعضاء بالسهر والحمى» وعلاقة بعض المسلمين ببعض هى علاقة الاخوة والولاء ، قال تعالى : «انما المؤمنون اخوة» وقال سبحانه: « والمؤمنون بعضهم أولياء بعض » وهذه الولاية منبعثة من ولاية الله سبحانه للجميع قال تعالى :«الله ولى الذين آمنوا » وقال سبحانه:«انما وليكم الله ورسوله والذين آمنوا الذين يقيمون الصلاة ويؤتون الزكاة وهم راكعون » وهذا الولاء القوى المتين هو أوثق الروابط التى تربط جميع المسلمين فى شتى البلاد « ذلك بأن الله مولى الذين آمنوا وان الكافرين لا مولى لهم » .

ثالثا : التكامل الاقتصادى بين الدول العربية فقد منحها الله أعذب أنهار العالم وأخصب أراضى العالم وأمدها بالثروات المائية والزراعية وأودع باطن أراضيها ثروات معدنية طائلة وطاقات هائلة من البترول والفحم والحديد وهى أساس المدنية الحديثة ومصدر الحضارة والعمران ولا تزال تكشف يوما بعد يوم ما فى جوف أرضها من خيرات لا تنضب وفيها مع هذا كله أثار حضارة معدومة النظير تجذب اليها ملايين السائحين واذ كنا على أبواب استغلال الطاقة الشمسية فان البلاد العربية بحكم مناخها تستقبل هذه الطاقة على أوسع نطاق طول العام على العكس من الدول الأوربية التى تحتجب شمسها وراء السحب الكثيفة والضباب الغزير معظم أيام العام .

رابعا : ونتيجة لما سبق قامت مؤسسات ضخمة تربط البلاد العربية والاسلامية أوثق الروابط فى كل مجال مثل الجامعة العربية التى تضم أكثر من عشرين دولة ومثل منظمة الوحدة الأفريقية التى تضم دول أفريقيا العديدة وتربطها مع البلاد العربية أوثق الروابط ، ومثل المؤتمر الآسيوى الأفريقى الذى يضم دول القارتين معا بما فيهما من دول عربية واسلامية عديدة يبلغ سكانها مئات الملايين ، هذا الى الأزهر المؤسسة الاسلامية الكبرى التى تستقبل آلاف الطلبة من المسلمين فى كل عام ينهلون من مواردها العذبة « ليتفقهوا فى الدين ولينذروا قومهم اذا رجعوا اليهم لعلهم يحذرون » فضلا عما تستقبله جامعات مصر فى كل عام من

الطلبة العرب والمسلمين وعددهم الآن يناهز الأربعين ألفا وجمهورية مصر العربية ترسل أكثر من عشرة آلاف عالم ومدرس وامام وواعظ وقارىء للقرآن الكريم الى شتى الدول الاسلامية والعربية فى كل عام .

خامسا : فى البلاد العربية والاسلامية الآن نهضة علمية رائعة تمثلها عشرات الجامعات فى ربوع العالم الاسلامى وقد تخرج منها عدد كبير من أكبر نوابغ العالم وهم يؤدون رسالتهم العلمية فى جامعات العالم الكبرى فى أمريكا وأوربا وغيرها من دول الحضارة والعمران ولهم مكانتهم المرموقة فى الأبحاث والدراسات العلمية والمؤتمرات الدولية فى علوم الفضاء والذرة والكهرباء والطب والهندسة وعلوم البحار ... مما يبشر بنهضة علمية كبرى تنتج أطيب الثمرات .

سادسا : ان الدول العربية والاسلامية بدأت تفىء الى تعاليم الاسلام وأشعتها الوضاءة فالقرآن الكريم تردده جميع الاذاعات صباحا مساء والدراسات القرآنية تحملها عشرات الآلاف من الكتب والصحف والمجلات الى ملايين القراء فى كل دول من الدول العربية والاسلامية ، والمؤتمرات الاسلامية تنعقد فى معظم العواصم العالمية ؛ والمساجد العظمى والمراكز الاسلامية العديدة يتم تشييدها فى الحواضر العالمية الكبرى سواء كانت تدين أم لاتدين بالاسلام .

سابعا : ان دول العالم كلها فى طريقها الى التكتل أو الاتحاد يدفعها الى هذا حتمية الأوضاع القائمة الآن فان تقدم المواصلات تقدما مذهلا جعل شعوب العالم كله تتقارب ومصالحها تتشابك ممافرض عليهم التلاحم فرضا فظهرت الآن الكتلة الشرقية والكتلة الغربية ودول عدم الانحياز وهذا يقتضى اتحاد الدول العربية والاسلامية وهذا الاتحاد آت لا محالة طال الزمن أم قصر وعلينا أن نقرب هذا اليوم المرتقب بكل الوسائل الروحية والمادية لأن الله أراد للمسلمين جميعا فى كل أرجاء الأرض أن يكونوا أمة واحدة تعبد الها واحدا قال تعالى: «ان هذه أمتكم أمة واحدة

وأنا ربكم فاعبدون» وقال سبحانه: « وان هذه أمتكم أمة واحدة وأنا ربكم فاتقون » •

* * *

والانصاف يقتضينا أن نقول ان طريق الوحدة العربية والاسلامية ملىء بالعوائق غاص بالعقبات فان الدول الكبرى المسيطرة على العالم الآن تخشى قيام هذه الوحدة على مصالحها الكبرى فى ربوع العالم الاسلامى وقد بادرت فى مطلع هذا القرن بالغاء الخلافة الاسلامية ومقاومة الوحدة العربية ومن وسائلها فى هذا المجال :

١ ــ نشاط حركة التبشير فى كثير من البلاد الاسلامية عن طريق المدارس والكليات والمؤسسات الاجتماعية والمستشفيات والمراكز الثقافية بما تصدره من صحف ومجلات وما تبثه من اذاعات وما تخرجه من أفلام ومسرحيات •

٢ ــ اثارة الفتن السياسية وبعث الخلافات الطائفية واثارة المطامع والأهواء فى نفوس بعض الحكام المسلمين وأحداث الانقلابات العديدة لتأخير حركة النمو والازدهار، وهذا الى عرس اسرائيل فى قلب العالم الاسلامى كالخنجر المسموم لشغله عن التقارب والاتحاد •

٣ ــ الغزو الفكرى للشباب الاسلامى يصرفه عن عقيدته السمحة وعن دينه القويم عن طريق الماركسية أوالوجودية أو العلمانية أوالماسونية أو تشجيع الاتجاهات الاجتماعية الهدامة مثل الخنافس والهيبز وجماعات العبث واللامعقول والساخطين •

٤ ــ تشجيع الطوائف المنحرفة عن الاسلام مثل القاديانية والبهائية والاغاخانية والمهاريشية التى ظهرت حديثا فى أمريكا بوصفها دين الفكر الخلاق ــ كما يزعمون ــ والتى يحاولون تصديرها الينا بديلا عن الاسلام •

والمجال لا يتسع الآن لسرد هذه العوائق جميعا ولكننا قادرون بعون الله وتوفيقه على تخطيها وعلى تحقيق النهضة الاسلامية الكبرى وهى آتية لا محالة لأن الله وعدنا بها ــ والله لا يخلف وعده ــ حيث قال: «يريدون

أن يطفئوا نور الله بأفواههم ويأبى الله الا أن يتم نوره ولو كره الكافرون . هو الذى أرسل رسوله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله ولو كره المشركون» وسيظهره بفضله عن قريب .

ان الحضارة الغربية الغارقة الآن فى ماديتها المحضة تكاد تدمر نفسها تدميرا ولا سبيل لانقاذها من هذا المصير الرهيب الا بأن تضم الى حضارتها المادية حضارة روحية توازنها ، ولن تستطيع الجمع بين الحضارتين الا فى ظل الاسلام ، فان يدا واحدة لاتصفق وان جناحا واحدا لا يحلق ، وان رجلا واحدة لا تسبق « أفمن يمشى مكبا على وجهه أهدى أم من يمشى سويا على صراط مستقيم » .

ولقد تنبأ كثيرون من كبار المفكرين فى العالم بأن شمس الاسلام ستشرق على العالم من جديد ، وحسبنا الآن ما أعلنه المفكر الأديب العالمى الكبير « برنارد شو » وأذاعه على العالم الغربى فى قوة ويقين حيث قال : « ان أوروبا بدأت تحس الآن حكمة محمد وبدأت تعشق دينه ... وان كثيرين من مواطنى (فى انجلترا) ومن الأوربيين الآخرين يقدسون تعاليم الاسلام ولذلك يمكننى أن أؤكد نبوءتى فأقول: ان بوادر العصر الاسلامى الأوربى قريبة لا محالة .. اننى أعتقد أن رجلا كمحمد لو تسلم زمام الحكم المطلق فى العالم بأجمعه اليوم لتم له النجاح فى حكمه ولقاد العالم الى الخير ، ولحل مشكلاته على وجه يحقق للعالم كله السلام والسعادة المنشودة » .

* * *

فيامعشر المسلمين لقد بدأت بوادر النصر والفتح المبين فضاعفوا جهودكم وجهادكم والله معكم، واعلموا ان العاقبة للمتقين وان الله لا يضع أجر العاملين .

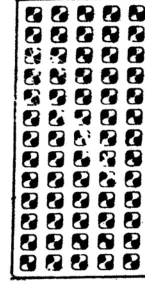
على عبد العظيم



كاتب مقال : (الأمة الاسلامية في طريقها الى النمو والازدهار)

على عبد العظيم

تخرج من الدراسات العليا بكلية دار العلوم وشغل كثيرا من الأعمال التربوية والادارية والفنية منها مدير قسم المخطوطات والقسم الأدبى بدار الكتب ، ومدير الادارة الفنية بالمؤتمر الاسلامى ، ومدير الوثائق والمكتبات بالاوقاف وعمل أستاذا بالمعاهد العليا والكليات فى مصر والبلاد العربية والغربية ويعمل الآن خبيرا فنيا بمجمع البحوث الاسلامية بالأزهر وصلاته وثيقة بالأزهر وعلمائه منذ نشأته ؛ ويشترك فى كثير من لجان المجمع وله مؤلفات ودراسات عديدة نشرتها له هيئات رسمية ، ونال عن بعضها الجائزة الأولى ومنها ما يدرس بالجامعات العربية . وتنشر الصحف والمجلات المصرية والعربية مقالاته وأبحاثه بصفة دورية ، وله نشاط كبير فيما يلقيه من محاضرات اسلامية عديدة فى الأندية والجمعيات والكليات الجامعية ، وأسهم فى كثير من المؤتمرات الأدبية والاسلامية فى مصر والخارج وأقصى آماله أن يلقى الله مجاهدا تحت راية القرآن الكريم .



تفقيه الاقتصاد الإسلامي وتجديد فقه المعاملات

للأستاذ زيدان أبو المكارم

ـ ما معنى ذلك ؟ وما الضرورة التى تدعو اليه ؟

ـ معناه : أن يصبح للاقتصاد الاسلامى أصول واضحة ، مجمع عليها ، وقواعد ظاهرة مأخوذة من تلك الأصول ، وأحكام تفصيلية حاسمة ، مستنبطة بالأدلة الصحيحة، يستطيع كل مكلف أن يعرف منها الحلال والحرام حين يضرب فى الأرض التماسا للطيبات من الرزق .

ـ كما يستطيع المسلم أن يعرف فرائض الصلاة وسننها ومستحباتها، وشرائط الصلاة المقبولة ، والصلوات التى يفترض عليه أداؤها ، ويستطيع أن يعرف ما هو تطوع غير مفروض .

ـ كذلك ينبغى أن يكون بوسع كل مكلف أن يعرف الحلال والحرام من المعاملات مع سائر الناس ، ومع الدولة التى يعيش فى حمايتها .

ـ والضرورة الحضارية الاسلامية تدعو الى ذلك :

ـ ان المشكلة الأولى التى تتصدر مشكلات العالم فى جميع أنحاء الأرض هى (المشكلة الاقتصادية)، وقد أصبحت بتغلغلها فى حياة البشر ، وانشغال الناس بها تدخل عنصرا فعالا فى كل مشكلة تعترض حياة الأفراد والجماعات والدول .

ـ والذى يتتبع كتابات الكاتبين فى (الاقتصاد الاسلامى) ـ الا قليلا منهم ـ يلاحظ أنهم لا يزالون فى مرحلة الاجابة عن السؤالين الآتيين :

ـ هل يملك الاسلام مذهبا اقتصاديا متميزا عما يعرفه الناس فى عالم اليوم من مذاهب ؟

ـ هل يخرج المذهب الاسلامى عن أن يكون : رأسماليا ، أو اشتراكيا ؟ أو مزاجا منهما ؟ أو مما اشتق منهما من مذاهب واتجاهات ؟

ـ وفى سبيل التقدم فى هذا المجال ، وتخطى هذه المرحلة النظرية الى ما يليها من المراحل العملية صدرت قرارات ، نذكر منها ما أعلنه (المؤتمر السابع لمجمع البحوث الاسلامية) (١) :

ـ « يعلن المؤتمر أن (الاقتصاد الاسلامى) نظام متميز عن غيره من المذاهب الاقتصادية ، يقوم على أصول ثابتة ، أوردتها نصوص كلية فى القرآن الكريم والسنة النبوية ، تكفل الكرامة الانسانية ، والعدالة الاجتماعية ، وتوجب السعى فى الحياة بالعمل الفكرى والبدنى ، وتحمى الكسب الحلال ، ولا تحد من حرية السعى أو الكسب أو الابتكار بالالتزام بأوامر الشريعة ، وما تقتضيه من مصالح الجماعة . مع ملاحظة أن لكل قطر أن يطبق من التنظيمات والتطبيقات الاقتصادية المنبثقة عن هذه الأصول الثابتة مايوافق حاجته وظروفه ... » .

ـ وبعد نحو أربع سنوات أصدر « المؤتمر العالمى الأول للاقتصاد الاسلامى » (٢) قراراته وتوصياته ، وجاء فى مقدمة ذلك قوله :

ـ « ان الأمة الاسلامية قد أدركت فى وضوح حاجتها الى الأصالة الاسلامية فى الفكر والتطبيق ؛ لتحقق معنى وجودها ، وتأخذ مكانها القيادى فى هداية البشرية .

واتفق المؤتمر على أن مجموعة المبادىء والأصول والقواعد التى

---

(١) عقد هذا المؤتمر فى القاهرة (شعبان سنة ١٣٩٢ هـ سبتمبر سنة ١٩٧٢ م) فى رحاب الأزهر .

(٢) عقد هذا المؤتمر فى مكة المكرمة (صفر سنة ١٣٩٦ هـ ـ فبراير سنة ١٩٧٦ م) بدعوة من جامعة الملك عبد العزيز .

تتناول تنظيم جوانب النشاط الاقتصادى فى حياة الفرد والمجتمع : تشكل أسس البنية الاقتصادية ، أو هيكل النظام الاقتصادى فى الاسلام ، وتستنبط من القرآن والسنة » .

ـ والقارىء يرى أن المؤتمرين يطبقان على أن :

١ ـ للاسلام مذهبا اقتصاديا أصيلا متميزا عن غيره .

٢ ـ وأن المصدر المعتمد فى معرفة (الاقتصاد الاسلامى) هو النصوص القرآنية والنبوية .

٣ ـ أنهما لم يجعلا (الفقه الاسلامى) المدون فى العصور المختلفة مصدرا أساسيا لتصوير المذهب الاسلامى ؛ لأن ذلك الفقه هو ثمرة اجتهاد أئمة عظام ، وعلماء أعلام ، ولكنهم برغم ذلك عرضة للخطأ والصواب ؛ لأنهم غير معصومين ، والفكر البشرى يقبل منه ويرد عليه بميزان النصوص القرآنية والنبوية ؛ لأنه لا يجوز أن يتقدم عليها غيرها .

* * *

ـ ان الثمرة العملية بعد هذا انما تتحقق بما ندعو اليه اليوم من تفقيه (الاقتصاد الاسلامى) كسائر أبواب الفقه الاسلامى .

ـ وفى هذا المجال يجب على كل باحث أن يلتزم طرق البحث فى (الفقه الاسلامى) وأصول الاستنباط من النصوص كما عرفت من (علم أصول الفقه) ، وبذلك نخرج من التعميمات ، ومن الأساليب الانشائية الجميلة التى لا يزال يستعملها كثير من الباحثين فى الاقتصاد الاسلامى .

ـ ان اتباع الطريقة التى أشرنا اليها سوف يعيد الى جماهير المسلمين فى أنحاء الأرض وعيها برقابة الله ، ويطمئن ضمائرها على أنها تسير فى أعمالها ومعاملاتها على ما يرضى ربها من هداية ورشاد ، ويجعلها تنطلق فى قوة وانتظام التماسا للحلال الطيب من الرزق فى كل مجال ، وهى على بينة من أمرها ، لا يؤرقها التباس الطريق بالحرام وشبهات الحرام ، والخوف من المحق والتخبط الشيطانى الذى

توعد الله به آكلى الربا والسحت ، وذلك حين يصبح (الاقتصاد الاسلامى) فقها من الفقه يعتمد على الكتاب والسنة ووسائل الاستنباط منهما المعروفة فى (علم أصول الفقه) .

* * *

ــ عند الاقتصاديين ما يعتبرونه قوانين طبيعية ، كقانون العرض والطلب ، والتحليل الاقتصادى للأثمان ، وبيان كيف تتحدد ، ويعتبرون ذلك (علم الاقتصاد) وقوانينه تشبه قوانين الجماد والنبات .

ــ وعندهم مجموعة أخرى من البحوث تعتمد على دراسة أساليب استخدام تلك القوانين فى مواجهة المشكلات ، لاختيار أحسنها فى مباشرة العلاج ، ويسمون هذا : (الاقتصاد السياسى) .

ــ وعندهم أخيرا (المذاهب الاقتصادية) ، وذلك حيث يلتزم الباحث بطريقة معينة يختارها حين يعالج مشكلة اقتصادية ، ومن أجلها يفضل تفضيلا مطلقا أسلوبا معينا فى العلاج (١) .

ــ ما موقف الاقتصاد الاسلامى من كل ذلك ؟

ــ ان الاسلام يأمر الناس أن يتعرفوا على قوانين الله فى الخلق ، ويأمرهم أن يستخدموها ، ويستعينوا بها على أداء رسالتهم فى الحياة ، فاذا عرفوا (قانون الكهرباء) فعليهم أن يتحكموا فيها ؛ لتضىء ، وتحرك الآلات ، وتنضج الطعام .. الخ وعليهم أن يتخذوا وسائل الوقاية من أضرارها حتى لا تصعق أحدا ، أو تحرق شيئا نافعا .

ــ وهنا يواجه الباحث فى الاقتصاد الاسلامى سؤالا تجاه كل ما يسمى قانونا اقتصاديا علميا ، مثل :

ــ ما موقف الاقتصاد الاسلامى من قانون العرض والطلب ؟

(١) تاريخ الفكر الاقتصادى ، د . لبيب شقير ص ٩ ــ ١١

ــ هل يخضــع له كل شىء فى الاقتصاد ، ويجعله صنما معبودا ؟

ــ هل يمضــيه أحيانا ، ويوقفه أحيانا أخرى ؟

ــ ما مواطن الاســتفادة مــن تطبيقه ؟

ــ ولا يعطى اجابة من عنــده ، وانما يبحث عن الاجابة فىالنصوص القــرآنية والنبوية متبعــا فى ذلك أســاليب الاســتنباط المقــررة فى (أصول الفقه) •

ــ وبهذا الأسلوب لن تكون له سياسة ولا مذهب يخالف النصوص القرآنية أو النبوية •

ــ وهنالك قضايا رئيسية أخرى لابد أن يجيب عنهــا (الاقتصــاد الاســلامى) مستوحيا اجابته من النصوص القرآنية والنبوية ، مثل :

ــ ما الغاية من الاقتصاد : وفرة الانتــاج ؟ المساواة بين النــاس ؟ العــدالة الاجتمــاعية ؟ الرفاهية ؟ الحياة الطيبة فى الدنيا والآخرة ؟

ــ على أى أســاس يتم توزيع الدخــل القــومى : على أســاس المساواة ؟ أم بحسب الجهد والعمل؟ أم بحسب حاجة كل فرد ؟

ــ ما وظيفــة الدولة فى ميدان الاقتصاد ؟ ما ضوابطهــا وحدودها وغاياتهــا ؟ هل هى ثابتة ؟ أو أنه يجب أن تزداد أو تتناقص بحسب الحاجة اليها للوصــول الى الغايات المقصودة ؟

ــ ما دور المقاييس فى الاقتصاد الاسلامى ؟

ــ المكاييل والموازين ، الأطوال والأحجــام ، من الناحية المــادية ، وتأتى كذلك القيم المعنوية لقياس : الخدمات والجودة ، والنوع فى كل أصناف الأشياء ، وأنماط السلع •

ــ ومن هنا تبرز ضرورة ماندعو اليه من :

تنقيه الاقتصــاد الاســلامى ، وتأصيله ! !

* * *

تجديد فقه المعاملات :

ــ ان الفقه الاسلامى يمثل ركنا أساسيا خطيرا فى كيان الحضــارة

الاسلامية ، ولا يمكن فهم النفسية المتميزة للمسلمين ، والتعامل معهم بنجاح دون دراسة الفقه الاسلامى، فهو علم عملى معنوى فلسفى ، يحكم فى اطاره التفصيلى الشامل تصرفات كل مسلم ؛ انه يمثل قانون السلوك ، ويمثل الفلسفة التى توحى ، والضمير الذى يأمر وينهى .

ــ « يأيها الذين آمنوا أطيعوا الله ورسوله ولا تولوا عنه وأنتم تسمعون » ٨ : ٢٠ .

ــ فالايمان بالله ورسوله يلزم بالطاعة لله ورسوله ، والفقه هو الذى يبين تلك الأوامر والنواهى المستنبطة من القرآن والسنة .

ــ والاقتصاد الاسلامى يتصل اتصالا عاما بالفقه الاسلامى ويتصل اتصالا مباشرا أصيلا بقسم معين هو الذى اصطلح الفقهاء على تسميته : (المعاملات) أو (فقه المعاملات) .

ــ والضرورة اليوم تدعو الى تجديد هذا القسم (فقه المعاملات) الذى تجمد تجمدا أصبح يعوق مسيرة المسلمين أفرادا وجماعات ، من حيث انه يترك الباب مفتوحا أمام الشك والخوف من الحرام والسحت والربا وشبهاته ، ويصبح المسلم مضطربا بين الاقدام والاحجام فى معاملاته الحيوية ، ونشاطه الاقتصادى ، والمجتمع الاسلامى فاقدا لصحته النفسية .

ــ والدليل على تجمد هذا القسم (فقه المعاملات) من الفقه أن هنالك قسما آخر اشتهر فى الاصطلاح الحديث باسم (الأحوال الشخصية) تطور فى السنوات المائة الأخيرة تطورا كبيرا ، بسبب الاعتراف به عمليا ، وتحكيمه فى الحياة القانونية التى تتولى الدول الاسلامية مباشرة مسئوليتها فى القضاء بين الناس .

ــ وأضرب على ذلك مثلا : فقد مر زمان كان ينفذ فيه (حكم الطاعة) للرجل على امرأته بواسطة الشرطة ، ثم تغير ذلك اليوم ، ففى مقابلة الرضا بالطاعة حقوق تعطى ، وفى مقابلة رفض الطاعة تضيع هذه الحقوق .

ــ ومثل آخر : تختلف المذاهب الأربعة وتتفق فى مسائل من الطلاق ،

حيث يحكم البعض بوقوع أكثر من واحدة مرة واحدة ، وفى طلاق الايمان المعلقة وغيرها •

ــ وكل هذه أمور بالتجديد تغيرت ، وظهرت وترجحت لدى المسئولين عن متابعة القوانين مذاهب لم يكن معمولا بها ، وأخذ بآراء من غير المذاهب الأربعة لترجح أدلتها بعد اعادة النظر تحقيقا للمقاصد العليا للشريعة •

ــ ومثل ثالث فى الميراث والوصية : كم جدد الفقهاء الاسلاميون فى أحكامهما تبعا لمرونة النصوص فى توزيع ثلث التركة والوصية الواجة ••؟!

ــ هل حدث شىء من هذا فى (فقه المعاملات) ؟؟

ــ لم يحدث شىء من ذلك ؛ لأن الدول الاسلامية فى ظل الاستعمار كان مفروضا عليها ألا تعمل بفقه المعلامـلات ، كما تعمل بفقه (الأحوال الشخصية) ، فتطور الأخير وتجدد ، وتوقف الأول وتجمد •

ــ وأصبحت تتجاذب (فقه المعاملات) عوامل المسايرة ،وتحكيم المصالح والأهواء ، وبقى هذا الفقه (المعاملات) فى حياة المسلمين ممزقا لاتجمعه ارادة ، كما تجمد فى كتب الفقه تاريخا قديما لا ينتفع به أهل العصر فى تسيير الحياة الاقتصادية وتقويمها ! ؟

ــ لابد اذا من تجديد فقه المعاملات ، وعقد الصلة الحيوية بينه وبين منابعه الأصلية ؛ ليأخذ منها الهداية والنور ، والعدل والرشاد ــ وهى النصوص القرآنية والنبوية ــ ويضىء بها الحياة التى يباشرها الناس ، فلا يشتبه عليهم الحلال بالحرام ، والطيب بالخبيث ولا تضطرب ارادتهم أمام النشاط الاقتصادى الذى تجرى به الحياة ولا يفتتنون أمام المذاهب الاقتصادية العالمية الغازية •

ــ ان كثيرا من المسلمين يشعرون أن (فقه المعاملات) المتجمد لايمنع الظلم ، ولا يكبح جماح الجشع والاستغلال ، ولا يصد تيارات الربا العاصفه ؛ فكثير من هذه الكبائر تجد لها بطانة تساندها من تسويغات

ذلك الفقه المتجمد ، بعيدا عن النصوص القرآنية والنبوية .

ـ كم يقع من الظلم باسم التراضي على البيع والتجارة ؟

ـ وباسم « السلم » كم تستنزف دماء الفلاحين ؟

ـ وباسم « حظر التسعير » كم يفترس الاحتكار الفقراء محدودى الدخل ؟

ـ وكم تنبت من بذرة الربا والاحتكار طبقات شيطانية تعيث فى المجتمع فسادا فى ميادين الانتاج والخدمات والتجارة ؟

ـ وهذا أحد كبار فقهاء الأحناف يقول :

«ولو سعر السلطان على الخبازين الخبز ، فاشترى رجل منهم بذلك السعر ، والخباز يخاف ان نقصه ضربه السلطان لا يحل أكله » (١) .

ان مثل هذا الكلام صدر فى ظل اقتناع بأن الحاكم ظالم ، وأن الرعبة يتربص بعضها ببعض ، ولا يحميها فقه يقاوم الانحراف ، ويقيم الحق!؟

ـ أين الحق والعدل ؟

ـ أيجوز أن نعمل بمثل هذا (الحكم الفقهى) الذى صدر فى ظروفه التاريخية الخاصة !؟

***

ـ وشيء آخر له خطره المعنوى الكبير ، وان كان يبدو فى مظهره الخارجى أمرا شكليا لا ضرر منه !!

ـ الحقيقة أن تصرفات المسلم كلها خاضعة لاطار واحد يشمل كل عمل ، هذا الاطار يحكمه قوله تعالى « وما خلقت الجن والانس الا ليعبدون » ٥١ : ٥٦ فجميع مايصدر عن عباد الله يحكمه اطار عام اسمه « عبادة الله » ، واختيار أحسن الأعمال هو الذى يعطى للناس درجاتهم عند الله ، كما قال عز وجل

ـ « الذى خلق الموت والحياة ليبلوكم أيكم أحسن عملا » ٦٧ : ٢ .

---

(١) الاختيار شرح المختار للامام عبد الله بن محمود بن مودود الحنفى المتوفى سنة ٦٨٣ هـ ـ ٣ : ١١٥ ، ١١٦ طبعة الحلبى .

والتطبيق ، بين الايمـان والعمـل

ــ والعمل الأحسن فى العبادة هو ما قام بالعدل ، ونصر العدل ، وأدى اليه ، كما قال عز وجل :

ــ « لقد أرسلنا رسلنا بالبينات وأنزلنـا معهم الكتـاب والميـزان ليقوم الناس بالقسط » ٥٧ : ٢٥ .

ــ وهكذا يتبين أن عمل الانسان «عبادة» ترتبط بأحسن العمل ،الذى يرتبط باقامة العدل .

ــ بعد هذا التوضيح أقول :

ــ يقسم الفقهاء كتب الفقه أو أبوابه الرئيسية الى أقسام :

ــ يقولون مثلا : كتاب العبادات ويشمل الطهارة والوضوء والصلاة وأحكامهـا ، ثم الصيام والزكاة والحج .

ــ ثم يقولون : كتاب المعاملات ويشمل البيع ومايتعلق به من شروط وأشكال والربا وأحكامه والشركات والاجارات .. ..

ــ ثم كتاب الحدود ، ويتضمن حد القتل ، والسرقة ، والزنى ، والقذف .. الخ وهكذا ..

ومن وراء اختصـاص القسـم الأول باسـم (كتـاب العبادات) ينسى المسلم فى العصر الحاضر ــ بغير قصـد ولا وعـى أن المعـاملات عبادات ، وأن الحـدود عبادات ، وما يسـمونه الأحوال الشخصية) عبادات :

ــ ذلك ؛ لأن الحضارة الأوربية المسيطرة فى عصرنا تجعـل للدين وعباداته مكانا خاصا لاتعدوه هـو الكنيسة ، فاذا خرجوا الى المعاملات وغيرها مما يسمونه (الأمور المدنية) فـلا عبـادة ولا سيطرة للدين ولا للكنيسة ! ؟

ــ بغير وعى ، وقعت المجتمعات الاسلامية المعاصرة فى هـذا المزلق المنحرف الا قليلا ممن عصم الله من الأفراد أو الجماعات .. ..

ــ كيف نعيد هذا الاتصال بين (المعـاملات) وبين المعنى الحـق للعبادة المفروضة فى الفقه الاسلامى!؟

ــ هل نلحق بكل كتاب أو باب من أبـواب الفقه كلمة العبـادة ، فتقول :

عبادة المعاملات ، وعبادة كسب الرزق وعبادة الميراث ــ قد يكون التنبيه الى ذلك احـدى وسـائل اعـادة الاتصال فى ضمير المؤمن بين العقيدة والتطبيق ، بين الايمان والعمـل ،

ويجب أن يبحث الفقهاء الاسلاميون عن وسائل أخرى فى التربية والتدريس والتأليف والوعظ ، حتى يستقيم للمؤمنين الانسجام التام بين العقيدة والشريعة وبين العبادة والحياة كما أرادها الخالق عز وجل .

* * *

ـ ان (تفقيه الاقتصاد الاسلامى) ضرورة لابد منها .

ـ و (تجديد فقه المعاملات) واجب يلزم القيام به .

ـ وكلا الأمرين انما يتم باخضاعهما للنصوص القرآنية والنبوية ، على الأسلوب الاستنباطى الذى عرفه الفقهاء الاسلاميون من (علم أصول الفقه) .

ـ اذا فعلنا ذلك نكون قد حققنا التوصيات التى أطبقت عليها المؤتمرات الاسلامية التى أشرنا اليها ، ونكون قد حققنا الأصالة الاسلامية ، ويومئذ سنرى كيف تتحرك قيادة الحياة الاقتصادية من رايات الظلم المنتشرة فى أنحاء العالم الى راية (العدل الاقتصادى الالهى) التى يجب أن يحملها المسلمون فى الداخل والخارج !!

زيدان ابو المكارم حسن
من علماء الأزهر



تعريف بكاتب مقال :
« تفقيه الاقتصاد الاسلامى
وتجديد فقه المعاملات »

الكاتب :
زيدان ابو المكارم حسن زيدان

حفظ القرآن الكريم فى القاهرة ، ثم التحق بمعهد القاهرة الازهرى ، حيث نال الشهادتين : الابتدائية ، والثانوية ، ثم التحق بكلية اللغة العربية التابعة للجامع الازهر الشريف ، حيث نال شهادة العالمية مع اجازة التدريس سنة ١٩٥٣م وعين عقب ذلك مدرسا فى التعليم الثانوى بوزارة التربية والتعليم ، ثم رقى الى ناظر مدرسة اعدادية .

أهم بحوثه الاسلامية :

اخراج سلسلة « بناء الاقتصاد فى الاسلام » :

١ ــ بناء الاقتصاد فى الاسلام (من القرآن والسنة) طبع سنة ١٩٥٩ م

٢ ــ مذهب ابن عباس فى الربا بين مذاهب فقهاء السنة والشيعة ــ طبع سنة ١٩٧٢ م

٣ ــ علم العدل الاقتصادى : الطريق الالهى لشعوب العالم طبع سنة ١٩٧٤ م

٤ ــ الاقتصاد الاسلامى : منهج قرآنى نبوى متجدد ــ طبع سنة ١٩٧٧ م .

الواقع المر..؟

للدكتور عبد الودود شلبي

فى رسالة من الهند ـ قبل خمسة وعشرين عاما ـ كتب «برناردشو الى صديق له فى لندن يقول :

لقد وضعت دائما « دين محمد » موضع الاعتبار السامى بسبب حيويته العظيمة . فهو الدين الوحيد الذى يلوح لى أنه حائز أهلية العيش فى أطوار الحياة المختلفة . بحيث يستطيع أن يكون جذابا فى كل زمان ومكان .

ثم قال برناردشو :

لاشك فى أن العالم يعلق أهمية كبرى على نبوءات كبار الرجال . وقد تنبأت بأن دين محمد سيكون مقبولا لدى أوربا فى الغد القريب . وقد بدأ يكون مقبولا لديها اليوم . لقد صور « اكليروس القرون الوسطى » الاسلام بأحلك الألوان اما بسبب الجهل أو بسبب التعصب لقد كانوا يمرنون على كراهية محمد وكراهية دينه ، وكانوا يعتبرونه خصما للمسيح .. ولقد درسته باعتباره ـ (رجلا) عظيما فرأيته بعيدا عن مخاصمة المسيح بل يجب أن يدعى مخلص الانسانية .

وانى لأعتقد بأنه لو تولى رجل مثله حكم العالم الحديث لنجح فى حل مشكلاته بطريقة تجلب الى العالم السعادة التى هو فى أشد الحاجة اليها .

وفى الوقت الحاضر دخل كثير من أبناء أوربا فى دين محمد حتى ليقال : ان تحول أوربا الى الاسلام قد بدأ . ولن يمضى القرن الحادى والعشرين حتى تكون أوربا قد بدأت تستعين به فى حل مشكلاتها .

ويؤكد المستشرق الألمانى « باول شمتنر » فى كتابه « الاسلام قوة الغد » هذا الكلام قائلا :

ان التاريخ سيعيد نفسه مبتدئا من الشرق عودا على بدء من المنطقة

التى قامت فيها القوة العالمية الاسلامية فى الصدر الأول للاسلام، وستظهر هذه القوة التى تكمن فى تماسك الاسلام ووحدته العسكرية، وستثبت هذه القوة وجودها اذا ما أدرك — المسلمون كيفية استخراجها والاستفادة منها ، تيارات القوى العالمية ، وقد أدرك على أسس لا تتوافر فى غيرها من وستقلب موازين القوى لأنها قائمة المفكر الانجليزى HILAIRE فاعلية هذه القوة حين كتب :

انه لايساورنى أدنى شك فى أن الحضارة التى ترتبط أجزاؤها برباط متين ، وتتماسك أطرافها تماسكا قويا ، وتحمل فى طياتها عقيدة مثل الاسلام — ان مثل هذه الحضارة لا ينتظرها مستقبل باهر فحسب بل ستكون خطرا على أعدائه أيضا ..

ترى هل تصدق نبوءة « شو » التى أيدها « باول شمتز » أم تكذب ؟

لقد أفلست كل المذاهب والفلسفات فى الغرب ..

أفلست فكرا وتطبيقا ، وأفلست روحيا وانسانيا ، وأفلست علاجا وأفلست حلا .. ان كل شىء هناك يسير الى النهاية ، وقد فشلت كل العقاقير والأدوية فى انقاذ هذه الحضارة وقيمها البالية المتهرئة .. لم يعد هناك أمل فى الغرب كل شىء ينهار . ان أوربا — كما يقول المرحوم اقبال — تحتضر ..

والروح تموت عطشا فى سرابها الخادع .

فيها حضارة .. نعم .. ولكنها حضارة تحتضر وان لم تمت حتف أنفها فلسوف تنتحر غدا وتذهب ..

والحل الوحيد للأزمة العالمية كما يقول العلامة الندوى :

هو تحول القيادة ، وانتقال دفة الحياة من اليد الآثمة التى أساءت استعمالها الى يد أخرى بريئة حاذقة .. ان تحول القيادة العالمية من بريطانيا الى أمريكا ومنهما جميعا الى روسيا لا يغير من الموقف شيئا ، ان تحولا مثل هذا يكون أشبه بنقل مجداف السفينة من

اليمين الى الشمال اذا تعبت الأولى وبالعكس . فما دام المجداف واحدا . فلا فرق بين يمين وشمال ، وما بقيت سفينة القيادة العالمية تمخر فى ضباب أوربا وظلماتها . ان التحول المؤثر الواضح هو تحول عن أوربا بالمعنى الواسع الذى يشمل بريطانيا وأمريكا وروسيا .. الى الاسلام الذى يقود سفينته محمد صلى الله وسلم ..

وقد وصف ذلك شاعر الاسلام العظيم محمد اقبال فى قصيدته الرائعة « برلمان ابليس » فقال :

ان ابليس وأعوانه اجتمعوا فى مجلس « شورى » وتباحثوا فى شئون العالم وأخطار الغد وما يتهدد مملكة الفساد والشر .

فقال أحد الشياطين : ان الخطر على هذه المملكة الشيطانية من الحكم الجمهورى .

فقال شيطان آخر : لا يهولنك أمرها ، انها ليست الا غطاء للملوكية ونحن الذين كسونا الملوكية هذا الغطاء اذ رأينا الانسان بدأ يتنبه ويفيق ويشعر بكرامته وخفنا ثورة على نظامنا فألهيناه بلعبة الجمهورية. أما رأيت نظام الغرب الجمهورى له وجه مشرق وضاح وباطنه أظلم من باطن جنكيز خان !

فقال شيطان آخر : لا . لا . ان الخطر يتهدد مملكتنا من الشيوعية هل عندكم نبأ هذه الفتنة التى أثارها ضدنا اليهودى كارل ماركس؟ لقد أثار العبيد على السادة حتى تزعزعت مبانى الامارة والسيادة ..

فقال ابليس معترضا على أعوانه مهدئا :

انى أملك زمام العالم وأتصرف فيه كيف أشاء . انى لا أخاف هؤلاء ولا هؤلاء . انى أخاف فقط من أمة لا تزال شرارة الحياة فيها كامنة ، ولا يزال فيها رجال تتجافى جنوبهم عن المضاجع وتسيل دموعهم على خدودهم سحرا . ان الاسلام هو فتنة الغد ، وداهية المستقبل . ليست الشيوعية ولا الجمهورية ، وأنا لا أجهل أن

هــذه الأمة قد اتخذت القــرآن مهجــورا ، وأنهــا شغفت بالمــال وفتنت بجمعه .. أنا خبير بأن ليل الشرق داج مكفهر ، وأن علمــاء الاسلام وشيوخه لم تعد لهم تلك اليــد البيضــاء التى تشرق بهــا الظلمــاء ، وتضىء بهــا العــالم !

ولكنى أخاف أن قوارع الدهر ستقض مضجعها وتوقظ هذه الأمة، فابذلوا جهدكم أن يظل هذا الدين متواريا عن أعين الناس . أضربوا على أذان المســلم فانه يستطيع أن يبطــل سحرنا بأذانه وتكبيره .. يا ويلتنا وشقوتنا اذا انتبهت هذه الأمة ودبت فيها الحياة ..

ونحن نعــرف أن هنــاك جهودا جبارة تبــذل منــذ قرون لحصر الاسلام فى دائرة الاعتقاد، والشعائر التعبدية ، وكفه عن التدخل فى نظام الحياة الواقعية ومنعــه من الهيمنة الكاملة على كل نشاط واقعى للحياة البشرية كما هى حقيقته وكما هى وظيفته. فعلت ذلك الصليبية قديما، وتفعــل ذلك الشيوعية والصهيونية حديثا ، ولكن أخطر هذه المواقع وهذه العقبات هو الواقع الاسلامى بكل ما فيه من تناقضات مميتة ، وما يقع فى ربيعه من أحداث مفزعة مخيفة .

فبالرغم من الصراعات السياسية التى تمزق وشــائج الوحــدة بين الأشقاء والاخوة فان العمل الاسلامى يتأثر فى الواقع بفعل هذه الخلافات السياسية ، ثم ان المنظمات العاملة فى الحقل الاسلامى لم تسم بعد الى مستوى « الكلمة الصادقة » التى تفرض نفســها لمصــلحة الاســلام والعقيدة ، بل تجد نفسها ــ طائعة أو مكرهة ــ طرفا فى هذه الخصومات الرخيصة ومعولا من معاول الهــدم فى جسم الأمة الاسلامية ..

مثلا ...

أين كان علماء الاســلام عندما وقعت (حرب اليمن) وقاتل فيهــا المسلم أخاه المسلم بسلاح الغــاز والنابالم ؟ وأبيدت فيهــا القــرى الآمنة والمساجد ؟

لقد سكتت أصوات جلة العلماء عندما وقعت هذه الكارثة ، والذين

تكلموا منهم فى ذلك الوقت قالوا أسوأ ما يقال بالنسبة لهذه المأساة وتلك الكارثة .. !

أين كان علماء الاسلام حين احتدمت الحرب بين الجزائر والمغرب واستدار فيها المسلم ليقتل أخاه المسلم بسلاحه ؟

لم يتكلم أحد . الذى تكلم فقط كان «الفاتيكان» وسيىء الذكر « (هيلاسلاسى ») !!

أين كان موقف علماء الاسلام من تلك « الابديولجيات » التى فرضت على شعوبهم بالقوة والعنف والتهديد والبطش ؟ لقد سكتوا . والذين تكلموا حاولوا التوفيق بين الايمان والكفر ، والباطل والحق ، وروجوا لمفاهيم خاطئة تحاول مهادنة الباطل ، واعطائه صفة الحق!

أين كان موقف علماء الاسلام ؟

من هذا التحريف والتجديف الذى ملأ الساحة الاسلامية والعربية بشعارات زائفة ، ودعوات ملحدة، وأصوات بشعة منكرة ؟

لا شىء .. لقد آثروا السلامة ، وركنوا الى الراحة ، وتركوا الساحة خالية أمام الشياطين يعيثون فسادا فى الأرض ..

وأين كان موقف علماء الاسلام فى قضايا الفقر وقضايا الحرية وقضايا الشعوب الاسلامية المضطهدة فى الشرق والغرب ؟

لا شىء .. لقد اختفوا تماما من الميدان ، ومن ظهر منهم كان ظهوره عونا للظلم والطغيان .. أو ضحية لاقت حتفها فى غيابة الجب والليمان .

ان هناك شعوبا مسلمة لا تجد لقمة الخبز، بينما هناك شعوب أخرى لاتجد ما تنفق فيه المال وما توفر منه ادخرته فى (بنوك) الربا والعدوان وفى بلاد اعدائهم المتربصين بهم فى كل مكان ..

ان العلماء ورثة الأنبياء ،ومقتضى هذه الوراثة ان يكونوا عاملين بما دعا اليه الأنبياء ..

وقوف مع الحق ضد الباطل .

ومع الحرية ضد الطغيان .

ومع العدالة ضد الظلم .

ومع الأشقياء والمحرومين ضد المتخمين والمترفين فى أماكن الدنس والرجس .

ان الأنبياء لم يورثوا دينارا ولادرهما وانما ورثوا العلم ، وحق العلم وزكاته انما هو العمل بهذا العلم ..

بغير ذلك لن تسمع لهم كلمة ، ولن ترفع لهم راية ، ولن يعودوا — كماكانوا — قادة تدين لهم الشعوب بالطاعة والتوقير والحب ..

لقد عقدت مؤتمرات كثيرة فى مصر ، وفى السعودية ، وفى الكويت وفى الجزائر .. مؤتمرات تفوق الحصر ، وتتنوع اسماؤها تحت كل وصف ..

فما هى تتيجة هذه المؤتمرات فى الواقع ؟ وما ثمرة هذه الهيئات والمؤسسات فى الأمة والمجتمع ؟

لا شىء .. فالمسلمون لايزالون عالة على أعدائهم فى كل شىء ..

فى الصناعة : لم تقم صناعة متقدمة فى أى بلد اسلامى الى اليوم ..

فى العلوم : لا تزال تحبو فى طريقها ونحن الذين علمنا غيرنا هذه العلوم بالأمس ..

فى عالم الاختراعات والكشوف: لم نسمع فى أى بلد اسلامى باكتشاف واحد يسجل لهذا البلد سبقا فى هذا الفن ..

النصارى ..ملكوا القنبلةالذرية

اليهود ..يملكون هذا السلاح أيضا ..

الوثنيون .. فجروا قنابلهم الذرية قريبا من دار السلام ..

الملاحدة .. يملكون هذه الاسلحة بكل أنواعها ..

أما المسلمون الذين يأمرهم دينهم بالعلم ، وتقوم عقيدتهم على الدراسة والبحث ويعتبر مناط التكليف فى دنياهم وآخرتهم على العقل والفكر ..

فماذا اخترعوا أو اكتشفوا ..

لا شىء !

حتى العلاقات الانسانية لم تنجح فيها . نحن الذين وضع دينهم أسمى وأرقى المبادىء للتعامل بين الانسان والانسان بل بين الانسان والحيوان ..

بل بين الانسان والكون بكل ما فيه من ظواهر وكواكب وبحار وشهب ، وجماد ونبات ، فما هو أثرنا فى ذلك كله ؟

النظافة تكاد تكون معدومة فى حياتنا . وديننا دين يقوم على النظافة ويعتبرها من الايمان .

النظام : يكاد يكون معدوما وعبادتنا وشعائرنا تهتف بهذا الالتزام .

الأمانة : اتقان العمل .. وكلها أشياء من صلب الايمان والعقيدة.

لقد أسلم عالم فرنسى عن طريق الدراسة ، ورأى فى الاسلام ما لم يره فى أى - دين أو حضارة ، ثم رأى أن يزور بلاد الاسلام ليمتع عينيه برؤية تلك المثل والمبادىء فى واقع الحياة والتجربة ، ولم تكد قدمه تطأ أول بلد اسلامى حتى رجع حزينا الى بلده . وحين سأله صديق عن سبب عودته قال متأسفا :

الحمد لله الذى جعلنى مسلما قبل أن أرى المسلمين !!!

ان الفرقة لا تزال تمزق كياننا فى هذا العالم ، لاتزال الخلافات الفكرية والمذهبية تشوه وجه الدين وتعاليمه السامية .. نحن الذين يعتبر ديننا هذه الفرقة من الكفر .. ولم تقم بيننا تلك الخلافات أو الحروب التى اشتهربها مخالفونا فى العقيدة والرأى .

ومع كل هذا فقد نسينا جوهر العقيدة ، وتشعبنا فرقا وطوائف مختلفة ، ومع تقدم وسائل الاعلام والنشر تجسمت هذه التوافه حتى أصبحت تمثل فى حياتنا عقبات كثيرة ولا تزال دعوات التقارب تتعثر فى أودية الحقد والضغينة ، والجهل والسفاهة فى الوقت الذى نسمع فيه باعلان « الفاتيكان » تبرئة اليهود من محاولة الصلب ، واقامة صلوات مشتركة تجمع بين الكاهن والحبر!

لقد صرخت فزعا فى أحد مواسم الحج ، وأنا جالس فى رحاب الكعبة حين رأيت رجلا يوزع كتيبا يتهم فيه طائفة مسلمة بالكفر ، وكان من

هذه الطائفة رجال يجلسون بجوارى فى نفس الوقت . وسلم «الجاهل» أحدهم هذا الكتيب وهو لا يعرف من المقصود بهذا الجهل .. لقد صرخت فى وجه هذا الاحمق وجمعت ما بيديه من هذه الوريقات وانصرفت .

هل من الاسلام أن تتهم رجلا يسعى معك ، ويطوف معك ، ويصلى فى المكان الذى تصلى فيه هل من الاسلام أن تتهمه بالكفر ، وتحرمه الأمن والطمأنينة فى أقدس مكان عرف بالطمأنينة والأمن !!

ما قيمة هذه المؤتمرات ان لم تزرع الحب فى القلوب ، وتنزع الشك من النفوس وتحرر العقول من قبضة الجهالة والتعصب ؟

ما قيمة هذه المؤتمرات انلم تفسر الدين تفسيرا يحقق الغاية من نزوله والحكمة من وجوده ونوضح للناس مزاياه وآثاره فى بناء الفرد والمجتمع ؟

ماقيمة هذه المؤتمرات ان لم تجمع الناس على كلمة الحق ،وتقود جماهيرهم المتعبة الى ساحة الأمان والخير .

ماقيمة هذه المؤتمرات ان لم تبصر الناس بحقائق الدين ، وتنفى عن العقيدة خبثالانحرافوالتدجيل وتقف بوضوح وجلاء فى وجه الضالين والمضللين ؟

ان تقصيرنا فى هذا الأمر يفتح الباب أمام المذاهب الهدامة ، والدعوات المنحرفة ، ويشجع المارقين والشاردين على سلوك طرق غير مشروعة ، ويفتح الباب أمامكل (مخبول) يزعم للناس أنه (البطل) و « المنقذ » لتعاليم السماء من الكفر والهرطقة ..

لقد كان (الأفغانى) صادقا حين سئل عن الاسلام وامكانية انتشاره فى أمم الغرب . فقال :

نعم .. يمكن ذلكفىحالة واحدة حين تثبت بالدليل والبرهان أن « مسلمى اليوم » هم مسلمون فقط بالقول لا بالفعل ..

ان واقع العالم الاسلامى لايسر فى العالم العربى خلافات تقوى كل

يوم وتشتد ، وفى آسيا وافريقيا لا تجد دولتين اسلاميتين متفقتين فى الوسيلة والقصد ..

ومع ذلك تسمع كل يوم عن مؤتمر يعقد ، وندوة تقام ، وهيئات وجماعات تحمل كلها اسم الاسلام وأموال كثيرة تنفق على الدعاية والاعلان ثم ماذا بعد ذلك فى دنيا الاسلام . كلام فى كلام وقرارات تنسى وتطوى قبل أن ينتهى حفل الختام ..

ان الفرص المتاحة أمام العالم الاسلامى لم تتجمع بمثل هذه الوفرة التى أتيحت له فى هذا اليوم ...

عقيدة تنبض بالحياة والحركة..

وثروة هائلة من الخامات والطاقة ..

وموقع فريد لا يتهيأ نظيره فى أية بقعة ..

وعلى العرب والمسلمين أن يعوا هذه الحقيقة ، وأن يكونوا ـ قبل أن يقولوا ـ قدوة وأسوة ..

وهذا المؤتمر الذى ينعقد فى القاهرة ، يجتمع لأول مرة فى ظروف تختلف عن كل الظروف السابقة ، انه ينعقد فى مصر (المسلمة) ومصر (الحرة) ومصر (السادات) الذى تعهد ـ أمام الله ـ الا يقهر رأى ولا يكبت فكر تحت أى ظرف وبأى سبب .

فاسأل نفسك ايها المسلم من انت؟ أأنت فى مرحلة الحياة أم الموت ؟ أنشد العون من شهود ثلاثة لتتحرى حقيقة مقامك .. أولها عرفانك لذاتك .. فانظر نفسك فى نورك أنت .. والثانى معرفة ذا أخرى..

فانظر نفسك فى نور سواك

والثالث المعرفة الالهية

فانظر نفسك فى نور الله

فاذا كنت ثابت الروع فى حضرة نوره ....

فاعتبر نفسك حيا باقيا مثله ..

فلتكن لك قوة الفولاذ فى نضال الحياة ..

اعبر كالسيل وسط الصحارى والجبال ...

فأنت أيها المسلم يد قدرة الله...

وقد حان الوقت لتيؤمن أيها الغافل .. !

د . عبد الودود شلبى



تعريف بصاحب مقال

(الواقع المر ... !)

د. عبد الودود شلبى

* من مواليد (ميت عفيف) محافظة المنوفية سنة ١٩٢٥ م
* تلقى تعليمه الابتدائى والثانوى فى معهد القاهرة ، ثم حصل بعد ذلك على الشهادة العالية من كلية أصول الدين ، والعالمية مع الاجازة سنة ١٩٥٣ م .
* حصل على شهادة الدكتوراه PH. D من كلية الدراسات الشرقية ORIENTAL COLLEGE فى باكستان وكان بحثه فى هذه الشهادة عن « الأصول الفكرية لحركة المهدى وكان موضوع السودانى ودعوته » .
* عمل فترة بالتدريس ، ثم انتقل الى وزارة الأوقاف مفتشا عاما للشئون الثقافية ، ونقل الى الأزهر بعد ذلك رئيسا للسكرتارية الفنية فى مكتب الامام الأكبر شيخ الأزهر المرحوم الشيخ شلتوت سنة ١٩٦٢ م .
* شارك فى نشاط المؤتمر الاسلامى بالقاهرة ، وتولى الاشراف فى هذه الفترة على تحرير مجلة « نور الاسلام » لسان حال علماء الدعوة والارشاد فى الأزهر .
* عمل بعد ذلك مديرا للمساجد والشئون الاسلامية فى أمارة الشارقة -- دولة الامارات العربية .
* سافر الى أوربا للدراسة ، واشترك فى مؤتمرات اسلامية كثيرة وطاف معظم بلاد العالم الاسلامى فى آسيا وأفريقيا.
* من مؤلفاته : « كيف أرى الله » و « حتى لا نخدع » و « مجتمع بلا فوارق » ..
* يعمل حاليا مديرا ورئيسا لتحرير مجلة الأزهر ..



بين الموالاة والمعاداة

للدكتور عبد الفتاح بركة

طبيعة الخلاف بين البشر :

كثيرا مايقع الخلاف بين الناس فى شتى مجالى الحياة وميادينها ، خلاف فى العمل خلاف فى المال ، خلاف فى الرأى ، خلاف فى المذهب والمعتقد ، خلاف فى الصغير ، وخلاف فى الكبير ، وهذا الخلاف مشاهد واقع ، لا تكاد تخلو عنه ساعة من زمان .

وقد يكون السبب الظاهر فى الخلاف شيئا تافها ، لا يكاد يبالى به أحد ، ويتعجب الناس من أن يكون مثل هذا الشىء التافة مثار خلاف ، وقد يكون شيئا كبيرا فى رأى العين ، فلا يثير مثل هذا العجب ، ولكن الخلاف هو الخلاف .

وقد يتطور الخلاف ليصبح خصومه أو عداوة ،أو حربا باردة ، أو ساخنة ، أو ضروسا ، وقد يظل الخلاف هادئا مستكنا فى الضمائر ، ولكن الخلاف يظل هو الخلاف ، ويظل حاجزا وحاجبا يقوم بين المتخالفين ، يكدر صفوهما ، ويقطع وشائجهما ، ويمنع بينهما سبل التلاقى .

وعندما نفحص عن كل حالة من حالات الخلاف لنتبين السبب الحقيقى الكامن وراء الأسباب الظاهرة ، نجد أن هذا السبب يرجع الى التمييز بين العدل والجور بين الانصاف والظلم ، بين الأمانة والخديعة ، بين الصراحة والنفاق ، وفى مآل الأمر بين الحق والباطل ، فعندما تنتهك حرمة الحق فى أمر من الأمور ، بصورة من الصور ، يغضب أصحاب هذا الحق ،بصرف النظر عما يتعلق به هذا الحق ، سواء كان صغيرا أو كبيرا .

وأيا ما كان مثار الخلاف ، فان الحق لابد أن يكون هو حجة المتخلفين

المحق منهما والمبطل ، ولو كان المبطل على بينة من أمره ، علما منه بأن فى الناس فطرة لا تقبل الباطل الصريح .

تلك ــ اذن هى الطبيعة البشرية التى تقف وراء كل خلاف ،انها تهدأ وتسكن فى كنف الحق ، ولاترتاح الى شيء من الباطل ، ومن جاوز الحق صراحة الى الباطل ، سواء فى التافه الحقير ، أو الجليل الخطير ، أثار الخلاف والخصومة ، ولايروج الباطل الا فى غيبة الحق وأهله ، أو فى ثوب زائف عليه سيما الحق ، أو تحت سطوة القهر والطغيان ، وممالأة الباطل والمبطلين .

الناس فريقان :

واذا كانت هذه طبيعة النفس البشرية ، فمن المفهوم ــ اذن ألايرتاح محق لمبطل ، ولايسكن اليه لأن الباطل لا يوجد الا على حساب الحق ، ولا يزداد باطل الا بنقص حق ، ومن هنا وقع التحاجز والخلاف والصراع بين الناس فى كل أمر بحسب ما يقع فيه من عدوان .

ان الحق والباطل لا يلتقيان فى شيء واحد بعينه ، نعم قد يتعاقبان عليه لأن وجود أحدهما ينفى الآخر ولابد .

والحق فى شيء صغير كالحق فى شيء كبير ، ومن تعود الاعتداء على الحق فى المسائل الصغيرة ،هان عليه الاعتداء على الحق فى المسائل الكبيرة ، ومن تعود التفريط عندما ينتهك الحق فى المسائل الصغيرة ، هان عليه التفريط عندما ينتهك فى المسائل الكبيرة كذلك من لا يطيق انتهاك الحق فى صورة من الصور ، لايطيق انتهاكه فى بقية الصور .

وحياة الانسان ــ فى مجملها ــ ليست الا مجموعة من المواقف ، يصدر فيها عن طبيعة تميل به الى جانب الحق ، أو تميل به الى جانب العدوان ، أو يصدر عن التزام واع لأحد الجانبين .

ومن هنا كانت المواقف بحيث تقسم الناس تقسيما طبيعيا ــ الى فريقين : فريق يلتزم الحق ، فى مقابل فريق يلتزم انتهاكه « قل كل يعمل على شاكلته » (الاسراء ٨٤) .

* * *

ومعالجة هذه المواقف قد تتم لدى الانسان بطريقة فردية تلقائية ، بحيث يعالج كل موقف منها على حياله ، وهو عندئذ يكون تحت تأثير ميله الحاضر ، ان كان الى جانب الحق ، أو كان الى جانب الباطل ، ويغلب عليه حينئذ أن تكون رؤيته غير واضحة تماما .

وقد يكون الانسان بحيث يضع كل موقف جديد فى مكانه المناسب من سلسلة المواقف ، لتكون فى اطار واحد يضفى عليها التناسق والتماسك عندئذ يكون هناك منهج معين يلتزمه الانسان ، ويبنى عليه حياته ، ويجعله مقياسا لكل تصرف ، ويغلب عليه حينئذ أن يكون أوضح رؤية وأكثر تناسقا .

وليس من الضرورى أن يكون هذا المنهج مشتركا بين الناس جميعا ، والا لما اختلفوا ، ولكن المناهج تختلف ، فيختلف الناس فى معيارهم ، وفى حكمهم على الأشياء ، وعلى المواقف والسلوك ، ويتمسك صاحب كل منهج بمنهجه يدافع عنه ، ويكافح فى سبيله ، باعتباره منهج الحق .

والحق من هذه المناهج واحد لا يتعدد ، أما الباطل فلا تكاد تعد مناهجه .

وصاحب منهج الحق لا يستطيع أن يتقبل منهجا غيره .

ومن هنا انقسم الناس — تقسيما منطقيا — الى فريقين : فريق يلتزم منهج الحق وفريق على الجانب الآخر ، حيث تعددت بهم مناهجهم وسبلهم ، ومن ثم يقع الاتفاق بين أهل الحق على حقهم ، ويقع الاختلاف بين أهل الباطل على باطلهم ، وقد من الله على المسلمين بهذه الوحدة قائلا « ان هذه أمتكم أمة واحدة » الأنبياء ٩٢ . ووصف الكافرين بالفرقة قائلا: «ان الذين فرقوا دينهم وكانوا شيعا لست منهم فى شيء» الانعام ١٥٩

* * *

هذا الانقسام الذى حدث كنتيجة طبيعية ومنطقية تقتضيه طبيعة الأشياء ، وفطرة الانسان ، فكما أن الحق والباطل لا يلتقيان كذلك أهل الحق وأهل الباطل

لايلتقيان ، يحجز بينهما ما يحجز بين الحق والباطل ، كذلك يكونون فى الدنيا : « الله ولى الذين آمنوا يخرجهم من الظلمات الى النور والذين كفروا أولياؤهم الطاغوت يخرجونهم من النور الى الظلمات » البقرة ٢٥٧ . وكذلك يكونون فى الآخرة : « يوم نحشر المتقين الى الرحمن وفدا . ونسوق المجرمين الى جهنم وردا » مريم ٨٥ ــ ٨٦ . « فريق فى الجنة وفريق فى السعير » الشورى ٧ .

وهذا الانقسام الى فريقين يبرز من خلال قضية واضحة ، أن الباطل ــ فى حقيقته ــ هو انتهاك الحق ، والعدوان عليه ، والمجاوزة لحدوده ، وأن أهل الباطل يعتدون على أهل الحق ، ويتعدون ماينبغى لهم ، وأن أهل الحق لايقبلون الباطل ، ولا يقبلون عدوان أهله ، وهكذا ينقسم الناس فريقين ، وينشأ الصراع .

ولايستريح أهل الحق لبقاء باطل الا كان ذلك تفريطا فى الحق وتضييعا له .

الموالاة بين المؤمنين :

ولقد من الله على المسلمين ، فهداهم الى عقيدة التوحيد ، وبنى لهم عليها منهجا واضحا ، هو المنهج الحق الذى لا يشوبه باطل ، فطلاب الحق يأرزون الى هذا الدين ، ويستمسكون به ، ولا يتصورون امكان الخروج عليه لحظة واحدة .

لذلك جمعتهم عقيدة التوحيد فى طريق واحدة ، ووضعتهم على نهج واحد ، فألفت بين قلوبهم ، وربطت بينهم برابطة الأخوة والموالاة الدينية ، وجعلت لهذه الرابطة المقام الأول فى العلاقات التى تقوم بين بنى البشر . وبمقدار انطباع النفس بهذه العقيدة يكون نفورها وابتعادها عن الباطل وأهله، ويكون ميلها وهواها مع الحق وأهله ، حتى تصبح معهم كالعضو من الجسد ، فالحق هو المبدأ ، وهو الغاية ، وهو لحمة النسب والقرابة ، وهو الرابطة المشتركة والمتبادلة ، فحق على المسلم أن يشعر نحو أخوة دينه بولاء عميق بعيد الغور ، لا تنفصم عراه ، ولا تهن أواصره ، ذلك لأن ولاء المسلم

مرتهن ومرتبط بعقيدة التوحيد ، وهى الحق الذى آمن به ، فحيث وجدت كانت محبته وولاؤه .

انه يبنى بها حياته ، ويؤسس عليها نظامه ، ويغار عليها من كل شائبة ، ويدفع عنها كل عدوان ، ويبذل وسعه فى نشرها ونصرها ، فكل من يعتدى عليها فعليه اعتدى ، وكل من يدافع عنها ويؤيدها فعنه دافع ، وله أيد ، لا جرم كان شعوره نحو هؤلاء الذين يشاركونه فى عقيدته ، ويقفون معه موقفه بعينه ، هو شعور المحبة العميقة ، والولاء المتبادل ، والتعاون والتناصر .

وقد عبر الله سبحانه عن هذه الولاية ، وشرفها بولايته ، فقال « انما وليكم الله ورسوله والذين آمنوا الذين يقيمون الصلاة ويؤتون الزكاة وهم راكعون . ومن يتول الله ورسوله والذين آمنوا فان حزب الله هم الغالبون » المائدة ٥٥ ــ ٥٦ ، ووصف ولاية المؤمنين بعضهم مع بعض بأنها تعاون على البر والمعروف وطاعة الله ورسوله ، فقال : « والمؤمنون والمؤمنات بعضهم أولياء بعض يأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر ويطيعون الله ورسوله أولئك سيرحمهم الله ان الله عزيز حكيم » التوبة ٧١ ، ثم توج ذلك كله بولايته ولاية محض ، فقال « الله ولى الذين آمنوا يخرجهم من الظلمات الى النور » البقرة ٢٥٧ ، « والله ولى المؤمنين » آل عمران ٦٨ ، « واعتصموا بالله هو مولاكم فنعم المولى ونعم النصير » الحج ٧٨ ، « والله ولى المتقين » الجاثية ١٩ .

وطالبنا بالمحافظة على هذه الولاية ورعايتها ، حتى لا تتفكك هذه الآصرة بين المؤمنين ، وعندما تنبت بين طائفتين من المسلمين نابتة خلاف أو شجار ، فعلى بقية المسلمين أن يبذلوا جهدهم لرأب الصدع ، وازالة أسباب الخلاف ، والاصلاح بين المتخالفين حسب قانون ونظام معين ، « وان طائفتان من المؤمنين اقتتلوا فأصلحوا بينهما فان بغت احداهما على الأخرى فقاتلوا التى تبغى حتى تفىء الى

أمر الله فان فاءت فأصلحوا بينهما بالعدل وأقسطوا ان الله يحب المقسطين • انما المؤمنون اخوة فأصلحوا بين أخويكم واتقوا الله لعلكم ترحمون » الحجرات ٩ ، ١٠

ومن لم يشعر فى نفسه بهذه الغيرة التى تدفعه لموالاة المؤمنين ، واصلاح ذات بينهم ، فمن ضعف شعوره بالولاء للحق ولعقيدة التوحيد ، ويخشى اذا تمادى به الاهمال وعدم المبالاة أن يصل به الضعف الى درجة يفقد فيها أصل الشعور بعقيدته •

ممالأة أهل الباطل تنقض موالاةالحق:

والآخرون قد يكونون فى غفلة عن هذا الدين ، لم تصلهم أنواره ، ولم تبلغهم هدايته ، وقد يكونون من أهل الباطل ، ممن ران على قلوبهم ما كانوا يكسبون ، وختم الله على قلوبهم وعلى سمعهم ، وجعل على أبصارهم غشاوة ، فتشعبت بهم السبل ، واختلطت عليهم وأصبحوا كل حزب بما لديهم فرحون •

لقد جمعهم الباطل ــ على الرغم اختلاف طرقه وتشعب سبله ــ على عداوة الحق ، وانتهاك حدوده ، والكفر به ، فهم على ذلك يتناصرون ، وفى سبيله يتعاونون ، ويتبادلون النصرة والموالاة ، « وان الظالمين بعضهم أولياء بعض » الجاثية ١٩ ، « والمنافقون والمنافقات بعضهم من بعض يأمرون بالمنكر وينهون عن المعروف ويقبضون أيديهم نسوا الله فنسيهم » التوبة ٦٧ •

واذا كان قد تقرر أن لا وجود للباطل الا على حساب الحق ، ولا حياة لأهل الباطل الا بانتهاك الحق والعدوان على أهله ، فحق على المسلم أن يقف منهم موقف الحذر والريبة ، وألا يأمن جانبهم ، ولا يطمئن اليهم ، ناهيك بمعاونتهم وموالاتهم •

ومن شأن المسلم أن يعمل على حصر هذه الموالاة على الباطل فيما بين الكافرين ، لأنه ان دخل بينهم فيما دخلوا فيه ، اختلط الباطل بالحق ، وفشا فيه الفساد ، يقول تبارك وتعالى : « والذين كفروا بعضهم أولياء بعض الا تفعلوه تكن

فتنة فى الأرض وفساد كبير » الأنفال ٧٣ ٠

ومن مال الى أهل الباطل فالى باطلهم مال ، وان لم يشعر ، «ولا تركنوا الى الذين ظلموا فتمسكم النار وما لكم من دون الله من أولياء ثم لاتنصرون » هود ١١٣ ، ويكون عندئذ قد مال فى نفسه عن الحق بمقدار ما مال فى نفسه الى الباطل ، فاذا تبعهم على شيء من باطلهم ، وسلك سبيلهم كان مشاقا للحق ، مشاقا لله ورسوله « ومن يشاقق الرسول من بعد ما تبين له الهدى ويتبع غير سبيل المؤمنين نوله ما تولى ونصله جهنم وساءت مصيرا » النساء ١١٥ ٠

ان الميل الى الكافرين من أهل الباطل ، واسرار محبتهم ، أو الاعجاب بهم وبأفعالهم ، وممالأتهم على شيء من عقائدهم ومبادئهم ، أو على شيء من سلوكهم وتصرفاتهم ، يعنى فى الطرف الآخر انتقاض الولاية للمؤمنين من أهل الحق ، والانحراف عن سواء السبيل بقدر ما دخل فى الطريق الأعوج ٠

فاذا تطور الأمر الى حد نصرتهم وتأييدهم وموالاتهم ، كان ذلك خروجا من سبيل المؤمنين ، ودخولا فى طريق الكافرين ، واستحق صاحبه أن يبرأ منه الله ورسوله والمؤمنون « لا يتخذ المؤمنون الكافرين أولياء من دون المؤمنون ومن يفعل ذلك فليس من الله فى شيء الا أن تتقوا منهم تقاة » آل عمران ٢٨ ، وأن ينظر اليه على أنه فرد من أهل الباطل الذين يتولاهم « يأيها الذين آمنوا لا تتخذوا اليهود والنصارى أولياء بعضهم أولياء بعض ومن يتولهم منكم فانه منهم » المائدة ٥١ ٠

ان الحق هو الفيصل ، والتوحيد هو الأساس الذى ينظر من بعده الى بقية العلاقات ، فاذا سلم هذا الأساس قبلت بقية العلاقات ، ووثقتها ولاية الايمان ، واذا لم يسلم هذا الأساس لم يكن لبقية العلاقات مثل هذه الولاية ، ولو كانت علاقة الأبوة والبنوة « يأيها الذين آمنوا لا تتخذوا آباءكم واخوانكم أولياء ان

استحبوا الكفر على الايمان ومن يتولهم فأولئك هم الظالمون » التوبة ٢٣ .

عداوة الكافرين للمؤمنين ثابتة :

انها من حيث المنطق قضية لا تحتاج الى دليل ، انطلاقا مما سبق أن ذكرناه من أن الباطل لا يعنى الا انتهاك الحق والعدوان عليه ، والكفار هم أهل الباطل ، الذين يكفرون بالحق وينكرونه ، والمؤمنون هم أهل الحق ، وهم هدف العدوان من الكافرين ، ولا يستطيع الكافرون — مهما حاولوا — أن يتخلصوا من عدواتهم للاسلام وأهله ، الا باتباع الحق .

واذا كانت هذه القضية واضحة من الناحية المنطقية والنظرية ، فانها فى الأمر الواقع أكثر وضوحا .

ومن يلقى على تاريخ المسلمين — منذ جاهر الرسول صلى الله عليه وسلم بالدعوة الى الاسلام — نظرة سريعة ، يجد أن تاريخهم كله عبارة عن معارك متعددة الصور والأشكال فى مجاهدة الكفر والكافرين ، دفاعا عن الحق وذودا عن ديارهم .

وقد وصفهم الله سبحانه بهذه العداوة — فى القرآن الكريم — فى مثل قوله « ان الكافرين كانوا لكم عدوا مبينا » النساء ١٠١ ، وفى مثل قوله « ألم تر الى الذين أوتو نصيبا من الكتاب يشترون الضلالة ويريدون أن تضلوا السبيل والله أعلم بأعدائكم وكفى بالله ولياوكفى بالله نصيرا » النساء ٤٤ ، ٤٥، وفى مثل قوله :« ان الذين كفروا ينفقون أموالهم ليصدوا عن سبيل الله » الأنفال ٣٦ ، وفى مثل قوله تعالى « يأيها الذين آمنوا لا تتخذوا عدوى وعدوكم أولياء » الممتحنة الآية الأولى .

وهذه العداوة التى وصفها القرآن فى كثير من آياتة تتخذ أشكالا وصورا متعددة .

من أشكال عداوتهم ومظاهر عدوانهم:

استمع الى قول الله تعالى :

« كيف يكون للمشركين عهد عند الله وعند رسوله الا الذين عاهدتم عند المسجد الحرام فما استقاموا لكم فاستقيموا لهم ان الله يحب المتقين . كيف وان يظهروا عليكم لايرقبوا فيكم الا ولا ذمة

يرضونكم بأفواههم وتأبى قلوبهم وأكثرهم فاسقون • اشتروا بآيات الله ثمنا قليلا فصدوا عن سبيله انهم ساء ماكانوا يعلمون • لا يرقبون فى مؤمن الا ولا ذمة وأولئك هم المعتدون • فان تابوا وأقاموا الصلاة وآتوا الزكاة فاخوانكم فى الدين ونفصل الآيات لقوم يعلمون • وان نكثوا أيمانهم من بعد عهدهم وطعنوا فى دينكم فقاتلوا أئمة الكفر انهم لا ايمان لهم لعلهم ينتهون • ألا تقاتلوا قوما نكثوا أيمانكم وهموا باخراج الرسول وهم بدءوكم أول مرة أتخشونهم فالله أحق أن تخشوه ان كنتم مؤمنين » التوبة ٧ــ١٣ •

واستمع الى قوله تعالى :

« يأيها الذين آمنوا لا تتخذوا بطانة من دونكم لا يألونكم خبالا ودوا ما عنتم قد بدت البغضاء من أفواههم وما تخفى صدورهم أكبر قد بينا لكم الآيات ان كنتم تعقلون • هأنتم أولاء تحبونهم ولا يحبونكم وتؤمنون بالكتاب كله واذا لقوكم قالوا آمنا واذا خلوا عضوا عليكم الأنامل من الغيظ قل موتوا بغيظكم ان الله عليم بذات الصدور • ان تمسسكم حسنة تسؤهم وان تصبكم سيئة يفرحوا بها وان تصبروا وتتقوا لا يضركم كيدهم شيئا ان الله بما يعملون محيط » النساء ١١٨ ــ ١٢٠

والى قوله تعالى : « ولن ترضى عنك اليهود ولا النصارى حتى تتبع ملتهم » البقرة ١٢٠ •

والى قوله تعالى : « ودت طائفة من أهل الكتاب لو يضلونكم » آل عمران ٦٩ •

والى قوله تعالى : « ودوا لو تكفرون كما كفروا فتكونون سواء » النساء ٨٩ •

والى قوله تعالى : « ان يثقفوكم يكونوا لكم أعداء ويبسطوا اليكم أيديهم وألسنتهم بالسوء وودوا لو تكفرون » المتحنة ٢ •

من هذه الآيات وأمثالها يتبين لنا الطبيعة العدوانية للكفر والكافرين مع الايمان والمؤمنين ، انهم لا يهدءون ولا يستريحون مالم يتمكنوا من طمس أنوار الحق ، واعادة المؤمنين الى متاهة الكفر والباطل ، وهم يعملون لذلك بكل وسيلة تواتيهم ، فان كانوا فى حالة

قوة ومنعة جاهروا بالعداوة ، وبطشوا جبارين ، وان كانوا فى حالة ضعف لجئوا الى الدس والخديعة ، والمكر والحيلة ، واثارة الفتن بين المؤمنين ، وفى سبيل ذلك:

(أ) يقومون بالصد عن سبيل الله ، وبذل كل ما يستطيعون من أجل ذلك : « قل يأهل الكتاب لم تصدون عن سبيل الله من آمن يبغونها عوجا وأنتم شهداء » آل عمران ٩٩ ، « اشتروا بآيات الله ثمنا قليلا فصدوا عن سبيله » التوبة ٩ ، « ان الذين كفروا ينفقون أموالهم ليصدوا عن سبيل الله » الأنفال ٣٦ •

(ب) يظهرون البغضاء والعداوة، ويبسطون اليد بالأذى ، واللسان بالسوء عند القدرة ، ويضمرون الغضب والغيظ عند العجز: «ودوا ما عنتم قد بدت البغضاء من أفواههم وما تخفى صدورهم أكبر» آل عمران ١١٨ ، « من الذين هادوا يحرفون الكلم عن مواضعه ويقولون سمعنا وعصينا واسمع غير مسمع وراعنا ليا بألسنتهم وطعنا فى الدين » النساء ٤٦ ، « واذ يمكر بك الذين كفروا ليثبتوك أويقتلوك أو يخرجوك » الأنفال ٣٠

(جـ) يسعون فى منع الخير عن المسلمين ، وفى الحاق الضرر والأذى بهم : « ان تمسسكم حسنة تسؤهم وان تصيبكم سيئة يفرحوا بها » آل عمران ١٢٠ •

(د) لا يلتزمون فى حق المسلمين بعقد ولا عهد:«لايرقبون فى مؤمن الا ولا ذمة وأولئك هم المعتدون » التوبة ١٠ ، ويتخذون دينهم هزوا ولعبا •

(هـ) يقاتلون المؤمنين على ايمانهم : « أذن للذين يقاتلون بأنهم ظلموا » الحج ٣٩ ، « وقاتلوا فى سبيل الله الذين يقاتلونكم » البقرة ١٩٠ •

(و) يحاولون اخراج المؤمنين عن دينهم وردهم كفارا « ولا يزالون يقاتلونكم حتى يردوكم عن دينكم ان استطاعوا » البقرة ٢١٧ ، «ود كثيرمن أهل الكتاب لويردونكم من بعد ايمانكم كفارا حسدا من

عند أنفسهم من بعد ما تبين لهم الحق » البقرة ١٠٩ .

(ز) يقومون باخراج المؤمنين من ديارهم وأهليهم وأموالهم « يخرجون الرسول واياكم أن تؤمنوا بالله ربكم » الممتحنة ، الآية الأولى .

موالاة الكافرين من فعل المنافقين :

يقول تبارك وتعالى : « بشر المنافقين بأن لهم عذابا أليما ، الذين يتخذون الكافرين أولياء من دون المؤمنين ... » النساء ١٣٨ ــ ١٣٩ ، فوصف المنافقين بمظهر شنيع من مظاهر نفاقهم ، وهو اتخاذ الكافرين أولياء من دون المؤمنين .

ولا شك أن المسلم حين يوزع ولاءه بين المؤمنين فى جانب والكافرين فى جانب آخر يدل دلالة صريحة على أن قلبه لم يطمئن بالايمان ، وأن فكره وضميره لم يتشبع بالحق ، وأن استمساكه بالحق استمساك ضعيف متهافت لا يمنعه من بذل ولائه للغير .

وكيف يتفق لامرىء سوى عاقل أن يتولى الحق والباطل معا ، وأن يكون بقلبه مع أهل الحق ومع أهل الباطل على السواء !! : « مذبذبين بين ذلك لا الى هؤلاء ولا الى هؤلاء ومن يضلل الله فلن تجد له سبيلا » النساء ١٤٣ .

هل يتوقع من انسان عاقل أن يهدم ما يبنيه ؟ كذلك من يتولى المؤمنين يبنى فى صرح الحق ، ومن يتولى الكافرين يسعى فى خراب هذا الصرح ، ومن يجمع فى نفسه بين الولاءين يكون كمن يبنى فى هذا الصرح بيد ، ويسعى فى خرابه باليد الأخرى ، وضره أقرب من نفعه . ومثله يظل مع المؤمنين طالما كانت الدولة لهم ، يفىء الى ظلمهم ، ويرفل فى برهم وخيرهم ، فاذا دالت دولتهم ، واعتورتهم طوارق الحدثان انقلب على وجهه : « ومن الناس من يعبد الله على حرف فان أصابه خير اطمأن به وان أصابته فتنة انقلب على وجهه خسر الدنيا والآخرة ذلك هو الخسران المبين » الحج ١١ .

فأهل النفـاق كذلك يفعلون ، يظهـرون بالايمـان بين المؤمنين ، وعواطفهم ومشاعرهم مع الكافرين، وقد يتجاوزون مرحلة العـواطف والمشـاعر الى مرحـلة التعاطف والتعاون .

واذا ظن المسلم أنه يستطيع أن يحتفظ بايمـانه قويا سـليما ، مع بذله شيئا من الولاء لأعداء دينه ، ولو كانوا أقرب الناس اليه ، فقد غرته نفسه ، وضحك عليه شيطانه ، ووقـع فى النفـاق وكان من الخاسرين .

وماذا يفعـل المنافقون أكثر من ذلك ! ؟؟ : « تـرى كثيرا منهم يتولون الذين كفروا لبئس ماقدمت لهم أنفسهم أن سخط الله عليهم وفى العذاب هم خالدون . ولو كانوا يؤمنون بالله والنبى وما أنزل اليه ما اتخذوهم أولـياء ولكن كثـيرا منهم فاسقون » المائدة ٨٠ ــ ٨١ .

من دوافع الموالاة للكافرين :

لا يستطيع أحد أن ينكر وجود علاقات مختلفة تربط بين النـاس بروابط بعضها واه وبعضها وثيق ، وأن هذه العلاقات حيوية لا يمكن تجاهلها أو الاغضاء عنها .

وفى مقابل ذلك لا يمكن لأحـد أن ينكر أن كثيرا من هذه العلاقات يتعارض ويتضارب ، بحيث لايمكن للانسان أن يجمـع بينها بالوفاء ، الا كان ذلك داعيا الى اضـطراب مزاجه وحياته .

وما لم يكن للمرء تصور واضح لأولويات هـذه العلاقات ، بحيث يعطى كل علاقة حقها ، ولا يضحى بالمهم منها فى مقابل غير المهم ، فان تقديره للأمور يختل ، وتدبيره فى العلاقات ينتقض .

وعقيدة التوحيد تعالج هـــذه المســائل بمقيـاس ثابت موحـد لا يتغير ، يكفل للمسلم وحـدة نفسه ، وســلامة شخصيته ، دون أن يتعرض للخلل أو الاضطراب .

انها هى فى نفســها مقياس كل علاقة فى حياة المسلم ، فما دام قد اتخذها مبـدأ ، وشرعتها منهاجا ،

وغايتها هدفا ، فان كل ما يتفق معها ، ويعين عليها ، يكون محترما ومعتبرا ، وما يتعارض معها ، أو يمس جانبا منها أدنى مساس يكون منتبذا ومطرحا ، لا وزن له ولا اعتبار .

هكذا الشأن فى علاقات المسلم . ان عقيدة التوحيد تجب ما يتعارض معها مبدأ أو غاية أو سلوكا . وتوثق بعد ذلك كافة العلاقات ، ما دامت لاتنقض أصلا من أصولها، ولا تمس فرعا من فروعها .

وعلاقة البنوة والأبوة والأخوة وغيرها منعلاقات النسب والرحم ، من هذه العلاقات ، فما دامت بين المؤمنين ، فانعقيدة التوحيد تزيدها رسوخا وثباتا ، وتعمل على تقويتها بكل وسيلة من وسائل الخير والبر والرحمة..والموالاة،أما اذا كانت بين مؤمن وكافر وتعارضت العلاقتان ، علاقة العقيدة ، وعلاقة القرابة ، فان علاقة المؤمن بعقيدته أولىمن علاقته بذوى قرابته، ولذلك فليس للمؤمن أن يأسى على علاقة تفقده دينه ، وتخرجه عن ايمانه ، وتطرحه مع الكافرين فى غضب الرب جل شأنه: « وان جاهداك التشرك بى ما ليس لك به علم فلا تطعهما » العنكبوت ٨ ، « وان جاهداك على أن تشرك بى ما ليس لك به علم فلا تطعهما وصاحبهما فى الدنيا معروفا » لقمان ١٥ .

وهذه علاقة حاسمة تهون بجانبها بقية العلاقات وأنواع الصلات ، وقد أكدالقرآن ذلك بقوله تعالى: « لا تجد قوما يؤمنون بالله واليوم الآخر يوادون من حاد الله ورسوله ولو كانوا آباءهم أو أبناءهم أو اخوانهم أو عشيرتهم » المجادلة ، آخر السورة روى ابن كثير أنها انزلتفىأبى عبيدة عامر بن عبد الله الجراح ، رضى الله عنه ، حين قتل أباه يوم بدر ، قال : وقيل فى قوله تعالى : « ولو كانوا آباءهم» نزلت فى أبى عبيدة ، قتل أباه يوم بدر ، « أو أبناءهم » فى الصديق ، هم يومئذ بقتل ابنه عبد الرحمن ، « أو اخوانهم » فى مصعب ابن عمير ، قتل أخاه عبيد بن عمير

يومئذ ، « أو عشيرتهم » فى عمر ، قتل قريبا له يومئذ أيضا، وفى حمزة وعلى وعبيدة بن الحارث ، قتلوا عتبة وشيبة والوليد بن عتبة يومئذ فالله أعلم . ا هـ . وقد روى عن ابن‌جريج قال : حدثت أن أبا قحافة سب النبى صلى الله عليه وسلم ، فصكه أبو بكر صكة فسقط، فذكر ذلك للنبى صلى الله عليه وسلم ، فقال : أفعلت يا أبا بكر ؟ فقال : والله لو كان السيف قريبا منى لضربته ، فنزلت « لا تجد قوما يؤمنون بالله واليوم الآخر يوادون من حاد الله ورسوله ... » .

وكان ذلك ــ طبعا ــ قبل أن يسلم أبو قحافة .

وقد يتعلل البعض بأنه انما يفعل ذلك رعاية لمصلحة معينة .

قد تكون هذه المصلحة فى العمل على اجتذابهم للاسلام وهدايتهم للحق .

والدعوة الى الله لها أساليبها المشروعة ، وليس منها موالاة أعداء الله ، « فما لكم فى المنافقين فئتين والله أركسهم بما كسبوا أتريدون أن تهدوا من أضل الله » النساء ٨٨

وقدتكون هذه المصلحةــ فى زعمهم ــ اقامة الجسور بين المسلمين والكفار لعله أن تكون هنالك فرصة للاصلاح بين الفريقين .

وما ذلك الا زيادة فى الفساد والافساد ، ولقد قيل مثل هذا المعنى‌فى تفسير قوله تعالى: « واذا قيل لهم لا تفسدوا فى الأرض قالوا انما نحن مصلحون ، ألا انهم هم المفسدون ولكن لا يشعرون » البقرة ١١ ــ ١٢ كما روى ابن كثير : أى انما نريد الاصلاح بين الفريقين من المؤمنين وأهل الكتاب، يقول الله « ألا انهم هم المفسدون ولكن لا يشعرون » يقول : ألا ان هذا الذى يعتمدونه ويزعمون انه اصلاح ، هو عين الفساد ، ولكن من جهلهم لا يشعرون بكونه فسادا ... اهـ .

وقد يشعر هذا الذى ينتمى الى الاسلام بضعف المسلمين ، وغلبة أعدائهم ، فيريد أن يكتسب لنفسه

بهذا الولاء ـ عندهم منزلة أو جاها يرفع بها وضعه ، ويدفع بها شعوره بالذلة والمهانة ، أو يتعزز بها بين المسلمين ، وقد جهل هذا المسكين أنه يلتمس الشيء ممن لا يملكه ، وأن العزة انما تلتمس من الله وحده ، ولو كان يعرف ما ترشد اليه عقيدة التوحيد معرفة صحيحة، لما سقط هذه السقطة فى صفة من صفات المنافقين ، يقول تعالى: «بشر المنافقين بأن لهم عذابا أليما . الذين يتخذون الكافرين أولياء من دون المؤمنين أيبتغوا عندهم العزة فان العزة لله جميعا » النساء ١٣٨ـ١٣٩، وقد بين ذلك للمؤمنين فى غير آية، فقال : « من كان يريد العزة فلله العزة جميعا » فاطر ١٠ ، أى فالتمسوها منه وحده لا من غيره ، وذلك يكون باتباع دينه ، والتمسك به وموالاة أهل هذا الدين دون غيرهم ، وقال : « ولله العزة ولرسوله وللمؤمنين ولكن المنافقين لا يعلمون» المنافقون ٨ ، والمقصود من ذلك ـ والله أعلم ـ بعث المسلمين واثارتهم لكى يطلبوا العزة بأسلوبها الصحيح ، وهو موالاة الله ورسوله ، وموالاة المؤمنين ، وأن يكون ولاؤهم فيما بينهم بعضهم لبعض مبنيا على موالاة الله ورسوله دون شيء آخر .

وقد ترتبط بهذه الموالاة مصالح مادية دنيوية، كتنفيق سلعة، وترويج تجارة ، وجمع مال أو متاع ، خاصة اذا كانت الدنيا فى أيديهم .

ان ذلك ينبغى أن لا يخدعنا عن حقيقة ثابتة ، هى أن عقيدة الحق أغلى من كل شيء فى هذه الحياة ، حتى من الحياة نفسها ، فلا يصح أن تخدعنا زينة الحياة الدنيا وما فيها من لهو ومتاع ، فانه قليل ، ولا قيمة له فى نفسه ، وانما قيمته بحسب ما يؤديه للانسان ، أما الحق ، وعقيدة الحق ، فانه قيمة فى حد ذاته ، وبمقياسه تعرف قيم الأمور وأقدارها، وقد وصف الله كل هذه الأشياء بأنها متاع الحياة الدنيا ، فقال : «زين للناس حب الشهوات من النساء والبنين والقناطير المقنطرة من الذهب والفضة والخيل المسومة والأنعام والحرث ذلك متاع الحياة الدنيا والله عنده حسن المآب » آل

عمران ١٤ ، ثم وصف متاع الدنيا بأنه قليل: «قل متاع الدنيا قليل» النساء ٧٧ : « وما الحياة الدنيا الا متاع الغرور » آل عمران ١٨٥ ، والحديد ٢٠ .

لذلك ينبغى على المؤمن أن يصبر نفسه فى موالاة المؤمنين ، ولا يضيق برقة حالهم ، وقلة مالهم ، مع الوفرة فى مال أعدائهم : «واصبر نفسك مع الذين يدعون ربهم بالغداة والعشى يريدون وجهه ولا تعد عيناك عنهم تريد زينة الحياة الدنيا ولا تطع من أغفلنا قلبه عن ذكرنا واتبع هواه وكان أمره فرطا » الكهف ٢٨ .

وينبغى ألا ينظر الى مافى أيدى الكافرين من زينة وترف وغنى نظرة تضعف يقينه بربه مالك الملك ، وثقته بدينه دين الحق ، فيبذل لهم ولاءه طمعا فيما عندهم فان ذلك يأس مما عند الله : «أفمن وعدناه وعدا حسنا فهو لاقيه كمن متعناه متاع الحياة الدنيا ثم هو يوم القيامة من المحضرين» القصص ٦١ .

مع ملاحظة أن عدم الموالاة لا يعنى عدم التعامل معهم ، أو أن تبادل المنافع حسب قانون ونظام معينين مقبولين يعنى الموالاة ، ان الموالاة شيء والتعامل على اختلاف صوره — فى النواحى التجارية والسياسية والعملية — شيء آخر .

النهى عن موالاة الكافرين :

ان توزيع الولاء بين الفريقين ، ان لم يكن ناشئا — بالفعل — من ضعف الايمان وتزعزع العقيدة كفيل أن يئول بالمرء — مع مرور الوقت وتعود مخالطة الكافرين ، والاطلاع على كفرهم وباطلهم — الى حالة رثة من هلهلة الايمان ، وخلخلة العقيدة ، وهو عمل يجعل موقف المرء ضعيفا الى درجة تنماع فيها شخصيته ، وتضيع فيها معالم انسانيته العليا ، وعقيدة التوحيد تأبى لشخصية المسلم أن تنشطر وأن تتمزق ، كيف وهى عقيدة فى التوحيد ؟؟

من أراد أن يقبل على الايمان ، فليقبل عليه بنفسه كلها ، وحياته كلها ، وقلبه كله ، ونشاطه كله ، بكيانه كله كوحدة واحدة ، أما أن

يقبل عليه ببعض قلبه ، ويدبر عنه الى أعدائه بالبعض الآخر ، فما أغنى الايمان ، وما أغنى المؤمنين عنه ، وما أشد ضعفه وتهافته ، وما أقرب الوقت الذى يأتى عليه ، فاذا بالحقيقة تتضح له ، وهى أنه لم يكن على شىء من الايمان ، واذا هو قد انسلخ من ربقة الايمان جملة .

واذا كانت هذه خسارة فردية ، فان السماح بمثل هذا الموقف بين جماعة المؤمنين ، يمزق وحدتهم ، ويزعزع بنيانهم ، واذا تكاثرت مثل هذه اللبنات الخائسة فى بناء المجتمع الاسلامى زالت منه عوامل التماسك ، فتهاوى المجتمع وارفض ، وأصبح عرضة للزوال .

وعقيدة التوحيد تجمع أبناءها فى اطارها ، وتخط لهم كيفية السير على منهاجا ، وتأبى لأى منهم أن يزيغ أو ينحرف ، لذلك تبنى المجتمع الاسلامى بحيث يعين أبناءه على الثبات فى طريق الحق ، وتربى أفراد المسلمين بحيث يعملون على تماسك المجتمع الاسلامى ، لذلك كان النهى عن موالاة الكافرين حتما لازبا ، حرصا على تماسك مجتمع التوحيد ، حتى يظل محتفظا بقوته وصلابته ، ظاهرا بنقائه وطهارته .

يقول تبارك وتعالى فى أول سورة الممتحنة: « يأيها الذين آمنوا لا تتخذوا عدوى وعدوكم أولياء » ويقول فى آخرها : « يأيها الذين آمنوا لا تتولوا قوما غضب الله عليهم قد يئسوا من الآخرة كما يئس الكفار من أصحاب القبور » .

ومن أسلوب هذه الآيات — فوق النهى الشديد — ما يحفز همة المسلمين الى المسارعة فى الامتثال ، فقد وصف الكافرين بالعداوة لله وللمؤمنين ، وكيف يجوز فى عقل أحد أن يتخذ عدوه وليا له ؟ فما بالكم اذا كان مع هذه العداوة عدوا لله ! كما وصفهم بأن الله قد غضب عليهم ، وكيف يتصور مؤمن أن يقف موقف الموالاة ممن وقع فى غضب الله ؟ ! وهل يأمن عندئذ أن يصيبه ما أصاب وليه من هذا الغضب ! ؟

ومثل ذلك فى حفز الهمة قوله تعالى: «يأيها الذين آمنوا لاتتخذوا الذين اتخذوا دينكم هزوا ولعبا من الذين أوتوا الكتاب من قبلكم والكفار أولياء واتقوا الله ان كنتم مؤمنين » المائدة ٥٧ ، فبين أن شأن هؤلاء الكافرين أن يتخذوا دينكم عقيدتكم وشريعتكم هزوا ولعبا ، فهل تكون مكافأتهم على ذلك أن نبذل لهم ولاءنا ! ؟ ومن والاهم فانما يواليهم على هذه الصفة ! ؟ ومن مؤمن يقبل أن يكون دينه موضع الهزؤ واللعب ثم يبذل ولاءه لمن يهزءون به ويلعبون ! ؟

لو أن النهى عن موالاة الكافرين لم يرد الينا صريحا من الله تعالى ، لكان من الواجب أن ندرك ذلك بايماننا ، فالحجة فيه ثابتة واضحة لا تحتاج الى بيان ، ولذلك يقول تعالى: «يأيها الذين آمنوا لاتتخذوا الكافرين أولياء من دون المؤمنين أتريدون أن تجعلوا لله عليكم سلطانا مبينا » النساء ١٤٣ ، لكنه لم يترك الأمر لمجرد شعور المؤمن ، لخطورة هذا الأمر وأهميته .

واذا سولت لمسلم نفسه أن هذه من المسائل الهينة التى يسهل التغاضى عنها فان الله سبحانه يبرز مقدار خطورتها ، وأنها من المهمات العظيمة فى الدين ، وأنه يترتب عليها نتائج بالغة الأهمية لا يسهل على مؤمن أن يتحملها ، يقول تعالى: «لا يتخذ المؤمنون الكافرين أولياء من دون المؤمنين ومن يفعل ذلك فليس من الله فى شىء الا أن تتقوا منهم تقاة ويحذركم الله نفسه والى الله المصير » آل عمران ٢٨ ، فنهى نهيا شديدا عن موالاة الكافرين، وتدخل بذاته الجليلة متبرئا ممن يخالف هذا النهى ، مبينا أن من خالفه فليس من الله فى شىء ، أى أنه قد برىء من الله تعالى ، وبرىء من كل شىء يوصل الى الله تعالى ، وأن الله قد برىء منه ، وفى هذا تهديد شديد ، ووعيد أى وعيد لا يتحمله مؤمن، وقد أمر رسوله بالتبرؤ منهم ومن أمثالهم قائلا له : « ان الذين فرقوا دينهم وكانوا شيعا لست منهم فى شىء » الأنعام ١٥٩ .

كل ذلك حرصا على نقاء التوحيد ، وعلى تماسك الجماعة الاسلامية ، وبقائها سليمة قوية ، حتى ولو كان هؤلاء الكفار من أصحاب الصلات الدنيوية القوية ، كالأبوة والأخوة ، ان الدين لايقطع هذه الصلات ، فهى أمر واقع ، ولكنه يمنع تأثيرها فى الولاء ، قال تعالى: «يأيها الذين آمنوا لاتتخذوا آباءكم واخوانكم أولياء ان استحبوا الكفر على الايمان ومن يتولهم منكم فأولئك هم الظالمون » التوبة ٢٣ .

كما نجد تحذيرا شديدا آخر باعتبار من يواليهم خارجا على المؤمنين ، داخلا فى الكافرين ، وفيه تنبيه للمؤمنين أن يتبرءوا ويحذروا ممن يفعل ذلك من بينهم ، يقول تعالى : « يأيها الذين آمنوا لا تتخذوا اليهود والنصارى أولياء بعضهم أولياء بعض ومن يتولهم منكم فانه منهم ان الله لا يهدى القوم الظالمين» المائدة ٥١ ، فبين أن من يتولى اليهود يصير من اليهود ، ومن يتولى النصارى يصير من النصارى ، ومن يتولى الكافرين يصير من الكافرين ، ولا يكون من المؤمنين .

وقد روى ابن كثير فى تفسيره عن ابن سيرين قال : قال عبد الله بن عتبة : ليتق أحدكم أن يكون يهوديا أو نصرانيا وهو لا يشعر . قال : فظنناه يريد هذه الآية .

ولقد ميز الله المؤمنين بوصف من الأوصاف التى يعرفون بها ، وهو أنهم لا يوادون أعداء الله ، فمن وجدناه يبذل وده لهم طواعية حكمنا عليه بعدم الايمان ولوادعاه ، يقول تعالى: «لاتجد قوما يؤمنون بالله واليوم الآخر يوادون من حاد الله ورسوله ولو كانوا آباءهم أو أبناءهم أواخوانهم أوعشيرتهم ..» المجادلة ٢٢ .

والله أعلم

د. عبد الفتاح عبد الله بركة
أستاذ العقيدة والفلسفة المساعد
بجامعة الأزهر



كاتب مقال (بين الموالاة والمعاداة)

الدكتور عبد الفتاح عبد الله طه بركه

- ولد فى يناير سنة ١٩٣٢ بفارسكور محافظة دمياط .
- تعلم بمعاهد الأزهر .
- حصل على العالمية من كلية أصول الدين عام ١٩٥٦م
- حصل على العالمية مع اجازة التدريس عام ١٩٥٧ م
- حصل على الماجستير فى الفلسفة عام ١٩٦٢
- حصل على الدكتوراة (الاستاذية) فى العقيدة والفلسفة عام ١٩٧٠م
- عمل مدرسا بمعاهد الازهر .
- أرسله الازهر مبعوثا الى كل من الصومال عام ١٩٦٢/٦١ والى كندا من ١٩٦٥/١٩٦٧

انتدب للعمل بمكتب الدكتور الأمين العام لمجمع البحوث الاسلامية .

- عين مدرسا بكلية أصول الدين عام ١٩٧٠
- انتدب سكرتيرا لوزير الأوقاف والازهر عام ١٩٧٢/١٩٧٣
- أوفد لدراسة أحوال المسلمين فى استراليا عام ١٩٧٢ ووضع تقريرا مفصلا عن حالتهم وما يجب أن يتخذ نحو

انشاء المراكز الاسلامية هناك كما أوفد الى جامبيا ـ غرب أفريقيا لنفس الغرض وقدم تقريرا بشأن ما يجب تقديمه اليهم فى التعاون العلمى .

- اعير من جامعة الأزهر الى جامعة الملك عبد العزيز بمكة المكرمة عام ١٩٧٤/٧٣م والى كلية الامام الاعظم ببغداد عام ١٩٧٦/٧٤ والى كلية التربية بقطر عام ١٩٧٧/١٩٧٦
- عين أستاذا مساعدا للعقيدة والفلسفة بكلية أصول الدين عام ١٩٧٦
- اختاره الامام الاكبر مستشارا خاصا لفضيلته عام ١٩٧٧

من أهم مؤلفاته :

١ ـ الحكيم الترمذى ونظريته فى الولاية :
من مطبوعات مجمع البحوث الاسلامية .

٢ ـ السنوسية الكبرى تعليق وتحقيق ، نشر مكتبة الأزهر .

٣ ـ أداب المريدين وبيان الكسب تحقيق وتعليق ، مطبعة السعادة .

٤ ـ مكر النفس تحقيق وتعليق مجلة الجامعة العربية .

٥ ـ شرح السمعيات من كتاب المواقف .

٦ ـ عقيدة التوحيد وتماسك المجتمع الاسلامى .

السبيل الى الافادة من المؤتمرات الاسلامية



للواء جمال الدين محفوظ

من الحقائق المعروفة أن أهداف أى مجتمع فى الاصلاح والتقدم لا تتحقق اذا لم يجعل أهداف العلم والمعرفة والبحث العلمى تتجه الى حل المشكلات التى تواجهه ، ولا أغالى اذا قلت اننا فى هذا العصر أشد ما نكون حاجة الى ألا تتوقف أهداف العلم والبحث عند هذا الحد (حل المشكلات) بل انها يجب أن تمتد الى تحقيق غاية أعلى وأخطر هى التجديد والتطور •

من أجل ذلك فاننى أرى أن أى مؤتمر يعقد لبحث ودراسة احدى مشكلات مجتمعنا الاسلامى أوقضية من قضاياه ، لا تكون له الفاعلية المرجوة ما لم تتحول توصياته وقراراته الى واقع وعمل ، بمعنى أن تتحول الى منهج عملى يطبق فعلا ليفيد منه المجتمع ، وبذلك نجنى ثمرة مايبذل من جهد وفكر ومال •

كيف يمكن تحقيق هذا الهدف ؟

أولا : نحن الآن فى عصر « الادارة العلمية » :

والمعروف فى علم الادارة أن التخطيط مرحلة من مراحل مايسمى بالعملية الادارية ، لكنه لايتعدى النطاق النظرى ، وأن الأهداف المرجوة لا تتحقق ما لم يتحول التخطيط الى تنفيذ مع مراقبة هذا التنفيذ بوسائل المتابعة والتقييم لاصلاح مساره وتحسينه والتقدم به على مدارج الكمال •

فالمؤتمر هو « جهاز للبحث » والبحث أولى مراحل التخطيط السليم ، والتخطيط يجب أن يتحول الى تنفيذ لكى يحقق أهدافه •

من أجل ذلك فاننى أرى أن الطريق الى تحويل قرارات وتوصيات المؤتمر الى واقع عملى ينفع الناس هو « الربط الوثيق بين المؤتمر وبين الجهات المسئولة عن التطبيق والتنفيذ، أى الدول والحكومات» .

وأول دعائم هذا الربط احساس الدول بالمشكلة مع رغبتها فى حلها وعلاجها .

ثم يجرى بعد ذلك الاعداد للمؤتمر بالاتفاق والتنسيق بين الدول والقائمين على المؤتمر من حيث :

• تحديد أهداف البحث بوضوح وتحديد اطاره وأبعاده .

• تحديد أفرع العلوم والتخصصات التى تتصل بالموضوع . والمعروف أنه على قدر عدد العلوم والتخصصات التى تسهم فى البحث تكون النتائج .

• اختيار العلماء والخبراء والاخصائيين الذين يشتركون فى البحث بآرائهم وأفكارهم وخبرتهم طبقا لما سبق .

أساس هذا الربط من تعاليم الاسلام:

ولو تأملنا مبدأ الشورى فى الاسلام ، وأدركنا فلسفته ومغزاه ومكانته التى أعلاها القرآن فجعلها بين الصلاة والانفاق فى قوله تعالى:

« والذين استجابوا لربهم وأقاموا الصلاة ، وأمرهم شورى بينهم ، ومما رزقناهم ينفقون » . لعرفنا مدى المسئولية المشتركة بين الدولة وبين أهل الرأى ، وآمنا بأهمية الربط الوثيق بينهما ، ذلك الربط الذى يضمن وحدة فى الفكر والأهداف مع الاحساس بالأمانة والمسئولية بين المؤتمر (باعتباره جهة البحث والرأى) والدولة باعتبارها (جهة التنفيذ) .

١ ـ وجوب المشورة :

أمر الله تعالى رسوله الكريم صلى الله عليه وسلم فقال :

« فبما رحمة من الله لنت لهم ، ولو كنت فظا غليظ القلب لانفضوا من حولك ، فاعف عنهم واستغفر لهم وشاورهم فى الأمر ، فاذا عزمت فتوكل على الله ، ان الله يحب المتوكلين » (آل عمران ١٥٩) .

٢ – فى الشورى خير ومصلحة :

لم تكن الشورى التى أمر الله نبيه بها – وهو الذى يتنزل عليه الوحى – الا تعليما لهذه الأمة ، واعلانا بأن فى تحقيق مبدأ الشورى من الفضل والخير ما يؤمن معه العثار ، ويحفظ الأمة من الزلل .

ومن أحاديث الرسول صلى الله عليه وسلم :

– ما ندم من استشار .

– ما شقى عبد بمشورة ، وما سعد باستغناء رأى .

وقال أحد الشعراء :

الرأى كالليل مسود جوانبه
والليل لا ينجلى الا باصباح

فاضمم مصابيح آراء الرجال الى
مصباح رأيك تزدد ضوء مصباح

٣ – لابد من استشارة اهل الرأى :

ان القيادة الحكيمة هى التى تستفيد من خبرة العلماء والمتخصصين والخبراء وغيرهم من أهل الرأى الذين يصدر رأيهم عن سعة فى المعرفة وعمق فى الخبرة والتجربة ، وقد روى ابن مردويه عن على بن أبى طالب رضى الله عنه وكرم الله وجهه قال :

سئل صلى الله عليه وسلم عن العزم ، فقال : شاور أهل الرأى .

٤ – الرأى امانة ومسئولية :

يقرر الاسلام أن ابداء الرأى أمانة ومسئولية ، وأن على من يستشار أن يقول رأيه بصدق واخلاص وفى ذلك يقول المصطفى صلى الله عليه وسلم: – « المستشار مؤتمن » (رواه ابن ماجه بسنده عن أبى هريرة) .

– « اذا استشار أحدكم أخاه فليشر عليه » (رواه ابن ماجة بسنده عن أبى جابر) .

ويعتبر الاسلام الانحراف عن الصدق والاخلاص فى ابداء الرأى من قول الزور الذى أمر الله باجتنابه وقرنه بعبادة الأوثان فى قوله جل شأنه :

« فاجتنبوا الرجس من الأوثان واجتنبوا قول الزور » .

كذلك يحذر الاسلام من الامتناع عن ابداء الرأى ويعده من شهادة

الزور كما فى قول الرسول صلى الله عليه وسلم : « من كتم شهادة اذا دعى اليها كان كمن شهد الزور » .

٥ ـ الأخذ بالمشورة الصالحة واجب:

ويوجه الاسلام الى الأخذ بالمشورة الصالحة ، والنزول على الرأى الصواب ، روى الامام أحمد بسنده أن رسول الله صلى عليه وسلم قال لأبى بكر وعمر رضى الله عنهما : « لو اجتمعنا فى مشورة لما خالفتكما » .

وينطوى قول النبى للحباب حين أشار فى غزوة بدر بالانتقال بالجيش الى موقع قريب من ماء بدر : « أشرت بالرأى » ، على مغزى رفيع ـ فوق النزول على الرأى ـ هو الاشادة بالرأى الصواب وتكريم صاحبه وحفز همة المسلمين الى التفكير وابداء الرأى والمشورة .

٦ ـ التنفيذ واجب :

ثم يوجه الاسلام الى أن التنفيذ ـ بعد المشورة ـ واجب ، وانه متى استقر الرأى على أمر ما ، فلا محل للتردد أو المناقشة لأن من شأن ذلك تعطيل التنفيذ ، والفشل فى تحقيق الأهداف .

وهذا التوجيه هو بعض ما يفهم من قوله تعالى :

« فاذا عزمت فتوكل على الله ، ان الله يحب المتوكلين » .

ثانيا : استخدام الطريقة العلمية والاحصاء :

والدعامة الثانية للافادة من المؤتمرات الاسلامية بعد مبدأ الربط الذى تناولناه ، فهى استخدام الطريقة العلمية والاحصاء .

ان أبرز سمات العصر الذى نعيش فيه أنه لا يمكن حل مشكلة واحدة من مشكلات المجتمع بدون استخدام الطرق العلمية والاحصاء . فلقد أصبح المنهج العلمى الذى تدرس فيه المعطيات والعوامل والظروف المختلفة وتطرح فيه الحلول والبدائل المختلفة وتفحص فحصا دقيقا لاختيار الحل أو البديل الأفضل ، هو المدخل السليم والمضمون لاتخاذ القرارات السليمة لتحقيق الأهداف المرجوة بأعلى قدر من الكفاية .

كما أنه قد انقضى العهد الذى كان يعتمد فيه كلية على الجهد البشرى والعقل البشرى فى جمع ودراسة وتصنيف وتبويب وتحليل المعلومات والبيانات ، ودخل العالم عصر الحسابات الالكترونية التى تقوم بهذه الأعمال بسرعة متناهية ودقة متناهية ، ثم تضع الاحصائيات وماتبرزه من معان واستنتاجات أمام عقل الانسان — تلك المنحة الالهية العظمى التى كرم الله بها الانسان وفضله بها على كثير ممن خلق تفضيلا — فتعينه كل العون على رؤية أوضح وأعمق وأشمل لأبعاد المشكلة ، وتعينه بالتالى على التشخيص السليم الذى هو مقدمة للعلاج السليم •

أرأيت الى الطبيب كيف كان يعالج المريض فيما مضى بناء على الفحص الظاهرى الذى يدخل فيه عامل الحدس والتخمين الى حد كبير ، والى الطبيب الذى يعالج مريضه اليوم مستعينا بمنجزات عصره من أجهزة الفحص والتصوير والتحليل والاختبار مما لاحصر له ؟ ثم أرأيت الى أى حد أفادت البشرية من هذا التطور ؟

اننى اقترح على أجهزة المؤتمرات الاسلامية فى الأمة الاسلامية مثل مجتمع البحوث الاسلامية ورابطة العالم الاسلامى وغيرهما أن تسعى فورا الى ايجاد نوع من الصلة الوثيقة بينها وبين الأجهزة المختصة بالاحصاء العام والمتخصص للتعرف على مالديها من امكانات وللتنسيق معها فى مراحل الاعداد للمؤتمرات حتى يزود أعضاء هذه المؤتمرات قبل موعدها بوقت مبكر بالاحصائيات التى تتعلق بالموضوعات المقرر بحثها مع مايلحق بها من تفسير وتحليل واستنتاجات وغيرها مما يعد من ألزم الأمور لنجاح الدراسة والبحث والتشخيص والعلاج •

ولعلنا نذكر ما نشر أخيرا من نتائج دراسة الجهازالمركزى للتعبئة العامة والاحصاء فى مصر عن تعداد السكان وما ورد فيها من بيانات وتحليلات واستنتاجات بالغة الأهمية والقائدة للقائمين على على التخطيط والاصلاح •

ثالثا : سبق النظر بدراسة مشكلات المستقبل :

والدعامة الثالثة للافادة من المؤتمرات هى ألا تقتصر على دراسة مشكلات الحاضر، بل لابد ـ وذلك هو الأهم فى الحقيقة ـ أن تتجه الى بحث مشكلات المستقبل فى ضوء معطيات الحاضر وتصور احتمالات المستقبل .

فليس من شك فى أن التخطيط الحق هو ـ كما يقول علم الادارة ـ تصور ما سوف يكون عليه المستقبل ثم الاستعداد لهذا المستقبل ..وليس من شك أيضا فى أن الوقاية خير من العلاج ، وأن من المصلحة أن نمنع أو نتلافى وقوع المشكلات أو تفاقمها ، بدلا من انتظار وقوعها ثم محاولة علاجها .

وفى عصرنا الذى نعيش فيه وسائل حديثة قادرة على طرح التنبؤات والتصورات المستقبلية التى هى من ألزم الأمور للتخطيط فى الأمم العصرية المتقدمة .

ولو نظرنا حولنا وتأملنا محتويات وأهداف المؤتمرات الدولية التى تعقد بين الحين والآخر لبحث القضايا التى تهم البشرية مثل الغذاء والطاقة ، للاحظنا أنها لاتحصر نفسها فى اطار الحاضر ، بل ترمى بالبصر الى بعيد فى آفاق المستقبل لعشرات السنين ، لكى تفتح عيون البشرية على ما ينتظرها ويواجهها فى مستقبل حياتها من مشكلات ، فتعد الأمر عدته وتمضى فى طريق تقدمها بلا عائق .

* * *

وبعد فان تحديات العصر التى تواجهنا تتطلب منا أقصى درجات اليقظة والسيطرة على العلم والطرق العلمية ، وأن نحسن توظيف المعرفة والبحث العلمى لا لكى نجد الحلول لمشكلات حاضرنا ، بل لكى نطور ونجد ، فالاسلام لم ينبه عقول المسلمين وقلوبهم الى شىء بعد التوحيد مثلما نبههم الى سنة التطور ، وذلك هو الطريق لكى تعود هذه الأمة الى سابق عهدها أمة قوية عزيزة الجانب وأمة رائدة فى كل مجالات الحضارات الانسانية .

لواء : محمد جمال الدين محفوظ



اللواء محمد جمال الدين على محفوظ

- من مواليد أغسطس عام ١٩٢٢ ميلادية .
- خدم القوات المسلحة ثلاثا وثلاثين سنة تقلب فيها فى وظائف القيادة والتدريس والادارة وحصل على دراسات عسكرية فى عدد من الدول الأجنبية ، كما حصل على دراسة عليا من أكاديمية ناصر العسكرية العليا .
- كما حصل على ماجستير فى العلوم السياسية من جامعة القاهرة .
- عمل مديرا للتوجيه المعنوى للقوات المسلحة وتولى عملية اعادة بناء المعنويات بعد حرب يونيو ١٩٦٧ ، وكان من أبرز أعماله أنه أقام سياسة بناء الروح المعنوية وارادة القتال على الدعائم الآتية :
  - عقيدة الجهاد فى سبيل الله .
  - شعار « النصر أو الشهادة » .
  - صيحة القتال « الله أكبر » .

وكانت هذه السياسة نقطة تحول كبير فى تاريخ الجيش المصرى أتت ثمارها فى حرب رمضان وكانت من أهم أسباب النصر .

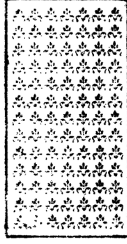
ـ الف أكثر من عشرين كتابا فى العلوم العسكرية وفنون القيادة والتدريس والادارة .

ـ **توفر على دراسة العسكرية الاسلامية منذ زمن طويل ،** وألف عددا من الكتب ، وكتب العديد من البحوث والمقالات فى مجلة الأزهر والمجلات الاسلامية والصحف، وهو يحمل لواء الدعوة الى احياء أمجاد العسكرية الاسلامية باعتبارها جانبا رائدا من الحضارة الاسلامية

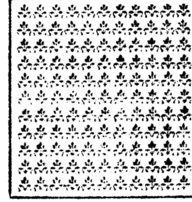
من أحدث مؤلفاته :

- المدخل الى العقيدة والاستراتيجية العسكرية الاسلامية .
- تربية المراهق فى المدرسة الاسلامية .

ـ وهو نجل عالم كبير من علماء الأزهر هو المغفور له فضيلة الشيخ على محفوظ عضو هيئة كبار العلماء ومؤسس كلية أصول الدين وأستاذ الوعظ والارشاد .



الدعوة الإسلامية وتطوراتها في شبه القارة الهندية



للدكتور محيي الدين الألوائي

ان الدعوة الاسلامية وتطوراتها فى الهند لم تكن الا حلقة من حلقات سلسلة الدعوة الكريمة الممتدة عبر تاريخ الأمة الاسلامية ، وأن هذا التاريخ حافل بالجهود المتلاحقة التى بذلها الدعاة العاملون لهذ الدين فى كل بقعة من بقاع الأرض ،فما دامت طائفة من العلماء المخلصين تقوم بالدعوة الى الله وتعمل بجد واجتهاد واخلاص لاعلاء كلمته ونشر تعاليم كتابه وسنة رسوله ، تكون الأمة بخير وعزة وسؤدد . والى هذه الحقيقة يشير الرسول الأكرم صلى الله عليه وسلم بقوله : « وأن العلماء ورثة الأنبياء ، وأن الأنبياء لم يورثوا دينارا ولا درهما ، ورثوا العلم ، فمن أخذه أخذ بحظ وافر» .

وأول ما نستفيده من العبرة من تاريخ انتشار الدعوة الاسلامية فى الهند ، أن الاسلام دين الفطرة التى فطر الناس عليها ،وأن تعاليمه تتمشى مع جميع البيئات والظروف ، ومبادئه صالحة لكل زمان ومكان،فان عناصر الخلود متوفرة فى أصوله وقواعده، وأن فطرة الانسان ونواميس الطبيعة لاتتغير ولاتتبدل مهما حاول المزيفون وسعى المخرفون لابعاد الناس عن فطرتهم . وهذا هو السر الكامن وراء الانسياق الفطرى الذى رآه تاريخ الدعوة الاسلامية فى مختلف البلدان المتأصلة فى الوثنية والشرك والالحاد ، أو فى الخرافات والخزعبلات ، وكل هذا وذاك الى جانب محاولات جمة بذلت لصدتيار هذه الحركة الالهية العالمية وتشويه أهدافها ومقاصدها ، أو تزييف كتابها .

والعبرة الثانية من تاريخ هـذه الدعوة فى تلك البقعة من الأرض ، هو دور العلماء الصادقين فى سبيل نشرها ومدى أثر جهودهم فى توطيد دعائم العالم الاسلامى وتوحيد صفوف المسلمين وازالة الوهن والضعف من قلوبهم . ونستفيد أيضا أن حلقات سلسلة الدعوة الاسلامية لن تنقطع الى يوم القيامة وهى تستمر فى مد وجزر حسب تقلبات الزمن وتطورات العصر ، فهى خير مصداق لقوله تعالى : « انا نحن نزلنا الذكر وانا له لحافظون » .

وللبحث عن الاسلام فى الهند جانبان مستقلان ، يختلف كل منهما عن الآخر ، فبينما يتناول الجانب الأول دخول الاسلام فيها ، كدعوة وفكرة ، والجهود التى بذلها الدعاة المسلمون فى سبيل نشرها فى أوساط الأمة الهندية بطريق الموعظة والارشاد ، والقدوة الحسنة ، يتناول الجانب الآخر حكم المسلمين فيها والفتوحات العسكرية التى قام بها الملوك والأباطرة المسلمون .

وأما الجانب الاسلامى كدعوة خالصة وفكرة محضة فهو أعمق أثرا فى تاريخ الاسلام والمسلمين فى شبه القارة الهندية . وأوسع نطاقا من حيث البحث العلمى .

ويرجع فضل انتشار الدعوة الاسلامية فى هذه البقعة الواسعة الأرجاء الى دعاة من المسلمين العرب والهنود الذين تشبعوا بروح الاسلام السمح ، وبذلوا جهودا جباره فى سبيل نشر دين الله المتين فى كل بقعة نزلوا فيها ، وكان رائدهم فى ذلك قول الله تعالى : « ادع الى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة وجادلهم بالتى هى أحسن » . وبدأت هذه الجهود الفردية فى الهند قبل الفتح الاسلامى الأول الذى قام به (محمد بن القاسم الثقفى) فى نحو عام ٩١ من الهجرة النبوية . فى شمال القارة الهندية ، فلا يرجع فضل انتشار الدعوة الاسلامية فيها الى الملوك والأباطرة المسلمين الذين قاموا بفتوحات عسكرية فى شبه القارة الهندية وشيدوا امبرطوريتهم فيها ،

بيد أنهم تركوا بعض الآثار الاسلامية القيمة من المساجد الفخمة والقلاع الضخمة وأسدوا خدمات لاحياء بعض العلوم والفنون والآداب ، وأضافوا بابتكارات علمية وفنية فى تاريخ الهند المجيد .

يشير التاريخ الى أن صوت الاسلام قد وصل لأول مرة الى الهند بأيدي العرب ، وكانوا هم طليعة المسلمين الذين أناروا الطريق لنشر الدعوة الاسلامية فى ربوعها ، عقب أن انبثق فجرها فى بلاد العرب، فوجدت أرضا خصبة فى ارجاء الهند وتفتحت زهورها فى أنحائهاوأثمرت ثمارها اليانعة فى جو من الحرية والسلام .

دخل الاسلام الهند من طرق ثلاث ، من الناحية الجغرافية ،ومن أهمها : شواطىء الهند الغربية الواقعة فى بحر العرب التى كانت مركز ارتياد التجار والرحل العرب منذ أقدم العصور فى البلاد الهندية وفى طريقهم الى جزيرة سيلان والى الصين وجاوة وغيرها من بلدان الشرق الأقصى .

والطريق الثانى الذى دخل منه الاسلام الى الهند ، مناطق السند الواقعة على شاطىء الهند الشمالى الغربى ، حيث دخل (محمد بن قاسم الثقفى) فاتحا فى عهد حكم (الحجاج بن يوسف الثقفى) وذلك فى نحو عام ٩١هـ .والطريق الثالث الحدود الشمالية الغربية المتاخمة لأفغانستان وايران ، وأول من دخل الهند فاتحا من هذا الطريق الجبلى الوعر (محمود الغزنوى) فيما بين عامى ٣٨٨ — ٤٢١ هـ .

ولما بعث النبى صلى الله عليه وسلم وفى العامين السابع والثامن الهجريين أرسل الوفود الى التخوم للدعوة الى الاسلام ، يحملون رسائله عليه الصلاة والسلام الى أصحاب الأمور والسلطان فى أقطار الجزيرة العربية وخارجها ، يدعوهم فيها الى حظيرة الدين الحنيف عرفت الدعوة طريقها الى الثغور الشرقية والجنوبية ، وأخذت تنتشر بين العجم ، ومنهم الهنود المستوطنون الساكنون فى هذه المناطق ، فلبى عدد منهم نداء الدعوة الجديدة .

ومن ناحية أخرى،فأنه من الطبيعى أن يحاول التاجر العربى المسلم التحدث عن الدعوة الجديدة التى

ظهرت فى بلده الى أصدقائه ومعارفه فى موانىء الهند ومراكزها التجارية التى يرتادها لأغراض تجارية بل ويحاول نشرها بين أهل الهند الذين شاهد نزعتهم الدينية وحبهم للعرب

فما بالنا اذا رأينا التاريخ يشير الى أن بعض حكام الهند ، حينما سمعوا عن ظهور نبى جديد فى جزيرة العرب ودعوته ،حاولوا انشاء رابطة بينهم وبين النبى العربى مباشرة ليروه وليستمعوا اليه وليفهموا رسالته وتعاليمه .

ولاينبغى أن يفوتنا أيضا فى هذا المجال ، ماأكده بعض المؤرخين — مع وجود احتمال تاريخى وطبيعى كبيرين — بأن محمد بن عبد الله صلى الله عليه وسلم ، قد بعث برسالة من ضمن الرسائل التى بعثها الى ملوك وحكام آسيا وأفريقيا ، رسالة الى ملك مالابار (مليبار) الواقعة فى ساحل بحر العرب المواجه لجزيرة العرب ،كما قالوا أن ملكا من ملوك هذه المناطق وهو (جيرمان برومال) ملك (كرانغنور) قد سافر الى جزيرة العرب لمقابلة النبى عليه الصلاة والسلام ، هذا فى السابع والخمسين من عمره صلى الله عليه وسلم .

والذى يفهم من هذا البيان أن تاريخ الدعوة الاسلامية فى الهند قد مر عليه حتى الآن ١٤ قرنا من الزمن ، بينما مر ١٣ قرنا على قيام أول دولة عربية فى السند ، وظلت الهند كلها تحت حكم المسلمين أكثر من ثمانية قرون ونصف القرن،أى من قيام الدولة الغزنوية فى سنة ٣٩٢ هـ - ١٢٧٤ هـ . (١٠٠١ م — ١٨٥٧ م).ثم استمر حكم الانجليز فى شبه القارة الهندية لمدة قرن من الزمان .

طوال هذه الفترات الممتدة ، من تاريخ الاسلام والمسلمين فى الهند لم تقم هيئة أو منظمة تستهدف نشر الدعوة الاسلامية وتبليغها حسب خطة مرسومة ومنهج مدروس بل وتعرضت الدعوة ودعاتها لاضطهادات جمة من جانب الحكام الانجليز — ومما هو جدير بالذكر

أيضا ، مع الأسف الشديد ، أن بعض الحكام المسلمين المستبدين قد وضعوا العراقيل أمام الدعاة المصلحين .

ومن بواعث الدهشة والاعجاب للعقول العادية - ان صح هذا التعبير - فان الدعوة الاسلامية قد فاقت فى انتشارها فى أوساط الشعب الهندى - برغم هذا كله - جميع الدعوات الأخرى ، وتركت ملامح واضحة عديدة تشير الى هذا المدى الواسع الذى حققته هذه الدعوة فى شبه القارة الهندية . وكانت شبه القارة الهندية ، وقت استقلالها عن حكم الانجليز سنة ١٩٧٤ م أولى دول العالم فى عدد المسلمين ،حيث كانت تضم أكثر من ١٢٠ مليون مسلم ، ثم قام تقسيم شبه القارة الى دولتين - الهند وباكستان - وصارت الهند دولة مستقلة ذات أغلبية هندوكية وأقلية مسلمة وصارت الباكستان دولة مستقلة ذات أغلبية مسلمة وأقلية هندوكية وكان عدد المسلمين فى الباكستان وقت التقسيم - حوالى ٨٠ مليونا وعدد المسلمين فى الهند نحو ٤٠ مليونا .

واليوم تعتبر الهند وحدها ثالثة دول العالم فى عدد المسلمين ، حيث تضم أكبر جالية اسلامية ، بعد اندونيسيا وبنجلاديش ، اذ يبلغ عدد المسلمين فيها الآن أكثر من ٨٠ مليون نسمة . (وأما اندونيسيا ففيها أكثر من ١٢٠ مليون مسلم وفى بنجلاديش ما يقربه من ٩٠ مليون مسلم) وهم يشكلون أكبر طائفة فى الهند بعد طائفة الهندوكية. ومن ثم لاتزال الهند جزءا حيا هاما من جسم العالم الاسلامى الكبير الواسع الذى يربط بين أجزائه رباط وثيق من الرابطة الروحية والأخوة الاسلامية . فاذا ألقينا نظرة على شبه القارة الهندية فلا نجد فيها ، مع اتساع رقعتها وتعدد مقاطعاتها ومناخها بقعة الا ودخلها صوت الاسلام ووطئتها أقدام الدعاة وظلت الدعوة الاسلامية متمكنة فى هذا البلد المترامى الأطراف ، على رغم تقلبات الزمن وتطورات العصر . ولم تستطع التيارات الخارجية أو

الداخلية أن تحد من تقدمها وتطورها كما لم تفلح المحاولات العديدة التى بذلها مناهضو الدعوة الاسلامية لمنع استمرارها واستقرارها وتطورها .

وأن حاضر الدعوة الاسلامية فى الهند يعتمد اليوم على الدعائم الثلاث الآتية : أولاها : المعاهد الاسلامية المنتشرة فى مدن الهند وقراها ، وهى بمثابة مراكز كبرى للاشعاع الدينى لمسلمى الهند اليوم ، ولها فضل كبير فى نشر العلوم الاسلامية واللغة العربية ، ويجرى معظم هذه المعاهد بطريق المساعدات الفردية والتبرعات الاهلية وفيها عدد من المدارس والكليات التى تتلقى مساعدات من الجامعات الحكومية والجهات الرسمية .

وثانيتها : المساجد والتكايا التى تجرى فيها الحلقات الدراسية الاسلامية حسب النظم القديمة . وتعيد المساجد فى الهند اليوم دورها الذى كانت تلعبه فى الماضى فى نشر الاشعاع الدينى والثقافى للمجتمع الاسلامى ، وكانت محط آمال طلاب النور والعرفان فى كل ركن من أركان العالم الاسلامى . وتضم الهند آلاف المساجد التى تجرى فيها الحلقات الدراسية النظامية ، تدرس فيها العلوم الاسلامية واللغة العربية ، كما أن خطباء هذه المساجد يلقون دروسا دينية صباح مساء ، الى جانب دروس وخطب أيام الجمع . وفوق هذا وذاك فان وجود هذا العدد الكبير من المساجد العظيمة التاريخية ، التى تضاهى أفخم وأجمل المساجد الكبرى فى العالم ، فى أنحاء الهند ليعيد الى أذهان مسلميها مجد ماضيهم فيها ويذكرهم بمسئوليتهم على حفاظ هذا التراث الضخم ، ولا يتأتى ذلك الا بالمحافظة على شعائر الاسلام والتمسك بمبادئه والعمل على نشر دعوته .

وثالثتها : الجماعات والهيئات الاسلامية التى تقوم بواجب الدعوة والتبليغ . ولم نر فى تاريخ الدعوة الاسلامية الطويل فى شبه القارة الهندية جماعة أو هيئة رسمية أو غير رسمية ، أنشئت لغرض الدعوة والتبليغ حسب منهج تبليغى منظم .

وكل ما رأيناه فى مجال الدعوة هو الجهود الفردية من الدعاة المخلصين من العلماء والوعاظ والصوفية الذين اتخذوا من مجالسهم العلمية — اما فى منازلهم أو فى التكايا أو فى المساجد — مراكز لبيان محاسن الاسلام وابرازها ناصعة واضحة أمام الناس كما كانوا يقومون برحلات وجولات فى سبيل نشر دعوة الحق بطريق الموعظة والارشاد ، وفى جميع الأحوال كانوا قدوة حسنة وحية فى حياتهم الخاصة والعامة للتحلى بالأخلاق الفاضلة وحسن المعاملة والاخلاص والوفاء . كما كانوا يهتمون بتربية الناس على الطباع المستقيمة التى يدعو اليها الدين الحنيف .

ولم يحدث تطور يذكر فى الوسائل المذكورة للدعوة الاسلامية فى شبه القارة الا فى القرن العشرين ، حيث ظهرت بعض الجماعات الاسلامية تهدف الى نشر الدعوة فى أنحاء البلاد . فيمكن لنا أن نقسم هذه الجماعات الهادفة الى نشر الدعوة الاسلامية الى ثلاثة أنواع حسب المنهج الذى تسير عليه فى تحقيق مهمتها ، فمنها جماعة تقوم بنشر الدعوة بين الناس عمليا ، بالاتصال المباشر بالناس فى أنحاء البلاد ، ورجال هذه الجماعات يخرجون فى سبيل الدعوة الى المدن والقرى ويتصلون بعامة الناس وخاصتهم ويلقنونهم مبادىء الاسلام ويحثونهم على العمل بها .

ومنها جماعات تركز اهتمامها بنشر الدعوة الاسلامية علميا ونظريا ، فأصحابها يوجهون نشاطهم الى الطبقة المتعلمة أكثر منه الى عامة الناس ، وذلك بنشر فكرة الاسلام بطريق الكتب والمجلات فى مختلف اللغات المحلية ، بأسلوب علمى ومنطقى يجذب أنظار المتعلمين الى مبادىء الدعوة الاسلامية وقواعد شريعتها فى مختلف مرافق الحياة البشرية .

ان هذه الدعائم الثلاثة الرئيسية تقف كمشاعل تنير الطريق أمام الجيل الحاضر ، وكذلك ستظل الأجيال القادمة باذن الله تعالى ، وكما أن مجرى الدعوة الاسلامية منوط بهذه الركائز الثلاثة فى مرحلتها الحاضرة

فى الهند اليوم ، منوط بها أيضا مستقبل هذه الدعوة فى تلك البلاد .

ويتقرر مستقبل الدعوة الاسلامية فى جمهورية الهند بعاملين رئيسيين : العامل الأل :

احساس المسلمين فى الهند بواجبهم فى نشر دعوة الاسلام فى هذه البقعة ، وفى تنمية الميراث الاسلامى الضخم ، واحساسهم أيضا بمسئولية حراسة هذا الميراث وبها يؤدون أعظم الأمانات التى حملوها من آبائهم وأجدادهم الى ابنائهم وأحفادهم .

العامل الثانى : ان جمهورية الهند قد اتخذت لنفسها دستورا علمانيا لا يقوم على أساس دينى رسمى ، ويخول الحرية لجميع المواطنين فى الاحتفاظ بعقيدتهم والدعوة الى مبادئهم ونشر ثقافتهم ، ففى وسع المسلمين نشر الدعوة الاسلامية وتنوير قلوب الملايين بها لو بذلوا فى سبيلها من جهود واتخذوا لها من وسائل مدروسة ومناهج سليمة وطرق مشروعة باخلاص وصدق نية مع أداء ما عليهم من واجبات نحو وطنهم كمواطنين صالحين .

وأيضا فان مستقبل الدعوة الاسلامية فى الهند لمرتبط بماضيها فيها ، فقد عرفنا أن هذه الدعوة لم تنتشر فى هذه البقاع بفضل حكومات المسلمين التى قامت فيها ، ولا بواسطة منظمات وهيئات قامت بنشرها أو وضعت خططه أو أنفقت فيه الأموال ، بل يعود الفضل فيه الى أسباب أخرى عديدة ، ومنها : ما يتعلق بطبيعة هذه الدعوة من فطريتها وملاءمتها لكل زمان ومكان وظروف ، وكذلك خصائص أنظمتها الاجتماعية حيث يجد فيها كل مجتمع متنوع الأجناس ومتفرق الطبقات ، عناصر صالحة منقذة من المضار الكامنة فى نظام الطبقات والعصبيات المناوئة للفطرة الانسانية السليمة . ومنها : ما يتعلق بطبيعة الأمة الهندية كالنزعة الدينية المتأصلة فيها وروح التسامح التى اتسمت بها الثقافة الهندية منذ القدم ، وكذلك حضارتها العريقة القائمة على الروحانيات . ومنها أيضا ما يتعلق بصفات الدعاة

ووسائلهم فى نشر الدعوة،من الوعظ والارشاد والقدوة الحسنة والسلوك السليم وابتعادهم عن المـآرب السياسية والمطالب الشخصية .

وان هذه الأسباب التى ارتبط بها انتشار الدعوة الاسلامية فى الهند طوال العصور الماضية لم تتغير بعد، وأما تغير الدول الحاكمة أو أنظمة الحكم فيها ، فليس له دخل فى تلك الأسباب ، فما دام القائمون على مهمة الدعوة متمسكين بهذه الأسباب فسيجدون فى الهند أرضا خصبة لتترعرع فيها الدعوة الاسلامية ويستطيعون أن يؤدوا واجبهم فى حراسة أثمن وأقدس ما يعتز به المسلمون فى كل مكان ، وهو المحافظة على دينهم وتعليمه لأبنائهم وصيانته فى قلوبهم وبيان محاسنه لبنى وطنهم جميعا .

د. محيى الدين الالوائى



الأستاذ الدكتور محيى الدين الالوائى

* هو أحد علماء الأزهر من أبناء الأمة الاسلامية فى الهند ومفكر أديب يعمل فى مجال الفكر الاسلامى وخدمة الدعوة الاسلامية .

* ولد بقرية « وليتناد » بالقرب من مدينة « ألوائى » بولاية « كيرالا » (بجنوب الهند) ، التى هى أول بقعة أشرقت بنور الاسلام فى القارة الهندية ، وكانت ولادته فى اليوم الأول من شهر يونيو سنة ١٩٢٥ م .

* تلقى مبادىء العلوم الدينية واللغة العربية لدى والده الشيخ مقار المولوى ، الذى كان عالما فاضلا ، وواعظا دينيا ، ثم واصل دراسته فى المعاهد الاسلامية الكبرى فى ولايته .

* حصل على شهادة « المولوى الفاضل » فى العلوم الاسلامية من كلية « الباقيات الصالحات » بجنوب الهند ، ونال شهادة « أفضل العلماء » فى اللغة العربية وآدابها من جامعة مدراس الحكومية بالهند سنة ١٩٤٩م ثم عين أستاذا بكلية « روضة العلوم » بولاية « كيرالا »

* ثم رحل الى القاهرة ليدرس بالأزهر فحصل على شهادة « العالمية مع الاجازة » بقسم الوعظ والارشاد من كلية أصول الدين عام ١٩٥٣ ، وأثناء اقامته بمصر كان يقوم بنشاط علمى وأدبى وأحرز خبرة واسعة فى مجال الخدمة الاسلامية والشئون التربوية فى هذه المنطقة من العالم .

* بعد عودته الى وطنه عمل موظفا فى القسم العربى « باذاعة عموم الهند » بدلهى ، وكان فى نفس الوقت يواصل نشاطه العلمى والأدبى فى مجلس الهند للروابط

الثقافية ، وأكاديميات الآداب الهندية ، من التأليف والكتابة والترجمة ، الى جانب جهوده المتواصلة لنشر العلوم الاسلامية واللغة العربية وخدمة الدعوة الاسلامية بين بنى وطنه .

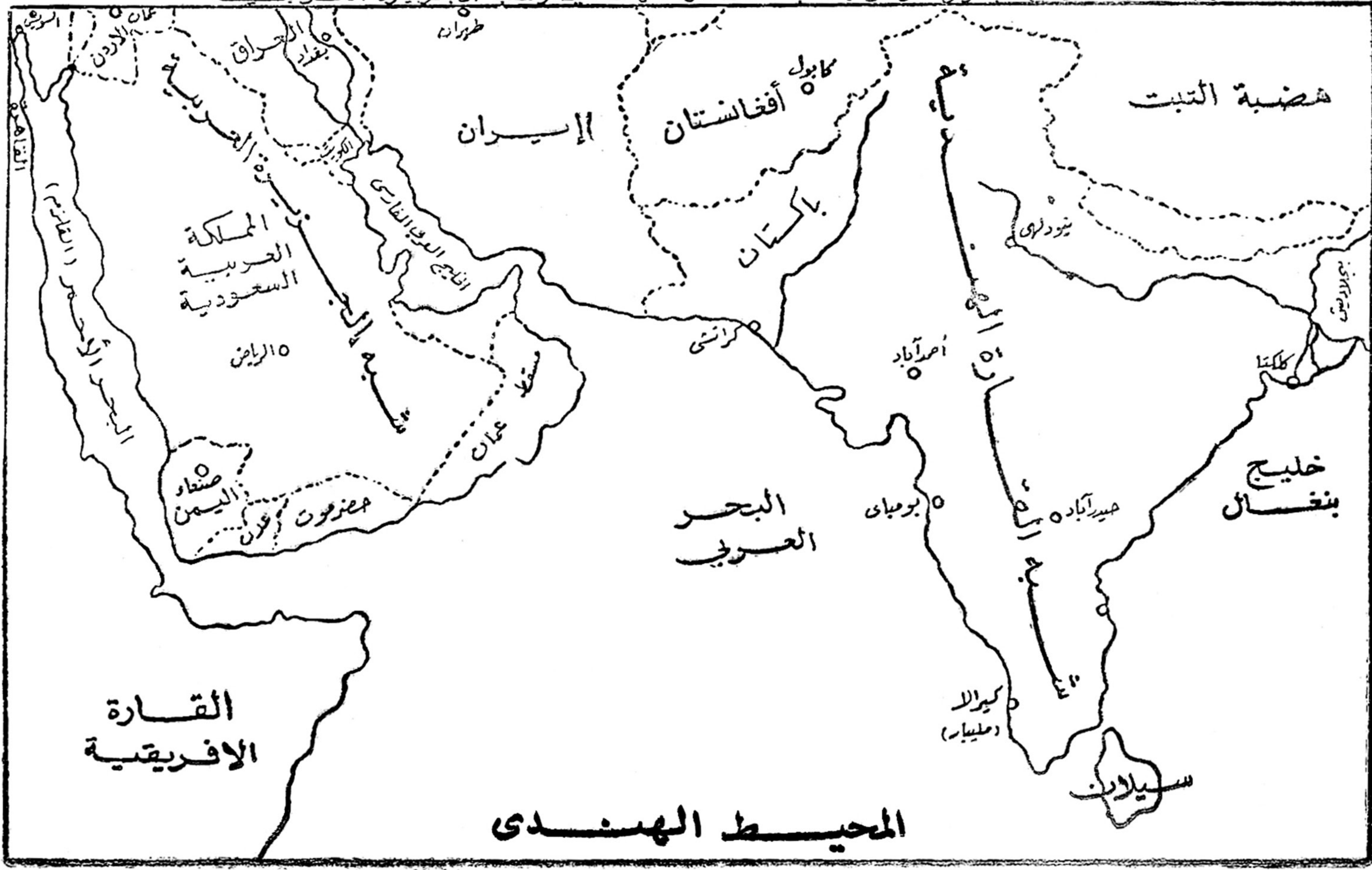
مرة أخرى عاد الى القاهرة فى عام ١٩٦٣ ، ومعه أسرته لاحراز مزيد من التجارب العلمية فى مجال الفكر الاسلامى ولتكوين أسرة هندية مثقفة بثقافة عربية اسلامية لتكون عونا فى سبيل خدمة الاسلام واللغة العربية فى المجتمع الهندى . فانتدب لتدريس مادة « الدراسات الاسلامية » باللغة الانجليزية ببعض كليات الأزهر ، وهذه هى أول مرة فى تاريخ الأزهر تدرس فيه العلوم الاسلامية باللغات الأجنبية ، وكان هدفه تمكين الطالب من شرح الاسلام كما يجب فى البلاد الناطقة باللغة الانجليزية ، واختير أيضا محررا « للقسم الانجليزى » « بمجلة الأزهر » وعضوا فى لجنة الامتحانات ، لاختبار « مبعوثى الأزهر » الى غرب آسيا . . وكما عمل « عضوا منتدبا » فى المكتب الفنى « لمدير جامعة الأزهر » فى الفترة من ١٩٦٤ - ١٩٦٧ . وفى عام ١٩٧٠ عين رئيسا لتحرير مجلة « صوت الهند » الصادرة عن سفارة الهند بالقاهرة .

* نال « درجة الدكتوراه » عام ١٩٧١ مع مرتبة الشرف من قسم الدعوة بكلية أصول الدين بجامعة الأزهر ، عن رسالة تقدم بها عن « الدعوة الاسلامية وتطوراتها فى شبه القارة الهندية » . وكانت أول رسالة علمية جامعية تقدم فى هذا الموضوع باللغة العربية .

* قدم للمكتبة الاسلامية عددا من الكتب والمؤلفات فى الموضوعات الاسلامية والأدبية باللغة العربية والانجليزية واللغات الهندية . ويساهم بكتابة الموضوعات والأحاديث المختلفة فى الصحف والمجلات العربية والاسلامية . كما يقوم بترجمة الكتب من اللغة العربية الى اللغات الأجنبية والعكس ، ويعمل جاهدا على نشر التراث الاسلامى الخالد فى الهند وعلى توثيق عرى التعارف والتفاهم بين علماء الهند والدعاة المسلمين فيها وبين اخوانهم فى العالم العربى .

* ان الدكتور محيى الدين الالوائى طاقة من النشاط فى مجال الفكر الاسلامى لا تخبو ولا تعرف لليأس سبيلا ، ونرجو له التوفيق .

خريطة تبين الموقع الجغرافي لكل من : شبه القارة الهندية وشبه الجزيرة العربية



دور الأوقاف الخيرية في حياة المجتمع الاسلامي وموقف الشيوعية منها

لفضيلة الدكتور الحسيني عبد المجيد هاشم

من مآثر الاسلام الفاضلة لاصلاح حياة المجتمع الوقف الخيرى، انه مصدر خير للمجتمع الاسلامى، ولقد أدت الأوقاف الاسلامية الخيرية فى المجتمع الاسلامى دورا هاما فى نهضة الدعوة الاسلامية العلمية ، وفى نهضة التنظيم الاجتماعى الاقتصادى ، فقد أوقف المسلمون الدور والأراضى والبساتين من أجل تحقيق أغراض سامية ، من أجل تعليم العلم وحفظ القرآن ونشر المصاحف وكتب الحديث والتفسير، وتأهيل الداعية وبناء دور العلم ومعاهده وكلياته ، فوجدت نهضة علمية مباركة دعائمها أوقاف المسلمين، وأوقف المسلمون على الفقراء والمجاهدين والضيوف والمحتاجين والمتعلمين وأبناء السبيل ، ومعالجة المرضى ، وبناء المستشفيات ، فأدت الأوقاف الخيرية وتؤدى فى حياة المسلمين الاجتماعية ، وتنظيم حياتهم الاقتصادية الكريمة دورا فعالا انسانيا رائعا ، وتتحدى المبادىء البشرية الحديثة الزائفة من المبادىء الهدامة .

وأعمال البر والخير فى الاسلام وقاية المجتمع من كل شر : وقاية له من الأمراض النفسية الاجتماعية، وقاية للأغنياء من النار ، وقاية لأموالهم من الضياع والسرقة ، وقاية لهم من المبادىء الهدامة المحرمة .

والوقف الخيرى فى الاسلام منبع من منابع الخير الأصيلة لحياة

المجتمع المسلم الكريم ، وبه وبمثله من منابع الخير التى اتسم بها الاسلام يتحدى المسلمون أى نظام بشرى لاسعاد المجتمع يكون مثل نظام الاسلام ومنهج الاسلام ، ولذا نرى أن الشيوعية تهتم اهتماما كبيرا لالغاء الأوقاف وألغتها فى بلادها وتحاول أن تعرقل مسيرتها فى كل بلد وقع فى براثنها حقدا على الاسلام ودعوته .

ولقد كان صحابة رسول الله صلى الله عليه وسلم ومن بعدهم من السلف الصالح يهتمون بالوقف ورعاية الوقف والحفاظ عليه وتنفيذ شروط الواقف ، عن ابن عمر : أن عمر أصاب أرضا من أرض خيبر فقال يا رسول الله أصبت أرضا بخيبر لم أصب مالا قط أنفس عندى منه فما تأمرنى ؟ فقال صلى الله عليه وسلم ان شئت حبست أصلها وتصدقت بها . فتصدق بها عمر على ألا تباع ولا توهب ولا تورث فى الفقراء وذوى القربى والرقاب والضيف وابن السبيل لا جناح على من وليها أن يأكل منها بالمعروف ويطعم غير متمول (وفى لفظ) غير متأثل مالا . » رواه الجماعة .

وفى حديث عمرو بن دينار قال فى صدقة عمر : « وليس على الولى جناح أن يأكل ويؤكل صديقا له غير متأثل . » .. وكان ابن عمر هو يلى صدقة عمر ، ويهدى للناس من أهل مكة كان ينزل عليهم ، أخرجه البخارى ، ومعنى غير متمول : أى غير متخذ منها مالا أى ملكا ، قال الحافظ : والمراد أنه لا يتملك شيئا من رقابها ، وقوله غير متأثل : هو اتخاذ أصل المال حتى كأنه عنده قديم ، وأثلة كل شىء : أصله ، فالصحابة رضى الله عنهم كانوا يحبسون أنفس أموالهم وقفا على الفقراء .وهذا علاج أصيل لمشكلة الفقراء حتى يعملوا ويحصلوا رزقهم من طريق العمل ، فيصرف الوقف على فقراء آخرين وهكذا ، وعلى ذوى القربى والرقاب والضيوف وابن السبيل .

أعمال البر فى الاسلام متنوعة وكفيلة باسعاد المجتمع : زكاة واحسان ورحمة ووصية ، ووقف على أعمال البر المتنوعة المتعددة . عن عثمان رضى الله عنه : « أن النبى صلى الله عليه

وسلم قدم المدينة وليس بها ماء يستعذب غير بئر رومة فقال : من يشترى بئر رومة فيجعل بها دلوه مع دلاء المسلمين بخير له منها فى الجنة ؟ فاشتريتها من صلب مالى.» رواه النسائى والترمذى وقال حديث حسن ، وفيه جواز انتفاع الواقف بوقفه العام ، وورد فى البخارى قول الرسول صلى الله عليه وسلم لعمر رضى الله عنه : (حبس أصلها وسبل ثمرتها) وفى أخرى : (تصدق بثمره وحبس أصله) زاد الدارقطنى : (حبس ما دامت السماوات والأرض)

وللبيهقى : (تصدق بثمره وحبس أصله لا يباع ولا يورث) قال الحافظ هذا ظاهره أن الشرط من كلام النبى صلى الله عليه وسلم بخلاف الروايات الأخرى فان الشرط من قول عمر ، ويجمع بأن النبى صلى الله عليه وسلم أمره بذلك الشرط فاشترطه رضى الله عنه عن الصحابة الفضلاء وعن المتبعين لهم باحسان الى يوم الدين.

عن أبى هريرة رضى الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : (من احتبس فرسا فى سبيل الله ايمانا واحتسابافان شبعه وروثه وبوله فى ميزانه يوم القيامة حسنات) رواه أحمد والبخارى ،

الوقف : هو حبس الملك فى سبيل الله تعالى للفقراء وأبناء السبيل والجهاد وأعمال البر يصرف عليهم منافعه ويبقى أصله ملك الواقف ، وألفاظه وقفت وحبست وسبلت وأبدت ، وهذه ألفاظ صريحة ، وقد تكون كناية مثل : تصدقت، والرسول صلى الله عليه وسلم يبين للمسلمين أن من احتبس وقفا فى سبيل الله سبحانه وتعالى عندما يخلص النية لله ايمانا واحتسابا فان كل ما ينتج من هذا الوقف من انتاج ينتفع به أو لا ينتفع به ، وكل ما يترتب عليه من خير للمسلمين فهو فى ميزان حسنات اواقف يوم القيامة : شبع الفرس الموقوف فى سبيل الله وما يخرج منه فضلا عما ينتفع به من ركوبه والجهاد عليه لاعلاء كلمة الله فهو فى ميزان واقفه.وكل من حبس أرضا فى سبيل الله من أجل الجهاد وتسليح المسلمين واعزاز كلمة الاسلام فانه يجد فى ميزان

حسناته كل ما خرج من أرضه ، وكل ثمرة من ثمراتها يجد ذلك فى يوم لا ينفع فيه مال ولا بنون فى يوم القيامة . وكل من وقف أرضاً على الفقراء يسد حاجاتهم ويعلم طلابهم ويبنى دور العلم والمستشفيات يجد نفع وقفه حسنات يوم القيامة، ويجد وقفه ذكرا حسنا له فى الآخرة. عن ابن عمر قال : « قال عمر للنبى صلى الله عليه وسلم ان المائة السهم التى لى بخيبر لم أصب مالا قط أعجب الى منها قد أردت ان اتصدق بها فقال النبى صلى الله عليه وسلم احبس أصلها وسبل ثمرتها. » رواه النسائى وابن ماجه .

ولقد فعل المسلمون ذلك فاحتبسوا أصول الأراضى والبساتين وأعظم الأملاك وسبلوا ثمرتها فأثمرت مجتمعا اسلاميا كريما يتعلم فيه الفقير ، ويعالج فيه المريض ويطعم فيه الجائع ، ويكرم فيه الضيف ، ويقرأ فيه القرآن ، وتجهز فيه الجيوش لاعلاء كلمة الله ورد الاعتداء عن الحق ، ويقول الحافظ بن حجر : ولا يفهم من قوله :وقفت وحبست الا التأبيد ويدل على ذلك (حبس مادامت السماوات والأرض) قال القرطبى : رأى الواقف مخالف للاجماع فلا يلتفت اليه ، ويقول الشوكانى : فالحق أن الواقف من القربات التى لا يجوز نقضها بعد فعلها لا للواقف ولا لغيره بعد التحبيس.وعن ابن عباس قال: أراد رسول الله صلى الله عليه وسلم الحج فقالت امرأة لزوجها أحجنى مع رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال ما عندى ما أحجك عليه قالت أحجنى على جملك فلان قال ذلك حبيس فى سبيل الله فأتى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال أما انك لو أحججتها عليه كان فى سبيل الله) رواه أبو داود .

وقد صح أن النبى صلى الله عليه وسلم قال فى حق خالد : (قد احتبس أوراعه واعتاده فى سبيل الله) فقد وقف الصحابة والسلف الصالح من بعدهم المنقولات والأراضى الثابتة والبساتين وأنفس الممتلكات باعوها لله سبحانه وتعالى حبس ما دامت السماوات والأرض حبسوا أصلها وسبلوا ثمرتها،ويقول الرسول صلى الله عليه وسلم :

(ثامنونى حائطكم فقالوا لا نطلب ثمنه الا الى الله سبحانه وتعالى) طلبوا الثمن من الله سبحانه وتعالى على أعز ما يمتلكون من عتاد وآلات الجهاد ووسائله وأنفس الآبار وأزهر الحدائق وأبهجها وأكرم الأراضى وقدموها حبسا لا يباع ولا يوهب فى سبيل الله والدافع العظيم ايمانا واحتسابا فى سبيل الله ولا غرابة فى ذلك فالمسلمون ايمانا واحتسابا قدموا نفوسهم جهادا فى سبيل الله فلا يبخلون بأعز ما يمتلكون من أجل النهوض والاسعاد للمجتمع الاسلامى ، وننبه المسلمين وأغنياءهم الى أهمية الوقف الخيرى والمحافظة عليه فمن مخطط المبادىء الهدامة الحقد على الوقف الخيرى واغراء السذج ممن يسيطرون عليهم بعدم أهميته ومحاولة ازالته ولو تدريجيا لأن ذلك شوكة قوية فى عين الشيوعية ، وقوة للاسلام وأهله ، وعنوان فخار وعز وحكمة وايمان واخلاص للاسلام .

الوقف يكون على الفقراء عامة والمساكين ومشاريع البر والخير والجهاد فى سبيل الله كما يكون على الأقربين ، وهو مصدر خير فى الاسلام ، ومصدر حيوى لتقويم المجتمع وحمايته ، ولقد ذكر صاحب نيل الأوطار فى باب من وقف أو تصدق على أقربائه أو وصى لهم من يدخل فيه، عن أنس أن ابا طلحة قال يا رسول الله ان الله يقول : (لن تنالوا البر حتى تنفقوا مما تحبون) وان أحب أموالى الى بيرحاء وانها صدقة لله أرجو برها وذخرها عند الله فضعها يا رسول الله حيث أراك الله فقال : بخ بخ ذلك مال رابح مرتين وقد سمعت . أرى أن تجعلها فى الأقربين فقال أبو طلحة :

أفعل يا رسول الله . فقسمها أبو طلحة فى أقاربه وبنى عمه . متفق عليه . وفى رواية : لما نزلت هذه الآية : لن تنالوا البر ـ قال أبوطلحة يا رسول الله أرى ربنا يسألنا من أموالنا فأشهدك أنى جعلت أرضى بيرحاء لله . فقال: اجعلها فى قرابتك . قال: نجعلها فى حسان بن ثابت وأبى ابن كعب . رواه أحمد ومسلم ، وللبخارى معناه وقال فيه : اجعلها

لفقراء قرابتك، قال محمد بن عبدالله الأنصارى أبو طلحة زيد بن سهل ابن الأسود بن حرام بن عمرو بن زيد مناه بن عدى بن عمرو بن مالك ابن النجار وحسان بن ثابت بن المنذر ابن حرام يجتمعان فى حرام وهو الأب الثالث وأبى بن كعب بن قيس بن عتيك بن معاوية بن عمرو بن مالك بن النجار، فعمر ويجمع حسان وأبا طلحة وأبيا وبين أبى طلحة ستة آباء ، فصحابة رسول الله صلى الله عليه وسلم ينفذون أمر القرآن وأمر الرسول ويقدمون أحب أموالهم لله يرجون برها وذخرها عند الله ، والرسول صلى الله عليه وسلم يرشد أبا طلحة لأن يضع وقفه وصدقته فى الأقربين ، ويحدد الرواة موضع وقف أبى طلحة فقد تناول من قرابته من يتصل معه من قرب أو بعد حتى ستة آباء ، واذا تصورنا مدى هذا النفع وأن فقراء كل أسرة يمكن أن يستفيدوا من أقربائهم الأغنياء على مدى هذه الدائرة الواسعة من كان متصلا به وبآبائه وآباء آبائه وكل غنى يتصل بقرابته على هذا النمط ويغطى هذه المساحة الكبيرة عندئذ نجد آلاف البيوت السعيدة من الأقرباء بالاضافة الى موارد الاسلام الرحيمة العامة .

ويتبع الحديث بالحديث التالى ليبين أن الأقرباء متصلون ومايشمل الأبناء يشمل أبناء الأبناء ، عن زيد ابن أرقم قال سمعت النبى صلى الله عليه وسلم يقول : (اللهم اغفر للأنصار ولأبناء الأنصار ولأبناء أبناء الأنصار) رواه أحمد والبخارى وفى لفظ (اغفر للأنصار ولذرارى الأنصار ولذرارى ذراريهم) رواه الترمذى وصححه فجعل لأبناء الأنصار وأبنائهم حكم الأنصار ، يقول العلماء : وذلك يدل على أن حكم أولاد الأولاد حكم الأولاد ، فمن وقف على أولاده دخل فى ذلك أولاد الأولاد ما تناسلوا ، وكذلك أولاد البنات على خلاف فى ذلك ، ومما يؤيد دخول أولاد البنات ما أخرجه البخارى ومسلم والترمذى عن أبى موسى الأشعرى قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : (ابن أخت القوم منهم) وسئل شيخ الاسلام

ابن تيمية عن الوقف اذا فضل من ريعه واستغنى عنه فأجاب يصرف فى نظير تلك الجهة كالمسجد اذافضل عن مصالحه صرف فى مسجد آخر لأن الواقف غرضه فى الجنس والجنس واحد فلو قدر أن المسجد الأول خرب ولم ينتفع به أخذ صرف ريعه فى مسجد آخر فكذلك اذا فضل عن مصلحته شىء فان الفاضل لا سبيل الى صرفه اليه ولا الى تعطيله فصرف فى جنس المقصود وهو أقرب الطرق الى مقصود الواقف ، واذا وقف أرضا على مسجد فيها أشجار معطلة من الثمر وتعطلت الأرض من الزراعة بسببها جاز له قلع الأشجار اذا كان فى قلعها مصلحة للأرض بحيث يزيد الانتفاع بهذه الأرض اذا قلعت الأشجار فانها تقلع وينبغى للناظر أن يقلعها ويفعل ما هو الأصلح للوقف ويصرف ثمنها فيما هو أصلح للوقف من عمارة الوقف أو مسجد ان احتاج الى ذلك .

فالأوقاف خير للأقرباء وخير للمسلمين جميعا أفرادا وجماعات . وفى ادارتها على الوجه المرضى لله سبحانه وتعالى نماء لثروة البلاد وعمل للأيدى وتشغيل للحياة ونماء وبركة ونهضة اجتماعية فى السكن والزراعة والمواساة والمشروعات الخيرية . ومن أجل أهمية الأوقاف ودورها الفعال فى حياة الدعوة الاسلامية والحياة الاجتماعية كان هم الشيوعيين أن يعطلوا دورها الفعال لطمس معالم الاسلام .

ان الشيوعية يهمها القضاء على الأديان ومن أجل ذلك يهمها أن تعطل ينابيع الخير فى الأديان فهى لا ترضى بالزكاة وتريد القضاء على الأوقاف الدينية لتقضى على المشروعات الخيرية الدينية ومنها التعليم الدينى ، جاء فى كتاب (الشيوعية والاسلام) للأستاذين عباس العقاد ، وأحمد عبد الغفور العطار : (ولم تقف جهود الشيوعية التى أثمرت القضاء على الدين بعد

أن تم لها ما أرادت بل والتى بذلها فاستصفت الأوقاف الدينية وحرمت التعـليم الدينى ورصـدت العقاب بالموت لمن يحلف بالله وأصـدرت مجلة سمتها (لا دين) وزعتهـا فى كل مدينة وقرية بالاتحاد وأسست (اتحاد الالحـاد) وبلغت فـروعه سنة ١٩٣٥ م سبعين ألف فرع تضم عشرات المـلايين ، وفى الدسـتور السوفييتى الذى صـدر فى مايو سـنة ١٩٣٢ م قانـون يقضى على الهيئات الدينية خلال خمس سنوات (فى أول مايو سنة ١٩٣٧ م لن يبقى فى كافة البلاد أى مكان للعبادة ويجب القضاء على فكرة الاله التى هى من بقايا القرون الوسطى المظلمة) .

لذا ننبه أقطاب المسلمين فى كل مكان الى العناية بالأوقاف الخيرية والاستفادة منهـا فى نجاح الدعوة الاسـلامية ، والحفاظ عليهـا ، وحراستها من الأفكار الالحادية .

والله الموفق .

دكتور

الحسينى عبد المجيد هاشم

وكيل الوزارة لشئون مكتب

الامام الأكبر شيخ الأزهر



الدكتور الحسينى عبد المجيد هاشم

تعريف بالكاتب

حصل على عالية أصول الدين سنة ١٩٥٣ وتخصص التدريس سنة ١٩٥٤ ـ الماجستير سنة ١٩٦٢ ـ الدكتوراه سنة ١٩٦٤ فى الحديث والتفسير من جامعة الأزهر ـ عين بمعاهد الأزهر سنة ١٩٥٤ ، وكلية أصول الدين سنة ١٩٦٦ مدرسا واستاذا مساعدا فأستاذا للحديث والتفسير سنة ١٩٧٦ م

وحصل على الاعدادية باللغة الانجليزية سنة ١٩٤٦ و « كورس » فى اللغة الانجليزية من المركز الأمريكى بجدة سنة ١٩٧٢ وحصل على شهادة من قسم المتقدمين المتفوقين فى اللغة الانجليزية من كلية التربية بجامعة الملك عبد العزيز بالسعودية .

درس فى معاهد الفيوم والزقازيق وغزة وليبيا وجامعة أم درمان الاسلامية بالسودان وجامعة الخرطوم ـ قسم الدراسات العليا بمكة المكرمة ، حضر مؤتمر القرآن فى السودان ، ومؤتمر الوفود الاسلامية ورسالة المسجد فى رابطة العالم الاسلامى بمكة المكرمة وعضو لجنة السنة

بالمجلس الأعلى للشئون الاسلامية ولجنة التفسير والحديث بمجمع البحو الاسلامية ٠

ومن مؤلفاته :

١ ـ الامام البخارى محدثا وفقيها ـ طبع الدار القومية ٠

٢ ـ الوحى الالهى ـ طبع دار الكاتب العربى ٠

٣ ـ الامام الغزالى حجة الاسلام ـ طبع المجلس الأعلى للشئون الاسلامية ٠

٤ ـ الرصافى شاعر الوحدة ـ طبع الدار القومية ٠

٥ ـ البيان والتعريف فى أسباب ورود الحديث ـ جزء أول وثانى وثالث ـ طبع لجنة التراث بالأزهر ٠

٦ ـ أصول الحديث النبوى ومقاييسه ـ طبع مكتبة الرافعى ٠

٧ ـ تحقيق وتعليق على مسند الامام أحمد بن حنبل تكملة لعمل الشيخ/أحمد شاكر جزء ١٦ ، ١٧ ، ١٨ ـ طبع دار المعارف ٠

٨ ـ جامع الترمذى بتراث الانسانية ٠

٩ ـ الفخر الرازى بتراث الانسانية ٠

له أبحاث فى المجلات الاسلامية ـ مجلة الأزهر ، ورابطة العالم الاسلامى والتضامن الاسلامى ، والهدى الاسلامى والوعى الاسلامى وغيرها ـ ومحاضرات وأحاديث فى الاذاعة والتليفزيون فى مصر والسودان والسعودية ٠

تحقيق صحفي

حول مؤتمراتنا الإسلامية ..!

- المؤتمر الصهيونى الأول استمر ثلاثة أيام .. واستمر الاعداد له سبع سنوات !!
- كثير من مؤتمراتنا .. دعاية .. وليست دعوة !!
- كثير من الموضوعات انتهت عند حد الالقاء والمناقشة !!
- لابد من جهاز متابعة لكل مؤتمر لتنفيذ توصياته !!

تحقيق : جابر رزق

عندما حضرت المؤتمر الأول للتعليم الاسلامى الذى عقد فى مكة هذا العام وسمعت وقرأت ما طرحه أعضاء المؤتمر من أبحاث ، وما انتهى اليه من توصيات وقرارات .. قلت لنفسى : هذا المؤتمر ـ لو صدقت النوايا .. وصحت العزائم ـ لكان الخطوة الأولى والأساسية فى اعادة مجد هذه الأمة الضائع .. ولا أتصور بداية صحيحة غير هذه البداية .. لأن نظم التربية والتعليم هى التى تبنى انسان المستقبل فاذا كانت فاسدة .. كما هى الحال فى البلاد الاسلامية . فلن تخرّج الا الانسان الفاسد .. فان أصلحت هذه النظم كانت أهلا أن تبنى الانسان الصالح !

ومن قبل مؤتمر التعليم .. عقدت مؤتمرات فى الاقتصاد الاسلامى .. وفى التكنولوجيا .. ومؤتمر رسالة المسجد ومؤتمر الدعوة .. وكان

لكل مؤتمر من هذه المؤتمرات توصيات وقرارات لها نفس أهمية توصيات وقرارات مؤتمر التعليم ، وربما قيل عنها ما قلته عن مؤتمر التعليم الاسلامى الأول ٠٠فماحقيقة تلك المؤتمرات !؟٠٠ وماهى الفائدة التى تعود على امتنا الاسلامية منها!؟ وكيف تصبح بحق الخطوة الأولى الى اعادة هذه الأمة الى مكانتها الحقيقة فى مقدمة القافلة البشرية !؟

وأنا مع من يقول : أن اسلوب المؤتمرات شأنه شأن التربية ٠٠ والاعلام ٠٠ والعلم ٠٠ انما هو حقيقة محايدة يمكن أن توجه اذا أحسن التحضير لها والمتابعة لقراراتها الى الخير٠٠ويمكن أن تكون مجرد عمل اعلامى لا يقود الى شىء ! !



مع اللواء ٠٠ شيت خطاب

وقد التقيت مع مجموعة من رجال الفكر الاسلامى الذين شاركوا فى أغلب هذه المؤتمرات لرسم صورة مؤتمراتنا الاسلامية ٠٠ وما ينبغى أن تكون عليه ٠٠ وكان لقائى مع اللواء الركن محمود شيت خطاب الذى شارك فى العديد من المؤتمرات وأحد الذين قدموا اسهامات قيمة فى صرح الفكر الاسلامى المعاصر ٠٠

قلت للواء شيت خطاب

ـ مارأيك فى المؤتمرات الاسلامية التى عقدت خلال السنوات الأخيرة!؟

فقال :

ــ أول شيء أريد أن أتحدث عنه هو الاعداد لهذه المؤتمرات وأضرب لك مثلا .. المؤتمر الصهيونى الأول الذى عقد فى مدينة بازل بسويسرا عام ١٨٩٧ استمر ثلاثة أيام فى حين أن الاعداد لهذا المؤتمر استمر سبع سنوات . والذين قاموا بالاعداد هم الخلاصة فى كل ميدان .. مجموعة الاقتصاديين ..مجموعة فى السياسة ..فى كل مجال من المجالات . لهذا عندما عقد المؤتمر كان كل شيء جاهزا ومعدا ومدروسا ، وكل بحث قدم كان خلاصة خبرة أهل هذا المجال .

اما الذى يحدث عندنا أن المؤتمرات تبدأ من غير اعداد علمى أصيل ..

ثانيا : اختيار المشاركين فى المؤتمر .. ينبغى ان نهتم بالكيف لا بالكم .. فقد يكون عشرة من ذوى الاختصاص والكفاءات العالية والأمانة والتدين أجدى من فئات لا يتحلون بمثل هذه الصفات ..

ثالثا : اختيار المواضيع المطروحة للدراسة .

العالم الاسلامى تجتاحه مشاكل كثيرة جدا .. كما أن هناك قضايا فى الحياة لها صلة مباشرة بالدين فلماذا نتهرب منها ؟

كل ما يحدث فى مؤتمراتنا أن الموضوعات المطروحة للبحث والعرض اكثرها مرتجل وانشائية تخاطب العاطفة ولا تخاطب العقل مما يجعلها لا فائدة ترجى منها .. لابد أن يكون لكل مؤتمر هدف معين يمكن تحقيقه بسهولة ويسر ، أما أن نحشر كثيرا من الأهداف فان من الصعوبة تحقيق تلك الأهداف عمليا ..

الوقت الكافى .. للباحثين !!

رابعا : لا بد من اعطاء الوقت الكافى للباحثين .. والذى يحدث ان أكثر الباحثين تصلهم الدعوات قبيل المؤتمر بأيام قليلة .. فاما أن لايعد الباحث دراسة عميقة ويكون متفرجا فى المؤتمر وبذلك يصبح طاقة ضائعة أو أن يعد بحثا مرتجلا ولا فائدة من كل ارتجال أو أن يستخرج بحوثه القديمة من ادراجه ويعيد قراءتها فى كل مؤتمر حتى أصبحت كاللحن المكرر !!

ويضيف اللواء شيت خطاب ..

ـ ان كثيرا من تلك المؤتمرات التى عقدت وتعقد تكون مؤتمرات دعاية لا مؤتمرات دعوة ، من هنا كانت الاحتفالات الباذخة والاسراف الذى لا مسوغ له ! ! كم أتمنى لو خصصت هذه المبالغ للدعوة الحقة ! !

أما عن المقررات والتوصيات التى تضعها المؤتمرات فيجب أن تكون قابلة للتنفيذ ، ولكن الذى يحدث أن أكثر المقررات لا تنفذ أبدا . بينما التنفيذ هو كل شىء.. والمؤتمرات عندما تنتهى يعتقد المسئولون عنها أنهم أنهوا واجبهم، والواقع أن واجبهم المهم يبدأ بعد انتهاء المؤتمر لأن مراقبة التنفيذ والمتابعة مسئولية تقع عليهم مباشرة ! !

ويقول اللواء شيت خطاب . .

ـ كما أن تنظيم المؤتمر مهم جدا أيضا .. ويحتاج الى عناية وأقصد به استقبال أعضاء الوفود.. واعداد السكن لهم والاشراف على راحتهم وسفرهم وتنقلاتهم حتى يتفرغوا تماما للمهمة التى دعوا اليها . .



راى .. فضيلة الشيخ الغزالى !!

وكان لقائى الثانى بفضيلة الشيخ محمد الغزالى الذى قال لى :

ـ كان من حظى أن أشارك فى عدة مؤتمرات ذات أهداف متنوعة فكنت مقررا لمؤتمر توجيه الدعوة واعداد الدعاة وكنت متحدثا فى مؤتمر التعليم الاسلامى ومتحدثا فى مؤتمر أثر الشريعة الاسلامية فى سيادة الأمن فى المملكة العربية السعودية وهو مؤتمر حضره عدد من المستشرقين والباحثين الأجانب ، وشاركت فى مؤتمر الاقتصاد الاسلامى كما شاركت فى المؤتمر المسيحى الاسلامى الذى انعقد فى الاسكندرية من ربع قرن تقريبا ولا زال ينعقد فى عواصم عربية وأوروبية . وأستطيع القول أن الكثرة الكاثرة من البحوث التى عولجت فى هذه المؤتمرات كانت غنية وقوية ومفيدة وخادمة لموضوعاتها وناجحه فى علاج القضايا التى تعرضت لها ، وأستطيع أن أقول باقتناع أنها أعطت المكتبة الاسلامية آفاقا جديدة ، وأغلب الذين تحدثوا بذلوا جهودا صادقة فى أن يكونوا روادا فى خدمة الثقافة الاسلامية بعامة والقضايا التى تعرضوا لها بخاصة . لكن المحزن أن هذه الموضوعات التى تألق فيها العقل الاسلامى انتهت عند حد الالقاء والمناقشة الموضعية المحلية . أما الانتقال بها الى ميدان التطبيق والتنفيذ ومتابعة ما أمكن الوصول اليه من مقررات فان ذلك كله لم يقع منه شىء يذكر . ولذلك فان هذه المؤتمرات من الناحية النظرية علم جديد نافع ولكنها من الناحية

العمليـة علم دفن مكانه فأصبح كالمعـدن الذى خبىء تحت التراب فلم يجـد من يكتشفه وينفـع الانسان به .

ويبدو أن هذه المؤتمرات عقدت لغير ما تتصور ! والا لكانت بداية لهـا ما بعـدها ! !

ومع ذلك فاننا نرجو أن تكون فترات التريث التى أعقبت عقـد هذه المؤتمرات فترات درس واعداد لمـا يرقبـه المسلمـون من تحقيق لآمالهم فى عقدها ! !

تنبيه الرأى العام الاسلامى

أما الدكتـور مصـطفى حلمى الأسـتاذ المسـاعد بقسم الثقـافة الاسـلامية بجامعـة الرياض . . فيقول :

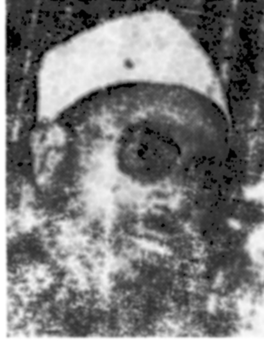
ــ هذه المؤتمرات وسيلة تجميع وحشد لعلماء المسلمين فى العـالم الاسـلامى كلـه مما يتيح الفرصة لتبادل الآراء والخبرات والشورى ممـا يـؤدى الى زيـادة الوعى بالمشكلات التى يعانى منها العـالم الاسلامى.. واقتراحات حلولها ..

كما أن هذه المؤتمرات تسـاهم فى ايجـاد رأى اسـلامى موحـد لمواجهة المشـكلات المعـاصرة فى القضايا التى تبحثها المؤتمرات ..

كما تساهم أيضـا فى توضـيح موقف الاسـلام فى مسائل هامـة أساسية كمناهج التعليم من وجهـة نظر الاسلام وتأكيد كفاية الشريعة الاسلامية للمشـكلات الانسانيـة فى كل عصر .

واذا خصصنا الحديث فى مؤتمر الدعوة والدعاة أمكن القاء الضوء على العقبات التى تحـول بين دعاة المسلمين وبين أداء دورهم واظهار حقائق ما يدور فى أنحاء العـالم من حيث اضـطهاد القـلة الاسـلامية ومنعهم من أداء شعائرهم .. يعنى باختصـار تنبيـه الرأى العـام الاسـلامى الى ما يعانى منه اخوة لهم يقعون فى الستار الحديدى وفى افريقيا وفى الفلبين وغيرها ..

أما عـن جانب النقص فى هذه المؤتمرات فهو ما يتصـل بوجود جهاز متابعة للاشراف على تنفيـذ التوصيات حتى لا تتحول القرارات والتوصيات الى مجرد كلمات تقال وتنفض ..



مع الدكتور القرضاوى

ويقول الدكتور يوسف القرضاوى ..

ـ الواقع هناك نواحى طيبة وايجابية لهذه المؤتمرات وقد حضرت عددا منها بعضها فى البلاد العربية والاسلامية وبعضها فى أوروبا وأمريكا وبعضها يأخذ الطابع العلمى وبعضها يأخذ الطابع العملى والحركى بجوار الجانب العلمى أيضا .. ومن الوجوه الايجابية أنها تجاوزت مرحلة الوطنية والقومية الى عالمية الاسلام فأصبحنا نرى مؤتمرات تعقد على مستوى العالم الاسلامى نجد فيها العربى والعجمى أسيويا أو أفريقيا أو أوربيا أو أمريكيا وقد تناسى الجميع جنسياتهم ولم يبق الا راية واحدة تظل الجميع هى راية العقيدة الاسلامية والأخوة الاسلامية وهو وجه ولا شك من أوجه التضامن الاسلامى فى مجالات العلم والثقافة والدعوة ، وهذه مرحلة لا بد أن تسبق كل تضامن يدعى اليه على المستوى السياسى أو الحكومات.. ووجه آخر هو أن هذه المؤتمرات تتيح لعدد كبير من رجالات الفكر والرأى والدعوة فى العالم الاسلامى وخارجه أن يلتقوا ويتعارفوا ويتدارسوا قضاياهم وتتلاقى أفكارهم ويتبادلوا الخبرات وهذا ليس بالأمر الهين وأعتقد أنه كسب كبير من مكاسب هذه المؤتمرات فكم من لقاءات جانبية تعقد بين المؤتمرين بعضهم وبعض والتفاهم على قضايا واتفاق على أعمال تخدم قضايا المسلمين الفكرية أو الحركية

أو السياسية •• كل هذا يحدث من خلال هذه المؤتمرات ••

هناك وجه آخر هو أن هذه المؤتمرات كثيرا ما أزالت الفجوة التى كانت قائمة بين علماء الشريعة وغيرهم من العلماء المدنيين والمتخصصين فى مجالات العلوم الانسانية المختلفة كما رأينا ذلك واضحا فى المؤتمر العالمى الأول فى الاقتصاد الاسلامى ومؤتمر التعليم الاسلامى • • وهذا التقريب أو التلاقى يفيد كثيرا فى حقل العمل الاسلامى والدعوة الاسلامية • •

أمر رابع هو أن هذه المؤتمرات تقدم لها بحوثا كثيرا ما تكون مخدومة ومدروسة ويمكن من خلالها النفاذ لبعض المشكلات لعلاجها علاجا واقعيا بأقلام أناس متخصصين لا ينقصهم الايمان ولا الوعى ولا التجربة ! ! كما أنها تستطيع أن تكون مصباحا على الطريق أو مفتاحا لمن يريد أن يعمل أو لمن يريد برنامج أو خطوات يهتدى بها فسيجد هذه المقررات أو التوصيات جاهزة أمامه تعبت فيها عقول كثيرة وسهرت عليها حتى ظهرت بهذه الصورة •

سلبيات هذه المؤتمرات !!

وعن سلبيات هذه المؤتمرات •• يقول الدكتور القرضاوى :

ـ من سلبيات هذه المؤتمرات أنها كثيرا ما تتخذ لخدمة أهداف سياسية وهذا يفقدها تأثيرها وثقة الناس بها وهذا ملحوظ فى بعض البلاد التى عقدت فيها وفى بعض العهود • شىء آخر هذه المؤتمرات كثيرا ما تنبثق عنها توصيات جيدة ومقررات نافعة ولكن لا تتخذ الوسائل الايجابية لمتابعة تنفيذها والاشراف على نقلها من حيز الورق الى حيز الواقع ولهذا قلت فى بعض المؤتمرات : اننى أخشى أن ينبثق عن المؤتمر بحوث جيدة لا تقرأ ، وتوصيات جميلة لاتنفذ ، ممايؤخذ على كثير من المؤتمرات أن بحوثها لا تطبع بحيث ينتفع بها الناس فى العالم الاسلامى وما يطبع منها يطبع فى حيز محدود لا يمكن تعميمه على قاعدة كبيرة من الناس ••



الطريق .. لوحدة فكرية !!

أما الدكتور عبد الستار فتح الله سعيد الأستاذ بجامعة الرياض فيقول :

ـ أهم ايجابيات هذه المؤتمرات أنها تجمع رجال الفقه والعلم الاسلامى فى صعيد واحد فتتقارب الأفكار وتتضح المفاهيم وتتبلور فى اتجاهات محددة كما أنها تتيح فرصة بحث القضايا الكبرى بحثا واسعا ومتعدد الجوانب وبذلك تضع تحت أيدى الباحثين ذخيرة علمية للبحث والدراسة .. كما أنها تنشط الدعوة والعمل الاسلامى العام عن طريق لقاء أفراد ما كان من الممكن التقاؤهم ولا جمعهم عن غير هذه الطريق ..

وتعطى هذه المؤتمرات جماهير الأمة الاسلامية دفعة اعلامية وتلفت أنظار الأمة نحو الفكرة الاسلامية.

وأرى ان هذه المؤتمرات اذا أحسن توجيهها والاستفادة بنتائجها يمكن ان تكون ارهاصا وتأسيسا لوحدة فكرية اسلامية مرة اخرى بعد عصور التشتت والتمزق الطويلة التى فرضتها القوى الخارجية طوال فترة الاحتلال سواء بالكيد المباشر أو بالدسائس والمؤامرات الطويلة . وتستطيع هذه المؤتمرات أن ترسم خطة متكاملة لاعادة بناء العالم الاسلامى من جديد فكريا واجتماعيا واقتصاديا وبذلك يمكن مواجهة التيارات التى تشكك فى الاسلام وفى قدرته على مواكبة

البناء الحضارى لأى أمة ، هذا من ناحية . ومن ناحية أخرى هذه المؤتمرات تضع فى يد المخلصين من المسئولين خطة عمل محددة اذا أرادوا فعلا أن يتجهوا بأمتهم الى طريقها الأصيل والوحيد وهو الاسلام أو على الأقل تكون حجة عليهم فى دعوى عدم وجود البديل.

وعن سلبيات هذه المؤتمرات ..

يقول الدكتور عبد الستار :

ــ عدم دعوة بعض كبار رجال الفقه والفكر الاسلامى أحيانا لهذه المؤتمرات لاعتبارات مختلفة سياسية وغيرها فى الوقت الذى يدعى اليها أناس فى غاية الضحالة الفكرية. يدعون لاعتبارات سياسية ومصلحية .

ــ عدم متابعة قرارات هذه المؤتمرات للتنفيذ والملاحظة بعد صدورها مما يجعلها فى الغالب جهدا فكريا أو علميا يضيع فى تيار الحياة بعد انتهاء المؤتمر ..

ويرى الدكتور عبد الستار

ــ انشاء مجلة متخصصة تحمل فكر ومقررات هذه المؤتمرات حتى تكون الصلة دائمة بين هذه المؤتمرات وبين الجهات العلمية والمثقفين والعلماء فى البلاد الاسلامية

ــ وتيسير مطبوعات هذه المؤتمرات والعمل على نشرها على أوسع نطاق وتوصيلها للمؤسسات العلمية والمراكز الثقافية فى العالم الاسلامى ..

ويختتم حديثه بقوله

ــ على هذه المؤتمرات ان تخرج من دائرة المقرارات الوصفية التى تمتدح النظام الاسلامى وتدافع عنه بل ينبغى أن تتجاوز هذه المرحلة الى خطوة عملية جادة وهى وضع الخطط والمناهج البديلة للأنظمة المستوردة من الحضارة المادية.فمثلا مؤتمر الفقه الاسلامى ينبغى ان يضع نصب عينية تقنين الشريعة الاسلامية حتى نقطع الطريق على دعاوى اصحاب القانون الوضعى فى عدم وجود البديل .. ومؤتمر الاقتصاد يجب أن يضع بدائل للنظام المصرفى القائم بحيث يحقق مصلحة الاقتصاد الاسلامى ويتجنب

المعاملات الربوية والمضاربات غير المشروعة !

وعن أسوأ عيوب هذه المؤتمرات .. يقول الدكتور عبد الستار

ــ من عيوب هذه المؤتمرات أنها احيانا تستخدم لأغراض سياسية مما يحدث انفصاما بينها وبين جماهير المسلمين وينعكس عليها ظلالها فى عدمة الثقة فمثلا الدولة التى تستهزىء بالاسلام علنا ثم تعقد مؤتمرا اسلاميا للدعاية السياسية فتحشد العناصر الموالية لها وبالتالى لايكون لهذا المؤتمر أى تأثير يذكر . ولكن فى المحصلة النهائية يضر بسائر المؤتمرات الجادة !!

مقررات .. منهج للتنفيذ !!

وكان اللواء محمد جمال الدين محفوظ آخر من التقيت بهم وسمعت رأيهم فى المؤتمرات الاسلامية وما ينبغى ان تكون عليه .. فقال :

ــ رأيى أن أى مؤتمر لا تتحول مقراراته وتوصياته الى منهج عملى قابل للتنفيذ لا جدوى منه .

وحتى يتحقق ذلك يرى اللواء محمد جمال الدين محفوظ

ــ ان أى مؤتمر يعقد يجب ان يقوم على اساس بحث المشاكل التى تعانيها الأمة ولا بد من التنسيق مع الحاكم أو الحكومة بمعنى أن المؤتمر عندما يبحث مشكلة ما انما يبحثها لحساب الحكومة المسئولة . وما يصل اليه من توصيات ومقررات تتلقف الحكومة أو الحاكم هذه التوصيات لكى تحولها الى منهج للتنفيذ ! !

وأيا كانت الآراء التى قيلت .. فى مؤتمراتنا الاسلامية فنحن لا نرجو الا الخير كل الخير .. لأمتنا .. وحتى يتحقق هذا الخير فاننا نبسط ما بسطنا من باب القاء الضوء حتى يمكن أن نرى بوضوح ما ينبغى أن نصلحه .. ونصححه ! !

تحقيق : جابر رزق

١٧٢٥

مجمع البحوث الإسلامية في الميزان

- مجمع البحوث الإسلامية فى التاريخ
- بحوث المجمع
- الخطة العلمية
- موقف الأعضاء
- القرارات والتوصيات
- موقف المجمع من الاشتراكية
- موقفه من الربا
- موقفه من التأمينات
- موقفه من التشريع للاسرة
- تقنين الشريعة الإسلامية
- موقفه من الإسرائيليات
- موقفه من الأقليات الإسلامية
- حاجة المجمع إلى كادر خاص
- حاجة المجمع إلى مبنى
- بين الأمل والواقع

دكتور يحيى هاشم

مجمع البحوث الاسلامية مظهر من مظاهر الحركة الاسلامية المعاصرة ، واذا كان من اللازم لتفهم حركة تاريخية معينة ، أن نحاول التعرف على جذورها التى تضرب فى أعماق الماضى البعيد أو القريب فانه يكفينا فى هذا المقام أن نشير الى أن جذور هذا « المجمع » ، تمتد الى حلقات العلم التى انعقدت هنا وهناك منذ ظهور الدعوة الاسلامية ، وقيام المجتمع الذى يدين بهذا الدين الجديد .

ولسنا هنا فى مقام الافاضة فى بيان تطور مظاهر هذه الحلقات العلمية على مدى أربعة عشر قرنا ، أو بيان أوجه العلاقة بينها وبين الدولة أو المجتمع أو الحركة الحضارية العالمية بوجه عام ، ولكنه يكفينا أن نلم على وجه السرعة بالعلاقة الاصطرادية التى قامت بين تقدم المجتمع أو الدولة أو الحضارة الاسلامية ، وبين تقدم مراكز العلم والثقافة فى ظل هذه الحضارة ، حيث يقوم بينهما ترابط عضوى وثيق .

وعلى هذا الأساس يمكننا أن نلاحظ حركة الجزر التى أصابت الحضارة الاسلامية اثر النزيف الطويل الذى كان من نتائج الحروب الصليبية — برغم ما أحرزه المسلمون فيها من انتصار نهائى — ثم ما أصاب كيان هذه الحضارة من ترهل وخمول وتمزق أثر الغزو الاستعمارى ، وكان لنا أن نلاحظ ما يصاحب ذلك كله من مظاهر القصور فى الحركة الفكرية الاسلامية بوجه عام .

واذا كانت حركة الجزر التى أشرنا اليها قد وصلت الى غايتها بوصول الاستعمار الأوربى الى عنفوانه فى أواخر القرن التاسع عشر ، وأوائل القرن العشرين ، ودخول هذا الاستعمار فى طور جديد ينذر ببدء زواله ، فانه من الملاحظ أن ذلك كان مصحوبا ببدء حركة اسلامية تحاول بعث العملاق الاسلامى من سباته ، وتضميد جراحاته ، ودفعه الى حيث يحتل مكانه اللائق به فى موكب التاريخ .

واذا كانت ارهاصات هذه الحركة قد تمثلت فى فكر الأفغانى ودعوته الى الجامعة الاسلامية ، وكتابات الكواكبى وأحلامه فى « أم القرى » وفلسفةمحمد عبده وخطته فى التربية الاسلامية ، فان الأمر بعد ذلك ظل طويلا فى اسار الدعوة والحلم ولم يكد يظهر أثر له فى عالم الواقع الى أن ظهر مجمع البحوث الاسلامية فى أوائل النصف الثانى من القرن العشرين كنواة للتجمع الاسلامى المنشود ، وكتجسيد حى للخطوة الأولى على الطريق ..

واذا كانت التربة الخاصة التى ظهر فيها مجمع البحوث الاسلامية هى تربة الأزهر بما له من ماض عريق يمتد الى أكثر من ألف عام حافلة باثراء الفكر الاسلامى وربط الشعوب الاسلامية برباط وثيق مستقر يعلو على تيارات السياسة واهتزازاتها فانه يلزمنا أن نشير الى أنه كانت للأزهر تجربة سابقة قريبة فى انشاء هيئة علمية شبيهة بالمجمع تستظل بظل الأزهر ، وتعمل على تركيز قمة النشاط العلمى فيه ، تلك هى « هيئة كبار العلماء » التى حل محلها المجمع ، وزاد عليها فى اختصاصاته وطبيعة تكوينه ، وخطة نشاطه .

ولكى نستكمل الصورة التى كونت البيئة الفكرية التى نشأ فيها المجمع ، لا يفوتنا أن نعرب عن الرأى القائل بأن ظهوره كان انحيازا لوجهة النظر التى ترى أنه ينبغى أن يسبق ظهور الدولة الاسلامية أو الجامعة الاسلامية الموحدة بظهور دراسات وأبحاث تشمل جميع أوجه الحياة الاسلامية، وتسبر أغوارها ، وتقدم المستقبل المأمول لها فى صورة الممكن، وترد على أعداء النمط الاسلامى الذى يدعون استحالته فى الحياة المعاصرة.. وذلك ضد وجهة النظر الأخرى التى رأت أن نقطة الانطلاق فى بناء الحياة الاسلامية لا تتركز فى اجراء هذا النوع من الأبحاث والدراسات النظرية بقدر ما تتركز فى التغيير العلمى

للمسار المنحرف الذى وقعت الحياة الاسلامية أسيرة له منذ قرون ، وبقدر ما تتركز فى الاستحواذ على السلطة، واستخدامها لمصلحة هذا التغيير .

وعلى ضوء هذه الفكرة الأساسية كان الطابع الغالب لمجمع البحوث الاسلامية ـ وكما يتبين من اسمه ـ هو توجيه الهمة نحو اجراء البحوث والدراسات النظرية ، ومن هنا جاء فى قانون انشائه الصادر فى عام ١٣٨١ هـ ١٩٦١ م ما يأتى :

« مجمع البحوث الاسلامية هو الهيئة العليا للبحوث الاسلامية وتقوم بالدراسة فى كل ما يتصل بهذه البحوث وتعمل على تجديد الثقافة الاسلامية ، وتجريدها من الشوائب والفضول وآثار التعصب السياسى والمذهبى ، وتجليتها فى جوهرها الأصيل الخالص ، وتوسيع نطاق العلم بها لكل مستوى ، وفى كل بيئة ، وبيان الرأى فيما يجد من مشكلات مذهبية أو اجتماعية تتعلق بالعقيدة، وحمل تبعة الدعوة الى سبيل الله بالحكمة والموعظة الحسنة وتعاون جامعة الأزهر فى توجيه الدراسات الاسلامية العليا لدرجتى التخصص والعالمية والاشراف عليها والمشاركة فى امتحاناتها » .

ومن هنا استهل المجمع نشاطه بعقد مؤتمراته التى بدأت فى عام ١٩٦٤ ، وقدم فيها مجموعة ضخمة من البحوث التى تناولت مختلف أوجه الفكر الاسلامى، والحياة الاسلامية، وكان من واجبه أن يركز فيها على ما يمكن أن تقدمه هذه البحوث من دليل ليس فحسب على ضرورة بعث النمط الأسلامى لحياة الأمة الأسلامية ، بل على امكان هذا البعث أيضا .

وحرص المجمع على اصدار بحوثه تلك باللغتين العربية والانجليزية فى مجلدات ، يضم كل منها مجموعة البحوث التى ألقيت فى مؤتمراته التى تعقد سنويا تقريبا وبلغت سبعة مؤتمرات حتى تاريخ كتابة هذه السطور ، واشتملت على دراسات فى « ... الاجتهاد ، وأصول التشريع وتحديد الملكية ، والموارد المالية فى الدولة الاسلامية ، ونظام الحسبة ،

والعلاقات الدولية والمعاملات المصرفية ، والتأمينات وشهادات الاستثمار ، وتنظيم الأسرة ، وتحديد النسل ، ومكانة المرأة فى الاسلام ، والزكاة ، الصدقة ، واستثمار الأموال فى الاسلام ، وتحديد أوائل الشهور القمرية ، والاقتصاد الاسلامى وعلاقته بالاقتصاد المعاصر وكفاية الشريعة فى تثبيت التعامل واستقراره ..

والقضية الفلسطينية وواجب المسلمين نحوها ، وموقف اليهود من الاسلام ، والجهاد فى سبيل الله والمسلمين ، والعقيدة الاسلامية بين النصيين والعقليين ..

والقرآن فى التربية الاسلامية ، والقرآن وتجديد المجتمع ..

وتربية الشباب على مبادىء الاسلام ، وشخصية المسلم ، وعوامل انتشار الاسلام ، وفلسفة الحرية ، وموقف الاسلام من الرق ، ومقومات الحضارة الاسلامية وأثرها فى رقى البشرية ، وحقوق الانسان فى الاسلام .

والاسلام والعلم ، وتفسير القرآن فى ضوء المكتشفات العلمية الحديثة .. ووظيفة المسجد فى المجتمع المعاصر ، ووسائل المحافظة على طبع المصحف الكريم . ومنزلة السنة النبوية .

وانه ليتبين من هذه الاشارة العابرة الى الموضوعات التى عالجتها مؤتمرات مجمع البحوث الاسلامية فى الفترة من ١٩٦٤ الى ١٩٧٢ انها تمتد على أفق واسع من جهات البحث الاسلامى وتستجيب لمقتضيات الواقع الاسلامى الذى تمثل فى مطالبة الرأى العام نه بأن يقدم انتاجه العلمى اثر انشائه مباشرة ، الأمر الذى لا يتفق مع الترتيب السليم الذى ينبغى الأخذ به فى مجال البحث فى هذه الهيئة العلمية وأمثالها ، والذى يقضى بأن تمر البحوث فى أطوار من العرض على الأروقة ، ثم على مجلس المجمع الذى يضم أعضاءه والذى ينعقد مرة كل شهر ثم ينتهى بها الأمر بعد ذلك الى أن تصب فى مؤتمر المجمع الذى ينعقد مرة كل عام ، وقد استكملت عودها ، ونالت حظها من المناقشة والتدقيق والتمحيص .

واذا كانت ظروف المجمع والعجلة التى صاحبت انشاءه اقتضته أن يسلك هذا السبيل ، فقد كان هذا السبيل

ضروريا من الوجهة العملية ليتعرف المجمع على خطته العلمية بعيدة المدى التى يشغل بها أروقته ولجانه ، ومن ثم كانت هى المدخل الواقعى لسلوكه سبيل العمل المنظم الذى أشرنا اليه سابقا . وعلى هذا الأساس يمكننا أن تنبه الى أن المجمع لم يكن غافلا عن هذا الأسلوب من العمل وكان حريصا على استغلال ظروف انشائه الأولى واستخدامها من أجل وضع خطة علمية مرحلية منبثقة من واقع المناقشات والتوصيات والقرارات التى أثمرتها مؤتمراته الأولى . فوضع المجمع هذه الخطة ، وكلف أروقته ولجانه بالعمل فى انجازها لتكون بعد ذلك محل الدراسة فى مجلسه الشهرى ، ثم فى مؤتمره السنوى .

وبذلك فان المجمع لا يكون قد وضع قدمه على الطريق الصحيح فحسب ، وانما يكون قد اكتسب من واقع الظروف الأولى لنشأته ميزة أن تكون خطته العلمية للأروقة واللجان منبثقة عن مؤتمره فوق أن تصب فيه .

وقد وزع المجمع خطته على لجان متكونة من أعضائه يتفرع عن كل منها عدد من الأروقة أو اللجان الفرعية التى تتكون من الباحثين والخبراء الذين يستعين بهم المجمع من غير الأعضاء وهذه اللجان الأساسية تتصدى لمختلف فروع البحث : فى القرآن الكريم ، والسنة النبوية ، والبحوث الفقهية ، والتعريف بالاسلام ، واحياء التراث الاسلامى ، والحضارة والبيئات والمجتمعات الاسلامية ، والعقيدة والفلسفة . كما تكونت لجان ذات مهام معينة أو مؤقتة ، كلجنة وضع التفسير الوسيط ، ولجنة الرد على السلسلة التى تهاجم الاسلام باسم « دروس قرآنية » أو « فى سبيل حوار اسلامى مسيحى » . ولجنة دائرة المعارف الاسلامية ، ولجنة المسجد الأقصى ، ولجنة الأقليات الاسلامية .

وما دمنا هنا بصدد الكلام عن الخطة العلمية التى وكل المجمع الى أروقته ولجانه العمل على تنفيذها فاننا نود أن نبين أن التجربة دلت على أن المجمع محتاج الى أن يعيد النظر فى ظروف عمله التى تحيط بمهمته فى انجاز خطته .

فمن ناحية: عليه أن يهيىء لأعضائه الأصليين ظروفا أنسب لبذل الجهد والعمل المثمر .. وفى هذا الشأن فان البعض قد وقع فى خطأ التصور بأن المكافأة الرمزية التى يقدمها المجمع لأعضائه تمكنهم من التفرغ ، أو تقديم الوقت اللازم لتنفيذ هذه الخطة أو الاشراف عليها .

واذا كانت رمزية هذه المكافأة قد أوحت ــ أو هى من شأنها أن توحى ــ برمزية العضوية فان من الملاحظ ان الاعضاء لم يقفوا عند هذا الحد بل قدموا من جهدهم وخبرتهم ما يجعل من الثناء عليهم والشكر لهم دينا واجب الأداء فى عنق الأمة الاسلامية .

الا أن المطلوب بمقتضى الخطة الموضوعة هو أكثر من ذلك بكثير وكثير جدا ، الأمر الذى يقضى ــ كما قدمنا ــ باعادة النظر فى تهيئة الظروف المناسبة .

ومن ناحية أخرى فان على المجمع أن يضع نظاما يكفل قيام علاقة وثيقة مرنة فى نفس الوقت بين أعضائه الأصليين وبين الخبراء والباحثين الذين يستعين بهم فى تنفيذ خطته . بأن تقوم كل لجنة من لجان المجمع بتوزيع أجزاء خطتها على أعضائها ليقوم كل منهم باقتراح الخبراء والباحثين اللازمين لتنفيذ خطتها على أعضائها ليقوم كل منهم باقتراح الخبراء والباحثين اللازمين لتنفيذ جزء الخطة الذى يخصه ، والاشراف على تنفيذه . على أن يقدم الى اللجنة مجتمعة خطة مفصلة لتنفيذ هذا الجزء قبل العمل فيه ، وذلك لنظره واقراره من اللجنة مجتمعة . وعليه بعد ذلك أن يشرف على تنفيذ هذه الخطة التى يتولى تنفيذها الخبراء والباحثون ، ثم يقدم الى اللجنة مجتمعة تقريرا علميا مفصلا عما تم انجازه مصحوبا بالرأى فيه ، ثم يرفع الأمر بعد ذلك فى تقرير مفصل الى مجلس المجمع ، ولا يكون للمجلس حق التعديل فى رأى اللجنة اذا كان من المسائل العلمية الدقيقة التى تدخل فى اختصاصها دون غيرها ، واذا كان للأمر خطورة يقدرها المجلس فله أن يرفعه الى مؤتمر المجمع .

ومن ناحية ثالثة فان على المجمع أن يهيىء الظروف المناسبة التى تكفل لأعضائه الاصليين من خارج جمهورية

مصر العربية المشاركة الفعلية فى تقديم خبرتهم ونشاطهم وجهودهم من أجل تنفيذ خطته بدلا من الاقتصار على تلقى البحوث التى يلقيها بعضهم فى المؤتمرات السنوية . وفى هذا السبيل يمكن تكليف هؤلاء الأعضاء بالاشراف على انجاز أجزاء من هذه الخطة ، فى بلادهم واتاحة الفرصة لهم فى الاستعانة بمن يقترحون من الخبراء والباحثين الذين يوجدون فى بلادهم الأمر الذى يحقق للمجمع نطاقا أوسع ، وخبرات متنوعة .

ولقد كان من المسائل الرئيسية المطروحة للبحث فى أروقة المجمع ولجانه ، التى دلت على حاجة المجمع الى الاستعانة بالخبرات المتنوعة على نطاق العالم الاسلامى ، مسألة تقنين الشريعة الاسلامية ، ومسألة وضع موسوعة مفهرسة للحديث النبوى .

ففى موضوع تقنين الشريعة الاسلامية ، تظهر الحاجة الى الاستعانة بفقهاء المذاهب الاسلامية الذين لا يتوفرون فى نطاق جمهورية مصر العربية ، ويوجد الكثير منهم فى أنحاء العالم الاسلامى ..

وفى موضوع وضع موسوعة مفهرسة للسنة النبوية تظهر الحاجة أيضا الى الاستعانة بكبار علماء الحديث الذين يشار اليهم فى بعض البلاد الاسلامية ، الى جانب اخوانهم من علماء مصر ..

واذا كان المجمع فى هذين الموضوعين لم ينجز كل ما طلب منه فاننا نعتقد ان السبب فى ذلك انه يخطو نحوهما بخطوات ثابته لا تفسدها العجلة التى من شأنها ان تفسد العمل فى مثل هذه المشروعات العلمية الجليلة .

وانه لمن الواضح ان الدراسات التمهيدية التى تسبق البدء الفعلى فى انجاز مثل هذه المشروعات ينبغى أن تنال حظها الواجب من الدقة وتبادل وجهات النظر ، الأمر الذى تستحق من أجله كل وقت يبذل ، بشرط موالاة العمل ومواصلة الجهد .

واذا كان هذا هو شأن المجمع فى بحوثه التى يطرحها فى مؤتمراته ، أو فى بحوثه التى يشغل بها لجانه ، فانه

من الملاحظ أنه قدم للمجتمع الاسلامى مجموعة من القرارات والتوصيات شملت شتى جوانب الحياة الاسلامية المعاصرة •

وأنه من الملاحظ أيضا أنه حين اصدار المجمع لهذه القرارات والتوصيات كانت تحكمه عدة اعتبارات : فهو من ناحية وبحكم كونه مجمعا اسلاميا مرتبطا بأصول مقررة فى الدين الاسلامى تختلف طبيعة القرارات الصادرة عنه عن طبيعة القرارات التى يمكن أن تصدر عن مجمع آخر من المجامع التى عرفها التاريخ • ذلك أنه ليس من شأنه — ولا من حقه — أن يصدر قرارات مبتورة تعبر عن ارادته المطلقة ، وانما ينبغى أن يكون واضحا فى هذه القرارات ماترتكن اليه من أصول الشريعة الاسلامية • ومن هنا كانت بحوث المؤتمر خلفية لازمة لشرح قراراته وبيان حق المجمع فى اصدارها •

وهو من ناحية أخرى وبحكم كونه مجمعا اسلاميا مرتبطا بجبهة عريضة من الشعوب الاسلامية والدول الاسلامية كان عليه أن يصدر قراراته وتوصياته بحسب حاجة هذه الشعوب المختلفة ، وكان عليه فوق ذلك أن يراعى أن تكون مفهومة لدى هذه الشعوب فى ضوء ظروفها الخاصة وأن يمتنع عن اصدار القرارات أو التوصيات التى يمكن أن تؤول تأويلا لا يتفق مع الهدف الأساسى فى خدمة الفكر الاسلامى النقى الخالص •

ومن ناحية ثالثة فقد كان عليه أن يقتصد فى اصدار القرارات والتوصيات التى لا يحتمل أن تجد طريقها الى التنفيذ ، وليس هناك حاجة ملحة الى اعلانها ، وأن ينتظر بها الى وقتها المناسب ليحتفظ لقراراته وتوصياته — بوجه عام — بالقدر الكافى من الهيبة والاحترام ، وليوفر لها — فى وقتها الملائم — القدر الكافى من الحيوية والفعالية •

والى هذا الحد فقد تبين لنا أن المجمع لم يكن ليعمل على مستوى بيئة محدودة من الرقعة الفسيحة التى تشغلها المجتمعات الاسلامية المتنوعة ولقد كان ذلك ملاحظا فى وظيفته وفى قانون انشائه ••

فقد نصت المـادة الساسة عشرة على ان «يتألف مجمع البحـوث الاسلامية من خمسين عضوا من كبار علماء الاسلام يمثلـون المـذاهب الاسلامية ، ويكون من بينهم عدد لا يزيد عن العشرين من غير مواطنى جمهورية مصر العربية .

واذا كان العدد المحدود لعضوية المجمع كما جاء بالمـادة المذكورة لا يسمح بتحقيق التنوع الذى يقتضيه تغطية مختلف البيئات الاسلاميـة على تشعبها وتنوعهـا فى النواحى الثقافية والاقتصاديـة والجغرافيـة والسكانيـة والمذهبيـة ، فانه من المؤكد ان قانـون المجمـع يسمح بتغطية هذا التنوع بتعيين عدد من الاعضاء غير محدود وذلك بتطبيق المـادة السادسة والعشرين التى لم تطبق بعد والتى تنص على أن يختار مؤتمر اعضاء مراسلين من مواطنى جمهـورية مصر العربيـة أو من غيرهم ، ممن يرى الاستعانة بهم فى تطبيق أغراضـه ، وبذلك تنمـو عضوية المجمع الى الحد الذى يسهل له القيام بمهمته على الافق الواسع للامة الاسلامية .

وفى سبيل تأكيد عالمية المجمـع فان أمامه أن يضع أسلوبا مناسبا للتعاون مع الهيئـات الاسـلامية المماثلة أو الشبيهة به ، من أجـل تحقيق التناسـق والتكـامل بين العاملين فى مجال مشترك ، ولأهداف مشتركة .

مواقف المجمع وانجازاته الهامة :

لقد وقف مجمع البحوث الاسلامية مواقف بطولية سيذكرها له التاريخ بالفخر والاعتزاز .

الموقف الأول :

موقفه من الاشتراكية المستوردة:

بدأ المجمع نشاطه فى وقت بلغ فيه طغيان مراكز القـوى أقصاه ، وألجمت فيه الأفواه ، وصارت جميع المستويات ألعوبة فى يد الطغيان ، تأتمر بأمره ، وتنتهى بنهيـه ، لم يسلم من ذلك الأفراد ولم تسلم من ذلك المؤسسات .

بدأ المجمع نشاطه فى هذا الوقت الذى التحمت فيه مراكز القـوى

مع الحركة الشيوعية العالمية وتحالف الطرفان على قتل الحركة الاسلامية فى مستوياتها المختلفة .

وطلب الى المجمع فى مؤتمره الثالث أن يصدر توصية بتزكية (الاشتراكية العربية) ..

من الذى كان فى هذا الوقت يقدر على الاحجام عن ذلك ؟

لم يكن أحد بمفرده ليقدر على رفض هذه التوصية ، والا كان يجرى تصفيته لسبب مفتعل ، ويوضع آخر فى موضعه .. يقبل هذه التوصية تحت أى مبرر ، وبخاصة انها جاءت بوصف مجبب كان المطلوب هو تزكية الاشتراكية العربية .. لا الاشتراكية مطلقا ..

لكن الذى حدث هو أن المجمع أقدم على رفض هذه التوصية بكل شجاعة وفدائية ، وقاد ذلك شيخ الأزهر آنذاك الامام الأكبر الشيخ حسن مأمون ـ رحمه الله ـ بمؤازرة وتخطيط من وكيل الأزهر فى ذلك الوقت الدكتور محمد عبد الله ماضى والأمين العام لمجمع البحوث الاسلامية الدكتور محمود حب الله رحمه الله .

ومهما يكن الرأى فى هذا الموقف فان أى قدر من الانصاف يجعلنا نشعر بالفخر لما فيه من شجاعة ، فى وقت كان فيه الطغيان والارهاب والتعذيب أداة الحكم ، وكانت كلمة الاشتراكية بمفهومها المستورد ـ بله الاشتراكية العربية ـ مقدسة ، تتردد على كل لسان ولا يجرؤ على رفضها انسان ..

موقفه من الربا ..

لقد حسم المجمع الرأى فى موضوع الربا بما لا يترك مجالا لمستزيد بالرغم مما يقوله البعض الآن فى مناسبات اعلامية متكررة من أن المجمع لم يبت بعد فى الموضوع ، يريدون بذلك تشويه موقفه ونزع صلاحيته القيادية كما يريدون بذلك أيضا تجاهل مقرراته فى هذا الموضوع واهالة تراب النسيان عليها .

لقد حسم المجمع الرأى فى موضوع الربا فى نقطتين كانتا مثارا للمناقشة والبلبلة ومنفذا احتياطيا يريد الراغبون فى الأخذ بنظام الربا فى المجتمع الاسلامى أن ينفذوا منه .

النقطة الأولى :

هل الربا المحرم هو الربا الاستهلاكى فقط ؟ وبناء عليه تجوز الفائدة فى القروض الاستثمارية ، وتنطلق من ثم أجهزة البنوك والشركات والأجهزة الاقتصادية المختلفة الى ممارسة الربا فى مجالاتها ؟

لقد قرر المجمع أن الربا محرم لا فرق فيه بين مايكون عن قرض استهلاكى أو قرض استثمارى ..

النقطة الثانية :

هى :هل الربا المحرم هو مايكون أضعافا مضاعفة فحسب ، وبناء عليه تجوز الفوائد على القروض التى تقوم عليها البنوك والشركات وغيرها ، مالم تصل الى حد مضاعفة رأس المال ، وهى دائما ــ أو غالبا ــ ما تكون غير مضاعفة ، اذ تقتصر على نسبة لا تزيد على العشرين فى المائة اذا أخذنا فى الاعتبار ما وصلت اليه الفائدة فى أوربا الغربية ؟

لقد حسم المجمع الرأى ، وقرر أن الفائدة محرمة وهى ربا ، لافرق فى ذلك بين ما يكون أضعافامضاعفة أو نسبة ضئيلة .

فعل المجمع ذلك مصادما لكل التخطيطات الاقتصادية التى لم تبد استعدادا فى لحظة من اللحظات للتخلى عن التعامل بالربا ..

فعل المجمع ذلك فى وقت كانت فيه هذه المصادمة بطولة تعرض الفرد ــ كما تعرض البيئة ــ للاضطهاد والتشريد والمحاربة فى الرزق والولد ..

وتعجيزا للمجمع وتعطيلا لمقرراته طلب اليه أن يقترح البديل الاسلامى للبنوك الحالية ــ وهو طلب غير مشروع لأنه لا يدخل فى دائرة اختصاصه لأنه من اختصاص علماء الاقتصاد وخبراء المال، أما المجمع فما عليه الا أن يقدم الشروط والمواصفات الاسلامية التى ينبغى مراعاتها عند تأسيس أى نشاط اقتصادى .

ومع ذلك قدم أحد أعضاء المجمع ــ وهو الدكتور محمد عبد الله العربى ــ اقتراحه للمجمع بالبديل

الاسلامى ، وهو يقوم على نظـام المضاربة الاسلامية.وبالرغم من ذلك تجاهلت وسـائل الاعـلام هـذا الاقتراح . وموهت على المجتمـع الاسـلامى الموقف ، وأوهمته أن المسئولية لا تزال فى رقبـة المجمع الذى لم يقـدم البـديل ، ومن المؤسف أن هـذه الأجهـزة التى قـدمت هـذه الصـورة المشوهة عن المجمـع تجـاهلت تمـاما أن هنـاك محاولات قـدمت البديل الاسلامى تقديما عمليا ، ثم أجهضت، حدث هذا فى بنـوك الادخار بميت غمـر ، تجاهلت الاجهـزة الاعلامية ذلك ، وبدلا من أن تلح فى فتـح ملف هذه البنوك التى اسـتبعدت الربا من معاملاتها والتى أجهضـت لأسباب غير اقتصادية ، ولأسـباب غير معـلومة ... واصلت مؤامرة الصمت هذه وأخذت تتجاهل أخيرا بنك فيصل الاسلامى المصرى الذى قام على استبعاد الربا تلبية لدعـوة صادرة من المجمع طبقا لما جاء فى خطبة افتتاحه .

الموقف الثالث :

موقف المجمع من موضوع التأمين ...درس المجمع هذا الموضـوع من جميع جوانبه ، وأبدى الرأى من زمن طويل فى أنواع التأمينات التى تقوم بها الحكومات والجمعيات التعاونية ، وواصل بعد ذلك دراسته لأنـواع التأمينات التى تقـوم بها الشركات الاستغلالية وفرغ من هذه الدراسـة ، وأجدر بأولئك الذين يجدون فى التشنيع على المجمع ابرازا لتعالمهم وغيرتهم أن يقرءوا التقرير الشامل الذى وضعه فضيلة المرحوم الأستاذ الجليل الشيخ محمد أحمد السنهورى عضـو المجمع ورئيس لجنة البحوث الفقهية عن التأمينات. وقد سجل فى هذا التقرير آراء علماء المسلمين فى التأمين الذى تقـوم به الشركات : على الحيـاة ، أو على الحوادث،وللمتعجل أن يأخذ بالرأى الذى يستريح إليه من بين هذه الآراء ومن بينهـا آراء مستندة الى كل مذهب من المذاهب الأربعـة ، أما لجنة البحوث الفقهية فقد اسـتقر رأيها على أن التـأمين من العقـود المسـتحدثة التى ليس لها نظير فى الفقه الاسلامى . ومن ثم فان ابداء الرأى فيه لا بد أن يبنى على (اجتهاد) يصدر من أهله ، وحسب الشروط

التى يضعها المجمع لذلك ، وتوقفت اللجنة عن ابداء الرأى لسبب شكلى له أهميته البالغة ، ذلك هو أن تحدد أولا الجماعة التى يحق لها أن تصدر رأيا اجتهاديا فى هذا الموضـوع ، ووجدت اللجنة أن المجمع بقاعدته العريضة .. يجب أن تحـدد منه جماعة متخصصه أو يضاف اليها ، ومن هنا كان المـدخل الى ضرورة النظر فى تكوين هذه الجماعة واجراء الدراسة التى تحقق المطلوب .

وفى رأيى أن السـبيل الى ذلك يكون بالاضـافة الى المجمـع لا بالاقتقاص منه بأن تنبثق عن المجمع جماعة أكثر تخصصا تسمى (جماعة كبار علماء الشريعة الاسلامية) تكون من بين أعضـاء المجمع ، وتختص باصدار الرأى فى مسـائل الشريعة الاسلامية : فى العقيدة ، والعبادة ، والمعاملات وقد يقتضى ذلك تعديلا فى قانون المجمع .

ويعنينا هنا أن نسجل أن المجمع فى موقفه من موضـوع (التأمين) كان مؤديا لواجبه على الوجه الأكمل غير خاضع فى ذلك لضغط من جهة أو سلطان ، على ما فى هذا الموضوع من مساس خطير بالاقتصاد المعاصر .

الموقف الرابع :

موقف المجمع من شئون الأسرة .

فى الوقت الذى كانت فيه الأجهزة الرسمية وغير الرسـمية تصرخ من زيادة النسـل وأثره فى اظهار فشل الخطة الاقتصادية ، وتلح فى الدعوة الى تقليل النسـل سواء تحت قناع التنظيم أو التحديد وتقف وراء هذه الدعوة أجهـزة عقائدية وتنظيميـة قـادرة على الضـغط والارهـاب والتخويف . قادرة على تجنيد الأفراد والموظفـين والاعلام فى مختـلف القطاعات لخدمة الدعوة التى تدعو اليها ، فى هـذا الوقت بالذات رفع المجمع صـوته عاليا بأن الاسـلام يرغب فى تكثير النسل .

وفى هذا الوقت نفسه كانت تلك الأجهزة تحاول تغيير قانون الأحوال الشخصـية بتحريم تعدد الزوجات أو جعله مقصورا على اذن القاضى وسلب الرجل حقه فى ايقاع الطلاق وجعله متوقفـا على اذن القـاضى

كذلك .. وهنا أيضا أعلن المجمع رأى الاسلام واضحا قويا : أن كلا من الأمرين لا يحتاج الى اذن القاضى .

الموقف الخامس :

موقفه من تقنين الشريعة الاسلامية . فى هذا الوقت كذلك ـ المشحون بقوى الارهاب والتخويف واملاء الرأى الواحد الذى تتبناه الدولة والدعوة الى صنع مجتمع جديد يستلهم الاشتراكية العلمية ، ويرتبط بالاشتراكية الدولية ـ ..

فى ذلك الوقت الذى فتحت فيه المعتقلات للمعارضين ، واستضافت فيه السجون أصحاب الفكر الاسلامى المستقل ـ فى ذلك الوقت بالذات أعلن المجمع رأيه بأن النظام التشريعى الاسلامى له ذاتيته المستقلة ، وأنه لا يصلح أمر المسلمين الا بالرجوع الى الشريعة الاسلامية ، وأكد المجمع ذلك مرارا وبمختلف الصور ، وبدأ فى عملية تقنين الشريعة الاسلامية ـ التى أنجز منها ثمانى مجلدات ـ لتكون مرجعا مبسطا لمن يرغبون فى وضع القانون القائم على الشريعة الاسلامية ، ولم يكن للامام الأكبر فى السنوات الأخيرة محاضرة الا دعا فيها الى تغيير القوانين المعاصرة ، ووضعها من جديد على أساس الشريعة الاسلامية ، وألح فى ذلك ـ وما يزال يلح ـ الحاحا شديدا ، ووضع المسئولية على كاهل المختصين ، وقفل الطريق أمام التهرب من المسئولية ، وقد بدأت هذه الدعوة تتبلور فى اتجاهات محددة فى مجلس الشعب وفى غيره من الأوساط الشعبية والأوساط التنفيذية المسئولة نرجو أن تؤتى ثمرها فى القريب العاجل .

الموقف السادس :

موقف المجمع من الدراسات القرآنية والحديثية :

وضع المجمع النقط على الحروف فى المسائل التى أثارت بلبلة فى هذه الدراسات ، وحسم فيها الأمر وأصبحت لا تثار الا لتقابل برأى المجمع فتهدأ .

حسم المجمع موضوع تلحين القرآن فحكم برفضه رفضا قاطعا .

حسم المجمع موضوع كتابة القرآن الكريم بغير الرسم العثمانى فحكم برفضه رفضا قاطعا ..

أكد المجمع ضرورة التوسع فى تحفيظ القرآن الكريم ووضع الخطط اللازمة لذلك .

عمل المجمع على تنقية كتب التفسير والحديث من الاسرائيليات واختار الطريق الميسور لذلك بأن أصدر كتابين لبيان هذه الاسرائيليات والتحذير منها، وأصدر تفسيرا حديثا خاليا منها ، ولم يجد من الميسور تتبع كتب التفسير القديمة فى الأسواق لاستبعادها واعادة طبعها خالية من هذه الاسرائيليات .

أما عن الحديث : فقد رأى المجمع الحاجة ملحة الى وضع موسوعة حديثة بين أيدى العلماء والباحثين تضم أغلب الاحاديث المروية لتبين الصحيح منها والحسن والضعيف ، ووقع الاختيار على كتاب جمع الجوامع للامام السيوطى لوفائه — تقريبا — بالغرض .

كما وضع بحوثا وافية لبيان الأحاديث المشكلة ، التى يظن أن ظاهرها غير مراد ، لتحقيقها وشرحها، وبيان الحق فى موضوعها ..

الموقف السابع :

موقف المجمع من التنظيم الاجتماعى بصفة عامة ..

فى هذا الشأن يمكننى أن أقول واثقا ان مجموع الدراسات والقرارات والتوصيات التى صدرت عن المجمع حتى الآن قد شملت جميع النواحى الاجتماعية : علمية واعلامية ، وتربوية ، واقتصادية ، وسياسية ، وعقائدية ، وحضارية .. الخ .

بل يمكننى ان أقول واثقا ان مجموع القرارات والتوصيات التى صدرت عن المجمع فى هذه الشئون تمثل استراتيجية متكاملة لكل من يريد أن يعمل فى مجال التنظيم الاجتماعى للمسلمين...

الموقف الثامن :

موقف المجمع من الاقليات الاسلامية والأكثريات المضطهدة ..

ان المجمع لم يدخر وسعا فى هذا الشأن ..

ومـاذا فى وسعه الا أن يدرس المشكلة ، ويصل الى الرأى ويصدر البيان ويحرض على أداء الواجب ؟

لقـد فعل المجمع ذلـك فى كل المشكلات التى تعرض لها المسلمون أغلبية كانوا أو أكثرية وتابع المواقف وأكدها وألح عليها ، فعل ذلك بالنسبة لمشكلات المسلمين : فى قبرص ، وفى الفلبين وفى اريتريا ، وفى تونس وفى لبنـان ، وفى المغرب والجزائر وفى الدول الشيوعية و . . . الخ .

وكان لابد من التركيز على قضية رئيسية تكون لها الأولوية ويحصل منها الانبعاث ، وتختبر عندها القوى ، وحصـل التركيز على قضية المسجد الأقصى والأرض العربية المحتلة . وهى قضية اسلامية بالدرجة الأولى بالرغم من أى تفسير ضيق قد يقدمها فى اطار الصراع مع الامبريالية ، أو فى اطار الدفاع عن القومية . فهى قضـية اسلامية بالدرجة الأولى ، ويكون الانتصار فيها ــ مقـدمة للانتصار فى القضـايا الاسلامية الأخرى ــ كما يكون التراجع فيها للتراجع فى القضـايا الأخـرى . وقـد أثبتت الاحداث صـدق نظـرة المجمـع فى هـذا الموضـوع حيث أعقب الهزيمة فى ١٩٦٧ اجتياح للأقليات الاسـلامية فى الفلبين وتايلانـد ، وغيرهما من بلاد الأقليات الاسلامية .

فماذا يفعل المجمع أو تفعل القيادات الاسلامية فى الأزهر غير ذلك ؟

ان العجيب ان بعض الناس يتصور ان مجمع البحوث الاسلامية وجـد لينوب عنهم فى اداء ما يجب عليهم اسلاميا .. كأنه الكاهن ينوب عن اتباعه فى الصلاة .

كأنهم يريدون من المجمع ان ينوب عنهم فى الحـرب اذا كان الواجب الحرب ، وينوب عنهم فى الانفـاق اذا كان الواجب الانفاق ، وينـوب عنهم فى الاعتقال اذا كان المصير الى الاعتقال ، وينوب عنهم فى الاتصالات الدولية اذا كان الواجب نوعا من السياسة ! !

وهكذا ...

ورجـوعا الى المجمع ــ أو الى الأزهر ــ ماذا يمكنه أن يفعـل فى هذا المجال أكثر مما قلناه ؟

هل وجدوا المجمع أو الأزهـر مقصرا فى شىء من ذلك على ما لديه من امكانيات ضئيلة لا يدخر وسعا فى سبيل دعمها والنهوض بها ؟

واذا كان هناك من يرى ان للمجمع سلبيات فان من المؤكد أن سلبيته كانت من نقص فى امكاناته :

١ — ان المجمع منذ انشائه حتى الآن لا يجد المكان لموظفيه وأعضائه أو لجانه ، أو مجلسه أو مكتبته .

٢ — ان المجمع لايتسيرله الحصول على الكفاءات اللازمة من الموظفين فهو يأخذ موظفيه من القوى العاملة أو ممن يقبل أن ينتدب اليه من مدرسى المعاهد الأزهرية ومن فى حكمهم ..

هذا فى حين أنه يلزمه كادر خاص يجذب اليه الكفاءات العلمية الممتازة، أسوة بمراكز البحوث التى تعمل فى مثل مهمته ..

٣ — وان أعضاء المجمع لا يتقاضى أحدهم من المجمع غير مكافأة رمزية لاتتجاوز مرتب معيد بكلية فهى لاتغنيه عن ممارسة نشاطه فى جهات عديدة غير المجمع .

٤ — ان المجمع لم يجد حماية — فى فترة كبيرة من حياته — من الجهات التى تنحيف من اختصاصه.

وهذا الانتقاص من المجمع لم يحدث له نتيجة ضعف فيه .. أو قصور عن السعى وراء حقه المشروع وانما كان ثمنا دفعه نتيجة مواقفه وكفاحه ومقاومته للضغوط الموجهة اليه من مراكز القوى والطغيان .

وعلى سبيل المثال : لقد كانت القصور المصادرة توزع يمينا ويسارا على الأجهزة الرسمية والشعبية وغيرها ومنها ما هو أقل أهمية من المجمع ، والمجمع ينظر الى الى ذلك كله فى حسرة ولا يستجاب له.

والدليل على ذلك أنه فى عهد الرئيس المؤمن محمد أنور السادات بدأت تنفرج أزمة المجمع . وهو تشيد له الآن بناية ضخمة مناسبة ينتظر أن يفرغ منها فى العام القادم على أكثر تقدير .

اننا بالرغم من هذه السلبيات .. نجد الأعمال الايجابية التى سردناها مفخرة حقيقية للمجمع والأزهر .. وعلماء الاسلام .. حيث حصنت الفكر الاسلامى من الاعتداء

والتشوبه فى عصر من أشد عصور الطغيان التى مرت بها مصر .. ومر بها المسلمون ..

انها بالقياس الى ما كان يجرى من اضطهاد عقائدى موجه للفكر الاسلامى المعارض .. تعتبر من أعمال البطولة الخالدة ..

وأخيرا فان الأمانى الضخمة المعقودة على مجمع البحوث الاسلامية والتى تماثل فى حجمها حجم الأمانى المعقودة على قيام الدولة الاسلامية الحديثة لا ينبغى أن تتحول فى نقلها الى صخرة شاهقة نقصم بها ظهر الكيان الوليد ، ولا أن تتحول فى حراراتها الى لهب . . وانما ينبغى أن تكون الزاد والضوء تخطو به الى العمل ، وتنير به الأمل ، وعلى الذين يدركون بحق ضخامة المسئولية التى يتصدى لها المجمع أن يدركوا أنه لم يسبق لجماعة علمية فى التاريخ الاسلامى ان تعرضت لمثل ظروفه ومسئوليته ، فقد كانت تلك الجماعات على صلة القرب بين الأمل والواقع ، بين الفكر والعمل ، بين الحق والقوة ، بين العلم والايمان ، أما مجمعنا فانه لتدمى اقدامه لبعد الشقة بين تلك الأطراف جميعا ،وأنه ليستحق منا ان نحوطه بكل الرعاية ، والمحبة ، والاخلاص ، وان ننتصر له بتثبيت اقدامه على طريق الله .

والله الموفق .

الفهرس

طبع بالهيئة العامة لشئون المطابع الأميرية

رئيس مجلس الادارة

محمد حمدى السعيد

رقم الإيداع بدار الكتب ١٩٧٧/١٦٧

الهيئة العامة لشئون المطابع الأميرية

١٠١٨٦س١٩٧٧–٩٥٠٠

(Cont.)

No.	State	Name of the Delegate
19	Malaysia	Prof. Mohammed Omri,
		Dr. Abdul Jaleel Hassan.
20	Libya	Sheikh Mahmoud Subhi.
		Sheikh Ahmed El-Taher El-Zawi.
21	Morocco	Sheikh Abdullah Kanon.
22	Mauritania	Mr. Abdullah Wold Abeih.
23	Nigeria	El-Haj Abu Bakr Gomi.
24	India	Moulana Abul Hassan Nadwi,
		Moulana Asaad Madani,
		Mr. Kaka Omar.
25	Yugoslavia	Mr. Hassan Jozo.
26	Japan	Mr. Abdul Kareem Sando.
		Moulana Abul Aala Moududi,
27	Pakistan	Moulana Mufti Mahmoud.
28	England	Sheikh Abu Bakr Sirajuddeen.
29	Camroon Islands	Mr. Omar Abdullah.
30	Turkey	Dr. Najmuddin Arbkan.
31	Jordan	Sheikh Abdul Hameed El-Saih.

The Delegates Invited to the 8th Conference of the Islamic Research Academy (October 1977)

No.	State	Name of the Delegate
1	U.A.E.	Mr. Mohammad Abdul Rahman Bakr.
		Mr. Abdullah Bin El-Mahsoud.
2	Indonesia	Dr. Mohammad Nasser.
3	Uganda	Sheikh Abdul Razek Ahmed Mtuto.
4	Chad	Imam Moosa Ibrahim.
5	Togo	Mr. Idrees Tagori.
6	Tunisia	Prof. Mohammed El-Habeeb Shazly.
7	Algeria	Mr. Moulood Kassem.
8	Russia	Sheikh Diauddin Baba Khanov.
9	Senegal	Sheikh Abdul Aziz See.
10	Sudan	Sheikh Ali Abdul Rahman Amin,
		Dr. Kamel El-Baker,
		Sheikh Mohammad El-Gazooli.
11	Syria	Mr. Abdul Sattar El-Syed.
12	Ceylon	Dr. Owais Ahmed.
13	Sierra Leone	The Ambassador Gabreel Seesi.
14	Somalia	Sheikh Hassan Abdullah Fareh.
15	Cyprus	Dr. Rifaat Mostafa Rifat.
16	Kuwait	Sheikh Yousef El-Haggee.
17	Kenya	Sheikh Abdullah Saleh El-Farsi.
18	Lebenon	Sheikh Hassan Khalid,
		Mr. Wafeek El-Kassar.
		Imam Mousa EL-Sadr,
		Sheikh Nadeem El-Jisr.

take the necessary steps for hastening its establishment.

4—The Conference of foreign affairs ministers of Muslim countries is requested to establish an intermational Islamic organisation, authorized to collect the (Zakat) portions that are legally due from the metal and mineral wealth, ore, oil, etc. of each country. The funnds would be used in subsidizing agricultural and industrial plans of development in poor Islamic countries.

These projects are to be implemented through loans free of interest or by divising any other economic system comfortable to the tenets of Islam. In this way is realized the principle of social interdependance which is enjoined by Islam not only between individuals, but also among all Muslim communities considered as an integrated whole.

5—The Coference recommended that the Islamic research Academy would pursus studying what had been under disscussion, as regards "investment certificates", and money deposited in saving banks. With the completion of that study, the Academy is requested to announce to the Islamic World its final viewpoint.

As Regards Muslim Communities living in non-Muslim Countries, the Conference recommended that the Islamic Research Academy would form a standing committee to be in charge of the affairs Muslims in non-Muslim countries. It can be aided in theis task by enyone helpful in this respect, whether from amongest the members of the Academy or not.

Foremost to be dealt with by this committee should be the affairs of Muslims in the Philippines, Cyprus, Bulgaria, Zanzibar, and Eritrea.

The Conference recommended that the Islamic Research Academy would provide Muslims, in need of Certain educational and Cultural services, with publications, teachers, preachers, and other means that promote Islamic cultural revival, dissemainate the knowledge of Arabic, and intensify Islamic consciouseness.

(9) The duty of the Muslims towards the Problems of Zionist occupation.

(10) The duty of the Muslims towards Jerusalem.

(11) Israel is the stanchion of Imperialism in the Muslim world.

(12) Features of the Ideal Society in Islam.

President Anwar Sadat met with the delegations of the Seventh confernce of the Islamic Research Academy, on September 14, 1972. The president welcomed the members of the delegations in the name of the Egyptian people and in the name of Al-Azhar. He said :

"You know that Egypt and Al-Azhar has stood for along the past centuries, and still stand for today. The message is still the same and the people are still the same, and the trust they bear is also the same. We cannot tolerate backwardness while we are facing the treachery of Zionism and the evils of imperialism. For this reason I appealed for the creation of the state of Science and Faith. Science alone, wioth out Faith is not enough".

On Economics, The Conference declared :

1—That Muslim ecoomy is characterized by certain traits rendering it quite unlike other economic doctrines, since it is based on general rules explicitly stated in the Holy Quran and the prophetic Sunna, and meant to secure for man self resfect and social justic. He is told to strife in lief; to do his bodily and mental work; and his earnings there from are to be gauranteed.

No limits are set as to his freedom in striving, gain, or initiative, save compliance with the injunctions of the Shariah and what is required for the safeguarding of public interests.

Yet it is to be remarked that great allowance is made for every country to work out from these firm and basic principles whatever economic systems and applications she might find to be most adaptable to its needs and spelcific circumstances.

2—The Conference recommended that the universities and institutes of Muslim coutries would take the necessary measures to establlish chairs for giving courses in Muslim economy and economic systems that can be derived therefrom, as required by the environmental circumstances of every country.

These studies are meant to make our economists well-versed in that sort of economy which is closely linked with the teachings of the Islamic faith. Thus, they would be able to rectify their outlook and to liberate their countries from the impact of foreign economic doctrines.

3—The Conference recommended that those in charge of the international Islamic Bank project

(*c*) Imam Mousa Sadr (Lebenon).

(*d*) Dr. Abdullah Kannon (Morocco).

6 — Martyrs in Islam (4 papers) :

(*a*) Sheikh Hassan Khalid (Mufti of Lebenon).

(*b*) General Abdul Rahman (A.R.E.).

(*c*) Sheikh Kassim Galib (Yemen).

(*d*) Sheikh Abdul Sattar Said Syria.

7 — Towards an Islamic Economy-by Mr. Ibrahim El Tahawi. (A.R.E.

8 — Psychological warfare-by General Mohamed Sheeth Khatab (Iraq).

9 — Islamic Unity-by Sheikh Abuzahra (A.R.E.).

10 — The relation between individual and society in the view point of Islam-by Dr. Mohd. El-Bahai. (A.R.E.).

11 — Interpretation of the Holy Quran-by Dr. Jafer Shaheed (Iran).

12 — Quranic Commentary in the modern Age,-by Sheikh Mustafa Tair (A.R.E.).

13 — Islamic State is a Human State-by Maulana Asad Madani (India).

The 7th conference of the Academy opened in Cairo on September 9, 1972. It was attended by 70 distinguished scholars representing 36 countries from different parts of the world. The agenda of the conference included, mainly the researches dealing with the subjects of social and economic nature. The conference considered the problems connected with banking, investment, insurance and social solidarity in Islam. It discussed a number of researches on Islamic unity and the impact of Islamic thought on other contemporary thoughts. The conference also discussed papers on Jerusalem and other sanctuaries.

Among the researches considered by the conference are :

(1) The importance of Islamic Economy.

(2) Social Solidarity in Islam.

(3) Islam and the Unity of the Arabs.

(4) The role of Imperialism intearing the Islamic unity.

(5) Freedoms and Rights in Islam.

(6) The impact of Islamic thought on contemporary European thought.

(7) The Miraculous Character of the Quran and Development of its Miraclous Aspects with the Development of culture.

(8) Islam and its solution to the Problems of contemporary society.

Zionist designs to liquidate the Palestine question. Dr. Abdul Haleem Mahmud, then Secretary General of the Islamic Research Aceademy, explained the tasks and efforts of the Academy. Reviewing the Academy's role he summed up its mission in the dissemination of Knowledge to preserve the entity of Islam and the Muslim Community.

Dr. Abdul Aziz Kamel , then Minister of wafks and Al-Azhar Affairs, delivered a speech at the inaugural session. He welcomed the guest delegates and the members of the Academy and, wished them success in their tasks. The minister pointed out in his speech : "International Zionism had occupied land which is the property of the Arabs and Muslims, killed innocent people with bombs and rockets supplied by imperialist forces, pulled down their houses, rendered the people homeless and burnt the house of God in Jerusalem".

The general session of this Conference remained for five days, during which the members of the Academy and the guest-delegates discussed ten major research papers presented by distinguished Scholars. Those papers dealt mainly with Israel's expansionist objectives, racial discrimination, commando action and their Jihad for restoring the rights of the people of Palestine.

The sixth conference was held on Saturday, March 27, 1971 and ended (the first stage) on April, 1971. The inaugural session of the conference was held in the conference hall of the Cairo Governorate. A large number of University professors, Arab and foreign diplomats were present.

About 120 delegates, representing 35 countries attemded the conference.

The various sessions of the conference discussed the following research papers presented by members of the Academy and delegates. The foremost among them are :

1 — Responsibility in Islam-by the Grand Sheikh of Al-Azhar, Dr. Muhammad El-Fahham.

2 — Israeli aggression on Religious places-by Sheikh Abdul Hamaeed Said (Jordan).

3 — Tribulation of Human Rights in Israel-by Prof. Wafik el-Kassar (Lebenon).

4 — The Story of Israelites before Islam-by Prof. Bahai el-Kholy. (A.R.E.).

5 — Care of Islam to Human Values (4 papers presented in the same topic) by :

(*a*) Sheikh Abdullah Ghosha (Jordan).

(*b*) Dr. Abdul Hameed Hassan (A.R.E.).

"The Position of of Jerusalem" by Dr. Ishaq Mousa Al-Husaini. "International Zionism" by Prof. Wafiq Al-Kassar, Lebenon.

"Jews in Quran" by Sheikh Abdussattar Al-Sayed, Syria.

"Zionist activities in East Africa" by Prof. Ibrahim Haji Mahmoud, Somalia.

"The attitude of the Jews towards Islam and Muslims, in the early times" by Moulana Assad Madani, India.

"Jews in Medieval Ages" by Dr. Saeed Abdul Fatah Ashur. "The attitude of the Jews towards Islam and Muslims" by Mohammad Tahir Yahya, Indonesia.

"The battle of destiny with Israel, in the light of Quran and hadith" by Nadim Al-Jisr, Lebenon.

"The will of fighting in Jihad" by Mahmoud Sheet Khatab, Iraq.

"Jihad in Islam" by Abdul Latif Subki, Egypt.

The papers prepared for the second stage included :

"The personality of the Muslim" by Dr. Abdul Haleem Mahmoud.

"Anniversary of the revelation of the Quran and verification of its date" By Sheikh Abdullah Knnoun.

"The Quran and the Society" by Dr. Ibrahim Labban.

"Origin of Juristic 'jitihad' and its phases of development" by Sheikh Muhammad Ali Al-Sayes.

"The collection, recording and completion of the Quran" by Sheikh Ali Al-Khafif.

The inaugural session of the fifth conference was held in the conference hall of the Cairo Governorate no saturday 28*th* February 1970 (22*nd* Dhulhijjah, 1389 A.H.). It was attended by more than 100 Muslim Scholars representing 36 countries in Asia, Africa and Europe. The inaugural session was presided by Grand Sheikh of Al-Azhar, Dr. Muhammad Faham. Arab League Secretary General, heads of Diplomatic missions, a large number of University Scholars and representatives of Educational and Cultural Organizations were present. The Grand Sheikh, in his opening address said that the Muslim world expected a word from conference which will invigorate its hopes and liberate its lands. Paying warm tribute to the role of Palestinian resistance, the Grand Sheikh hailed 'the soldiers of God' in the firing line.

Sheikh Abdul Hameed Sayieh,a former Jordanion minister, then spoke on behalf of the delegates participating in the conference. He said that the Scholars have to face the enemy's plans with both scientific studies and military preparations, and counter imperialist-

on point to the great interest of the scholars in problems that face the Muslim Society in the world, also they give us a true picture of these problems. Some of the important papers read in the second conference are : "Insurance in Islam", "Capital Investment in Islam", "The zakat", "Contemporary Bank Transactions and Islam's view ther eon", "Charity in Islam", "Our cultures youth and religiousness" and "Palestine and Israel".

The third conference of the Islamic Research Academy was held in Cairo in October 1966, under the auspices of the glorious Al-Azhar and the guidance of the great Muslim Scholars of the world. This was a continuation of the previous two conferences held in 1964 and 1965.

The fourth Conference of the Islamic Research Academy was held in the conference hall of the Cairo Governorate on Saturday 28*th* September 1968 (6*th* Rajab, 1388 A. H.). A large number of Muslim scholars representting 33 countries in Asia, Africa and Europe, and members of several organisations, and foreign diplomats were present.

The conference discussed many papers prepared by members of the Academy and the guest-scholars. The papers that the scholars read in many sessions of the first stage, and the discussions that they carried on point to the matters related to Palestine question and the Arab refugee problem alongwith the attitude of Jews towards Islam and Muslims in early times, and the stand of Zionism on Islamic world at present. The second stage disused research papers on the history of revelation of the Quran and the development of Islamic Jurisprudence through centuries, etc.

Some of the important papers that were read and discussed in the first stage of this conference are :

The position of Jerusalem in Islam" by Sheikh Abdul Hameed EL-Sayed, Minister of wafks, Jordan

"Zionism and Palestine" by Dr. Sayed Nofal Assistant Secretary-General, Arab League.

"The place of Jerusalem in Islam" by Prof.Abdul Hameed Hassan. Member of the Academy.

"Jihad is the way of victory,, by Sheikh Abdullah Ghushah, Chief Justice of Jordon.

"Jihad in the cause of Allah" by Sheikh Hassan Khalid Mufti of Lebenon.

"Israeli Legends in 'Tafsir' and 'Hadith' (Commentaries of the Quran and Traditions of the Prophet) by Dr. Mahmoud Unus, Indonesia

"Jewish agression on Medina" by Dr. Abdul Aziz Kamil.

The third point, the glorious Al-Azhar was always calling people to despise fanaticisms of colour and race because all people came from Adam and Adam was from dust. If one wants to distinct, he has to be so by his good deeds and the great services he renders to the humanity.

In this way Al-Azhar, has rendered to this human society, many good things which encircle around the helping of principles regardless of destinies of races and colours. Al-Azhar has done to all people various services and taken out many people from darkness to light and led them to the path of goodness, it has also, raised the dead alive, and made the slaves free in the broad meaning of world sphere".

The first conference of this Academy was held on Shawwal 22, 1383 (March 1964) in Cario, capital of Egypt and the seat of Al-Azhar. It was the cherished hope of Muslims all over the world that such a conference of international character be held to realise the spiration of sincere Muslims for the establishment of intellelctual and cultural contact among the Muslim scholars from all over the world. It was a dream which came true. This conference has given them a forum to meet and an opportunity to share each other's views,

The first conference of the Academy in a statement, announced : "The conference resolves that the present condition of Muslims imposes a duty on the Academy to explore ways and means of unifying Muslims of all countries so that they may form a united front co-operating individually and collectively in virtue and working together for their own benefit and that of humanity. It also resolves that the Academy should equip itself as early as possible with all the means necessary for the spread of Islam, and its defence and the planning necessary for carrying out these duties and also the pooling of resources. This is a matter a of utmost importance demanded by contemporary Muslim Iife."

The second conference of the Islamic research Academy was held in the conference hall of the Cairo Governorate on Thursday May 13, 1965. The inaugural session was attended by a large number of cabinet ministers, ambassadors, rectors, deans and professors of universities and representatives of Islamic centres and societies from 40 countries all over the world. Both these conferences connected the bonds that were broken and awakened the Muslim scholars to a new life of unity and solidarity and provided them an opportunity to exchange views on various problems facing the Muslim world.

The papers that scholars read in the many sessions of the Conference and the discussion that they carried

Secondly, Al-Azhar had always remained an international seat of learning. It has welcomed in the past, as it does now, students from all parts of the world irrespective of race, colour, language. These students drawn from different countries and speaking different languages have always met in harmony and unity, studying, discussing, and agruing, in a purely academic spirit. There is hardly any country in the world where the alumni of this great University are not found sharing with others the wisdom they have acquired at Al-Azhar.

As Al-Azhar, since it was founded ten centuries ago, has kept the torch of Islamic faith and sciences burning, it has been working hard to create hopes and to kindle courage in the hearts of Muslim scholars, as it has been trying to connect the bonds of Muslim society that were broken, and to awaken the humanity to a new life of amity and solidarity.

The object of Al-Azhar, in its long history, was only to be a circle in the sphere of calling to Allah and spreading the message of Islam.

Al-Azhar has carried the Faith of Islam, in its simplicity, moderation and easiness. It has, by this Faith, paved for the people the way of spiritual tranquility and stability, and has taken away from their shoulders the burdens of perplexity, anxiety and restlessness.

The Faith of Islam, in its simplicity, moderation and easiness, can be summed up as: that this universe has one God, Who has no partner, and His will in reforming, in making people happy and in elevating, is attached with a great messenger, the prophet Muhammad, may God's peace be showered upon him, who is the essence of all prophets and messengers.

The Second point can be summed up in the following : Al-Azhar, in communicating the message of the apostle, may peace be upon him, was always calling people to make themselves free from their tempts and passions so that they may liberate themselves from their conquerors and enslavers.

A great number of forces has gathered round it (Al-Azhar) everywhere, carrying the banner of real freedom which assumes that slavery to any one except God is an unbearable burden, so let the humanity be liberated from all other kinds of slavery and to make it only for Allah, Lord of the worlds. Because all people are equal and there is no superiority for Arabs on non-Arabs, except by virtue. In this way , Al-Azhar was, by a direct or an indirect way, a strong impulse in the human society to set the slaves free and to help them to regain their human dignity in many fields in the far and near world sphere.

help strengthen the unity of Islam and to bring out the academic character which has distinguished Al-Azhar, all Muslim countries and all schools of Islamic thought are represented in the Academy. This is also to ensure that the views expressed and the resolutions adopted by the Academy may suit the different localities and the varying societies in the Muslim World.

It was in the fitness of things that AI-Azhar should take up this task of rejuvenating Islamic culture and bridging the gap that has been growing between Islam and the modern thought. For Al-Azhar is "the first house that was built for knowledge", and since it was founded ten centuries ago it has kept the torch of Islamic sciences burning. It has been stimulating faith through knowledge and it has kept alive learning by study and research with perseverance, patience, deliberations and endurance.

Islam is not a religion in the sense in which it is used to denote Christianity, Judaism, Buddhism, etc, but it is a complete system of life suited to all times and climes and acceptable to all those that dwell under the sun. It is but natural for such a universal message to adapt itself to the varying conditions of life. Since its inception, thirteen hundred year ago, Islam has been a living force, grappling with every new situation that arose and solving every new problem that it faced. Great doctors of law known as mujtahids' have flourished in the past and with their profound Know ledge of the sources of legislation in Islam, viz. the Quran, the hadith, the qiyas and the ijma they have interpreted Islam in the light of the changing patterns of life in every age.

But unfortunately during the past few centuries of Muslim downfall, mental inertia, deterioration in educational standards, lack of patronage of scholars - all this conspired to put an end to ijtihad. This and the ever-growing inventions and discoveries in the fields of science and techonology that commenced from the dawn of this century, created a hiatus betwelen Islam and the the modern life. Those that clung to the old ways of life were denied acquaintance with modern thought, and on the other hand those that were brought up in the new tradition were totally ignorant of Islam and its glorious heritage. The need to bring about a harmony between Islam and the modern life was never greater than it is now. It was Al-Azhar that came forward to do this.

The fact that this great and glorious university was first housed in the mosque and remained so far many centuries is a positive proof that in Islam worship and learning go hand in glove with each other and that Islam knows no conflict between religion and learning in the widest sense of the word

MAJALLATU'L AZHAR

(AL-AZHAR MAGAZINE)

MANAGER: Dr. ABDUL WADOOD SHALABY

SHAWWAL 1397	ENGLISH SECTION	SEPTEMBER 1977

THE ISLAMIC RESEARCH ACADEMY OF AL AZHAR

Its objectives and programmes

By

Dr. A. M. Mohiaddin Alwaye



The Islamic Research Academy of Al-Azhar has decided to hold its 8th international conference in Cairo in October 1977. This is a continuation of its previous 7 conferences. It is, therefore, useful to have a glance at the objectives and programmes of this Academy, in order to understand its functioning as the highest body for Islamic research.

In 1961, under the auspices of Al-Azhar was established an Academy of Islamic Research to serve as the highest body for Islamic research. This Academy undertakes the study of all that pertains to Islamic heritage, and work on international level towards the rejuvenation of the Muslim culture, its purging from accretions, and its presentation in its true element, while facilitating knowledge of and acquaintance with it at all levels and in all climes. It also aims at following up all that is published by Muslims and non-Muslims alike about Islam and its legacy to benefit from what is right in it, and to repute and rectify what is wrong.

The Academy is an international body and comprises a select number of scholars with profound knowledge of Islam and its heritage. To